



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

شخصية

الرسول الاعظم قرآنيا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شخصية الرسول الاعظم قرآنيا

كاتب:

جلال الحنفى البغدادى

نشرت فى الطباعة:

وزاره الثقافه و الاعلام دائره الشؤون الثقافيه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١١	شخصية الرسول الاعظم قرآنيا
١١	اشارة
١١	المقدمة
١٢	توطئة
١٣	بيئة الدعوة و مهام النبى
١٦	منطق الكفر و الايمان
١٦	بشرية متميزة
١٨	قداسة الشخصية النبوية
٢٢	الرسول فى مجموعة الرسل
٢٣	الوحي
٢٤	او من وراء حجاب
٢٥	الانزال والتنزيل
٢٧	الرسول فى رقابة ربه
٢٧	اشهد ان محمدا رسول الله
٢٨	استمرارية الصفة النبوية فى شخصية الرسول الاعظم
٣١	الصلاة على النبى...
٣١	الحب النبوى...
٣٣	العصمة الالهية للنبى...
٣٦	استقلال شخصية الرسول...
٣٧	الطاقة الجسدية للرسول الاعظم...
٣٧	الرسول الاعظم عسكريا...
٤٠	الاسراء...

٤٠	المعراج...
٤١	التأديب النبوى...
٤٢	التوجيهات التحذيرية...
٤٣	آيات المواجهة...
٥٠	آيات المعاناة...
٦٠	التأييدات و البشائر الالهية
٦٢	المحتوى القرآنى
٦٣	التوزيع القرآنى
٦٣	القاب النبى...
٦٤	النبى و الشورى...
٦٥	الرسول و المؤمنون...
٦٧	امية النبى الامى
٦٨	الرسول و العناية الالهية...
٧٠	المتابعة الالهية...
٧٢	القرآن الكريم و قراءته...
٧٤	الله والرسول
٧٧	الاعمال النبوية الخاصة...
٧٩	التثقيف القرآنى...
٨٠	الجدل القرآنى...
٨١	اتخاذ القرار...
٨٢	فى دعاء ابى الانبياء...
٨٣	السور المكية و المدنية
٨٤	الشفاعة
٨٦	الامر الالهى...

٨٦	..... اللاءاء القرائية...
٩٨	..... باب حسب و حسب
١٠١	..... المعية النبوية...
١٠٣	..... الحكم و القضاء النبوى...
١٠٤	..... باب ذر
١٠٥	..... الذرنياا
١٠٦	..... باب عسى
١٠٦	..... باب ادع...
١٠٧	..... الاكراه...
١٠٨	..... البلاغ و الابلاغ
١٠٩	..... باب ربك...
١١٢	..... النبى...
١١٣	..... باب يباعونك...
١١٤	..... ما يعلق باااب الرسول و الانقلاب عليه
١١٥	..... باب العجب و الاعجاب...
١١٧	..... باب فاسااa
١١٨	..... باب يساااااااااااااااااااااااااااااااااااااa
١١٨	..... الرسول الاعظم و السااااااااااااااااااااااااa
١٢٠	..... باب الجدل
١٢٢	..... باب اااااااa
١٢٧	..... باب انظر
١٢٩	..... باب اعراض
١٣١	..... باب اااa
١٣٤	..... باب الاساااااااa

- ١٣٦ ..... باب ارايت
- ١٣٧ ..... باب رايت
- ١٣٨ ..... و اضرب
- ١٣٩ ..... باب آيات الاتباع
- ١٤١ ..... في باب الاوامر
- ١٤٢ ..... باب حرض المؤمنين
- ١٤٢ ..... باب و ما يدريك
- ١٤٣ ..... باب و ما أدراك
- ١٤٣ ..... باب صاحبكم
- ١٤٤ ..... باب سبح
- ١٤٤ ..... باب ألم تعلم
- ١٤٧ ..... باب فاعلم
- ١٤٧ ..... باب بشر
- ١٤٨ ..... باب الفضل الالهى على النبى
- ١٤٩ ..... باب لا يحزنك، و لا تحزن
- ١٥٠ ..... باب اقم الصلاة
- ١٥١ ..... باب واصبر
- ١٥٣ ..... باب الم تر
- ١٦١ ..... العصيان للنبي عصيان لله
- ١٦٢ ..... آيات البعث
- ١٦٣ ..... يا أيها النبي
- ١٦٧ ..... باب و اذكر
- ١٧٠ ..... باب تجد و لا تجد
- ١٧٣ ..... باب الرسول



- ١٨٤ ..... باب قل
- ٢٣٢ ..... تعقيب على الايات القولية
- ٢٣٢ ..... آيات التبيين
- ٢٣٣ ..... باب الاستماع
- ٢٣٥ ..... باب سل و اسأل
- ٢٣٧ ..... باب و ما تسألهم... أم تسألهم... لا نسألك
- ٢٣٨ ..... باب يسألونك
- ٢٤٢ ..... باب قلت و تقول
- ٢٤٣ ..... باب قومك
- ٢٤٤ ..... باب هل أتاك
- ٢٤٥ ..... باب استعذ بالله
- ٢٤٦ ..... باب الشاهد و الشهيد
- ٢٤٩ ..... فى باب جاءك... جاءوك
- ٢٥٠ ..... باب العجل الالهى
- ٢٥١ ..... الكلام على كلمة حفيظ
- ٢٥١ ..... باب انك ميت و انهم ميتون
- ٢٥٢ ..... باب توكل على الله
- ٢٥٣ ..... باب آية الميثاق
- ٢٥٤ ..... باب فصاحة اللسان و عرويته
- ٢٥٤ ..... باب و ما ملكت
- ٢٥٥ ..... باب المرء و الممارسة
- ٢٥٧ ..... باب كنت و ما كنت
- ٢٥٨ ..... فى باب عبده و رسوله
- ٢٥٨ ..... باب الكلام على كلمة رجل

- ٢٥٩ ..... باب القرية
- ٢٦٠ ..... باب ذكر
- ٢٦١ ..... باب الانذار
- ٢٦٢ ..... في باب الذكر
- ٢٦٣ ..... باب الوثنية
- ٢٦٣ ..... باب كلمات قرآنية
- ٢٧١ ..... كلمة قبل النهاية
- ٢٧٢ ..... التعريف بالمؤلف و التأليف
- ٢٧٤ ..... ملحقان...
- ٢٧٥ ..... باورقى
- ٢٨٥ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## شخصية الرسول الاعظم قرآنيا

## إشارة

سرشناسه : حنفي جلال - 1915

عنوان و نام پديد آور : شخصيه الرسول الاعظم قرآنيا/ تاليف جلال الحنفي البغدادي

مشخصات نشر : بغداد: وزاره الثقافه و الاعلام دائره الشؤون الثقافيه ، م 1997 = ق. 1418 = 1376.

مشخصات ظاهري : ص 388

وضعت فهرست نويسي : فهرست نويسي قبلي

يادداشت : عنوان اصلي .Sheikh Jalal Al Hanafi. The great prophet through the Holy Quran

موضوع : محمد(ص) ، پيامبر اسلام 53 قبل از هجرت - 11 اق در قرآن

رده بندي كنگره : BP104/م 27 ح 9 1376

شماره كتابشناسي ملي : م 81-8304

## المقدمة

بقلم / كبير المؤرخين العرب الدكتور / حسين امين ان شخصيه الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم من أبرز الشخصيات التي ظهرت على مسرح التاريخ و انه صلوات الله عليه من امير اولئك العظام الذين تركوا اثارا خالده، فالرسول محمد صلى الله عليه و سلم اختاره الله عزوجل لتبليغ رسالته الى الناس كافة، لصفات تجمعت في شخصه الكريم و مزايا تحلى بها عن غيره من البشر، و ان الله سبحانه و تعالى قد أعده الاعداد العظيم لتحمل المسؤولية العظمى لانقاذ البشرية، و الجهاد الكبير من اجل هدايتها، و السعي الحثيث الى نشر الدعوة الاسلاميه بين العرب و غيرهم من الاقوام، و كانت البداية غايه في الصعوبه اذ كان لابد عليه من نشر المبادئ الساميه بين ابناء جلدته العرب، اولئك القساء الجفاه الذين اتخذوا الاصنام آلهة و الاوثان معايب و كان ابناء قومه و الاقربون من عشيرته اشد الناس مقاومه و عنادا كما كانوا الاشد اضطهادا و اذى لاصحابه و مؤيديه، و لاقى صلى الله عليه و سلم مالاقي من اولئك الذين كانت قلوبهم قاسية و عقولهم متحجرة، ولكن الله سبحانه و تعالى كان ابدا الى جانب الرسول محمد صلى الله عليه و سلم مؤيدا و ناصر حتى كتب الله عزوجل النجاح و الفلاح و تكامل نزول القرآن الكريم على نبيه صلوات الله عليه. ان القرآن الكريم هو معجزه الله تعالى لرسوله المختار محمد صلى الله عليه و سلم بل هو معجزه الاسلام و هو الوحي المنزل من عند الله تعالى على محمد صلى الله عليه و سلم و المنقول عنه نقلا متواترا نظما و معنى و هو آخر الكتب السماويه نزولا، و القرآن هو بدء تاريخ الاسلام، و انه دستور الامه و منه نستمد معاني السيره الشريفه و تتعرف على التوجيهات و الاوامر المرسله الى الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ما تعنى تلك التوجيهات و الاوامر و آثارها و ابعادها، ان تلك الامور المهمه و الخطيره انتبه اليها عالم عربي عراقي كبير هو فضيله الشيخ الجليل جلال الحنفي البغدادي، فشرع هذا العالم الكبير باقتباس الايات القرآنيه الكريمه التي تضمنت نماذج من الاوامر و التوجيهات و الآيات التي تؤكد على رساله محمد صلى الله عليه و سلم، و ما يجب ان تكون عليه الجماعة الاسلاميه من الخلق القويم و السيره الحسنه و وحده الكلمه لتصبح تلك الجماعة اهلا بتحمل المسؤولية العظميه في نشر الرساله الساميه و قياده الامه و انقاذها من براثن التخلف الديني و الاجتماعي و السياسي. و تتبع فضيله الشيخ الجليل الحنفي تكوين شخصيه الرسول صلى الله عليه و سلم قرآنيا، و اثبت الباحث الجليل بالبراهين القاطعه، مستقرا الايات القرآنيه الكريمه التي ساندت الرسول صلى الله عليه و سلم و قومت شخصيته التي تكاملت بفضل العناية الالهيه المباركه. و تدل دراسه الشيخ الجليل الحنفي لهذا الموضوع الخطير على درايه عظيمه في فهم القرآن

الكريم و ابعاد معانيه و احاطته الواسعة بمدارس التفسير الاسلاميه، كما جاءت استنتاجاته العلمية صائبة و متميزة بالموضوعية و الصدق و النزاهة، و تتجلى بسعة الافق العلمى، فمن معالجاته القيمة على سبيل المثال، اشارته الى نزول القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه و سلم، قوله: بيان بوقوع القرآن الكريم فى وعائه الذى احتواه، فما ينفلت منه و لا يزيغ عنه و لا يتوزع فى اكثر [صفحة ٤] مله، آلا- و هو قلب النبي صلوات الله عليه، و القلب فى لغة القرآن الكريم هو مصدر العقل و الايمان و الصلاح و الرشاد و التقوى، و قد عنت الآية القرآنية الكريمة التى هى عنوان هذا النص [١]، ان القرآن الكريم كان مستقرا فى خير مستقر، كائنا فى خير مكان و مؤتمنا عليه الائتمان التام و تلك مزية تمت للنبي صلى الله عليه و سلم، لم تكتب لغيره من رسل الله و انبيائه عليهم السلام. هذا نموذج من دراسة الشيخ الجليل لشخصية الرسول صلى الله عليه و سلم قرآنيا فهى كما نوهت دراسة علمية مستفيضة، تبحث فى شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم فى سيرته الشريفة فى قوته و جرأته، فى ثباته و صبره، فى امانته و شجاعته، فى كل ما تحلى به الرسول صلى الله عليه و سلم من الصفات العظيمة التى اهلته لتحمل تلك المسؤولية العظيمة فى تحدى المشركين الطغاة و العمل على نصره المستضعفين و نشر العدالة فى الارض مستمدا القوة و العزم من الله عزوجل، و باسناد القرآن الكريم المعجزة العظمى، التى اخذت آياته العظيمة تسدد الى المشركين و المعاندين ضربات قاصمة أذهلتهم و كانت خير عون و سند للرسول صلى الله عليه و سلم فى جهاده الكبير من اجل نشر المبادئ الاسلامية النبيلة، مستمدا النصر و القوة من الله تعالى، قال عزوجل، و الله يعصمك من الناس و قال تعالى: و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاة و جبريل و صالح [٢] المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير، و قال تعالى: و شاورهم فى الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله، هذه الايات الكريمة و غيرها تناولها الاستاذ الباحث الجليل برؤية علمية، فجاءت دراسته هذه اصيلة و مبتكرة، بل هى دراسة تاريخية شاملة لحياء الرسول صلى الله عليه و سلم، جديدة فى عرضها ستمد الباحثين فى التاريخ الاسلامى بآراء و افكار قدمها الباحث الجليل تساعد على تحليل و تفسير و فهم العديد من القضايا الاسلامية. ان الكتاب الذى اطلعت على مسوداته و الذى قام بتأليفه شيخنا الجليل الاستاذ جلال الحنفى البغدادي سيكون له الاثر الكبير فى توجيه الدراسات القرآنية و جهة علمية تتميز بطابعها العصرى فى تقييم شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم قرآنيا، و ان هذا الكتاب ستكون له اهمية علمية كبيرة لانه سيعمل على خلق مدرسة عراقية جديدة فى دراسة القرآن الكريم و دوره العظيم فى مسيرة التاريخ الاسلامى. اسأل الله تعالى التوفيق لشيخنا الجليل جلال الحنفى البغدادي، و بورك له فى جهده العلمى المبدع و متعه سبحانه و تعالى بالصحة و السلامة. والله ولى التوفيق. أ.د. حسين أمين بغداد فى ٢١/١٢/١٩٩٥ [صفحة ٥]

## توطئة

من المعروف فى الاوساط العلمية أن لنزول القرآن الكريم اسبابه يقال لها اسباب النزول، و يعنى ذلك أن للايات القرآن صلة باحداث و وقائع يمكن أن توصف بانها يوميات. لان القرآن الكريم استمر نزوله نحو من ثلاث و عشرين سنة. و من هنا كانت بعض سور القرآن الكريم موصوفة بأنها مكية و بعضها قد وصفت بأنها مدنية.. و هناك اوصاف اخرى وردت فى شأن اكثر من مجموعة قرآنية مما يعرفه اصحاب هذه الدراسات... و يمكن أن يفهم من هذا أن سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و وقائع حياته اليومية المتصلة بالتبليغ و نشر الدعوة الاسلامية قد كانت من بعض اسباب النزول او كانت مما وقع الاستطراد اليه. و ليس فى ذلك من غرابة لا- سيما اذا ما علمنا أن القرآن الكريم كان ينزل احيا على هيئة خطاب او على هيئة رد لسؤال او افتاء أو لأستفتاء من مثل قوله تعالى و يسألونك عن اليتامى...» البقرة /٢٢٠.. و قد تكون الخصوصيات ذات الطابع اليومى فى حياة النبي صلى الله عليه و سلم محل ايراد و اشارة مثل «و اذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا» التحريم /٠٠٣ و مثل «ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا» التوبة /١٠٤٠ اما الخصوصيات التى لا تتحصل منها مقاصد تشريعية فان القرآن الكريم لم يشر الى شىء منها على الاطلاق مما تبدو ازاءه دعوة بعض المستشرقين بأن القرآن الكريم ليس كتابا سماويا دعوى فاشلة و باطله اضافة الى أنها مريبة و حاقدة.. و اذا قرأنا

القرآن الكريم وجدناه وحدة متكاملة الا تفاوتت في مناحيه التعبيرية رغم أن هذه الوحدة المتكاملة انما تكاملت خلال الفترة التي اشرفنا اليها و هي ما يقرب من ثلاث و عشرين سنة فلو كان القرآن غير سماوي لظهر فيه من التباين و تباعد الشقة ما لا يخفى. و في القرآن «و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» النساء/٠٨٢ ان شخصية النبي صلى الله عليه و سلم لم يظهر لسلكياتها النفسية اى اثر في القرآن الكريم مما يتصل بمفردات حياته اليومية الخاصة... فليس في القرآن الكريم اى تلميح او تصريح لخديجة زوج النبي صلى الله عليه و سلم و ليس فيه اى تلميح او تعريف لمارية القبطية و ليس فيه ما يومىء ايماء الى ابنه ابراهيم الذى ولد له صلى الله عليه و سلم فى آخر حياته و كانت وفاة ابراهيم و هو ما يبرح طفلا اشق شىء عليه صلى الله عليه و سلم... و ما من شك ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان يرى لبعض اصحابه دورا طيبا فى مسيرة السيرة مثل ابى بكر الصديق رضى الله عنه و ارضاه اذ صاحبه فى الغار و رافقه فى الهجرة من مكة الى المدينة، ولكن لم يرد لابي بكر ذكر باسمه الصريح... ان الذين آذوا النبي صلى الله عليه و سلم و حاربوه من بدء الدعوة لم يرد التصريح باسمائهم باستثناء ابى لهب الذى كان فى ايراد اسمه فى القرآن الكريم ما يعد من المعجزات الكبيرة جدا، اذ جاء النص بانه من اهل النار، و كان ذلك فى السنة الاولى من سنى الدعوة، و لم يكن من ابى لهب الا الاصرار على الكفر و ما كان النبي يطالع على الغيب فيجزم الجزم الاكبر بكفر ابى لهب الذى ظل كافرا مدى حياته. [ صفحة ٦ ] ان القبائل العربية التى لو جاءت الاشارة الى اسماء فريق منها لكان ذلك مساعدا على خدمة الاعلام الدينى ولكن القرآن لم يشر الى شىء من اسماء هذه القبائل باستثناء قريش فى معرض المنه التى منها الله عليها و كذلك فى معرض التكليف بوجوب اعتناق مبادئه و الانخراط فى السلك الايمانى «الذى اطعمهم من جوع و آمنهم من خوف...» قريش/٠٠٤ والنبي صلى الله عليه و سلم يعرف ذلك فلو كان القرآن الكريم قرآنه لما تحفظ فى ذكر اسماء بعض قبائل العرب الشهيرة... ان الخطأ التى وضعنا و فقها منهجنا فى تأليف هذا الكتاب تعتمد على ذكر المفردات الرئيسية فى سيرته صلى الله عليه و سلم و كذلك انشأنا ابوابا للمجاميع القرآنية الواردة بعناوين معينة مثل باب (رأيت) و باب (واذكر) و باب (اللغات) التى هى من نحو «و لا تصل على احد منهم مات ابدا» و مثل ذلك «و لا تقف ما ليس لك به علم»... و مثل باب (بشر) و باب (انذر) و باب (اذا جاءك) و باب (ترى) و باب (يسألونك و أسألهم) الى اخر ذلك... فان هذه الابواب تكشف عن مضمون كبير واسع من حقائق السيرة النبوية و دور الرسول الاعظم فى القراع و المنازلة و توضيح صور المواقف النبوية فى العهدين المكي و المدنى فى سائر حالات الفرج و الشدة و العسر و اليسر... و بذلك يعلم متتبع النهج القرآنى لكتابه السيرة النبوية فضل هذا الرسول العظيم على الامم و عظم عطائه مضافا ذلك الى ما سوف يعرفه عن نبيه العظيم من الاقتدارات التى مازة الله بها فكانت معاوننا له على الصدع برسالة السماء العظمى الى الناس اجمعين... [ صفحة ٧ ]

### بيئة الدعوة و مهام النبي

كان من عنعنات القوم التباهى بمظاهر الغنى و الثروة و ترف المعيشة لدى اصحاب البذخ و الثراء و قد اتخذ بعضهم هذا اساسا لانكار ان يكون النبي و المؤمنون به ممن لا يملكون مثل ذلك «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاما و احسن نديا» مريم/٠٧٣ فكان من عجيب انماط التفاضل بين الناس و المقايسة بين منازلهم الاجتماعية و وزن اقدارهم و شخصياتهم ان يتخذ القوم يومذاك الاثاث و الفرش و الزينة و الفخفة اصلا التقييم و التمييز فى ذلك النبي فى نظرهم يجب ان يكون من اهل النوادي و المضاييف و المضارب التى تقدم فيها الموائد و التى يقبل الناس منها على كل سماط كثير الطعام و ما اليه من مقلبات و مشويات و طيور و اسماك و حلويات و اشربة ساخنة و باردة. ان النبي غير ذلك فهو ليس مقبلا على ترشيح نفسه لانتخابات رئاسة لكى يقدم المغزيات للناخبين و انما هو رسول من الله الى امم متمزقة ضائعة و من ورائها امم اخرى اراد الله ان يكون نبيه العربى العظيم منقذا لها من الظلال و الفساد و الشقاق و ان كانت امم ذات سلطان و قوة و جبروت كالفرس و الرومان. و الناس فى هذه المواجهة يستوى عند الله ان يؤمنوا او لا يؤمنوا فالذين آمنوا هم الذين تحروا و الذين لم يؤمنوا كانوا لجنهم خطبا. ان

اتخاذ الابهة و الفخفة و المال و الغنى مقياسا للتمييز في موضوع الرسالات السماوية لا قيمة لا البتة. و قديما قال قوم في ملك اختيار لهم من فقرائهم «انى يكون له الملك علينا و نحن احق بالملك منه و لو يؤت سعة من المال...» البقرة/٢٤٧.. فرد نبينهم عليهم قائلا «ان الله اصطفاه عليهم و زاده بسطة في العلم و الجسم...» البقرة/٢٤٧. مما يفهم منه ان العلم و بسطة الجسم تعنى الاقتدار على التحرك و التنقل و القدرة على المقاومة و الصبر و ذلك من الصفات النبوية المشترطة و ان كان ما نقلناه من حديث الملك الذى اوتى من بسطتى العلم و الجسم و لم يؤت من المال ما يعد به من عداد الاغنياء فاذا كان الله جعل لاختيار الملك الذى هو رجل دنيا و ليس رجل رسالة سماوية من بسطة العلم و الجسم فانه عز شأنه اذ يختار الانبياء يختارهم متمتعين بمزايا ذاتية اكثر من ذلك بكثير...@...بيئة الدعوة في دورها الاول هي مكة و فيها الغنى و الخصاصة و السادة و الارقاء و مصدر الشخصيات البارزة و متاجر التجار و الاسواق و كانت تأوى اليها القبائل من كل فج من اجل التجارة و الحج و كانت التكتلات القبائلية هي التي يركن اليها الوضع الاجتماعي... و كانت العنعات و مجالس القوم على اختلافها و اسواق الرقيق و الجاليات المختلفة. و في بيت الله العتيق كانت تقوم الاصنام اذ كانت تعبد و تؤدى لها طقوس العبادة الوثنية... و كانت الجزيرة العربية مطمعا للدولتين الكبيرتين في ذلك الزمان اى الروم و الفرس. و قد كان شمال الجزيرة من جهة الغرب مستعمرة رومانية و من جهة الشرق مستعمرة فارسية و كانت اليمن في اقصى الجنوب من ممتلكات الفرس، و قد عرفت جزيرة العرب ابان ذلك بالانقسامات السياسية و كان الغزو بين قبائل الجزيرة مسألة في عداد ما هو مألوف من المسائل... كانت مكة تتميز بأنها مناخ حضارى متطور في نظام الحياة اليومية لأنها كانت موطن كبار التجار و الروساء و كانت كذلك بيئة ادبية ارتقت فيها اللغة و الشعر و البيان. في هذه البيئة ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم. و كان ظهوره على رأس الاربعين من عمره. و قد عرفه سكان مكة رجلا من خيرة الرجال اخلاقا و سلوكا و نباهة و رجولة و مكانة عالية... و كان محل اطرائهم و موضع تقديرهم انه من اسرة عبدالمطلب سيد الجزيرة و صاحب الكعبة و خطيب العرب المصقع الذى آتاه الله من الابناء عدة معدودة كانوا من ذوى الشأن و الشهرة. فهو من ابناء مكة التى لم يكن في ابنائها من يجهله و لا يعطيه حقه من الاكبار و الاجلال. فلما اعلن نبوته و دعا الى وحدانية الله قام بينه و بينهم نفور عظيم و عدا شديدا و صاروا يعاملونه معاملة منافية لما كانوا يعاملونه به من قبل و ذاك أن حرصهم على اصنامهم و آلهتهم كان اقوى من كل الاعتبارات الاجتماعية و السلوكية التى كانت قد [صفحة ٨] انعقدت بينهم و بين النبي خلال اربعين سنة الماضية انه يريد تحطيم اصنامهم و جرهم الى عقيدة تنكر عبادة الاصنام و تدعو الى عبادة الله وحده... و رغم أن سكان مكة قد احاطوا علما او بعض علم بوجود ديانات قديمة يعبد اصحابها الله و أن لها كتباً يقرأونها و لهم أديرة و معابد يتعبدون الله بها فانهم كان لهم بأصنامهم تعلق عظيم و أنهم استكروا دينا جديدا يحل بينهم يدعو الى وحدانية الله «أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب» ص/٥٠٥. لقد كانت مهمة الرسول الاعظم مهمة جد شاقة في بيئته هذا هو واقعها و تلك هي حالها اذ كان عليه أن يقضى على عبادة الاصنام بالحجة و الموعظة الحسنه و اذ أن البيئته كلها تحمل تجاه رأيه العناد و المخالفة و الخصومة، فلقد كان عليه أن يتحمل كل شيء و أن يصبر و يبلغ في الحلم و كان عليه أن لا يكمل و لا يمل و يواصل المسيرة لكسب الاعوان و المؤيدين و كان على النبي أن يصحح كثيرا من احوال الناس و يقوم ما كان من معوج سلوكهم هذا. و لم يكن خصوم النبي من جنس واحد من الرجال انما كانوا اجناسا شتى ففيهم العقلاء و فيهم السفهاء و كان الجميع مطبقين على انكار رسالته بالطريقة التى يتعامل بها كل منهم. من ذلك نرى في مجادلاتهم للرسول ما يتهافت تماما و يسخف و يبعد عن المنطقية لأن كل قوم منهم كانوا في هذه الساحة على ما أفوه و عرفوه «أو تأتى بالله و الملائكة قبلا» الاسراء/٩٢. فكان موقف النبي في هذه المعمة موقفا لو وقف فيه غيره لانهار كل الانهيار و لعلق به الخذلان و الفشل العظيم. من هنا نعلم أن شخصية الرسول الاعظم كانت متميزة بمزايا لم يقدر مثلها للاخرين من الانبياء و القادات و الشخصيات التاريخية الكبرى.. و قد صرح القرآن بأن مهمة النبي ثقيلة و ليست بالامر الهين و ذاك في قوله تعالى «انا سنلقى عليك قولا ثقيل» المزمل/٥٠٥. ففي هذا النص توضيح لثقل المهمة التى ناطها الله برسوله العظيم فهي تشريف و تكليف و هى عبء شديد و ثقل ثقيل.. و قد كلم الله نبيه مصارحا اياه بان المهمة التى

ناطها به مهمة جد عظيمة و ذاك بالنص الواضح «انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً» و قد كان حقاً قولاً ثقيلاً.. و كانت هناك بيئة ثانية للدعوة هي بيئة المدينة: التي كانت تتميز بأنماط من الخصوم ذوى مناهج فى التعامل و الجدل و المراوغه مما لم يكن معروفاً فى البيئة الاولى كاليهود و المنافقين... و كانت هناك بيئة ثالثة هي التي تولى امرها اتباع النبي بعد وفاته صلى الله عليه و سلم، تلك هي بيئة العالم خارج الجزيرة اذ كانت هناك حضارات و دول و شعوب و لغات و قيم و ديانات شتى ولكنها ارتاحت للاسلام و قد كان قد ادخلها فى حسابها منذ نزوله الاول لانه دين البشرية جمعاء و ان النبي الذي جاء به هو خاتم رسل الله الى عباد الله... و لا نخرج عن صدد الامر اذا قلنا ان الاديان انما قامت من اجل تصحيح مسيرة الامم و الشعوب و انما بعث الله الرسل لهذا الامر بعد توحيد الله عزوجل. و حين نتغلغل فى مجالات القرآن الكريم نجد هذه الحقيقة تتألق كل التألق و تبرز كل البروز.. غير أن الرسالات القديمة كانت خاصة. و أن رسالة الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم هي رسالة عامة الى كل ابيض و اسود... و حين تتابع النصوص القرآنية التي جاء الكلام فيها على ذكر النبي و اعماله و خطواته فسرى له صلى الله عليه و سلم مهام كثيرة يعجب الباحث فى ذلك كيف كان النبي ينجز اعماله اليومية المستديمة. فهو امام القوم فى الصلاة و هو قاضيهام فى الاحداث اليومية، و هو قائد الفرق المحاربة هجوماً او دفاعاً و هو يستقبل الوفود القادمة اليه من اطراف الجزيرة و سائر القبائل. و هو كذلك ملزم أن يصلى الليل و يسبح لربه كما أنه يواجه فى كل لحظة من سائل او مستفت او مجادل او متحد او [صفحة ٩] مستخف. بل كانت الايات القرآنية تنزل عليه فى سائر الاوقات تقرر امورا و تعلن احكاماً و تفرض فرائض شرعية يواجه النبي بها الناس من خصوم و مؤمنين. و عند وقوف من يقف منه الناس على هذه التكاليف الكثيرة سيعجب كيف كان الرسول صلى الله عليه و سلم يتولاها جميعاً باقتدار خارق عظيم.. ان الله عزوجل نظم مهام النبي تنظيمًا زمنيًا فجعل مبدأ اعماله هذه ان يندر اهله و ذوى قرابته «و أنذر عشيرتكم الاقربين» [٣] الشعراء/١٤/٣٠٠ ثم عانى النبي من عشيرته ما عانى. ثم كانت دعوة الناس لاعتناق الاسلام لا تعتمد على مطلق الشهادتين و انما هناك التزامات يجب أن يلتزم بها من يعتقد الفتوحات العظيمة. ان دعوة الناس لاعتناق الاسلام لا تعتمد على مطلق الشهادتين و انما هناك التزامات يجب أن يلتزم بها من يعتقد الاسلام هي الصلاة اليومية و هي الصيام فى شهر رمضان و هي الزكاة لمن ملك نصابها و الحج و كذلك هناك احكام فى الزواج و الطلاق و الميراث و البيوع و الحلال و الحرام و الجهاد فى سبيل الله و كذلك حفظ القرآن و حفظ السنن النبوية و معرفة ما يجوز و مالا يجوز و الاخذ بهدب الخلق الاسلامى الذى هو ملاك هذا الدين و قوام كيان هذه الامة و هناك امور تدخل فى قانون السلم و الحرب و معاملة الاخرين. و هناك جنائيات و عقوبات و كبائر و صغائر و هناك التزام بطاعة الله و طاعة رسوله. ان مهمة النبي فى ايصال كل فرد من افراد الناس الى هذه المستوى الايمانى ليست بالامر اليسير و ليست بالمسألة الهينة فمن هنا كانت مهام النبي فى سائر الادوار من أشق المهام و اعسر التكاليف، غير أنه صلى الله عليه و سلم اكملها و اتمها و اتقنها، و من هنا كان هذا الاسلام الذى ضرب بأطناب خيمته فى سائر ارجاء الارض شرقها و غربها... و قد صرح القرآن الكريم فى كثير من سوره و آياته بالمهام الخطيرة التي ناطها الله برسوله محمد صلى الله عليه و سلم و من ذلك ما جاء فى قوله تعالى «... كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد» ابراهيم/١٠١ و كذلك قوله تعالى «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراكَ الله» النساء/١٠٥. و امر الحكم بين الناس ليس بالامر اليسير. فهو على ثقل عبئه متكرر و متجدد. و امر الناس و اصلاح الناس و ارضاء الناس لم يكن شىء من ذلك من هينات الامور يوماً ما و كذلك قوله تعالى «و من الليل فتعجد به نافله لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً» الاسراء/٧٩. و من الليل فتعجد به نافله لك بهذا التوجيه توجيه للنبي صلى الله عليه و سلم كان الغرض منه لفت انظار الامة الى ما فى صلاة الليل و الناس نيام من عظيم اجر [صفحة ١٠] و كبير ثواب فهو خطاب و ان كان الرسول صلى الله عليه و سلم مخاطباً به فانه مشموله به الامة كلها اذ كان فيها من يسهر الليل و لا يهجع فيه الا قليلاً و هم كائنون كل حين... اما قوله تعالى - عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً - فان (عسى) و هذه فى موقعها هذا تعنى التأكيد قصد بها من الاطمئنان و الاقتناع النفسى و ليس هي للتوقع و المقام المحمود على ما عرف من استعمالاتها لدى اهل اللغة الذى قال الله جل جلاله فيه - عسى ان يبعثك ربك مقاماً

محمودا - و هو تعبير غير وارد له نظير او اكثر من نظير في القرآن الكريم في مخاطبة الانبياء فهو مما خصص للنبي صلى الله عليه و سلم من المكافآت العظيمة القيمة و ليست كلمة المقام المحمود مما تراجع فيه المعاجم استيضاحا لمعانيها و استخبارا عن مقاصدها فهي من الالفاظ الفصيحة المتميزة بالبساطة و الوضوح ولكن اذ كان المقام المحمود هو مقاما محمودا عند الله جل جلاله فهو مما يبيت محل تمنى المتمنين و امل الآملين و رجاء الراجين و النص هنا جاء بلفظ (عسى ان يعثك ربك) و فيه ما يومية الى ان المقام المحمود هو من كريم نعم الله جل جلاله المدخرة لهذا النبي العظيم صلى الله عليه و سلم و ما جاء قبل هذه الاية و كذلك ما جاء بعدها يعم و يخص. اذ يصيب منهما ما يصيبه و يصيب اتباعه رضى الله عنهم و ارضاهم من ذلك ما يصيبهم و قوله تعالى (و قل رب ادخلني مدخل صدق و اخرجني مخرج صدق) و قد وجدنا ان الله عزوجل كان يعلم النبي كيف يدعوه و كيف يسأله و يلقيه ما يلهج به في دعائه. لقد كان من مهام النبي ايقاع الحدود التي جاء النص بها في التنزيل العزيز من مثل «و السارق و السارقة فاقطعوا ايديهما المائدة/٠٣٨ و من مثل «الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة»... و من مثل «انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا...» المائدة/٣٣.

### منطق الكفر و الايمان

للذين كفروا منطق غير منطق الذين امنوا و مثل ذلك منطق المنافقين... و في القرآن الكريم نماذج كثيرة لمنطق هؤلاء الاعراب... و ندوون من ذلك نماذج من الجدل بين الفئتين من يتابع ذلك ما هناك من اصالة في منطق المؤمن و ما هناك من زيغ في منطق الكافرين... «ان الله لا- يستحيى أن يضرب مثلا- ما بعوضه فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم و اما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا...» البقرة/٠٢٦ ان منطق الكافرين يعتمد على الاستفزاز و المراوغة في الحوار خلافا لمنطق المؤمنين الذي يتغى الاقناع و كسب المنتسبين الى الملة، و لمنطق الكفر شعار من العناد و الانتقام لمعاييدهم الباطلة... اجل اننا بعد التمييز بين اساليب الجدل هذه نعلم أية مهمة كبرى ناطها الله برسوله الاعظم يوم بعثه نبيا و رسولا الى مشركي مكة و كفارها و منافى المدينة و يهودها و غيرهم من اهل الكتاب... ان اسلوب جدل الكافرين يعتمد النفي و الانكار لان ذلك في رأى القوم ينسف الدعوى القائمة من اساسها «و يقول الذين كفروا لست مرسل» الرعد/٠٤٣ و هو يخرج عن نهج المعقولات عنه المناقشة التي يراد بها الوصول الى المسلمات اما التهويش فهو خلق اساسى في جدل اهل الكفر: «و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» فصلت/٠٢٦ و كلمات الاتهام اول شىء يظهر على لسان المجادل غير المؤمن. و من هنا جاء اتهامهم للرسول الاعظم بالسحر و الشعر و الجنون.. و عناد الكفار فى سائر العهود التي بعث الله فيها الرسل للعباد امر متوارث متفق عليه «أتواصوا به بل هم قوم طاغون» الذاريات/٠٥٣ [صفحة ١١]

### بشرية متميزة

فى القرآن الكريم: «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه المؤمنون كل امن بالله و ملائكته و كتبه و رسله، لا نفرق بين احد من رسله و قالوا سمعنا و اطعنا غفرانك ربنا و اليك المصير». البقرة/٢٨٥ الرسول فى امر الايمان بمفردات الدين حاله كحال اى احد من المؤمنين بدينه و ملته فهو ملزم باداء شعائر العبادات من صوم و صلاة و ما اليها و هو صلى الله عليه و سلم يتوضا للصلاة و ضوء سائر الناس و يصلى صلاته و قد تمت لها جميع الشروط و يقرا فى صلاته ما يقرا المصلى اذا صلاها منفردا و يركع و يسجد و يقعد و يقرا خلال القعود كلمة (التحيات) التي يقول فى نضاعيفها (السلام عليك ايها النبي و رحمة الله و بركاته) كالذى يقوله سائر المصلين و كذلك كان يتشهد فى اخر الصلاة و يصلى على النبي كحال المصلين الاخرين و كان النبي يؤذن فى اذن الوليد عند ولادته قاتلا (اشهد ان لا اله الا- الله و اشهد ان محمدا رسول الله) و كان يصوم فيمسك عند الفجر و يفطر عند الغروب و كان مخاطبا فى امور الشريعة بما



يخاطب به كل مسلم و تنطبق عليه شروط صحة الصلاة من الطهارة و استقبال قبله و ستر عورة و قيام و ركوع الا عند عروض المرض له فانه يصلى قاعدا و يقضى الصلاة اذا فات وقتها عن غير عمد و يتيمم للصلاة عند فقدان الماء و ذلك كله على جارى الامر لدى سائر المؤمنين. و هكذا كان النبي يعد نفسه واحدا من المؤمنين و ان كان هو امامهم و مصدر شريعتهم. و قد طلق النبي بعض زوجاته و ردها الى عصمته و فق شروط الطلاق و الرجعة المطبقة على جميع المسلمين على انه صلى الله عليه و سلم كانت تحكم امره فى هذا الباب خصوصيات معلومة، و حجج النبي فادى المناسك و الشعائر مثل غيره من المسلمين. و الخطابات القرآنية الموجهة الى الرسول فيها ما يختص به و منها ما يكون عاما بينه و بين المؤمنين و من هذه الناحية فان الرسول صلى الله عليه و سلم حين يؤى الشعائر و يتذوق حلاوتها او يعانى ما فيها من ثقل يعرف بالتفصيل حالة المسلمين الذين يؤدون هذه الشعائر و ما يجدونه فيها من امور قد تثقل عليهم او يستطيونها و يرتاحون لها فهو صلى الله عليه و سلم اذن فى صميم الموضوع و بحبوحة التكليف الشرعية. و كان صلى الله عليه و سلم اذا حدث غزو او جرت معركة موجودا فى مقدمة من يمارس ذلك و لذا تعرض لكثير من متاعب الحروب و كان النبي يقرا القرآن كما يقرأه الغير من اتباعه و النص الذى نحن فى صدده يوضح هذه الحقائق ايضا لا يحتاج لمزيد و قد جاء فيه.. (كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله) و النبي مشمول بهذه (الكلية) الايمانية و معنى بها فهو يؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله كأيمان أى من المؤمنين فصلى الله عليك و سلم ايها النبي العظيم و الرسول الكريممن الامر الطبيعى ان الله جل جلاله اذا ارسل رسولا من الناس الى الناس فانه لا بد ان يكون الرسول المرسل على رغم بشريته شيئا متميزا على الشريعة البشرية، و كانت الامم القديمة تواجه رسلا بانكار ما يدعون من رسالات السماء و كان يزيد من شكوكهم فى صدق رسالات المرسلين ما يسمعون من الانبياء من الاصرار على كونهم - اى الانبياء - بشرا كسائر البشر يفهم من هذا ان النبي - اى نبى كان - يتميز باكثر من سحنة فوق مستوى البشرية و مع ذلك ظل الانبياء بشرا لا يعرف اتباعهم و المؤمنون لهم ذصلتهم بالاله الخالق العظيم و طريقة وصول الوحي الى رسله و ليس من الغريب أن نقول ان الانبياء شبوا عن طوق البشرية، بالرغم من ثبوت هذه الكينونة فيهم فى سائر الحالات و الذين آمنوا بالرسالات السماوية كان عندهم هذا الامر واضحا و طبيعيا خلافا للفلاسفة و منكرى الديانات، و لقد يصح ان توصف الحالة المضافة الى بشرية الانبياء بالروحانية اذ يتألق الروح فى ملكوتها البشرى فتستحق ان تعامل انذاك معاملة ليس من شأن البشرية و لا من حقهم ان يعاملوا بها فى المجال البشرى و كانت عائشة رضى الله عنها و صفت النبي صلى الله عليه و سلم بان خلقه القرآن و هذا اقصى ما وقع لها التعبير به فى تصوير بشرية الرسول اذ لم تكن هناك مصطلحات لغوية يعبر بها عن شخصية ما يلفظ بها... و القرآن الكريم يوضح بعض الملامح الدالة على هذه الحقيقة التى نعى بها وجود مميزات خاصة ترتفع بها البشر الى مستوى ملحوظ ففى قوله تعالى « و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض [صفحة ١٢] أن تحيط اعمالكم و انتم لا تشعرون» الحجرات/٠٠٢ و هنا نرى الجانب البشرى قد انحسر شىء منه او طرف منه ليحل محله وضع آخر تتجلى فيه للنبي صلى الله عليه و سلم حالة تبدو البشرية فيها بشرية جد مكتملة وجد متسامية مما يتوجب ان ينظر اليها الناظر باكبارة عظيم لا يتاح مثله لبنى البشر و يحكم لها بالامتياز العظيم فى جماعه البشرية و من ناحية ثانية نرى ان الله جل جلاله اراد ان يعامل النبي صلى الله عليه و سلم معاملة تتميز بالتفرد فى التعامل البشرى و ذاك حين نقرأ قوله تعالى «قل ان كان آباؤكم و أبناءكم و اخوانكم و ازواجكم و عشيرتكم و أموال اقتربتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها احب اليكم من الله و رسوله و جهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين» التوبة/٠٣٤ فلقد اوجب الله على الامة ان تحب النبي صلى الله عليه و سلم حبا يطغى على حب الناس آباءهم و ابناءهم و اخوانهم و ازواجهم و اموالهم و تجارتهم و مساكنهم و فى الدهر الذى كان الانتماء القبائلى اصلا فى استحقاق كل فرد ان يكون موجودا فى الناس شرط ان يكون فوق حب الانسان لعشيرته... ان هذا النمط من الحب فوق كل ما يقع لدى المعروفين من عشاق العرب و غيرهم فهو اسما و اوسع و ابلغ و اشد من كل ما علمنا من احداث الحب فليس قول القائل من عشاقهم و كما يقال: امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار و ذا الجداران هذه النصوص القرآنية و نصوص اخرى فى معناها تعطينا اضاءة ساطعة فى موضوع بشرية الرسول الاعظم المتميزة فى اطارها البشرى و

سيمر بنا في آفاق الكتاب ما يقر هذه الحقيقة في النفوس و الافكار على مستوى علمي قاطع البرهان و الدليل. و في مفردات هذا الكتاب تفاصيل وافية في الموضوع...

### قداسة الشخصية النبوية

حين يختار الله لعباده نبيا من بينهم فانه جل شأنه يمنحه من اسباب التفضيل و التمييز الكثير ليكون للعالمين نذيرا و هاديا و ناطقا على لسان ربه... كما انه جل شأنه يمنحه اكثر من سمة من سمات القداسة و البركة و السمو الروحي ليكون عند المستوى اللائق بمن يوسطه الله بينه و بين عباده في اخطر اسراره و توجيهاته. و مما لا شك فيه ان من يكون ذا صلة بالله ليحمل رسالته الى خلقه فانه لتترك نفسه و تتطهر من ادران الشهوات التي يعرم بها وضعاء الناس و يترفع عن الدنيا و يبيت في سلوكياته ذا صدق و استقامة و خلق محمود و قد شهد الله لنبيه بذلك اذ قال فيه «و انك لعلى خلق عظيم» القلم/٠٠٤ اجل ان شخصية النبي حين تكون على هذا الصراط السوي من التكامل فان النفوس تهوى اليها و تقبل على التعلق بها و الاستماع اليها و حبها و الذب عنها و مفاداتها، و على هذا يمنحها الله القداسة و الطهر و العصمة. و اذا كان في الناس من هو ذو نفس خبيثة فان الانبياء منزهون قاطبة عن مثل ذلك بطبيعة حالهم و واقع امرهم و حسن موقعهم الذي اختارهم الله له.. ففي القرآن الكريم على لسان يعقوب عليه السلام «انى لاجد ريح يوسف لولا- ان تفندون» يوسف/٠٩٤ فلقد تم ذلك ليعقوب من فرط صفاء نفسه و صدق تعلقه بربه و سلامة بنيته النبوية اذ كان نبيا و ابن نبي و حفيد نبي و من كمال تفرده بالقدسية النبوية ان يقول الله فيه: «و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون» الانفال/٣٣. فهذا نص قرآني ظاهر فيه الترقية المطلقة لشخصية الرسول الاعظم و ان الوجاهة العظمى في النص القرآني أثبتت ان وجود النبي بين افراد قومه يعد حائلا دون ان يعذبهم الله او يبطش بهم و في هذا تمييز قاطع لشخصية الرسول بالمكانة البشرية بين الناس... [ صفحة ١٣ ] اجل ان النص القرآني يجعل وجود النبي في قومه حصانة أن يصيبهم الله بمثل ما اصاب الامم القديمة التي كفرت بالله و رسوله فوقع بهم الخسف و الاغراق و غير ذلك من العقوبات... ان الشعوب القديمة عوقبت و انبأؤها فيها و لم يشأ الله ان ينكل بقوم رسول الله رغم رفضهم الملة التي جاء بها صلى الله عليه و سلم و ذاك اكراما لمكانة هذا النبي العالية عند ربه... لا احسب احدا يملك ان ينفي هذا المعنى في النص فانه من وضوح البيان و نصاعه النص بحيث لا يقال في تأويله غير هذا الذي قلناه، و السر في ذلك ان هذه الامة خلقت عصية على الطاعة و غير ذات قلب في جوهريات معتقداتها في حبها و كرها و تعلقها بعنعاتها و ما تأصل في نفسها من روائح افكارها و ثوابت قيمها... اللهم الا اذا تكدست الادلة و البراهين في ساحاتها و افرغت كل جهدها في مناقشة المعتقد الجديد الذي يريد الله به نسخ المعتقد القديم... ان الله عزوجل اذ بعث محمدا الى العالم جعل المراحل الاولي في البيئة العربية التي هي بيئة النبي نفسه و ذاك الاعداد فئه منهم تنهض بعد اعتناقها الاسلام الى التبشير به في انحاء العالم خلافا لسائر الديانات المقفلة على نفسها في ذات اقوامها و هكذا كان الامر و كان اكثر نصيبا من صبر الله عليها... و قال تعالى في ترقية مطلقة: «النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم» الاحزاب/٦٠ المراد بالمؤمنين سائر من آمن منهم و الكلام عليهم هنا يتناول مؤمنى جميع الامم العربية و الاعجمية عبر ازمان الدهر كله ان الخطاب موجه اليهم على عهده صلى الله عليه و سلم و على كل عهد يكون فيه مؤمنون يؤمنون بالله و رسوله و اليوم الآخر. اما النبي فانه مراد بأنه بالمؤمنين من انفسهم في سائر حالات حياته و وفاته و عبر سائر ازمته الدهر.. لانه لا يصح ان يكون اولى بالمؤمنين من انفسهم في جيل دون جيل لا سيما ان تكون كلماته مسموعة و متداوله و مطاعه و الاذان باسمه قائم و ذائع في جميع البقاع و العصور. و قوله تعالى «و ازواجه امهاتهم» يتضمن عمومية غير محددة بحياتهن فهن امهات المؤمنين اذا ذكرهن المؤمنون ذكروهن موصوفات بهذه الصفة و ملقبات بهذا اللقب التكريمي الجليل... و معنى كون النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم انه لو وقع الخيار في امر حياة و موت او نفع و ضرر فان على المؤمن ان يرجح أحقية النبي في الحياة و المنفعة و أن يجعل من نفسه فداء له - أى للنبي - و دينه و شريعته لان النبي اولى به من نفسه... و النص آت لأقرار معنى الفناء في الولاء للنبي

و هذا من ادق معانى قدسيته صلى الله عليه و سلم و هى قدسية منحها الله هذا الرسول العظيم، فما عرف مثلها فى شخص سواه و قد ظهر عبر التاريخ أن امما آمنت بقدسية ملوك لها وقادة فكانت تعاملهم معاملة فوق معاملة البشر بعضهم بعضا ولكن ذلك لم يكن عن نص سماوى بل كان عن شعور اولئك الرعايا بأن قاداتهم يستأهلون منهم هذا التمييز العظيم... و الأمة الاسلامية لو لم يقل الله فى قرآنه «النبى أولى بالمؤمنين من انفسهم» لكان حريا بهم أن ينظروا الى رسول الله محمد بن عبدالله نظرة تعظيم و تقديس عظيمين لانه قدم للبشرية جمعاء فى سائر مجالات العطاء الانسانى و الاجتماعى اعظم ما قدمه احد لهذا البشر من خير و اصلاح و هدى و سعادة و كيان متكامل... حقا أنه صلى الله عليه و سلم أولى بالمؤمنين من انفسهم بل انه أولى من غير المؤمنين بأنفسهم كذلك لو انصفت الناس... اما قوله تعالى «ان شائتك هو الابر» الكوثر/٥٠٣ فان الدلالة فيه على قدسية النبى صلى الله عليه و سلم ناشئة من أن الله استعظيم أن يكون هناك شائىء للنبى. و النبى ليس ممن يملك شائىء أن يشأه... ذلك سبه الله سبا ذريعا بأن وصفه بأنه ابر أى لا احد وراه و لا احد امامه و لا عون له و لا رصيد له من خير او مروءة [صفحة ١٤] او عقل او شرف او جاه او كمال. اما ان تكون كلمة الابر بمعنى من لا ولد له و لا ذرية و لا عقب فانه مستبعد جدا لان امثال هؤلاء قد وقع لهم ذلك بسبب العقم. و فى القرآن الكريم «و يجعل من يشاء عقيما» الشورى/٥٠ فالعقم اذن من اقدار الله التى لا يذم عليها المبتلى بها و لا تكون منقصة تؤدى الى الاحتقار و الازدراء. و كلمة «الشائىء» لا تعنى شخصا واحدا بعينه فلقد يكون هناك بل لقد كان هناك اكثر من شائىء و عدو مبغض لرسول الله صلى الله عليه و سلم... و لو كان المراد بكلمة الابر من لا عقب له لما كان فى قوله تعالى «ان شائتك هو الابر» زجر او كبير رد وردع لرجل او لاكثر من رجل ممن عادوا رسول الله. و نحن نعلم أن الذين عادوا النبى كانوا كثيرين ترى هل كانوا جميعا بلا عقب و هل ينطبق على كل معاد منهم للنبى القرار القرآنى القائل «ان شائتك هو الابر»... اذن ان كلمة الابر لا تعنى المعنى الذى يكرره قوم بأنه يعنى من لا عقب له بل هى كلمة ذم لمن راح يعادى النبى و يبغضه و يشأه و انما حكم الله عليه بذلك لانه غمط حق النبى و حق النبى حق عظيم و قدسيته قدسية ثابتة و مكانته عند ربه جد عالية. و فى القرآن الكريم «و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه» التوبة/١٢٠... لقد ورد هذا النص فى قوله تعالى «ما كان لاهل المدينة و من حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه». فان قوله تعالى «و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه». اشارة الى قدسية صلى الله عليه و سلم بحيث لا تملك نفس أن ترجح عليه او أن تستأثر بشئء دونه او أن يكون النبى فى مرحلة تلى مرحلة قوم اخرين... و من الادلة القاطعة على قدسية النبى قوله تعالى «يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم و انتم لا تشعرون» الحجرات/٢... ان النص القرآنى ميز النبى بأنه ليس من انماط الناس ممن يخاطبهم و يخاطبونه فهو اذ يخاطب من قبل من يخاطبونه يسمو على الجميع فلا بد من تهيبه و اجلال مكانته و غض الصوت عنده بل لقد جعل الله من لا يتأدب فى مخاطبة النبى بهذا الادب العظيم جعله ممن يحبط الله علمه و يبطل صلاته و زكاته و يلغى من صفحة اعماله ما يقدم لله من قربات و ما يؤدى من حسنات «ان تحبط اعمالكم و انتم لا تشعرون»... فالرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم قد وهبه الله جماع الفضائل فصير فيه طاقات من القدسية و الطهر و النزاهة التامة فكان من الهيبة و سمو الشخصية على ما عرفناه فيه قرآنيا أى من طريق الآى القرآنى المقول له و المقول فيه خلال ثلاث و عشرين سنة هى السقف الزمنى لنزول كتاب الله العزيز... و لم نكن عند الكلام على شخصيته صلى الله عليه و سلم بشئء من خارج هذا المصدر العظيم الذى هو القرآن الكريم. فان سيرة النبى التى نكتبها هنا مصدرها الاول و الاخير هو كلام الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه و لا من خلفه... ان الادلة القرآنية على قدسية النبى كثيرة المعنا منها بما لجأنا فى شرحه الى الايجاز و الى الاسهاب احيانا اخرى وفق ما يسره الله لنا فى هذا الامر من تيسير... ففى قوله تعالى «ان صلاتك سكن لهم» التوبة/١٠٣ مزية شخصية يتفرد بها الرسول صلى الله عليه و سلم. بل ان هناك ما يومىء الى أن الناس كانوا يتحسسون بتفرد النبى ببعض الخصائص و السمات الجليلة الشأن التى يفهم أن قدسيته صلى الله عليه و سلم كانت معروفة لدى كثير من اتباعه و غيرهم ايضا... و من آيات القدسية قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر» الفتح/٣... فى النص [صفحة ١٥] معنى قاطع على قدسية شخصية

النبي اذ ان الله عزوجل نزهه أن يكون له ذنب في آتى ايامه عقب فتح مكة، فان قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر» لا- يعنى على وجه الضرورة أن يكون للنبي ذنب يقترفه في ما بعد فيغفره الله له و انما يعنى أن الله نزه نبيه أن يكون له ذنب يقترفه خلال ما بقى له من عمره. الا ان الله عزوجل عرض ذلك على وجه الامتتان و التفضل فكان النص على ذلك النحو... ان قدسية شخصية النبي ثابتة و جلية في هذا النص الكريم و مما يصح أن يعد من هذا الباب اى من باب قدسية النبي ما ورد في بعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى «و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون»... الانبياء/٣٤ في هذا النص تفصيل جد واضح لمكانة الرسول صلى الله عليه و سلم عند رب العالمين فلو أن الله جل جلاله جعل لاحد خلودا في الدنيا على وجه يتميز به المتميز بأنه خالد و باق في حين يرى الناس ينساقون الى مصائرهم الابدية لكان الله جل جلاله جعل محمدا واحدا منهم. ان قانون الله عزوجل قائم على كل نفس بشرية و نافذ في كل نسمة و هبها الله الحياة و لذلك فلا بد من ان يموت كل حى ولكن حين يكون هناك استثناء لبعض الخلق في الخلود و الحياة على خلاف ما قضى الله جل جلاله في خلقه فان محمدا صلى الله عليه و سلم اولى بهذا الاستثناء. و لذلك جاء النص القرآنى الشريف و كان عليه مسحة التعجب و الانكار «أفان مت فهم الخالدون» و التفضيل - هنا - على سائر البشر كائنة ما كانت مساحات وجودهم و نفوذهم و غناهم و سلطانهم في هذه الحياة. اجل ان قوله تعالى «افان مت فهم الخالدون» هو تفصيل مطلق غايته الاطلاق على انه ليس في الدنيا من يسبق محمدا في شىء و ليس في الدنيا من يقع له الترجيح بميزة ما عند الله جل جلاله على هذه الذات النبوية العظيمة. و من الآيات التي نلحقها بآيات القدسية قوله تعالى: «ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير...» التحريم/٤. ففي هذا النص القرآنى ما يشعر بعظيم حذب الله على رسوله و كبير رعايته له و حرصه عليه فلقد جعل الله في مواجهته موقف اثنتين من نساته وقفنا منه عليه الصلاة و السلام موقف التظاهر عليه فانه تعالى بدأ بذكر اسمه في طليعه من يتولون الدفاع عن نبيه «فان الله هو مولاه» اى وليه و ناصره و أتبع ذلك بقوله «و جبريل» و أتبع جبريل بجميع المؤمنين الصالحين ثم ختم الجماهرة المدافعة عن الرسول بسائر ملائكة الله، «و الملائكة بعد ذلك ظهير...». مثل هذا الكلام من الله واضح التنويه بعظم مكانة النبي عند الله و قياسا على ذلك فان اية حركة معادية للرسول ستواجه باكثر من ذلك دفاعا عنه صلى الله عليه و سلم و المهم ما ينطوى عليه النص من بليغ رعاية الله لرسوله و عظيم لطفه به و مستعجل ما يقع من اسباب نصره نبيه بحجم جد كبير... و ما من شك في أن شخصية تنال هذا الحفول الكريم من رب العالمين الا كانت شخصية مقدسة كل التقديس و محصنة كل الحصانة. و من ذلك «انك ميت و انهم ميتون...» الزمر/٣٠... الاشارة الى ان النبي ميت و قد جاء ذلك بلفظ الخطاب و المواجهة انما هو امر طبيعى لان الموت عاقبة كل حى من ابناء البشر... ولكن قوله تعالى «و انهم ميتون» فيه ما يشبه التهوين و الملاحظة للرسول الاعظم اذ اورد النص أن الجميع سيموتون و في هذا من معانى القدسية النبوية ما هو جد ظاهر... ان الله اقسام بكثير من مخلوقاته من مثل الشمس و القمر و الليل و النهار ولكن ذلك القسم لم [صفحة ١٦] يكن لقدسية هذه الجمادات الخالية من محتوى القدسية... اما البشر فان الله لم يقسم باحد منهم ولكن النبي وحده هو الذى اقسام الله بحياته من هذا التفرد و في قسم الله بحياة رسوله هو محل القدسية التي نقول بها... ان القسم بالجمادات لا يبرزها كشيء مقدس و انما يبرزها بوصفها من بديع مخلوقات الله. اما القسم بحياة النبي و لم يقع مثله في التنزيل فانه يدل على التشريف و التكريم و التقديس. و ها نحن اولاء نجد في التنزيل العزيز نصا يكشف عن جانب من قداسة هذه الذات النبوية العظيمة هو ان الله اقسام بحياته صلى الله عليه و سلم في قوله «لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون» الحجر/٧٢. و لم يكن الله قد اقسام بحياة احد من رسله و في ذلك من الدلالة على قدسية النبي صلى الله عليه و سلم مالا- يرقى اليه شك او يقوم في مواجهته جدل او اساءة تفسير او خروج عن التأويل الى التضليل... ممن عسى أن يصرفهم الهوى عن الهدى كبعض من وجدناهم شاقوا الله و الرسول فضنوا عليه بما هو اهل له من تكريم الله و القسم بحياته [٤]. و في قوله تعالى «لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزروه و توقروه و تسبحوه بكرة و أصيلا». الفتح/٩ فقد امرت الامة بتوقير نبيها محمد صلى الله عليه و سلم و التوقير لغه اغداق مظاهر الاحترام و التبجيل على من يراد توقيره الى التعزيز فهو من الفاظ الاضداد التي جاء

افتراضها بالتوقير محددًا معناها الذي هو التوقير نفسه. لم يرد في القرآن الكريم على توقير شخصية من الشخصيات بالنص الواضح والامر القاطع الا شخصية رسول صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك لعظم منزلة الرسول عند ربه وبهذا النص يفسر ما عمد اليه الامويون بعد فتح كثير من الامصار ووقوف الناس على صور التكريم والتوقير التي كانت تتعاطاها الشعوب تجاه رؤسائها وفلاسفتها فان العرب ابان جاهليتهم كانوا يرون من مظاهر تكريم الموتى دفنهم في عراء من الارض وتركهم لامطار السماء وشمسها وريحها وكذلك فعل بجثمانه الطاهر عند دفنه في ساحة البيت الذي كان سكن زوجته عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها وليس في غرفتها فلما انتشر الاسلام وصل جنوده الى كل فج من فجاج العالم تنبه المسلمون الى ان الالتزام بالطريقة الجاهلية هذه في دفن الموتى لم يعد مقبولًا ولا سيما هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم الذي امر القوم بتوقيره لذا بادروا الى اتخاذ القبة على قبره الشريف [٥] لاجل ان يعطوه نصيبًا من الرعاية والحماية ليكون في مأمن من اوساخ الفضاء ونفايات الارض والمطر وتخريبه ومن اماكن وقوع الدفن ثانية وثالثة على ذات مكان الحدث الطاهر فكان هذا في المفهوم اللغوي والاجتماعي والنص هو بكل تأكيد معنى التوقير الذي لا مبالغة ولا غلو فيه. ان للتوقير معالم ومظاهر في التعامل مع شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد التحاقه بالرفيق الاعلى اذا ما رأته الامم حسنة فهي جديرة ان يؤخذ بها في التعبير عن شتى صور توقيره عليه الصلاة والسلام ان الله عزوجل جعل جزءا من رسله مؤجلا- الى يوم الحساب ولم يوجه امم من الامم بان تجزى رسولها بالجزاء الحسن وتدفع له ثمن جهاده الا رسول الله ولا يفهم من هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قد اصابه هذا التوقير من امته فاراد الله جل جلاله ضمانته [صفحة ١٧] له فان الامم المعنوية بهذا الامر هي الامم التي اعتنقت الاسلام اما ما كان من تعامل الناس مع الرسول بالشكل العدائي المعروف اول ايام الدعوة الى الاسلام اذ آذوه اذى شديدا ولم يستجيبوا له فذاك امر طبيعي في سير سائر الانبياء عليهم السلام وقد قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم في الهزيع الاول من ايام البعثة النبوية (ما جاء أحد بمثل ما جئت به الا عودى). وايضا من آيات القدسية [٦] قوله تعالى: «و رفعنا لك ذكرك». الشرح/٤. وهذا نص يميز به الله عزوجل نبيه الكريم بانه رفع له ذكره وتلك لعمري منزلة عظيمة لا تنال الا بلطف الباري العظيم... و رفع الذكر ليس بالامر الذي يكون قاصرا لاحد في ايام حياته وحدها وانما يكون ذلك بمن يقع له ذلك مقرونا بايام الدهر كلها، فلقد علمنا ان مهمة التاريخ هي الاشادة بما اثر ذى المآثر بعد وفاته ولذلك كان تاريخا وليس التاريخ ان تسيير صفات التكريم في ظل السائر حتى اذا مات لم يكن هناك من مجد يذكر له ومفخرة يتحدث بها عنه. وجهلة القوم ممن يظنون ان الرسول اذ توفاه الله اليه لم يعد ثمة ما يذكر به على وجه الاجلال والتبجيل والاعزاز والتكريم في حين يثبت النص القرآني له صلوات الله عليه. هذه الحقيقة التي لا يمارى فيها الا جاهل ومعاند و غبي لا يفهم معانى الالفاظ الواردة في الكلام... اذن ان الله رفع ذكر النبي في دنياه واخراه وفي حياته ومماته وليس من المنطق ان يسلب ذو فضل ومكانة ومزية ما كان له من ذلك لانه مات او لانه غاب ولو نظرنا الى الرسل وشعوبهم والى رجال كبار ظهوروا في ما خلا من الزمان لوجدنا أن سيرتهم تتلى مقرونة بكل اكبار وتقدير. والتاريخ ينقل لقراء اسفاره محامد اناس ومساوىء اخرين فمن كان اهلا للمحمدة ومن لم يكن كذلك قيل في حقه ما يستحقه... «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره»... الزلزلة ٧/٨ و على هذا فان دخل التاريخ في ما اراده الله من رفع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم هو انه ينقل ذلك من جيل الى جيل فيروح الناس يلهجون بعظمة شخصية النبي في كل محفل من المحافل وفي كل زمان ومكان وتظل صحف التاريخ تنوه بذلك اذ تظل الناس تطالعها وتقف مما فيها على جلال قدر النبي وعظمة شخصيته وعظيم جهاده وكريم اعماله وجزيل خدماته وذاك هو حقا معنى رفع الذكر للانسان. وقد تنبه الشعراء لهذا المعنى فقال قائلهم: اجعل لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثان ان ثمره ما ذكره القرآن الكريم من آيات في اعزاز النبي و اجلال قدره وعظم منزلته عند ربه وما كان من النصوص الواردة في تقديسه انما كان الهدف به شد الامم الى قيادة سالحة مخلصه فان ذلك اصل في تكوين الامم واقامة كيان الشعوب... [صفحة ١٨] ان الطاعة التي تمنحها الجيوش لقاداتها هي مصدر التوفيق والتمكين وكذلك كان الامر في النهج القرآني. وهو عين الصواب ولقد رأينا في العصر الحديث امما تم لها النهوض في عالم

السياسة بفعل ماتم لها من قوة الارتباط بقائد يقودها و من هذه الامم الصين التي كانت تعد قيادتها في مستوى العصمة المطلقة و مثلها الا لمان بعد ظهور زعيمها «هتلر»... تلك ثمرة ما اراد الله من اسباغ سمات القدسية على نبيه العظيم، و ما تلام امه تتعلق بقيادتها و انما تلام اذا تفككت عرى التعلق بهذه القيادة فاذا كان ذلك كذلك و كان على رأس القيادة من هو جدير بجميع سمات العظمة و الحنكة و التمكين ثم للامة التوفيق... ان الدول العظمى و الصغرى تمنح ملوكها الحصانة و الحماية و الرعاية فلا تمكن خصومهم منهم و لا تأذن بمسهم بالكلمة الجارحة بل انها تجعلهم غير مسؤولين اى لا يحاكمون و لا تنسب اليهم جناية و هذا هو ذات المعنى الذى نجده فى نظام القيادة الاسلاميه...

## الرسول فى مجموعة الرسل

فى القرآن الكريم ما يتكرر فيه ذكر رسول الله محمد صلى الله عليه و سلم عند ذكر جمهرة الرسل الاقدمين و من ذلك قوله تعالى: «انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و النبيين من بعده و اوحينا الى ابراهيم و اسماعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط و عيسى و ايوب و يونس و هرون و سليمان و آتينا داود زبوراً» النساء/١٦٣... و فى القرآن الكريم فيما يتصل بالجانب السلوكى جاء قوله تعالى: «قل ما كنت بدعا من الرسل و ما ادرى ما يفعل بى و لا- بكم ان اتبع الا- ما يوحى الى و ما انا الا نذير مبين» الاحقاف/٩... و فى القرآن الكريم: «ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك» فصلت/٤٣. فى هذا النص ايماء الى وحدة المقولات الدينية الاساسية لدى سائر اديان السماء. فما كان قد قاله الله للرسل و فيهم الانبياء اذ لا فرق فى المصطلح بين رسول و نبي و بشير و نذير و ما الى ذلك من المفردات التى جاءت فى التنزيل فى معنى واحد... ان ما قاله الله للرسل هو ما قاله لرسول صلى الله عليه و سلم من التوحيد و النهى عن الاشراك بالله و تحريم قتل النفس و غير ذلك من المحرمات السماوية. فان هذه المحرمات قائمة كلها على جوهر واحد، و لم يرد النص بعبارة «ما قاله الله للرسل قاله لك» لان فعل «قيل» الآتى بصيغة المجهول واضح فيه ان مصدر القول هو الله عزوجل لان من البديهي الذى لا- يجادل فيه مجادل ان الوحي من الله و ان ما يقال للرسل انما هو من قول مرسل الرسل الى العباد الا و هو الله و حين يصل الامر الى البديهيات المعترف بها فى اكثر من جيل فان التعبير بالمختصرات يعد تعبيراً بالمطولات و من هنا قالوا المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً... و فى قوله تعالى «ما يقال لك الا- ما قد قيل للرسل من قبلك» بيان برسالة الرسول و ان كان النص لم يخاطبه بذلك فيه اذ جعل القياس و المقارنة اسلوباً فى التعريف برسول الله محمد بن عبدالله رسولا- من الله مقولا- له فى وحي الله ما قيل لنظرائه من رسل الله. و كان النبي صلى الله عليه و سلم يلقب كل نبي من قبله بلقب - أخى - تنويهاً بعلاقته مهمة واحدة و العمل على الخط الواحد و اعتزاز بأولئك الرسل الكرام صلوات الله و سلامه عليهم. و اذا رجعنا الى تفاصيل سيرة الرسل وجدناها تشابه و تماثل فهم اهل كفاح و رجال جهاد و دعاء اصلاح و ما منهم من احد الا كان قد لاقى من قومه ما لاقى النبي. و لئن كانت التوراة فى بعض اسفارها قد تكلمت على الانبياء بما لا يليق و ربما كان ذلك نهجاً فى سياستها قد التزمت به عند ايراد اسم كل نبي من انبيائهم. فان القرآن الكريم زكى هؤلاء الرسل تزيه مطلقاً و كشط عنهم جميع ما زعمه كتبه التوراة فى شأنهم من اقتراف اعمال غير لائقة... [صفحة ١٩] ان القرآن الكريم لم يقتصر فى امر امتداح الانبياء السابقين على ايرادهم فى سورة واحدة او سورتين و انما توزع الكلام عليهم فى كثير من السور القرآنية و قد بات من المعتقدات الدينية فى الملة الحنيفية السمحة و جوب الاعتقاد بعصمة الانبياء و قد أخذ الله اشد المؤاخذه اليهود بقتلهم الانبياء و تكذيبهم و اساءة القول فيهم. و لقد كان من الدروس القرآنية ايراد قصص الانبياء ليكون فى بعض ذلك ما يشجع النبي على الصبر و التحمل و الاقتداء «اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» الانعام/٩٠... و من ذلك قوله تعالى «و اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى بن مريم و اخذنا منهم ميثاقاً غليظاً» الاحزاب /٧... و ايضا قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن اقيموا الدين و لا تتفرقوا كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب» الشورى/١٣...

## الوحي

تنهض رسالات السماء التي يرسل بموجبها الرسل الى اقوامهم بالاصل الواحد الذي هو الوحي وفقا لقوله تعالى «و ما كان لبشر أن يكلمه الله الا- وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا» الشورى/٥١... وكانت رسالة الرسول الاعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم على وفق ذلك اذ اوحى الله اليه مفردات الشريعة و مفصل امرها المثبت في القرآن الكريم من طريق الوحي. و قد اثبت القرآن ذلك في عدة معدودة من النصوص بعبارات و صيغ متعددة. و ها نحن اولاء آخذون سرد آيات الوحي و الايحاء بمختلف صيغها في هذه الجمهرة من النصوص المستوعبة لموضوع الوحي [٧]. «ذلك من انباء الغيب نوحه اليك و ما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم اذ يختصمون» آل عمران/٤٤... «انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح النبيين من بعده و أوحينا الى ابراهيم و اسماعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط و عيسى و ايوب و يونس و هرون و سليمان آتينا داود زبوراً» النساء/١٦٣... «و أوحى الى هذا القرآن لانذركم و من بلغ أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد و اننى برىء مما تشركون» الانعام/١٩... «اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو و أعرض عن المشركين» الانعام/١٠٦... «قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر من ربكم و هدى و رحمة لقوم يؤمنون» الاعراف/٢٠٣... «ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم» يونس/١٥... [صفحة ٢٠] «واتبع ما يوحى اليك و اصبر حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين» يونس/١٠٩... «تلك من انباء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين» هود/٤٩... «نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن و ان كنت من قبله لمن الغافلين» يوسف/٣... «كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك و هم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت و اليه متاب» الرعد/٣٠... «ثم أوحينا اليك أن اتبع مله ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين» النحل/١٢٣... «و ان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفتري علينا غيره و اذن لاتخذوك خيلا» الاسراء/٧٣... «واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته و لن تجد من دونه ملتحداً» الكهف/٢٧... «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا» الكهف/١١٠... «قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون» الانبياء/١٠٨... «نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء/١٩٣/١٩٤. لم يرد مثل هذا التعبير فى ما تكلم الله به على الانبياء و الرسل عند ايحائه اليهم برسالته. و انما اقتصر به على رسول الله صلى الله عليه و سلم و اختص به وحده فلقد ذكر الروح فى هذا النص موصوفا بالامين فى نزوله فى القرآن الكريم متلقيا اياه من لدن رب العالمين. و قد عين الله منطقة النزول بقلب الرسول صلى الله عليه و سلم حين اراد الله ان يجعله نذيرا للعباد على تعدد الامم و اختلاف الاقوام. و الاصطفاء ظاهر هنا ظهورا تاما كما ظهر فى هذا التعبير فى التنزيل بأدق الالفاظ و اوثقها و اجمل معانيها و انما جاء الكلام على القلب لادن القلوب فى القرآن الكريم جاءت موصوفة بشتى الصفات فمنها ما وصف بالاطمئنان و الزوجان و الرعب و الاشمزاز و العمى و التقلب و القسوة و الانغلاق و الوجيف و الميل، و كونها يطبع عليها و يختم عليها و الغل و المرض و ما الى ذلك فجاء النص بتفريغ قلب النبي صلى الله عليه و سلم للهيهة التي نزل بها الروح الامين على قلبه كما ان القرآن الكريم ذكر اسم الملك الذى نزل بالذكر الحكيم على قلب الرسول صلى الله عليه و سلم و هو جبريل عليه السلام لبيان تفرد هذا الملك بالمهمة العظيمة التي و كلها الله اليه فان الله عزوجل اكثر من ملك لا يعصونه فى شىء ولكن جبريل عليه السلام كان الملك الوحيد الذى انتدبه الله جل جلاله لامر الوحي فلم يبق هناك من مجال لادعاءات مدعين من منكرى الدين و المكابرين فيه بحيث يزعمون ان للقرآن أكثر من طابع و سمة و جاء فيه بحيث يزعمون ان للقرآن أكثر من طابع و سمة و جاء الكلام على هذا الملك بالتركيب التامة «قل من كان عدو لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين» البقرة/٩٧... «اتل ما أوحى اليك من الكتاب و أقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله أكبر و الله يعلم ما تصنعون» العنكبوت/٤٥... «واتبع ما يوحى اليك من ربك

ان الله كان بما تعملون خبيراً» الاحزاب/٢... «و الذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير» فاطر/٣١... [صفحة ٢١] «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه و استغفروه و ويل للمشركين» فصلت/٦... «و كذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى و من حولها و تنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة و فريق فى السعير» الشورى/٧... «شرح لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى أوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم و موسى و عيسى أن اقيموا الدين و لا- تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب» الشورى/١٣... «و كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و انك لتهدى الى صراط مستقيم» الشورى/٥٢... قوله تعالى «ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان» انما هو بمثل معنى قوله تعالى «و ان كنت من قبله لمن الغافلين» و قوله تعالى «و وجدك ضالا فهدى». ولكن الروح الذى اوحاه الله الى رسوله من امره ملأه علما و حكمة و استيعابا لشرع الله و قرآنه فصار صلى الله عليه و سلم بذلك هاديا للعباد الى صراط مستقيم... و انها لشهادة الهية عظمى بحق الرسول الاعظم اذ جاء فيها الخطاب الصريح «و انك لتهدى الى صراط مستقيم» و كذلك كان قول الله فى صفة الروح الذى هو روح من امره و نور من عنده و هو خطاب قرآنى كريم أوجد لذاتية النبى ذاتية عالية المستوى فخمه الشأن عزيزة المقام... و قد بدأ هذا النص بكلمة (و كذلك) مما يفهم من استمرارية الألفاظ الالهية فى تدفقها على شخصيه هذا الرسول العظيم... «فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم» الزخرف/٤٣... «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين» الاحقاف/٧.

### او من وراء حجاب

أشرنا الى أن المصدر الاول للرسالات السماوية التى يكلف اداءها من يختارهم الله لهذه المهمة انما هو الوحي النازل بايصال المعلومات على هيئة نصوص تعبيرية الى الرسول من طريق ملك يؤدى هذه المهمة و قد علمنا أن هناك ما هو خارج نطاق النصوص أى انه نمط من الوحي غير متلو او انه شىء يقع بعلم الله فى نطاق ما سماه الله «من وراء حجاب» [٨] الشورى/٥١... و من ذلك ما يصل الى علم النبى فى منامه «اذ يريكم الله فى منامك قليلا و لو اراكم كثيرا فشلتهم» الانفال/٤٣... و من ذلك «و اذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به و اظهره الله عليه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير» التحريم/٣... فان تنبى العليم الخبير و هو الله انما هو من العلم الذى و صل الى النبى من غير نصوص الوحي المتلو... و كذلك قوله تعالى «و اظهره الله عليه» فان هذا الاظهار نمط من ابلاغ الله رسوله مسائل من غير طريق الوحي المتلو. و قوله تعالى «و انزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما» النساء/١١٣... فى النص ما يجمع بين الوحي و غيره من اسباب ايصال المعلومات الى الرسول. فان قوله تعالى «و علمك ما لم تكن تعلم» ان بعض ذلك مما يقع فى مجال الوحي المتلو اى القرآن الكريم و أن بعضه يقع فى غير هذا المجال... و كذلك ذكره تعالى لكلمة الحكمة التى قد يكون ايرادها لبيان ما وصل الى الرسول من الحكمة القرآنية و كذلك ما وصل اليه من الحكمة و حسن التبصر مما هو من [صفحة ٢٢] بعض ما كان الله يظهر عليه رسوله خارج نطاق النصوص القرآنية. و جاءت فى القرآن كلمة الراء فى صفة ما يصل الى النبى فى منامه اخذا من الرؤيا المنامية... و ما يعد من وراء حجاب فى باب المعلومات التى تصل الى الرسول قوله تعالى «ففهمناها سليمان». فى النص القرآنى «و داود و سليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم و كنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان و كلا- آتينا حكما و علما...» الانبياء/٧٩... ان هذا التفهيم تفهيم لم يوصله الله الى نبى من طريق ملك الوحي و انما جعله مما ينقدح فى ذهن نبى من الرأى الصائب الذى يهتدى به فى حكمه. و قوله تعالى «انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله و لا تكن للخائنين خصيما» النساء/١٠٥. فان قوله تعالى «لتحكم بين الناس بما اراك الله...» معنى «اراك الله» من الرأى و هو ما يجعل الله الرأى ينقدح عن قرار سديد هو من بعض ما يلهمه الله رسوله من غير طريق الوحي القرآنى و نعى بذلك أن الله يبلغ رسوله بأمر كثيرة خارج نطاق الكلام



القرآني فهو صلى الله عليه وسلم في ترقب مستمر لوحى الله والهامة و اظهاراته و اراءاته و القاء المعلومات في روعه. و في الحديث النبوي (ان روح القدس نفث في روعي أن النفس الخبيثة لن تخرج من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها)... و قد يكون اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم بيت المقدس قبله في الصلاة في العهد المكي و صدر من العهد المدني قائما على علم علمه النبي من ربه... و هو من الامور الخطيرة التي لا يقطع فيها الرسول برأى مستقل كما يلاحظ... و قد يصح أن يعد مما وصل الى الرسول من ربه من غير طريق الوحي المقروء... و قد يكون قوله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها» البقرة/١٤٤ معصدا بهذا الذي اسلفناه من القول في موضوع الاتجاه الى بيت المقدس اول عهد المسلمين في الصلاة. و قد تكون صيغة الاذان بصيغته المعلومة من بعض ذلك و احكام الصلاة و ركعاتها من بعض ذلك ايضا من الله عزوجل يخاطب من شاء من عباده من بشر و غير بشر بما يبلغهم به امورا يريدونها فقد خاطب الجبال «يا جبال اوبى معه» سبأ/١٠ و كذلك «و أوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا» النحل/٦٨. و كذلك «فقال لها و للارض اثتيا طوعا او كرها فالتا اتينا طائعين» فصلت/١١ و كذلك «يا ارض ابلعى ماءك و يا سماء اقلعى» هود/٤٤ و كذلك وجدنا ان الله خاطب البشر و هم لم يكونوا بعد نطفة اى انه عزوجل خاطبهم قبل ظهورهم الى عالم الحياة بدهر بعيد و ذلك في قوله تعالى «و اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا...» الاعراف/١٧٢ حقا ان الله اذا خاطب من شاء من عباده لا يعيبه ان يخاطبهم كما يشاء و ذاك ضمن اسراره البالغة التي لا يعلمها للناس...

## الانزال والتنزيل

جاء في القرآن الكريم ما هو من قبيل الوحي المتلو و ذاك بلفظ الانزال و التنزيل كالذى في قوله تعالى «قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله» البقرة/٩٧... و في باب «الانزال و التنزيل» جاءت الاشارة الى عدد من النصوص القرآنية التي استعمل فيها حرف الانزال و التنزيل و ذاك ما نسرده في هذا الجدول من غير ان نرى ضرورة لشرح شىء منه و ذاك لوضوحه و قد تكون بعض نصوص هذا الجدول قد وردت في ابواب اخرى شرحت فيها. «قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين». البقرة/٩٧. [ صفحہ ٢٣ ] «و لقد انزلنا اليك آيات بينات و ما يكفر بها الا الفاسقون»... البقرة/٩٩ «انزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه و أنزل التوراة و الانجيل من قبل هدى للناس»... آل عمران/٣ «هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب و آخر متشابهاة فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله الا- الله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا و ما يذكر الا أولوا الالباب»... آل عمران/٧ «انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله و لا تكن للخائنين خصيما»... النساء/١٠٥ «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذى نزل على رسوله و الكتاب الذى أنزل من قبل و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسوله و اليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا»... النساء/١٣٦ «لكن الراسخون فى العلم منهم و المؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك و المقيمى الصلاة و المؤتون الزكاة و المؤمنون بالله و اليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما»... النساء/١٦٢ «لكن الله يشهد بما أنزل اليك بعلمه و الملائكة يشهدون و كفى بالله شهيدا»... النساء/١٦٦ «و انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله و لا- تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا و لو شاء الله لجعلكم امه واحدة ولكن ليلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»... المائدة/٤٨ «و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا- تتبع اهواءهم و احذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم و ان كثيرا من الناس لفاسقون»... المائدة/٤٩ «قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله و ما أنزل الينا و ما أنزل من قبل و أن اكثركم فاسقون»... المائدة/٥٩ «و اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكذبنا مع الشاهدين»... المائدة/٨٣ «و هذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه و لتنذر ام القرى و من حولها و الذين يؤمنون

بالاخرة يؤمنون به و هم على صلاتهم يحافظون... الانعام/٩٢ «أغير الله ابتغى حكما و هو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا و الذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين»... الانعام/١١٤ «و هذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلمكم ترحمون»... الانعام/١٥٥ «كتاب انزل اليك فلا- يكن فى صدرك حرج منه لتندر به و ذكرى للمؤمنين»... الاعراف/٢ «فالذين آمنوا به و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون»... الاعراف/١٥٧ «فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»... يونس/٩٤ «تلك آيات الكتاب المبين، انا انزلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون»... يوسف/٢ «تلك آيات الكتاب و الذى انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون»... الرعد/١ [صفحة ٢٤] «افمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوالألباب»... الرعد/١٩ «و كذلك انزلناه حكما عربيا و لئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولى و لا واق»... الرعد/٣٧ «كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد»... ابراهيم/١ «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون»... الحجر/٩ «و ما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات و الزبر و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلمهم يتفكرون»... النحل/٤٣/٤٤ «و ما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»... النحل/٦٤ «و يوم نبعث فى كل امه شهيدا عليهم من انفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين»... النحل/٨٩ «قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا. و هدى و بشرى للمسلمين»... النحل/٩٨ «و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا»... الاسراء/١٠٦ «الحمد لله الذى على عبده الكتاب و لم يجعل عوجا»... الكهف/١ «ما انزلنا عليك القرآن لتشقى»... طه/٢ «و كذلك انزلناه قرآنا عربيا و صرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون او يحدث لهم ذكرا»... طه/١١٣ «لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكر كم أفلا- تعقلون»... الانبياء/١٠ «و هذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون»... الانبياء/٥٠ «و كذلك أنزلناه آيات بينات و أن الله يهدى من يريد»... الحج/١٦ «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا»... الفرقان/١ «و انه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الامين. على قلبك لتكون من المنذرين»... الشعراء/١٩٢/١٩٤ «و كذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناكم الكتاب يؤمنون به و من هؤلاء من يؤمن به و ما يجحد بآياتنا الا الكافرون»... العنكبوت/٤٧ «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون»... العنكبوت/٥١ «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين. ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلمهم يهتدون»... السجدة/٣/٢ «و يرى الذين أتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد»... سبأ/٦ «و القرآن الحكيم. انك لمن المرسلين. على صراط مستقيم. تنزيل العزيز الرحيم. لتندر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون»... يس/٢ [صفحة ٢٥] «كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبرو آياته و ليتذكر أولوالالباب»... ص/٢٩ «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم. انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين»... الزمر/١/٢ «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء و من يضلل الله فماله من هاد»... الزمر/٢٣ «انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه و من ضل فانما يضل عليها و ما أنت عليهم بوكيل»... الزمر/٤١ «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب و قابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير»... غافر (المؤمن) ٣/٢ «تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون»... فصلت ٣/٢ «ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم و انه لكتاب عزيز. لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»... فصلت ٤٢ «انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين»... الدخان/٣ «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم»... الجاثية/٢ «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم»... الاحقاف/٢ «الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله أضل اعمالهم. و الذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد و هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم و أصلح بالهم. محمد ٢/١ «انه لقرآن كريم. فى كتاب مكنون. لا يمسه الا المطهرون. تنزيل من رب العالمين»... الواقعة ٧٧/٨٠ «هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات



و في اذان الفجر و الناس فيهم من هو نائم. جاءت صيغة بلفظ «الصلاة خير من النوم» مكررة مرتين، و هي عبارة ظاهرة الرفق و الرقة يراد بها انهاض النائم من سنة نوم ترتوى به اجفان عينه. العبرة هنا ان اسم النبي محمد لا يتم الاذان الا بالمناداة به اسما و حلية... و في ذلك ما لا ينكر من تكريم شخصيته صلى الله عليه و سلم و اعزازها و اللهج بها خمس مرات في اليوم مضافة اليها صيغة الاقامة التي هي ذات صيغة الاذان الا انها يضاف اليها ان [صفحة ٢٧] يقال «قد قامت الصلاة» مرتين لدى الجمهور و هي كذلك تتكرر في اليوم بمعدل خمس مرات و هناك من يختصر المربعات الى مثنيات، و المثنيات الى احاديث، و اذا كان يجوز ذلك فانما يجوز في ضيق الوقت او يخشى مقيم الصلاة ان تفوته صلاة الوقت لدخول وقت صلاة و خروج وقت صلاة... اذن ان يراد اسم النبي في الاذان للصلوات الخمس و لاقامتها امر جذري و جوهرى في الملة السمحة... ان الفرق الشكلى بين الاذان و الاقامة او الاقامة و الاذان هو ان الاقامة تكون باسترسال و صوت هادىء و سرعة املائية متعجلة فما يحسن فيها التمثيط و التراخى لان الاقامة تؤدى و الناس قيام او شبه قيام في المسجد ينتظرون الدخول في الصلاة... و في الحديث النبوى ان من سمع الاذان كان عليه ان يقول (اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلاة القائمة ات سيدنا محمدا الوسيلة و الفضيلة و الدرجة الرفيعة و ابته اللهم المقام المحمود الذى وعدته انك لا تخلف الميعاد)... كما ان النبي صلى الله عليه و سلم نبه الى ان يصلى عليه بعد الاذان و هكذا جرت العادة لدى المؤذنين في العراق الى اللهج بالصلاة على النبي بعد الفراغ من الاذان على الوجه المشروح او المسرود آتفا و الناس يعرفون مفردات الاذان و يعرفون متى تتم و تنتهى و يعرفون كذلك أن الصلاة على الرسول بعد الفراغ من الاذان امر من نوافل الامور و من توابعها التي لا يلزم بادائها احد و لا يمنع من ادائها احد. اذ ليست الفاظ الصلاة على النبي جزءا من الاذان... و التمييز ظاهر بين الاذان و بين الصلاة على النبي بالشكل الذى لا يخفى على احد... ان الاذان و هذا ما يجب ان يعلم ليس قرآنا و لا صلاة و لا ركنا من صلاة و لا شرطا فيها فان الحاقه بالفاظ الصلاة على النبي لا- يتأتى منه تغيير صيغة الاذان و بهذا لاحق لمن يتخرج فى ايراد الصلوات على النبي بعد الفراغ من الاذان. و قد فصلنا الكلام على ذلك فى مكان اخر من هذا الكتاب، و ليس هو مما تدخلت فيه الاجتهادات المعزوة الى مذهب دون مذهب و فئة دون فئة. [٩]. ان اسم الرسول الاعظم حين يذيع به و يعلنه المؤذن من فوق اعالي القباب و الماذن لهو من بعض اعراق الاسلام و جذور الشريعة و أسسها الضاربة فى الاعماق و اصولها التي قامت عليها شجرته العظيمة الباسقة. و كان الرسول الاعظم يختار مؤذنيه وفق مواصفات تتحقق بها المهمة الاعلامية. و فى كتب السيرة اسماء عدة من هؤلاء المؤذنين و حيث ما وصل الاسلام من انحاء الجزيرة كان هناك مؤذن يؤدى هذه المهمة... و لبث الامر على ذلك بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و فى سائر انحاء العالم الذى وصل اليه ركب الاسلام. لقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم هو الذى يؤم المؤمنين فى صلاتهم و صارت الامامة من ضرورات صلاة الجماعة الى ابد الايام و اخر الزمان على ذات امرها فى عهده صلى الله عليه و سلم... ان الشهادة بأن محمد رسول الله يؤديها المصلى و هو فى اثناء صلاته عند قراءة (التحيات) اذ لم تكن تعنى الا التعلق بشخصية الرسول الاعظم و التمسك بشريعته و حماية التعاليم التي استوعبتها هذه الشريعة. و بغير ذلك فان هذا التشهد لن يدل على مفهوم محدد و سيكون مجرد كلمة خالية من المحتوى و هذا لا يقول به احد، فان الشهادة على رسالة رسول الله عهد يتجدد كل صلاة بطاعة الله و اعظام مكانة النبي صلى الله عليه و سلم. [صفحة ٢٨] فالزعم بأن الرسول اذا مات انتهى كل ما يوجب التعلق برسول الله و توقف ما يجب لرسول الله من احترام و تقديس فانه قول فاسد لا يقوله الا من ظل سواء السبيل...

### استمرارية الصفة النبوية فى شخصية الرسول الاعظم

حين بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم نبيا الى جميع شرائح العالم البشرى لم يجعل فترة نبوته مرتبطة بفترة حياته بل جعل نبوته مستديمة و مستمرة الى اخر الزمان اى ان ما قاله و ما وصى به و ما امر به و ما استحسنته و ما رجعته كان ذلك ذا اثر مستمر غير منقطع اى ان شيئا من ذلك لا يبلغى او يتوقف عن تنفيذه بعد وفاته... و ما زالت الامة و قد مرت عصور عديدة على لحاقه صلى الله عليه و

سلم بربه ما تزال مآذن المساجد يصدح مؤذونها بأصواتهم قائلين - أشهد أن محمدا رسول الله -... وفي القرآن الكريم مما يؤكد هذه الاستمرارية في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيا وميتا أن الله ذكر اسامي الرسول والنبين ولم يذكر ما يفهم منه فقدان اولئك الرسل اسماءهم وعناوينهم بعد موتهم... وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى «و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا...» الحشر/٧... ولا- يعنى هذا انما آتاهم الرسول و ما نهاهم عنه لا يجرى الالتزام به الا فى ايام حياته الشريفة بل انه ينطبق الالتزام بأمره فى ما أمر به والانتهاى عن نهيه فى ما نهى عنه الى مدى ايام الزمان و حتى يرث الله الارض و من عليها و كذلك جاء قوله تعالى «و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله منا تولى و نصله جهنم» النساء/١١٥... فان هذا النص لا يرتبط بزمن حياة النبى وحده بل يتعداه الى ما وراءه من الازمنة. و كذلك القول على المؤمنين فانه لا يراد به من كان من المؤمنين على عهد رسول الله بل يراد به جميع المؤمنين فى جميع الازمنة و الامكنة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفس الحال التى عنى النص القرآنى بها مؤمنى عهد الرسول. اما قوله «و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين» الانبياء/١٠٧... فمن البديهي أنه ليس المراد به عالمين زمانه وحدهم انما هم سائر افراد العالمين الى يوم الدين و ما نحسب احدا ينكر هذه الحقيقة الا من جهل و كابر... ان قوله تعالى «و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين» فى هذا النص و هو نص صريح اكثر من اشارة الى الدور الذى و كله الله الى رسوله العظيم محمد بن عبد الله فى دعوة العالم البشرى و الانسانى اذ جعله الله رسلا الى العالمين ليكون متنفس فرج لهم و منفذ أمن و خيرا للبشرية التى كانت معذبة بما تراكم عليها من ظلم حكامها و فساد اعرافها و ضلال خطتها. و الكلمة القرآنية آتية على وجه الحصر أى ان الرسول الاعظم قد ارسله الله الى البشرية ليكون الرحمة المترحم بها على جميع الخلائق و فى هذا اعلان واضح لعمومية رساله الاسلام الى عباد الله حيثما كانوا فى هذا العالم. فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لا يشوبها شىء غير الرحمة. و الرحمة ظاهرة المعنى و واضحة القصد و معروف فى كل حرف من حروفها ما وراءها من بر و مروءة و احسان و اصلاح بين الناس. و فى النص دلالة قاطعة على استمرارية هذه الرحمة اى أنها كائنة و ملحوظة و متذوقة ايام حياته صلى الله عليه وسلم و بعد لحاقه بربه و الى ما بعد ذلك بعصور و قرون حتى يرث الله الارض و من عليها و هو خير الوارثين. فالذين يظنون ان مهمة النبى انتهت بعد وفاته آتون بمعنى غير معنى البتة فى النص الكريم. والتاريخ اذا قلبنا صحفه يوضح لنا بل يعدد معانى هذه الرحمة التى جعلها الله شعار الرسالة التى بعث بها الى العباد. ان المهمة التى نهض النبى بادائها الى البشرية كانت كبيرة و بالغة الاهمية فانه صلوات الله عليه انقذ [صفحة ٢٩] العالم من جاهلية صلعاء كادت تهلك الحث و النسل، فلقد عالج الرسل مشاكل المجتمعات البشرية و فى طليعة ذلك مشاكل العرب فى الجزيرة اذ نهض بتوحيد قبائلها و تصحيح جهاز الحكم فيها فباتت الجزيرة رقعاً واحدة تسكنها امه واحدة لا سلطان لتسلط احد عليها من خارج الجزيرة كالذرى عرفت به خارطة وجودها يوم كان الفرس و الروم يسيطر كل منهما على بعض رقاع هذه الجزيرة. واعطى الاسلام للمرأة كامل حقوقها و عامل الرقيق اكرم معاملته و وضع لتحريره مبادئ و قواعد انسانية كريمة. وألغى ما كان سائدا يومذاك من ثأر و ترات بين القبائل فأحل مكانها حسن الصلات و المؤاخاة بينها و اصلح النظام الاقتصادى بارقى قانون وضعه للميراث و حمايه حقوق الورثة و دوى القربى من العصابات و أولى الارحام. و قضى على الوثنية فحصن بذلك العقل و صان الفكر الانسانى من لوثه الجهل و العبادات الوثنية و نظم الرسول العلاقات البشرية بين اتباعه و سائر اتباع الديانات الاخرى. وحث على التعلم و كافح الامية و اقام من الشريعة الخالدة معالم حضارة و سياسة و قيادة كانت من القوة و الرسوخ والافادة ذات ضوء اخضر نقى كريم و اكمل أتباعه بعد لحاق نبهم بربه رسالته الاممية الجليلة ففتحوا انحاء الدنيا و ازالوا رموز الفساد و الطغيان فكانوا من الاقتدار العسكرى بحيث لم تقف امامهم قوى الاكاسرة والقياصرة التى كانت ما تزال فى عنفوانها و لم يكن العرب فى الحقيقة بأكفاً منها لا فى عدد و لا فى خبرة قتالية متميزة بتفوق فى السلاح و فنون القتال [١٠]. و فى القرآن الكريم «فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الاخر ذلك خير و احسن تأويلا» النساء/٥٩ الخطاب هنا و ان كان وجه للمؤمنين على عهد رسول الله فى ايام العهد المدنى فانه موجه تلقائيا الى سائر افراد المؤمنين فى سائر الدهور المتعاقبة و يكون رد ذلك الى الرسول بمراجعة اقواله المدونة فى الكتب

الموثوقة بعد وفاته. اما في حياته فقد تكون المراجعة في ذلك شخصية و قد تكون على اساس مراجعة ما جاء به من شرع و بينات فقيهه فأى ذينك كان متيسرا فهو المطلوب و كذلك يكون رد الامر الى الله من طريق رد الامر الى شرعه و دينه... و في القرآن الكريم «و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا و سيجزى الله الشاكرين» آل عمران/١٤٤... في [ صفحہ ٣٠ ] النص ما يشير الى استمرار علاقة الامه بنبينا و ذاك انه تعالى انكر عليهم ان ينفصوا عن نبينهم ان مات او قتل، في حين ان الرسالة قائمه دائمه لا تنقطع بانقطاع الحياه عن النبي، فهي قيم متلقاه من رب العالمين على لسان نبينهم الذي و كل اليه ايصال الرسالة و ابلاغ الامانه... و لو كان الامر مما ينتهي بانتها حياه الرسول لكان عمر كل رساله بعمر نبينها، و الذي عليه امر الامم انها تعيش فيها رسالات رسلها الى دهر بعيد. و قوله تعالى «قد خلت من قبله الرسل» يعنى انه على ذات حالهم في ان رسالته لا- تنقطع بقتل او وفاة مادامت قد نسلمتها ايدي اتباعه من امته يعلمونها الناس و يستنبطون منها الاحكام و يصلون بها في المحاريب. و لعل الذين ينقلون على عقبهم يظنون ان وفاة النبي يتأتى منها انقطاع الوحي عن مسيرته في حين ان الله لا يميت نبيا قبل اكمال دينه و اكمال شريعته و قد وجدنا الرسول الاعظم تم نزول القرآن عليه قبل لحاقه بربه بمدته تبلغ الثلاثه اشهر. و كذلك وجدنا الانبياء و الرسل الذين جاءوا قبل رسول الله كان الله قد توفاهم بعد اكتمال الشرائع المنزله عليهم و مهما يكن من امر فان شريعته كل نبى يلزم اتباعه بعد وفاته بالأخذ بها لا يغير من ذاك شيئا ان يكون النبي قد توفاه الله اليه... و على هذا جرت سنه الله في خلقه و في رسله الى عبادته و الاسلام على ذات السنه و النهج الالهى السديد... و كان النبي صلى الله عليه و سلم يعلم هذا علما يقينا و يثق بان الله متم نوره و مكمل دينه و لذلك كان النبي يغشى ساحات القتال و يواجه السيوف و الرماح و لا يخاف عدوا و لم يكن في قومه و هو اجراء الجراء من يدانيه في جرأته... و رغم ان الله لمح في آياته القرآنيه بان النبي ككل بشر عرضة للقتل و الموت «افان مات او قتل» فان النبي كان يدرك بوضوح ان الله لن يميته قبل اكتمال شريعته... فلما قال الله «اليوم أكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً» [١١] المائدة/٣. علم النبي ان امانه الحياه التي يحيا عليها او يحيا بها سيردها الى بارئها في وقت قريب و من الامر البديهي ان النبي لو مات في العهد المكى لما كان في الاسلام من مله و لا تشريع و لا حرام و لا حلال و لا صوم و لا صلاة و لا موارد محدده و لا احكام للزواج و الطلاق و لا احكام فى البيوع و ما اليها و معنى هذا ان حلقه الاسلام [ صفحہ ٣١ ] ستكون حلقه مضيقه جدا و لن يملك الاسلام بذلك ان يكون دينا ينسخ ما هناك من الديانات و هو كذلك لن تكون له حيثيه يراها الناس من الجهات الست. و هذا كله يدحض ادعاء من ظن ان النبي هو الذى نبأ نفسه و صنع قرآنه و ما الى ذلك من مقولات بعض المستشرقين الذين غلبتهم الحقيقه القرآنيه و اقامت عليهم الحججه الى يوم القيامة فلو كان الامر على حد قول المستشرقين و كان النبي هو مؤسس الشريعه بكل تفاصيلها لبادر الى عرض جميع هذه التفاصيل و المفردات فى العهد المكى و لما ارجأ منها شيئا الى العهد المدنى و صلى الله على سيدنا محمد رسول الله العظيم الى سائر عباد الله حتى يوم العرض على الله. «و كذلك جعلناكم امه و سطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا»... البقرة/١٤٣... يشير النص القرآنى الى ان الله جعل امه محمد امه متميزه بالكلمات و سلامه العقيدة فى جمهوره الامم بحيث كان لها من ذلك ان تنال مركز الشهاده على الناس، المراد بالشهادة على الناس التعليم و التوجيه و التلقين مما يعد من الواجبات التي فرضها الله على الامه و قد اثبت التاريخ ان هذه الامه احسنت التعليم و الدعوة الى الدين و نشره فى سائر انحاء العالم من دون الاخذ باساليب القوه و التعسف و لم يقل احد ان الاسلام انتشر فى العالم بفعل السيف اذ ان الذين تولوا نشره. نشره بالحكمه و الموعظه الحسنه و ليس بالهيمنه و الفرعنه و من هنا نعلم ان المهمه التي و كلها الله الى الامه قائمه دائمه الى قيام الساعه و ليس الخطاب قاصرا على من كان من اتباع النبي فى ايام حياته. اما قوله تعالى «و يكون الرسول عليكم شهيدا» اى انكم تعملون بمقتضى وصاياه و ارشاداته التي كانت مصدر اسلامكم و ايمانكم و ما نيظ بكم من امر الجهاد فى نشر الدين و تعليم الناس احكامه و حقائقه و فرائضه و نوافله. فللرسول بمقتضى هذا قيمومه على الامه دائمه مستمره فى حياته و بعد وفاته غير محدده بحدود الزمان و المكان... و قوله تعالى «و اذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول و الى أولى الامر منهم

لعلمه الذين يستنبطونه منهم و لولا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا» النساء/٨٣.ورد الامر الى الرسول غير محدد بفترة حياته عليه الصلاة و السلام و انما هو مستديم و المعنى المتحصل من ذلك هو الرجوع الى ما حفظ المسلمون من احاديثه و اقواله و اولو الامر من رؤساء الامة فى سائر الاجيال كذلك يرجعون الى مصادر الشريعة ليستنبطوا منها ما يكون به الحل المقبول لمشكلات الناس فى كل جيل. ان أولى الامر بهذا النص لا- يعدون بدلاء عن النبي و انما يعدون من اتباعه و منفذى شريعته فليس لهم الا الاستنباط و هو استخراج الاحكام على جهة الاجتهاد و تمحيص الأدلة فالرسول اذن قائمة شخصيته فى مثل هذه الامور و نافذة اوامره و اقواله فى سائر الحالات...

### الصلاة على النبي...

الصلاة على النبي من القربات التى تقرب المؤمن من ربه و هى كذلك من الطاعات التى أمرنا بها بنص القرآن الكريم «ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما» الاحزاب/٥٦... و ما يؤمر به العبد من ربه ما كان منه مرادا به الفرض او النافلة او الاستحباب فان تنفيذه يعد من الطاعات التى يثاب عليها من يؤديها... و الصلاة على النبي معروفة الغاية هنا فانها صلاة تكريم و اجلال و تعظيم. اما ما جاء فى قوله «هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيمًا» الاحزاب/٤٣... فانها صلاة مغفرة و تطهير و اخراج الناس من الظلمات الى النور فالنصان ليسا على امر واحد... و الفرق بين الصلاتين فرق بين النبي و سائر الناس. و الدليل على ان رسول الله يصلح ان يكون محل الخطاب بعد وفاته. خلافا لما يزعمه قوم من أن حقوق النبي التى كانت له ابان حياته تسقط و هى مقولة فاسدة. هو ان جماهير المصلين منذ عهد الرسول بالحياة حتى يوم الناس هذا يقولون فى كلمة (التحيات) التى يقولونها [صفحة ٣٢] عند قعدة الصلاة الاولى و الثانية اى المفروضة و غير المفروضة (السلام عليك ايها النبي و رحمة الله و بركاته) فانه لم يرد فى نحلة اسلامية ان اوقفت هذا التسليم على النبي بعد وفاته... و لم يرد فى أى نحلة اسلامية التوقف عن الصلاة على النبي عند ذكر اسمه و ذاك أن ذلك مما منحه الله لنبيه صلى الله عليه و سلم و ميتا... مما يفهم منه سلامة العقيدة الاسلامية الذائعة فى اوساط المسلمين اذ يسلمون عليه صلوات الله عليه. ان الرسول صلى الله عليه و سلم يعيش فى ذاكرة التاريخ و فى نفوس المسلمين و فى مصادر الشريعة التى استمد منها الفقهاء اصول الدين و فى ما ورد فى الكلام على ذاته الشريفة فى التنزيل العزيز و فى ما امرت به الامة من الصلاة و السلام عليه فى كل حين دون تحديد مواقيت هذا الحين و مفرداته... و اذا كانت لصلوات العبادة اوقات تؤدى فيها و اوقات يكره الاداء فيها كمثل الصلاة فور شروق الشمس و فور غروبها و كذلك اذا كانت الصلاة يحكم عليها بالبطلان عند فقدان بعض شروطها كالوضوء و استقبال القبلة فان الصلاة على النبي ليست الا الفاظا محفوظة و معروفة تقال كلما شاء أن يقولها من يصلى على النبي لا وقت كراهة لها. و فى منع من يصلى على النبي من الصلاة عليه ما يخالف حكم الامر الالهى بالصلاة عليه اذ جعل من يمنع الصلاة على النبي استثناءات لعمومية ذلك الامر كيفية لا سند لها من فقه الامة كالذى يفعله بعضهم من منع مؤذنين من الصلاة على النبي بعد الاذان... ان صيغة الاذان معروفة بمفرداتها. فاذا اذن بها المؤذن اذانه للصلوات الخمس فانه لا حرج عليه ان يتكلم بأى كلام شاء مما يعد من مطالب الدين او حاجات الدنيا فما يفسد ذلك ما كان من اذانه و على هذا فانه ليس هناك ما يقع احدا بفساد الاذان لمجرد أن يعقب المؤذن اذانه بشيء من الكلام. لا سيما اذا كان ذلك الكلام صلاة على النبي...

### الحب النبوى...

الامر بحبه صلى الله عليه و سلم امر الهى تبت فى النص القرآنى الصريح و ذلك فى الآية الكريمة «قل ان كان اباؤكم و ابناؤكم و اخوانكم و ازواجكم و عشيرتكم و اموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها احب اليكم من الله و رسوله و جهاد

فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين»... التوبة/٢٤... فهو نص ذو قرار ظاهر و حكم قاطع بأن لا يكون حب اب و اخ و زوجة و عشيرة و مال و مسكن احب من حب النبى او اكثر او ابلغ او اكبر و الا- فان ذلك نمط من الفسق عن امر الله... و قد جمع الله بين حبه و حب نبيه و قرن بهما الجهاد فى سبيله. و قد علمنا ما للجهاد فى الملة من شأن عظيم بحيث كان الفرار من ساحته مروقا من الاسلام و كبيرة من كبائر الاثم فيه... و النص كذلك واضح فيه كل الوضوح انه ليس امرا محددًا بوقت موقوت و لا مخصصا بايام و جود الرسول على قيد الحياة بحيث اذا مات سكت النص ان يطالب احدا بايجاب هذا للرسول... فان الديمومة فيه مقصودة بما قرنه الله من اسم رسوله باسمه و فى الجهاد فى سبيله... ان معنى الحب فى هذا النص و قد ذكر الله فى جمهرة من ذكر ممن جرت عادة البشر الاقبال عليهم بالحب و الميل الانسانى و التعلق الدائم و المودة الفطرية و الازواج و الابناء و العشيرة و الاموال. و هى مفردات اذا ذكر الحب مقرونا بها ظهر معناه و وضحت فحواه... مضافا الى ذلك ان الحب مفردة معجمية متداولة على السنة الشعراء و الكتاب و فى كل حين [١٢]. [صفحة ٣٣] ان احب الله يعنى طاعته التامة المرجحة على كل طاعة و ان يتعلق القلب به و ان لا ينقطع اللسان عن اللياذ به و تسيحه و ذكره و شكره و طول الندم عند التقصير فى شىء من ذلك و انشغال ساحة النفس كلها به... بحيث لا- يكون شىء من اهل و مال و ذرية اقرب اليها منه... و كل خسارة فى مال من اجله أو فى حياة لا يتوجع لضياعتها و فقدانها لانها وقعت فى سبيله و ابتغاء مرضاته و تلبية لقضاء قضاءه و قرار قرره... فذاك هو جانب الحب الذى فرضه الله على مؤمنى عباده لذاته العظيمة... اما حب النبى و قد قرنه الله بحبه و منع ان يرجح عليه حب احد من ذوى القرابات النسيية و المقتنيات الغالية فهو كذلك يعنى جعل النبى بمحل الروح من البدن و القلب من الجسم و ان لا ينشغل البال عن مودته و اجلاله و توقيره بشىء آخر يميز بحجم اكبر و قدر اكثر و زمن اطول... و ان لا يبخل احد على نبيه يوم يجب عليه ان يذود عنه و يحميه و يصون كرامته و يرد عنه العادية من اى جهة كانت. و ان يستمع الى ما جاء على لسانه من التوجيه و التعليم و الترتيب و ان لا ينقطع عن ذكره فى نوم و يقظة و صلاة و عبادة و ما زالت الامة تسلم على نبيها فى صلواتها اليومية قائلة (السلام عليك ايها النبى و رحمة الله و بركاته)... و هى تصلى عليه سائلة الله ان يزيد فى اكرامه و اعلاء مقامه. هذا الحب هو ان يكون فى التمسك بما جاء به من دين حنيف و شرع جليل و نظام سديد و تهذيب رشيد و عبادة خالصة لله رب العالمين... ان تناسى شخصية النبى و الغفلة عن اللهج بذكره و الصلاة عليه يتأتى منه نسيان ما آتاهم من شريعة و تعليم فضلا عن ان سيرته صلى الله عليه و سلم كانت ذات قراع و جهاد و صبر و تحمل لاذى من جاء لانقاذهم من الضياع و اخراجهم من ظلمة الكفر الى نور الهداية التى اضاعت فجاج الارض و آفاق السماء... و فى القرآن الكريم من الدلالات و الوثائق الناصعة مما يتصل بامر الحب النبوى ما هو كثير و قد ورد الكلام فيه بصيغ شتى و منها قوله تعالى «ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما» الاحزاب/٥٦... و هذا نص ذو كثافة فى الامر بالصلاة على النبى اذ ان الله بدأ القول فيه بالاخبار عن انه و معه ملائكته يصلون على النبى و هذا يكفى لفهم المعنى المقصود بذلك الا انه عزوجل امرنا بصريح ما فى الامر من صراحة ان نصلى عليه و نسلم على هدى صلاته على نبيه و صلاة ملائكته عليه. و فى ذلك تركيز لدعوة الامة الى اعزاز مقام نبيها فى نفسها و اجلال شخصيته فى سائر مجالات تحركها و خطاب الناس موصوفين بالايمان دلالة على جدارتهم لمثل هذا النداء و التوحيد. اما ايراد كلمة الجهاد فى موجبات الحب الذى منع الله ان يكون اكثر من هذه التى ذكرها الله و هى اسمه جل شأنه و رسوله و الجهاد فى سبيله... فان الجهاد هو عمود الاسلام فاذا سقط عمود خيمة الاسلام سقطت خيمته و اذا ترك الجهاد الذى هو ذود عن حمى البلاد فسد الدين و ضاع امر المسلمين و حب الجهاد يعنى المبادرة اليه و تفضيله على ما سواه ممن ذكر الله فى صدر الآيه من مفردات نحو الآباء و الابناء و الاخوة و الازواج... و من النظر فى معاجم اللغة و ادبياتها الشعرية و النثرية و قصص المحبين فى التاريخ لا- نرى الامر الالهى بوجود حب الله و رسوله و الجهاد فى سبيله الا قائما على ذات الركائز التى عرفت الناس فيها معنى الحب... على ان الحب النبوى المفروض على الامة للرسول الاعظم انما يجول فى مجالات تعبيرية منطقية و وجدانية واضحة المعالم لا سيما اذ قرن بحب الله و حب الجهاد فى سبيل الله اذ لا- يقع فى مجال حب الله و الجهاد فى سبيل الله الا الجهد و التعقل و التصرف



اللائق الذي يأخذ حجمه في سلوك المحبين. و هو سلوك [ صفحہ ٣٤ ] يتقيد بقيود عالية المكانة سليمة التعبير كبيرة الشرف... لذا فلا يمكن أن يكون حب النبي كائنا في مثل تصرفات العشاق والمدنقين الذين خرجوا على المألوف في ذلك. ان تصرفات العشاق من عذريين و غير عذريين كانت في الغالب بل في المعتاد قد مالت الى اوضاع لا تستأهل أن توصف بالحب المعبر عن الحب الذي اراده الله في غلائل من القدسية و الطهر و التعلق العاطفي النبيل... ان حب العشاق و ما عرف عنهم في روايات تحركاتهم الغرامية من التبهلل و الجنة و الظهور بمظهر البهدة و الشرود الذهني و النفسى و التسكع في البرارى... فان النص القرآني الذي أوجب حب الأمة لنبينا لا يصل الى مثل هذه المراحل غير ذات المستوى اللائق. على أن حب العشاق يغلب عليه الجانب الجنسي الرخيص الذي لم يكن الله يريد في ايجاب حبه جل جلاله على الناس و لا- في ايجاب هذا الحب لنبيه عليهم و لا كان هذا الحب هو المعنى في مواجهة الجهاد في سبيل الله... من هنا نعلم أن الحب النبوي انما هو حب اسمى بكثير من سائر ما يسمى بالحب في التعامل البشرى لا سيما ما كان منه غارقا في السذاجة و التعقيد... اذن حين نبحت عن معنى الحب الذي عناه النص القرآني فليس من الضروري ان نلوذ باخبار المغرمين الذين وقعوا في غرام احباب أحوهم و بالغوا كل المبالغة في حبه... ان اكثر من حالة حب عفيف انقلبت الى حالة كره عفيف لان الناس تحب و تكره وفق اهوائها و حاجات تعرض لها و معظم ذلك من متغيرات الامور فلقد ينقلب الحب الى كره. و قوة الميل النفسى الى شدة حقد و نفور و لم يكن الامر الالهى بالحب النبوى جائلا في هذا المجال و لا حائما حول هذه الحومة... ان حب الأمة لنبينا حب تعظيم و تقديس و طاعة و تفران و اخلاص لا حد يحده لان للرسول شريعة يعد حب الأمة له صلى الله عليه و سلم لها و تعلقهم بشخصيته تعلقا بها و الذين يدرسون سيرته الذاتية يجدونه صلى الله عليه و سلم حقيقا بهذا الحب كله بل بما هو اعظم منه بكثير... ان المراد من هذا التوجيه القرآني العظيم في صدد الزام الأمة بحب النبي هو أن تكون في خدمة الدين و الملة و الالتزام التام بطاعة الله و رسوله و نكران ذاتها من اجل اثبات ذاته و ليس المراد بالحب الجانب الوجداني وحده بحيث يتغلب كل شىء على العقل فلا يبقى منه شىء يرجع اليه و يستعاذ به... ان الحب اذا وصل الى حالة من غياب العقل فليس هو المطلوب البتة لأنه سينتهى الى فراغ و لا مصلحة للدين و الملة في حب ينتهى الى فراغ و ذهول و شذوذ في التصرف و ذهاب للعقل... فلقد علمنا ان الحكمة من فرض الله حبه و حب نبيه على الامامة انما هو اعدادها للتضحية من اجل تثبيت الدين و الزيادة عنه و ترجيح حقوقه على سائر الحقوق الشخصية و هذا لا يتحقق منه كل و لا جزء يوم يفقد العقل سلطانه على الانسان. ان الحب يريد الطاعة و دليل الاستجابة و لا تكون المعادة عرقا لمودة و ألفة و انسجام... و من خلال آيات كثيرة جاء الكلام عليها في تضاعيف الكتاب ثبت ان الله ألزم الأمة بحب نبيها. و المراد من هذا الحب ليس التقييل و التغزل و الملازمة و اداء ضرور من الخدمة الشخصية و انما يعنى الحب المفروض على الأمة لنبينا أن تكون ذات تعلق وجداني به و ميل قلبى اليه و أخذ بقوله و التزام بأوامره و نواهيه و زياد عنه و دفاع عنه و هذا مما يكون في ايام حياته الشريفة و فيما بعد ذلك اى بعد انتقاله الى ربه لأن الأمة تظل تهتدى بهديه و تصلى عليه و تحمد سيرته على نحو ما تحمد من سير اهل [ صفحہ ٣٥ ] الخير و الصلاح فان النبي اولى بذلك من سائر من يستحقون الحمد و يستأهلون الذكر الجميل من الناس. فادعاء من ادعى ان الأمة ملزمة بحب نبيها ايام حياته فقط ادعاء فاسد لانه ينتهى بالمسلم الى ان يعتقد ان نبيه لم يعد بعد وفاته مستأهلا لحب و تكريم و حماية و اجلال و توقير... و حين امر الله الأمة بتوقير النبي بقوله «و تعزروه و توقروه» لم يكن يعنى ان يكون ذلك في حياته فقط و انما عنى ان يكون ذلك ذا ديمومة لا تنقطع في الحياة و فى الممات. و اذ اجرينا الكلام على هذا على وجه الاستطراد وجدنا من يزعم ذلك و يدعيه اى يزعم ان الامر بحب النبي انتهى بوفاته و هذا ما فسر به بعضهم قوله تعالى «يحبونه»... تفسيراً كاد يمرق به من الاسلام... ان الامر بحب النبي ينبى عليه أن يطاع النبي طاعة تامة فى سائر ما امر به ايام حياته و ما نقله عنه النقلة من اقوال و توجيهات احتوت عليها الكتب و المسانيد و ليس الامر فى هذا الباب معقولاً أن يقال فيه ان اوامر النبي تنفذ ايام حياته و لا تنفذ بعد لحاقه بالرفيق الاعلى. لان حقائق الدين واحدة فى سائر الاجيال التى تتوارث هذا الدين و تلتزم بتطبيقه...

«و الله يعصمك من الناس» المائدة/٦٧... هذا عهد من الله لرسوله يعلن به انه عاصم رسوله من كل سوء يراد به مما يكيد له خصومه و يدبره اعداؤه. في هذه الوثيقة الالهية ما يدل دلالة ظاهرة على عظم رعاية الله لنبيه بحيث لم يتركه يواجه اعداء دعوته بمفرده و ان كان قد واجههم بمفرده في اخرج الظروف التي تفتقر الى العون و المعين فكان اذا اقتدار عال على القراع و المواجهة ولكن النص القرآني في ان الله تعهد لنبيه بان يعصمه من الناس و قد جاء ذلك بصيغة غير محددة بمستقبل او حالة معينة انما جاء بصيغة مطلقة، اجل لقد جعل الله ذلك مطلقا في عصمة نبيه [١٣] فكان ذلك من الخصوصيات التي عرفت للرسول [صفحة ٣٦] الاعظم وحده صلى الله عليه و سلم... و بهذا ردنا على دعوى السحر و ما كان من قبيلها اذ تنافى و وثيقة العصمة الالهية في مواجهة ما قيل في تصوير اثر السحر على شخصية النبي مما اورده المحدثون و كتاب السيرة و اصحاب الاخبار... ان في ادعاء وقوع النبي في كماشة السحر الذي زعموا ان ابن الاعصم اليهودي كان قد وضعه و دبره بطلع وضع فيه مشط و خصلة من الشعر و القاه في البئر. مقولة غير صحيحة في حقه صلى الله عليه و سلم هي غير صحيحة ايضا لو عزيت الى اي انسان من الناس لان السحر رغم الاعتراف به علميا فانه لا يرقى الى هذا النمط من الباراسايكو لوجيات و غرائب الخوارق. و هناك نص يفهم منه تدارك الله نبيه لثلا يقع في ما يحوكه له خصومه من مكاييد ذلك هو قوله تعالى: «و ان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين» الانفال/٦٢... خداع الناس للناس لا يشترط فيه ابدا ان يكون من تفعل الخديعة فيه فعلها غير واع و لا حذر و لا مثبت فعل من يعرض له ذلك يعد من احذق الحذاق و اذكى الاذكياء و اكثر الحذرين حذرا... و ذلك ان المخادعين حين يعمدون الى المخادعة فانهم يتخذون لها ادق الوسائل و يحوكون لها اقوى الخيوط. و القرآن الكريم نبه الرسول الاعظم الى ان الله عالم بخداع المخادعين. و لقد جاء في النص ما يشبه العهد الالهى ان وراء النبي عند خداع المخادعين ربه يبدد خداعهم و يفسد عليهم خططهم و هناك المؤمنون الذين يكونون مع النبي فلا يضره من خداع المخادعين شىء. ان دقة مكر الماكرين و قوة حبكهم خدعهم سيكشفها الله للنبي... اما قوله تعالى: «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا». الحشر/٧... فانه لا يخصص هذا الاخذ باقوال النبي في حياته، و الخطاب ب «ما آتاكم» يعم جميع المؤمنين في ايام حياة الرسول و بعد وفاته و كذلك ما كان قد نهى عنه النبي ايام حياته فانه لا تترك الاستجابة لشىء من ذلك بعد وفاته و انما هو امر و نهى ملزمان باطاعة في سائر الحالات... حتى يرث الله الارض و من عليها. و قوله تعالى: «و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضللا مبينا» الاحزاب/٣٦... فان ذلك ليس خاصا بفترة حياة النبي بحيث ان توفاه الله كان للمؤمن و المؤمنة الخيرة في القبول و اللاقبول... و يؤيد هذا ان الله قرن بين امره و بين أمر رسوله «اذا قضى الله و رسوله امرا» مما يدل على الاستمرارية الابدية في وجوب الالتزام بأى من امر الله و رسوله. ان الشريعة الاسلامية السمحة ليست شريعة وقت محدد بحياة النبي و انما هي ماضية الى سائر اجيال الزمان فما يقع لها أن ينسخها الله بشريعة فما هي بالشريعة الخاصة بأمة بعث الله اليها نبيها وحدها على ما كان في الشرائع القديمة... و حادثه بعد وفاته صلى الله عليه و سلم اذ زعم قوم انهم آمنوا بالنبي ايام حياته قامت على أن القوم اطاعوا رسول الله اذ كان بينهم فقيم يطيعون بعده غيره و قد جهلوا ان الشرائع تعنى بناء امة كانت مفككة الاوصال و ذاك يتطلب ان تنهض هذه الامة فتظل ناهضة الى ابد الايام و هذا ما شاء الله للامة العربية و ما شاء كذلك لسائر أمم العالم من اصلاح الاحوال أمة حتى كان الاسلام فصنع الذى صنع من توحيد العالم البشرى في الثقافة و السلوك و العبادة... [صفحة ٣٧] الصفات الخلقية في شخصية الرسول... في النص القرآني «و انك لعلى خلق عظيم» القلم/٤... شهادة الهية عظيمة شهد بها الله لرسوله ما تضارعها شهادة و لا تساوقها ترقية. حقا ان ترقية الله لمن شاء من عباده هي الترقية المطلقة التي لا تعلق بها مجاملة و لا تجر اليها غاية يتغاياها هذا و ذاك لقد كان خلق الرسول الاعظم في البيئة التي عاش فيها مع الكفار من قومه و مؤمنهم خلقا متميزا بالرفق و اللين و الطلف و العطف على ما نصت عليه خديجة زوجته الكريمة اذ وصفته قائلة: انك لتحمل الكل و تغيث الملهوف و تعين ذا الحاجة و تؤوى الضيف. فتلك كانت خلاله و فعاله بين يدي مبعثه على ما شهدت به

الزوجة الكريمة الفاضلة و هي زوجته في حقه غير قليلة من الزمن قبل اختيار الله اياه نبيا و رسولا... ان الخلق العظيم الذي كان سمة قرآنية لشخصية لرسول الاعظم تثبته بكل دليل و حجة مفردات السيرة النبوية المكتوبة بحيث لو ان الله لم ينص على هذه الفضيلة في نبيه لنص عليها الناس و المؤرخون في اقوالهم... انها عبارة رائعة موجزة غير انها مزدحمة بالمعاني الجليلة و السمات المستشهد بها في هذه الجملة انه مستشهد بكلمة الهية لا تجد لها حدودا في عالم الفضائل و القيم الخلقية الكريمة... و في القرآن الكريم في الكلام على بعض معالم الخلق الحميد في شخصية الرسول جاء قوله تعالى «فما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» آل عمران/١٥٩. و هذه من بعض شهادات الله في رسوله محمد بن عبدالله و هي شهادة صادقة قائمة على ظاهر سلوك النبي في سائر حالاته قبل النبوة و بعدها و معاشته لقومه فانه لم يكن فظ لسان في مخاطبة و لا غليظ قاب في معاملته و الا لانفضت الناس عنه في حين كانت فئات كثيرة من الناس ملتمة عليه مرتاحة اليه تصدقه و تطمئن اليه و تستجيب لامره و نهيه و تهش له عند لقائه و تأتم به في صلواته و تحرص على تطبيق قراراته... و ما قضيه (كعب بن زهير) ببعيدة عن الموضوع اذ هدر النبي دمه فراح الى مشاهير اصحاب النبي يلوذ بهم فرضوا لجوءه و ايواءه و قال في ذلك... فقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك اني عنك مشغول فاضطره هذا الموقف الموحد الى مراجعة الرسول في مسجده بقصيدته التي مطلعها... بان سعاد فقلبي اليوم متبول متم اثرها لم يفد مكبول و ما سعاد غداة البين اذ رحلوا الا أغن غضيض الطرف مكحول تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول و استقبله الرسول بصدر رحب ثم عفوه عنه و غفر له و انما اقبل (كعب) على النبي و هو مهذور الدم لما يعلمه من ان النبي غير فظ و لا غليظ قلب و انه كما وصفه الله تعالى من عظمة الخلق و شرف النفس و الخلال... فقد كانت قصيدة (كعب) مثخنة بغريب اللفظ ولكن النبي كان يستوعب جميع مفرداتها و اذ كان (كعب) ينشد قصيدته انشادا منغما على جاري عادة شعراء تلك الحقبة فكانت لالقاءه رنة استحسان لا سيما اذ كان مخلوع الفؤاد يضرب الخوف جوانب قلبه و للغممة في هذه الحالة ما فيها من شجي، و من حزن و رعب الا ان حسن موقف النبي من الشاعر بدد حزنه و خوفه و ارتاح النبي لتصحيح (كعب) موقفه لصحبه و خصومه على حال سواء و هو مما من الله به على نبيه «فما رحمة من الله لنت لهم»... و كان من بعض محاسن صلى الله عليه و سلم انه كان حيايا أي كثير الحياء... و الحياء و الاستحياء غلبة الخجل على رجل او امرأة يظهر على الوجوه عند عروض ما يخجل. و قول [صفحة ٣٨] العرب -[ان الملوكة لا يستحيا من مسألتهن]- أي ان الاستجداء من الملوكة ليس مما يخجل او يستوجب الحياء لانه ليس مثل الاستجداء من الناس... و الاستحياء منازل و درجات. و قول النبي صلى الله عليه و سلم (الحياء من الايمان) لان الحياء يمنع من اقرار الدنيا و ارتكاب المخازي... و في الامثال العربية - اذا لم تستح فاصنع ما شئت - فاذا لم يخجلك العمل المخجل فلا عليك أن تصنع ما تريد. و في بعض الروايات بعد تناول آدم من الشجرة التي نهى عن الاكل منها راح يختبئ بين الاشجار. فقال له الله (أفرار مني يا آدم فقال بل حياء منك يا رب)... و قال جرير... لولا الحياء لهاجنى استعبار و لزرت قبرك و الحبيب يزاراي انه كان يستحي من الناس أن يزور قبر زوجته. اذ ان مثل ذلك يعد عيبا في نظر المجتمع يومذاك... فالحياء حلية نبلاء الناس و ذوى العقل و الواجهة منهم يستوى في ذلك الرجال و النساء و قد عرف الرسول الاعظم بأنه كان اشد حياء من الفتاة ذات الخدر اي انه كان يتهيب ان يرى في موقف لا يليق به... و قولهم الحياء يمنع الرزق و الفسق يشير الى أن الرجل قد يكون جائعا فلا يكشف ذلك للاخرين و ان كانوا من اقرب الناس اليه بفعل الحياء. و قد تحمله الحاجة الى الاستدانة من معارفه في سد خلته و قضاء حاجته فلا يملك الجرأة على مخاطبة صديق له في ذلك و قد يكون هو الدائن ولكنه لا يستطيع مطالبة المدين ببعض دينه من فرط حيايه و قد يكون في قوم فتقرب منه مائدة الطعام فيستحي أن يأخذ كامل حاجته و قد يكون في ملابسه ما هو قديم او مخلوق فانه لا يجراً على الخروج به الى الناس و هو كذلك لا يستطيع أن يقترف عملا يعاب عليه و هذا من حسنات الحياء و من جميل اثره في الناس. فاذا جئنا الى رسول الله فانه اكثر تحسسا بذلك من سائر الناس رغم انه كان أجراً الناس على الصدع بالحق. و النص القرآني: - «يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا- أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا

دعيتهم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا- مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيى منكم و الله لا- يستحيى من الحق» الاحزاب/٥٣...اجل ولكن النبي لم يكن لفرط حياته من الذين اكلوا على مائدته أن يطلب اليهم ان يغادروا بيته بعد الفراغ من تناول الطعام و ذاك من ضرورات امور المآدب اذ ان نساء الدار و من فيها من بقية الاهل و الابناء قد يقبلون على تناول طعامهم بعد خروج الضيفان كما يقبلون على تنظيف البيت و غسل الصحون ورد المستعار منها الى اصحابها من الجيران و لابد لاهل البيت من اخذ قسط من الراحة بعد ما بذلوه من جهد فى اعداد الطعام و تقديمه الى الضيوف... و كانت الناس لا تعرف الاستئذان فى دخول البيوت و لا تزال بعض الشعوب فى العالم لا تعرف هذا الاستئذان رغم أن من الاداب المدنية المعاصرة الدعوة اليه و الحث عليه...و من آداب الاسلام الاجتماعية انه امر بالاستئذان، و الآيات فى ذلك معروفة و من هنا كان الرسول يستحي أن يقول لاصحابه ذلك قبل نزول الوحي به. و لما نزل التشريع بذلك صار الامر من المطالب الشرعية الواجبة التنفيذ...ان قوله تعالى: «ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيى منكم» يدل على أن حياء النبي كان اعلى انماط الحياء لانه كان يتحمل الاذى النفسى كل تحمل على أن يأمر اصحابه بعمل شىء او تركه فى مثل هذه الامور التى هى من خصوصيات حياته...اجل ان الحياء كان من مميزات الخصال الكريمة و الاداب العالية فى شخصية الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم...و لقد لخص النبي رسالته العظيمة بقوله انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق... و بذلك باتت الاخلاق الكريمة من بعض رموز الاسلام و معالمه... [ صفحہ ٣٩ ]

### استقلال شخصية الرسول...

لشخصية الرسول الاعظم استقلال خاص فى التعامل البشرى و ان كان صلى الله عليه و سلم من بنى البشر و من صميم جنسهم فى عالمهم البشرى... و ذاك ان طبيعة النبوة تتطلب كثيرا من صور التفرد عن العموميات الآدمية و هذا امر لا يملك احد ان ينكره لان النبوة تعنى انتزاع كائن بشرى من بيئته الى شىء يتميز به عن مفردات تلك البيئته و شخوصها الدنيوية من اجل ان يؤدى مهمة ارتباط بسلطان من وراء الطبيعة يرسم من طريقة للناس نهجا سلوكيا و تعديدا...و من خصوصيات ما كان من امر شخصيته البشرية انه جعل له الحق فى الزواج من اكثر من اربع كما ان الشريعة جعلت زوجاته امهات للمؤمنين منعنا لزوجهن من احد من الرجال بعد رسول الله و قد ماز الله سائر نساء النبي على سائر نساء المؤمنين. و من ذلك ان قانون الارث توقف عن تطبيقه عليه بعد وفاته لان معاشر الانبياء لا يورثون و كذلك فانه عند وجوده صلى الله عليه و سلم لا تعتقد لاحد امامه فى صلاة تؤدى فى ساحة واحدة و وقت واحد و ذلك ما يطلق عليه اسم صلاة الخوف. «و اذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و ليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك و ليأخذوا حذرهم و اسلحتهم» السنة/١٠٢... و قد كان من حكمة الخالق الحكيم انه لم يترك للنبي ولدا من الذكور بعده و الا لترتب على ذلك احكام تتدخل الناس فى صنعها.اجل ان الله لم يترك للنبي ان يكون له ابناء من الذكور لئلا تذهب الامه فى توليهم بعد وفاته الى مذاهب تختلف فيها. كما أن النبي سيكون فى شغل شاغل بهموم ابناؤه و احفاده و ما يقع منهم فى بيئتهم و ما يقع منها او فيها و قد تتكرر قصة نوح و ابنه...ان الله عامل نبيه معاملته استفرده الله فيها فكان له وحده. حقا أن حكمة الله حكمة عظيمة... و نهى الناس عن رفع اصواتهم فى مخاطبته «لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم و انتم لا- تشعرون» الحجرات/٢...و من ذلك فى القرآن الكريم... «خالصة لك من دون المؤمنين» و ذلك فى النص القرآنى الذى تمامه «و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين» الاحزاب/٥٠. فلقد جعل الله هذا النمط من الانكحة مما اختص به الرسول صلى الله عليه و سلم و قوله تعالى «ان اراد النبي أن يستنكحها» فيه امتياز للارادة النبوية كانت هى المفتاح لنكاح تلك المرأة التى وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه و سلم فلعله لا يريد ذلك فلا يكون لتلك الهبة شىء من تقديم او تأخير... و ارادة كهذه الارادة تسجل للنبي فى حياته البشرية تعد احدى الوثائق الدالة على تمتعه صلى الله عليه و سلم بخصوصيات ثابتة... و ينبى على قوله تعالى: «خالصة لك من دون

المؤمنين... ان للنبي تفردا يتفرد به عن حالات التقيد التي يخضع الناس بها و بهذا يفهم جليا ان النبي معترف له بمزية التفرد التي منها هذه اذ نص الله على ذلك في النص الكريم...

### الطاقة الجسدية للرسول الاعظم...

كانت للنبي طاقة جسدية وصفها يوما ما بانه يبني يطعمه الله و يسقيه اذا ما واصل الصوم فهو في ذلك ليس كسائر الناس. على ان الطاقة البشرية لديه صلى الله عليه و سلم ظاهرة التفرد في عطائها و قوة شخصيتها فانه كان يؤدي اعمال الامامة في مسجده بالمدينة خمس مرات في اليوم و خطابة الجمع و الوعظ المستمر و يقضى بين الناس و يتهدد الليل و يطوف على نساءه و يقود كتائب الجهاد و الغزو... و كل اولئك يقصر عنها الوقت [ صفحة ٤٠ ] و مع ذلك فلقد كان يملى على الصحابة ما يوحى اليه من كلمات ربه آناء الليل و آناء النهار... و في تضاعيف الكتاب ما يقع منه في هذا الموضوع اكثر من ذلك بل ان النبي صلى الله عليه و سلم كان يحتكم لديه اقوام من غير المسلمين و كانوا يرجعون عنه بالرضا و الارتياح اذ كان اولئك اليهود لا يطمثون الى فتاوى حاخاميههم و كهانهم في حل مشاكلهم فاذا قدموا على النبي انصفهم في الحكم اذ لم يكن يتحيز لفريق منهم «فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما» النساء/٦٥. فلقد جاء الكلام مبدوءا بقسم الله عزوجل بلفظ - فلا و ربك - اى و رب محمد الذى خاطبه الله جل جلاله بكاف الخطاب صلى الله عليه و سلم ثم بين انهم سيسلمون بالقرار الذى يتخذه النبي في مسألة التحكيم هذه و قوله تعالى (حتى يحكموك فيما شجر بينهم). اى في امر يخص القوم و قد يكون عشائريا او عائليا او شخصيا و لعظم ثقتهم بالنبي رغم انهم لم يكونوا قد آمنوا برسالته فقد فرضوا هم بانفسهم الثقة بالنبي فان معنى - شجر بينهم - هو ما يبلغ حد اشتجار القنا و شدة الخصومة و كثرة اللغظ و اللجاجة. و القسم الوارد في صدر العبارة القرآنية ذو حجية على حقيقة ما تضمنه النص و ما من شك في ان ايراد هذا النص القرآني انما كان لاثبات تسامى شخصية النبي صلى الله عليه و سلم في مجالات التحكيم و الاسترشاد و كذلك رجحان رأيه و حسن تبصره في الاحداث... و الذى يلفت النظر ان المقبلين على النبي ابتغاء تحكيمه في امر كان قد شجر بينهم هم من غير اتباعه و اعوانه مما يفهم منه ان شخصية النبي كانت محل احترام سائر اصناف الناس من مؤمن و غير مؤمن... و قوله تعالى (لا- يؤمنون) ليس المراد منه اعتناق الاسلام و الدخول في حظيرة الدين و انما يراد بها الاعتراف و الثقة و الاطمئنان الى اقتدار الرسول و تمكنه بسعة افقه و رشيد رأيه بحيث كان اهلا لان ينتدب لمهمات الامور و يراجع في حل معضلات القاضايا التى تعرض للناس يومذاك... المراد بالايمان هنا معناه اللغوى و ليس معناه العقائدى الشرعى و النص يتعلق بمكانة الرسول بين قومه من جهة ما اضطلع به صلى الله عليه و سلم من الحكمة و القدرة على معالجة الخلافات المستعصية بين الناس فيما لو لجأوا اليه لحل عقد الخصومة بينهم. و الحلف بقوله تعالى (فلا و وربك) لبيان قوة الثقة فى المقام الذى ورد فيه الكلام الالهى و قربه من الله و رسوله (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) اى اذا عرض بينهم عارض شجار عنيف، على ان القوم بعد الاحتكام الى الرسول فى امر شجر بينهم آنسوا الرشاد فى معالجة المشكلة. و مما يفهم من ذلك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم لو لم يكن قد جعل نبيا و رسولا لامته فانه كان سيعامل من قبلها معاملة الحكيم الذى يستأنس بحكمته و يسترشد لسليم رأيه و يلاذ به كل لياذ. و من معالم الطاقة النادرة فى شخصيته صلى الله عليه و سلم انه كان يقود الجيوش و ينظم الجند سويا و يقتحم اخطر الحروب وفق منهاج يديره بنفسه و قليلا- ما كان يشاركه فيه الغير و فى القرآن الكريم: «و اذا غدوت من اهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال» آل عمران/١٢١. و سنتكلم على شخصية النبي العسكرية بمكان آخر. و مما يستدل به على قوته الجسدية انه اشترك فى حفر الخندق فى الغزوة المعلومة و كان يعمل اكثر مما يعمل غيره فى الحفر و نقل الحجارة لا يعوقه عن ذلك جوع و لا طول سهر... [ صفحة ٤١ ]

### الرسول الاعظم عسكريا...

كانت للرسول صلى الله عليه وسلم القيادة العامة للامة ولقد اقتحم كثيرا من الغزوات وامتطى صهوة جواده في اكثر من ساحة قتالية وخطب من ربه بخطابات ذات منحى عسكري ومنها قوله تعالى «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال...» الانفال/٦٥... وفي هذا النص تعليمات قتالية في تحديد واجبات المقاتل المسلم. بحيث ألزم المقاتل المسلم بأن يقاتل بطاقة قتالية تبلغ عشر مرات اكثر من الطاقة القتالية للمقاتل الكافر ثم جرى التخفيف عن المقاتل المسلم بحيث كلف ان يقاتل بطاقة تبلغ ضعفى طاقة المقاتل الكافر و على هذا ما يزال المقاتل المسلم فى موقف هو فيه اقوى من موقف المقاتل الكافر وهذا معنى قوله تعالى «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا» وقوله تعالى «بأنهم قوم لا يفقهون» اى انهم لا يقاتلون وراء فكرة عقائدية او وطنية انما يقاتلون وراء اسلاب و مغانم. و ابرازا لمعالم القوة و الشجاعة و الجرأة فيهم... و المقاتل المسلم يتغى فى قتاله حماية عقيدته و طاعة ربه و اقتفاء خطى قيادته التى تدرك ما هو خير و ما هو اصلح... اما قرار التخفيف فقد جاء فى قوله تعالى «الآن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة مئتين و ان يكن منكم الف يغلبوا ألفين بأذن الله و الله مع الصابرين» الانفال/٦٦. و هذه اوامر قتالية تحدد فيها للمقاتلين طاقاتهم القتالية وفق كل موقع و كل حالة حربية. و قوله تعالى «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال» لم يرد فيه القول على كيفية هذا التحريض و طريقته و ذلك لان الله يعلم قدرة رسوله على تنفيذ هذا الامر فهو حقا قائد يحسن ادارة الوطيس الحربى بسائر مفرداته و اولياته و سوقياته و كذلك ما يسمى اليوم بـ استراتيجية الحرب. و للحرب جوانب تتعلق بالكر و الفر و تنظيم الجنود فى الساحة وفق قوانين الحرب فى تلك الازمنة... لقد كان رسول الله محيطا بذلك كله و ان توصياته العسكرية فى اكثر من موقع دلت على بعد نظره و حسن تبصره فى هذه الامور... و نرى فى الآية التالية ما اوضحه الله لنبىه من رسوم الحرب و اعرفها و قوانينها «ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض...» الانفال/٦٧... ان خلاصة المعنى الذى تعنيه هذه الآية هو ان الحرب التى تخوضها الجهة المسلمة مع جهة اخرى كافرة يجب ان تكون حربا ذا خطه حاسمة [١٤]... لان الحرب ضد جهة مقاتلة ذات سلاح و جند يجب الوصول الى مواقعها بأقرب وقت اى انها ان وقعت فانما تعنى حماية الجهة المسلمة التى تريد الجهة التى تحاربها تنحيتها عن مكانها و ازالة وجودها بالمرّة فلا بد اذن ان تكون خطه هذه الجهة اى الجهة المسلمة خطه اندفاع ساحق يؤدى الى دحر العدو دحرا شديدا. و ذاك بعقلية تنصرف الى القضاء على المحارب القادم بكل سلاحه لغرض التدمير و الاكتساح و القضاء على فئة ذات عقيدة و فكر دينى اصلاحى. فالقيادة الاسلامية اذا كانت تتسامح بعض التسامح فى القتال من اجل ان يكون فى يدها عدد من اسرى العدو فان ذلك ليس فى صالحها الا اذا كانت من القوة بحيث لا يؤثر عليها وجود الاسرى فى ديارها اذ يحتاج الاسير لمأوى حصين يحول دون هربه و لتغذية دائمة و علاج حاضر و حماية و رقابة. ففى هذا النص توجيه عسكري حدى اراد الله توجيهه للنبى اذ كان هو قائد الامة فى قيادة الحروب [صفحة ٤٢] و المواجهات المسلحة [١٥]. و لا يعنى هذا اباحة قتل الاسير و اجاعته ولكنه يعنى المبادرة الى كل قادم من جيش العدو لغزو البلاد بالقتل و الابداء و الاستئصال اى ان تكون الحرب حربا غير قائمة على المداراة و المشاغلة و التناوش الذى لا سياسة حربية وراءه... و من آيات القتال قوله تعالى «و اذ غدوت من اهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال و الله سميع عليم» آل عمران/١٢١. ففى هذا النص توكيد على شخصية الرسول القيادية الثابتة له تلقائيا و قوله تعالى «و اذ غدوت من اهلك» بيان بان هذه القيادة لا تنشأ من رغبة القوم و لا من قرار يقررونه عند كل خروج و ان كان النبى يستشيرهم فى مثل هذه المهام. و انما هى صفة مستديمة فيه صلى الله عليه وسلم و فى النص ما يشير الى استعدادات النبى القيادية فى سائر ضروب حالات الخروج للقتال... و تبوء المؤمنون مقاعد للقتال ظاهر الدلالة على الدراية العسكرية التامة لدى الرسول الاعظم و فيها كذلك دلالة اخرى على انه صلى الله عليه وسلم كان يتولى ذلك بنفسه و بمقتضى علمه العسكري و دهائه الشخصى فى ذلك. و فى مثل هذا التفرد فى تدبير امور القتال يتوفر ادق مسائل الكتمان التى هى فى الغالب مناط النصر و الغلبة و كان صلى الله عليه وسلم يوزع المهام العسكرية و يعقد الرايات و يوزع الاسلحة و كان هو الذى يتصرف بأمر الغنائم وفق خطه معلومة. بل كان يحسن اختيار المقاتلين و يرفض خروج قوم معه للقتال و يؤمر على السرايا و غيرها... لقد علمنا ان نشأة الرسول البيئية لم تكن نشأة عسكرية

تجعله ملما كل الالمام بأمور الحرب، و عالم التجارة الذى كان له وجود فى ساحاته و اسواقه ليس عالم حرب و طعن و ضرب ولكن الله عزوجل هو الذى علم النبى اسرار هذا الامر و سلمه مفاتيح النصر و مكه من أن يحسن القيادة و يدير دفء الحرب التى تكرر عروضها فى العهد المدنى فكان احذق قائد عسكرى فى سائر المهارات الحربية و المواقف القتالية بدءا و انتهاءا. اجل ان الله عزوجل كان وراء النبى يلقيه ما يتعلم به مسائل الحرب و ما اليها و فى الآية التالية «فان رجعتك الله الى طائفة منهم فاستأذنونك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا و لن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين» التوبة/٨٣... ففى هذا النص ارشاد للرسول صلى الله عليه و سلم بأن لا يعتمد فى المواقف العسكرية على اناس ثبتت انهزاميتهم و لا التزاميتهم فى ظروف سابقة، و أمر الله نبيه أن يجاهر هؤلاء الناس - بأعيانهم - بقرار ابعادهم عن المجال العسكرى الاسلامى الذى كانت السياسة الحربية فيه تعتمد الايمان بالقضية المشتركة و تؤمن بأن الحرب فى الاسلام حرب عقيدة على من يعتقدونها أن يؤدى حقها لدرجة الاستشهاد... ان الحرب التى كان يشهدها النبى و اصحابه و اعوانه و سائر المقاتلين كانت فى بعض الاحيان تحظى بمدد سماوى يؤيد الله به نبيه تأييدا مكينا و ينصره به نصرا عزيزا و من آيات القرآن فى هذا المعنى قوله تعالى «اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كل بنان. ذلك بأنهم شاقوا الله و رسوله و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب» الانفال/١٢/١٣... لا- سيما ما كان من امر القتال الالهى موجهها الى النبى وحده فى مثل قوله تعالى: «فقاتل فى سبيل الله لا- تكلف الا نفسك و حرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا و الله اشد بأسا و اشد تنكيلا» النساء/٨٤... [ صفحة ٤٣] فان القتال هنا موجه ضمنا الى الامة التى خوطب بالقتال نبيها و قائدها اشعارا بوحدة المهمة و تمثيل القائد للامة... قوله تعالى «لا تكلف الا نفسك» اى اذا لم يكن فى الساحة غيرك من المقاتلين و كان عددهم قليلا او جد قليل فان عليك اقتحام الساحة وحدك ان لم تكن هناك استجابة تامة لتحريضك و فى هذا دليل على عظم ثقة الله برسوله اذ يزج به فى المعامع الثقالة و هى شهادة من الله للذات النبوية المتميزة بأعظم المزايا و الطاقات و فى مقدمتها اتسامها بالبطولة الرائعة المتفردة على أن الله كان لطيفا بنبيه و كان فضله عليه عظيما ابدا ففى مثل الموقف الذى زج الله نبيه فيه منفردا كان الله يعينه بفريق قتال عظيم هو فريق الملائكة... ان امر القتال فى الاسلام خرج غير قليل عن نظامه عند العرب قبل الاسلام. و لذلك كان الذين يقبلون على المشاركة فى الحرب مع الرسول انما يفعلون ذلك عن ايمان و رغبة فى الحصول على احدى الحسينين الشهادة او كسب المعركة و لذا نرى اناسا من المقاتلين يقبلون على النبى يسألونه أن يجعل لهم حظا فى المشاركات القتالية فكان عليه الصلاة و السلام يرد عليهم «لا أجد ما أحملكم عليه» فليس عنده سلاح و لا- أفراس فكانوا يرجعون عنه و هم يبكون. و هذا معنى قوله تعالى «و لا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا و اعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون» التوبة/٩٢... ان الحرب فى اعراف اهل الجاهلية الاولى غير الحرب فى عرف الاسلام و هذا - كما قلنا - جعل المقبلين على المشاركة فى الحروب النبوية يكون فيهم المتردد و المتعاس و غير الجاد، و فى القرآن الكريم ما يشير الى أن المنافقين خاصة يذعرون عند نزول آية قتالية... «و اما تخافن من قوم خيانه فانبذ اليهم على سواء ان الله لا- يحب الخائنين» الانفال/٥٨... حين يذر قرن الخيانه من قوم بما يريدون به الوقعة بالاسلام و اتباعه و تقوم الادلة على ذلك من طرق شتى تصل منها حقيقة الامر الى المسلمين و الى رسول الله مهما كان حجم تلك الخيانه فلا يجوز مباحته العدو من غير اشعاره بالتحرك ضده و هذا معنى قوله تعالى (فانبذ اليهم على سواء) اى اخبرهم بانك اكتشفت خيانتهم و انك مقبل على تأديبهم و استئصال شأفتهم و ذاك هو الخط الاسلامى فى التعامل مع أعداء خبثا و اشداهم سطوة و بطشا مما يفهم ان لا عدوانية فى السلوك العسكرى الاسلامى على احد... و قوله تعالى (و اما تخافن) لا يعنى الظن المجرد من موجبات الثقة و اليقين و انما يعنى الحالة التى يثبت بها ان هناك قوما يعترمون خيانه عهدهم و نقض ميثاقهم بالقوة التى يستقر منها فى النفس حجم كبير و بديهي ان قيادة الامة فى مواجهة جهة تنوى الغدر بها و غزوها انما يحسن ان تكون قيادة متأنية كتومة صابرة غير جزوعة و رغم ذلك ان على هذه القيادة ان تعلم الجهة الثانية بقرارها فى تأديب الخائنين و ناقضى العهود. و قوله تعالى (ان الله لا يحب الخائنين) يراد منه ان الله يبغض

الخائنين و يمقتهم و لا يريد لهم الا النكال و شدة العقاب. و فى هذا النص الذى خاطب الله به رسوله العظيم ادق ما هناك من تعبير فيما يسمى فى لغة العصر المعاصر بضبط النفس لان اكتشاف خيانة قوم معاهدين يجر الى السخط و الغضب و هما يجران الى اتخاذ اجراءات فورية جدا غير ان نهج الاسلام كان غير ذلك. «و يقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة و ذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه الموت...» محمد/٢٠. [ صفحه ٤٤ ] على أن النبى صلى الله عليه و سلم عانى فى مسيرته القتالية معاناة شديدة فى حالات كثيرة و رغم ذلك يجتاز اصعب المحن الحربية بنجاح و تفوق عظيمين. و فى الكتاب باب فى موضوع هذه المعاناة فيه تفاصيل كافية.

### الاسراء...

«سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» الاسراء/١... الاسراء بالنبى صلى الله عليه و سلم من مكة الى القدس يعد الكلام عليه مسألة اعلامية تم لها سائر مقومات الابلاغ الاعلامى فلقد وصفت الكعبة بالمسجد الحرام رغم اكتظاظها بالاصنام و وصفت القدس و هى مقر النصرانية يومذاك بالمسجد الاقصى، و لقد كان فى هذا لفت لأنظار الناس داخل الجزيرة العربية و خارجها اذ مكان فيه ما يقرر على وجه الجزم ان الكعبة ستصبح مسجدا لأتباع الدين الجديد و ان القدس سيصبح مسجدا لهؤلاء الاتباع الذين سينقلون الدين الى تلك الانحاء التى كانت تحت سلطان الرومان و بهذا قويت عزائم المؤمنين بمكة و هم فى غاية الضعف فاستبشروا خيرا و اطمأنوا الى ان الله جل جلاله ناصر دينه و مؤيد رسوله صلى الله عليه و سلم. و قلق الذين كانوا كغيرهم من الناطقين بغير العربية قلقا شديدا على ما سمعوه من الاتجاه السياسى للرسول العربى فى توسيع نطاق دعوته الى اماكن بعيدة و الاستيلاء على بيت المقدس ليكون مسجدا... ان الجانب الاعلامى فى هذا النص كان غاية متغياة قبل كل شىء لتقوية الامة التى كانت ما تزال مهددة من المشركين بالابادة و الاستئصال و كانت خديجة زوجة النبى صلى الله عليه و سلم المرأة التى ناصرته كل المناصرة و عمه ابوطالب الذى كان من حماته قد توفيا قبل حادث الاسراء و لم يكن الذين هاجروا الى الحبشة قد عادوا بعد. و لذا تعد هذه الايات قد منحت مسلمى مكة القليلى العدد فيها ثقة و رجاء عظيمين و احدثت فى نفوس خصوم الدين قلقا و خوفا اذ دب الى اذهانهم ان هناك مصدر قوة عظمى بدأ يصل الى أوساط المسلمين. هناك جانب اخبر فى قصة الاسراء التى تلاها المعراج ذلك الجانب هو ان الله عزوجل اراد للنبى صلى الله عليه و سلم ان يتصل باحداث غيبية استوعب النبى امورا يمكن ان توصف بانها امور مرئية رؤية محسوسة او انها رؤية تكاد ان تكون محسوسة و قد لخص ذلك بقول الرسول (زويت لى الارض) و ذلك بمجملة و مفصله ظاهر الدلالة على ان النبى صلى الله عليه و سلم لقي من ربه عناية خاصة كانت باهرة النتائج مما لا يكون عروض مثله للبشر بالامر المعتاد و المألوف او المتوقع... و نزداد بذلك ثقة ان النبى لم يجعل الله رسالته و مخاطبته بالوحى الحاله الوحيدة بل اضاف الى ذلك انه اخذ بيده الى مواطن من غيبه و اسرار فى كونه و كان ذلك على حد قوله تعالى «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا. الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا» الجن ٢٦/٢٧... و لا حاجة للتأكيد ان الاسراء و المعراج زادا من ثقتنا بان بشرية النبى صلى الله عليه و سلم كانت ذات مستوى متفرد زادت به شخصيته تساميا فى ملكوتها البشرى العظيم.

### المعراج...

فى القرآن الكريم «ما ضل صاحبكم و ما غوى» النجم/٢... هذا نص من نصوص سورة النجم التى جاء فى بدئها القسم بالنجم اذ هوى ثم كان الكلام الالهى نافيا ان يكون رسوله العظيم قد ضل او غوى، و جاء ذلك بتسمية النبى باسم «صاحبكم» لبيان انه معروف من قبلهم معرفة تامة اذ انه ليس غريبا عنهم نسبا و لا- قومية و لا- سكنا و ذاك امعانا فى اثبات واقع ثابت. [ صفحه ٤٥ ] و المراد



بالضلال الخروج عن الحجّة الواضحة والجد في القول و الصحة في الخطّة و قوله تعالى «و ما ينطق عن الهوى» النجم/٣... فيه تأييد مطلق لما قاله النبي لهم و ما يقوله و ذلك لدفع مظنة ان يكون كلام النبي لهم من غير كلام ربه. و جاء بعد ذلك قوله تعالى «ان هو الا- وحي يوحى» النجم/٤... و فيه حصر ظاهر لا أقوال النبي التي كان قد قالها في موضوع الاسراء و المعراج فانها اقوال صدقها الله عزوجل. و قوله تعالى «علمه شديد القوى» النجم/٥... المراد بذلك ذاته الالهية و قد نسب الله الى نفسه التعليم في اكثر من مكان في التنزيل العزيز و من ذلك «تعلمونهن مما علمكم الله...» المائدة/٤... و «و علمناه من لدنا علما» الكهف/٦٥... «و علمك ما لم تكن تعلم...» النساء/١١٣ «علم الانسان ما لم يعلم» العلق/٥... «و علمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم...» الانبياء/٨٠... اما قوله تعالى «ذو مرة فاستوى. و هو بالايق الاعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين او ادنى» النجم/٦... فانه كلام على النبي للتعبير عن حالة عروجه في السماء و هي حالة غير متصورة بصريا و لا مجال لتوضيحها صورة و اطارا لان الكلام عليها لا يدخل في شائع المصطلحات التي يتعارف عليها الناس و يتداولون بها فيما بينهم كما ان هذه المفردات ليست من فصيلة المفردات المعجمية التي ينظر الى معانيها في المعاجم. و في القرآن الكريم «أعنده علم الغيب فهو يرى» النجم/٣٥... مما يفهم منه ان الرؤية تعنى انها تجول في مدار علم الغيب فهذه رؤية لا تشبه الرؤى لدى الرائيين لأن الله جعل السبيل اليها معرفة الغيب و ادراك علمه «أعنده علم الغيب فهو يرى» اي ان من يعلم الغيب يملك الرؤية الا انها رؤية من نمط لا نعلم تفصيل اسراره... و اراد النص ان يؤيد حقيقة ما نقله النبي الى قومه من احداث العروج الى السماء و ما كان قد رآه هناك من عظيم اسرار الله و باهر خلقه و مكنون غيبه... ان ما رآه النبي في مستوغل السماء و المراد بذلك عالم الغيب البعيد عن احاطة الناس و ادراكهم انما رآه بعين الفؤاد الذي كان وراء البصر «ما كذب الفؤاد ما رأى» النجم/١١... و قوله تعالى «ما زاغ البصر و ما طغى» النجم/١٧... بيان بأن الامر وصل الى حد الابصار الطبيعي في النبي اذ وهبه الله علما ضروريا و طاقة متفردة خاصة فصار يدرك بذلك دقائق الامور مما هو خفى على سائر البشر و اذا كان البصر يزبغ في البشر احيانا فانه لم يكن قد زاغ في رسول الله صلى الله عليه و سلم. و الدنو و التدلى يعينان فرط القرب من الخالق العظيم و هو امر حين يوصف بالحسية فان المراد بذلك قوة التوكيد علما ان شيئا حدث للنبي من اقتراب مكائته من ربه. و قوله تعالى «قاب قوسين او ادنى» يراد به فرط القرب لدرجة جد محددة لا- مجال لتجاوزها الى ما هو اكثر قربا. فان اصل العبارة «فكانا قايبي قوس» لان لكل قوس قايين اي طرفين فاذا اخذت خيزرانة لدنة فطويتها لتجعل منها قوسا فانك ملت بها الى مجال لا تستطيع تجاوزه الا اذا انكسرت الخيزرانة المطوية. اي ان الله قرب النبي منه اقصى ما يقع فيه قرب عبد من ربه... و تلك مزية عالية غالية اتاحها الله لرسوله صلى الله عليه و سلم و القصد من ذلك أن لا احد بلغ من عظيم تكريم الله بالتقريب مثل هذا المبلغ في خلق الله سوى رسول الله... ان رؤية النبي لربه ثبتت في هذه السورة الكريمة غير انها رؤيا شاء الله تعالى ان يحققها للنبي فانها مما كان قد تمناه انبياء و رسل على الله. و يقول الرازي المفسر (ان الله خلق في النبي علما ضروريا) هو حتما ليس من نمط سائر العلوم امكن للنبي به فهم الاشياء و استيعابها والاحاطة بها و كذلك قلنا من قبل ان الله اذ يرسل الرسل الى اقوامهم و هم من بنى البشر [صفحة ٤٦] يمنحهم مؤهلات و طاقات تمكنهم من تلك الوساطة بين السماء و الارض في التبليغ و متطلباته و نقلها الوحي. و قوله تعالى «أفتمارونه على ما يرى» النجم/١٢... يدل على لغط حدث لدى القوم بعد وصول امر العروج اليهم و هو في الحقيقة لم يتهيأ لهم معرفة النقطة الاساسية في عالم ارسال الرسل اذ يتم اختيارهم من ربهم اختيارا مصحوبا بالتأهيل و التدريب و الزيادة في الخلق و التكوين مما يعلمه الله وحده و لا تعلم الناس منه الا الظواهر القليلة التي يؤمن بها المؤمن لصدق الدلائل عليها «الله أعلم حيث يجعل رسالته» الانعام/١٢٤...

### التأديب النبوي...

في الحديث النبوي انه صلى الله عليه و سلم قال «ادبني ربي فاحسن تأديبي». و قد لمسنا جوانب من التأديب الالهي الذي ادب به الرسول الاعظم في آيات من التنزيل كانت تلقى عليه و فيها العبرة و التأسى و مفردات الادب و الخلق الانساني المحمود. و هذه

النصوص تتردد بين الامر والايجاب و بين النهى والتحذير و فى ما يلى عدة معدودة من كل منهما اى مما هو امر و مما هو نهى... و كفى بمن يكون الله معلمه و مؤدبه ان يكون انجب النجباء فى التحصيل و التلقى و الالتزام و الاستيعاب و التطبيق و من اوليات هذا النمط التأديبى سرد قصص الانبياء و الرسل الاقدمين و ما كان قد مر عليهم ايام حياتهم من الاحداث و ما كان منهم من عزم و صبر و لياذ بالله، و القرآن لا يشبه كتابا اخر و لا يشبهه كتاب غيره فانه يتلى سرا و علانية و تؤدى به الصلوات اليومية المتكررة و لا سيما اذا اضيفت اليها نوافل و صلوات تطوع ففيها كلها يقرأ القرآن فيتعظ به قارئه و يتعظ به سامعه... ان التأديب الالهى يعد من عناوين سائر الرسالات السماوية والمراد بالتأديب الالهى تكوين شخصيات الرسل والانبياء على الوجه الذى يؤهلهم لاداء رسالاته عزوجل الى شعوبهم و أممهم. و ما زالت الآيات القرآنية تنزل على رسول الله و فيها ما يعد من مسائل التأديب الالهى الخاص لهذه الذات النبوية المتميزة من قبل رب العالمين لهداية العباد و اصلاح الامم. و من تلك الاداب العالية التى لقنها الله نبيه فاحسن تلقيها و الاخذ بها قوله تعالى «و لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا» الاسراء/٣٦... و كذلك قوله تعالى «و لا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله و اذكر ربك اذا نسيت و قل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا» الكهف ٢٤-٢٣... و من ذلك «و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك و لا تبسطها كل البسط» الاسراء/٢٩ و ما الى ذلك من الآيات التى قام على ركائزها عمود الدين فى اوساط الامم بدءا من شخصية الرسول الاعظم و انتهاءا بسائر افراد المسلمين... و كان رسول الله قد عنى هذا بقوله [ادبنى ربي فأحسن تأديبى]...

### التوجيهات التحذيرية...

وردت فى التنزيل العزيز آيات حذر الله فيها نبيه أن يقع منه ما وقع من انبياء سبقوه فى التاريخ الى أممهم اذ كان كل نبي يبعث الى قومه. و من هاتيك الآيات ما نثبته فى هذا الجدول و على ما هو ظاهر انها آيات ما نثبته فى هذا الجدول و على ما هو ظاهر انها آيات تنبيه و توجيه و تعليم و تقويم. «و لا- تكن كصاحب الحوت اذ نادى و هو مكظوم. لو لا- أن تداركه نعمه من ربه لنبذ بالعراء و هو مذموم» القلم/٤٨/٤٩... فهناك تنبيهات الهية و تحذيرات وجهها الله نبيه من اجل ان تكون من حلقات سيرته المنسقة و المؤتلفة فى آن واحد... فان صاحب الحوت و هو يونس عليه السلام كان ناقما على قومه لكن رسول الله لم يكن ناقما على قومه بل كان شديد المودة لهم و العطف عليهم، و فى النص اذ جاء بلفظ «و لا تكن» قيد [صفحة ٤٧] اتفانى غير احترازي و سائر ما يرد من مثل هذه التحذيرات لا دلالة فيه على المنع من حالة كائنه بل ان الدلالة فيه ظاهرة على انها منع من حالة كائنه فى الغير من أن تتسرب الى شخصية الرسول و ذاك قصد التمييز بين الشخصيتين النبويتين لا غير... و فى العربية كثيرا ما يكون النهى عن شىء اعلانا عن صفة شىء يراد احاطته باطار... و كذلك من مثل قوله تعالى: «و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم و ان كثيرا من الناس لفاسقون» المائدة/٤٩... اشرنا فى بعض آيات المواجهة و لدد الخصومة الى ما كان يبذله كفار قريش و مشركوهم من جهود يتغون بها ايقاف مسيرة الاسلام و صد النبي عن اعمال الدعوة و التبليغ و اخافة اعوانه بالتهديد و الترويع و ذكرنا من فنون الشر الذى كانوا يتبعونه و يتغون به الكثير و فى النص الذى نحن فى صدد الكلام عليه جاءت كلمة التحذير التى هى «و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك...» و فى استعمال هذا الحرف دليل على تفنن المشركين فى مكرهم و خبث محاولاتهم التى يظنون أنهم يغرون بها النبي و يجرونه الى مزالقهم و يحملونه على الانشغال عن بعض ما انزل الله اليه و التقصير فيه اذ كان الرسول صلى الله عليه و سلم شديد الالتزام بواجب اوصول مفردات الدين الى القوم من غير هدنة يهادنهم بها او مجاملة او تسامح. و كان الله عزوجل مع النبي يحميه و يعصمه و يشد أزره... ان الكلمة الموجهة من الله الى نبيه بلفظ «و احذرهم» توضح لنا ما قلناه من لدد خصومة القوم و خبث نياتهم و سوء خططهم. و ظاهر من مثل هذه النصوص أن الله كان يوجه نبيه توجيها مستديما الى ما يسدده و يمكنه من اداء مهمة الرسالة على أتم وجه و اهدى سبيل... «يحسبون كل صيحة عليهم من العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى

يؤفكون» المنافقون/٤...حذر الله نبيه من جماعة يتصور من يراهم أنهم من نبلاء الناس وفضلاء الرجال اذ كانوا يتميزون بجمال الهندام وقوة البنية و اكتمال الهيئة و براعة الكلام ممن لا يتهم ظاهريهم بما يسوء او يبعث على الشك ان هؤلاء وصفهم الله بأنهم يجب الحذر منهم. و يفهم من النص أن الله وهب النبي ملكة التوسم الصادق في الناس فلقد جعله اذا توسم خيرا في أحد جاء توسمه فيه مطابقا للحقيقة و اذا توسم فيه شرا كان ذلك مطابقا للواقع كل المطابقة لأن الله عندما وصف القوم لم يبرزهم بما تنكشف به حقيقتهم لأول وهلة لذلك وقع التحذير في النص من المنافقين و لذا فان التحذير يعتمد اعتماد كليا على دقة التوسم و الفطنة في الحكم على الرجال و هذا ما كان من بعض صفات الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم...

### آيات المواجهة...

حين بعث الله صلى الله عليه و سلم الى العرب في بدء رسالته العالمية كذبوه و واجهوه بالاتهامات و برفض ما جاء من ربه و قالوا فيه و في شريعته اقوالا- ثبتها القرآن الكريم ورد عليها و كذب مزاعمهم و سوء ظنهم في رسولهم. ان الناظر في آيات المواجهة هذه قد يأخذ منه العجب كل مأخذ لشدة هذه المواجهة و لعنف ما لقيه الرسول من هؤلاء الناس من مقاومة و لضروب كثيرة من اساليب رد الدعوة التي مما اتخذها المشركون و الكافرون مما هو منطقي و غير منطقي ليذهل العقل البشري اذ يرى محمدا بن عبدالله واقفا امام هذا التيار الالحادي الرهيب حتى استطاع ان يجاوز هذه المحن المتتابة...لم يكن من الهين على أمه متشئة الاهواء كل فرد من افرادها يرى انه هو الأمة بكامل وجودها و هي في معتقدها الديني تعبد الاوثان و الاصنام كما أنها [صفحة ٤٨] تحتكم الى السيف في الامر الذي يحتاج للاحتكام فيه الى العصا...اجل لم يكن بالهين على مثل هذه الامم أن تستجيب لرجل منها ظهر في اقرب مدنها الى الحضارة و التطور فتؤمن برسالته التي دعاها فيها الى عبادة الله وحده و نبذ ما هناك من الاصنام التي تصنعها بيدها و تقبل بكل طواعية على عبادتها...أجل لم يكن من الهين على مثل هذه الامم أن تتخلى بين عشية و ضحاها عن جميع ما ألفته من التقاليد التي لبثت عاكفة عليها الدهر الطويل، لا سيما حين تكون تلك التقاليد قد باتت قيما راسخة و مثالا ثابتة لها جذورها في اعماق نفوسهم و قد ورثوها من آباءهم و آباء آبائهم و من هنا كانت المواجهة بين القوم في مكة و بين النبي و قد قامت مواجهتهم تلك على ركائز مهزورة [١٦] لا يكاد يحصيها من يحاول احصاءها... فمن مكاشرة في العداوة و مظاهره في البغضاء الى مناقشات تقوم على الاضجار و الاستفزاز الى التهديد بالقتل و الاخراج من الديار الى شتى انماط الاضطهاد و اعمال العنف و القسوة و كانت السخرية من بعض سلاحهم و الاتهام بالجنون و السحر و الشعر والكهانة من بعض تلك الاسلحة التي شهروها في وجه نبيهم. ان سائر الشعوب القديمة وقفت في وجوه انبيائها و عمدت الى ايدائهم و تسفيهمهم و كانت الرسل تتمسك بهذب الصبر و التحمل و الحلم، الا أن الذي فعله العرب في مواجهتهم الدعوة الناصحة و الكلمة الهادية قد جاوزوا كل حد في مساعي الشر و وسائل الشقاق و التعامل العدوانى الشرس الأليم...و حين تتصفح آى القرآن الكريم نرى فيها نصوصا واضحة كل الوضوح تدل على ما وقع من اهل مكة و من بعدهم اهل المدينة من بليغ العدوان و شديد الشراسة تجاه الدعوة التي دعاهم بها النبي الى الله... و قد وجدنا في النصوص القرآنية خطابات الهية تدعو الرسول الى الصبر و التحمل و فيها ما يدعوه الى الحذر من أن يميل الى القوم بشيء من المداراة و الممانعة و التوقف عن اداء المهمة على فرط ما فيها من مشقة و شديد كلفة... و قد كان النبي الناصح الامين يعانى العناء الكبير الذي يتجدد على مدى الايام مما لم يقع مثله لنبي من الاقدمين و أنا مشيرون الى هذه الجوانب بايراد الآيات التي تضمنت نصوصها و ربما عمدنا الى شرح فريق منها لوضع كل صورة في اطارها و كل نقطة على حروفها ليعلم من ينظر في هذا الكتاب عظم جهد النبي صلى الله عليه و سلم في تدبير الامور و السير بخطوات الدعوة الى ابعاد غايات التوفيق و النصر [صفحة ٤٩] و النجاح. ان ذلك كله بل بعضه ليدل على عظمة هذه الشخصية التي شاء لها الله أن تنفرد برشيد الرأى و سديد الأمر و مزايا الكمال التي اجتازت بها جميع المصاعب و المشاكل و محذقات الاخطار فبات الاسلام دين العالم كله يرى له في كل اقليم عمود من نور يهدى الناس الى البر و صالح الاعمال...ان بعض مفردات

المواجهة تعتمد على التكذيب المطلق بلا روية ولا حجة ولا شبهة لأن موقف هذا النفر الذين يقفون هذا الموقف ليس موقف جدال و حجاج و انما هو موقف الرد الشرس من اول لحظة... و بعض مفردات هذه المواجهة يقوم على تكديس المقترحات غير المنطقية اى ما يتضمن المطالب التعجيزية لغاية التعجيز لا غير... و هؤلاء لو تمت الاستجابة لكثير من طلباتهم لما كان لذلك ما يقدم او يؤخر فى ساحة الدعوة من استجابة و قبول... و قد كان من غريب ما حديث فى المواجهة ان اكتشف القوم فى المدينة وسيلة النفاق فراحوا يقولون «منوا وجه النهار و اكفروا آخره» آل عمران/٧٢... و جاء فى بعض ذلك النص القرآنى «و اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا و اذا خلو الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحم مستهزئون» البقرة/١٣... و فى ما يلى نماذج من نصوص المواجهة على تعدد اشكالها و اتساع احجامها و ثقل اوزانها... «و اذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا و يكفرون بما وراءه و هو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين» البقرة/٩١... من بعض آيات المواجهة فى العهد المدنى الكلام فيها كلام على الكتاب و يكادون يكونون على وجه الحصر من اليهود. اذ ان اليهود حين دعوا الى الايمان بكتاب الله يقولون انهم يؤمنون بكتابهم لا غير، و قد ناقشهم النص القرآنى بأنهم كانوا يقتلون انبياء الله. و قتل انبياء الله ينفى الايمان، بما ادعوا الايمان به من كتابهم. و هى حجج تدحض حججهم و حقائق تبطل مزاعمهم... ان فى آيات المواجهة لتأريخا لوقائع الكفر و الايمان و التجاذب العدوانى الشرس فى ساحة هذه المواجهة التى امتدت الى آخر ايام الاسلام. و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم وحده الجهة التى تبرز فى ساحة كل مواجهة دائمة غير منقطعة و متصلة غير منفصلة خلال ثلاث و عشرين سنة هن ملاك الدعوة الدينية فى العهد المكى و المدنى... «و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا و لا يهتدون» البقرة/١٧٠... من آيات المواجهة المدنية و غالب ما كان يرد من ذلك كان يعقب عليه بتعقيب قرآنى يبطل به خطط الكفر و اساليب الشقاق و الذى تضمنه النص هنا هو على ذات الخط الجدلى فى آيات المواجهة... «فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات و الزبر و الكتاب المنير» آل عمران/١٨٤... «أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» النساء/٨٢... «و قد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذن مثلهم ان الله جامع المنافقين و الكافرين فى جهنم جميعا» النساء/١٤٠. [ صفحة ٥٠ ] فى هذا النص المدنى اشارة الى بعض انماط المواجهة اللثيمة اذ كانوا يجتمعون ساخرين عابثين عند نزول الآيات و ذلك على نحو ما كان يقع من تصرفات الكفار ايام العهد المكى مما يفهم منه أن سبيل الكفر غالبا ما يكون واحدا رغم اختلاف البيئات... و قد حذر الله المؤمنين من مواصلة الصحبة و الرفقة مع الذين يكفرون بآيات الله و يسخرون منها اذ امرهم بمغادرة المكان استنكافا من مجالسة اهله و احتجاجا على موقف العدوان الرخيص تجاه آيات الله البينات... «و اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله و الى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا- يعلمون شيئا و لا يهتدون» المائدة/١٠٤ «و لو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين». الانعام/٧ «قل لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا اعلم الغيب و لا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى و البصير أفلا تتفكرون» الانعام/٥٠. «قل انى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع اهواءكم قد ضللت اذن و ما أنا من المهتدين». الانعام/٥٦ «و ما قد روا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا و هدى للناس تجعلونه قرطاس تبدونها و تخفون كثيرا و علمتم مالم تعلموا انتم و لا آباؤكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون». الانعام/٩١. «أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا و ان كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكننا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم و هدى و رحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله و صدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون» الانعام/١٥٦/١٥٧. «أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين» الاعراف/١٨٤. «أكان للناس عجا أن أوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين» يونس/٢. «و يقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما انت منذر و لكل قوم هاد». الرعد/٧. «و قالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون. لو ما

تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين. ما نزل الملائكة الا بالحق و ما كانوا اذن منظرين» الحجر ٧/٦. من بعض آيات المواجهة التي تسجل على كفار القوم موقفهم العدائي من رسول الله صلى الله عليه و سلم و رسالته السماوية السمحة فيرى حجم المخاشنة و لؤم الخطاب ظاهرا في ما وجهوه الى الرسول من خطاب، اذ كان خطابا خاليا من آداب الخطاب كله لغو و هجو و سباب. و قد تكرر على لسان هذا النمط من الزمر المنكرة للدين أنهم يطالبون بالالتقاء بالملائكة و قد عقب النص القرآني على كلمتهم هذه بأن الملائكة لا تنزل استجابة للرغبات و الاهواء...«نحن اعلم بما يستمعون به اذا يستمعون اليك و اذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا» الاسراء/٤٧. لم يكف القوم أن زعموا أن الرسول ساحر وانما راحوا يزعمونه مسحورا أى تحكم فيه السحرة. في حين أن الساحر لا- يسحر... [ صفحة ٥١ ] «و ان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفتري علينا غيره و اذن لاتخذوك خيلا» الاسراء/٧٣. فى النص ابراز صورة الكفر و العناد ولدد فالخصومة بما لا- يقال فيه انه صورة مكبرة بل انه صورة لواقع المكر الشرس المخاشن الناهض بكل ما فيه من قوة تحد فى وجه رجل واحد...اجل لقد حاولوا ان يصرفوا النبى عن وجهته و ان يمسكوه عن المضى فى خطته و هم يدثرون دثار العداء السافر يغرونه لينهج منهجهم و هو ما وصفه الله بقوله «لتفتري علينا غيره» و من فرط مكابرتهم فى عدائهم هذا كانوا يمنون النبى بأنهم سينتقلون الى عالم الود و الصداقة اذا استجاب لامرهم و مال الى معايبهم و نزع من عنقه رقة الاسلام و الايمان...لقد كان النبى يسمع هذا الذى يقولون و ينظر الى هذا الذى يصنعون و هو بأسف لعقول هداها الله الى الحقيقة كيف تضل و ترضى لنفسها الشقاء فى ظل اوثان و اصنام لا تعقل و لا تملك أن تصنع له خيرا او سوءا و لا تملك ان تدرا عن نفسها ضربة فأس اذا اهوى به على رأسها... ان هؤلاء القوم على ما يلاحظ لم يكونوا ينسبون لأصنامهم شيئا من فضيلة او شيئا من مزية او انهم ينسبون للخالق العظيم الذى جاء النبى يدعوهم الى عبادته اجل لم يكونوا يملكون ان ينسبوا اليه عجزا او غيابا عن الوجود او ضعفا او حاجة يحتاجها للغير. لقد كان من اصول المواجهة التى و وجه الرسول الاعظم بهذا الذى جاء به النص القرآني الكريم.»و ان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها و اذن لا يلبثون خلافاك الا قليلا»... الاسراء/٧٦ كانت تحركات كفار مكة و مشركيها تهدف الى اخراج النبى و اخراجه من مكة، ولكن الآية الكريمة حذرتهم بأن النبى اذا خرج من مكة فانه سيرجع اليها بقرآنه و شريعته و جملة أتباعه و اعوانه...و انه اذا غادر مكة فسيرتاحون بعض الوقت و ليس الى الابد أو الى أمد طويل لان رسالته ستمتد فى كل بطاح مكة و تنتقل الى شتى انحاء الجزيرة العربية...و ذاك هو معنى النص الذى يفقد خصوم المتربصين به لذة انتصاراتهم الموهومة على النبى اذا ما خرج من مكة أو أخرجه...«ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه و هم يلعبون لاهية قلوبهم و اسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفأتأتون السحر و انتم تبصرون. قال ربى يعلم القول فى السماء و الارض و هو السميع العليم.»الانباء/٤-٢. «و ان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و ثمود. و قوم ابراهيم و قوط لوط. و اصحاب مدين و كذب موسى فأملت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير» الحج/٤٢/٤٤...«و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنية فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم» الحج/٥٢. مما يدخل فى مجال المواجهة أن مشركى القوم فى مكة و كفرتهم كانوا اذا سمعوا النبى يتلوا القرآن فى صدد انكار شركهم و الغاء شأن آلهتهم كانوا لفرط ضلالهم يتوهمون النص على غير ما جاء به من صريح القول و واضحه كالذى وقع حين قرأ النبى قوله تعالى: «افرايتم اللات و العزى، و مناة الثالثة الاخرى. ألكم الذكر و له الانثى، تلك اذن قسمة سيزى، ان هى الا اسماء سميتها و انتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا- الظن و ما تهوى الانفس و لقد جاءهم من ربهم الهدى» النجم/١٩/٢٣... [ صفحة ٥٢ ] فانهم من فرط رسوخ الكفر فى نفوسهم و شدة الحقد على نبيهم و رسولهم توهموا انه قال اشياء لصالحهم و راحوا يتناقلون هذا الوهم و هم يعلمون ان الخط الايمانى الذى ناط الله بالرسول الالتزام به لا مجال لاي تحول فيه و ما زالت الايات القرآنية تشدد النكير على الدين يحرفون الكلم عن مواضعه و يروون امورا لم تقع و لا تصح روايه تروى وقوعها و فى امر هذا النص قد قلنا ما فيه الكفاية فى موقعه من الكتاب.»و اذا تتلى عليه آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالدين يتلون عليهم اياتنا قل أفأنتنكم بشر من ذلكم النار وعدها الله

الدين كفروا و بس المصير» الحج/٧٢... لم يكن خصوم النبي صلى الله عليه و سلم فى العهد المدنى بأقل شرا و عدوانا على المسلمين منهم ابان العهد المكى. و فى النص ما يكشف عن هذه الحقيقة بوضوح كبير. و قد جاء وصف هؤلاء الخصوم بظهور المنكر على وجوههم و التمعر و الشراسة و ليس ذلك وحده بل انهم وصفوا بأنهم يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آيات القرآن... و ذلك من آيات المواجهة و المعاناة التى كان الرسول الاعظم يواجهها هو و اتباعه فى المدينة... و المراد بالذين «كفروا» - هنا - جمهرة خصوم النبى من مشركين و منافقين و يهود. و كان صلى الله عليه و سلم يقف كالطود الشامخ فى وجوه هؤلاء جميعا... «و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا» الفرقان/٧. «و ما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق و جعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون و كان ربك بصيرا» الفرقان/٢٠. المراد من أن النبى يمشى فى الاسواق و يأكل الطعام أنه يتسوق طعامه من الاسواق و يأكله فى بيته و ليس فى الطريق و ما هو ماش... «و قال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا...» الفرقان/٣٠. كان الرسول صلى الله عليه و سلم يجنح الى الله بالشكوى من سوء موقف القوم من الدين و الشريعة و يتجه الى الله شارحا الوضع و مفصلا الحاله و عارضا المعاناة و فى هذه دلالة على عدم الانقطاع عن الله على مدى ساعات الحيا و دقائقها و جاءت العبارة القرآنية بما لا يترك للظان ان يظن ان ما وقع من القوم فى هجر القرآن و الغفلة عن بيناته انما كان عن غير قصد مقصود... اذ قال النص «اتخذوا هذا القرآن مهجورا» و الاتخاذ هو عمل اصرارى غير طارىء على النفس من وسوسة شيطانية آتية. والعبارة القرآنية فى سبكها هذا غاية فى بلاغة التعبير و دقة ايقاع الحجة و توجيه التهمة و المسؤولية. اذ لو جاء النص بلفظ هجروا هذا القرآن لكان فى ذلك ما يصور هذا الهجر و قد وقع عن غفلة أو جهل او عن غير عمد و هو مما يخفف المسؤولية و لا ينحى بشديد اللائمة على الجهة الهاجرة للقرآن لا سيما اذا ادعى هاجروه شيئا من ذلك... اما اذ جاء النص بلفظ اتخذوا فان العمد ظاهر فيه... قوله تعالى «و قال الرسول يا رب ان قومى» بنسبة القوم الى نفسه و هم مجرحون بجريرة اتخاذ القرآن مهجورا عن عمد لا عن سهو يفهم منه ان الانتماء القومى لا يبطل بسبب كفر أو معصية و من هذا القبيل قوله تعالى «و الى عاد اخاهم هودا» و هود هو نبى معروف. و «عاد» قومه الذين بعث اليهم و هم كفار يومذاك لان الله لم يقطع الخيط الاخوى بينه و بين قومه. «و قال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا. و لا يأتونك بمثل الا جتناك بالحق و أحسن تفسير» الفرقان/٣٣-٣٢... [ صفحة ٥٣ ] من آيات المواجهة التى كان للكفار فيها بعض الحظ فى الجدل و النقاش و المراجعة اذ قالوا انهم يرون أن ينزل القرآن مرة واحدة. فأوضح لهم الله الحكمة فى هذا التنجيم و هو حقا النهج السديد فى نزول التنزيل اذ استغرق امد نزوله ثلاثا و عشرين سنة تلقت الامة خلالها حقائق هذا الدين العظيم و استوعبت احكامه بتسلسل سليم و حفظته على ادق وجه و اهدى سبيل... «ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لو لا أن صبرنا عليها و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا» الفرقان/٤٢... موضوع العبادات لا سيما ما كان منها باطلا لا شأن للعقل فى ابطاله أو تركيته، و كفار مكة - والآية مكية - و رثا الوثنية من آباءهم و من اسلافهم فصار ذلك عرقا فى نفوسهم عميقا. و النبى صلى الله عليه و سلم انما كان يخاطبهم بالعقل و المواعظة الرشيدة و الدلائل البينة. فالامر ليس بالهين اليسير و ان كانت حجة النبى تغلبهم و تدحض حججهم. و كان اصرارهم على كفرهم شديدا و صبرهم على ضلالتهم صبورا لا صبرا على شىء يفوقه و يزيد عليه الا أن تمكن النبى من هز متفداتهم و اضعاف شأنها فى أنفسهم قد بلغ مبلغا ملحوظا فى ساحة الدعوة و ذلك باعترافهم اذ قالوا «ان كاد ليضلنا على آلهتنا لولا أن صبرنا عليها...» و من هنا يفهم عظم الاقتدار النبوى فى مواجهة قوم كان عرق الكفر فى نفوسهم عميقا جد عميق... «و قالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله و انما نذير مبين» العنكبوت/٥٠. «و اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير» لقمان/٢١. «و من اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون»... السجدة/٢٢ مثل هذا النص قد تكرر فى آيات التنزيل على مختلف وجوه التعبير و ذاك لأنه يمثل حقيقة ثابتة فى اصول الدعوة الدينية تحمل المعرضين عنها مسؤولية ذلك... «و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد. أفترى

على الله كذبا أم به جنه بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد» سبأ ٨/٧. «و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افكك مفترى و قال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين. سبأ/٤٣. الآية مكية و هي من آيات المواجهة الذريعة التي اطلق فيها كفار القوم ألسنتهم بالسوء، اذا وصفوا القرآن بالافك المفترى و وصفوه بالسحر المبين و ليس في مثل هذه الاقاول من معنى جدلى أو من نقاش منطقى و انما هو صوت العناد و التكذيب و الاصرار على الكفر و مثل ذلك يعد من اضعف الحجج فى مواجهة شرع و عقيدة ينزلها لها الله من السماء لهداية عباده على يد رجل من اكرم الرجال و اعظمهم خلقا و حكمة و حلما، و اطولهم باعا بكل ساحة جدال منطقى سديد.» و ان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك و الى الله ترجع الامور» فاطر/٤. «و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا» فاطر/٤٣... الآية مكية و فيها ما ينوه بأن بعض اهل مكة كانوا على مستوى من الادراك جعلهم يتمنون أن يبعث الله فيهم نبيا منهم على نحو ما كان من بعثه رسلا الى اقوامهم و هو مما يقع لكثير من العقلاء ينظرون فى واقع امرهم المتخلف اذا ان عبادة الاصنام كانت تجرح كبرياء فريق منهم ولكنهم بعد أن جاءهم الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم [ صفحة ٥٤ ] ركبوا مركب العناد القديم و الجاهلية المتوارية و الاصرار على الكفر... «و اذا رأوا آية يستسخرون، و قالوا ان هذا الا سحر مبين» الصافات ١٥/١٤. «انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون. و يقولون أننا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون. بل جاء بالحق و صدق المرسلين». الصافات ٣٧/٣٥. «و عجبوا أن جاءهم منذر منهم و قال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الالهة آلهة واحدا ان هذا لشيء عجاب. و انطلق الملائكة منهم أن امشوا و اصبروا على ألهتكم ان هذا لشيء يراد. ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق. أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل يذوقوا عذاب» ص ٨/٤... من بعض آيات المواجهة التي كان القوم يواجهون بها النبي فى البيئة المكية و تبدو على مواجهتهم هذه صرامة الخطاب و شراسة اللقاء و اللجوء الى مخزقات القول فى تكذيب الحجج القرآنية تكذيبا لا يقوم على دليل او برهان و انما هو القول الملقى على عواهنه... و بديهي أن اللغظ الذى لا طائل فيه لا يقف فى وجه ما جاء به الرسول الاعظم من عقيدة رشيدة و حكم سديد و ملة كلها هدى و رشاد... اما عجب القوم ان يبعث الله لهم نبيا منهم فانه ادعى الى العجب انهم يعلمون بان هناك امما و شعوبا بعث الله اليهم انبياء منهم كاليهود و غيرهم و ذاك امر مستفيض غاية الاستفاضة و اليهود كانوا يعايشون العرب فى اليمن و الحجاز و المسيحيون كانوا يعايشونهم فى ديار الشام و يعرفون من امرهم ما يعرفون فى الحبشة التي كان ذهابهم اليها و قدومهم منها حالة معتادة مألوفة لذلك يعد عجبهم من ان يبعث الله لهم نبيا منهم عجبا مصدره العناد و كان العناد ابدا عاهة لا علاج لها. اما قولهم (أجل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) فان العجاب ان تكون الالهة متعددة و ليس الها واحدا غير ان مصدر هذه المقولة ان العرب كانوا يتحدون لهم الهة تختص كل قبيلة باله منها و من هنا بعدت الشقة بين هذه القبائل و صار امر تجميعها و تاليفها مسألة من الصعوبة بمكان و اذ جاء النبي صلى الله عليه و سلم بشريعه توحيد الاله و تبطل سائر المعاييد التي ألهاها العرب يومذاك... و لم يكن هينا على عبده الاوتان هؤلاء ان يهجروا ما اتحدوه لا نفسهم من اوثان يعبدونها و اصنام يقربون لها القرابين و تنتمى اليها قبائلهم و يعبدونها رمز وجودهم و تجمعاتهم و فى توحيد الالهة فى اله واحد ما يروونه قاضيا على انسابهم و انتماءاتهم القبائلية و تقردهم فى بيئتهم بالتمكين و السلطة فى حين ان النبي جاء يجعل من سائر قبائل العرب امه واحدة لا تمايز بين قبائلهم و عشائرهم و بطونهم و افخاذهم، و قد تحقق ذلك بما بدله الرسول الاعظم من صبر و جلد و تحمل و كبير اصرار على نشر الدعوة فى سائر اوساط الجزيرة. و كان حريا بالعرب أن يهللوا لمن جاءهم بدعوة التوحيد ليخرجوا من مجالات التفرق الى ساحات التجمع لينجوا من اطماع الروم و الفرس و لينجوا كذلك مما يدب بينهم من الشحنة و الشقاق و الغزو الداخلى الذى اضعف من قوتهم و شتت من طاقتهم و آونة على بكر اخينا اذا ما لم نجد الا أخانا فكانوا اقصى امه قست على نفسها و تجنت على شخصيتها فلنستمع اليهم و هم يقولون فى رسولهم (و قال الكافرون هذا ساحر كذاب، اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق). فأى سحر ترى و اى كذب فى دعوة النبي قومه الى الواحدة و نبذ الالهة المتعددة. و حين انتهت جهود الرسول فى هذا

الميدان بالتوفيق بعد انتقاله للمدينة، وقد حقق الله له ما كان يصبو [صفحة ٥٥] اليه من توحيد الامة والقيادة ادركت العرب انها ضلت السبيل في مواجهة الرسول العظيم بأتهاماتها الجائرة لشخصيته العظيمة بالكذب والسحر وما الى ذلك مما كان لا يليق ان يقع منهم تجاه هذا المحذر والناصح والناقد المجالد من اجل الحق جلادا لم يعلق به الفتور ولا التخاذل ولا اليأس...«وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون» فصلت/٥...المواجهة هنا ظاهرة الشراسة وهم يعلنون سلفا أنهم لن يسمعوا ولن يستوعبوا ولن يطيعوا ووصفوا اسماعهم بأن فيها وقرا وقلوبهم بأن عليها اغطية ومغاليق وأن بينهم وبينه عازلا- وحاجزا يحول بينهم وبينه. وفي النص شيء من التحدي الذي لم يكن يفت في عضد النبي ولا يمسكه عن الصدع بالحق في اوساطهم المنغلقة على العناد والعتو والعصيان... ان عظمة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم لتتجلى في مثل هذه المواقف العدائية المكاشرة، اذ كان يعرف كيف يستحوذ على عقولهم وقلوبهم ويسد عليهم منافذ حججهم ومزاعمهم حتى جاءه نصر الله. وفي ذلك ما يوضح لنا عظمة هذه الشخصية التي لم تكن تتعرض للاستفزاز الذي كانوا يريدون تعريض النبي له عساه يلوذ بالصمت ولا يظل يلاحقهم ويناقشهم ويكتبهم...«وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغو فيه لعلكم تغلبون». فصلت/٢٦. من آيات المواجهة التي جاء فيها التصريح ببعض اساليب القوم في اسكات الصوت النبوي الناطق بالقرآن في الناس. فانهم على ما وضح في النص كانوا يغطون ويلغون عند قراءة النبي القرآن كان التصارخ والزعيق من اساليب مواجهاتهم للدعوة القرآنية فلقد كان جهلاؤهم يفعلون ذلك على قلة وليس على كثرة لأن النص لم يرد بصيغة الاخبار عن ذلك بل ورد بصيغة الاشارة الى تنادي القوم الى ذلك... وكانت بلاغة الاسلوب القرآني تجرهم الى الاصغاء اليه والاستماع له والتأثر به فهو القرآن الذي لو انزله الله على جبل لخشع له وذاك كناية عن عظم تأثيره في ذوى الحس والادراك من البشر لا سيما متذوقى البلاغة من العرب. ان النص القرآني يسرد لنا بعض محاولات المشركين في مكة تجاه النبي ليصرفوه عن المضي في وجهته التي امره الله أن يجد فيها ويصبر عليها ويفهم من النص الكريم ان التلاوة القرآنية كانت تجد صداها في كثير من البيئات وذاك لحسن تلاوتها فضلا عن سمو كلماتها وجلالة محتوياتها، والظاهر انها كانت تلاوة منغممة متلوة بلحون العرب يومذاك... والمعاناة هنا واضحة فان النبي اذ كان يتلو القرآن على القوم فكان فيهم من يضجج ويهرج فان ذلك ليرتك في النفس هما وحرنا كبيرين اذ قد يكون رد الفعل موجبا للتوقف قليلا والاستمرار مثل ذلك والمعاناة في كلتا الحالتين معاناة قاسية وثقيلة وانا لنستدل بذلك على حسن حكمه النبي التي كانت تسنده في معالجة الموقف العدائي الذي كان يتكرر في اكثر من بيئة ووقت... وقوله تعالى «وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» يصرف الى ان متنفذين في القوم كانوا يدعون الناس الى اللجوء الى اللغو عند التلاوة... انها صورة من صور المواجهة المعادية للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في أول نأنة الاسلام يوم كان الاعوان قليلين ومعظمهم من المستضعفين... ودعوة الداعين الى اللغو عند تلاوة القرآن لم يصرح القرآن بالفاظ لغوهم التي كانوا يلغونها ولكنها حتما من لئيم القول وقاسى الكلام و سيئه يبتغون بذلك السيطرة على جو التلاوة و اشاعة الرعب والتهويش مكان الطمأنينة وحسن الاصغاء... على ان هذه الوسيلة المتشعبة لم تفد القوم في الوقوف تجاه تيار القرآن فلقد آل الامر الى انصرافهم الى اخذهم بهديه وتمسكهم بحبله وانصياهم اليه... فلقد ظهر الحق وجاء امر الله... [صفحة ٥٦] «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون» الزخرف ٣٢/٣١... من متابعة آيات المواجهة نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوقع من خصومه في العهد المكي خاصة ضروبا من الاعتراضات والمزاعم التي يرونها تمسك الجهة الداعية الى الله أن تصنع شيئا. وهنا نرى القوم قد مالوا في جدلهم عن صميم الدعوة وعن صريح محتواها الذي كانوا انكروه جملة وتفصيلا الى مقترحات ترجح ان يكون النبي المرسل هو فلان وفلان وهم في ذلك مخفقون وخائبون لأن الرجل الذي اختاره الله كان ذا مكانة اجتماعية وسديد عقل وكبير حلم وسلطان في الناس واداب عالية ونسب رفيع فما يكون لمن اقترحوه بحمل رسالة السماء أن يبلغ مبلغ رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم... وفي



النص القرآني في الرد على مقولة هؤلاء القوم ما يكتبهم و يفحهم بأن الله آتاهم من الفضل ما ليس بزائد لهم فيه من شيء، و وبخهم النص توبيخًا لادعاء و زجرهم أن يتدخلوا في اقدار الله في عباده... «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا...» «أني لهم الذكرى و قد جاءهم رسول مبين. ثم تولوا عنه و قالوا معلم مجنون». الدخان ١٣/١٤. «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين. أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئًا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدًا بيني و بينكم و هو الغفور الرحيم. قل ما كنت بدعا من الرسل و ما ادري ما يفعل بى و لا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى و ما أنا الا نذير مبين» الاحقاف ٩/٧. «بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب. أنذا متنا و كنا ترابا ذلك رجع بعيد» ق ٣/٢... من بعض آيات المواجهة التي لجأوا فيها الى شيء من الجدل العقلي اذ عجبوا أن يكون هناك حشر و نشر يعودن به الى الحياة... ان الجدل القرآني دائما يعلو بحجته على كل جدل آخر، و في تضاعيف القرآن ما نوقشت به هذه الامور. و لا يرى في شيء مما يحتج به الكفار اذا لجأوا الى الجدل المنطقي ما فيه احراج للرسول او افحام للانبيا و النذر و انما تكون المواجهات مزعجة و مسئة اذا لم يكن في محتواها سوى الانكار و التكذيب... «بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج». ق/٥ «فذكر ما أنت بنعمة ربك بكاهن و لا- مجنون. ام يقولون شاعر ترصد به ريب المنون. قل تربصوا فاني معكم من المتربصين». الطور ٢٩/٣١ «و ان يكاذ الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر و يقولون انه لمجنون» القلم/٥١. ليس في الآية ما يصح ان يفسر بالاصابة بالعين او ما يسمى بالعائنية و انما كان القوم اذا سمعوا الذكر الذي فيه من بليغ الكلام و جزله و رقيقه مما يحقر معايبهم و ينفذ شركهم و ذاك من مثيرات الحقد في نفوسهم و الغيظ في قلوبهم بحيث يتمنون البطش بالرسول صلى الله عليه و سلم فلا- يقدرون، فادعاء الجنون للرسول كسائر ادعاءات خصومه لا- يقوم عليه من الادلة ما يحصيه في عداد الواقع و انما هو كلام يراد به التنفير و هي قالة اكثرها من اذاعتها في الناس سابقا مثل قالة الشعر و الكهانة، و اما الازلاق بالابصار اثر سماعهم الذكر فانه تعبير عن الهم بأيداء الرسول و اخافته. و ورود النص بلفظ (و ان يكاذ) ابعد هذا الامر عنه صلى الله عليه و سلم فلم يكن يؤثر فيه ادنى تأثير [صفحة ٥٧] و التعبير جاء بالاخبار عن محاولات جماعية يغلب على الظن انها اريد بها ذلك، و المعروف في التجمعات ان تكون على احدى حالتين ان يأتي القوم او ان يؤتوا و الثابت ان الرسول كان هو الذي يقبل عليهم في مجالسهم فكان ذلك يؤجج سعار غيظهم فكانوا ينظرون اليه شزرا محرقين الأرم في رؤيته. «فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين و عن الشمال عزيزين»... المعارج ٣٦/٣٧. من آيات المواجهة مما نزل في العهد المكي اذ كانت للكفر اكثر من صولة... اذ صور لنا النص القرآني جماعة الكافرين و قد التموا على الرسول صلى الله عليه و سلم من سائر الجهات محققين به و قد ظهروا بمظهر المستخف المستهزىء المكابر، و يبدو من تمام النص انهم كانوا من بعض ذوى الشأن في البيئه اذ جاء فيه «فلا أقسم برب المشارق و المغرب انا لقادرون. على أن نبدل خيرا منهم و ما نحن بمسبوقين» فانه بدأه الله بقسم عظيم و ذاك مما يشعر بأهمية الموضوع و قوة فحواه و محتواه ثم قال: «على أن نبدل خيرا منهم» فلو كانوا من وضعاء القوم و رعايمهم لما قال فيهم ذلك... و قوله تعالى: «و ما نحن بمسبوقين» أى نجدت من يملك أن يسبقنا الى ما يريد دون ما نريد و قوله تعالى في صفتهم «عزيزين» أى متحلقين حلقات امعانا في التكتل و اخافة للنبي في وضعهم ذاك... و قوله تعالى أول النص: «فما للذين كفروا قبلك» يعنى الاستفهام التهكمى الذى يحمل الاستغراب من وضع كان عليه القوم غير آبهين... والصورة التي صورها النص تبدو فيها العدوانية الشرسة القاهرة في الشكل و الموضوع. لدى تلك اللمة الجاحدة للدين الذى جاء به سيد المرسلين أما قوله تعالى: «أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنه نعيم» يفهم منه أنهم كانوا يرون الجنة مرهونة بمعتقداتهم الباطلة فما يجدون في الاسلام اذا اعتنقوه مما يقدم او يؤخر... في هذا النص انموذج من المواجهات العدوانية التي كان النبي يلقاها من قومه ابان العهد المكي فكان عليها ذا صبر عظيم و تحمل ملحوظ كبير مما يتبين منه عظم حلمه صلى الله عليه و سلم و حسن دفعه الخصوم ناقل ضجة او توسيع لمجال الخصام و كان ما ينزل من القرآن لساعته اماره تدارك البارى العظيم لرسوله من اشتداد الهم في صدره و تكاثف الضجر في نفسه و تمكين التفاؤل بالنصر و الغلبة له... ان العربى يستعظم الهجو و يؤذيه أن توجه اليه القالة القاسية و ماداموا هم

يلجأون الى ذلك في نعت النبي فقد كان جزاؤهم من جنس عملهم اذ اطلقها الله في من اشتد شره و عظم عدوانه فقال فيه «هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال و بنين، اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين» القلم ١٥/١١. وهذه الالفاظ على ظاهرها ما فيها من قسوة ليست ثالبة عرضا و لا جارحة كرامة و لا موجهة الى أحد ممن قيلت فيهم تهمة من شنيع التهم و انما هي الفاظ قصد بها الاستخفاف و الازدراء و التهكم ليشعروا بأثر ذلك في نفوسهم فلا يعمدوا الى مواجهه خصومهم بشيء من مثل ذلك...

## آيات المعاناة...

ما من نبي في الاولين الا كان قد عانى العناء الثقيل من سائر فئات قومه خلال دعوته اياهم الى الهدى و طاعة الله و اصلاح ما فسد من امرهم ولكن الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم عانى من قومه اكثر من الآلام و المتاعب و الهموم مما يعد اكبر حجما من معاناة من سبق من الانبياء و المرسلين. لا سيما اذا علمنا ان النبي واجه قومه في اكثر من بيئة منها مكة [صفحة ٥٨] و منها المدينة و لكل بيئة طراز و نمط لا يشبهه الاخر و لا سيما اذا تذكرنا أن مهام النبي كانت كثيرة و شتى و لا سيما اذا علمنا ان الامة العربية كانت محاطة بدول كبرى لها تأثيرها في الزمان و المكان. و الخلاصة أن معاناة النبي كانت معاناة لا نموذج لها في الاحتمال و طول الصبر في معاناة الرسل و القادة و غيرهم ممن تولوا امر اصلاح الامم و تصحيح مسار الشعوب... و في آيات المعاناة سنرى بوضوح تام عظمة شخصيته اللهم صلى الله عليه و سلم في شق سائر التيارات العقائدية و النزعات السياسية و الاتجاهات الاجتماعية حتى حقق معجزة النصر العظمى على الوجه الذي اعانه الله عليه. و المراد بالمعاناة جديده النبي في مخاطبة القوم على اخلاف مشاربهم و قوة تمسكه صلى الله عليه و سلم بلعقيدة التي جاء بها قومه يضاف الى ذلك شدة عناد المشركين الذين كان رأس مالهم العناد و الشراسة... و انه لمن البديهي أن يلقي الانبياء و الرسل الاعظم احدهم من اقوامهم الرفض و الانكار و التحدى و اللاتعقل من التصرف و ذلك من بعض روافد المعاناة التي تنصب على رسل الله... و كان الانبياء قديما يعززون بأنبياء و رسل لتهوين الخطب عليهم و تخفيف عبء المعاناة عنهم «... ارسنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث» يس/١٤... و اذا علمنا أن الانبياء كانوا يرسلون كل الى قومه دون غيره ثم وجدنا ان محمدا صلى الله عليه و سلم كان قد ارسل الى كافة البشر. ظهر لنا حجم معاناته هذه بحيث يعظم الفرق بين معاناته و معاناتهم... و في القرآن الكريم اشارة الى اكثر من ذلك مما سنتكلم عليه... «و اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله و الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا، فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا و توفيقا، اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم و عظمهم و قل لهم في انفسهم قولوا بليغا». النساء ٦٣/٦١. في هذه الآيات ايماء الى جانب من معاناة الرسول صلى الله عليه و سلم في مهجرة بالمدينة فانه وجد فيها عدل ما كان قد وجد من اهل مكة قبل الهجرة. و في النص القرآني اشارة الى ان عقوبات الهية عاجلة كانت تعرض لبعض خصوم النبي فكانوا يدركون انها من بعض نقم الله عليهم جراء اساءتهم لرسوله العظيم. لذلك كانوا يقبلون عليه صلى الله عليه و سلم معتذرين من موقفهم السيء الذي يروحون يفسرونه بما يظنون فيه تصحيح عملهم ذاك «ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا و توفيقا) و قد وصى الله نبيه ان لا يأبه لما وقع منهم و ان يعرض عن ذلك اى لا يجعل منه محل نقمة عليهم، اذ ان قوله تعالى (فأعرض عنهم) لا يعنى الزجر و الانصراف و انما يعنى التسامح، و مثل ذلك قوله تعالى (يوسف اعرض عن هذا) اى لا تشغل بالك به و لا تحمل من اجله هما... ثم اوصى الله نبيه ان يعظ القوم بقوله تعالى (وعظهم و قل لهم في انفسهم قولوا بليغا) و في هذا النص دلالة على ان النبي صلى الله عليه و سلم كان قوى الحججة متين الاسلوب يحسن النقاش و يقنع الجهة التي يخاطبها و يأخذ بتقريعها و ردها الى الصواب... و في هذا النص كذلك اشارة الى انه صلى الله عليه و سلم كان محل ثقة الله باقتدار نبيه على تنفيذ اوامره و نواهيه... «و ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و ان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قد كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا». النساء/٧٨... المعاناة هنا واضحة في أن القوم اذا تعرضوا

لخسارة في مال وغيره مما يكرهون نسبوا ذلك الى رسول الله وكون الامر من المعاناة يرجع الى ان الله [صفحة ٥٩] وصفهم بأنهم لا يكادون يفقهون حديثا على هذا فانه لا ينض من مثلهم الا ما يؤذى ويزعج ويجر الى المعاناة. ولم يكونوا يخجلهم ان يتشاءموا من النبي على دأب تشاؤم الامم القديمة من رسلها... ومن ذلك ما كان من قوم صالح من تطيرهم منه و تشاؤمهم «قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائر كم عن الله بل انتم قوم تفتنون» النمل/٤٧ و كذلك قال قوم لرسلمهم «قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لرنجمنكم و ليمسكنكم منا عذاب أليم. قالوا طائر كم معكم أين ذكرتم بل انتم قوم مسرفون» يس ١٨/١٩... و في تطير القوم من موسى عليه السلام جاء قوله تعالى «فاذا جاءتهم الحسنه قالوا لنا هذه و ان تصبهم سيئه يطيروا بموسى و من معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون» الاعراف/١٣١... و آية المعاناة في النص القرآني كانت قاسية على نفس النبي صلى الله عليه و سلم و هي لا- تختلف عن موقف الاولين من انبيائهم... «و يقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا» النساء/٨١. يشير النص الى ما كان يقع من القوم من خلاف متعمد و في مثل ذلك تطرأ المعاناة و يتقل بهم و يضيق الصدر، و قد وصى الله النبي بالتحمل و الصبر و هو تحمل لمكابرة، و تصبر على مخاشنة. و مثل ذلك على النفوس الخيرة الكريمة اثقل من الجبال مع كثرة المشاغل و تداعى المشاكل فلهذه الشخصية العظيمة و لله صبرها النادر المثل في صبر الصابرين على احقاب الدهر و السنين... «و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا» النساء/١١٥. مشاققة القوم نبيهم بعد ما تبين لهم الهدى و ظهر الحق تعد من أجلب جوالب المعاناة على النبي اذ ليست هناك نفس بشرية تهدأ عند بلوغ العناد و اللجاجة في الكفر و المشاققة مثل هذا المبلغ الموغل في الزيف و الاصرار على البغي الذي لا- يشفع فيه منطق و لا يقره من هو ذو مزعة من عقل و رشاد و سلامة تصرف... و قوله تعالى «و من يشاقق الرسول» أريد به مجرد المشاققة الموجهة الى الرسول... ابتغاء المشاققة لا غير... فالنبي في مواجهة عناء كهذا العناء كان يتأذى كل الأذى و يحمل من الكرب الحمل العظيم... على أن الله عزوجل كان يعلن انكاره لمشاقتهم و ينزل بهم ما يتسألون لقاء ذلك من عقاب و تنكيل و جزاء وفاق... ولكن الذي يكون قد حصل و وقع في ساحة الدعوة انما هو ثقل و طأة المعاناة على نفسه و انحصار صدره صلى الله عليه و سلم. و النص مدني و قد كان قوم يظنون ان بيئة المدينة كانت تمثل الربيع في السقف الزمني للسيرة النبوية الشاققة... «و ان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم و الله عليم حكيم» الانفال/٧١. في هذه الآية تخفيف اللهم الذي يعرض للنبي عندما يجد القوم قد أرادوا خيانتهم و مالوا الى شقاقتهم و ذاك ان الله تعالى اخبره بان القوم ألقوا هذا النمط من المكر و التعامل غير الكريم اذ خانوا الله من قبل و حين يرى النبي انهم خانوا من هو اكبر منه و اعظم شأنا و اقتدارا فسجد تصرفهم الخياني منه شيئا غير جدير بثقل اللهم و كما ان الله عزوجل عاقبهم على خيانتهم ربهم بان امكن منهم و سلط عليهم و انتزع سلطانهم فانه فاعل ذلك بهم اذا خانوا النبي. و ما جاء في ختام الآية من قوله تعالى «و الله عليم حكيم» يوضح ان الخيانة التي يدبر لها اعداء النبي مهما احكموا تدبيرها و اغلقوا مغاليقها و غلفوها بالحذر و الكتمان الشديد فان الله يعلمها و اذا كان يعلمها فان سيبلغ نبيه [صفحة ٦٠] بكل ما يكون فيها و قوله تعالى ايضا في صفة نفسه بانه حكيم اي انه عندما يعلم من خيانة القوم ما يعلم فانه يعقب ذلك بما يفسد على الماكرين مكرهم بحكمته و حسن تدبيره و الا فالعلم بخيانة الخائنين لا يتأتى منه احباط تلك الخيانة و اماطة اذاها عن طريق من يراد خيانتهم... ان النبي و هو يواجه امه ذات ديانات و معايب باطله و نزعات جاهلية و ميراث حياة مضطربة و هو يواجه كذلك اقواما ركبهم الغرور و علتهم الغطرسة و ظنوا انهم قادرون على ان يرقوا اسباب السماء بسلم فان على هذا النبي ان يعرف كيف يتعامل في مثل هذه الاجواء مع خصومه خاصة و هكذا كان تدريب الله نبيه و تعليمه و الاخذ باضباعه في مجالات التكليف الشاق في حملة روحانية عالية المستوى يراد بها تطهير القلوب و تربية الضمائر و اخراج الناس من الظلمات الى النور... «يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقاتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل» التوبة/٣٨. حين ينزل القرآن بايجاب الخروج الى الجهاد. يخرج قوم و لا- يخرج آخرون و حين يكون الخطاب موجها الى الذين آمنوا بذات اللفظ فلا يخرجون فان ذلك لأمر يشق

على رسول الله فيعاني منه العناء الثقيل، اذ انه صلى الله عليه وسلم يعنيه أن تقبل الامة على طاعة ربه و نبيها و أن تبادر الى الزيادة عن عقيدتها و شريعتها و المكان الذي يلم شملها فهو صلى الله عليه وسلم يعظم كربه و يتقل همه حين يصل الامر بفريق من الذين آمنوا الى ما يشبه العصيان. و لا- معاناه أشق من مثل هذه المعاناة و لا غم أشد من مثل هذا الغم... ان الشواهد من كتاب الله على مواقع المعاناة الكثيرة التي كان النبي يعانها و لا سيما في البيئته المدنية كثيرة جدا و ما منها من حالة الا هي أشد من اختها و هكذا كان الرسول الاعظم يشق طريقه الى النصر في سائر نيارات الخطوب و الهموم الثقيل. فصلى الله عليك و سلم ايها النبي العظيم لقد كنت حقا جديرا بنصر الله و تاييده لقاء كبير صبرك و طويل احتمالك و وثيق رجائك في عون ربك صلى الله عليك و سلم يا رسول الله... «لو كان عرضا قريبا و سفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم و الله يعلم انهم لكاذبون» التوبة/٤٢... من آيات المعاناة التي توضح ان فئة من المنافقين كان تحججهم عن المشاركة في اعمال الجهاد و هم يحلفون بالله مكثرين الايمان به على أنهم لو كانوا يستطيعون الخروج للجهاد لخرجوا مع النبي و المؤمنين... و قد أشار القرآن الى ان الخروج لو كان لسفر فيه منافع لهم لا تبعوك و لما تقاعسوا عن الخروج معكم ولكنه خروج الى الجهاد و ما كان الايمان قد بلغ من نفوسهم مبلغ استقرار و تشيع و عقيدة متيقنة... ما من شك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجد مثل هذه المواقف شديدة القسوة على نفسه فهو منها في معاناة ثقيلة غير خفيفة و هو في مركز قيادة و امامة و مهمة منوطه به من ربه الذي اختاره لحمل رسالة السماء العظيمة الى بني البشر اجمعين... فلهذه النفس الكبيرة في صبرها و معاناتها و جهادها و تحملها. و لله هي. و لله كل لحظة من لحظات وجودها في هذه الساحة العريضة التي قل فيها العون الا من فئة المؤمنين الصادقين... «عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا و تعلم الكاذبين» التوبة/٤٣. في مسألة الاستئذان و هو وسيلة الى التملص من مهمة الجهاد في سبيل الله اجل في موضوع الاستئذان تتعدد عقد كثيرة و تتعرض الامة لتيارات انهزامية عنيفة [صفحة ٦١] و الرسل لا- يعلم الغيب و لا- يدري ما في صدور الناس فاذا جاءه من يستأذنه للقعود في بيته بشتى المعاذير و النبي أحوج ما يكون الى النفر الواحد في المواجهات المسلحة فانه كان يعانى خلال ذلك من هم الأذن لأحد بالقعود عن الجهاد و يبدو أن حجج المعذرين كانت شبهة مقنعة و حاجة الساحة الحربية الى المقاتلين حاجة جد ماسة. و من هنا يتقل عبء المعاناة و هي حالة كثيرة العروض و التكرار و على ضوئها يكون تقرير المصير... و قد جعل الله لهذا الامر قاعدة هي غاية في الصفحة و ذاك أن الذين يستأذنون للتملص من الانخراط في المعركة انما هم مشكوك في ايمانهم «لا- يستأذنك الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم و انفسهم و الله عليهم بالمتقين. انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله و اليوم و الآخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» التوبة/٤٤/٤٥... و ذاك أن الامة تلقت عن نبيها من اركان الدين ما جعلها ترجح الشهادة على الحياة و تشوق الى الجنة تشوقا يجعلها تفر من الدنيا كل فرار فكانت تلبى داعية الجهاد لا تتخلف عنه لأى سبب كان... و كانت تعتقد أن الفرار من الزحف من الكبائر التي تغتفر... و لم يكن ضعف الايمان على هذا المستوى من التشيع من العقيدة و على ذلك لم يكن المؤمنون الصادقون ليراجعوا الرسول في طلب الاذن منه بعدم الخروج و انما كان يكثر طلب الاذن لدى من كانوا مهزوزي الايمان لا يرضون أن يسفك من دمهم شىء من اجل قيم الدين و حرمانه. أن مثل هذه المسائل لتنهض فيها المعاناة النبوية على اكثر من ساق و قدم و في بقية النص القرآني من ذات السورة توضيح اكثر لدواعي المعاناة «لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا- خبالا و لأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة و فيكم سماعون لهم و الله عليم بالظالمين» التوبة/٤٧... «و يحلفون بالله انهم لمنكم و ما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون. لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه و هم يجمعون. و منهم من يلمزك في الصدقات فإن اعطوا منها رضوا و ان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون. و لو أنهم رضوا ما آتاهم الله و رسوله و قالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله انا الى الله راغبون»... التوبة/٥٦/٥٩... في بيئته مثل هذه البيئته و على ذات الوصف الذي وصفه الله به تتعب القيادة و ينهك الاخذ بهذب السلطة و تعظم المعاناة و لا يتهيأ لولى الامر اتخاذ القرار ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على رغم ما كان متعكرا من اجواء المدينة ابان ذلك كان اقوى من الجميع... (و منهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله

و يؤمن للمؤمنين و رحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم... التوبة/٦١... في النص اشارة الى نمط من التحرشات الاستفزازية التي كان فريق من القوم يغمزون بها النبي على جهة الاشغال و اقلال البال و قد دافع الله عن نبيه بما اسكت به صوت صلاتهم... انا لو لا حظنا الوضع القيادي في المدينة و ما يواجهه من امور و ما يتعرض له من شدائد فان كل تحرك صغر او كبر من الخصوم يتأتى منه ارباك جهة القيادة و الهاؤها عما هي في صدده من مهام الامور و دقائق الاعمال و من هنا عددنا هذه المقالة من بعض مسائل المعاناة في اليوميات النبوية. «و لئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض و نلعب قل أبا الله و آياته و رسوله كنتم تستهزؤن» التوبة/٦٥. يجاهر خصوم الرسول بنهجهم الطائش غير حذرين من شيء و حين يبلغ الامر بخصوم دين او معارضي قيادة قائد هذا المبلغ من الاستهتار و الاستخفاف فان معاناة الجهة التي تعمل على الاصلاح و التوجيه الرشيد تكون معاناة شديدة و ثقيلة و صعبة الاحتمال... [ صفحة ٦٢ ] «و منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن و لنكونن من الصالحين. فلما آتاهم من فضله بخلوا به و تولوا و هم معرضون» التوبة/٧٥/٧٦... النكول عن مثل هذا العهد ممن عاهد الله عليه طواعية و من تلقاء نفسه انما هو امر جدير ان يكون محل المعاناة لدى كل قيادة تقود الامة و المجتمع الى أمر ديني او اجتماعي او سياسي، لأن العهود المنكول عن تنفيذها تنزع من الجد جديته و تفقد الحق واقعه و قدسيته و لا يكون هناك ملاك يعتد به و لا مساك يصار اليه و من هنا اكثر النصوص الدينية من الحث على احترام العقود و الاستمساك بالعهود و شدت النكير على من يخرج على ذلك... على ان النكول في مثل هذه الاحوال يكون نكولا- نبرأ منه المروءة و تنكره القيم الحميدة فان على المملق اذا آتاه الله من فضله أن يحسن مكافأة هذا الفضل فان بخل و أخذ الشح منه مأخذه. فانه لبئس الناس في نكران نعمه الله عليه... لقد كانت بيئة المدينة يكثر فيها ذوو الحوائج الذين ينتفعون من عون المتصدقين فاذا انعدم هذا العون و شح اهل الصدقات فان الضرر سيكون جسيما على امثال هذه البيئات و لا يعود بخل اصحاب الاموال مسألة شخصية تسب اليهم و حدهم بل يعد بخلهم هذا خطرا يعم و لا يخص... «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات و الذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم و لهم عذاب أليم»... التوبة/٧٩. وجود فئة في هذه الصفة في البيئة المدنية تتدثر بدثار اللؤم و تثبط المحسنين عن احسانهم الى الناس لتعد من أشد اسباب المعاناة التي يشغل بها الرسول صلى الله عليه و سلم، و ذاك لما في هذا المنحى الشائن من احباط مساعي الخير و اسماك افراد الامة ان يتعاونوا فيما بينهم على معالجة كل ضائقة تصيبهم... «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الهل و كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله و قالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون»... التوبة/٨١. مثل هذه المواقف العدائية البحثة مما كان يملا قلب النبي صلى الله عليه و سلم هما يطيل من معاناته و ان كان يحمله على أن يعمل فكره للوقوف في مواجهة ظواهر عنيفة مثل هذه الظواهر التي تقع علانية في البيئة التي اتخذها النبي مستقر الدين و مناخ المسلمين الذين صار عددهم هناك كثيرا و بات الرجاء في ظهورهم على مسرح الحياة رجاء قويا. حقا لقد كان جو المدينة يمثل هذه الضوضائية جوا ملبدا بغيوم المعاناة، و حين ننظر الى النتائج نراها رغم ذلك قد ظهرت لصالح الاسلام و المسلمين و خسر هنالك المبطلون... لقد كانت راية النصر عالية بيد النبي صلى الله عليه و سلم و وجدنا قراره هو النافذ و كلمته هي العليا و وجدناه صلى الله عليه و سلم يملى ارادته على الجميع «فان رجعتك الله الى طائفة منهم فاستأذنونك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا و لن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخائفين. و لا تصل على احد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره انهم كفروا بالله و رسوله و ماتوا و هم فاسقون. و لا تعجبك اموالهم و اولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون» التوبة/٨٣/٨٥... «و اذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله و جاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم و قالوا ذرنا نحن مع القاعدين» التوبة/٨٦. من وقائع المعاناة الثقيلة على نفسه صلى الله عليه و سلم ان يعمد اولو الطول و القوة الى الاستئذان من النبي بعدم المشاركة في القتال و واجبات الدفاع عن المؤمنين و انه لأمر جدير أن تضيق به الصدور و تعصر القلوب في حين كان المفروض و المتوقع أن تكون المبادرة [ صفحة ٦٣ ] قد بدرت من ذوى الاقتدار المالي و الجسدي و المركز الاجتماعي لتبني الامة الرجاء على النصر بالاعتماد عليهم... و المفروض عند نزول السور القرآنية أن تنشط عزائم الذين يحيطون بالنبي الى

الاستجابة لجميع اسباب الطاعة غير أن أولى الطول هؤلاء كانوا يجاهرون بالاستئذان للتملص من واجبات الجهاد في سبيل الله و الرسول بحجج يختلقونها و معاذير يفتعلونها و كيف لا تكون المعاناة قاسية على نفسه صلى الله عليه و سلم و الزمن زمن دفاع عن الارواح و الاموال و الاعراض و العقيدة... و قد وبخ الله هؤلاء المعذرين المنافقين بقوله: «رضوا بأن يكونوا مع الخوالم [١٧] و طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون» التوبة/٨٧... و كيف لا يشق الخطب على تلك النفس النبوية الكريمة و في الوسط الاسلامي من يجاهرون بالموقف المتخاذل و يواجهون الرسول علانية بالتصل من كل مسؤولية و تباعة موجهة اليهم علانية... ان شخصية الرسول الاعظم لتألق تألقا في سماء العظمة و قد بات محسوبا عليه أناس هم على هذه الشاكلة... اجل كانت معاناة النبي اليومية على اشدها في مثل هذه المواقف و الاحوال... «و جاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم و قعد الذين كذبوا الله و رسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم»... التوبة/٩٠. قدوم الاعراب كان لغرض الاستئذان. و كان ذلك يكثر منهم و قد وسهمهم الله بأنهم أشد كفرا و نفاقا و أجدرا أن لا يعلموا حدود ما انزل الله و وصف الله القاعددين عن الجهاد بأنهم كذبوا الله و رسوله و أنهم سيصيبهم من الله عذاب أليم... «ليس على الضعفاء و لا- على المرضى و لا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله و رسوله ما على المحسنين من سبيل الله غفور رحيم. و لا- على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا- أجد ما احملكم عليه تولوا و اعينهم تفيض من الدمع حزنا أن يجدوا ما ينفقون»... التوبة/٩٢/٩١... معاناة الهم كانت على اشدها حين يتقدم متطوعون يريدون استعدادهم للجهاد في سبيل الله ورد الاعداء عن دين الله و ذاك حين لا- يكون ثمة ما يعين على تجهيزهم بمؤنة القتال من سلاح و كراع. فكان المتطوعون يرجعون بكون اذ انهم كانوا حقا من الراغبين في الجهاد بمعية رسول الله... «و من الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء و الله سميع عليم» التوبة/٩٨... المعاناة هنا كائنة بقضها و قضيضها و هي ذات جانب خفي يزداد به هم المعاني هما اذ وصفهم الله بأنهم يتربصون للمؤمنين بالدوائر و يعملون على جلب الضرر اليهم من كل جانب... «و ممن حولكم من الاعراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم»... التوبة/١٠١. المعاناة في تعرض لعدوان قوم مجهولين انما هي من اقصى انماط المعاناة اذ ان الحذر حين لا يجد لعدوه مكانا ينطلق منه او يأوى اليه او أن ينتمى الى من فيه. فان الهم في امثاله هم عظيم... «و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا و تفرقا بين المؤمنين و ارسادا لمن حارب الله و رسوله من قبل و ليحلفن ان أردنا الا الحسنى و الله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه ابدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الله يحب المطهرين. أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير ام من أسس بنيانه [صفحة ٦٤] على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم و الله لا يهدي القوم الظالمين»... التوبة/١٠٧/١٠٩... كان قيام أناس من سكنة المدينة ببناء مسجد جامع يبعد عن المسجد النبوي بعض الشيء قد اثار همسا شديدا في نفسه صلى الله عليه و سلم لانه رمز تفرق بين المؤمنين و تعدد جماعتهم و افساد نظام و وحدتهم و لذلك امر الله بهدم هذا المسجد و ازالته من على الارض لانه مسجد لم يؤسس على تقوى. ان المعاناة التي عاناها النبي و المسلمون ابان بناء مسجد الضرار كانت معاناة من اقصى انواع المعاناة و ذاك لان هذا المسجد سينطلق باسم مسجديته الى افساد الدين و تفرق جماعة المسلمين، و قد ظن الذين صنعوه أنهم يمتلكون به التستر على دخائل انفسهم و سوء نياتهم الا أن مسجدهم هدم و عاد جمع المؤمنين يأتهم برسول الله في مسجده الذي هو احد المساجد التي تشد اليها الرحال. «لقد تاب الله على النبي و المهاجرين و الأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم»... التوبة / ١١٧. في النص القرآني كلام على ظروف قاسية مرت بالامة أقلقت بالها و حيرت جمعها فان غزوة تبوك كانت من اشق الغزوات على الامة و ان لم تكن قد حدثت فيها احداث قتال لانها كانت مجرد استعراض على الحدود... و قوله تعالى: «من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم». انما جاء تعبيرا عن شدة الخطب و عظم الهم و فرط المعاناة و كلمة التوبة هنا للتطمين و اشعار النفوس بالطمأنينة من وقوع لوم و معاتبه و تعرض لعقاب... «ما كان لاهل المدينة و من حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله و لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ و لا نصب و لا مخمصة في سبيل الله و لا يطأون موطئا يغيظ الكفار و لا ينالون

من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين. و لا ينفقون نفقة صغيرة و لا كبيرة و لا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون... التوبة ١٢٠/١٢١. في النص تحذير لأهل المدينة ان يقفوا من رسول الله موقفا غير محمود من نحو التقصير و عدم الالتزام التام بالطاعة و ذاك لأن الله كان يكافئهم على كل تحرك يتحركونه لمصلحة الاسلام و الدين و هذا ما يجعل مسؤوليتهم كبيرة حين تقع منهم هفوة صغرت او كبرت... «و اذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون» التوبة/١٢٧... عند نزول السور القرآنية التي كان الرسول صلى الله عليه و سلم يتلوها على القوم كان هناك اكثر من موق عند ذلك فالخصوم كانت تظهر عليهم علامات الانكار و ان صورة المعاناة التي كان الرسول يعانيتها ظاهرة في مثل هذا الموقف و ما اليه مما هو قاطع في الحكم على فئة المنافقين هؤلاء... ان المعاناة و هي احتمال الهم الثقيل كانت تتكرر بغير حساب و كانت شديدة على رسول الله تجلب اليه الحيرة و تجعله يطيل التفكير و تقلب الامور على اكثر من وجه. فالمعارك تتطلب الجند، و الجند يلوذون بالاعتذار و الاعداء يصرون على الغاء وجود الاسلام في المدينة و على ابادء المسلمين و ازلتهم، و على تضيق الخناق على المؤمنين بحيث كانت المعاناة التي يعانيتها الرسول الاعظم في العهد المدني اوسع دائرة و اعرض مجالاً مما كان عليه الامر في العهد المكي... و قوله تعالى: «و جاء المعذرون» و قد اطلق عليهم هذه الصفة لغلبة ذلك عليهم فباتوا و كأن أيا منهم لا- يصل الى المدينة لامر غير الاذن بالعود عن الجهاد و مقاتلة الاعداء الغزاة. [صفحة ٦٥] «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم» التوبة ١٢٨/١٢٩. النص ظاهر في عظم فضل الرسول على القوم اذ وصفه الله بالرأفة و الرحمة و فرط الحرص على رشاد القوم و صدق تعاملهم و انه كان من أنفسهم و ليس غريبا عنهم و انه كان يتأذى بأدنى شىء يقع من تفریطهم في الطاعة و العبادة... و تبدأ المعاناة من عاقبة امرهم حين يتولون عن ذلك كله لذا وصاه الله ان يلوذ به قائلا «حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم»... و في هذا النص شهادة ناصعة لرسول الله توضح انه صلى الله عليه و سلم كان يشق عليه ما يرى من صدود امته عنه و عن تعاليم دينه التي تدعو الى استنقاذهم من الضلال، و الصعود بهم الى معارج الهداية و الايمان و قد وصفه الله بانه رؤوف بالمؤمنين و انه رحيم بهم و انه عظيم الحرص عليهم و هذا يعنى فرط انصراف النبي نفسيا الى قومه يحمل همومهم و يتمنى هدايتهم و يصبر على اذاهم و يدعو لهم الله بالتبصرة مكان الغفلة و بالايمان بدل الكفر و بطاعة الله بدل عصيانه و بترك المراء و الجدل و اللجاجة لحكم العقل و النظر السديد. و اخيرا حقق الله مراد نبيه و تمنياته لقومه و امته، من سعادة و صلاح حال و وحدة و رشاد و استقامة و هدى راسخ في النفوس لا يضل بعده من خرج الى الهدى من ضلال... اما قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فانه عرق الموضوع و سنخه الذي قام عليه أمر هذه الآية و هو استعمال (قد) التحقيق و (لام) التوكيد و التنويه بان الرسول المرسل اليهم من أنفسهم، و سائر الانبياء ارسلوا من ذات نسبهم لكي يكون ذلك مهيدا الى التعارف و حسن الالتقاء بينهم و بين الرسول المرسل اليهم. و قد علمت العرب من مجاورة اليهود لهم و النصارى ان الامم القديمة كانت الرسل ترسل اليها من ابنائها و النص القرآني فيه بعض التقرير لمنكرى رسالة النبي على معاداته و عدم الاستجابة له و هو من ذات انفسهم و هي كلمة فيها حجم كبير من التحيب و التقريب... و الذين بادروا الى الايمان برسالة النبي فور سماعهم هذا النص كانوا حتما قد تذوقوه و استوعبوه و فهموا ما اراده الله به... «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل لو شاء الله ما تلوته عليكم و لا- ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون»... يونس ١٥/١٦. لم تكن للخصوم حجة بينون عليها طلبهم بتبديل القرآن و انما هو محض التعسف و التحكم و كان ذلك دأبهم في العهد المكي، و القرآن يرد عليهم موقفهم المتعسف هذا برفق و لين من اجل اشعارهم بما هم عليه من خطأ و ضلال في أسلوبهم الجدلى العقيم. و الاسلوب الجدلى القرآني يأخذ بهذب من التوجيه و المنطقية في الرد عليهم اذ يقول ان امر القرآن هو من امر الله فما يملكك الرسول أن يغير ذلك من تلقاء نفسه... و بهذا اثبت لهم ان القول في هذا الامر لله و ليس لسواه... و لم يقل لهم ما

الذى يدفعهم الى هذه المقولة و يغريهم بطلب تغيير القرآن و تبديله لان ذلك لا يعد من صلب الموضوع بل هو من حواشيه، و المهم هو اسكاتهم و ردهم بالكلمة الدامغة و ليس المهم فتح باب جدل بينهم و بينه اذ انهم لا- يصلحون ان يكونوا طرفا فى جدل و غيره...«ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم و لو كانوا لا يعقلون. و منهم من ينظر [ صفحة ٤٦٦ ] اليك أفأنت تهدي العمى و لو كانوا لا يبصرون». يونس ٤٢/٤٣. المراد بالاستماع و النظر ما هو سطحى غير مقصود اى انه استماع و نظر بغير وعى و لا استيعاب، و ذلك من بعض مواقف المعاناة ايام العهد المكى اذ كان ذلك يترك فى نفسه صلى الله عليه و سلم هما و حزنا ذريعا... و انما تكون المعاناة حين لا يملك ذو كلمة أن يوصلها الى غير ذى سمع و لا بصيرة من مثل اولئك القوم الذين كانت مواقفهم مواقف عناد و تجاهل و اغماض عين و قلب...«و يستنبئونك أحق هو قل أى و ربى انه لحق و ما أنتم بمعجزين» يونس ٥٣/٥٤... الغريب فى اسلوب القوم الجدلى ايام العهد المكى خاصة انهم بعد أن تتكشف لهم الحقائق و الدلائل الدامغة و تظهر لهم الينيات بكل وضوح يروحون يستنبئون الرسول اذلك حق. ان مثل هذا الاسلوب فى الجدل و النقاش و الاستيضاح لأسلوب فى غاية السذاجة و العناد و التغايب... و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يهضم ذلك كله و يصبر على امثال تلك الفهات الغريبة التى ليس وراءها جد فى نقاش و لا صدق فى حجاج...«و ما تكون فى شأن و ما تتلو منه من قرآن و لا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء و لا اصغر من ذلك و لا أكبر الا فى كتاب مبين». يونس ٦١/٦٢ فى النص بيان بأن الله عزوجل يعلم ما يبذله النبى من جهد جهيد فى اعماله الوظيفية التى ناطها الله به و وكلها اليه مما هى فى عداد المعاناة و مكابدة الصعاب.» (هو الذى خلق السماوات و الارض فى ستة ايام و كان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملا- و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين». هود ٧/٨. معاناة الموقف القاسى فى النص انما تكون اذ يخبرهم بأنهم سيبعثون بعد موتهم فيكون جوابهم ان ذلك سحر مبين... و الفرق بين الجواب و صلب المسألة فرق كبير و بعيد فلا- مكان للسحر و ادعائه فى هذا المكان... و من الامر البديهي ان الاجابات الخارجة على الصدد المنطقى فى كل مقدمة و نتيجة و منطوق و مفهوم ليشير الهم و يثقل المعاناة و ينفذ به الصبر و معظم آيات المعاناة تدور فى هذا الفلك و قد اکتفينا بما اوردناه من نصوص التزليل العزيز اذ انها كثيرة و كلها تكشف عن عظم صبر النبى و هو يصغى الى مقولات المعاندين من قومه اذ لا يرد فى تضاعيف قولهم ما ينفع فى ساحة جدال و فى معرض جواب و سؤال... و هكذا كان على النبى ان يصبر على ما يسمع ان الخصوم و ان يهضم ذلك مما لا يهضم مثله عادة... و أنا لنجد فى آيات المعاناة ما نجد من امارات تفرد الشخصية المحمدية بالحلم و الثبات و التماسك العقلى و التعالى على السفاسف و الهنات و اجتياز اشق ظروف الجدل الفارغ من المحتوى السديد. و لم يكن امر هذه المعاناة كائنا من فترات زمينة قصيرة او محدودة بل كان ما مر عليها من الزمن قد استغرق سنى الدعوة الممتدة الى نحو ثلاث و عشرين سنة خلال العهد المكى و المدنى و صلى الله عليك ايها النبى العظيم...«فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صدرك»... هود ١٢/١٣. بدء الكلام فى هذا المقام بكلمة لعل يشير اشارة واضحة الى عظم الجهد و شدة المقاومة فليس من الامر اليسير ان يطلب الى قوم استمرأوا عبادة الاوثان و وجدوا فيها غاية رجائهم ان يتركوا عبادتها. اذ كانت كل قبيلة من قبائلهم [ صفحة ٤٦٧ ] تحرص على ما عندها من آلهة تعبدها و تناشدها النصر على اعدائها و ترى فيها رمز كيانها القبائلى و لعلها وجدت انها قد انتصرت بأصنامها على اعدائها فى حرب ما. فأكد ذلك صدق عقيدتها فيها على حين ان النصر الذى كانت قد احرزته انما احرزته بقوة سلاحها و رشيد رأيها و سلامة خطتها فى تلك الحرب و لا شأن لأصنامها فى شىء من ذلك حتما... اما ضيق الصدور فانما يكون لمغالبة الهم. و فى مفردات الكلام القرآنى فى صدد معاملته القوم للرسول و هو فى مكة خاصة فانها تدل على القسوة فى سوء المعاملة و على توخى اذلال النبى كل اذلال و اهانة من آمن معه و من استجاب لدعوته لا سيما من كان منهم من الموالى المستضعفين عادة و الذين لا يملكون جهدا ملموسا يقدمونه فى نصرة الدين الذى اعتنقوه و ارتضوه و راحوا يتعبدون الله على نهجه. ان التعبير القرآنى «فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك» تعبير يستحق ان يتوقف عنده الدارس لشخصية الرسول الاعظم اذ لم يكن الرسول متهما بالتوصل من المهمة الالهية الملقاة على عاتقه و لا



كان يرى في موقفه من الصدع بالدين ما يومىء الى انه تارك من ذلك شيئاً. ان النص سرعان ما يبدد ظن من يظن ذلك من الناس بكلمة (لعل) و الكلام بها هنا كلام على امر لم يقع بعد لانه كلام على محاولة مستقبلية كل القصد من ايرادها وضعها موضع الحقيقة. ان الامر جد عسير وجد شاق في دعوة، طرفها الاول رجل واحد و طرفها الثانى سائر عرب الجاهلية، و بؤرة الامر و صميم الموضوع هو اخراج قوم من اعماق ظلمات دامسة الى عالم النور الوهاج و الهداية النقية الطيبة و ذاك حقا مما يشق على القابليات كل المشقة و انا لو راجعنا القوم بعد ثلاث و عشرين سنة من بدء الدعوة الى الاسلام لوجدنا خارطة تعاليم هذا الدين قد تناولت بالتصحيح و التنقيح من عادات القوم و عباداتهم و سلوكهم الاجتماعى و الفكرى ما تعد سنو الدعوة الى ذلك و هى ثلاث و عشرون سنة جد قليلة فى صدد تحقيق النجاح الذى تحقق. «فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا... الكهف/١٦ لعلك قاض على نفسك غما و حزنا ان لا تجد قومك قد فهموك بعد... انها لاشارة الى عظم حرص النبى ان يصل بقومه الى ما يريده لهم من كمال الايمان و البعد عن عبادة المعاييد الباطلة التى لا تتحقق بها للعباد كرامة و لا فضيلة، و كان رسول الله يعلم ان التمام قومه على دينه و ملته سيجعل منهم خير امه اخرجت للناس و انهم سيكونون شئيا مذكورا بين امم الارض ذات الشأن يومذاك فكان صلى الله عليه و سلم يحز فى نفسه موقفهم الذى يتمثل فى انكار شريعته ورد دعوته و الاصرار على الضلال الذى كان صلى الله عليه و سلم يعمل على سحبهم من مواقعه و استنقاذهم من عمق هوته... فى هذا النص تصور لفرط الغم الذى كان يتملك الرسول فى موقف الدعوة الى الله و الدين الحق و هى شهادة الهية صادقة قيمة على هذه الحقيقة الناصعة... ان حرص الرسول على ان يتخذ قومه من هوة الوثنية الى قمة التوحيد ليكون الله وحده مصدر تفكيرهم فى الحياة اذا ان الاوثان و الاصنام لا تمنح عبادها اى توجيه سديد و لا يصل اليهم من قبلها اى تعليم رشيد. اجل كان النبى يأكل معه و يشرب هم ثقيل ناشىء من اصرار القوم على كفرهم و هو كفر بواح لم يعد يخفى على احد ممن صدع الرسول فهمهم بامر رسالته التى اوضحت للجميع فساد العقيدة الوثنية الغائصة فى الجهل الى الاعماق... ان النبى لم يكن فى سيرته الجهادية تاركا الامر الى ما يتحقق له من توفيق او لا يتحقق... شأن من ينهض بمهمة ان نجحت او ان لم تنجح فانه علم الناس من امره انه بذل اصي جهوده فى الوجهة التى [ صفحة ٦٨ ] مضى فيها... فالنبى لم يكن يريد ان يعذر الى الله و الى نفسه فى انه صدع بما امره الله ان يصدع به بل كان يهيمه و يعنيه ان يكون وراء ذلك التوفيق كل التوفيق لا قناع المعاندين بما يصحح و جهتهم فانهم حريون منه بكل ذلك الحرص العظيم على اخراجهم من الظلمات الى النور...» و يستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيتوتا عورة و ما هى بعورة ان يريدون الا فرارا». الاحزاب/١٣ كان هذا الاستئذان من اجل الفرار من الحرب و قد زعموا له زعما كذبه الله اذ قالوا ان بيوتهم عورة و ما هى بعورة... و من اقصى انواع المعاناة فى ايامه صلى الله عليه و سلم بالمدينة أن يقبل عليه قوم ينكصون عن المشاركة فى الدفاع عن المدينة فى موقف وصفه النص القرآنى بالجملة القرآنية «و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر». الاحزاب/١٠. و هو وصف لطغيان الرعب فى المعركة و اشتداد قوة الاحزاب المهاجمين ولكن الله نصر نبيه فى معمعان هذه المعاناة باشراك جند من السماء خاضوا المعركة التى انتهت لصالح المسلمين... «و لقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الا دبار و كان عهد الله مسؤولا». الاحزاب/١٥ النص ظاهر فيه أنه من آيات المعاناة. فان القوم خذلوا الجبهة الاسلامية بفرارهم بعد أن عاهدوا النبى أن لا يفروا... لقد كانت مثل هذه الاحداث تكلف النبى هما شديدا و تعرضه لمعاناة قاسية لا سيما حين تكون الحرب قائمة على حساب دقيق لما يقدر من توفر عدد الاعوان الذين يقبلون على خوض غمارها فاذا بعددهم جد قليل. فلله حكمة هذا النبى و شدة اصطباره و حسن تدبيره و توفيقه باجتياز مثل هذه الطوارئ التى تنهض عبر السيرة على غير توقع. اجل الله هذا النبى فى كسب النصر العظيم رغم المشطين و الناكثين لعهود الله... «فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم و كان ذلك على الله يسيرا. يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسألون عن انبائكم و لو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا»... الاحزاب ٢٠/١٩ فى هذا النص صورة جلية لما كان يعانيه النبى صلى الله عليه و سلم و فئة المؤمنين من لمة الجبناء الملتمين على ذعر و جبن و خوف شديد و

وجود امثال هؤلاء في البيئته يجر الى تشييط الهمم و اشاعة الذعر و الخوف و هم يتمنون عند وقوع غزو على المدينة أن لا يكونوا فيها و أن يكونوا في البادية بعيدين عن شىء اسمه ساحة قتال...ان ما ينشره هؤلاء من نار الانهزامية في وسط المدينة لهو اشد وقعا على الناس من وقوع غزو حقيقي، فالمعانة فيهم معانة قاسية الوقع و شديدة الوطأة ولكن رسول الله بفعل اقتداره العسكري العالى كان يملك احتواء جميع هذه الارجافات رغم ضيق الوقت و الاحراجات الناشئة من قبل قوم يزعمون الاسلام و هم اشد خطرا عليه من كل خطر...و في مقابلة هؤلاء الذين أذلوا انفسهم و لم يملكوا أن يذلوا الاسلام نرى الصادقين من المؤمنين يتجلى موقفهم الايماني الثابت يفعل فعله في الساحة و هذا ما اشار اليه النص الكريم «و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله. و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من [ صفحة ٦٩ ] قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا» الاحزاب ٢٣ / ٢٢. اجل لقد كان من عظيم عون الله لنبيه في مثل الظروف القاسية التي جاء الكلام عليها فيما اوردنا من نصوص قرآنية أن الله كتب النصر كله لرسول الله و الفئة المؤمنة الصادقة التي عاشت تآتمر بأمره و تأخذ بتوجيهه و تلتزم بسديد موقفه حتى جاء نصر الله و وجدنا آيات التنزيل في السورة التي نحن في صدددها و في سورة الاحزاب تقول بالحرف الواحد «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قويا عزيزا. و انزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم و قذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون و تأسرون فريقا. و اورثكم ارضهم و ديارهم و اموالهم و ارضا لم تطأوها و كان الله على كل شىء قديرا» الاحزاب ٢٥/٢٦/٢٧. «و إذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه امسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا و كان امر الله مفعولا [١٨] » الاحزاب/٣٧. النبي اطوع كائن بشرى في يد الله يصرفه وفق ما قدره من امره و رسمه له في غيبه و هو - اى النبي - مطالب أن يكون اكثر من غيره عبادة و اشد من الاخرين صبرا و اعظم احتمالا للمتاعب و الهموم و التكاليف و اذا كان في الناس من يعصى الله فان هذا العصيان ابعد شىء عن الانبياء لانهم اعدوا من قبله تعالى اعدادا متكاملة- للمهمة التي ارادهم لها و على ان الله شرف انبياءه و رسله لهذه المهمة و اضىف عليهم الطافه و رعايته فانه قدر عليهم أن يقتلوا و يعذبوا و يتعرضوا لقسوة المعاملة من اممهم و شعوبهم... و قد وجدنا ان رسول الله صلى الله عليه و سلم تحمل من ذلك الكثير فكان حساب الله للانبياء شاقا مشقة ملحوظة و كان الانبياء يكثر من الاعتذار الى الله و اللجوء الى مغفرته و هم معصومون و منهم ابراهيم عليه السلام اذ قال: «و لا- تخزنى يوم يبعثون، يوم لا- ينفع مال و لا- بنون، الا من اتى الله بقلب سليم» الشعراء ٨٧/٨٩ و نظراء ابراهيم في مثل هذا الموقف غير قليلين... كان العرب اذا تبني احدهم ولدا و رباه صار له حكم الابن الصلبى فلا يتزوج زوجة دعيه اى ابنه بالتبني و ذاك عندهم من القوانين الاجتماعية التي لا يصح خرقها... غير ان الله عزوجل ألغى هذا العرب المعروف عندهم بقوله: «و ما جعل ادعياءكم ابناءكم» غير انه تعالى اراد ان يكون هذا الحكم ذا صفة واقعية الطبيعية. اذ امر النبي بأن يتزوج زينب زوجة زيد متبنى النبي اى ولده بالتبني و كان هذا الخرق لقاعدة قائمة في التقاليد العربية منذ ايام الجاهلية الاولى يعد خرقا جسيما يتطلب اقصى ما هناك من الاقدام و الجرأة و على هذا كان النبي قد اخذته خشية من الناس في تطبيق هذا الحكم المناقض للعرف العربى يومذاك و لكن الله دفع النبي الى الخروج من اطار الحذر و خشية الناس الى التطبيق الواقعى العلنى قائلا- له على لسان الوحي: «و تخشى الناس و الله أحق ان تخشاه» و ظل النبي هدفا للمستهدفين الذين كبر عليهم أن يقع زواج رجل من زوجة دعيه. ان النبي صلى الله عليه و سلم يتلقى الاوامر من ربه فيبادر الى تنفيذها مهما كلفه ذلك و مهما سبب له [ صفحة ٧٠ ] تنفيذ هذه الاوامر من اجترأ الناس عليه لانه اطاع في ذلك أوامر ربه و ان كان للخشية مكانها من موقفه فليس في ذلك ما يجر الى لومه و تسجيل موقف مخالف للوحي عليه... لقد خشى النبي الناس و قد تمنى أن لا يقع في وجوده بين قومه مثل ذلك فهذا معنى قوله تعالى: «و تخفى في نفسك ما الله مبديه» الا انه صلى الله عليه و سلم حين امره الله بأن يتزوج مطلقة زيد نفذ امر الله فالموضوع الذي اعترت النبي خشية في تنفيذه اول الامر لم يكن من العبادات و لا من الاحكام العامة التي كان على النبي المبادرة الى الصدد بها... اما قصة زيد فهي قصة شخصية

تتعلق بذات النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت تقوم عليها قاعدة شرعية اصولية ألقى بها القرآن بعض عقائد القوم القديمة. والانبيا يقع منهم الحذر والخوف كالذى حدث من موسى عليه السلام من ايجاسه الخيفة عندما ألقى سحرة فرعون حبالهم وعصيمه التي خيل اليه من سحرهم انها تسعى و ذاك امر من شأنه ان يثير الرعب فى النفوس و ما وقع من يونس عليه السلام اذ أبق الى الفلك المشحون و ما وقع من انبياء ضعفت مقاومتهم و قل صبرهم و كذلك ما جاء فى التنزيل من قوله تعالى «حتى اذا استيأس الرسل و ظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا» يوسف/١١٠... فان بشرية الرسل يبرز بعض خصوصياتها فى الساحة... و على هذا فليس على رسول الله من تبعه فيما كان منه من موقف شخصى فى قضية زينب و زيد... اذ كان قد خشى الناس كمألوف عادة الناس فى خشية الناس... و قد قطع النص القرآنى بهذه القضايا فى الآية الرابعة من سورة الاحزاب المدنية اذ جاء فيه «ما جعل الله لرجل قلبين فى جوفه و ما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم و ما جعل ادعياءكم ابناءكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل»... «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون» فاطر/٨. كان النبي يتمنى لأناس من المعارف و ذوى القربى أن يقبلوا على الاسلام و يعتقدوه فيكون للاسلام بذلك انتفاع فائدة فحين كان اولئك يأبون الانخراط فى سلك المسلمين و يصرون على الكفر و الضلالة و النبي يعلم انهم ان لم يؤمنوا فيكونون من اصحاب النار لذا كان يتحسر على موقفهم و الله جل شأنه هو الذى يضل و يهدى. و قد دعاه الى ان لا تذهب نفسه حسرات على اولئك الناس، و فى آية اخرى «انك لا تهدي من أحببت» القصص/٥٦. ان من حق النبي ان يأوى الى ملته اناس يحب لهم الهدى و يتمنى لهم الايمان ولكن الذى عند الله غير هذا... ان الايمان من اعمال القلوب و لا يملك الحكم فى القلوب الا الله فانه هو الذى يقبلها كيف يشاء و النبي ليس غير مبلغ يبلغ رسالات ربه الى العباد لا- مسؤولية عليه فى عدم ايمانهم... و قوله تعالى: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» من ادق العبارات المعبرة عن فرط الهم و شدة الحسرة التي تختلج فى صدر من يكون شديد الحرص على أن تتحقق له امانياته التي يتمناها فى عالم الخير و الصلاح. اى ان كثرة حسراتك ستهلك بها نفسك و لا يبقى منها شىء بفرط التياحك و شديد قلقك. ان الله عزوجل هو صاحب الحق فى أن يوجه انبياءه و يحول مسارهم الى ما يشاء و ليس الى ما يشاؤون. فان الرسل حين يرسلهم الله رسلا يفقدون كل ارادة كانوا يمتلكونها من قبل لتكون ارادة الله وحده هى الكل فى الكل فى حياتهم... و الانبياء يظنون يتلقون كلمات الله و يتأدبون بأدبه و يتعلمون من علمه فلا يلام احدهم اذا اراد شيئاً فصحيح الله ارادته... [صفحة ٧١] «و اذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها و تركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارة و الله خير الرازقين»... الجمعة/١١ يشير النص القرآنى الى أن قوما حين كانوا يحضرون صلاة الجمعة و خطبتها فجاءت قوافل التجار الى اسواق المدينة غادروا المسجد اليها و النبي قائم على منبره يخطب الناس... و ما من شك فى أن مثل لهذا التصرف له اثر فى النفس موجه اذ كان الخطيب يهمله أن تصل كلمته الى قلوب الناس و لعل هناك ما كان من الكلام اكثر شىء حاجة الى أن يتلقاه القوم اذ انهم غادروا المسجد بفعل غلبة سلطان التجارة و التكبس على نفوسهم... و فى تمام النص القرآنى تعليم للناس و تهذيب اذ يأمرهم بالانصات الى خطيبهم حتى اذا انتهت الخطبة و الصلاة فان لهم أن يخرجوا الى اسواقهم و مبايعاتهم لا حرج عليهم فى ذلك من بعد صلواتهم... حقا أن المعاناة هنا جد قاسية و هى ذات تصرف يرمى الى بعثرة الجماعة و تشتيت صفوف المصلين، و تشويش افكار القائم على المنبر يعلم الناس دينهم و يهديهم الى صالحات الاعمال و محاسن الاخلاق و يعلمهم كيف يعبدون الله الخالق العظيم، فاذا خرج فريق من المصلين الى تجارة او لهو فان ذلك جدير أن يقلق له البال و يضطرب الفكر و يمسك اللسان عن مواصلة الكلام لو لا أن صاحب المنبر كان من العبقريه و الحكمة و سلامة التصرف و قوة الشخصية على الحد الذى عرفناه لما تسنى له ان يسيطر على جو المسجد آنذاك. و لقد كان ذلك قد حدث فى المدينة و للاسلام فى نفوس أتباعه رسوخ تام، و من هنا عدنا هذا النص من نصوص المعاناة التي عاناها الرسول الاعظم فى مسيرته العظيمة... «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزائن السماوات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون. يقولون لئن رجعا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون» المنافقون

٨/٧ حين يكون في بيئته المدينة قوم يثبطون الناس عن الانفاق على ضعفاء المسلمين ممن يترددون على الرسول الاعظم و حين يكون هناك قوم يقولون و هم يشاركون في بعض الوقائع خارج المدينة انهم اذا رجعوا الى المدينة فسيعمدون الى اخراج فئة المؤمنين منها اذ يصمونها بأنها تمثل الفريق الذليل على حد قولهم فان مثل هذه النعرات تشير الى أن جو المدينة كان مشحونا بأكثر من مشكلة من مشاكل المعاناة... و حين تكون المعاناة عائشة بين سمع النبي و بصره في المدينة فانها حقا لامر شديد و عسير. لقد كان النبي يسمع هذا و تصل اليه انبأؤه و اخباره، ولكنه كان صلى الله عليه و سلم من الخلق على قسط عظيم و كان يكل أمر هؤلاء المذبذبين الى الله ليجرى عليهم من احكامه و اقداره ما يشاء. لا سيما اذ كانوا عند الحساب و المعاتبه يلوذون بهذب الانكار و التبرؤ مما قالوا...«عبس و تولى ان جاءه الاعمى»... عبس ٢/١ هذا النص و تمامه «و ما يدريك لعله يزكى، او يذكر فتنتفه الذكرى، أما من استغنى، فانت له تصدى، و ما عليك ان لا- يزكى، و أما من جاءك يسعى، و هو يخشى، فأنت عنه تلهي» عبس ١٠/٣... يتجلى في شخصية الرسول الاعظم الحرص على اجتلاب المشركين الى الاسلام، و ما من شك في أن ذلك يحتمل الكثير من المعاناة و المكابدة و بذل الجهد الجهد و تغلب اليأس احيانا على الرجاء و كل اولئك فيه الدلالات القاطعة على هول المجاهدة و فرط المكابدة و ان حمل الرسالة يتطلب السياسة و الكياسة في عرض الامور و اداء المهمة و النهوض بعبتها و كان ذلك من اجلى خصائصه صلى الله عليه و سلم و ابرز سماته و اظهر معالم نشاطه في مجال الصدع بالامر [ صفحه ٧٢ ] الا- ان الله عزوجل و هو الموجه الاول لرسوله و مرسل الوحي اليه و الرقيب عليه قد يصحح بعض مواقف الدعوة هذه و ذلك مما عرف في تاريخ الرسل و النبيين اذ كان الله يصارحهم بتصحيح ذلك على ضوء العلم الالهي الذي لم يعلم نبيه به، ان من طبيعة الدعوة الى الملة الجديدة في قوم عرفوا بالاعتداد بعنعاتهم [١٩] والاصرار على شموخهم ان يلجأ الواعظ المرشد الى مداراتهم كل المداراة. للاعتبارات التي ذكرناها و لاعتبارات اجتماعية قائمة في البيئته. و كذلك كان موقف النبي من وفد متعالى متعظم اراد الرسول ان يفرغ جهده في اخذهم الى الدين الحنيف فبالغ في ذلك دأب الدعاة ذوى الحرص على ما يريدون الدعوة اليه. و صادف مجيء اعمى الى الرسول اقبل ليعتق الاسلام فكان من الامر الطبيعي ان يكون صاحب دعوة ما ظاهر الالتفات الى الجهة الاخرى التي يجد في اعتناق دعوته من قبلها انتصارا عظيما... و المكفوف القادم لا يدري من ذلك شيئا و غالب سلوك المكفوفين ان كانوا من الطبقات الفقيرة قائم على الالاح و الاصرار بلا هوادة الا من كان من ذوى الفضل و الخلق و الادب...ولكن السياسة الالهية غير ذلك فقد اراد الله تعليم نبيه فصور الصورة و ذكر التفصيل و اورد الواقعة و عتب على نبيه ان يقف هذا الموقف من ذلك الاعمى و جماعة الوفد... و عتاب الله هنا عتاب توجيه و ليس عتاب عقوبة... و بهذا نعلم ان الله جل شأنه كان وراء النبي في كل شىء و لله المثل الاعلى في المساوات و الارض... كذلك نعلم الكثير من منهج النبي و سلوكيته التطبيقية من اىصال الدعوة الدينية الى الناس لا سيما في العهد المكي اذ كان في العهد المكي قليل الاعوان و الانصار و كذلك نجد في موقفه صلى الله عليه و سلم مما عاتبه الله عليه اجتهدا في الوصول الى كسب الاعوان بطريقة اعلامية تعد مألوفة و مرجحة عند كثير من الدعاة الدينيين و السياسيين والاجتماعيين.

### التأييدات و البشائر الالهية

كتب الله على نفسه أن يؤيد الدين و يثبت المسلمين و هذا ما جاء به قوله تعالى «و كان حقا علينا نصر المؤمنين» الروم/٤٧... و عند الازمات الكبار و الهموم الثقال كان الله يتدارك نبيه بعون منه و نصر عزيز. و قد نصت آيات قرآنية كثيرة على أن الله قوى جند المسلمين بجند من ملائكته قاتلوا معهم «اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كل بنان» الانفال/١٢... و جاء في القرآن الكريم «ان لا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه و أيده بجنود لم تروها و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و كلمة الله هي العليا و الله عزيز حكيم» التوبة/٤٠... فان تعهد الله بنصر نبيه في هذا النص واضح و ظاهر حتى

لو لم يكن هناك من يبادر الى نصره و في القرآن الكريم «و ان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين» الانفال/٦٢... و هذا نص من نصوص التأييدات الالهية للرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم اذ يكون الله عزوجل في عون نبيه في اخرج الظروف التي ينعقد فيها موقف الكفار على المخادعة و هي ضرب من المواجهة مغلف بالخبت و المراوغة لا يملك النبي في مواجهتها من شيء الا- الاتكال على الله وحده ولكن الله تعهد لنبيه بانه هو حسبه في مواجهة اولئك القوم مهما كانت اسلحتهم و اساليب مواجهتهم... و قد ذكر [ صفحة ٧٣ ] الله هنا المؤمنين الذين هم خير اعوانه صلى الله عليه و سلم و اصدقهم في لقاء و اخلصهم للنبي صلى الله عليه و سلم في غيب و شهادة... و من آيات التأييد قال تعالى «و اذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم و ايدكم بنصره و رزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون» الانفال/٢٦... ففي هذا النص بشائر واضحة و تذكير بما كان من عظيم عون الله للأمة اذ كانت في اخرج ظروف الضعف في محيط كان شديد العداوة، و مفردات الآية لا تحتاج للتفسير... و قوله تعالى «و اذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم و ايدكم بنصره» واضح فيه أن من صنع هذا في حين ما فهو صانعه متى شاء و ذاك غاية ما يكون من بعث الرجاء و الطمأنينة في نفوس المؤمنين... و من آيات التأييد و البشائر المطمئنة للنفوس «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء» ابراهيم/٢٧... ففي ذلك عهد من الله على تثبيت الايمان في المؤمنين و خذلان الله للظالمين الذين يؤذون النبي و يشاكسون المؤمنين... فمن آيات التأييد و البشائر المطمئنة في النفوس قوله تعالى «انا فتحنا لك فتحا مبينا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما. و ينصرك الله نصرًا عزيزا» الفتح ٣/١... في هذا النص من بشائر النصر و التمكين و الغلبة ما هو واضح كل الوضوح بحيث امتلأت قلوب المؤمنين عند نزوله بالرجاء الوثيق و الامل الوطيد و الفوز المبين... و الخطاب موجه الى النبي و فيه كل الفرج و النصر العزيز و اتمام النعمة و الهداية و التوفيق... و من آيات التأييد ايضا «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لا أول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا و ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا و قذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم و أيدي المؤمنين قاعتبروا يا أولى الأبصار» الحشر/٢... و من آيات التأييد قوله تعالى «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قويا عزيزا. و أنزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصبيهم و قذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون و تأسرون فريقا. و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضا لم تطأوها و كان الله على كل شيء قديرا» الاحزاب ٢٥/٢٦/٢٧. و في هذا النص من ظاهر التمكين و السلطان و الغلبة ما يبرهن على أن الله كان مع النبي في مراحل التوفيق و النصر و لولاه جل و علا لما كان ذلك قد تحقق كما اننا عند احاطتنا علما بانتصار المسلمين و اندحار الكافرين نعلم لدرجة اليقين المطلق ان رسول الله محمدا بن عبدالله كان اهلا لهذا الانتصار الذي كتبه الله له و ذاك بما كان يمتلكه من عزم و حسن قيادة و قدرة على تصريف الامور و تدبيرها حتى تم له صلى الله عليه و سلم نصر الله... و من آيات التأييد قوله تعالى «و لقد نصركم الله بدر و أنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين. بلى ان تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسمومين. و ما جعله الله الا بشري لكم و لتطمئن قلوبكم به و ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم» آل عمران ١٢٣/١٢٦... و من آيات التأييد و بشائر النصر و التمكين قوله تعالى «اذا جاء نصر الله و الفتح. و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا» النصر ٣/١... و قد كانت هذه السورة من اواخر ما نزل من كتاب الله على رسول الله... و قد تم للأمة الكثير من اسباب التفوق و النصر المؤزر [ صفحة ٧٤ ] و علو شأن الاسلام مما انتهى بعد ذلك على عهد خلفائه صلى الله عليه و سلم الى الخروج الى ما وراء الجزيرة العربية ابتغاء تحرير العالم كله من رجس الضلال و الوثنية و الظلم و استغلال الانسان و بذلك دخلت امم و شعوب كثيرة في دين الهل و مازالت راية الاسلام لها في كل مكان وجود و شموخ... و البشارة بالنصر و التوفيق الاعظم واضحة في هذا النص و ما يبشر الله به نبيه من نجاح و نصر في آتى ايامه انما هو نصر محقق يملأ قلب النبي و اصحابه املا و رجاء و قوة و طمأنينة الى المستقبل.

## المحتوى القرآني

القرآن الكريم كتاب شريعة وقانون حلال وحرام ومباحات وممنوعات ونظام حياة وآداب سلوك ومنهج حكم وقد ذكرت فيه عبادات يتعبد بها الله كما ذكرت فيه سير انبياء ورسول بعثوا الى اممهم في الدهر القديم ويعد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم اذ أنزل ذلك كله عليه مشرفا على التطبيق ومرشدا الى اداء ذلك على الوجه الدقيق ومن اجل معرفة المدى الذي تنهض اليه مهمة الرسول الاعظم في هذا الباب لابد ان نعرف بشيء يسير من التفصيل ما تضمنه المحتوى القرآني من مضامين... فلقد نظم القرآن احكام الميراث بقوله تعالى «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين. أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم قطعاً فريضة من الله ان الله كان عليماً حكيماً» النساء/١١... وفي الجنائيات كان القضاء الالهي قاضياً بقتل القاتل وقطع السارق وجلد الزناة ومعاقبة المفسدين في الارض... وفي الزواج والطلاق جاءت النصوص واضحة غير غامضة. وامر الصلاة والصوم والزكاة والحج معروف... كذلك نظر القرآن في علاقات الشعوب والدول وشرحت مسائل الحرب والسلام في تضاعيف التنزيل العزيز... وموضوع البيوع والتجارات يعد من مهمات المواضيع القرآنية التي يقوم عليها أمر سلامة المجتمع. والجانب الاخلاقي الذي يتعلق بالصدق والكذب والوفاء ونقض الوعود وما يتصل بتهذيب النفوس وافراغها من الجشع والطمع والشره والنهم فان ذلك استوفى نصيبه في كتاب الله... والسور المكية والمدنية كلها سواء في اداء مهام التكليف والتزهيب والترغيب بالاسلوب البليغ المتميز الذي تبدو على جملة وحروفه معالم الشدة والرقّة والاقناع القائم على الحجّة... وفي القرآن الكريم ألفاظ وجمل في حكم المصطلحات التي يشاربها الى مقاصد تشريعية يفهم بها ما يعنيه النص من معان وما يقصد اليه من مقاصد ومن ذلك استعمال كلمة كتب في مثل قوله تعالى «كتب عليكم الصيام...» البقرة/١٨٣... ومثل كلمة أمر وفرض وقضى ووصى وسائر ما ورد في هذه المعاني من افعال الامر والنهي... ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كان قيماً على الامّة في تثقيفها الثقافة الدينية الكاملة وتعليمها اصول الايمان وردها الى منابع الملة وحملها على الاعتصام بالكتاب والسنة والاشراف على سائر ظروفها واحوالها في السلم والحرب والالتزام بالعهد وتطبيق سائر الاحكام على كل فرد من افرادها وفي الحديث النبوي «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وذاك هو المحتوى القرآني الذي [صفحة ٧٥] يعد الرسول ادري به واعلم به صلى الله عليه وسلم ويقابل ذلك من الالفاظ لفظ حرم وكره ونهى ولفظ الاجتناب ومن بعض ذلك قوله تعالى «وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون». وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» الانعام ١٥٢/١٥٣... في هذا النص جماع الوصايا الاخلاقية والانسانية وما الى ذلك من توجيه سديد وتهذيب رشيد وتأديب حسن وهي من الآيات المكية التي جاء فيها ما جاء من تحليل وتحريم وكرر الله في اعقاب كل آية قوله الكريم «ذلكم وصاكم به» على أن وصية الله تعنى ما يساوى معنى الفرض والواجب وقد استعملت في التنزيل العزيز في مثل هذه المواقع... واذ نظرنا الى اعمدة الايمان وركائز السنن الاخلاقية في الملة فاننا نرى هذه الايات الكريمة تكاد تحتجها جميعاً... ومن ملاحظة المحتوى القرآني الذي بين دفتي هذا التنزيل العظيم نعلم كثافة ما حمله الرسول الاعظم الى الناس من ربه وندررك ما نهض بتبليغه الى الناس من دين واحكام شرعية وتهذيب خلقى وحكم عالية المستوى. لذلك عقدنا فصلاً تاماً في الكتاب استوفينا فيه ما نزل به الوحي على رسول الله خلال ثلاث وعشرين سنة في كلتا فترتي النزول القرآني بمكة والمدينة مما يعد جماع هذا الدين وعمدة الملة وأساس العقيدة الاسلامية العظيمة... كما ان في عرض ذلك كله او وضعه في جدول خاص ما يلفت انظار غير المسلمين وهم يتابعون سيرة الرسول في الكتاب الى مقاصد الرسالة العظمى التي بعث بها الى الخلق اجمعين وبذلك نملك ان نتم للصورة النبوية الخالدة اطوارها التاريخي الكامل الذي يومية باكثر من اصبح تكريم واعجاب وتقديس الى

ذاتية هذه الشخصية القيادية الخالصة التي كان الله عزوجل عالما بكفاءاتها العالية فألقى إليها امره فحقق بها لرسالته السماوية التي هي خاتمة الرسالات ما اراده سبحانه من هذه الاضاءة الشاملة للعالم بحيث نحى عنه الظلمات التي كان غائضا فيها الى الاذقان... ان الكلام على المحتوى القرآني يتطلب اكثر من كتاب و اكثر من عنوان. و كل الذي نكتبه في هذا السفر على ما يلاحظ فيه من تفصيل انما هو موجز غاية الاجاز و ذاك ما هو قصدنا في تأليف هذا الكتاب.

## التوزيع القرآني

من البديهي ان القرآن الكريم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم منذ بعثه نبيا على راس الاربعين و هو الحيز الوحيد التي يستقر القرآن في ذاكرته الشريفه ثم ينتقل الى الناس جميعا من كان منهم مؤمنا و من كان منهم كافرا و ذاك هو امر كل دعوة دينية يدعى الناس الى اعتناقها... كان المؤمنون في اوائل العهد المكي يقبلون على الآيات النازلة فيحفظونها، و يقرأونها في صلواتهم و ينقلونها الى من يليهم و من حيث كان القرآن غاية في البلاغة و سمو البيان و كان يتضمن انماطا من الجدل اللاهوتي لم يكن مألوفا لديهم و لا- معروفا فان جماعة الكفار و المشركين كان يعينهم الوقوف على اخر ما ينزل من نصوص هذا الكتاب العظيم، كما ان الكتائب كانوا يبحثون عن الآيات التي تنزل في حقهم، و في العهد المدني اشتدت هذه الرغبة لدى المنافقين الذين صاروا يخشون ان ينزل فيهم من القرآن ما يفضح خطتهم العدوانية الماكرة... و في القرآن الكريم مما يشير الى ذلك «يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون» التوبة / ٦٤. و قوله تعالى «تنزل عليهم» اي تنزل من اجلهم او في شأنهم و كيدهم و مكرهم و هكذا سعى اعداء [صفحة ٧٦] القرآن في نشره كما سعى المؤمنون في ذلك و قلما وقع لكتاب شريعة من سعة الانتشار ما وقع للتزليل العزيز... و في قصيدة الاعشى جاء قولهنبي يرى مالا- يرون و ذكره أغار لعمرى في البلاد و أنجدوا بعضى آيات التزليل كان يراد بها مخاطبة غير المسلمين مثل قوله تعالى: «يا أيها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم...» الانفال / ٧٠. و كذلك معظم آيات القول التي يراد ابلاغها الى الكفار و غيرهم من مثل «قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف» الانفال / ٣٨. مما سنعلمه على وجه التفصيل عند شرح الآيات القولية أي التي خوطب بها النبي صلى الله عليه و سلم مبدوءة بكلمة «قل»... و كانت آيات القرآن الكريم تتلى سرا و جهرا في ركعات الصلاة فما كان منها في الجهر كان المصلون يستعمون اليها و هي تتلى في المحاريب فيساعدهم ذلك على حفظها و استظهارها مضافا ذلك الى تدوقها و فهم معانيها و العلم باحكامها و كان حسن صياغة النص القرآني مساعدا على حفظه بحيث كثر حفظه القرآن الكريم كما أنه كان على كل مسلم ان يقرأ في صلاته ما تيسر منه اي مما امكن له حفظه عن ظهر قلب... و قد أمرت الامه ان تتلو القرآن في سائر مجالاتها اليومية مما يكون خارج الصلاة... و قد ساعد وجود هذا الكتاب العظيم في صدور المؤمنين عند وصول الحملة الاسلامية الى خارج الجزيرة على سرعه عملية التعريب في الألسنة الاعجمية و قد صار القرآن الكريم مجال دراسة مسهبة ذات جوانب كثيرة متعددة بحيث ظهرت إثر هذه الدراسات علوم و فنون لم تكن معهودة من قبل كعلم النحو و الصرف و البلاغة و الاحكام و التفسير و لفته و غير ذلك... لقد قال الله في حق كتابه «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون» الحجر / ٩ و هذا ما قد كان و ما زال كائنا...

## القاب النبي...

خوطب الرسول صلى الله عليه و سلم بأكثر من لقب و تسمية كان من اشهرها - يا أيها الرسول - «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته» المائدة/٦٧... و - يا أيها النبي - مثل قوله «يا أيها النبي حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين» الانفال / ٦٤... و كان منها - يا أيها المدثر - في قوله تعالى «يا أيها المدثر. قم فأنذر» المدثر / ٢/١ - يا أيها المزمّل - في قوله تعالى «يا أيها المزمّل. قم الليل الا قليلا» المزمّل / ٢/١ و ذكر بلفظ النذير و البشير و الشاهد و الداعي الى الله مثل «انا أرسلناك شاهدا و مبشرا و

نذيرا» الفتح / ٨... و وصف بانه سراج منير. «و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا» الاحزاب / ٤٦... و وصف بأنه قد ارسله الله و قد بعثه «هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوه عليهم آياته...» الجمعة / ٢ و قد آتاه الكتاب و انزله عليه و نزل اليه القرآن «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» طه / ٢... و انزل عليه الذكر «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون...» الحجر / ٩... و انه عزوجل اوحى اليه وحيه «فأوحى الى عبده ما أوحى» النجم / ١٠... و وصفه بأنه نزل عليه الروح الامين «نزل به الروح الامين. على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء / ١٩٣/١٩٤... و انه ارسل اليه روحا من امره «و كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا...» الشورى / ٥٢... و انه ارسل رحمة للعالمين «و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين» الانبياء / ١٠٧ و انا نيط به الحكم بين الناس «و ان حكمت فاحكم بينهم بالقسط...» المائدة / ٤٢... و انه وصفه الله بعبده «سبحان الذى اسرى بعبده ليلا...» الاسراء [ صفحه ٧٧ ] / ١. و بعبد الله «و أنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا» الجن / ١٩... و بعبدنا «و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان» الانفال / ٤١... و انه كان يضيف ربوبيته اليه فى مثل قوله تعالى «ان ربك حكيم عليم» الانعام / ١٢٨... و قوله تعالى «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» الفيل / ١... و استعملت فى الخطابات القرآنية كلمة الالقاء و التلقى «و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل / ٦... الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى كانت كلها من خطابات الله العزيز الحكيم. و قد سبقنا الى بعض هذا الكلام فى مواقع اخرى من الكتاب... و جاء ذكر النبى مجردا من الالقب «و آمنوا بما نزل على محمد و هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم...» محمد / ٢... كما ذكره بلفظ رسولنا «قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب» المائدة / ١٥... و سماه عند مخاطبة قومه بلفظ - صاحبكم - «و النجم اذا هوى. ما ضل صاحبكم و ما غوى» النجم / ٢/١... و يستفاد من ذلك اهمية شخصية النبى لدى ربه و عظم مقامه عنده و تفريده للمخاطبات الكريمة صلى الله عليه و سلم. و حوطب - بلفظ انك - «و انك لعلى خلق عظيم» القلم / ٤... و ينسب الله اليه اقرباء له من رجال و نساء «و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك...» الاحزاب / ٥٠... و ذكر ازواجه اللاتى وصفهن بأنهن أمهات المؤمنين ولكنه لم يذكر اسم واحدة منهن و لا كان عزوجل قد ذكر اسماء بناته و اولاده و لا اسم ابيه و لا اعمامه و لا جده عبدالمطلب و لا ذكر نسبه و انما ترك ذلك للتاريخ...

## النبى و الشورى...

يستمد النبى الاختصاصات النبوية من وحي ربه. و كثيرا ما تعقدت عليه صلى الله عليه و سلم امور فكان الوحي ينزل و هو يحمل الامر الالهى فى حلها و رغم توفر هذه الدعائم الاساسية للدين و الملة فان الله عزوجل هدى النبى الى مبدأ الشورى فقال تعالى «و شاورهم فى الامر...» آل عمران / ١٥٩... و هناك نص ذو وضوح جلى فى هذا الباب هو ما جاء فى قوله تعالى «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله و اذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله فاذا استأذنونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحيم» النور / ٦٢... فلقد كان صلى الله عليه و سلم يجتمع اليه من اصحابه من ذوى الخبرة فى أمور الوقت فيستمزج رأيهم فى اشياء للامة خير و سداد أمر. و فى مثل هذا المجلس الاستشارى كان على المجتمعين فيه الى رسول الله ان لا يغادروا المجلس من دون استئذان و كان للنبى ان يأذن لهم أو لا يأذن، و هو نص فى الشورى و الاستشارة... و كان النبى صلى الله عليه و سلم وفق التوجيه الالهى حين يستمزج آراء من يستشيرهم فانه يعمد الى اتخاذ القرار الذى يرجح اتخاذه و هذا معنى قوله تعالى «و شاورهم فى الامر فاذا عزم فتوكل على الله» آل عمران / ١٥٩... ان للشورى اهمية كبيرة تنمى فى دوى الرأى من الناس عند استشارتهم الشعور بالكرامة و بأن لهم حظا فى تدارس الامور و معالجتها و انهم محل ثقة و لى الامر و صاحب الشأن الاول فى الدولة. كما ان ذلك يعود سائر الناس على التفكير الدقيق عندما يحزب الناس أمر او تظهر مشكلة او يقع خلاف او تكون مستجدات [ صفحه ٧٨ ] و هكذا شاء الله ان تصل الأمة و على رأسها نبيا الى ما فيه ضمان خيرها و سداد عقيدتها... و قد كان اصطحاب النبى ابابكر فى هجرته الى المدينة ينم عن توقع الحاجة الى الاستشارة و ان كان من آداب الخروج الى



سفر و ما اليه ان يقع الاعتماد على رفيق مرافق و عون معاون بل ان التعليم الاسلامي يقتضى عند خروج اثنين في رحلة او شبه رحلة ان يكون احدهما هو الرئيس الذى يكون صاحب رأى فى تلك السفرة... و كذلك من قوله تعالى «و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون» الشورى/٣٨... بل ان الشريعة الاسلامية امرت الأبوين عند فطام طفلهما أن يتشاورا فى ذلك فيتخذوا قرارهما بعد التشاور «فان أرادا فصلا عن تراض منهما و تشاور فلا جناح عليهما...» البقرة/٢٣٣... على أنه لا غضاضة فى اللجوء الى الاستشارة فانها من معالم سمو العقل و من أمارات الرغبة فى وزن الامور وزنا دقيقا و مراجعة مقدماتها مراجعة شاملة. و ما كان أمر الله نبيه بمشاوره اصحابه قائما على توقع الخطأ و التقصير بل انها الحكمة و هى خير هبات الله لعباده [٢٠] ...

## الرسول و المؤمنون...

كان من حصيلة جهاده صلى الله عليه و سلم فى الساحتين المكية و المدنية خلال ثلاثة و عشرين عاما ان ثبت الله بالقول الثابت فريقا من المؤمنين من سائر قبائل العرب و فهيم من ذوى قرابة النبى غير قليل و فيهم الرجال والنساء و كان اهل السبق الى الايمان اظهر نصيبا من رضا الله و عظيم اجره و مغفرته. و فى القرآن الكريم نجد اكثر من اشارة الى فئة المؤمنين هؤلاء محمودا دورهم و جهدهم و ايمانهم و حسن صحبتهم لرسول الله، و فيما يلى جمهرة من الآيات القرآنية مكية و مدنية فى هذا الاطار... «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و اليك المصير» البقرة/٢٨٥... فى النص صورة لمنطوق الايمان و مفهومه لدى المؤمنين و هو على حد منطوقه و مفهومه لدى الرسول صلى الله عليه و سلم و انها لشهادة من الله لهؤلاء المؤمنين بصدق ايمانهم لا سيما اذ ذكرهم عند ذكر نبيه و فى نفس المقام و الحيز... «ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنودا لم تروها و عذاب الذين كفروا و ذلك جزاء الكافرين». التوبة/٢٦ فى النص ما يشير الى ان السكينة على الرسول و على المؤمنين على حال سواء مما يستدل به على استئصالهم هذا اللطف الالهى العظيم... «لكن الرسول و الذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم و أنفسهم و أولئكم لهم الخيرات و أولئكم هم المفلحون». التوبة/٨٨ فى هذا النص شهادة بصدق ايمان المؤمنين الذين اتبعوا رسول الله و بحسن جهادهم بأموالهم و أنفسهم و قتالهم فى سبيل الله و كانوا من ادوات كسب النصر و الحصول عليه. و قوله تعالى «آمنوا معه» بتبنيته المعية حيث ذكر الايمان يستدل منه على مواصلة الصحبة و ملازمة الرفقة مما يجعل الايمان قد بلغ فى نصابه الذورة و فى رسوخه اعماق النفوس... اجل [صفحة ٧٩] انهم اصحاب رسول الله من رضى الله عنهم و رضوا عنه... «و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»... التوبة/١٠٥ ان صدق المؤمنين فى ايمانهم جعلهم جديرين ان تكون لهم الشهادة على اعمال شهد الله و رسوله عليها فكانوا هم فى جماعة الشاهدين... «بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول و المؤمنون الى أهلهم أبدا و زين ذلك فى قلوبكم و ظننتم ظن السوء و كنتم قوما بورا». الفتح/١٢ كان خصوم النبى و اعداؤه يلاحظون على اتباعه المؤمنين الذين يرافقونه و يجاهدون بين يديه صدقهم فى طاعته و اخلاصهم له بما يجعلهم يعاملون هؤلاء الاتباع المؤمنين معاملتهم النبى فى كرههم الشديد... و لو لم يكن اتباع رسول الله على هذا المستوى من النصح و الاخلاص و النقاء لما كانت معاملتهم على هذا الوجه... ان اصحاب رسول الله الذين عايشوا رسول الله اكتسبوا من هذه المعاشة و المرافقة خيرا جد كثير و اذا كان هناك من نخر النفاق فى قلبه فأولئك وضح امرهم و خذلهم الله كل خذلان... «محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود...» الفتح/٢٩ فى النص تقييم كبير لاصحاب النبى من حيث جاءت صفتهم فى النص بأنهم اشداء على الكفار و انهم رحماء و لذلك فى مجال العلاقات الشخصية و الاجتماعية... اما فى مجال العلاقات الخاصة بين العباد و بين خالق العباد فانهم كانوا مستمسكين بالدين يؤدون فرائضه على أتم وجه... اما قوله تعالى «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود...» فان للايمان سحنته فى وجوه المؤمنين اذ يفتح عليها البشر و الرضا باقدار الله و التفاؤل بما يتمنون ان يكتبه الله لهم فى الدينا و فى الآخرة... ان وجوه نبلاء

الناس وكرمائمهم غير وجوه اخسائهم و لؤمائهم. لقد كان هؤلاء بشدتهم على الكفار و رسوخ الرحمة في نفوسهم تجاه المؤمنين مصدر انتصار الاسلام و وصوله الى سائر افاق العالم و ما تزال البشرية التي تؤمن بالله و رسوله و تتمسك بعري الاسلام في سائر انحاء العالم اليوم هي من آثار فضل اولئك الاتباع المؤمنين الذين تذوقوا حلاوة الايمان في رفقة رسول الله و اصابوا من الهدى و التقوى على يده صلى الله عليه و سلم ما جعلهم من الخالدين... فصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله و رضى عن آله و صحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين...الخصائص الذاتية للرسول...«فما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر فاذا عزم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» آل عمران/١٥٩. فى هذا النص تنويه بجمهرة من الخصائص الاخلاقية العالية التي اتصف بها الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم منها أنه كان هينا و لينا للناس على اختلاف مشاربهم و سلوكياتهم و جعل الله ذلك من بعض رحمته التي اولاها الله نبيه كما اولاها الناس ايضا و منها - و قد يكون من بعض معانى اللين - أنه صلى الله عليه و سلم لم يكن فظاه و لا- غليظ القلب مما لو كان فيه من ذلك شىء لفرت منه الناس و لما اقبلت عليه بالمودعة و التعاطف و فى ذلك دلالة واضحة على أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان محبوبا من غالبية ابناء الامة و افراد المجتمع... و لذلك وصى الله نبيه بالتسامح فى معاملته القوم جزاء مودتهم و سلامة قلوبهم و امره بالعفو عن هنات يقعون فيها كما امره بالاستغفار [ صفحة ٨٠ ] و هو فضيلة من فضائله كما أن الله وصى نبيه بمشاورتهم اذا حزبه أمر فان خير المشاورة مشاورة براء النفوس الذين خلت صدورهم من الحقد و النفاق فان هؤلاء يدلون بالنصيحة على وجهها الذى تتمثل فيه النصيحة و القول السديد... و من خصائصه الذاتية فرط حيائه و قد اشار القرآن الكريم الى شىء من ذلك «ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم» الاحزاب/٥٣. و قد اشرفنا الى حياء النبى فى باب اخر من هذا الكتاب. و من مزاياه الذاتية و سماته و خصائصه سمو ذوقه و حسن تقديره لمحاسن الاشياء و لا سيما أمارات الجمال و ملامحه. و فى قوله تعالى «و لا أن تبدل بهن من ازواج و لو أعجبك حسنهن» الاحزاب/٥٢ و فى ذاك اشارة الى ان الرسول الاعظم كان سوى التكوين البشرى بحيث كان يتمتع بذوق متكامل و سلامة تقدير و حسن تمييز بين منازل الجمال و القبح و ذاك لا- يكون الا- لدى من تألق الذوق فيهم و نضجت اريحتهم و طاب مذاق الحياة فى نفوسهم... ان الاعجاب بملامح الحسن فى النساء دليل اكتمال شخصية الرجل كما ان فى ذلك دلالة على سوية من يكون كذلك و على درايته بالنهج الانسانى العام فى تقدير مثل هذه الامور...ان النبوة لا تحطم فى الانبياء معالم الحياة و لا تبعدهم عن مصادر الذوق و لا تطفىء فيهم الحس الوجدانى الذى يميز اسوياء البشر عن غيرهم... فالانبياء مأذون لهم ان يتزوجوا و ان ينجبوا و ان فيهم و من كان نبيا و كان أبوه نبيا و جده. و فى زواج النبى من امرأة ما يتوصل اليها به من طريق الاعجاب بحسن تلك الزوجة و بأهليتها للاقتران بذلك النبى... و حكاية الحسن منظور اليها فى هذه الامور... و كان النبى معروفا بتذوق اطيب الطعام و التلذذ بذلك رغم تواضعه و اكتفائه باليسير من الطعام بحكم ما كان مجبولا عليه من القناعة و الرضا برزق الله... و من خصائصه صلى الله عليه و سلم و سماته الخلقية ما جاء فى سورة المدثر من قوله تعالى: «... و ثيابك فطهر. و الرجز فاهجر [٢١]. و لا تمنن تستكثر. و لربك فاصبر» المدثر ٧/٤... فلقد نزلت هذه الآيات و الرسول فى اول ايام تنبيته برسالة النبوة و قد لجأ الى الفراش و الادثار من فرط البرد يومذاك قال الفلكيون ان ايام المبعث النبوى كان فى شهر شباط من ذلك العام و كانت تلك الايام قارسة البرد، و المهم ان ما جاء فى النص من تطهير الثياب و عدم المن بالاستكثار و هجر الرجز و ما الى ذلك من الصفات و المآثر التي كان النبى يتصف بها قبل النبوة... يدل على ذلك ما كانت قائلته خديجة لرسول الله اذ ذكر لها نبأ الوحي الذى نزل عليه فى غار حراء فانها قالت له: انك لتحمل الكل و تعين ذا الحاجة و تشيع المعروف... و ما جاء فى نص السورة من اوصاف و أوامر الهية انما يقع على الاتفاق بين خلقه صلى الله عليه و سلم بشريا من قبل النبوة و بين ما احتوت عليه تعاليم النبوة من مكارم الاخلاق و محامد الخصال و رشيد الاعمال. فتطهير الثياب و هجر الرجز و ما يرمى ذلك اليه من القيم التي ثبتتها الآية الكريمة... فهي اذن من بعض صفاته صلوات الله عليه و قد اراد الله تذكيره بها و استمراره عليها لانها ان كانت قبل النبوة من شمائل الرجال فانها بعد النبوة من خصائص الانبياء... و ان مهمة النبوة مهمة غير يسيرة فهي جهد عظيم و

قراع رهيب في ساحة من أشد الساحات خطرا و اوسعها جولانا. فالرسل جميعا منتدبون لاعمال عليهم أن يؤدوها مهما كان عبثها شديدا و رسول الله واحد منهم... [صفحة ٨١]

## امية النبي الامي

كان العرب اميين «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم» الجمعة/٢ الاميون بالمعنى اللغوي هم الذين لا يقرأون و لا يكتبون «و منهم اميون لا- يعلمون الكتاب» البقرة/٧٨ بل ان العالم كله او معظمه كان اميا لا سيما عوام الناس و سائر افراد الشعوب الا الكهنة و من مائلهم من الحكماء. و ذاك أن الامية أمر طبيعي حتى لا يكون ثمة ما يكتب و يقرأ لا سيما اذ كانت الحضارات ايام بعثه صلى الله عليه و سلم قد انهارت و انقرضت بفعل انصراف الامم و الشعوب القديمة الى الحروب الطاحنة و الغزوات المدمرة ان الامية لم تكن في تلك العهود عيبا او منقصة او تتخذ منها كلمة ثلب لاحد بل كانت اذا ذكرت يراد بها ذكر واقع الناس و الامم... بل ان من لم يكن اميا و كان يقرأ و يكتب لا يجد في ذلك ما يحمله على المباهاة و المفاخرة. على ان وجود الذكاء و النباهة لدى اولئك الاجيال كان يعوض بعض التعويض في حياتهم اليومية عن حاجتهم الى القراءة و الكتابة... ان حروف الكتابة اشبه بأرقام الحساب يعرفها من يعرفها فان كان فقيرا مملقا فان معرفة تلك الارقام لا تجد به نفعا. «و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطه يمينك اذن لارتاب المبطلون»... العنكبوت/٤٨ كان للكتابة في الجاهلية وجود لا مجال لانكاره ولكنه كان من كماليات الاشياء و مزوقات الصفات و لم يكن تعلم القراءة و الكتابة بالامر الهين اذ كان يتطلب نفقات كبيرة و تفرغا و متابعة مستمدين، كما ان متعلم القراءة و الكتابة اذا لم يجد مجالا لممارستها فانه ينسى الكثير مما تعلمه منهما و لم تكن البيئة العربية يومذاك بيئة تأليف و تدوين و مكاتبات و مراسلات لذلك كان معظم رجال العرب غير عابئين بتعلم القراءة و الكتابة، كما ان الاعتماد على الذكاء و الفطنة و قوة الحفظ لديهم كان يصرفهم عن التفكير في الكتابة و تثبيت المعلومات التي لو كتبوها لم يجدوا من يقرأها و كانت تتجلى مزية الرجل فيهم لا سيما الرواة و الخطباء و الشعراء بالذهنية التي تستوعب الكثير من اخبار التاريخ و القصائد و ما الى ذلك بل بلغ الامر بهم ان اتهموا من يكتب بفساد المعلومات التي يكتبها و من هنا جاءت كلمة التحريف الذي يعنى تغيير الالفاظ عن مواضعها و تشويه مقاصدها و انما جاء اللفظ من استعمال الحرف في الكتابة و مثل ذلك كلمة التصحيف التي جاءت من استعمال الصحف و ما يزال الناس عندنا يتسخفون بمن يكتب الاشياء البسيطة في ورقة او كتاب. و لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم و قد مات كافله الذي هو جده عبدالمطلب في سن من الصغر مبكرة بالقادر على ان يجد فرصة للتعلم على ان فكرة تعليم الصبيان لم تكن معروفة يومذاك و لا كان النبي صلى الله عليه و سلم متيسرا له ان يتعلم الكتابة ايام كفالته عمه ابي طالب اياه لا سيما بعد اضطراب الاحوال المعاشية على عمه و قد اشتغل النبي صلى الله عليه و سلم برعى الاغنام و لم يكن مثل ذلك مما يسمح بالقراءة او الكتابة او يتطلبهما و عندما اختير للاعمال التجارية التي كانت لخديجة كان الاوان قد فات على حكاية القراءة و الكتابة على انه يبدو ان التجار يومذاك لم يكونوا يتخذون السجلات لضبط امورهم التجارية اذ قد يكون العمل التجارى عندهم ذا طبيعة سرية يتكتمون فيها. و كانت عادة الامانة و الثقة تمنعهم من كتابة الديون و تحديد مواعيد تسليمها لولا ان القرآن الكريم كان اول من امر بذلك «يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل و لا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله...» البقرة/٢٨٢... و النقطة الثابتة ان التجارة يومئذ لم تكن خاضعة لموافقات جهات رسمية بحيث تتطلب الاجازات و اتخاذ الاضابير و كتابة اسماء المنشأ التجارى كما ان العملات لم تكن يومذاك تمر بظروف الصيرفة المعروفة ليصار امرها الى التسجيل و التثبيت. و معظم ما نشأ في ظل الحضارة الاسلامية فيما بعد من اعراف تجارية و ما اشبه ذلك لم يكن معهودا عند العرب ايام جاهليتهم... و خلاصة ما قلناه هو أن النبي صلى الله عليه و سلم كان اميا لا يقرأ و لا يكتب و لو كان قد عرف بالدراسة [صفحة ٨٢] و القراءة و الكتابة مع ادعاء الامية بعد النبوة لو وجه بذلك و في القرآن الكريم قوله تعالى «و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا- تخطه يمينك اذن لارتاب المبطلون»... و كلمة المبطلين كانت تشمل جميع من

دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم لرسالته اول الامر وقد نقل القرآن اقوالهم في النبي و كان ظاهرا فيها التعسف و الافتتات و الكذب فهم حين ذكروا النبي بانه ساحر و شاعر و كاهن فان كل هذه الصفات لم تكن لها أية صورة في حياته اليومية و لم نجدهم قالوا انه كان يقرأ و يكتب ولكنهم نسبوا الى رجل اعجمي انه كان هو الذى يعلم النبي، و قال القرآن فى ذلك «و لقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى و هذا لسان عربى مبین» النحل/١٠٣... ان النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يقرأ و يكتب لجاهره بذلك الذين يعلمون أنه يقرأ و يكتب بل لصرح من علمه القراءة و الكتابة بأنه هو الذى علمه القراءة و الكتابة... و قد اتخذ النبي كتابا للوحى و الرسائل كما انه حث نفرا من الصحابة على تعلم بعض اللغات الشائعة فى ذلك الزمان اما دعوته للامة الى تعلم القراءة و الكتابة فأمر ثابت. و رغم ان الاعتماد على تلاوة القرآن كان من طريق استظهاره فان النبي حرص على كتابته و كان هذا معروفا فى سياسته القرآنية صلى الله عليه وسلم بحيث تولى عثمان بن عفان تحقيق هذه المهمة اذ ألف لجنة من كتبة الصحابة كتبوا القرآن كله و اتخذوا منه عدة نسخ و زعت على الآفاق الاسلامية المعروفة و قد استغرق ذلك بضع سنين... و من المعلومات البديهية فى موضوع القرآن الكريم أنه مؤلف من سور عدتها مئة و اربع عشرة سورة غالبها مكى و كل آياتها كثيرة تجاوز المئتين و بعضها تكون آياتها قليلة فى نحو ثلاث آيات. و كان ذلك معروفا منذ العهد المكى. و فى صلب القرآن ما يشير الى هذه التسميات اى الآيات و السورة. و الكلام على القرآن الكريم فى نظمه و بلاغته و تنسيقه لا يستوعبه بحث موجز و انما هو مما تؤلف فيه الكتب و المطولات. ان امية الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة ثابتة انعقد عليها اجماع الامة فى جميع ازمته التاريخ. و لم يكن مثل ذلك ليخفى على من عايش النبي قبل النبوة و بعدها و لا على من كان يراقبه صلى الله عليه وسلم مراقبه دقيقة من نمثل احبار اليهود و غيرهم... و الذين يدعون أن النبي كان يقرأ و يكتب يحسبون أن ذلك مما يقدح فى صدق نبوته فى حين أن النبوة لا يمكن أن يحققها الامام بالقراءة و الكتابة فما اكثر الذين يقرأون و يكتبون و لا سهم لهم من نبوة او رسالة فان الذين يحسنون القراءة و الكتابة كثيرون ولكنهم لم يظهر فيهم من يملك ما ملكه النبي من الاقتدار على الاتيان بشريعة حكيمة رشيدة عالجت مشاكل العالم و رسمت لحياة الامم منهجا سليما و سديدا... و فى القرآن احكام لم تعرف فى شرائع اخرى كأحكام المواريث و الزواج و الطلاق و كذلك ما يتعلق بالعبادات من صوم و صلاة و ما الى ذلك من محتوى حين قورن بالديانات القديمة كان اغزر منها عطاء و اكثر رشادا و أسد منحنى فى اصلاح الامم و الشعوب... على أن فى القرآن الكريم غيبات يعد الكلام فيها من قبل كائن بشرى مجازفة لم يقدم عليها احد من بنى البشر. و فى تضاعيف هذا الكتاب ما يوضح كثيرا من هذه النواحي لمن يقبل على مطالعته بانعام نظر و اهتمام... ان كثافة التعاليم القرآنية و الاحكام المتعلقة بالعبادات و المعاملات التى قام عليها امر الشريعة الاسلامية بحيث كان ذلك سند الدولة الاسلامية الكبرى فى سائر معاملاتنا. أجل ان ذلك لم يكن موجودا فى دين سلف و لا شريعة سبقت و لا كتاب مكتوب ليقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد قراه. بل ان التوراة و الانجيل لم يكن شىء منهما معربا الى العربية يو مذاك اذ عربت التوراة فى نهاية [صفحة ٨٣] القرن الهجرى لاول. لذلك لا اهمية لادعاء من يدعى أن النبي كان يقرأ و يكتب. لقد وجدنا فى آيات المواجهة أن خصوم النبي كانوا يتهمونه بما يظنونه مسقطا لنبوته فلم نجدهم قالوا انه كان يقرأ و يكتب مما نستخلص منه ان امية النبي كانت حقيقة لا يعجز على مثلها نزاع او جدل او خلاف.

### الرسول و العناية الالهية...

فى القرآن الكريم اشارات و عبارات يعلم منها ما كان لله عزوجل من عناية تامة برسله و انبيائه منذ كانوا على عهد الصغر و الطفولة فلقد علمنا اللطف الالهى الذى تدارك الله به موسى عليه السلام فى قصة كسر القرآن الكلام عليها بما يشبه التفصيل «اذ تمشى أحتك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تفر عينها و لا تحزن» طه/٤٠... و الكلام على ابراهيم عليه السلام «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم» الانبياء/٦٠ و كذلك كان لطف الله جل و علا قد اسبغه الله على محمد بن عبد الله الذى ولدته امه و كان

ابوه قد مات قبل ان يرى ابنه فكان الله عزوجل قد عوض عن ابيه بجدة جليل القدر هو عبدالمطلب وعم بار هو ابوطالب وفي سورة الضحى جاءت الاشارة التي ينوه بها النص القرآني قوله تعالى: «و الضحى و الليل اذا سجدى. ما ودعك ربك و ما قلى. و للاخرة خير لك من اولى. و لسوف يعطيك ربك فترضى» الضحى ١/٥... القسم هنا قائم على ظرف تتفتح الاضواء فيه بحيث يرى فيه كل شىء جهره و على نقيضه و هو الظلام الدامس الذى يلف الليل فلا يظهر فيه لعين الرائي ما كان يظهر على ضوء النهار. و هو يدل على عهد من الله بانه لم ينصرف عن عبده محمد و لا- كان بقاليه و تاركه. و قوله تعالى «و للاخرة خير لك من الاولى» و هو و ان كان امرا خالصا برسول الله فان فيه اشارة الى ان ما يقع للعبد من بعض اقدار الله و هموم الحياة و شدائد الايام فانه معقب بما هو خير و رخاء فالفرج أبدا يأتى فى اعقاب الشدة فان ذلك فى عالم الحياة يكون به للفرج مذاق ملحوظ بالذوق الحسى و المعنوى فيكون لوجوده اكثر من جوده... و قوله تعالى «و لسوف يعطيك ربك فترضى». و هذا نص صريح بوعد وعده الله نبيه محمدا بن عبد الله اذ تعهد له بالعتاء الكثير الذى يرضاه. و فى هذا النص معنى الاسترضاء الذى لا نقول انه فى معنى الاعتذار و ذلك لان الله لا يعتذر لاحد. ولكنه فيه معنى الاستلطاف و حسن البشارة و قد اقترن الوعد بلام التوكيد و فى ظلل هذا الوعد الالهى القاطع كان التفاؤل ابدا يسود حياة النبى اليومية فى صدد ما يعطيه الله و ما يرضيه. و قوله تعالى «فترضى» جاءت الفاء و كأنها تعنى معنى «حتى ترضى» امعانا فى رعايته تعالى لرسوله الاعظم و مبالغه فى الاعتزاز به و تكريمه الذى هو حقيق به و اهل له صلى الله عليه و سلم، اما (سوف) فلأنها قرنت بلام التوكيد فقد زالت مظنة التسويف منها و صار يراد بها الوعد الحق القاطع. «ألم يجدك يتيما فأوى. و وجدك ضالا فهدى. و وجدك عائلا [٢٢] فأغنى» الضحى ٨/٦... ان فى هذا النص استدلالا على واقع تاريخى مشهود اراد الله اقراره و لفت النظر اليه، و لقد كان النبى يتيما حقا - و يتم الايتام كثير فى الناس - فكان ابواء الله اياه كائنا فى ابواء جده و حسن تربيته و حدبه البالغ عليه فان عبدالمطلب جده كان قد استدعى عددا من شهيرات القوابل فى بطاح مكة فأشرفن على ولادته اشرفا يلاحظ فيه من الأبهه و المبالغة فى العطف و الحنان ما فيه... و راح عبدالمطلب يبعث وراء حليمه السعدية مرضعه الاسرة فراحت تحتضن النبى فتحمله الى اهلها فترضعه فى مضارب باديه بنى [صفحة ٨٤] سعد من بوادى العرب المعروفة بالفصاحة و طيب المناخ... و كان عبدالمطلب يكثر من اكرامها و اغداق الرعايه عليها ثم كان من امر عمه ابى طالب ان تولى رعايه ابن اخيه بعد وفاة الجد الجليل القدر و الكبير الشأن. اما قوله تعالى «و وجدك ضالا- فهدى». فانه يعنى ان النبى كان حاله كحال من لا دين له فجعله الله على رأس دين من خير اديان السماء... و هو الاسلام... و مر النبى بهذه الحالة التى اراد الله بها ترويضه على تحمل لون من اقسى ألوان الحياة هو الفقر ثم اكرمه الله بما صرف عنه ضائقة ذلك الفقر و لا يعنى هذا انه صلى الله عليه و سلم صار من مشاهير الاغنياء و الموسرين فان ذلك ليس من مفاخر الرجال و لا من اسباب عظمة كرام الناس و اجلائهم و لعل زواج النبى من خديجه ملحوظ فى هذا النص اذ كانت خديجه ذات غنى و يسار و كان الرسول يعمل فى تجارتها التى كانت رابحة غير خاسرة... و قد جاء ذلك فى سورة الضحى التى بدأها الله بالقسم الظاهر الذى اقسامه على انه لم يكن قد ودع النبى أى تركه و لا قلاه أى اهمله و جاءت تلو ذلك انه وعده ببشارة عظيمة هى قوله تعالى «و للاخرة خير لك من الاولى» فكان ذلك كذلك و صار محمد رسولا منه تعالى الى خلقه بل كان خاتم انبيائه و رسله... ان عنايه الله بالرسول الاعظم ظلت ابدا تتولاه صلى الله عليه و سلم فى كل مرحلة من مراحل حياته و فى كل فترة من فترات وجوده. و فى كتابنا اكثر من نقطة و اكثر من خط على هذه المنه العظيمة التى عاش النبى فى ظلالها و تمتع بالكريم من افيائها فكان الى اخبر لحظة من لحظات حياته يعلن عبوديته التامة لله و اخلاصه و ولاءه لرب العالمين اذ اسبغ عليه ربه من نعمه ما لم يسبغه على احد من العالمين و عند ملاحظه ما جاء من آيات «الضحى» عند ختام السورة «و أما بنعمة ربك فحدث» فلقد وصى الله نبيه بان يتحدث بما اصفاه عليه من بالغ نعمه و عظيم كرمه ما اتاه من النبوه ما ناطه به من مهمه اصلاح الامه و اخراج الناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان. و قبل ايضائه بالتحدث بالنعمة الالهية عليه جاءت التوصية برعايه اليتيم «فأما اليتيم فلا تقهر» و باجابه السائل الملحاح الذى يسكب ماء وجهه من اجل الحصول على لقمة العيش «و أما السائل فلا تنهر». ان التحدث بنعمة الله لا يعنى اللهج بتفاصيل ذلك بالسرد التاريخى و

الواقعي و انما يراد به اللهج بشكران البارىء على ما كان من ذلك من احاطة عبده بكل أسباب اللطف و التكريم. لقد كان النبي صلى الله عليه و سلم حقا محل لطف الله به بدءا و ختاماً و مما يعد من بعض عنايه الله لنبيه ما جاء من الايات التي تشير الى حالة النبي في معاملته قومه له بما يضجر و يؤذى. ففي القرآن الكريم «و لو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً» الاسراء/٧٤... فلقد كان قومه آخذين بالتضييق عليه يريدونه ان يستجيب لامرهم و توجيههم ولكن الله كان يحيط النبي بكل حمايه و رعايه و صيانته. و كان الله ابدا يتدارك انبياءه و رسله من جسيم الاخطار و الشدائد. و في القرآن من الاشارات الى ذلك ما يلاحظ في كثير من سوره و آياته...

### المتابعة الالهيه...

في القرآن الكريم ما ينوه بان الله يتابع حركات نبيه و سكناته متابعه لطف و رفق و يلاحظ ذلك في بعض ما ينزل على نبيه من القرآن من مثل قوله تعالى «ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار...» المزمّل/٢٠... و من مثل قوله تعالى «و توكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم. و تقلبك في الساجدين. انه هو السميع العليم» الشعراء/٢١٧/٢٢٠... [صفحة ٨٥] و من مثل قوله تعالى «و اذا تقول للذي انعم الله عليه أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله...» الاحزاب/٣٧... النعم كلها من الله جل جلاله «صراط الذين أنعمت عليهم» الفاتحة/٦... و هنا وصف النبي صلى الله عليه و سلم بالانعام على رجل انعم الله عليه جل جلاله. و ظاهر في هذا اعطاء نصيب وافر من التكريم للنبي صلى الله عليه و سلم بحيث كان انعامه قرينا بانعام الله جل جلاله و الانعام لا يمكن ان تكون له صورة واحدة فان قوله تعالى «أنعم الله عليه» من دون ذكر شيء عند النظر في ملامح هذا الانعام و مفرداته يدل على انه انعام متكرر مستديم متفرد به... و من مثل «ان لا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه...» التوبة/٤٠... و من مثل «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها و تشتكى الى الله و الله يسمع تحاوركما» المجادلة/١... و من مثل «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» البقرة/١٤٤... يلاحظ من هذا سعة الرعاية الالهيه التي يوليها البارىء عزوجل نبيه الكريم و المدى العريض للمتابعة الالهيه التي يحيطها الله بالرسول الكريم مما لا يعرف له مثل في الموقف الالهى من سائر الانبياء و الرسل... ان في هذا دلالة على ان الله جعل اعزاز نبيه صلى الله عليه و سلم و اكرامه و تقريبه من ذاته العلية و حفوله الكبير مسألة منهجية مستمدة في معاملته النبي من خلال الوحي و خارجه و ان ملامح ذلك و صورته متناثرة في التنزيل العزيز و متوزعة فيه فلقد كان رسول الله من هذه الناحية يحيا في اجواء الرعاية الالهيه محدوبا عليه و مشمولاً من ربه العظيم بكل نعمة عظيمة... و من معالم ذلك ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام...» البقرة/١٤٤. فان في هذا النص ان الله كان ينظر الى تقلب وجه النبي في السماء و قد اورد ذلك بكلمة «قد» المؤكدة للامر. اذ كان النبي صلى الله عليه و سلم اذ فرضت الصلاة ايام العهد المكي ينجه الى بيت المقدس في صلاته... و من هنا قيل في صفة بيت المقدس انه أولى القبلتين ثم قيل فيه انه ثالث الحرمين [٢٣]... و كان صلى الله عليه و سلم يتمنى لو كانت الكعبة هي القبلة لا سيما بعد شخوصه و صحبه الى المدينة في الهجرة المعروفة... و لقد استجاب الله لنبيه استجابة قال فيها جل شأن «فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره». و كان المسلمون طوع هذا الامر اذ انهم عندما نهوا الى تحويل القبلة و كان فريق منهم في حال صلاة جامعة بادروا الى الاستدارة فورا و في ذلك ما يشير الى ان الامر الالهى بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة لقي هوى لدى المسلمين، فان لمكة في نفوس العرب جميعا معنى لا يزاخمه من أرض الله و بقاع دنياه شيء. لقد كان اقتراح النبي على ربه في صدد تحويل القبلة. و الموضوع في ذلك موضوع عبادة و صلاة قد حاز قبولا عند الله اكرم به نبيه و نفذ له مقترحه ورد للكعبة اعتبارها القديم اذ اجمعت العرب منذ جاهليتها على النظر اليها نظرة سامية

عالية. وقد جرت تسميتها بلفظ «بكة» عدولا عن اسمها الشائع «مكة» لأنها كانت ما تزال غير آتلة الى حظيرة الاسلام وكذلك من اجل عدم اثاره حنين المهاجرين اليها. وان تسميتها بالمسجد الحرام معروفة عند [صفحة ٨٦] المسلمين على اعتبار ذلك مما ستؤول اليه هذه البلدة الكريمة العظيمة لن احتضان الاسلام والانتماء اليه... وقوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء» يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كثر تقلب وجهه في السماء على جهة يفهم منها فرط حرصه وتعاضم رجائه وتكرر توسلاته وقوفه مكان اللانذ بلطف الله وعون الله في تحقيق رجائه هذا... ومما يدخل في اطار المتابعة الالهية قوله تعالى «قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» الانعام/٣٣... فان الله جل شأنه اذ يتابع موقف الناس من رسوله فانه شهد انهم لا يتهمونه بالكذب لانهم لم يسجلوا عليه من ذلك شيئا قل او كثير فهو الصادق الأمين منذ ايام شبابه الى ايام مبعثه رسولا الى قومه و من وراءهم من الاقوام... لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل في تجارة خديجة قبل الزواج منها وبعده. ومجال التجارة مجال تبرز فيه المزالق وتظهر فيه سلوكيات يتنبه الناس اليها ان كانت حسنة او كانت غير حسنة. و التجارة همزة وصل بين من يعمل في حقلها وبين من يتعامل مع ذويها بغض النظر عن الديانات والمعتقدات ومراتب الناس وقد يكون فيهم الغريب والساذج والضعيف والحر والرقيق والغافل ممن يتعرضون لتعامل فيه خروج على المألوف والمعتاد في تعامل ذوي الغنى والقوة والشأن والقربا وغير ذلك... فقد اجتاز النبي هذه المرحلة الحرجة وهو في رأى الناس كلهم صادق و أمين ونزيه وكما قلنا لقد شهد الله على تنزيهه الناس رسوله من انه لم يكن محل تكذيب احد منهم ولا محل اتهام ولا شك في تمتعه بالفضائل والكمالات التي يحمد عليها المتصف بها والتي لا ينساها من تعرف عليها وكان قريبا منها وهي اى فترة التجارة هذه لم تكن مما يعد بالاشهر بل كانت تعد بالاعوام الطوال... وفي القرآن الكريم «... و يوم حنين ا أعجبتكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا و ضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين» التوبة/٢٥... وفيها تصوير لحالة الادبار والكثرة التي وقع اعجاب القوم بها وما الى ذلك من المشاهد التي جاء بها النص و المتابعة هنا كائنة وقائمة... و من المتابعة الالهية قوله تعالى «و اذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآبهم للقتال و الله سميع عليم» آل عمران/١٢١... فان غدو النبي من بيته للقيام بمهمة التسويق العسكري اشار اليه الله وهي اشارة تعنى تقدير الموقف وان علم الله به يتبعه عونه تسديد التحرك فيه و قرن عاقبته بالنجاح والتوفيق... و من آيات المتابعة قوله تعالى «اذ تصعدون و لا تلون على أحد و الرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم و لا ما أصابكم و الله خير بما تعملون» آل عمران/١٥٣... فان الله ينبيه الرسول بأنه كان يشهد موقفه في المعركة اذ انفضوا عنه وهو ثابت القدم يدعوهم ان يرجعوا اليه لكسب المعركة و اشعار الله نبيه بأنه كان يراه في هذه الحالة يدل على فرط حفول البارئ به صلى الله عليه وسلم... و من آيات المتابعة قوله تعالى «ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون، و لو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم و الله غفور رحيم» الحجرات ٥/٤... فى النص وصف لما وقع من قوم كانوا يتصارخون يخبرون رسول الله بقدمهم عليه من وراء باحات البيوت. اذ ان الحجرات تعنى ذلك و لا تعنى الغرف فى هذا المكان من النص القرآنى. فلقد صور الله المشهد على ما كان قد كان و حكم الله على اولئك القوم بأن أكثرهم على جهل و غياب عقل لان تصرفهم لم يكن لائقا و لا مقبولا و لا مرضيا. وقوله تعالى «و لو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم» فيه [صفحة ٨٧] من معانى المتابعة ما يجعلهم لو كانوا قد صبروا لنظر اليهم الله وهم على حال من الصبر و الانتظار و قد خرج اليهم النبي... و من آيات المتابعة الالهية لاعمال النبي قوله «عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا و تعلم الكاذبين» التوبة/٤٣... بدأ النص بكلمة العفو التي هي هنا كلمة الهية تسقط بها كل مسؤولية، ولكن الله تولى تعليم نبيه و متاعبه اعماله و اقواله التي يتولى تعليم نبيه و متاعبه اعماله و اقواله التي يتولى تصحيحها بالوحي و التنبيه على ما يدق منها و يجمل فان ذلك مسألة طبيعية فى عالم النبوات فما من نبي لم يصحح الله له تصرفا فعليا او قوليا. و آيات التنزيل صريحة فى ذلك لان الحكمة كلها من الله يتابع تلقين الانبياء بها فى كل حين. و فى كلمة العتاب هذه تعليم للنبي كيف يعمل فى مثل هذه المطالب... فقد كان التنبيه منصرفا الى تخطيط القاعدة التي يتم وفقها اجراء ما يجب على النبي عمله عند الاذن والاستئذان... و من بالغ لطف الله برسوله انه بدأ القول

بالعفو الالهي الصريح عن النبي و لو لم يكن قد بدأه بذلك لما كان فيه من ايداء للنبي او ما يجب التعزير فيه، ولكن اللطف الالهي المسبغ على النبي ابدًا هو الذي جعل كلمة العفو تسبق ما يشبه العتب في موضوع ذلك الاذن. وفي النص تركيز على ان النبي لا يعلم الغيب و لا تتكشف له اسرار النفوس لان علم تكنه الصدور بين اضلاعها انما هو من اختصاص الله وحده و في النص بيان بان الرسول كان يجتهد في اصدار بعض القرارات على ضوء المقدمات التي تكون لديه... و في الحديث النبوي الشريف (لعل بعضكم يكون ألحن بحجته فأحكم له و انما احكم له بقطعة من النار...) و فيما اوردناه في هذا الباب كفاية لما اردنا اثباته من أن الله عزوجل كان يتابع تحركات رسوله متابعة عناية و تفقد و رعاية...

## القرآن الكريم و قراءته...

القرآن الكريم كتاب الله الذي انزله منجما على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم و قد اودع فيه حقائق الدين و أحكام الشريعة و انباء الرسل و احداث الامم من آمن منها بالله و من جحده و كفر به... و قد استغرق نزول القرآن ثلاثا و عشرين سنة لو راجعها المراجع لرأى فيها مراحل الدعوة الاسلامية و خطوات النبي في مراودة الاحداث و شاهد مواقف الناس في ساحة الدعوة و لاستطاع ان يلم بسائر ما حدث للرسول و هو يدعو قومه الى الله و لرأى رأى العين تمام نصر الله عزوجل... و من اجل ذلك جعلنا القرآن مصدرنا الوحيد في تتبع سيرة الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه و سلم... على ان القرآن قد جاء وصفه في تضاعيف آياته و في طي كلام منزله جل شأنه فهو الذي يهدي للتي هي اقوم على ما جاء به النص في سورة الاسراء الآية التاسعة «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا»... و القرآن معدن شفاء الصدور «نزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين الا خسارا» الاسراء/٨٢ و هو الذي صرف الله فيه للناس الامثال و العبر و مواقع الموعدة الحسنه «و لقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل و كان الانسان اكثر شىء جدلا» الكهف/٥٤... و هو الذي انزله الله لسعادة البشر «ما انزلنا عليك القرآن لتشقى» سورة طه الآية الثانية... و كذلك جاء فيه النص القائل «و لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل...» الروم/٥٨... و لقد لقي القرآن من القوم رفضا و عنادا عن تقبله من غير ما حجة يعلمونها في رفضه على طبعه موفقهم منه و أحقية انكارهم اياه «و قال الذين [صفحة ٨٨] كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذي بين يديه» سبأ/٣١... كذلك كانت اقاويل القوم في الاعتراض على القرآن و منها قولهم «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا» الفرقان/٣٢ و كان من سوء مواجهة القوم للصوت القرآني الذي كان يدخل الى نفوسهم من غير ان يجدوا القدرة على منع تسربه اليها. «و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» فصلت/٢٦... و من اعتراضاتهم على الشخصية التي نزل عليها القرآن قولهم «و قالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف/٣١... و كل اولئك من الاقاويل التي لا تنهض حجة لكفار مكة في انصرافهم عنه... و كان القرآن يناقشهم النقاش المنطقي الهادىء من غير أن يدخل و اياهم في مآزق جدلية فارغة من المحتوى المنطقي «أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها» محمد/٢٤. و ما جاء من صفة القرآن في القرآن كان جديرا بترقيق القلوب و اخذها الى الهدى بكل رفق «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ق/٤٥ و كذلك قوله تعالى «و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر/١٧... اما قوله تعالى «لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» الحشر/٢١ فانه نص ذائع الوصف لهذا الكتاب الخالد العظيم و فيه ما يعطيه مكانته التي يستحقها ما بين كتب الله و صفحه و المراد بهذه العبارة البليغة أن للقرآن أثره القوي التأثير في عالم الحياة اذ انه معدن هدى و رشاد و نبع خير و اصلاح و مناط امل و رجاء... و من صفات القرآن المثبتة في آياته قوله تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان» البقرة/١٨٥... ان القرآن كتاب انذار و تبليغ للناس على اختلافه اما كنهم و ازمتهم «و أوحى الى هذا القرآن لانذركم به و من بلغ» الانعام/١٩... و قد امر الله الأمة أن تستمع الى القرآن عند قراءته و ان تنصت اليه كل انصات «و اذا قرىء القرآن فاستمعوا له و



أنصتوا لعلكم ترحمون» الاعراف/٢٠٤... و لتلاوة القرآن الكريم آداب و رسوم جاءت الاشارة اليها في القرآن «فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم» النحل/٩٨... و اذ ان النبي حين كان يقرأ القرآن فان ذلك يغيظ الكفار و المشركين غيظا و راء غيظ و كان الله يعصمه اذاهم و سخطهم و موقفهم العدائي «و اذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا» الاسراء/٤٥. و في النص ان الله يكتبهم و يخذلهم و يروح النبي يتلو كتاب ربه من غير أن يملكك خصومه اسكاته و منعه عنه رغم تضجيجهم و لغوهم و استفزازاتهم العدوانية الخائبة و هناك و كان يدلي باقتراحات فاشلة لا تدل على غير الفهاهة في الجدل و المتاهة في النقاش و المناظرة و من ذلك «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أتت بقرآن غير هذا أو بدله...» يونس/١٥. ان جميع الشواهد من دخل القرآن و خارجه تؤكد ان القرآن هو قرآن الله و هو كتابه و وحيه الى رسوله محمد صلى الله عليه و سلم... «و ما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه و تفصيل الكتاب لا-ريب فيه من رب العالمين» يونس/٣٧ و كذلك نقرأ في القرآن قوله تعالى «افلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» النساء/٨٢... و قد كانت للقرآن طريقة التلاوة سميت الترتيل «و رتل القرآن ترتيلا» المزمل/٤... و مثل ذلك «... كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا» الفرقان/٣٣... [صفحة ٨٩] لقد كان النبي يتلقى القرآن من ربه بوحى منه تعالى يفرغه في قلبه من غير ان يصل الى علم البشر سر ذلك «و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل/٦... و التلقى لفظ يعبر به عن ثقل محتوى ما يتلقاه متلقيه... و القرآن ينص على ان الرسول كان يستقبل الوحي القرآني بدقة تامة و توجيه الهى حكيم «لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه و قرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه...» القيامة ١٦/١٨ و كذلك جاء في القرآن الكريم «و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا» الاسراء/١٠٦... اما قوله تعالى «سنقرئك فلا تنسى» الاعلى/٦... فانه يعنى ان الله ضمن للقرآن السلامة بحسن الاقراء و مراقبته... غير ان قوله تعالى اثر ذلك «الا ما شاء الله» فانه ليس استثناء فى وقوع النسيان عليه و انما هو استثناء مما وعد الله نبيه ان سيقرئه... فان ما يصل الى النبي من شرع الله ليس كله قرآنا متلوا فان هناك ما هو غير متلو و هذا ما عناه الاستثناء فى الاية الكريمة... و على هذا فان قوله تعالى «الا-ما شاء الله» فالمراد به - و الله اعلم - انه ما يلقى على الرسول من امور هى من غير الوحي المتلو مما يريد الله افهام نبيه به على نحو ما ذكرنا فى باب الوحي من ايصال بعض الامور الى النبي من غير القرآن و لذا جاء النص بصيغة «سنقرئك» اذ جعل حكم بعض هذه المسائل حقيقا بالرسوخ فى الذهن على حجم ما فيها من معان و معلومات اراد الله لنبيه ان يلم بها... اما ما يكون من الامور التى يطلع الله رسوله عليها مما هى خارج اطار الوحي فان فيها ما يؤدى مهمة آنية يقتضيها ظرف آنى و لذا قال تعالى «سنقرئك فلا تنسى. الا ما شاء الله» ما لا نقرئك، فما اقرأناك فانا نريد له البقاء لانه محل الانتقاع و المراجعة و ما لم نشأ قراءته عليك و هو الذى قد يكون فيه ما لا يراد له البقاء. و المشيئة الالهية هنا فى الاقراء و عدمه و ليس فى النسيان و عدمه... قلنا و ليس فى هذا مما يدخل فى حيز الآسى القرآنى شىء... و السورة مكية و هى كذلك من قصار السور فلو كان المراد بقوله تعالى «سنقرئك» - ان يقرئه القرآن - فان التحذير من النسيان لا يكون من نسيان قصار السور كما انه صلى الله عليه و سلم غاية فى النباهة و الذكاء و الفطنة و قد جاء بقرآن فيه الألوف الكثيرة من الايات فكان حافظا ذلك أدق الحفظ و قارئا اياه فى المجتمعات يتحدى به اهل الارض جميعا بل ان حفظ القرآن بكل دقة و ضبط نراه على عهدنا هذا لدى كثير من المكفوفين الذين لا يتميزون بذكاء خاص فان فى حفظهم اياه دليلا على امكانية حفظه من قبل كل ذى رغبة فى حفظه و استظهاره و تلاوته من غير تقصير فى شىء من ذلك... و استعدادات الحفظ لدى الصبيان و غيرهم ثابتة و مشهودة... و كان على عهده صلى الله عليه و سلم آلاف من الصحابة يستظهِرون القرآن فليس فى استظهاره ما يعد من المعجزات لذا لا يقبل قول من قال من تفسير قوله تعالى «فلا تنسى الا ما شاء الله» اى ان النسيان كان يعرض للنبي و قوله تعالى «انه يعلم الجهر و ما يخفى» دليل قاطع على ان المقروء ليس قرآنا و ان ما استثناء الله مما قد ينسى هو من هذا الباب اى من باب «انه يعلم الجهر و ما يخفى» و فى ذات السورة «و نيسرك لليسرى. فذكر ان نفعت الذكرى. سيدكر من يخشى» فى النص أمر أمر به البارىء رسوله قائلا له «فذكر ان نفعت الذكرى». و التذكير هنا قد يكون بالقرآن و قد يكون بما وراء

القرآن و بما علم الله نبيه من امور الدين كل ذلك يقوله النبي عند مخاطبة الناس خلال وعظه و ارشاده و خطبه... [صفحة ٩٠] و على هذا يكون قوله تعالى «سنقرئك فلا تنسى» مما لا يعد من الآيات و السور و النصوص القرآنية المقروءة. فلو كان ذلك كذلك لما ورد في النص «فلا- تنسى الا- ماشاء الله» و ذاك لان الله اذ ينزل النص القرآني لا يعقبه بما يشكك فيه و يقضى برفعه و الغاء حكمه لان الله تعهد بتثبيت دينه و حفظ قرآنه و اذا كان الله يوصي النبي بقوة الحفظ فكيف يعمد الى استثناء ما ينسى من وحيه «سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله...» ان قراءة القرآن الكريم من الاوامر المرجحة و العبادات الخالصة داخل الصلاة و خارجها و قد أمر المسلمون بقراءة القرآن و تلاوته. و الرسول كذلك دعى الى قراءة القرآن لتكون قراءة سيلا- لا- يصلاله الى الناس قصد التبليغ و الدعوة الى الدين فى سائر الاوقات من غير تحديد زمن ذلك فيما يقرأ منه خارج الصلاة... و لقراءة القرآن عند القائه الى النبي توجيه الهى من اجل ضمان سلامته. و كان اول ما نزل من القرآن نزل مبدوءا بمخاطبة النبي بلفظ «اقرأ» لبيان ان أعمدة الشريعة ستقوم على أمر القراءة و على ان هناك قرآنا سينزل على النبي يعمد الى قرائته و يفرض ذلك على الامة اذ انه لا تصح الصلاة الا به... و ذاك قوله تعالى «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ و ربك الاكرم الذى علم بالقلم» العلق ١/٤ و انما ذكر القلم هنا لبيان ان القراءة انما تكون فى امور هى من عطائه... و للقرآن اكثر من اسم و لقب اذ يقال (القرآن الكريم. القرآن المجيد. التنزيل العزيز. الذكر الحكيم. الفرقان. الكتاب. المصحف الشريف) و من القرآن و محتواه الغزير العطاء و الكثيف المادة أستخرجنا تفاصيل سيرته صلى الله عليه و سلم فبشناها على عناوين و فصول و ابواب جاء منها هذا الكتاب... الله و الرسول...

## الله والرسول

الرسول الاعظم اذ ارسله الله نبيا و رسولا الى العالم انما هو متكلم باسم مرسله و ناطق بكلام ربه و لذلك فان طاعة الناس اياه طاعة لله. معصيته معصية لله و هذا أمر بديهى فى أمر الرسالات ولكن الرسول الاعظم نال من ربه منزلة عظمت اذ جاء ذكره فى القرآن الكريم تبعا لذكر الله بل ان الله اورد اسم نبيه بعد اسمه فى مواقع ظاهر فيها أن الله اراد تكريم نبيه و اجلاله و رفع ذكره و اعزاز شأنه فى مثل قوله تعالى «اذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليه» الاحزاب/٣٧ و مثل «الا أن أغناهم الله و رسوله من فضله» التوبة/٧٤ و مثل ذلك «فان تنازعتهم فى شىء فردوه الى الله و الرسول» النساء/٥٩... و قد جعلت طاعة الرسول طاعة الله «و من يطع الرسول فقد اطاع الله» النساء/٨٠... و اذ كانت خيانة الله كبيرة منها فان خيانة الرسول هى كذلك «لا تخونوا الله و الرسول» الانفال/٢٧. و جعل الله للرسول حصه فى الغنائم مقرونة بحصه الله «فان لله خمسة و للرسول» الانفال/٤١... و جاء ذكر الايمان بالرسول مقرونا بالايمان بالله «و يقولون آمنا بالله و بالرسول» النور/٤٧... و هددهم الله بحربه كما هددهم بحرب رسوله و هذا منتهى التكريم لشخص النبي اذ جعله ذا قوة يملك المحاربة بها «فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله» البقرة/٢٧٩. كما عد حرب رسوله امرا معاقبا عليه بما يعاقب به من يحارب الله «انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا...» المائدة/٣٣... و كذلك جعل الله الهجرة الى رسوله كالهجرة اليه عزوجل «و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله» النساء/١٠٠... و جعل ولاية الرسول كحكم ولاية الله «انما وليكم الله و رسوله...» المائدة/٥٥... و جعل مشاققة الرسول كمشاققة الله «ذلك بأنهم [صفحة ٩١] شاقوا الله و رسوله و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب» الانفال/١٣... و فيما يلى سرد للآيات التى جاء فيها أسم الرسول و قد ألحق باسم الله و قرن به لبيان عظمة مركز الرسول عند ربه. و انما كان للرسول عند ربه هذا المركز اذ كان الله عزوجل قد صير منه شخصية متميزة جديرة بكل ثقة و تقدير و تكريم. «فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله و ان تبتم فلکم رؤوس اموالکم لا تظلمون لا تظلمون [٢٤] ... البقرة/٢٧٩» «قل أطيعوا الله و الرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين» آل عمران/٣٢. «و اتقوا النار التى اعدت للكافرين. و أطيعوا الله و الرسول لعلکم ترحمون»... آل عمران ١٣١/١٣٢» الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم» آل عمران/١٧٢... «تلك حدود الله و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدین فيها و ذلك

الفوز العظيم. و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها و له عذاب مهين»... النساء ١٣/١٤ «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الاخر ذلك خير و أحسن تأويلًا»... النساء/٥٩ «و اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله و الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا»... النساء/٦١ «و من يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقًا»... النساء/٦٩ «من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا»... النساء/٨٠ «و من يخرج من بيته مهاجرًا الى الله و رسوله ثم يدرکه الموت فقد وقع أجره على الله و كان الله غفورًا رحيمًا»... النساء/١٠٠ «يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذى نزل على رسول الله و الكتاب الذى أنزل من قبل و من يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر فقد ضل ضلالًا بعيدًا»... النساء/١٣٦ «انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الارض فسادًا أن يقتلوا او يصلبوا أو [صفحة ٩٢] تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض...» المائدة/٣٣ «انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون، و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون»... المائدة ٥٥/٥٦ «و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و احذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين»... المائدة/٩٢ «و اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله و الى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا و لا يهتدون»... المائدة/١٠٤ «قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعًا الذى له ملك السماوات و الارض لا اله الا هو يحيى و يميت فآمنوا بالله و رسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون»... الاعراف/١٥٨ «يسألونك عن الانفال قل الانفال لله و الرسول فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم و أطيعوا الله و رسوله ان كنتم مؤمنين»... الانفال/١ «ذلك بأنهم شاقوا الله و رسوله و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب»... الانفال/١٣ «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و رسوله و لا تولوا عنه و أنتم تسمعون»... الانفال/٢٠ «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و اعلموا أن الله يحول بين المرء و قلبه و أنه اليه تحشرون»... الانفال/٢٤ «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم و انتم تعلمون»... الانفال/٢٧ «و اعلموا أن ما غنمتم من شىء فان الله خمسة و للرسول ولذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان و الله على كل شىء قدير»... الانفال/٤١ «و أطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتشعلوا و تذهب ريحكم و اصبروا ان الله مع الصابرين»... الانفال/٤٦ «براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين، فسيحوا فى الارض أربعة أشهر و اعلموا أنكم غير معجزى الله و ان الله مخزى الكافرين» [٢٥] ... التوبة ٢/١ «و أذان من الله و رسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين و رسوله فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله و بشر الذين كفروا بعذاب أليم»... التوبة/٣ «كيف يكون للمشركين عهد عند الله و عند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين»... التوبة/٧ [صفحة ٩٣] «أم حسبتم أن تتركوا و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و لم يتخذوا من دون الله و لا- رسوله و لا- المؤمنين وليجة و الله خبير بما تعملون»... التوبة/١٦ «قل ان كان آباؤكم و أبناءكم و اخوانكم و أزواجكم و عشيرتكم و أموال اقترفتموها و تجارة تخشون كسادها و مساكن ترضونها أحب الله اليكم من الله و رسوله و جهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره و الله لا يهدى القوم الفاسقين»... التوبة/٢٤ «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون»... التوبة/٢٩ «و ما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا- أنهم كفروا بالله و برسوله و لا يأتون الصلاة الا و هم كسالى و لا ينفقون الا و هم كارهون»... التوبة/٥٤ «و لو أنهم رضوا ما آتاهم الله و رسوله و قالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله و رسوله انا الى الله راغبون»... التوبة/٥٩ «يحلّفون بالله لكم ليرضوكم و الله و رسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين، ألم يعلموا أنه من يحادد الله و رسوله فأن له نار جهنم خالدًا فيها ذلك الخزى العظيم»... التوبة ٦٢/٦٣ «و لئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض و نلعب قل أبالله و آياته و رسوله كنتم تستهزئون»... التوبة/٦٥ «و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون

الزكاة و يطيعون الله و رسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم»... التوبة/٧١ «يلحفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم و هموا بما لم ينالوا و ما نعموا الا أن أغناهم الله و رسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم و ان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا و الآخرة و ما لهم فى الارض من ولى و لا نصير»... التوبة/٧٤ «استغفر لهم أو لم تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله و رسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين»... التوبة/٨٠ «و اذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله و جاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم و قالوا ذرنا نحن مع القاعدين»... التوبة/٨٦ «و جاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم و قعد الذين كذبوا الله و رسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم، ليس على الضعفاء و لا على المرضى و لا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله و رسوله ما على المحسنين من سبيل و الله غفور رحيم»... التوبة ٩٠/٩١ «و من الاعراب من يؤمن بالله و اليوم الآخر و يتخذ ما ينفق قربات عند الله و صلوات الرسول ألا- انها قرينة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم»... التوبة/٩٩ «و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»... التوبة/١٠٥ «و الذين اتخذوا مسجدا ضارا و كفرا و تفريقا بين المؤمنين و ارسادا لمن حارب الله و رسوله من قبل و ليحلفن إن أردنا الا الحسنى و الله يشهد انهم لكاذبون»... التوبة/١٠٧ «و يقولون آمنا بالله و بالرسول و أطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك و ما أولئك بالمؤمنين، و اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون»... النور ٤٧/٤٨ «أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم و رسوله بل أولئك هم الظالمون، انما [ صفحة ٩٤ ] كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا و أولئك هم المفلحون، و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتقه فأولئك هم الفائزون»... النور ٥٠/٥٢ «ق أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و ان تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول الا البلاغ المبين»... النور/٥٤ «انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله و اذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ان الذين يستأذنون أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحيم»... النور/٦٢ «و اذ يقول المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله الا غورا»... الاحزاب/١٢ «و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما»... الاحزاب/٢٢ «و ان كنتن تردن الله و رسوله و الدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما»... الاحزاب/٢٩ «و من يقنت منكن لله و رسوله و تعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين و أعتدنا لها رزقا كريما» [ ٢٦ ] ... الاحزاب/٣١ «و قرن فى بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى و اقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»... الاحزاب/٣٣ «و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا»... الاحزاب/٣٦ «ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله فى الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا»... الاحزاب/٥٧ «يوم تقلب و جوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا»... الاحزاب/٦٦ «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما»... الاحزاب ٧٠/٧١ «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و اطيعوا الرسول و لا تبطلوا اعمالكم»... محمد/٣٣ «لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزوه و توقروه و تسبحوه بكرة و أصيلا»... الفتح/٩ «و من لم يؤمن بالله و رسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا»... الفتح/١٣ «و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار و من يتول يعذبه عذاب أليما»... الفتح/١٧ «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله و رسوله و اتقوا الله ان الله سميع عليم»... الحجرات/١ «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم و ان تطيعوا الله و رسوله لا- يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم، انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون»... الحجرات ١٤/١٥ [ صفحة ٩٥ ] «آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجرا كبير»... الحديد/٧ «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نورا تمشون به و يغفر لكم و الله غفور رحيم»... الحديد/٢٨ «فمن لم يجد فصيام شهرين

متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله و تلك حدود الله و للكافرين عذاب أليم، ان الذين يحادون الله و رسوله كتبوا كما كتبت الذين من قبلهم و قد أنزلنا آيات بينات و للكافرين عذاب مهين... المجادلة ٥/٤ «أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أطيعوا الله و رسوله و الله خبير بما تعملون»... المجادلة/١٣ «ان الذين يحادون الله و رسوله أولئك في الأذلين»... المجادلة/٢٠ «لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان و أيدهم بروح منه و يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون»... المجادلة/٢٢ «و لو لا- أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب النار، ذلك بانهم شاقوا الله و رسوله و من يشاق الله فان الله شديد العقاب». الحشر ٤/٣ «و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء و الله على كل شىء قدير، ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم و ما آتاكم [٢٧] الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله ان الله شديد العقاب، للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلا من الله و رضوانا و ينصرون الله و رسوله أولئك هم الصادقون» الحشر ٨/٧/٦ «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون»... الصف/١١ «يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز [٢٨] منها الأذل و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لا- يعلمون»... المنافقون/٨ «فآمنوا بالله و رسوله و النور الذى أنزلنا و الله بما تعملون خبير»... التغابن/٨ [صفحة ٩٦] «و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان توليتم فأنما على رسولنا البلاغ المبين»... التغابن/١٢ «قل انى لن يجيرنى من الله أحد و لن أجد من دونه ملتحدا، الا بلاغا من الله و رسالاته و من يعص الله و رسوله فان له نار جهنم خالدن فيها أبدا»... الجن ٢٣/٢٢ لقد قرن الله بين اسمه جل شأنه و بين اسم رسوله الاعظم فى الزام الامة بالطاعة التامة لله و لرسوله مما يرد بشتى الصيغ و العبارات التى تحتل أى تأويل يخرجها عن هذا الخط ففى هذا السرد ما يدل على ان الله انما قرن اسمه رسوله باسمه اعزازا بمكانة نبيه منه و تقريبا له و تكريما.

### الاعمال النبوية الخاصة...

الامور التى ناطها الله بالرسول الاعظم فكانت خاصة به لا يليها و لا تقع فيها الوكالة و النيابة الى من سواه و لا يليها خلفاؤه من بعده انما هى أمور تختلف عن أمور التبليغ و العبادات و عموميات القضايا الشرعية و الدنيوية. و من هذه الاعمال ما جاء فى القرآن الكريم من الكلام على صلاة الخوف التى ورد بها النص التالى: «و اذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك...» [٢٩] النساء/١٠٢... هذا نمط الصلاة الجماعية التى وصفت بصلاة الخوف علمها الله رسوله العظيم تطبيقا لمبدأ القيادة الواحدة فاذا كان يجوز المسلمين يوما ما ان يؤمهم اكثر من قائد فلا مكان لصلاة الخوف عند ذلك فاذا التزمت الامة بوحدة القيادة فلعله قد يفتى عندئذ بتطبيق صلاة الخوف فىلى امامتها امام واحد... اما القيادة السياسية و العسكرية فهى له صلى الله عليه و سلم و ليست لغيره الا اذا دفع راية القتال لمن شاء من فرسان الصحابة و بعد وفاة الرسول لم يقع ان طبقت القيادة هذه الصلاة مما يدل على احد اميرين الاول ان تكون صلاة الخوف من خصوصيات اعمال النبى و الثانى ان تكون صلاة الخوف مسألة اجتهادية. و فى النص ايضا للدور القيادى لرسول الله فى سائر الساحات و منها ساحات القتال... و مما يدخل فى اطار الاعمال النبوية الخاصة ما كان لرسول الله من حق الزواج بأكثر من اربع نساء و كذلك ما كان من منع زواج نسائه من قبل أى من الناس. و يعد من هذا الباب أن بناته و ازواجه لم يكن لهن من ميراثه شىء: و قد جاء فى الحديث النبوى الشريف «نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة»... و من ذلك منع المسلمين مواصلة الصوم و لو شاء النبى ذلك فان له ذلك. فانه صلى الله عليه و سلم قال انه يبيت يطعمه ربه و يسقيه مما يستدل به على وجود

استعداد لديه صلى الله عليه وسلم يعينه على تحمل الجوع والعطش. كما أن منع المسلمين من مواصلة الصوم انما كان من اجل حمايتهم من التعرض لما يشق عليهم مما لا ضرورة تقتضيه... و ما كان من خصوصيات اعماله صلى الله عليه وسلم انما كان ضمن عدد يسير غير كثير وذلك ليكون النبي على ذات الحالة التي تكون عليها الامه من العبودية الخالصة لله و التساوى فى مجالات طاعة الله و التقيد بأوامر و نواهيه. فما كانت الامه قد خوطب به فهو مما كان قد خوطب به النبي ايضا و لذلك كانت صلواته صلى الله عليه وسلم من نفس صلاة [صفحة ٩٧] المسلمين يقرأ فيها ما يقرأون و يقرأون فيها ما يقرأون و يسجدون على حال واحدة. و كذلك القول على سائر شعائر الحج... اما امتيازاته صلى الله عليه وسلم على الناس فانما كانت بامور غير امور الناس... القصص القرآنى [٣٠]... كلمة القصص تعنى سرد الاحداث من قبل من رآها و واقعها «فلما جاءه و قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين» القصص/٢٥... ان ما فى القصص القرآنى من سير الانبياء و الرسل و اخبار الامم القديمة فى صدد كفرها و ايدائها رسلها و تحمل اولئك الرسل ما كان يصيبهم من سفهاء قومهم كل اولئك يعد من الدروس الثقيفية للنبي صلى الله عليه وسلم و هى كذلك من الدروس الوعظية التى تدعو الى التصبر و التحمل و احتواء الاحداث المؤلمة المثبته للعزائم فكان الرسول الاعظم يرى كيف ان اخوانه المرسلين الاولين كانوا على جانب عظيم من التحلم و التصبر و لين الخطاب و لطف الحديث فان قوم نوح حين قالوا له «انا لنراك فينا سفيها...» قال لهم بكل هدوء و ضبط اعصاب: «يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين. ابليكم رسالات ربي و أنا لكم ناصح أمين» الاعراف ٦٧/٦٨. ان السخرية بالمصلحين و اهانة ذوى الرسالات الكريمة و ايداء العلماء بالظلم فى شخصياتهم لهو عمل لا يقترفه ذو خلق محمود و سلوك مريم و انما يقترفه من سفلت قيمته و جنت نفسه و صغرت كل الصغار... و كان الرسل صلوات الله عليهم اذا وقف منهم اقوامهم مثل هذا الموقف اللثيم يتجاهلون ذلك بما يلجأون اليه من ضبط اعصابهم ضبطا لا يقع مثله لاكثر من ذوى الحلم فى الناس حلما... و ليس يضير الكريم ان يسبه اللثام و الرعاع و الجهلة فان هؤلاء انما يصنعون ذلك تعبيرا عن جنهم وضعه نفوسهم، اذ تنشأ فى مثل هذه النفوس احقاد تنمو فيها حزازات تحملهم على الانتقام من ظهور رجال فيهم يمتلكون الاخلاق العالية و القيم الفاضلة و قد أحسن الشاعر فى وصفه مثل اخلاق الفريقين: يخاطبني السفيه بكل قبح و أكره أن اكون له مجيبيز يد سفاهة و أزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا و اخيرا حين نصر الله نبيه و أقام به معالم دينه ادرك من كان من اشداء خصومه و عتاة اعدائه انهم فرطوا و أفرطوا. ذلك هو مثل الانبياء و الرسول الاعظم فى مقدمتهم من حيث ما وهبه الله من الصبر و الحلم فان فى النبوة شرفا عظيما يدفع النبي فى مكافأته و مقابله ما يدفع من اعصابه و من صبره و طاقة تحمله و لا عيب فى ذلك و لا- ضير... و ذاك ما ظهر به الجوهر الانسانى العظيم فى الرسول الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم... و ذاك ما جاء به النص «و انك لعلى خلق عظيم» القلم/٤... يصرح القرآن الكريم بأنه يقص على رسول الله احسن ما هناك من قصص «نحن نقص عليك أحسن القصص» يوسف/٣... و ذاك على وجه التعليم و الاطلاع على سير الاقدمين من النبيين و غيرهم مما لم يكن الرسول ذا علم او دراية به «تلك من انباء الغيب توجيهها اليك ما كنت تعلمها انت و لا قومك من قبل هذا» هود/٤٩ و كان الرسول صلى الله عليه وسلم [صفحة ٩٨] يزداد صبورا و يزداد صمودا و حرصا على اداء مهام الدعوة التى نيطت به كلما وجد اخوانه لمرسلين قد صمدوا فى مواجهة خصومهم و صبروا على اذاهم و قد علمنا ان معظم الامم و الاقوام الذين بعث الله اليهم انبياء منهم كانوا كثيرى العدوان على انبيائهم... و قوله تعالى «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن...» يفهم منه أن مخاطبة الرسول فى هذا القصص تعنى أن الله عزوجل اراد بذلك تثقيف رسوله و تعليمه و توجيهه و تبصيره فان فى سورة يوسف من احداث الحياة و غرائب الوقائع ما يتضح لدى قارىء السورة. و من ينعم النظر فيها يخرج بفكرة مجملته عن قضايا لا يتوصل اليها بسهولة ولكن الله عزوجل أوصل من ذلك الكثير الى نبيه لا سيما ما كان منها فى قضايا الظلم و العدوان و الغدر و ايداء الناس و لا سيما - كذلك - مما يتعلق بمعاملات الشعوب لانبيائهم و ما يتعلق بصبر اولئك الانبياء على ما تقلبوا فيه من المآسى و النكبات و الاحداث القاسية. و فى سورة يوسف من معالم الفرج الالهى بعد استقرار اليأس فى النفوس. و انا عندما نقرأ قصة أيوب فى القرآن الكريم نراه عليه السلام

قد بات مضرب المثل في الصبر و هو صبر على قدر الله و قضائه و على امتحانه و ابتلائه. و لم يضجر أيوب مما اصابه بل تحمله و عالج مصيبتة فيه بكثرة الابتهاال الى الله و الدعاء و الانابة و الاستغفار و قد كافأه الله على ذلك اذ رد اليه عافيته و اهله... و حين نقرأ قصة نوح و ما قام به من صنع السفينة التي بذل في صنعها جهدا عظيما و كابد نصبا ثقيلا و لقي من ابن له استنكافا أن يتبعه و يركب معه في سفينته و قد علمنا من معاناة نوح عليه السلام في دعوة قومه الى دينه ما لا- يطاق من الهم «قال رب انى دعوت قومي ليلا و نهارا. فلم يزداهم دعائي الا- فرارا. و انى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم و أصروا و استكبروا استكبارا. ثم انى دعوتهم جهارا. ثم انى أعلنت لهم و أسررت لهم اسرارا» نوح ٩/٥... و كان قومه كثيرى السخرية به. «و يصنع الفلك و كلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه...» هود/٣٨... و حين نتابع سيرة موسى عليه السلام فى القصص القرآنى نرى ضروبا من الهم و الاقدار تتكسد عليه. و كثيرا ما كان الخوف يركبه و يحيط به «فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين» القصص/٢١ و فى قصة يونس و ابراهيم و زكريا و غيرهم تفاصيل من معاناة الانبياء لا يطيق حملها البشر... ان القصص القرآنى غالب ما نزل منه نزل فى السور المكية لتعرف الناس شرف هذا القرآن العظيم و حسن تسلكه فى نفوسهم و قوة تأثيره فيهم و كان قصص القرآن قد استحضرت تاريخ اجيال قديمة تعلم العرب من الوقوف عليه الكثير... ان سياسة القرآن فى سرد قصص الانبياء كانت سياسة تأتى منها تحبيب لقوم ليسوا قومهم و حملهم على الايمان بهم ايمانا صادقا و الدفاع عنهم بكل حرارة خلافا لما جرت عليه عادة التوراة من تبشيع سيرهم و اساءة سمعتهم و غمط حقوقهم صلوات الله و سلامه عليهم. و فى القرآن الكريم «و كلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك و جاءك فى هذه الحق و موعظة و ذكرى للمؤمنين» هود/١٢٠... مما يفهم منه عظم اثر القصص القرآنى فى سيرته صلى الله عليه و سلم. و فى القرآن الكريم «نحن نقص عليك نبأهم بالحق...» الكهف/١٣. فى قصة اهل الكهف. و كما ان الله عزوجل يقص على رسوله ما يقص تعليما و تبينا فانه يأمره كذلك ان يقص هو بدوره ذلك على الناس و قد جاء فى القرآن الكريم قوله «و لو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض و اتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون» الاعراف/١٧٦... [صفحة ٩٩] و جاءت كلمة القصص فى معنى الاخبار و الاعلام و الانباء يستوى فى ذلك ما كان من مفصل الكلام و ما كان من موجزه و من ذلك فى موضوع الرسل «و رسلا قد قصصناهم عليك من قبل و رسلا لم نقصصهم عليك» النساء/١٦٤... اى احصيناهم و عددناهم. و مثل ذلك ايضا «و لقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك...» (المؤمن) غافر/٧٨... فى نفس المعنى الذى أوردناه فى الاية... و من آيات القصص القرآنى «و على الذين هادوا حرمنا قصصنا عليك من قبل و ما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» النحل/١١٨... و كذلك قوله تعالى «ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم و حصيد» هود/١٠٠... و بهذا نعلم أن استعمال كلمة القصص أدى مهمة التبليغ و التنبيه و اىصال معلومات قرآنية الى النبى بهذا اللفظ و باسلوب القصص احيانا...

### التثقيف القرآنى...

من يقرأ القرآن الكريم يجد فيه قصصا و سيرا و احكاما و تشريعا ذا مسالك شتى من معاملات ترسم صور البيع و الشراء و تحدد صيغ العلاقات الاجتماعية من زواج و طلاق و ميراث و وصايا و ما هناك من حلال و حرام و قضايا عسكرية و اجتماعية و تحديد لحقوق ذوى الحقوق من النساء و الاطفال و الاعداء و الاصدقاء و ذوى القربى و بعض شرائح المجتمع كاليتامى و الاسرى و الإمام. و كذلك الكلام على قواعد العدل و الحكم بين الناس و كذلك ما يتعلق من نهى عن التصرفات السيئة و الاخلاق المذمومة من كذب و غش و تطفيف المكيال و الميزان و اكل اموال الناس بالباطل و شهادة الزور و الأيمان الفاجرة و ما الى ذلك ما تتكون منه ثقافة فقهية واسعة و ينشأ منه اطلاع على كثير من مفردات الحياة على تعدد فروعها الاجتماعية و الاخلاقية و السياسية و غيرها... و قد علمنا أن القرآن الكريم كان بما احتواه من علوم و احكام و تعاليم رشيدة قد اقام حضارة ضاهت حضارات الامم القديمة و قد نبغ فى ما بعد

فى التخصص فى سائر هذه العلوم علماء و فلاسفة و فقهاء و قضاء شهد لهم التاريخ الحضارى و المحافل العلمية بثقل الوزن و عظم الاقتدار... لقد كان ما ينزل من القرآن الكريم على الرسول الاعظم فى ما ينطوى فى الاطر التى أشرنا اليها قد تأتى منه أن يكتسب الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم جماع الثقافة القرآنية لأنه كان يتلقى مفردات القرآن بوعى و فهم و استيعاب يسمو على ما يتهيأ للناس من ذلك... لم يكن النبى قد احاط علما من قبل بالمحتوى القرآنى الذى كان يتلقاه من رب العالمين على مدى ما يقرب من ربع قرن هو عمر السيرة النبوية الجليلة الشأن و العظيمة المكانة... و فى القرآن الكريم «تلك من أبناء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين» هود/٤٩... و كذلك نقرأ فى التنزيل العزيز قوله تعالى «و ما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم اذ يختصمون» آل عمران/٤٤... و فى الآيات التالية اشارة جلية الى أن النبى لم يتلق قبل نزول القرآن شيئا مما جاء فيه من ثقافة و تحصيل علمى و دراية باخبار الرسل من قبله أى ان ثقافته صلى الله عليه و سلم انما تكونت مما تلقاه من آى القرآن الحكيم «و ما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر و ما كنت من الشاهدين. ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر و ما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين. و ما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون. و لولا ان [صفحة ١٠٠] تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا- أرسلت الينا رسولا- فنتبع آياتك و نكون من المؤمنين» القصص ٤٤/٤٧. و فى القرآن الكريم «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن و ان كنت من قبله لمن الغافلين» يوسف/٣... ان القرآن الكريم يؤكد على توصية النبى صلى الله عليه و سلم بحسن تلقى القرآن من ربه و دقة الاصغاء الى ذلك بل ان النص الكريم يوضح انه صلى الله عليه و سلم كان يتعلم من ربه امورا يعلمه الله اياها. و ذاك واضح فى قوله تعالى «لا- تحرك به لسانك لتعجل به، ان علينا جمعه و قرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه... ثم ان علينا بيانه» القيامة ١٦/١٩... و فى ذلك يكون الرسول الاعظم قد تعلم الكثير مما اراد له الله تعالى أن يتعلمه فكان فيه اعلم اهل زمانه و من سبقهم و من جاء بعدهم و القرآن اصدق شاهد على هذه الحقيقة «... و أنزل الله عليك الكتاب [٣١] و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما» النساء/١١٣... و من القصص القرآنى التعليمى قوله تعالى «نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتيه آمنوا بربهم و زدناهم هدى و ربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا» الكهف/١٣... فان الله عزوجل قد قص على نبيه قصة اهل الكهف و هى قصة تاريخية فيها عبر و حكم و اخبار فتيه مؤمنين فروا بدينهم من الظالمين...

### الجدل القرآنى...

للجدل القرآنى نظام و طراز خاص و كنت عزمت فى دهر سبق على أن أولف فى ذلك كتابا فى جدل القرآن ولكن عاقنى عن ذلك اكثر من عائق. ان الجدل القرآنى لا يشبه ما يقع بين الناس من جدل. اذ يعتمد على مناقشة نقاط يرجح الكلام عليها فى النقاش و يصرف النظر عن نقاط اخرى و قد يبدو بعض ذلك غريبا على من يتلو النصوص القرآنية فى هذا الوجه و سنشير الى آيات انتضمها الجدل القرآنى و سنتكلم على ما فيها من دقائق هذا الامر... و من ذلك قوله تعالى «و قالت اليهود و النصرى نحن أبناء الله و احباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء و لله ملك السماوات و الارض و ما بينها و اليه المصير» المائدة/١٨... ان الزعم اليهودى فى ادعاء ان اليهود ابناء الله و احباؤه زعم ظاهر فيه الاستعلاء و البروز الى الساحة بحجم كبير من الغرور المصطنع. و لم يكن الرد عليهم متناولا تكذيبهم فى زعمهم هذا لانه زعم مفضوح واضح الادعاء جسيم الكذب و الافتراء على الله... اجل لم يقل لهم الله انكم كذبتم فى ادعاء أنكم ابناء الله و احباؤه و انما قال لهم على لسان نبيه اى ان الله أبلغ نبيه ان يرد عليهم جهارا فى اكثر من ساحة «قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق» و بهذا فند دعواهم بالنبوة لله و واجههم بالواقع فهم على ذات حال الناس ممن يسيئون فيعاقبون أو يحسنون فيكافأون... و كان اليهود يزعمون انهم شعب الله المختار و ان أهل الارض



جميعاً خول لهم و خدم و عبيد فكان في الرد القرآني لهم ما يفند هذا ايضاً «بل انتم بشر ممن خلق»...و كانت مهمة الرسول في تكذيب اليهود ما ادعوه لانفسهم مهمة ليست بالهينة اذ ان الرد الذي ابلغهم به [ صفحة ١٠١ ] أتى على كل عرق من اعراق وجودهم و مسح كل عظمة زعموها لانفسهم بالتراب. ان شخصية الرسول الاعظم في المواقف الجدلية الخطيرة كانت تتجلى بالاقتدار الرائع في المواجهة و المصارحة و اسكات الخصوم مهما كانوا من المخاتلة و المراوغة و ادعاء المخزقات... و ظاهر في هذا ان اليهود حاولوا ان يشغلوا الرسول عن مهمته القيادية في المدينة بما كانوا يطرحونه عليه من طروحات و مخزقات و لجاجة تأخذ من وقته ما يجعلهم يظنون وقوع ذلك كسبا لهم لولا ان الرسول كان ذا صمود ملحوظ في مواجهة مثل هذه الفئة التي وصفها الله بقوله «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين أشركوا...» المائدة/٨٢...اجل ان تنفيذ مقواة اليهود التي اقاموا عليها كيان وجودهم ليتطلب اقتدارا كبيرا في المواجهة و قد كان الرسول يملك هذا الاقتدار الذي هز كل ساريه في الكيان الاسرائيلي المعروف بأشد أنماط اللدد في الخصومة و الشجار و الجدل العقيم...و من آيات الجدل القرآني: «قل لمن الارض و من فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون. قل من رب السماوات السبع و رب العرش العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه ان كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأني تسحرون»... المؤمنون ٨٩/٨٤. الجواب في السؤال الاول مطابق للصيغة التي ورد بها السؤال اذ كان السؤال بلفظ (لمن) فكان الجواب (الله). اما السؤال الثاني فهو سؤال عن رب السماوات و الارض و مطابقه الجواب للسؤال تكون بلفظ (الله) و السؤال الثالث و هو «من بيده ملكوت كل شيء» و طبيعة الجواب تكون بلفظ (الله)... ولكن الجواب جاء بالسؤالين الاخيرين بلفظ (الله). و يفهم من هذا قوة الافحام الذي اصاب أولئك القوم فانهم اذ أجابوا بكلمة (الله) في السؤال الاول لم يعودوا يدققون في شكل السؤال الملقى اليهم فصاروا قبل أن يتبينوا ما في السؤال من محتوى يردون بلفظ واحد هو قولهم (الله) كناية عن مطلق الازعان و الاستسلام و عدم الاستعداد لخوض معمعان الجدل و ذاك من فرط يأسهم من أن ينالوا بأساليبهم الجدلية و عنادهم الفطري شيئا من الغلبة في هذا المجال. و بذلك يعلم من وجوه الجدل القرآني ما تنسد به جميع سبل العناد الحدلي في مواجهة ما كان الرسول الاعظم يجابههم به من بينات الجدل القرآني السديد...

### اتخاذ القرار...

ناط الله بنبيه اموارا يتولاها بما وهبه الله من تبصر و صدق ملاحظة و بعد نظر و من ذلك قوله تعالى للنبي في آيات التحريض على القتال «و حرض المؤمنين على القتال...» الانفال/٦٥. فان التحريض على القتال يتطلب اقتدارا بيانيا له تأثيره في نفوس المخاطبين ممن يراد منهم ان يبادروا الى اقتحام سوح القتال و مواجهة اعداء الدين و كذلك يتطلب ذلك السيطرة التامة على نفسيات الناس بحيث يمشون الى الحرب طواعية و النبي صلى الله عليه و سلم كان يمتلك الاستعداد كله في مجال تحريض المؤمنين على القتال ببلاغة لسانه و حسن بيانه و ثقته بسلامة قراره و رشيد رأيه و مرضى نتائجه و من ذلك قوله تعالى «فاذا استأذنونك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحيم» النور/٦٢...المشيئة هي ارادة لاتصرف تعبيراً عن امتلاك الحرية في ذلك، مما يستدل به على القدرة المطلقة في اصدار القرار، من غير أن تحدد لذلك شروط، اذ الشروط تكمن في مجال التقدير الخاص لموجبات الاذن و عدمه حين يريد النبي ذلك او لا- يريده لان التصرف النبوي منطقي لا- يقع عليه الاعتراض فان وقع عليه الاعتراض فهو من فعل التعسف لا غير او من فعل [ صفحة ١٠٢ ] الجهل و النعناد في المعاندين... اما النبي فسيظل قراره قائما فانه له الحق المطلق و المشيئة الحرة في اتخاذ قرار لادن و عدمه...و من ذلك «فاذا استأذنونك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا و لن تقاوتوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين» التوبة/٨٣... فاتخاذ القرار هنا وفق ما اذن الله لنبيه أن يتخذه يتعلق برفض خروج قوم الى معركة يخرج اليها النبي و اصحابه و مثل ذلك يتطلب موقفا حديا لا رجعة عنه في ساعة حرجة يصعب فيها اتخاذ قرار قاطع يتم تطبيقه دون لغط و وضوء الا ان يكون صاحب القرار على درجة عالية من الحزم و الصلابه و كون القرار المتخذ صائبا و كان النبي

اهلا للاتصاف بهذه الصفات القيادية المعترف بها من قبل اعوانه و خصومه على حد سواء... لا سيما حين يكون في مخاطبة من رفض النبي خروجهم الى القتال معه في جيشه مما فيه القاء اكثر من تباعه خيانه و سمة هزيمة على من طردهم النبي عن المشاركة في حرب جهاد يكون القتل فيه شهيدا عند الله. ان قرارا مثل هذا القرار يواجه به من و وجه به على ملا الشهاد لأمر جد عظيم. ان النبي صلى الله عليه و سلم كان اذا اتخذ قرارا في امر ما اعلنه اعلانا و صرح به تصریحا بفعل ما طبعت عليه نفسه من صدق كلمة و سلامة طوية و جدية موقف و حرص على آنية لا تحتمل التأجيل و التوسيف (قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا و اعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون) التوبة/٩٢. و من ملاحظة هذا القرار نرى الرسول الاعظم في جلده و ضبط اعصابه و صدق موقفه رجلا ندر مثله في الرجال فلقد صرح بالحقيقة التي كان عليها اقتداره العسكري في تجهيز المقاتلين بآليات القتال فانه صلى الله عليه و سلم لم يكتف هذه الحقيقة بل جهر بها كما انه و الموقف موقف ضعف يتطلب متلاك ادوات القوة التي هي السلاح و الكراع فلم يظهر على النبي من أمارات الجزع و اليأس شيء يستعمل من قبل الخصوم الذين كانوا يراقبون الوضع من كل جانب. ان ذلك ليدل على عظمة هذه الشخصية العظيمة في سائر ظروف قوتها و ضعفها و انما يقدر الله التوفيق لقيادة قائد فانما يقدره على هدى هذه الاوصاف و السجايا و السمات...

### في دعاء ابي الانبياء...

في القرآن الكريم حين دعا ابراهيم عليه السلام لذريته قال: «ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم و ارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا» ابراهيم/٣٧... فقد جعل عليه السلام اول امر رجا الله ان يحققه لذريته هو ان تهوى اليهم افئدة الناس بالرعاية و التقدير و الالفه و الكلمة الطيبة. و جعل طلب رزقهم و مؤنة معيشتهم المسألة الثانية... ان ذاك هو الاصل في الانسجام الاجتماعي و فى حياة الناس و كان ابراهيم بذلك قد رجا لاهله الخير كله... فان ابراهيم عليه السلام حين قدم الى مكة كانت مأهولة بالسكان و فيهم سدنه البيت العتيق الذى كان قائما يتعبد الناس الله فيه و لذلك قال «فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم» و هو يريد سكان مكة يومئذ... و وجود الناس يدل على وجود الماء و الغذاء و لذلك قال ابراهيم عليه السلام «وارزقهم من الثمرات». و هو يعنى ما هناك من ثمرات موجودة فى تلك البيئه. و لا يمارض ذلك ما جاء فى النص «ربنا انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع» فان كون المكان لا- زرع فيه لا- يحول دون أن تجبى اليه الثمرات من اماكن اخرى. و فى القرآن الكريم «... أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء...» القصص/٥٧... «و اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت و اسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم، ربنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا أمة مسلمة لك و أرننا مناسكنا [ صفحة ١٠٣] و تب علينا انك أنت تواب الرحيم. ربنا و ابعث فيهم رسولا- منهم يتلوا عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم انك أنت العزيز الحكيم» البقرة/١٢٧/١٢٩... فلقد اطمئن ابراهيم الى أن مقام ابنه اسماعيل و امه هاجر فى مقامها الجديد بين القبائل التي كانت تشغل تلك المنطقة و هى قبائل عربية تزوج منها اسماعيل فأنجبت له زوجته ابنا الذى تألف منهم النسب النبوى الشريف و كان البيت قد تعرض للسقوط و الانهدام فرفع ابراهيم قواعده و اسماعيل... ان ابراهيم عليه السلام كان جوالا فى الافاق فاذا أطمأن على اهله غادر مكة ليعود اليها بين حين و اخر متفقدا ابنه و اهله و كما قلنا من قبل ان ام اسماعيل غريبة من اصل يمانى و هى من بقايا ملوك الرعاة الذين قامت منهم بعض السلالات التي حكمت مصر فى قديم الزمان. لقد دعا ابراهيم و ابنه اسماعيل دعاءهما الكريم و هما يطوفان بالبيت العتيق من ربهما أن يرعى ذريتهما التي ارادا أن تكون ذرية كريمة صالحة طيبة و ان يبعث الله منها رسولا كان هو الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه و سلم. و ان الله عزوجل استجاب لدعوة ابراهيم و اسماعيل فى أن يكون لامته العربية نبي يقودهم الى معارج الفلاح و قد كان الامر كذلك... «ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يحلمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم انك أنت العزيز الحكيم». تلك هى دعوة ابراهيم الخليل من ربه اذ دعا الله أن يبعث فى الامم العربية

النبي الذي وصفه بما وصفه به من تعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكيته اياهم وهي تعنى تطهيرهم من ادران الشرك وتنقية نفوسهم تنقية تزول بها الشوائب وكذلك كان الرسول الاعظم معلما ومزكيا وهاديا هذه البشرية الضالة ولم يعد الامر خاصا بالعرب وحدهم وانما عم العالم كله فانتفعت البشرية في سائر اقطارها بماثر الاسلام وخيراته ومحاسنه ومكارمه وما فيه من تهذيب للعقول واصلاح للنفوس وهداية للقلوب... وكذلك قوله تعالى «ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين» آل عمران/٦٨... حاولت اليهودية أن تجعل ابراهيم عليه السلام من حصتها وحدها في حين لم ينل ابراهيم من القوم ادنى شأن والقرآن الكريم يعلن ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ولم يكن من المشركين. والتوراة اشارت الى ابراهيم والى ابنه اسماعيل في سفر التكوين وتنبأت بان اسماعيل سيكون ابا لامة ذات شأن في الامم وتنبأت التوراة كذلك بظهور نبي لها من صلبه. وعلاقة العرب بابراهيم معروفة في انسابهم وبذلك ضرب القرآن الكريم احتكار اليهود بنوتهم لابراهيم الاحتكار الذي ظل خاليا من كل محتوى، و باتت آيات القرآن تتكلم في أمر ابراهيم في شتى السور بما يعز من شخصيته و يعلى من مقامه وينسب اليه جلائل الاعمال والخدمات الناصعة من اجل التوحيد، والمعروف ان ابراهيم عليه السلام من ابناء عرب العراق وقد جال في بعض الاقطار المعروفة في زمانه ثم حمل ابنه اسماعيل وام اسماعيل هاجر وهي جارية مصرية وفق تسمية التوراة الا انها كانت من بقايا الاسر اليمنية التي حكمت مصر في عصور سالفه وقد اشرنا الى ذلك غير مرة... فالكعبة المشرفة التي كانت قائمة في مكة قبل ابراهيم تمت اعادة بنائها من قبله وبيده ولا يخامرنا ادنى شك في ان الله اوحى الى ابراهيم ان يتخذ لابنه اسماعيل مقاما عند الكعبة وان يقوم له نسل في تلك الارحاء حتى يأتي اليوم الذي يخرج فيه نبي من العرب للعرب ولسائر ابناء البشر في العالم يختتم به الله الرسالات وينهى عهد الانبياء المحليين وقد تحقق ذلك بالمبعث النبوي الشريف... وكان لدى العرب من بعض ادبيات شريعة ابراهيم ما تناقلوه جيلا بعد جيل وهو ما عرف لدى عارفى ذلك [صفحة ١٠٤] و المتمسكين به باسم الحنيفية اذ كان ابراهيم عليه السلام قد وصف بأنه كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين هذا رغم ان العرب ابان جاهليتهم مالوا الى الشرك واتخذوا آلهة من الاوثان وجنحوا عن اصول الملة الحنيفية وحين جاء الاسلام راح يردهم الى ذات الطريقة في دين شامل واسع المناحي صالح للبقاء الى ابد الدهر. ومن هنا كان محمد بن عبدالله بشهادة القرآن الكريم اولى الناس بابراهيم وان كان صلى الله عليه وسلم نبيا مستقلا الشخصية و ذا شريعة لا شريعة تفوقها في الشرائع القديمة لانه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## السور المكية والمدنية

السور المكية هي ما نزل من السور قبل الهجرة وعدتها ست وثمانون سورة، والسور المدنية ما نزل بعد الهجرة وعدتها ثمان وعشرون سورة. ان في السور المكية سورا طوالا وقصارا وكذلك القول على السور المدنية اذ جاءت فيها سور جد طوال و سور جد قصار... تتناول السور المكية في آياتها مسائل من التعليم والتثقيف والجدل والتأكيد على وحدانية الخالق وقد ازدحمت هذه السور بقصص الانبياء وما كان من عبر وعظات ودروس اخلاقية ذات فعل حسن في المجتمعات البشرية... ان ستا وثمانين سورة منزلة في مكة لى امر ذو حجم كبير اذ كان الرسول لا يجد معه في الساحة الا النزر اليسير من السابقين الاولين. اجل انه لامر عجيب ان يحمل الرسول بمفرده عبء المواجهة مع اناس كانوا ذوى حرص شديد على عبادة معابدهم الباطلة يذودون عنها من يتحرش بها بكلمة نبز مهما كانت طفيفة... ومن السور المكية سورة يوسف و يونس والرعد والشعراء والفرقان والاسراء والانبياء وطه والانعام والكهف ومريم والنحل والحجر و ابراهيم والنعبوت و يس و الزمر و غافر و الدخان و الجاثية و الاحقاف... حقا انها سور تحتجن من مطالب الاسلام و أسسه و ركائزه الحجم المتكامل الكبير و بذلك كان المهاجرون الذين عاشوا في مكة و قد خرجوا الى المدينة يحملون القرآن على جانب عظيم ن الثقافة الدينية، فان ذلك يعد مدرسة متكاملة الدروس متعددة الفصول... و لم يجد المسلمون حاجة اذ كانوا في المدينة لتعلم شىء من احكام اليهودية و سير الانبياء في الامم الخالية لذا لم يراجعوا اليهود ليسمعوا من افواههم

شيئا...والاسلام منذ كان في مكة كان قد اظهر عظيم رعايته للانبياء الاقدمين و لقد عرض انباءهم و ذكر اخبارهم ورثى لحال اقوامهم الذين عاملوا رسلهم معاملة غير لائقة...و في السور المدنية كانت الآيات تستهدف امرا من التثقيف و الجدل غير الذي كانت قد جالت في مجاله ايام العهد المكي. اذ اكتظت السور المدنية باحكام الدين التفصيلية و كان من ذلك ما يتعلق بالمواريث و بنظام الزواج و الطلاق و الصوم و احكام القتال و الصلوات و احكام الحج مضافا الى ذلك نمط من الجدل الكتابي اى مجادله اهل الكتاب و هو جدل كان اهل الكتاب يبدأونه آونة و الفتنة الاسلامية تبدأ الكلام فيه آونة اخرى...ان جهد النبي صلى الله عليه و سلم كان ظاهر في مكة و في المدينة على حد سواء الا انه صلى الله عليه و سلم كان على ضرب واحد من القوة في كلتا المدينتين غير ان نقطة الاستقرار كانت ذات ابعاد في المدينة بسبب ان الرسول كان قد حذر ظهور اعداء له في بيئتها...ان دراسة السور المكية يتلخص فيها تاريخ رائع للسيرة النبوية و كذلك القول على دراسة السور المدنية.. و قد رجحنا اقوال بعض الرواة الثقات في [صفحة ١٠٥] انتماءات بعض السور القرآنية و اخذنا برأى فريق منهم في أن السورة الفلانية هي مكية لا مدنية او انها مدنية لا مكية و ذلك بمقتضى مقدمات و ادلة و ثقنا بها فلا يحسب احد ممن يقف على ذلك أنا توهمنا الامر توهما و انما قررناه على بينة من ذلك أنا نرى أن سورة الفاتحة مدنية و أن الرعد مكية و غير ذلك من السور التي استقر في علمنا ما كان لها من انتماء الى احد العهدين المكي و المدني...

## الشفاعة

ليست الشفاعة ان تاتي الى سجن مغلق فتكسر اقفاله فتخرج منه سجيننا تحرره بمحض رغبتك. فان للشفاعة طرفين احدهما من يشفع اليه و الآخر من يشفع فيه اما الثالث فهو الشفيع...من شروط الشفاعة ان تحسن مخاطبة من تتشفع اليه أى ان تصفه عند مخاطبته بأطيب النعوت و تلتزم عنده بشعائر الاحلال و التوقير و ان تشير الى توفر المعاني الدالة فيه على مكان تحقق المطلوب... الامر الثاني الخاص بالمتشفع فيه فإنه ينعقد على ان تصفه بالضعف و الحاجة الى العون و اللطف فيه رغم ثبوت اساءته و تقصيره لانك ان اثبت تبرئته فلست شفيعا له و انما انت مطالب بحقه الذي لا يحتاج لشفاعة شفيع...ان في الشفاعة معاني انسانية ظاهرة يراد بها التخفيف من شدة البطش بمن اقترف ذنبا عن جهالة... و التوبة نمط من الشفاعة و مخاطبة البارى بما يوصف به اذا وصف بالقوة و شدة العقاب و باللطف و المغفرة انما تعنى نمطا من الشفاعة و قول نبي خاطب الله بقوله «ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم» المائدة/١١٨... ضرب من الشفاعة...لقد ظهرت للشفاعة معالم على عهد الرسل الاقدمين فمن ذلك قول نوح عليه السلام «ان ابني ممن اهلى و ان وعدك الحق و انت احكم الحاكمين» هود/٤٥... و على لسان ابراهيم الخليل عليه السلام «و من عصاني فانك غفور رحيم» ابراهيم/٣٦.و ان ما جاء في الدعاء المشهور «اللهم انا لا نسألك رد القضاء ولكننا نسألك اللطف فيه» هو شفاعة... و قد قسمت الشفاعة الى شفاعة حسنة و شفاعة سيئة «و من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» النساء/٨٥ و بذلك يعلم الشفيع انه لن يكون مقبول الشفاعة ان تشفع في امر يتعلق بحدود اللهو الشفعاء كثيرون فيهم من هم من اهل الوجاهة في الغالب و قد يكون فيهم من وصفه النبي بقوله «رب اشعث أغبر ذى طمرين لو اقسام على الله لا يبره»... و قوله تعالى «و ما كان الله ليعذبهم و نت فيهم...» الانفال/٣٣ هو الشفاعة بعينها و قوله تعالى «و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون» هو كذلك شفاعة لان للمذنب ان يشفع لنفسه بذكر محاسن سبقت و بذكر عفو الله و سابغ رحمته...القرآن الكريم مشحون بالآيات الدالة على ان الشفاعة مسألة من حقوق الشفعاء ما كانت شفاعتهم شفاعة حسنة. و سائر انبياء الله ممن لهم الاستحقاق العالى في ذلك و قد افضنا في الكلام في هذا الموضوع في بعض فصول الكتاب...ان الذين نفوا ان يكون النبي ذا شفاعة عند الله في امته انما قام نفيهم هذا على ايراد بعض الاحاديث النبوية التي قالوا فيها ان في سندها من لا تقبل روايته فاذا كان الامر كذلك فكيف اباحوا لانفسهم و هم يبطلون رواية احاديث الشفاعة ان يبطلوا ما ثبت من نصوص الشفاعة في القرآن الكريم...الشفاعة نمط من السعى في استنقاذ متعرض للاذى و العقاب و أى من ضروب الضرر مما هو محل استحقاقه او عدم استحقاقه و استئماله و عدم استئماله. فالتشفع في صبي لدى اهله يأخذون بتأديبه. نوع من الشفاعة فان

المتشفع فيه يسأل اهله ان يعفوه من العقاب و يروح يكلمهم بلغة فيها رفق كبير و استعطاف ظاهر بحيث ينشأ من ذلك ان تتفأ قدر غضب القوم على صبيهم... و مثل هذا الموقف محمود لا- يعاب عليه من ينهض به... و هكذا تكون الشفاعة في الابرياء يؤخذون بجريرة لم تثبت عليهم و قد تكون قد ثبتت عليهم الا أنهم يستأهلون العطف و الرفق و التخفيف من حجم العقاب... ان كل مأخوذ الى سيف الشريعة و القانون مهما كان بريئا و مهما كان قويا فانه يأخذ منه الخوف ماخذه و ذاك لطبيعته ما يعرض لمتله من الضعف... و قد قال أبو بكر رضى الله عنه: (اقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق منه)... فالشفاعة في مثل هذه المواقف يتطوع للقيام بها ذوو القربى و الاصحاب و من تكون لهم ازاء امثالهم قلوب رقيقة و رغبة في التسامح و دعوة الى الاصلاح من غير طريق العقوبة... و القرآن الكريم يزكى الشفاعة اذا جاءت حيث يحسن أن تجيء «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب [صفحة ١٠٦] منها و من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» النساء/٨٥... و فى الشفاعة تهذيب و فيها اصلاح و فيها تهوين من غضب غاضب و قسوة معاقب فهى درس انساني و تربوى لذى قوة يحق حقه و لذى ضعف ينتظر أن تقام عليه التبعة و يتمنى ان يحال بينه و بين ذلك. و مذهب القرآن الكريم فى صدد الشفاعة انه يقر المداخله فيها لانها أمر بالعرف و تهدئة لشبوب اوار السخط فى ذوى حق مغتصب و تعرض لعدوان شديد... و الشفاعة تكون لدى الحكام و الوجهاء و ذوى الحثيات و من هم أصحاب حق و الآباء تستندى مروءاتهم و تناشد معروفهم و ما هى بالامر يؤمرون به و لا الفرض يفرض عليهم و ليس فى الشفاعة ابطال حق و احقاق باطل و ما كان كذلك فهو الشفاعة السيئة التى وصف الله شفاءها بأنهم ينالهم كفل من سوء شفاعتهم... «و لو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا». النساء/٦٤... فى النص القرآنى ايماء الى الشفاعة التى جعلها الله من امتيازات الرسول صلى الله عليه و سلم... و الشفاعة مما ندب القرآن اليه بين الناس كسرا للفتنة و حيلولة دون ذبوع الشر و اطفاء لنار الاحقاد و تشجيعا على الوساطات الكريمة التى تسعى فى الاصلاح بين الناس «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها و من يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها» النساء/٨٥... و الشفاعة التى يشفع بها عند الله قال فيها «من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه» البقرة/٢٢٥... و قال «و لا- يشفعون الا لمن ارتضى» الانبياء/٢٨... «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» المدثر/٤٨... و حين قال سواد بن قارب: فكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة بمغن فتिला عن سواد بن قارب لم ينكر عليه النبى ذلك. و القائلون انه لاوساطة بين الله و الناس - و قد صدقوا فى جزء يسير من ذلك - فاتهم ان الرسل هم وسطاء بين الله و الناس فاذا كان الله قد اختارهم لنقل رسالاته و اطمأن الى صدقهم فى هذا النقل و كانوا امانة على الوحي و الآيات المنزلة فكيف لا تكون لهم الوساطة و الشفاعة على ان الشفاعة التى يتقدم بها نبى او رسول الله لا يعنى ذلك انها تقبل مئة بالمئة و انها تفرض على الله فرضا بحيث يستجيب للطلب المطلوب من دون ابطاء. ففى القرآن الكريم «و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له...» سبأ/٢٣ و فى القرآن الكريم «انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء و هو أعلم بالمهتدين» القصص/٥٦... ولكن استحقاق النبى للمنزلة التى يشفع بها لمن يستحقها كائنه و الله قبولها ان شاء على ان الرسول لا يورط نفسه فى الشفاعة بين يدي الله لمن يعلم ان الله غاضب عليهم غضبا شديدا لا تنفع الشفاعة فيه. و لقد رد الله شفاعة ابراهيم عليه السلام فى ابيه و كان قد رجع عنها «و كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعده و عدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه» التوبة/١١٤. و لما شفّع نوح عليه السلام فى ابنه الذى «قال سأوى الى جبل بعصمنى من الماء» هود/٤٣ قال له الله «انه ليس من اهلك انه عمل عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعطتك ان تكون من الجاهلين» هود/٤٦... و النبى صلى الله عليه و سلم و قد نال من منزلة القرب من ربه و التزكية العظمى لا يقع منه ان يشفع فى احد الا بعد و ثوقه باستحقاق ذلك العبد لشفاعته و من ذلك انه لا يتوقع ادبا ان يشفع رسول الله فى ابى لهب و زوجه لانه - صلى الله عليه و سلم - يعلم ان الله حكك على ابى لهب و زوجه بأنهما من اهل النار. و قول أخوة يوسف «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم» يوسف/٩٧/٩٨... فيه دلالة على ان يعقوب عليه السلام لبث يفكر ايستحق اولئك نفر من ابنايه ان يتشفع فيهم بعد جنائهم المعروفة... [صفحة ١٠٧] موضوع الشفاعة قد طرق فى آيات التنزيل غير مرة و كانت شفاعة الرسول الاعظم معروفة منذ اول حياته صلى الله عليه و سلم. و من خير اقوال المؤذنين الذين يصلون على

الرسول بعد الفراغ من الاذان للصلاة قولهم - الصلاة والسلام عليك. عليك وعلى آلك واصحابك يا سيدنا يا من بالشفاعة العظمى خصك الله...

### الامر الالهى...

استعملت كلمة «الامر» فى القرآن الكريم فى الكلام على عدد من الرسل والانبيا القدامى من نحو قوله تعالى «و ما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين...» البينة/٥... وجاء على لسان نوح عليه السلام قوله «و أمرت أن اكون من المسلمين» يونس/٧٢... وعلى هذا فان ايمان الانبياء يقوم على الامر الالهى القاطع الذى لا مناص من طاعته اذ انهم يؤمرون به ليكونوا مؤمنين فالإيمان عنده لا يقبل العصيان والتردد... وكان نصيب الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم من هذا غير قليل... ان استعمال هذه الصيغة مع الانبياء والرسل يدل على ان الصلة بين الله ورسله هى فوق الصلات التى بين الله وغيرهم فهم اشبه بالموظفين فى تعامل الرؤساء معهم... وكذلك جاء هذا الحرف فى التعبير عن علاقة الملائكة بربهم فى القرآن الكريم «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» التحريم/٦... «انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وأمرت أن أكون من المسلمين» النمل/٩١... «قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون اول المسلمين» الزمر/١١/١٢ «قل انى أمرت أن أكون اول من اسلم» الانعام/١٤... «قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين» الانعام/١٦٣... «قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين» يونس/١٠٤... «قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أَدْعُو و اليه مآب» الرعد/٣٦ «فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الى من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا و اليه المصير» الشورى/١٥... «فاستقم كما أمرت و من تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير» هود/١١٢... «فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين» الحجر/٩٤... وجاء استعمال الامر بين رب الأسرة و ذوى قريبه «و أمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» [٣٢] طه/١٣٢... مما يدل على أن استعمال هذا الحرف فى مخاطبة الانبياء قائم على هذا الاصل... و يفهم من استعمال هذه الصيغة فى مخاطبة الرسل و النبى فى جمهورتهم لا يراد بها التحكم و فرض الارادة و الرغبة فى مجرد الامرة لذاتها و الاستعلاء و ان كان الله عزوجل اعلى من كل شىء. انما يراد باستعمال الامرة الاطمئنان الى موقف المأمور من الطاعة و الثقة بأنه اهل لعظيم رجاء الله فيه و قد قالت العرب قديما [اذا اردت أن تطاع فأمر بما يستطاع] و ذاك من أجل أن لا يواجه الأمر شيئاً من العصيان فكانوا يوصون بأن يكون الامر غير متوقع للامر أن يعصى فيه فلا ينفذه المأمور عجزا او عصيانا. فما كان الرسل و الملائكة يعصون الله ما أمرهم بل كانوا يفعلون ما يؤمرون... [صفحة ١٠٧]

### الاءات القرآنية...

ما جاء من النصوص القرآنية فى معنى النهى بمثل «لا الناهية» فى الخطابات القرآنية الموجهة الى الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم انما هى أوامر جاءت بصيغة النواهى. لان صيغة النهى تؤدى فى بعض الاحيان معنى الامر المؤكد وفق الاسلوب البلاغى فى التنزيل العزيز و فى لغة العرب فبدلا من أن تقول لشخص اصدق تقول له لا تكذب ففى قولك لا تكذب امر فى الصدق و نهى عما يضاده من الكذب. فان قلت له اصدق و ان كان الامر بالصدق يتضمن النهى عن الكذب ولكن ذلك غير واضح فيه و قولك لشخص لا تكذب. لا يقع به من معانى الكلام دائما أنه كان كاذبا فمنعته من الكذب و انما أريته عاقبه من لا يصدق و ابرزت له بشاعة الاستهانة بالصدق حين نهيته عن الكذب و أطلعته على شرف الصدق الذى تريد أن تأمره به فنهيته عن الكذب. فان النهى عن شىء هو امر بما يخالفه و قد يكون المنهى عن ذلك واقعا لما نهيته عنه و قد لا يكون فان نهيت من اقترف جناية عن جنايته فذاك هو الحقيقة. و ان

نهيت عن شيء لم يقترفه من نهيته عنه فذاك انما يكون للتحذير و التنبيه و هو الذى يعد من اساليب البلاغة فى التعبير و ذاك هو النهج القرآنى فى سائر ما وقع من مخاطبات النبى و فقهه. ان قوله تعالى «و لا تكونن من الممترين» البقرة/٢٤٧... لا يعنى نهى النبى عن الامتراء فيما هو حق ولكن صيغة النهى اذ كانت اقوى من صيغة الامر جاء استعمالها فى هذا المقام. و ان استعمال صيغة الامر كثيرا ما يفهم منه أن الخطاب بهذه الصيغة معنى به من تخاطبه لا- تجاوزه الى غيره ولكن النهى عن شيء اذا نهيت عنه من نهيت و ان كان واحدا بعينه فان فى ذلك دلالة على أن هذا النهى ينسحب على اكثر من واحد لا- سيما من يكونون على حال واحدة او صفات متجانسة. النص مسبوق بقوله تعالى: «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم و ان فريقا منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون. الحق من ربك...» البقرة/١٤٦... و على هذا سنتناول النصوص اللائية اى التى جاءت فيها «لا الناهية» بشيء من التفصيل ان كان فى النص ما يستوجب ذلك... ان امثال هذه الخطابات التى خوطب بها النبى بالوحى الالهى تدل على أن الله عزوجل كان يلحق النبى بما يزيد من تعليمه و يسدد من توجيهه و يكون ابدأ محل رعايته و رقابته و تأديبه و عظته على تعدد اساليب الخطاب القرآنى البليغ الذى خوطب به النبى من قبل ربه فى العهدين المكى و المدنى و سنشير عند تفسير هذه اللاتيات الى وجوه الكلام فيها و مقاصده و غاياته ان كان فى ذلك ما يدعو الى ذلك. «و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم و لا هم يحزنون». آل عمران ١٦٩/١٧٠. فى النص اثبات حقيقة تقرر أن الشهداء الذين يموتون فى سبيل الله هم احياء يرزقون... و لم يرد ذلك بصيغة الاخبار و انما جاء بالصيغة التى جاء بها و هى صيغة النهى عن حسابان هؤلاء القوم موتى... و ظاهر فى ذلك قوة التعبير و حسن لفت الانظار الى هذه الحقيقة، و كذلك كان الخطاب الى سائر الناس لانهم معنيون به و انما خوطب به النبى لبيان اهميته لأن ما يخاطب به النبى يرمز الى عظم الاهمية و هو لو خوطب به الناس لفقد من هذه الاهمية الشيء الكثير... «و لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة و لهم عذاب عظيم»... آل عمران/١٧٦ فى سائر النصوص القرآنية نرى أن الله يهون على النبى امر الحزن و يصرف عنه هم الانشغال بالهموم [صفحة ١٠٩] الناشئة من سوء عمل الكافرين فانه من البديهي أن يحزن المسارعة الكفار الى الكفر غير أن دواعى الهم و الحزن كثيرة العروض فليست هى بالواحدة و لا- بالاثنتين و على هذا أدب الله نبيه بأدب الصبر و التحمل و مواجهة الصعاب و المشاكل و مكاييد الكائدين بالاتكال على الله و الثقة بنصره و ترك ما يشق على النبى حله الى الله ربه فذلك اولى من الحزن الذى نهى الله نبيه أن يجاوز حده فى نفسه. و فى النص تعليل لامر الله و رسوله بالصبر و التحمل فى قوله سبحانه «يريد الله أن لا- يجعل لهم حظا فى الآخرة...»... و معنى قوله تعالى «يسارعون فى الكفر» اى يتعجلون الكفر بلا ترو و لا اقبال على تمييز مفردات الامور و مثل هؤلاء لو آمنوا لما كان فى ايمانهم شيء من جدوى... «لا تحسبن الذين يفرحون بما آوتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم»... آل عمران/١٨٨ هذا النص. نص تهذيبي اخلاقى يعيب على من يفعل شيئا من الخير أن يتبجح به و كذلك من لم يكن قد فعل شيئا فيروح يطلب من الناس أن يحمده و انه لنعم الخلق هذا الذى دعا اليه كتاب الله. اذ ينعدم بالتأديب به ذبوع التبجحات الكاذبة و التطاول على الناس بالفخر و المباهاة... و قد جعل الله امثال هؤلاء القوم عرضة للعقاب لان وجودهم فى الامة مفسدة لاخلاق الامة... ان مثل هؤلاء فى سلوكهم هذا قد يظن الظان أنهم لا شيء عليهم من عقاب الله بالحجم الذى جاء به النص و من هنا نبه الله رسوله الكريم بعاقبه من يكون على هذه الشاكلة من الناس فانهم لا منجاة لهم من النار و لا- محيص لهم من عذاب الله. و جاءت «لا» مرتين فى بدء النص و نهايته «لا تحسبن الذين يفرحون بما آوتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم»... و بذلك نفهم أن الله عزوجل يلحق نبيه ما يجعله محيطة بكل عاهات المجتمع و مساءاته مادق منها و ما جل... «و لا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما»... النساء/١٠٧ نهى الله النبى أن يكون له موقف رفق و تسامح مع الذين يصمون انفسهم بوصمة الخيانة على وجه الظن او الحقيقة. و الاختيان يرد فى مورد سوء الظن بالنفس كالذى فى قوله تعالى «علم الله انكم كتمتم تختانون انفسكم فتاب عليكم و عفا عنكم»

البقرة/١٨٧... وفي ذاك تعليم للرسول أن يكون دائما مع الحق الذي لا- شبهة فيه. و الموقف التربوي الالهى أفاد رسول الله كثيرا فى تكوين شخصيته المتكاملة و فيما زوده الله به من ادب و حكمه و حسن تصرف و نقى سيره و صدق تعامل، والنص آت فى هذه الموارد... «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم». المائدة/٤١ المراد فى قوله تعالى بمخاطبة الرسول: «لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم» أن لا يحفل بهم و لا يحمل لهم هما و لا يتعكر صفو فكره لا مثال هؤلاء الذين اوضح الله مسارعتهم للكفر منذ كانوا اعلنوا ايمانهم من قبل. انما كانت مسارعتهم هذه الى الكفر ناشئة من انهم منذ آمنوا بألسنتهم لم تكن قلوبهم قد آمنت... انه لمن المحزن أن تجد من آمن قد بات فى عداد من نكل عن الايمان و صار من الكفار ولكن حين يعلم [صفحة ١١٠] أنه لم يكن قد آمن اصلا فان الفجعة فيه غير جدية به و لعل مسارعتهم كانت مبادرة منه الى الاعلان عن حقيقة امره و كذب ما سبق أن اعلنه من ايمانه... و عند وضوح مثل هذه الحقائق يكون فى ذلك من كسب هو عدل ما هناك من الخسارة. و قد علمنا ان الله عزوجل كان يرشد الرسول الاعظم الى المصابرة و التمالك فلا يكون للجزع الى نفسه من سبيل و بذلك مرن الله نبيه على الجلد و الثبات و قوة المقاومة و تحمل الهموم و الظهور امام جميع الاحداث بمظهر الحازم الحكيم. «و انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله و لا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق...» المائدة/٤٨ بعض هذه اللات ترد مسبوقة بنصوص فيها اوامر محددة و بذلك يكون اثر هذه اللات اثرا اضافيا و ليس جذريا او اساسيا... فالنهي هنا عن اتباع اهواء القوم يعد حالة تفسير للحكم الذى امر الله نبيه أن يحكم به. ملتزما بما انزل الله و من ذلك الآية التى نحن فى صدد الكلام عليها... و يفهم من هذا أن النبى كان قد ناط الله به مهام كثيرة تتعدى مهام الصوم و الصلاة و الامامة فى الناس الى القضاء و الحكم و اصدار القرار فى اخطر الامور و الاحداث التى كانت تواجهه و فيها ما يتعلق بكيان الامة و سلامه و المجتمع و حل المشاكل التى يثيرها خصوم الملء و اعداء الشريعة، و ما كان اكثر ما يحدث منها فى عالم المدينة بحيث يبيت الرسول لها و لا مثالها فى شغل شاغل و هم متفاعل و لا يكون معه من يشاطره مثل هذا العناء او يتلى معه بمثل هذا البلاء... أجل لقد كانت شخصية رسول الله شخصية قيادة و رئاسة و ادارة مضافا هذا فيها الى أنها شخصية نبى و رسول تهدف رسالته الى اصلاح العالم كله و انقاذ البشرية من محتتها فى اخلاقها و عقلها و حاضرها و مستقبلها و عللها و مشاكلها و سائر احوالها حيث ما كانت مواقعها من هذه الارض و ذاك فوق ما كان على النبى من امر توحيد الامة العربية و تطعيمها بالقوة و الخروج من قوقعتها الى سائر افاق الله الواسعة لتصنع من اجل الانسانية ما ناط الله بها أن تصنع... حقا ان مهمة الرسول كانت مهمة عظيمة و ثقيلة و شاقه... و قد تكررت هذه التوصيات و النواحي فى آية تالية تؤكد لما جاء فى الآية التى انتهينا من الكلام عليها و ذاك هو قوله تعالى: «و ان احكم بينهم بما انزل الله و لا تتبع اهواءهم و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم و ان كثيرا من الناس لفاسقون». المائدة/٤٩. و فى هذه الآية شىء من التفصيل فى الكلام على نزع الشر و الخصام و الفتنة و الشقاق فى مواجهة الاسلام و مواجهة النبى باشرس وسائل العناد و الغدر و المكاشرة اللثيمة... «قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة و الانجيل و ما انزل اليكم من ربكم و ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا و كفرا فلا تأس على القوم الكافرين»... المائدة/٦٨ مخاطبة النبى ب «لا تأس على القوم الكافرين» و قد جاءت بصيغة النهى القاطع تعنى قاعدة مقعدة فى هذا الشأن هى أن الكافرين لا يستحق احد منهم ان يأسى عليهم احد أو يأسف أو يحزن. لان النبى صلى الله عليه و سلم لم يقع منه شىء من الاسى لهؤلاء الناس و لا يتوقع أن يقع منه شىء من الاسى عليهم. و ذاك لانهم ليسوا من ذوى قرياه و لا- من عشيرته و قد كانوا يزدادون على مر الايام حقدا على النبى و عداوة له و يشتد كفرهم بملته و عقيدته و لذا لا يتصور أن يأسى النبى على امثالهم و اشباههم و قوله تعالى «فلا تأس على القوم الكافرين» يعد ذما للقوم و لمن نهج على نهجهم من الضالين المكذبين... «و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء و ما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين»... الانعام/٥٢ [صفحة ١١١] كان من دأب الاقوام الذى جاءتهم رسلهم بالبينات أن



ذوى المكانة والوجاهة فيهم كانوا ينكرون على رسلهم أن يتقبلوا ايمان من يحسبونه من السوقه ودهماء الناس فى حين أن الشرائع السماوية قاطبة لم تفرق بين الناس تفرقا طبقيًا و إنما ساوت بينهم حين يقبلون على انبيائهم باعتناق الدين و تقبله و قد قال قوم لنبى لهم «انؤمن لك و اتبعك الارذلون» الشعراء/١١١ و كذلك قال قوم النبى لهم «ان نراك اتبعك الـالـالذين هم اراذلنا» هود/٢٧.والاسلام تقبل من اعتنقه من العبيد و الاماء و المنتمين الى الطبقات الدنيا فى المجتمع و كان يشق على سادات قريش ان يكونوا فى عرف الدين الجديد سواسية هم و عبيدهم و امأؤهم و ما يملكون من ارقاء و كان ذلك مما تعد من المشاكل الاجتماعية الكبرى التى واجهت الرسول فى العهد المكى اول الامر...ان النبى صلى الله عليه و سلم كان يعير هذه الطبقات الدنيا الرعاية التامة اذ كان تحرير الارقاء من بعض مهمامه، و رعاية النساء من بعض مطالب دينه، و القضاء على معظم العنعات الجاهلية من بعض شأنه، لذا لم يكن يعير مقولات المشركين فى هذا الامر ادنى اهتمام و حفول و ان كان كثير التطلع و التوقان الى ايمان الفئات القوية و ذات النفوذ فى مكة.ان الرسول كان على ما هو ثابت و معروف من شرفه الانتمائى الاسرى كان يعانى من اضطهاد القوم... «و اذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذوا الذى بعث الله رسولا» الفرقان/٤١... و كان يرى اتباعه المستضعفين يعانون من الظلم و الاضطهاد الكثير اذ اقبل على اعتناق الاسلام من الارقاء غير قليل و كان النبى صلى الله عليه و سلم يصبرهم و يوصيهم بالتحمل و لم يعرف عنه أنه خذلهم او أسلمهم بل عرف عنه انه كان يطلب من اغنياء الصحابة شراءهم من اسيادهم كالذى وقع من شراء ابى بكر الصديق رضى الله عنه لبلال الحبشى غير أن النص القرآنى جاء بصيغة النهى عن طرد امثال هؤلاء المؤمنين للتركيز على قسوة ذلك ان وقع و بشاعته لو حصل و وفق القاعدة التى أشرنا اليها لم يكن النهى نبيه أن يطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى قد كان من أجل أن النبى طرد احدا منهم و إنما سبق هذا النهى ما كان عسى أن يقع مثل هذا الطرد لأولئك المؤمنين رغم أن احتمال وقوعه احتمال جد ضئيل لما اسلفنا من الكلام فى هذا الوجه. و النص القرآنى «و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء و ما كان حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين». كان ذا ردع عظيم للمشركين و تئيس لهم من أن يغروا النبى بشىء مما يريدون من ابعاد اولئك المستضعفين عن ساحة الاسلام و عن اهتمام الرسول بهم. و ذاك هو معنى هذا النص القرآنى الوارد فى سورة مكية اوضحت لنا آياتها أهم احداث السيرة النبوية فى مكة...«و لا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا و الذين لا يؤمنون بالآخرة و هم بربهم يعدلون». الانعام/١٥٠ فى النص ما يشير الى وجود قوى معادية للرسول و لما بعثه الله به من الشريعة السمحة الكريمة اذ كانت اهواء المكذبين هى التى تصول و تجول فى الساحة... و قد امر الله النبى أن يكون فى مواجهة ذلك. و فى قوله تعالى «و لا تتبع» هنا ما يشير الى فساد تلك الاهواء و ضلال اولئك الاقوام و قد وصفهم الله بقوله انهم كذبوا بآياته و أنهم لا يؤمنون بحسابه و عقابه و انهم بربهم يعدلون اى يزيغون عن عبادته من العدول و هو الميل و النكول عن الايمان به و العدول عن عهد الطاعة له...«فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون»... التوبة/٥٥... [ صفحة ١١٢] النص مسبق بقوله تعالى «قل أنفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين و ما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله و برسوله و لا يأتون الصلاة الا و هم كسالى و لا ينفقون الا و هم كارهون»... من سياسة الرسول صلى الله عليه و سلم فى مطالب الجهاد و مقاتلة الكفار أن لا يستعين عليهم بغير المؤمنين الصادقين فى ايمانهم اذا ما وقع الاقتتال و الاقتحام بل رفض النبى العون المالى الذى يقدمه فريق من هؤلاء الذين وصفهم النص بأنهم لا يؤدون الصلاة الا عن كسل و تناقل و لا يقدمون من مالهم شيئا الا عن كره و ليس عن تشوق الى هذا العطاء...و لم تكن فى سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم أية صورة فيها استغلال و انتهازية و لا لأخذ اموال هؤلاء الناس و صرفها فيما تعرض الحاجة الى مثلها.و تكررت الاشارة فى القرآن الكريم الى ما كان من مظاهر هؤلاء الناس فى كثرة الاموال و الاولاد و ما كانوا يصفونه على انفسهم من معالم الهيبة و البروز و الفخفة فان ذلك عند الله ليس بشىء...و النهى عن الاعجاب بالاموال و الاولاد يعنى اعطاءهم الكثير من اعتبار فى حين انهم لا يستحقون من ذلك لا كثيرا و لا قليلا و قد يكون النبى صلى الله عليه و سلم قد لفت نظره فى القوم مثل ذلك فنبأه الله الى أنهم لا يستحقون منه اى تقدير و اهتمام... و قال الله

في ذلك «انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون». ان مثل هذا النص كان يفعل فعله في نفوس المؤمنين. اذ كان اولئك الذين مر الكلام عليهم محل استخفاف المؤمنين و استغنائهم عنم يكونوا على مثل تلك الحال و ما كان احد يلوذ بهم او يكون له رجاء في اموالهم فلقد عزلهم القرآن عن صميم البيئته و فضحهم أشد فضيحة... و موضوع الاعجاب و النهي عنه تكرر في النص الذي اورده الآية الخامسة و الثمانون من نفس السورة «و لا تعجبك اموالهم و اولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون»... «و لا تصل على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره انهم كفروا بالله و رسوله و ماتوا و هم فاسقون». [٣٣] التوبة/٨٤ الضمير هنا في «منهم» يرجع الى نص جاء في آية سبقت هذه الآية هي «فان رجعتك الله الى طائفة منهم فاستأذنونك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا و لن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين». لقد نهى الله عن الصلاة على اولئك القوم ان مات منهم احد و المراد بالصلاة هذه الصلاة الجنائزية التي تؤدي من قبل فرد واحد او اكثر من فرد واحد اى جماعة يتقدمهم امام على ان تكون جنازة المتوفى موجودة بين يدي من يصلى عليها و ذاك وفق مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله و فقهاء آخرين رأوا رأيه الذين نهى النبي عن الصلاة عليهم كانوا قد تخلفوا في الخروج معه في بعض الاحوال القتالية و كان النبي قد جاهرهم بأنه يرفض خروجهم معه لمثل ذلك. و في النص ما يشير الى جواز القيام على قبور المسلمين قصد الدعاء لهم و الترحم عليهم و الاعتبار بالموت و الاعتاض بمشاهد القبور التي تحتوى على فئات من البشر كانوا قد عاشوا على هذه الارض يأمرهم و ينهون و يتمتعون بتمتع الحياة و يملكون الاموال الطائلة [صفحة ١١٣] فانه كفى بالموت واعظا و يقول الزهاوى في صفة بعض المقابر: و اذا نظرت الى القبور وجدتها كفلول جيش بالعراء مخيم و ما جاء في نهاية النص من وصف القوم «انهم كفروا بالله و رسوله و ماتوا و هم فاسقون» يومية بأن التخلف عن الجهاد و الفرار من الزحف و ترك الرسول وحده مع من معه و قد يكونون قليلين في مواجهة عدو غاز او عدو يجب تنحيته عن حدود ديار المسلمين ليعد كفرا بواحا و فسقا مبينا. و وجود القبور في المقابر و حيثما وقع لها أن توجد تقوم به الدلالة على سلطان الله في خلقه [٣٤] اذ كان قد قهرهم بالموت و في بعض الفترات التي يسيطر فيها على الناس الطاعون و الاوبئة الاخرى و فيضان النهار و انهدام البيوت على الناس تكثر القبور في كل مكان من البيوت و المساجد و غيرها و لا يصح الاستيحاش من ذلك أو استنكاره و الحكم على تلك المواقع و المساجد بأنها لا تصح الصلاة فيها فان الصلاة لله و هي فرض مفروض على الامة لا يعطل فرضيتها وجود قبر حيثما وجد و قد صلى النبي صلاة الجنائزية في المقابر. ان الصلاة تؤدي مقرونة بالنية الخالصة لله رب العالمين و ما كان لمصل كائنا من كان أن ينوي أداء صلاته لميت من الموتى و لم يقع عبر التاريخ من ذلك شيء و بهذا لا يكون لوجود قبر معروف الهوية او غير معروفها من دخل في ابطال صلاة مصل او قبولها لا احد يعلم ان صلاة المصلى حتى لو أداها في ساحة الكعبة الشريفة أتقبل ام لا؟ لان ذلك من علم الله وحده. «و الذين اتخذوا مسجدا ضرابا و كفرا و تفريقا بين المؤمنين و ارسادا لمن حارب الله و رسوله من قبل و ليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون، لا تقم فيه ادبا لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين»... التوبة ١٠٧/١٠٨ حين أتخذ في المدينة مسجد اخر غير المسجد النبوى كان ذلك من قبل اتباع ابي عامر الراهب نهى الله نبيه أن يقوم فيه و كان المسجد قد اتخذ للتفريق بين المسلمين. و كان القائمون على انشائه فئه من المنافقين و قد وصفهم الله بالكاذبين من زعمهم انهم ارادوا الحسنى في بناء مسجدهم. و في النص القرآنى ما نتعلم به ان قدسية الاماكن لا تنشأ من شكلها انما تنشأ من موضوعها فكون بناية ما مسجدا لا ينبغى اعظامه و تقديسه مالم يكن محققا لشرف المسجديته فيه و لذا قال تعالى في صفة المسجد الذى يستأهل أن يقام فيه «لمسجد أسس على التقوى من اول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا». و لقد انتهى امر هذا المسجد بهدمه و ازالة معاملته على ان هناك مساجد منصوفا على قدسيتها و هي المساجد الثلاثة التي وصفت بانها تشد الرحال اليها و هي الكعبة المشرفة و المسجد النبوى و المسجد الاقصى. «و لا يحزنك قولهم، ان العزة لله جميعا هو السميع العليم... يونس/٦٥ هذا النص منظور فيه الى قوله تعالى في آيات آتية: «الآ- ان لله من فى السماوات و من فى الارض و ما يتبع الذين يدعون من دون الله

شركاء ان يتبعون الا الظن و ان هم لا يخرصون...ينهى الله نبيه في النص أن يحزن لمقولات المشركين في حق الله من كفر و شرك و ما الى ذلك فان الله له العزة التي لا تملك مقولات المشركين من أن تنقيها أو تنتقصها...و نهى النبي عن هذا الحزن نهى عن حال واقعة فقد كان من حق النبي أن يحزن لما يراه من موقف الكفار تجاه الخالق العظيم. فلقد جهلوه كل الجهل و انكروه كل الانكار ولكن الله عزوجل هون على نبيه هذا الامر و جعله يواجه الاحداث بعزم و جلد مكان للحزن معه. فلقد كانت مهمة النبي أن يصحح الاوضاع و يغير الاحوال و يأخذ المشركين و المعاندين الى جانب الايمان [ صفحة ١١٤ ] والاعتقاد بوحدانية الخالق العظيم في اجواء من الجد و الصبر و المثابرة فان ذلك من منابع العطاء و من مصادر النجاح و ليس في الحزن من ذلك شيء و على هذا كان النبي بعد هذه التنبيهات الالهية اشد مراسا و اكثر صبرا و اقوى عزمًا في سائر مواجهاته مع صنديد الكفر في قريش...«لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. و لا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين». يونس ٩٥/٩٤ هذا النص يشبه ما جاء في آيات البقرة/١٤٧... و هو قوله تعالى «الحق من ربك فلا- تكونن من الممترين»... و قد تم شرحه آنفا... كما أن النص الذي نحن بصددده قد اتبع بقوله تعالى «و لا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين»...النص و ان كان قد خوطب به النبي فانه مراد به سائر الناس و هو نص مغموز به الذين وصفهم الله بأنهم كذبوا بآيات الله فكانوا من الخاسرين و نهى الله نبيه أن يكون كذلك انما اراد الله كما قلنا في مخاطبة النبي مخاطبة الغير لاقرار قاعدة تقرر أن الكذب على الله مصيره الخسران المبين... و ما كان للنبي أن يكون من هؤلاء القوم انما كان المراد استبشاع حالة الكذب على الله و سوء مصير من يصنع ذلك تحذيرا للامة أن تفتىء الى هؤلاء القوم و في النص ردع شديد لمن يكونون على هذه الشاكلة...و توصية النبي بأن لا يكون من الممترين قد تكررت في القرآن الكريم و قد سلف القول على معنى الامتراء فيها. و الآيات الواردة في هذا المعنى يراد بها تثبيت النبي و شد أزره في مواجهة العدد العديد من الممترين و المكذبين و الخصوم المخاصمين...«و أن أقم وجهك للدين حنيفا و لا تكونن من المشركين، و لا تدع من دون الله مالا ينفعك و لا يضرك فان فعلت فانك اذن من الظالمين»... يونس ١٠٦/١٠٥ في هذا النص تصوير للايمان الحق الذي هو اقامة المؤمن وجهه للدين حنيفا و عكس ذلك هو الشرك بالله اذ فصل الله بين الشرك و بين التوحيد الخالص. و قد جاء النص في هذا لمخاطبة النبي صلى الله عليه و سلم و التعليم الالهى هنا تعليم عام يراد به سائر المخاطبين. فان النبي صلى الله عليه و سلم لم يكن مقيما وجهه لغير الدين حنيفا و لا كان ممن اشرك بالله شيئا...و عبارة اخرى ان هذا النص الذي يتألف من آيتي يونس ١٠٦/١٠٥... يعد ناموس الشريعة و قانون العقيدة والاصل الذي قامت عليه الملة و جاء به رسول الله من ربه اذ جاء فيه «و لا تدع من دون الله مالا ينفعك و لا يضرك فان فعلت فانك اذن من الظالمين»... و الغرض من مخاطبة النبي بذلك تثبيت هذا الاصل و تحديد حدود الدين به و هو كذلك من الخطابات التي يعنى بها سائر افراد الامة لانها كما قلنا تتضمن جوهر العقيدة الاسلامية و خلاصة التوحيد و اللجوء الى الله وحده على أن في توجيه ذلك الى النبي بدءا ما يدل على شرف الموضوع و عظم موقعه في تعاليم الدين اذ وجه الى النبي قبل أن يوجه الى المسلمين. و مما يتمم الحلقات في سلسلة هذا التعليم النقي و التهذيب السليم ما جاءه لو تلك الاية و هو قوله تعالى: «و ان يمسسك الله بضر فلا- كاشف له الا- هو و ان يردك بخير فلا- راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده و هو الغفور الرحيم» يونس/١٠٧... ان هذا النص من متممات النص الاول في صرف انظار العباد الى الله و التوكل عليه و الانابة اليه يستوى في الامر بالالتزام بذلك في الانبياء و الرسل و سائر اتباعهم...«فلا- تك في مريئة منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا- يؤمنون»... هو د/١٧١ لا- تك في مريئة من الكتاب الذي هو القرآن... مخاطبة الرسول بمثل هذه المخاطبات يراد بها كذلك مخاطبة سائر المؤمنين... و لذلك جاء في ذات النص القول على ان اكثر الناس لا يؤمنون... و ايمان الناس [ صفحة ١١٥ ] بهذه الحقيقة مما يجب أن يستمسكوا به و يطمئنوا اليه و يعلموا أنه الحق الذي لا- مريئة فيه فما يخاطب به النبي من مثل ذلك مراد به مخاطبة سائر الناس و البدء بالرسول في هذه المسائل من سنن النظام القرآني و منهاجه و الناس في عبادة الله يستوى رسولهم و من ارسل اليهم على ما يلمسه من يتبع آيات القرآن و ما جاء فيها من التعاليم و الاحكام. فان النبي صلى الله عليه و سلم مأمور بأداء شعائر الدين من صوم و

صلاة و حج و زكاة و مأمور كذلك بالالتزام بما هناك من حلال و حرام و التقيد بكل شعيرة من شعائر الدين و فريضة من فرائضه و الناس هم كذلك، و لأجل هذا نرى خطابات الاحكام و الاسس الدينية للعقيدة يخاطب بها النبي بدءا كما أن النواهي و المحرمات و اللاءات الالهية ترد موجهة الى الجميع في الغالب. اذ قد تكون في الخطابات القرآنية خصوصيات يكلم بها النبي وحده... «فلا تك في مريه مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل و انا لموفوهم نصيبيهم غير منقوض»... هود/١٠٩ النص القرآني و ان كان مخاطبا به الرسول الاعظم انما هو نص مراد به انكار المعاييد التي يعبدها اولئك الكافرون و لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم في مريه من ذلك و انما نهاه الله عن أن يكون في مريه مما يعبد القوم قصد الاعلان عن بطلان هاتيكن العبادات. و ذاك من بليغ التعبير القرآني في استنكار امور يستنكرها... «فلا تحسن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام»... ابراهيم/٤٧ الخطاب و ان كان موجهة الى النبي. فان النبي غير مقصود به و انما المقصود به من اراد الله ان يفرض عليهم عزته و أن يخفيهم نعمته... «لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم و لا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين»... الحجر/٨٨ في النص القرآني تهذيب و موعظة. اذ يريد الله من نبيه أن لا- يجعل غنى من اغناه الله محل اعتبار عنده و لا يجعل عقوق اولاء ربهم محل حزنه و تكدر خاطره و أمره بأن يصرف همه في رعاية المؤمنين فانهم عرق الامة و أرومتها و جذعها و عمودها... و مثل ذلك مما يستحق التفاؤل الحسن و قوله تعالى «و قل اني انا النذير المبين» فيه ما يشير الى أن امام هذا النذير المبين مستقبلا حافلا- بالنجاح و التوفيق... «لا- تجعل مع الله الها اخر فتعقد مذوما مخذولا»... الاسراء/٢٢ يتضمن هذا النص الذي خوطب به الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم قاعدة عقائدية تقرر أن مصير من يجعل مع الله الها اخر هو القعود مذوما مخذولا. فالخذلان و التعرض للذم من عواقب الشرك بالله لان المشرك بالله لا يدري اين يتجه في دعائه و رجائه و بمن يستعين و بمن يستجير و من من هؤلاء الشركاء يقصد في طلب الرزق و الشفاء و النصر على الاعداء. و كذلك الخذلان و الخزي يلقاه من ربه يوم عرضه عليه و حسابه... و مخاطبة النبي بذلك اصل من اصول التعليم القرآني و الله عزوجل لا مجاملة تكون في خطابه لعباده في امور تخص وحدانيته و قيموته على مخلوقاته، و لذلك يبذون النص على جانب من صراحة الخطاب الذي تضمن التوعد الالهى لمن يجعل مع الله الها اخر... و هو من الخطابات التي يراد بها الناس لأنهم هم المقصودون بها... و لا يعنى شىء من هذه الخطابات المضمخة بالشدة و القسوة انها النمط الاسلوبى في مخاطبة الله نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم و انما يعد ذلك كما قلنا هو النهج القرآني العام في سائر البلاغات القرآنية لان الجانب المهم و المقصود فيها هو ايصال محتوى هذه الخطابات الى سائر الناس، و في الناس هؤلاء المعاندون و المستكبرون و الملاحدة و الكافرون و من كان اشباههم و نظرائهم... «و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتعقد ملوما محسورا»... الاسراء/٢٩ [ صفحہ ١١٦ ] في هذا النص درس في بعض آداب الحياة الاجتماعية الجاءت فيه التوصية بالاعتدال بالنفقة و عدم الشح و البخل على الوجه الذى لخصه شاعر بقوله: بين اسراف و بخل رتبة و كلى هذين ان زاد قتل و الخطاب و ان كان وجه الى النبي و خوطب به فانه مراد به جميع الناس من اسخياء و بخلاء و من مبذرين و مقترين... و النبي يعد انموذجا بشريا يصلح أن يخاطب بمثل ذلك من غير أن تكون هناك خصوصية في مخاطبته، فانه لم يعرف في شخصية النبي أنه كان مبذرا او كان مقترا. و انما كان يعرف بأنه كان جوادا ذا تصرف رشيد في منعه و عطائه. ولكن النص كما قلنا انما وجه اليه وفق السنة المسنونة في الخطابات القرآنية الرشيدة و الحكيمه... و كذلك ليعلم الكفار و غيرهم جديه الأمر الالهى في هذه المخاطبة... «و لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا. و لا تمش في الارض مرحا انك لن تحرق الارض و لن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها». الاسراء/٣٦/٣٨ في هاتين الايتين الكريمتين عظات عالية المستوى في الاخلاق و السلوك الحميد و أن ذلك لمن بعض مكونات شخصية الرسول الاعظم، اذ كان يريد الله بهذه العظات و بنظائرها أن تمتلىء شخصية النبي حكمة و سدادا و رشادا و هذا ما كان على الوجه الذى اراده الله و على الحالة التى شاءها الله لنبيه و صفيه و حبيبه و خليله محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم... و الخطاب هنا و ان كان مخاطبا به النبي انما هو خطاب للناس على وجه الترغيب و التهيب فان الرسول لم تعرف فيه هذه الخصال الممنوعة التى هي من

السيئات المكروهة و لا كان عليه الصلاة و السلام متكبرا و جبارا فى الارض يمشى فيها بمرح و خيلاء و لا كان خطاب الله له بأنه لن يخرق الارض و لن يبلغ الجبال طولا بمقصودة ذاته الشريفة به و انما هى السنة الاعلامية فى القرآن ليتأدب كبراء القوم قبل صغرائهم بالادب العالى و السلوك المحمود...«ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة و لا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا». الاسراء/٣٩ و هذا نص اخر قرآنى على غرار ما اوردناه من النصوص يلاحظ عليه انقمت الالهى فى المخاطبة التى تتمثل فيها القواعد العامة فى الترغيب و الترهيب و البلاغات الالهية. فان الناس فى ذلك سواسية كأسنان المشط حين يكلمهم الله فى شأن ذاته العلية و صفاته القدسية... و النبى و غيره مخاطبون بهذا الخطاب الحدى الحاسم «و لا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا». فان الله جل جلاله هو الله القاهر فوق عباده. غير أن من الامر البديهي أن لا خصوصية للنبى فى مثل هذا الخطاب و نظائره لانه المؤمن على عقيدة التوحيد و الرافع لواءها على كل صعيد. و قد لقي من اجلها ما لقي من اذى المشركين و عدوان المعتدين و سخرية الساخرين. الا أن النهج الالهى كما قلنا فى حق الخالق العظيم ماض على هذا الوجه و هذه السنة منذ عهد اول نبى بعثه الله الى اخر نبى ارسله الله و هو محمد بن عبدالله...«و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها و ابتغ بين ذلك سبيلا»... الاسراء/١١٠ فى هذا النص تعليم يعلمه الله نبيه فى كيفية ادائه صلاته و الخطاب فى امر الصلاة. فان ذلك أليق بأداء العبادات و اجدر بمن يستقبل القبلة للصلاة و قد امره الله أن يتخذ بين الجهر و المخافتة سبيلا لا تصارخ فهى و لا تهامس و هو لعمرى سبيل تبدو فيه الصلاة و لها رونق و وقار و قنوت و خشوع تطمئن الله النفوس و ترتاح الاسماع و تهش القلوب... [ صفحة ١١٧ ] و قد قال النبى صلى الله عليه و سلم لرجل جهر فى صلاته [انك لا تدعو أصم]... و الخطاب فى امر الصلاة خطاب لجميع المصلين الذين يجب عليهم الاهتداء بهذا الهدى و الاقتداء بهذا المقتدى... و الجهر المنهى عنه هو ما يكون فيه غلو ظاهر تفسد به الصلاة و تبدو و كأنها من بعض لغط اللاغطين و نداء الباعة فى الاسواق. فما ينبغى لمصل أن يصنع ذلك. «فلا تمار فيهم الا مرءا ظاهرا. و لا تستفت فيهم منهم احدا. و لا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا. الا ان يشاء اله و اذكر ربك اذا نسيت...»... الكهف ٢٢/٢٣/٢٤ فى النص ما يوصى النبى بأن يعد ما جاء فى شأن اهل الكهف فى كتاب الله مقصورا على المعلومات التى جاءت فيه لان انباء اهل الكهف قد تضاربت فيها الاراء و تعارضت فيها الاقوال و الانباء... و قصة اهل الكهف قصة كان المراد من سردها الوصول الى حكمة او اكثر من حكمة. فالجانب التاريخى فيها غير ذى شأن و لا اهمية و لذا لم تورد فى القصة اسماء القوم و لا مكان الكهف و لا المدينة التى بعثوا احدهم اليها ليشتري طعاما. و امثال هذه الامور لم نجد القرآن يعيها شيئا من الاهمية. اما قوله تعالى «و لا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا. الا ان يشاء الله و اذكر ربك اذا نسيت. و قل عسى ان يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا» فانه من التعاليم القرآنية التى تجعل المؤمن متكلا على الله فى كل شىء و أن يعلم انه لا ارادة له يتحكم فيها بيومه و غده و مستقبله... و فى قوله تعالى «و لا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله و اذكر ربك اذا نسيت»... فى هذا النص توصية بتعلق البعد بربه و اتكاله عليه و ثقته به فانه جل و علا هو الذى يمنح الناس الحياة و بحدد لهم الآجال و يقدر لهم الارزاق و من هنا فان فى يده وحده الغد و ما بعد الغد... و حين يعرف العبد ذلك يكون تصرفه وفق هذا التعليم الرشيد الذى يسقط انانية الانانى و اعتداد المعتد بنفسه... ان هذا الخطاب و ان كان موجها الى النبى فهو خطاب تربوى القاه الله الى سمع الامة كلها. و النبى صلوات الله و سلامه عليه لقربه من الله و المامه باحكام دينه يعرف ذلك جيدا فما كان يجهل منه شيئا الا أن النص قد ورد موجها اليه لتعلم الامة اهمية ذلك و هو من بليغ اسلوب القرآن فى الموعظة و الارشاد و التعليم... ان جماع هذه التوصيات القرآنية الملقاة الى رسول الله صلى الله عليه و سلم كانت هى مفردات تكوين شخصيته النبوية العظيمة النادرة المثل فى الاداب و السلوك و الايمان و العقيدة... «و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان امره فرطا»... الكهف/٢٨ الكلام على تصبير النفس مررنا به فى جدول الآيات الداعية الى الصبر و الموصية به. و يبدو أن فريقا من مستضعفى المؤمنين من الموالى و غيرهم ممن اعتنقوا الاسلام اوائل العهد المكى كانوا يؤلفون من بعض افرادهم جماعة او اكثر من جماعة يتعبدون الله على ضوء تعاليم الدين الحنيف. و قد امر الله رسوله أن يرعاهم

و أن يتفقددهم. و طبعي أن من بعض ذلك مدهم بالايات النازلة و الاحكام المقررة، ولكن صيغته هذا التوجيه جاءت بالفاظ الامر و النهى على جارى عدة الاسلوب القرآني في امثال هذه الخطابات... و في النص اشارة ظاهرة الى وجود قوى كافرة غير مؤمنة من المشركين ما تزال تترصد بالمؤمنين الدوائر و تتعمد الاساءة الى الدين الجديد بكل ما تملك من نزعة العدوان و الاساءة اليه و من بعض ذلك قوله تعالى «و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان امره فرطاً»... و بديهي أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يكن بالذى يطيع امثال هؤلاء الناس ولكن النهج [ صفحة ١١٨ ] التعبيري القرآني المعتاد في معظم الاوامر و النواهي كان هذا النهج... و قوله تعالى: «و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا» لا يعنى أن النبي كان يريد زينة الحياة الدنيا ولكنه القياس و المقارنة بين امرين اثنين متناقضين و متعارضين... والنبي رجل حكمة و تبصر و تواضع و ادب كريم يضاف الى ذلك ما كان الله عزوجل يكثره من تلقينه و تعليمه لذا فان مفهوم المخالفة في النص لا وجود له... «و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى الله وحيه. و قل رب زدني علماً». طه/١١٤ كان ما يقع للمسلمين امور يجعل الرسول صلى الله عليه و سلم يتقرب أن ينزل في ذلك وحي يقرر الامر الذى يجب اتخاذه القرار فيه اذ لم يكن الرسول يقطع امرا في النوازل و معقد المسائل و مثل هذا التقرب يتأتى منه انشغال النفس و قلق الفكر و ثقل التربص و على هذا أوحى الله لنبيه ما يهون عليه ذلك و قوله تعالى «و قل رب زدني علماً» وصية للنبي بالاستزادة من العلم و الحكمة فانها العمود الذى تقوم عليه خيمة القيادة التى آتاها الله نبيه. فاذا عملنا ان الاية من الايات المكيه علمنا أية توجيهات هذه التى يبادر الله نبيه بها و هو في اول نأناه الاسلام و عند بزوغ الضياء الاول لفجر يومه العظيم... «و لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فهى و رزق ربك خير و ابقى»... طه/١٣١ من التوجيهات الالهية الموجهة الى الرسول الاعظم يوصيه الله فيها بأن ينظر الى الارزاق بأنها محددة من الخالق الرازق على الوجه الذى اراده و قرره وفق حكمة هو ادرى بما يتحصل منها من خير و هذا ما يجعل كل عبد مؤمن مطمئنا الى رزقه فلا يطمع في حصة غيره من هذا الرزق و لا يحسده و لا يتمنى زوال نعمته. و قوله تعالى «ازواجاً» أى اناسا كثيرين و قوله تعالى «لفتنتهم فيه» اى نخبر شكرهم للنعمة و كفرهم بها و ليس توسيع الرزق على احد من عباد الله بالذى يكون لكبير مزية فيه او عظيم فضل فان ذلك ليس مما يعد اصلا في هذا الباب... ان النبي صلى الله عليه و سلم يعلم ذلك لانه من اصول العقيدة التى تسع الاعتراض على الله في مثل هذه الامور لذا لا يكون قوله تعالى «و لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا» نهيا عن شىء وقع للنبي اراد الله أن لا يتكرر منه و انما هو مطلق النهى اى انه نهى عن اشياء لا يراد لها أن تقع و ذاك من سنن التعبير القرآني و من ركائز الموعظة الحسنة و أسس التوجيه السديد لا سيما حين يكون الخطاب محصورا في اطار الازمنة المستقبلية. و قوله تعالى: «و رزق ربك خير و ابقى» يؤيد المعنى الذى شرح به النص... «لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض. و ماواهم النار و لبئس المصير»... النور /٥٧ الكلام على هذا النص تم في باب - حسب، يحسب - فى هذا الكتاب... «و لو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا، فلا تطع الكافرين و جاهدهم به جهادا كبيرا». الفرقان ٥١/٥٢ المراد بالقرى هنا ما يتناثر من البلدان على اختلاف مساحاتها اذ ان الله بعث فى القرى الكبيرة رسلا و انبياء... و القرى هذه انما هى ما تسكنه أمم و شعوب و اقوام معروفون بالانتماء الواحد الى لغة او قومية او جنس من اجناس البشر... كما أن الله عزوجل امر نبيه بمقاطعة الكافرين و المضى فى مجاهدتهم حتى يحين يوم انتصاره الذى وعده الله... «فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين... و أنذر عشيرتك الاقربين... و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين... فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون...»... الشعراء ٢١٣/٢١٤/١٢٥/٢١٦ [ صفحة ١١٩ ] النهى الذى خوطب به النبي ليس نهيا عن أمر وقع منه و حدث له لان النبي لم يكن قد فعل ذلك او شيئا من ذلك ولكن صيغته النهى يعبر بها بالبلاغة القرآنية فى معنى صيغته الامر و قد كثرت اشارتنا الى ذلك عند الكلام على آيات قرآنية جاءت بهذه الصيغة... على أن هذا الامر مخاطب به سائر الناس، و فى تخصيصه بالنبي تنويه بعظيم اهميته فى مخاطبة الغير... «و لا تحزن عليهم و لا تكن فى ضيق مما يمكرون»... النمل /٧٠ المراد بقوله تعالى «و لا تحزن عليهم» أن لا يحزن بسببهم و أن لا يقلق لما يتخذون من قرارات ما كرهه ضده و ضد دينه فان الله مبطل مكرهم و جاعل كيدهم فى نحورهم و هو الذى يتولى عنه كل شىء... و يفهم من ذلك أن الهم كان يأخذ

من نفس النبي موقعا عميقا و القلق يساور افكاره تجاه المواقف الشريفة التي يقفها منه جماعة المشركين. و كان الله عزوجل يهون ذلك عليه و يطيب خاطره و ينشر ألوياً التفاؤل بالنصر و التوفيق امامه. «و ما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين. و لا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك و ادع الى ربك و لا تكونن من المشركين، و لا تدع مع الله الها آخر، لا اله الا هو كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون»... القصص ٨٦/٨٨ فى هذه الآيات جماعة من التوجيهات الالهية للرسول الاعظم و فيها اوامر و نواه و خلاصات عقائدية تعد من اصول الاسلام و ركائزه الاساسية و قد جاء ذلك بأسلوب بليغ رصين العبارة و اوضح القصد سريع النفوذ الى النفس و قوى التأثير فيها... ان المعاناة التي كان يعانها النبي خلال ادائه رسالته ربه و انذاره قومه و عشيرته و من وراءهم من الناس كانت معاناة قاسية نوهت بها مفردا هذا النص القرآنى الذى تلاحظ فيه و عليه ملامح الجومكى الذى كان النبي يمحز عبابه بعزم شديد و همه عالية... و كذلك نكرر هنا أن صيغ النهى التي فيه لم ترد لذاتها انما وردت لملايسات هناك و جاءت وفق نهج قرآنى اعلامى خاص يراد به من صيغة كل نهى صيغة أمر أو صيغة تحذير أو صيغة خطاب لقوم آخرين... «و من كفر فلا يحزنك كفره لينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور»... لقمان ٢٣/أى لا يأخذ منك كفر من كفر منهم مأخذاً عميقاً فتغتم و تهتم. فان الله يتكفل امر هذا النمط من الناس. والايات التي ترد فى مثل هذا المعنى من تصوير النبي و صرف الهم عن نفسه كانت تفعل فعلها فى اراحة بال النبي ليكون ابدا فى جو يساعده على اداء المهمة الرسالية العظيمة... و يفهم من ذلك أن ظروف الدعوة التي يحمل النبي لواءها و هو فى مكة كانت من اقسى الظروف و اشدها عناء و اكثرها اذى... «و لقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مريه من لقاءه و جعلناه هدى لبني إسرائيل»... السجدة ٢٣/يخبر الله نبيه - و قد كثر ذلك فى الايات القرآنية - باخبار من قبلهم من الرسل الذين كانت مهمتهم محصورة حصرا فى الدعوة الى توحيد الله عزوجل و الحث على عبادته و الرجوع اليه و الاستعاذه به و الاتكال عليه. و قد ذكر النص القرآنى ان الله آتى موسى عليه السلام الكتاب اى التوراة التي هى الاسفار الخمسة مع تحفظنا فى ذلك و قد صار اسم التوراة شاملا لجميع ما كتبه انبياء اليهود بعد موسى فى اسفارهم... اما قوله تعالى «فلا تكن فى مريه من لقاءه» فالمخاطب به الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم أى [ صفحة ١٢٠ ] لا تكن فى مريه من لقاء الله لان المقام كلام على الرسالات السماوية و صلب موضوعها هو الله عزوجل و لقاءه. لذا جاء هذا النص استطرادا اقتضته و دلت على حقيقة معناه القرينة الواضحة، و لم يكن النبي فى مريه من لقاء الله ولكن النهج التعبيرى فى القرآن الكريم يأخذ بالالاءات ابتغاء تثبيت معان فى تثبيتها تثبيت لعقائد من صميم الدين تأتى العبارة القرآنية عليها بأسلوب النفى أى ان قوله تعالى «فلا تكن فى مريه من لقاءه» مراد به امره بالاستيقان من ذلك أى كن مطمئنا الى لقاءه و واثقا من لقاء الله كل الوثوق... «يا ايها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ان الله كان عليما حكيمًا... و أتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرًا... و توكل على الله و كفى بالله وكيلا»... الاحزاب ٣/١ فى هذه الآيات المدييات تثبيت لقدم النبي فى ساحة المواجهة تجاه من كان هناك من خصوم الدين من يهود و منافقين و غيرهم و ذاك بقوله «يا ايها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ان الله كان عليما حكيمًا» و لم يكن النبي قد اطاع الكافرين و لا المنافقين ولكنه التعليم الالهى يرد بصيغة النهى و التحذير لما فى هذه الصيغة من قوة الاداء و شدة الحكم. و قوله تعالى «ان الله كان عليما حكيمًا» أى انه تعالى محيط باعمال هؤلاء الكافرين و المنافقين و عالم بما يسرون و ما يعلنون و أنه حكيم فيما يحكم به فى شأنهم، و بهذا تظمين للنبي الى أن كل شىء سيتم بعلم الله و حكمته. «و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع اذاهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا»... الاحزاب ٤٨/ فى هذا النص ما يشعر بالحاح اهل الكفر و الماردين على النفاق من اهل المدينة فى اضجار الرسول الاعظم و ايدائه اذ يوصيه الله بأن يتحمل ذلك و لا يأبه بما يعرض له من اذى اولئك الكافرين و المنافقين. فإنه اذى سيصرفه الله عنه فليتوكل على الله فإنه خير حام و خير منقذ و خير منجد. والآية كما قلنا مدينة تسجل على خصوم النبي فى المدينة من العدوان و الفساد فى الارض ما سجلته على خصومه فى مكة... «لا يحل لك النساء من بعد و لا أن تبدل بهن من ازواج و لو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك و كان الله على كل شىء رقيبا»... الاحزاب ٥٢/ كان الرسول قد أحل له الزواج من اكثر من امرأة و قد ظهر لنا من السيرة

العائليّة له صلى الله عليه و سلم أن زواجه كان ذا مغزى يبعد كثيرا عن زواج الآخرين و لسا في صدد تفصيل ذلك الكتاب و قد كان مألوفًا تعدد الزوجات في تلك الأزمنة و ما قبلها و ما من أحد من الشخصيات العربية ذات المال و النفوذ الا كان متزوجا عددا عديدا من الزوجات اذ كان العرب يباهون بكثرة الابناء من الذكور خاصة... ان النص القرآني الذي نحن في صدد حدد زواج الرسول بمن كان قد تزوجهن من النساء و قوله تعالى «و لو اعجبك حسنهن» لا يعني أن النبي كان يتزوج من يتزوج من النساء بمن كان يعجبه حسنها... اذ لا نجد الامر كذلك عند استعراض اولئك النساء انما كان الامر كما اشرنا منوطا بأمر مصلحيه غير خاصة... اما ملك اليمين فانه صلى الله عليه و سلم لم يستعمل من هذا الحق لا- قليلا و لا كثيرا الا ما وقع من هدية صاحب مصر اليه اذا اهداه ماريّة القبطية التي عاملها الرسول معاملة حرائر النساء، فلقد كان النبي يرعى المرأة رعاية تامه فما كان يجعل في بيته امرأة مسترقه يشتريها من هنا و هناك لما كان يرى في وجود الاماء في بيته - ان وجدن - من تسبب البيت و اقامته على قاعده مهزوزة و ذلك من بعض من وهبه الله من حكمه و تبصر و بعد نظر و حسن تصرف... [صفحة ١٢١] و هذا مالا مصلحه للنبي فيه... و كذلك يترتب على ملك اليمين أن تباع الواحدة منهن و تشرى. و لم يكن النبي قد فعل ذلك فاشترى الجوارى و باعهن و ذاك لجلاله قدره و عظم مكانته في الامه و من هنا كان النص يتعلق بملك اليمين نضا آتيا على القاعدة التي تحل ملك اليمين لسائر الناس و لا مفهوم للنص... الا هذا ان قوله تعالى «الا ما ملكت يمينك» لا يعني الاستثناء في الاباحه و انما هو الاستثناء الجاري على أصل القاعدة التي هي أن يكون للنبي اماء يتملكهن و يقمن في بيوته و ذاك قياسا على ان النبي لا- تنكح ازواجه من بعده، و حكم الاماء كمثل ذلك الحكم و حكم اولئك اللاتي هن من بعض ملك اليمين كحكم سائر ازواجه، كما أن الاماء يتقلبن من يد الى يد تقلب امتلاك و استرقاق... و قوله تعالى «و ما ملكت يمينك» قول ورد في معنى الاباحه العامه اي التي هي من حق سائر الناس و ان لم يكن لها مفهوم معين في حق الرسول... و الاباحه العامه لا- يرد فيها تحجير او استثناء بعض الافراد منها ولكن خصوصيات شخصيه الرسول هي التي يفهم منها ما يفهم من أمر هذه الاباحه... «افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء و يهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليه بما يصنعون»... فاطر/٨ في النص ما هو من قبيل تهوين جرائم الامور يقترفها اناس في خاصه انفسهم كانت تؤذى رسول الله نفسيا اذ كان يتمنى أن لا يكون هذا الذي كان من القوم قد وقع منهم... و قوله تعالى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» اي لا تحمل هم هذا النمط من الناس، و التعبير القرآني يدل على أن النبي كان شديد الاغتمام بالامر المنوه به في الآية... و الحال التي وصفها الله يترين الاعمال السيئه من قبل من يعينهم النص... ان سياسته التوجيه القرآني لبثت تنصب على تفرغ نفس النبي من الهموم بما قد يتأتى منه تعويق المهام الكبرى التي هي دعائم الدين و ركائز الدعوة... و مما جاء في القرآن الكريم من مثل تهوين الامور على النبي قوله تعالى: «فلا- يحزنك قولهم، انا نعلم ما يسرون و ما يعلنون»... يس/٧ «ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد»... (المؤمن) غافر/٤ يبدو من النص أن ذوى الغنى و السعة في الرزق كانوا اشد تعلقا بالجدل و تكذيب الدين من فقراء الناس و بسطائهم. و النص يضع قاعدة اساسيه في مثل هذه الامور. فانه ليس من الضروري أن يسكت الله كل مجادل أو أن يبطش بكل متعلق بباطل و أن يفقر الله كل غنى منهم و يسلب من كل ذى ماله ماله. و ما يناله هؤلاء من تقلب في البلاد و اكتساب المنافع و الارباح امر لا- علاقة له بكفر أو ايمان. و قوله تعالى «فلا يغررك تقلبهم في البلاد» يعنى تنبيه النبي الى أن لا يقلق باله من جدل الكافرين الذين يتمتعون بنعم الحياة رغم كفرهم... «ثم جعلناك على شريعته من الامر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون»... الجاثية/١٨ يلاحظ الكلام عليها في هذا النص و نظائره في باب - تبع - يتبع - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل و لا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعه من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون»... الاحقاف/٣٥ قوله تعالى «و لا تستعجل لهم» و ان كان قائما على النهي فان المراد به زف بشاره الى النبي لأن القوم مقبلون على التعرض لعذاب الله... و في زف البشاره اليه صلى الله عليه و سلم شد لعزمه... و تنويه بباهر [صفحة ١٢٢] مستقبلة و آتى ايامه... و للبشائر الالهيه في نفس النبي اشراق عظيم و تفاؤل بالتوفيق كبير... «يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و أحصوا العده و اتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن و لا



يخرجن الا أن ياتين بفاحشة مبينة و تلك حدود الله و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا...  
الطلاق/ الآيه آيه تشريعية فيها احكام الطلاق و العلاقات الزوجية جاء ذلك بهذه الصيغة لثلا ينصرف معنى النص الى الجانب  
الخصوصى فى حياة الرسول صلى الله عليه و سلم اذ كانت بعض الاحكام تدور على خصوصياته صلى الله عليه و سلم والكلام على  
مثل ذلك فى القرآن الكريم قليل جدا فى مسائل الاحكام و العبادات و الاحوال الشخصية. «فلا تطع المكذبين و دوا لو تدهن فيدهنون  
و لا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زنيم»... القلم ٨/٩/١٠/١١/١٢/١٣ فى النص شهادة و  
ثقى بان الرسول كان صريحا فى سلوكه و تعامله فى بيئته و مع سائر الناس من قومه و سائر اعدائه و مخالفى خصومه اذ نص على أنه  
صلى الله عليه و سلم لم يكن مدهانا و هو لو داهن لداهنوا و لصاعت حقائق و قيم كثيرة فى هذا التيار. ان المكذبين الذين عناهم  
النص لم يكونوا من ضعفاء الناس بل كانوا من ذوى الطول و الشأن فيهم. و قوله تعالى «و لا تطع المكذبين» يفهم منه أنهم على حد  
ما وصفناهم به من الطول والقول... و قد يميل الانسان لا سيما من كان كريم الطبع سليم القلب الى تصديق من يقسم فى كلامه و  
يحلف من اجل تأييد مقاله ولكن الله نبي الى أن لا يكون مثل هذا الحلف بالأيمان آخذنا فى نفسه مأخذ الثقة و القناعة. بل ان  
النص غمز الذين يكثرون من الحلف و جعلهم ممن ينزون بالمهانة كأنهم لا يجدون فى انفسهم من خصال الصدوق و الكمال  
النفسى و الخلق ما يزيكهم امام الغير لذا تراهم يعمدون الى اللياذ بالأيمان يقسمون بها و يحلفون بغير حساب. فمثل هؤلاء نهى الله  
النبي أن يصدقهم فى شىء... و قد زاد النص هؤلاء الحلافين صفات اخرى فضحت حقيقة شخصيتهم بأنهم همازون مشاؤون بالنميمة  
و انهم مناعون للخير و انهم معتدون آثمون... و معنى النهى عن اطاعتهم أن لا يعيرهم النبي شيئا من الاهمية و أن يواجههم بأنهم غير  
جديرين بالتصديق. و الذين نزل فيهم هذا النص يعرفون ما نزل فيهم منه... ان المواجهة كانت حادة فى هذا المجال بين النبي و بين  
القوم و بينهم و بينه و ان قوله تعالى «و لا تطع كل حلاف مهين» كشف به تعالى عما فى قلوب هؤلاء الناس من الرىغ و الكفر و ابتغاء  
الشقاق و الفتنة و قد كان مثل هذه الآيات الصريحة فى حق كفر القوم ما يدخل فى نفوسهم الخوف و الرعب، و اليأس من ادخال  
النبي فى كماشة محاولاتهم الفاشلة. ان فى مخاطبة اناس من الكفار من ذوى الطول و الصولة بمثل هذه اللهجة العنيفة دلالة على القوة  
التي يتمتع بها الجانب الاسلامى الذى هو مجموع من كان مع النبي من المؤمنين، اذ كانت القوة و الضعف يترددان بين الفئتين فئه  
المؤمنين و فئه القوم الكافرين. «فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت اذ نادى و هو مكظوم، لو لا أن تداركه نعمه من ربه  
لنبد بالعراء و هو مذموم»... القلم ٤٨/٤٩ مخاطب الله رسوله له الاعظم فى أن لا يكون كصاحب الحوت و هو النبي يونس عليه السلام اذ  
كان قد نفذ صبره، و قد جاء هذا الوصف بعد كلمة الصبر التي أمر النبي به... و قد مر بنا الكلام على آيات الصبر التي خوطب بها  
الرسول الاعظم من استدلالنا به على ان هذه التوصيات بالصبر لا تعنى ان النبي صلى الله عليه و سلم نقد صبره و انما هى التوصية  
الالهية التي تعد [ صفحة ١٢٣ ] اصلا فى كل دعوة سماوية يبعث البارى عزوجل فى صدها نبيا الى عباده... و فى القرآن الكريم... «لو  
لا أن ثبتناك لقد كدت تركز اليهم شيئا قليلا». الاسراء/ ٧٤ النص يتكلم على التوفيقات الالهية التي حباها رسوله، و ينوه بالتداركات  
التي كان يحيطه بها، و ذلك لما تكون له ملازمة و ديمومة تحصن بها الرسل و ذاك لما تكون له حالات متوقعة ينتظرها الرسل من  
ربهم عند اللجوء اليه فى الازمات و فى القرآن الكريم فى الكلام على يونس عليه السلام «لو لا- أن تداركه نعمه من به لنبد  
بالعراء...»... «و لا تمن تستكثر. و لربك فاصبر»... المدثر ٦/٧ النص آت فى مخاطبة الرسول الاعظم و ان كان مرادا به سائر المخاطبين  
من الناس من مؤمنين و غير مؤمنين. و من النظام التوجيهى فى القرآن الكريم اذ توجه هذه الاوامر الى الرسول ابتداءا ليكون مستقرا  
فى نفوس الناس و افكارهم أهمية ذلك و عظم قيمته عند الله. اذ يدل ذلك على استكمال خصائص النبي فى المجال التهذيبي و  
بديهي ان الناس أولى بهذا الاستكمال لحاجتهم الى سائر مفرداته فى حين يعد النبي متميزا عنهم بالرسالات و الكمالات العالية... و  
المعنى فى قوله تعالى «و لا تمن تستكثر» اى اذا اعطيت فلا تكثر من التباهى بعطائك كما أن المن يعنى استرداد العطاء و الرجوع فيه.  
و ليس هو فى الحقيقة نهيا عن خصلة فى النبي يراد تصحيحها بل هو بدء لتوصية تراض النفوس عليها ابتداءا... ان النبي صلى الله عليه

و سلم يتلقى التعليم العالى و التهذيب من ربه الذى تهتدى بهداه السماوات و الارض... و الانبياء و الرسل جميعا الى التهذيب الصادر من ربهم لمحتاجون و التأديب الذى يؤدب به الله عباده لمفتقرون...«لا تحرك به لسانك تعجل به. ان علينا جمعه و قرآنه. فاذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم ان علينا بيانه». القيامة ١٩/١٦ فى النص القرآنى تعليم لطريقة تلقي القرآن و نطقه و قراءته. والنص لا- يتضمن نقدا لطريقة ما كان النبى يؤدى بها التلاوة القرآنية، و انما كان ذلك ابتداء على جهة التعليم و التوجيه «و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث». الاسراء/١٠٦ ان طريقة تلاوة القرآن الكريم كانت على هيئة منعمة و ذاك على ما جرت عليه عادة اصحاب الكتب السماوية فى تلاوتها و قراءتها و كان الرسول قد عرف بحسن الالقاء و الحديث و كل داعية دين تعرف الأناة فى كلامه و الوضوح فى نطقه و لذا قال موسى عليه السلام فى اختيار أن يكون اخوه هرون عليه السلام معه اذ قال «هو افصح منى لسانا». القصص/٣٤ و سأل الله أن يحل عقدة كانت فى لسانه... و لذا فان النص آت على تعليم سائر من يقرأ القرآن الكريم بالطريقة المفضلة فى التلاوة و القراءة... و قوله تعالى «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه». اراد بذلك من ينزل بالقرآن عليه صلى الله عليه و سلم... و اذ ان القرآن كانت تنزل آياته على مدى الفترة المكية و المدنية بحيث اعتاد الناس التلقيات القرآنية من غير سابق انذار فانهم فى بعض الاحيان كانوا يستعجلون ذلك. «يا أيها الذين آمنوا لا- تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم و ان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم»... المائدة/١٠١ و فى تأزم الاحداث كانت الامم تنتظر نزول الوحي لبيت فى ما استعصى من الامور الطارئة منها... يفهم من هذا ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان كثير التلهف الى سماع الوحي و تلقيه و حفظ ما ينزل آياته و سوره فطمأنه الله الى أنه لن يفوته شىء منه [صفحة ١٢٤] فانه هو جامع و حافظه و منزله و موضح بيانه... و كان يظهر على الرسول من الحرص فى استقبال الوحي و استعجاله ما عرف فى اكثر من مكان، من ذلك حرصه على مسألة القبلة و هذا ما نص عليه النص القرآنى «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها» البقرة/١٤٤... و من ذاك «و لا- تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه»... «فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثما أو كفورا»... الانسان/٢٤ فى النص ما يكشف عن وجود اعداء من الائمة كثيرين يتناولون احباط دعوة النبى الى الهدى و الحق و الاصلاح بين الناس و لذلك نبه الله نبيه أن لا- يأبه لهؤلاء و لا يعيرهم أدنى اهتمام او خشية... و كذلك جاء فى هذا المعنى قوله تعالى «كلا لا تطعه و اسجد و اقترب» العلق/١٩... و قد جاء ذلك بعد آيات وردت فى آخر سورة العلق. يتجلى فيها المراد بمن نهى الله عن اطاعته...

## باب حسب و تحسب

تعنى حسب معنى الظن مقرونا بشىء من التأكد... «و حسبوا ان لا تكون فتنة فعموا و صموا» النحل/٨٨... و مثل ذلك «و تحسبهم أيقاظا و هم رقود» الكهف/١٨... اى انك تتحسس فى شأنهم أنهم ايقاظ و ذاك لكون معالم اليقظة ظاهرة عليهم و هم رقود اى و هم نيام لا- مستيقظون... فان «حسب» تعنى الظن الذى هو فى قوة الواقع «و يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا» الانسان/١٩... كأنما جاء النص يصفهم باليباض و اللاتماع و النظافة المكتملة... و اللؤلؤ لا حياة فيه كالحياة التى فى البشر ولكن التشبيه به مألوف ابتغاء وصف أناس بالجمال و الصباحة... ان النبى صلى الله عليه و سلم اذ يخاطب بذلك انما يخاطب به لانه هو الذى يطمأن اليه لقوة الصفة الظاهرة عليه، و هو كذلك اسلوب فى البلاغة العربية يرد فى التعبير عن الاحاطة فى المدح و الذم كالذى فى قوله تعالى «تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى» الحشر/١٤... و هذا مقول فيهم على وجه الذم... اى ان ظاهرهم معجب مرضى و باطنهم شىء غير مرضى... و ما جاء من هذه الالفاظ مسبوقا بلا الناهية من مثل «و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا...» آل عمران/١٦٩ فان معنى النهى هنا غير وارد و انما هو اسلوب فى العربية يراد به توكيد الشىء من طريق نفيه او النهى عنه و شواهد ذلك فى القرآن الكريم كثيرة... «و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون». آل عمران/١٦٩ من اساليب العربية عند الكلام على اثبات حقيقة من الحقائق أن يتم التوصل اليها من طريق ايرادها على وجه النفي... فالنص يقرر أن الذين قتلوا فى سبيل الله انما هو احياء عند ربهم يرزقون، ولكنه جاء بمقدمة تنهى أن يكونوا قد ماتوا لأنهم فى حكم الملة الحنيفة السمحة احياء غير اموات... و

بذلك تكون الحقيقة التي أريد إيرادها في امر الشهداء قد أديرت في مجال النقاش حتى ظهر امرها... ولم يكن النبي قد كان قد حسب الشهداء امواتا ليصحح الله ذلك... بل أن الكلام الالهي جاء ابتداء قطع الله به الشك في أن الشهداء الذين قتلوا في سبيله احياء... وما قلناه من قاعدة اثبات الحقائق من طريق ايراد الكلام عليها على وجه النفي او النهي تكرر في اكثر من مكان من هذا الكتاب... «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب و لهم عذاب أليم»... آل عمران/ ١٨٨ [ صفحہ ١٢٥ ] «لا- تحسبن» هنا لم ترد على وجه النهي عن امر وقع. بل جاءت ابتداء بالحكم برفضه و نفيه ليكون ذلك قاعدة ثابتة من زجر الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لانه حسد على لا شىء فهو يعد منتهى الغش و الزور اذ لا يصح ان ينسب الى من لم يكن قد عمل عملا حسنا شىء مما يستأهل الذكر الحسن و الحمد و التقدير... و على هذا افان نهى النبي ان يحسب اولئك القوم بمفازة من العذاب لا يعد نهيا. و انما هو بدء كلام اثبت الله به القاعدة التي نصصنا عليها آنفا، فان النبي يعمل أن امثال اولئك الناس ليسوا بمنجاة من غضب الله و عظيم عذابه و نعمته... و فى النص تنبيه الى أن يكون عطاء من يحسن الى الناس غير مراد به التبجح و ابتغاء الحمد، هذا ان كان هناك من اعطى و من احسن فى عطائه اما اذا لم يكن ثمة عطاء و لا احسان فان هؤلاء ان طمعوا فى الحمد فهم حقا من اخسر الناس اعمالا يوم القيامة... «و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون. انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم و افئدتهم هواء»... ابراهيم ٤٣/٤٢ ليس النهي هنا نهيا [٣٥] بل هو بدء كلام اراد الله به اثبات حقيقة قاطعة تقرر أن الله عالم بما يعمل الظالمون. فان النبي على علم و عقيدة راسخة فى نفسه أن الله غير غافل عن اولئك الناس و انما جاء النهي فى مقام توكيد الحقيقة لان اثبات شىء بعد نفيه يقوى الاعتقاد بوجوده و قيامه... على ما سبق ان اسلفنا من الاشارة الى ان ذلك نمط من انماط البلاغة العربية. و قوله تعالى «انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار...» أى ان حسابهم سيكون يوم يحشرون الى ربهم، و حالة الناس فى ساحة الحشر غير حالتهم فى الدنيا اذ يتملكهم الخوف و الرعب و الخجل مما اقترفوه ايام الحياة من ظلم ظلموا به انفسهم و ظلموا الناس و ذاك ما عناه النص بقوله «مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم و افئدتهم هواء»... «فلا- تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام»... ابراهيم/٤٧ النبي يعلم ان الله لا يخلف رسله وعده اذا وعدهم بالنصر على الخصوم و تحقيق امانهم بهداية الناس. ولكن النص جاء على قاعدة التوصل الى الاثبات باسلوب النفي و تثبيت الامر باسلوب النهي... فالنص و ان ورد بلا الناهية فان النهي فيه غير مراد لذاته. و انما المراد اثبات ان الله لا يخلف رسله وعده... و توجيه النهي الى النبي ينه جميع الناس الى قوة المعنى المراد اثباته فيه... «ام حسبت أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة و هبنا لنا من امرنا رشدا. فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا. ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى. و ربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات و الارض لن ندمو من دونه الها. لقد قلنا اذن شططا»... الكهف ١٤/ فى النص تصديق لما كان النبي قد ظنه فى اهل الكهف اى حسبه فكان الجواب كان على جهة التصديق اى انهم كذلك على ما حسبتهم فانهم فتية آمنوا بربهم فكانوا مثلا صالحا لهذا الايمان بما كان منهم من التمسك بالعقيدة الصحيحة. و بما قدموه من اجلها من تضحية بالنفس و النفس. لقد اكد النص القرآنى ما حسبه النبي فى اصحاب الكهف من انهم نماذج [ صفحہ ١٢٦ ] صلاح و ايمان و انتساب الى الله اذ أوا الى الكهف فكانت لهم فيه نومة لم يصرح القرآن بطول أمدها ثم اراهم الله من لذة النصر ما اراهم بعد يقظتهم ثم اماتهم فى مكانهم فاتخذ المؤمنون من اهل دينهم عليهم معبدا اى مسجدا. و قد سماه الله مسجدا تركية منه تعالى للعقيدة التي كان يعتقد اهل الكهف و للعبادة التي يتعدون الله وفق شعائر و تقوسها لان كلمة المسجد اظهر دلالاتها الايمانية المعبرة من كلمة المعبد... «و تحسبهم أيقاظ و هم رقود و نقلبهم ذات اليمين و ذات الشمال...»... الكهف/١٨ فى النص ايراد لصفاتهم و هم مستغرقون فى النوم و ذاك على جهة الامتداح اذ ان النائم تظهر عليه أعراض تتحكم فى معالم وجهه فتغيرها ولكن جماعة اصحاب الكهف اذ كانوا نائمين كانوا و هم كالذين هم فى حالة صحو و استيقاظ و ذاك من بعض لطف الله بهم و منه عليهم بالرضوان و الرحمة تقديرا لحسن ايمانهم و صدق

جهادهم... و قوله تعالى في مخاطبة النبي «و تحسبهم ايقاظا» تؤكد لصحة نظرة النبي اليهم و لم يكن النبي قد رآهم اذ كانوا في زمن سبق زمنه، ولكن النص جاء على تقدير أن يكون النبي قد رآهم و بلغ مكانهم خلال وجودهم في كهفهم... و انما ذكر القرآن ذلك للاستشهاد على الحالة التي اراد القرآن تصويرها فاستشهد عليها أن يكون رسوله العظيم موجودا ابانها، «لا- تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض و مأواهم النار و لبئس المصير»... النور/٥٧ الذين كفروا لا- يعجزون الله في شيء و ذاك من صميم العقيدة الاسلامية التي يعتقدونها المؤمنون و النبي صلى الله عليه و سلم في طليعتهم و على رأسهم. ولكن النص «اللائى» [٣٦] اى المقرون بحرف «لا» هو نص ايجابي آت بلفظ النفي... ارادة لتقوية المعنى القرآني الرشيد... و النص مدنى اى وارد في سورة مدنية و ذاك اذ كثر عدد الذين كفروا و ظهر لهم شيء من الشوكة اقر الله في نفس نبيه أن القوم لا يعجزون الله مهما كثر جمعهم و قوى شأنهم حيث هم، فانه عزوجل اقوى منهم جميعا. و فى ذلك ما يزيد فى طمأنينة النبي و المؤمنين... «ام تحسب ان أكثرهم يسمعون او يعقلون، ان هم الا- كالانعام بل هم اضل سبيلا»... الفرقان/٤٤ فى النص حكم قاطع على القوم بأنهم فى غاية الغباء الذى لا تستوعب بمثله حقائق الدين و هدى الشريعة فالقوم كالانعام بل هم اضل سبيلا، و ذاك لتزكيتهم الشرك و تشبثهم بالكفر و انعدام مذاق الهدى فى عقولهم و قلوبهم... و قوله تعالى «ام تحسب أن أكثرهم يسمعون او يعقلون» انما هو استبعاد أن يكون القوم جديرين بالسماع و العقل و ادراك الامور، فاذا كانوا يظهرون كذلك ظاهر الرأى فإن حقيقتهم انهم كالانعام بل هم اضل... اى اذا حسبتهم على شيء من استيعاب الامور و فهمها فهم ليسوا كذلك و النص ظاهر فى أن الله فى النص قد نزه نبيه أن يحسبهم كذلك اى نزهه ان يزيكهم فى نظرته اليهم... و فى النص شدة فى الخطاب و ازدراء ظاهر بأولئك الكفار و تحد مكشوف لما كانوا يظهرونه فى مواجهة الرسول من صلف و عجرفة و فى استعمال هذا الاسلوب فى مخاطبة الكافرين ما يشعر المؤمنين بالقوة و الانتصار و فى ذاك بن رفع معنوياتهم ما هو ملحوظ... «و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر الحساب صنع الله الذى أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون». النمل/٨٨ قد لا يكون القصد المقصود فى هذه الاية تصوير يوم القيامة و ان كان ذلك قد خامر ظن المفسرين لقرب [ صفحه ١٢٧ ] النص من قوله تعالى «و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات و من فى الارض الا من شاء الله» و قد قال الشوكانى فى تفسيره [ او يحتمل أن ذلك فى الدنيا، و يكون اشارة الى دوران الارض يحسبها اهلها ساكنة و هى متحركة... ] و الذى نراه ان الله عزوجل اراد أن يوضح أن اسراره فى ملكوته لا يعرفها الناس فالجبال الشاهقة الراسية على الارض هى فى واقع امرها فى عالم اسرار الله شيء اخر و أن ذلك من متقن صنع الله عزوجل... و قوله تعالى «تحسبها جامدة» أعم من أن يكون ذلك فيما يحسبه الرسول صلى الله عليه و سلم اى انه من الامور التي يشترك فى استحقاق لفت النظر اليها جميع الناس، و قد جعل الرسول صلى الله عليه و سلم اولى من يخاطب بذلك. و الاشارة الى الجبال و هى اعظم ما يرى فى الارض من معالم لا- تتأثر بالرياح و لا بغيرها فى حين أن الله حين يشاء يجعلها تتناثر فى الجو كالسحب المتناثرة على أن المعنى القرآني فى هذا التعبير غيبى لا- يبلغه علم الناس و لا- تدركه حواسهم مهما بلغ علمهم... و الرسول اقدر ممن سواه من البشر على فهم النكتة الالهية فى هذا الامر و ما سواه... و ذلك لفرط لماحيته و شفافية نفسه و وحدة بصره و دقة تقديره و صدق تذوقه و أبعاد روحانية... «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى...»... الحشر/١٤ فى الاية معنى تهكمى يقوم يبدو ظاهرهم على حال من الوفاق فى حين أن باطنهم متخزن بالخلاف و الشاق... و النظرة هنا الى ظاهر وفاقهم و اكمال جماعتهم نظرة يلاحظها كل ناظر اليهم و النبي على مثل هذه النظرة لان للنبي ظاهر احوال الناس فما استبطونه يعلمه الله أو تتم عليه تصرفات يتصرفونها... و من ملاحظة النص «بأسهم بينهم شديد»، يفهم أن للتكاشف و النزاع بينهم مجالا عريضا بحيث كان شيء من ذلك ظاهرا على سجية حياتهم اليومية و ان كانوا يغطون ذلك بغطاء يظنونونه ساترا عاهة الفرقة بينهم. و قوله تعالى «تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى» يراد به أن ذلك مالا يخص النبي وحده، بل هو أعم من أن يكون خاصا به اى انهم يوهمون من يراهم بأنهم على وفاق فيما بينهم لما يبدو من قوة التحامهم و تراص صفوفهم و ان لم يكونوا كذلك. و المعنى التهكمى لا يزال قائما عند ذلك للتفسير و التأويل... «و يطوف عليهم والدان مخلدون اذ رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا» الانسان/١٩ فى النص وصف لبعض اجواء الجنة التي وعد

التقون اذ يغمرهم الله بالرعاية و الاكرام العظيم فالذين يطوفون على خدمتهم هم غلمان على أرقى حالات النظافة و حسن الخدمة و الزى الذى يلاحظ على خدمة الملوك و القائمين على موادثهم. و قد جاء ذلك بلفظ «اذا رأيتم حسبتهم لؤلؤ منثورا» استشهادا بالنبي فهو خير شاهد لا ترد شهادته و لا يزن تقديره للاشياء بالنقص و فقدان دقة التقدير و تلا ذلك قوله تعالى «و اذا رأيت ثم رأيت نعيما و ملكا كبيرا. عاليهم ثياب سندس خضر و استبرق و حلوا أساور من فضة و سقاهم ربهم شرابا طهورا». و بذلك اكمل الله شهادة نبيه فى عظم مكافأته عزوجل لعباده المؤمنين فى عالم المكافأة و الجزاء الكريم يوم القيامة... و على هذا يظهر بوضوح أن الله جعل لشهادة نبيه على ذلك واقعا ملموسا و مرثيا و امرا ثابتا لا يمتري فيه... و العبرة فى باب - حسب - أن الله كان يخاطب نبيه آمرا و ناهيا و منها و مستشهادا و موردا له دورا يؤديه و موقفا يقفه و ذاك لمكانة الاختصاص و أهمية الموقع اذ انه صلى الله عليه و سلم و رسوله. حقا لقد كان فى استعمال كلمة - حسب - التى خوطب بها الرسول صلى الله عليه و سلم ما يمثل جوانب من مهام الرسول التى ناطها الله به و هى كثيرة ألمنا بها فى مسائل هذا الكتاب و مقولاته... [صفحة ١٢٨]

### المعية النبوية...

المراد بالمعية من وصفهم الله بأنهم كانوا مع النبي فى رفقته ايام الجهاد و سائر ظروف الدعوة الى الله. و من هنا حازوا شرف الصحبة فصاروا يقال لهم صحابة النبي او صحابه رسول الله. و فى القرآن الكريم نزه الله نبيه ان يكون له اصحاب لا يستحقون صحبته و لا رفقته و لا- السير فى ركابه و لا- الخروج معه لغزو و جهاد اذ ان صحبة النبي تتطلب اخلاقا يتخلق بها مصاحبوه و آدابا يتأدب بها مرافقوه... و فى النصوص القرآنية ما يحوم حول ذلك و منها قوله تعالى: «فان رجعتك الله الى طائفة منهم فاستأذنونك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا و لن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالعود اول مرة فاقعدوا مع الخائفين» التوبة/٨٣... و من آيات المعية ما نوره آتيا: «اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا...» التوبة/٤٠ هذه المعية تشير الى ان العون الالهى فى الملمات اذ يصيب النبي صلى الله عليه و سلم فانه يصيب اتباعه كذلك و ان من واقع ادب الخطاب النبوى ان يأتى القول هنا بلفظ «معنا» لا بلفظ «معى»... لكن الرسول و الذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم و انفسهم و أولئكم لهم الخيرات و أولئكم هم المفلحون...» التوبة/٨٨ فى هذا النص اشارة الى وجود اعوان و اتباع جاهدوا مع النبي صلى الله عليه و سلم و قد وصفهم الله بخير الصفات و جزاهم خير الجزاء و يفهم من ذلك انه كانت هناك قيادة دينية حكيمة تحسن الامر و يحسن اتباعها الطاعة و سلامة التنفيذ بالنفس و النفيس و الدم و المال و ينسحب ذلك على حكمة هذه القيادة و رجحان تصرفها فى ما تأمر به و تنهى عنه و هى قيادته صلى الله عليه و سلم و كفى بقيادته أن تكون مناط الهدى و التوفيق و الغلبة و السبق و الفوز العظيم... «فاستقم كما أمرت و من تاب معك و لا تطعوا انه بما تعملون بصير»... هود/١١٢ النص هنا يأمر بالاستقامة لانها من اوليات الاوامر الدينية التى تصحح بها العقيدة و تنقح العبادة و تتجلى بها ملامح الايمان و ذاك من بعض التهذيب الالهى لرسوله الكريم و كان الله يتولى رسوله بمثل ذلك باستمرار مرغبا و مرهبا ليكون الرسول بما يتلقاه من هذه الدروس القيمة و النصائح الثمينة مستوعبا للخلاق العالية و التعاليم المتكاملة التى يتلقاها من ربه جل جلاله. و قوله تعالى «و من تاب معك» اى ممن صح اسلامه و نصح لله و رسوله، و ليس المعية أن يكون ما وقع لهم من التوبة و الانابة الى الله قد وقع فى مكان واحد و وقت واحد. و نهاهم بعد ذلك عن الطغيان أى التعسف باستعمال الحق و مجاوزة الحدود و التعالى على الناس و التعاضم فانه مما يناقض الاستقامة و التقوى التى هى لب الايمان و معدنه الاصيل. و قوله تعالى «و من تاب معك» اشارة الى ان الجماعة التى قد احيطت بالنبي كانت ذات متاب الى الله و مثل هؤلاء اذا كانوا فى رفقة احد فانهم يكونون نعم الرفقة. و الرسول فى مرافقته لرفقة كريمة صادقة العقيدة محمودة النصيحة يكون بطبيعته الحال مطمئن الفكر مرتاح البال لا يقلق باله شىء من داخل بيئته و لا من خارجها... «و قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء من داخل بيئته و لا من خارجها...» و قالوا ان القصص/٥٧ يبدو أن الخوف من بطش طغاة اهل الكفر بالمؤمنين او بمن يستجيب لرسول الله فيؤمن بدينه كان حائلا دون اقبال اناس

منهم على الايمان و اعتناق الاسلام و قد رد الله عليهم ذلك بالتنويه بما من به عليهم من الحرم الآمن الذى يسر الله لاهله أرزاقهم. ما يفهم منه أنه هو المتكفل برد عادية المعتدين عنهم اذا هم تمسكوا بعرى الاسلام و دانوا دينه... [ صفحة ١٢٩ ] و شبح الخوف الراعد ظاهر فى قولهم «ان تتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا». اى انهم لا- يتعرضون لاذى يسير عند اتباعهم النبى بل ان الاذى الذى يخشونه ذريع و شديد و عنيف لا يرأف و لا يرحم... و يفهم من هذا أن فئات من الكفار كانت متكونة لترويع المؤمنين الجدد و ذاك باختطافهم من بيوتهم الى اماكن اخرى بعيدة مقرونا ذلك بشديد الاذى و أليم الانتقام. و صيغة النص الذى نحن فى صده جاء بلفظ «و قالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا» بلفظ الجمع و ليس بلفظ الافراد. ففى ذلك تصوير دقيق لما كانوا يخشونه على انفسهم من العدوان. [٣٧]. «و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك». الاحزاب/٥٠ الكلام على هذا الموضوع جاء فى مكان اخر و خلاصته ان المدينة المنورة كان للنسب فيها ذوو قرابة من العصابات و الارحام حلوا فيها مهاجرين اليها فى عدة فترات زمنية. و قوله تعالى: «هاجرن معك» تعنى المعية فيه الاشتراك فى واقع الهجرة و ليس فى تحديد زمنها... «محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة و مثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و اجرا عظيما»... الفتح/٢٩ فى هذا النص من قمة العلاقة و ثوق الصلة بين الرسول الاعظم و اتباعه و من فى معيته ما كان الوصف الذى وصفهم الله به من جنس واحد فهم جميعا اشداء على الفكار. و هم جميعا رحماء بينهم. و هم جميعا يعبدون الله عبادة مخلصه. و هم جميعا عليهم سمات الايمان الوضاه. و هم جميعا يتمتعون بصفات زكيت فى الكتب المقدسة القديمة لان سمات الاخلاق الكريمة واحدة لدى الناس قديما و حديثا... و بهذا يفهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان مرتاحا نفسيا من اصحابه الذين وصفهم الله فى هذا النص وصفا محمودا. و فى ارتياح ذى قيادة من مقوده ما يمكنه من اداء سائر مهماته من دون أن يشاب شىء من ذلك بالهم و القلق و يبلبل الفكر و انشغال البال... و قوله تعالى: «وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و اجرا عظيما» أى وعد هؤلاء الاصحاب... و كلمة «منهم» للبيان لا للتبعيض و هى تعنى أن صفة الايمان التى وصفوا بها صدر هذه الآية صفة ثابتة لا يتصور فيها التغير و النكول... «يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى و الذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم و بأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا و اغفر لنا انك على كل شىء قدير»... التحريم/٨ فى هذا النص معان كثيرة متعانقة و متماسكة يعيننا منها فى موضوعنا هذا المعية التى بين النبى و اصحابه اذ جاء فى النص «يوم لا يخزى الله النبى و الذين آمنوا معه». فقد عصم الله المؤمنين من خزى يوم القيامة اى الافتضاح بجناية تسجل عليهم او عمل غير محمود يؤاخذون به او سيئه من السيئات تدون فى صحيفة اعمالهم لقد كانوا حقا جديرين بصحبة النبى و برفقته و باتباعه و التعلم منه و الاقتداء بهديه ثم وصف الله اولئك الاتباع المؤمنين بقوله «نورهم يسعى بين [ صفحة ١٣٠ ] ابيديهم و بأيمانهم» و انها لحقا وثيقة تزكية من البارى العظيم للفئة التى آمنت بالله و رسوله و جاهدت فى سبيل الله مخلصه فى عقيدتها و ناصحه لله و لرسوله فاستحقت بذلك رضا الله و غفرانه و كريم جزائه. و فى ذلك دلالة واضحة على أن الرسول صلى الله عليه و سلم احسن اصطفاء اصحابه و أحسن تأديبهم و تربيتهم و توجيههم و تزكيتهم فكانوا محل رضاه و رضا الله... ان خزى يوم القيامة شىء كانت الرسل تستعيذ منه بالله و قد قال ابراهيم عليه السلام فى بعض دعائه و قنوته «و لا تخزنى يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال و لا بنون، الا من اتى الله بقلب سليم...» الشعراء/الآيات ٨٧-٨٨-٨٩... «ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم»... المزمّل/٢٠ هذه (المعية) لا تعنى وجودهم جميعا مع النبى فى مكان واحد و انما تعنى انهم يؤدون نافله الليل حيث ما كانوا. و انما جاء النص بذكر هذه المعية لبيان انه كان هناك اى فى العهد المكي اتباع للنبى يتعهدون تهجده و يصلون صلاته و فى ذلك تثبت لبعض مراحل لعبادة المهمة اذ كان اصحاب النبى يؤدونها فى جنح الليل لا بفعل الحذر و

الاستخفاء من المشركين ولكن فعل ما علموه من ان لصلاة الليل عند الله من قبول و جزاء كريم. و هي صلاة لا يشغل فيها بال المصلى بشيء من اشياء الحياة من بيع و شراء و تعلقات اخرى و غير ذلك.

## الحكم و القضاء النبوي...

من مهمات اعمال الانبياء الحكم بين الناس عند اشتداد مشاكلهم و تأزم اوضاعهم و خصوماتهم «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و انزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس بالحق» البقرة/٢١٣. و كان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم قد نيط به مثل ذلك بل انه كان يراجع في مثل هذه القضايا من قبل غير المؤمنين من اتباعه و ذاك لفرط عدله و حسن قضاائه [٣٨] و كان اهل الكتاب رغم ادعائهم أن في التوراة من حكم الله ما يحتكم اليه فانهم كانوا يراجعون النبي يسألونه الحكم بينهم. و اشار النص الى ذلك في غير مكان من [صفحة ١٣١] كتاب الله منه قوله تعالى «و كيف يحكمونك و عندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك و ما اولئك بالمؤمنين» المائدة/٤٣... والاستفهام القرآني مراد به العجب لاهل الكتاب ينصرفون عن كتابهم الذي يؤمنون به ايمانا تاما في ما يزعمون ليقبلوا على النبي صلى الله عليه و سلم في امر الاحتكام اليه... و من الآيات القرآنية الدالة على ان من وظائف النبي الحكم بين الناس اذ ان ذلك من بعض اعماله اليومية و وظائفه القيادية و القضائية... و اتحد الاسلام قواعد للحكم و قوانين لادارة المجتمعات حقوقيا و جزائيا فكانت هناك للعدل في البيئتين الاسلاميتين موازين دقيقة ذات قدرة عالية على تحقيق النهج السديد في ادارة الامم... و هكذا تم لهذه الموازين و القواعد و الاصول و التطبيق الصحيح في سائر ارجاء العالم حيث وصل الاسلام و طبقت قوانينه. ان القواعد القانونية التي تتخذها الدول في حكمها الامم انما تقوم على ضوابط ترتبها هاتيك الدول و تنهض محاكمها و دور قضائها بطبيعتها و تنفيذها... و عند وصول الاسلام الى آفاق شتى من العالم كانت قواعد العامة هي التي يجرى القضاء في الناس بمقتضاها... اما العقوبات في الاسلام فقد تناولت جريمة القتل و ما كان منه عمدا و ما كان خطأ و السرقة التي عاقبت عليها بالقطع و عاقبت على جرائم اخرى بعضها جاء وفق ما ذهب اليه الاديان القديمة... و الحكم في الاسلام من الناحية التطبيقية انما نهض على اكتمال شخصية المم و رسوخ وقع الكيان الدولي فيها اذ لم يكن هناك ما يحصل لتطبيق القطع في السرقة مجالا ايام العهد المكي و ذاك لعدم وجود السلطة القادرة على التنفيذ [٣٩]... ان الحكم في الاسلام حقوقيا و جزائيا طبقت بغاية الاحكام و الدقة و قد قام عليه القضاء الاسلامي الذي يعد أتقن قضاء و اعدله في العالم... و كان الحياد في القضاء من المزاي التي عرفت في ابان الدولة الاسلامية بحيث صارت سيرة قضاة الامم محل الاشتهار و التقدير... و اذ كان الحكم الاسلامي يحمل معه حيثياته الواقعية فلقد كان محل ارتياح المتقاضين من سائر الملل و الديانات. و في ما يلي سرد هذه الايات: «فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما»... النساء/٦٥ في النص توثيق لقوة قضاء النبي بسبب ما يقوم عليه قضاؤه صلى الله عليه و سلم من التزام بالعدل و الحكمة و الهدى الالهي... «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله و لا تكن للخائنين خصيما». النساء/١٠٥ و هو اقرار الهى بأن ما يترآى للنبي صلى الله عليه و سلم من رأى في مسائل الاحكام و ذاك مما يريه الله عزوجل انما هو في حكم الشهادة لوقوع ما يراه النبي صلى الله عليه و سلم موقع الصحة في الحكم بين الناس و هذا نمط من الالهام الالهي غير النمط الذي تؤمن به في الهام القرآن. و هناك نص قرآني يشبه هذا قوله تعالى «و داود و سليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نقشت فيه غنم القوم و كنا لحكمهم شاهدين. ففهمناها سليمان...». الانبياء ٧٩-٧٨ و تلك حادثة واحدة او انها صورة واحدة ذكرت لنبي من الانبياء الاقدمين اما الذي جاء في خطاب الرسول صلى الله عليه و سلم من الحكم بما اراه الله جل جلاله فانه متكرر و مستديم... في النص ما يجعل قضاء الرسول الاعظم قضاء نافذا لا مجال للتهرب منه او الالتفاف عليه لانه واجب التنفيذ لا يزيد منه شيء و لا يمسك فيه عن شيء... «سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم و ان تعرض عنهم فلن [صفحة ١٣٢] يضروك شيئا و ان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين». المائدة/٤٢ «و أنزلنا اليك الكتاب

بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً و منهاجا و لو شاء الله لجعلكم امهً واحدةً ولكن ليلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» المائدة/٤٨» و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم و ان كثيرا من الناس لفاسقون...» المائدة/٤٩» و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا...» الاحزاب/٣٦» قد سمع الله قول التي تجادلك فى زوجها و تشتكى الى الله و الله يسمع تحاوركما». المجادلة/١ فى هذا النص اشارة الى ان المسلمين على عهده صلى الله عليه و سلم قد اعتمدوا عليه فى مهمات امورهم و كبريات مشاكلهم. فهذه المرأة راحت شاكية الى الرسول امرا بينها و بين زوجها و كان الرسول حسن الاستقبال و التعامل مع تلك المرأة و كذلك سمى الله كلامها و كلامه تحاورا و قال انه جل شأنه كان يسمعه، و كلمة الجدل هنا تدل على فرط هم المرأة و شدة كربها الذى قدمت الى النبى من أجله شكواها... و فى النص ما يدل على حسن تفهم النبى لشكاوى الناس و اخذ ذلك بهدوء نفسى تام فلقد كان صلوات الله عليه محايدا كل الحياذ فى الاصغاء لشكوى تلك الشاكية و ذاك ان الزوج كان غائبا عن ساحة التحاور فلا بد ان تكون القيادة التى تقع الشكوى عندها متأنية فى اصدار اى قرار، و غير ماخوذة ببعض الظواهر الظاهرة على سحنة القضية المعروفة و كانت المرأة الشاكية ترى الحق كله فى جنبها و هى نفس المرأة التى لقيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه و هو خليفة فأوصته بان يرعى امر الامه و قال (عمر) فيها انها هى التى سمع الله كلامها من فوق سبع سماوات.

## باب ذر

الوامر الالهية التبليغية الموجهة الى النبى صلى الله عليه و سلم فى كتاب الله ترد بألفاظ متنوعة على مقتضى ما تتسم به ألفاظها من ملامح بلاغية تتلاءم و مواقع الكلام القرآنى البليغ فمن ذلك ما جاء بلفظ «ذر» فانا لا حظنا أنه من الاستعمالات المخصوصة بآيات العهد المكى اذ كان سلوكك من استعمل هذا الحرف فى شأنهم يستوجب استعماله حقا و لم يكن الامر كذلك فى العهد المدنى لذلك لا- نرى فى نصوص هذا العهد شيئا من الكلام الالهى مقرونا به. و فى ما يلى ما جاء من ذلك فى التنزيل العزيز فى السور المكية...» و ذر الذين اتخذوا دينهم لعبا و لهوا و غرتهم الحياة الدنيا و ذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى و لا شفيع و ان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها، أولئك الذين أفسدوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون...» الانعام/٧٠» ترد كلمة «ذر» فى مخاطبة الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم فى معنى تجاهل شأن اناس جاءت اوصافهم فى ذات النص موجبة لهذا التجاهل و النص الذى فى صدد الكلام عليه يصف القوم بأنهم اتخذوا الدين العوبة و ملهاة كشأن ما يلهون به من وسائل اللهو المتعادة لديهم. كما أنهم و صفوا بالاغترار بما اصابوه من مال و جاه. و قد اسقط الله حيثتهم الشخصية فما [ صفحة ١٣٣ ] تقبل منهم شفاعه و لا عدل. و قد حكم الله عليهم بأنهم من أهل النار... ان مثل هؤلاء جديرون بأن لا يشغل النبى باله بهم و أن لا يقيم لهم وزنا و لا- يمنحهم ثقة و لا- يطمئن اليهم فى شىء... و فى كلمة «ذر» هنا ما يدل على الاحتقار و الازدراء و الاهمال مقرونا ذلك بالاسباب الموجبة و معللا بالعلل التى تركزى القرار الصادر بحق اولئك القوم...» ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون...» الانعام/٩١» معنى «ذر» هنا النهى عن اعارة القوم أدنى أهمية... فان الظاهر فى سلوكهم أنهم اهل لعب و هزل و عبث. و يفهم من هذا أن النبى صلى الله عليه و سلم اذ كان يبلغ الناس تفاصيل الوحي الالهى و يدعوهم الى التوحيد و نبذ عبادة الاوثان. لم يكن يقترب من بعض أنماط الناس ممن هم على هذه الشاكلة و على هذه الصفة صيانة لكلمة الله أن تكون محل الاهانة و المهازلة... لان كلمة الله و ان كانت واجبة التبليغ فان ذلك حرى أن يقع فى الموقع الكريم الذى لا- تعلق به حساسه و لا وضاعه... و ليس فى قوله تعالى «ذرهم فى خوضهم يلعبون...» شىء من اقرار هذا الخوض و اللعب و انما هو نمط من التهكم و الازدراء و انكار هذا الخوض و اللعب...» و كذلك جعلنا



لكل نبي عدوا شياطين الانس و الجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا و لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون»... الانعام/١١٢ كلمة «ذرهم» هنا تعنى رفض افتراءاتهم و النهى عن جعلها موضع نقاش و محاجة و انشغال بال. و من اجل أن لا يشق على رسول الله امر هذا النمط من الاعداء اشار النص الى أن سائر الانبياء أبتلوا بمثلهم... و تكرر قوله تعالى: «ذرهم و ما يفترون» فى آية اخرى من الانعام هى الآية الثالثة و الثلاثون بعد المئة و قد جاءت هذه العبارة القرآنية فى التعقيب على اناس و صفوا بأنهم زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم... «ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون»... الحجر/١٣ اناسا هذا دأبهم و مثل هذا سلوكهم لا يعلمون من الحياة الا انهم فى الاكل و الشراهة فيه بحيث يحسبون أنهم خلقوا لذلك لا غير فهو مناط تكليفهم و تشريفهم. أجل ان أناسا على هذا الخلق الفاضل و النهج الخائب لجديرون أن لا يلتفت اليهم و أن يذرهم «ذرهم فى غمرتهم حتى حين...». المؤمنون/٥٤ فى هذا النص مقدمة و لا حقة أما المقدمة فهى «فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون» و اما اللاحقة فهى قوله تعالى: «أيحسبون أنما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون»... من استيعاب معانى مفردات النص الوارد فى الايات الثلاث يعلم أن امثال هؤلاء الناس لجديرون بأن لا يحسب لهم حساب فى ميزان التقييم و الحفول و لذلك أمر الله نبيه أن يذرهم فى الغمرة التى هم فيها و لا يجعل لهم حظا من انشغال باله بهم و تكدر خاطره بصدد سلوكهم... فلقد كان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم من فرط حده على قومه و محبته لأمته يشتد قلقه عليهم و اغتمامه لحالهم فكانت الآيات القرآنية تنزل فى تهديته و تطيب خاطره و تهوين ما يشتد من الامر عليه... «ذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون»... الزخرف/٨٣ كلمة «ذرهم» هنا تعنى لا تشغل بالك بهم و لا تحمل همهم... فلقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحمل هما شديدا حين يرى بعض افراد الناس [ صفحة ١٣٤ ] و أبناء الامة فى شغل عن تعاليمه و ارشاداته و فى هذا المكان يخاطبه الله فى ان لا يتكدر خاطره لانصراف امثال هذا النمط من الناس عن ساحة الدين لاعتناقه و الاستمساك بقيمه و تعاليمه... و لا يعنى هذا ان يكف النبي عن ملاحقتهم بالدعوة الى اعتناق الدين و الاخذ من العقيدة بهدب اليقين... «ذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون»... الطور/٤٥ هذه الآية لاحقة هى قوله تعالى «يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا و لا هم ينصرون». و فى هذه اللاحقة توضيح للعللة الكامنة وراء امر الله لرسوله بأن يذر امثال هؤلاء الناس أى أن لا يشق عليه قولهم الذى يقولونه و زعمهم الذى يزعمونه... «ذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون»... المعارج/٤٤ جاء الكلام على مثل هذا النص فى الآية الواردة فى سورة الطور الآية الخامسة و الاربعين...

## الذريات

كلمة «ذرنى» المضافة الى ياء المتكلم و هو الله عزوجل. ذات منحنى غير الذى استعملت فيه كلمة «ذر» و «ذرهم» مما اسلفنا الكلام عليه ففى «ذرنى» خطاب للنبي صلى الله عليه و سلم تكون فيه كلمة ضمير الجلالة فى محل المفعولية وفق قاعدة الاعراب و هى تعنى أن الله يجعل فى هذا الخطاب لرسوله دورا فى ايقاع شىء ما من العذاب و نحوه على الجهة التى يريد الله ايقاعه بها و فى ذلك دلالة على عظم مكانة الرسول لدى مرسله الذى هو الله جل جلاله اذ يمنحه سبحانه و تعالى حظا من الحق فى تقرير مصير من يحوم حولهم الوعد و الوعيد و من ذلك ما جاء فى الايات ذات العلاقة بالموضوع: «ذرنى و من خلقت وحيدا، و جعلت له مالا ممدودا، و بنين شهودا، و مهدت له تمهيدا، ثم يطمع أن أزيد، كلا انه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعودا»... المدثر ١١/١٧ معنى «ذرنى» هنا اى دع لى وحدى أن اتولى معاقبة هذا الكافر الشرس بما يستحقه من أليم العقاب... و هذا من كريم خطاب الله للنبي صلى الله عليه و سلم الذى شاء الله به اعلاء منزلة النبي لمخاطبته و ليس هو استئذانا يستأذنه الله من النبي لان الله لا يستأذن احدا مهما علا مقامه فى امر قضائه و قدره... «ذرني و من يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، و أملى لهم ان كيدى متين»... القلم ٤٤/٤٥ فى هذا النص فى المكذبين بكتاب الله و شريعته السمحة المبينة يعلم الله به نبيه بأنه سيكون عقابه لهؤلاء الناس عقابا شديدا كأن الله لا يريد

أن يعاقب قومه صلى الله عليه وسلم الا- وفق ما يرضاه النبي من شكل هذا العقاب و موضوعه... و السمة البلاغية في هذا التعبير واضحة... و منطق التهديد لا و لك المكذبين واضح في النص و فيه كذلك بيان بأن لا شفاعه هناك تشفع فيهم. فلقد جعلوا في منطقة التيس و امام قنوط كبير. «و ذرني و المكذبين أولى النعمة و مهلم قليلا». المزمّل/١١ استعمال «ذرني» في هذا المكان يفهم منه أن الله يمسك النبي أن يشفع في القوم المبطوش بهم لاستحقاقهم ذلك البطش الشديد الذي لا- تخفف منه او تحول دونه شفاعه الشافعين... أما قوله تعالى «و مهلم قليلا...» فكأن فهي تمكينا للنبي في شأن القوم و شيئا من اطلاق يده فيهم و ان كان التمهيل من شأن الله عزوجل و من حقه في خلقه. ولكن الله لم يشأ أن يصرف النبي عن التدخل في هذا الامر بالمره و انما جعل له مقابله ذلك بعض الوجود اليسير و ذلك في قوله تعالى «و مهلم قليلا». [ صفحہ ١٣٥ ]

## باب عسى

ترد كلمة «عسى» في معنى الترجي و التوقع و قد يكون هذا الترجي و التوقع بحجم من القوة كبير او بحجم منها صغير فالشاعر القائل: عسى سائل ذو حاجة ان منعه من اليوم سؤلا أن ييسر في غد يتمنى لهذا السائل ان يكون موسرا بعد املاقه و خصاصته و قد يتحقق ذلك و قد لا يتحقق و الشاعر القائل: عسى الايام أن يرجعن قوما كالذي كانوا فانه عبر عن امنيه يتمنى من الايام أن تحققها له و قد يكون قائل ذلك مستبعا هذه الامنيه او مستقر بها ولكن «عسى» اذا جاءت في القرآن في موعده يعدها الله عبادها فانها غير الذي يرد في كلام الناس أي «عسى» تدل على التحقيق اي انها لا تحتمل التردد بين الوقوع و عدمه. و من المواقع التي جاءت فيها «عسى» من آيات الذكر الحكيم ما سنورده و نتكلم عليه... «و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا». الاسراء/٧٩ في النص أمر من الله لرسوله بأن يشغل بعض ليله - و هو وعاء النوم و محل الراحة - بالصلاة التي يختلي فيها بربه اذ التهجد هو الصلاة من جوف الليل و تكون اكثر خشوعا و قنوتا من صلاة النهار و ذاك لفرط سكون في الليل و فرط الضجيج في النهار و التفرغ التام من الاعمال في الليل و هو مالا- يحصل مثله في النهار. و تكون صلاة الليل اطول زمنا و اعرض مساحة لعدم تعرض المصلي المتهدج لطارق او زائر او حاجة بعض أهله اليه... و مثل هذا الامر عند الاستجابة له يستحق الجزاء الوفاق و النصيب الاوفى من ثواب الله و بذلك تكون «عسى» في مقام التحقيق أي ان الله باعشك مقاما محمودا لقاء عبادتك الخالصة له هذه... و المقام المحمود هو ما يكون للنبي عند الله و عند سائر الخلائق من رفيع المكان و جليل القدر و عظيم الشأن... «و لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا. الا- ان يشاء الله و اذكر ربك اذ نسيت و قل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا»... الكهف ٢٣/٢٤ يجول النص القرآني هنا في مجال الدعاء و التوصية ببعض الاداب التي دعى الله اليها النبي و الله هو مؤدب النبي و مهذب و مدربه و قد نوه له بأن الغيب كله لله فلا يطمئن الى شيء يريده في غده الى ذلك الغد لانه غيب لا يملك معرفة كنهه غير الله و كان من بعض هذا الدعاء الذي القاه الله الى نبيه أن يتمنى على الله أن ييسر له سبل الرشاد للوصول الى ما يتغيه في آتى ايامه. و لعظم ثقة النبي بربه و هو كذلك موصا منه تعالى أن يقول في دعائه هذا. فان «عسى» هنا للتحقيق اذ جاء في النص «عسى أن يهدين ربي» و الهداية من شأن الله لا يمنعها من يسألها لا سيما حين يكون سائلها نبيا هو الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم. «عسى ربه أن طلقكن أن يبد له ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات و أبكارا»... التحريم/٥ ووردت «عسى» هنا في موقع معلق على شرط مشروط هو قوله تعالى «ان طلقكن» - اي اذا طلقكن النبي -... فاذا تحقق هذا الشرط فان «عسى» تكون فيه على درجة من التحقيق لان النساء الموصوفات بما ورد صفاتهن في النص موجودات في البيئه بأوسع حجم و اكبر مقدار لا سيما اذ جاء النص في موقع تحذير نساء النبي من أن يقع منهن ما يؤذيه فظاهر فيه اخافتهن مما يجر الى طلاقهن... [ صفحہ ١٣٦ ]

## باب ادع...

الخطابات القرآنية التبليغية التي تحدد مهمة النبي و واجباته جاءت بصيغ شتى منها صيغة الانذار و الابلاغ و الفاظ القول و السؤال و الاستفتاء و ضرب الامثال و الجدل و منها الامر بالدعوة الى الدين و الى الله. و من ذلك الآيات التالية... «أدع الى سبيل ربك بالحكمة و الوعظة الحسنه و جادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين». النحل/١٢٥ «لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا يناز عنك فى الامر و ادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم»... الحج/٦٧ «و لا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك و ادع الى ربك و لا تكونن من المشركين، و لا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو، كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم و اليه ترجعون»... القصص ٨٧/٨٨ «فلذلك فادع و أستقم كما أمرت و لا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أمرت لاعدل بينكم، الله ربنا و ربكم لنا اعمالنا و لكم اعمالكم لا حجة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و اليه المصير»... الشورى/١٥ يلاحظ أن اسلوب الدعوة التى امر النبى بمواجهه الناس بها قد ترك اسلوبها و طريقه الصدع بها النبى صلى الله عليه و سلم فى اطار الحكمة و الموعظة الحسنه مما يفهم منه عظم اقتدار النبى على اداء هذه المهمه فى اوساط الكافرين و المشركين و المعاندين و الخصوم الكثيرين و قد اظهرت النتائج توفيق النبى فى هذا الصدد و نجاحه الباهر فى عالم الدعوة الى الله و الملة الحنيفيه السمه... و هناك آيات تصور مواقف الرسول فى مجالات هذه الدعوة نشير الى فريق منها... «قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيره انا و من اتبعنى و سبحان الله و ما انا من المشركين»... يوسف/١٠٨ «قل انما أمرت ان اعبد الله و لا أشرك به. اليه ادعو و اليه مآب» [٤٠]... الرعد/٣٦ «قل انما ادعو ربي و لا أشرك به احدا»... الجن/٢٠

### الاكراه...

اعتناق اى دين من الاديان انما يكون عن قناعة و تقبل. لان الاديان تحتوى على اوامر و نواهى و احكام و عبادات يجب أن تمارس من قبل معتقى تلك الاديان فاذا لم يكن اعتناقها عن رضى و قناعة فان جانب الطاعة و الالتزام فى ذلك يكون مهزوزا و غير ذى وجود و عن ذلك تكون هناك مقدمات لسلوك سبيل النفاق اى أن يصلى معتق الدين الذى اكره على اعتناقه صلاته مع المصلين فاذا انفرد و خلا فى ارضه فانه يمسك عن اداء هذه الصلاة. و ليس من مصلحه دين من الاديان أن يكون اتباعه على مثل هذه الحال و لذا لم تكن الدعوة الاسلاميه التى جاء بها النبى صلى الله عليه و سلم قائمه على اكراه الناس أن يكونوا مؤمنين. ان اعتناق اى دين من الاديان قد يحمل فى بعض الاحيان معتق هذا الدين على الاستشهاد من اجله. فان لم يكن مقتنعا بمفرداته و تفاصيل امره فمن غير الممكن أن يقدم نفسه قربانا لهذا الدين و قد رأينا سبيل الدعوة الى الاسلام هو القول المقنع، و كان القرآن هو الاداة التى استعملت لجلب الناس الى الدين و حثهم على اعتناقه. و كان النبى يتولى هذا الامر كله اى مهمه التبليغ وحده و كان معظمهم من المستضعفين و كانت هجرتهم الى الحبشه خير دليل على هذا الاستضعاف، و عندما انتقل النبى الى [صفحة ١٣٧] المدينة و أذن الله للمسلمين ان يستعملوا السلاح فانما كان ذلك بغية الدفاع عن انفسهم. لذلك لم يكن الاكراه سبيلا الى حمل الناس على اعتناق الاسلام و كان الخط الاسلامى ابان الفتح قائما على ثلاثة اركان هى: اعتناق الاسلام من قبل من واجهوا الجيوش الاسلاميه او القتال او دفع شىء يسير من المال سنويا [٤١] للدولة المسلمه لا قيمه له فى مجال الانتفاع المادى فانه مبلغ يسير او جد يسير... فلا يمكن أن يرجح انسان من ابناء الشعوب التى استولى الفاتحون المسلمون عليها أن يرجح الاحتفاظ بالدرهم و الدرهمين فيعتنق الاسلام من غير قناعة مع العلم أن هذا الذى اعتنق الاسلام بخلا بالدرهم و الدرهمين سنويا راح يدفع اضعاف ذلك للدولة بأسم الصدقات و الزكاة و غير ذلك. اذن لم يكن هناك استهداف للمسلمين الى اكراه الناس على اعتناق الاسلام. و الاسلام دين رشيد المحتوى سديد الغايه حكيم القرارات محمود السلوك يأخذ بهدب التقوى و الصلاح و التصرف الحميد و لذلك اعتنقه من اعتنقه مطمئنا اليه و راضيا به. و اذا كانت هناك اديان جرى اعتناقها بالسيف المسلول فليس الاسلام من هذه الاديان... و قد كان قوله تعالى: «لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي» البقرة/٢٥٦... واضحا فى معناه و محتواه. فمن أين جاء اكراه الناس على اعتناق الاسلام بالحجم الكبير الذى ملأ فجاج

الارض و أقيمت له المساجد في كل مكان و صار اتباعه يعدون بالملايين يتفانون بالدفاع و قوله تعالى: «و لو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» يونس/٩٩... هو مما نزل في السور المكية و قد أسلفنا أن المسلمين في مكة لم يكونوا يملكون حماية انفسهم من خصومهم فمن اين لهم و للنبي صلى الله عليه و سلم اكراه الناس على الدخول في الاسلام... اما المعنى الذى تضمنه النص القرآني «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» فانه يعبر عن شدة رغبة النبي اعتناق الناس دينه و الدخول في اطار ملته. و قوله «تكره الناس» أى تأخذهم الى الاسلام و هم كارهون. و هذا يشبه قوله تعالى: «قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي و آتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها و انتم لها كارهون» هود/٢٨... على أن السلوك الخفى الذى كان يمتاز به الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم كان سلوك رفق و تسامح و لين و كان ذلك من اوائل المغريات التى اضافت الى جماعة المسلمين عددا ممن اقبلوا على هذا الدين من الكفار و المشركين. و الصفة التى اشرنا اليها فى هذا الباب قد جاء النص عليها «فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك فأعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» آل عمران/١٥٩... فمن كان على مثل هذا الخلق الكريم لا يكره الناس على اعتناق دينه ليجمع من حوله اناسا من الخصوم و ليس من الاعوان... [صفحة ١٣٨]

## البلاغ و الإبلاغ

مهمة الانبياء و المرسلين هى ابلاغ رسالات الله الى من أرسلوا اليهم من الاقوام و الامم. ينقلون ذلك بكل امانة و من دون ادنى تصرف الى الناس، فمن آمن فقد اهتدى و من لم يؤمن فانه ليس على الرسول من تبعه بسبب عدم ايمانه. و الرسل موصون من ربهم بضبط الاعصاب و الاخذ بهذب التحمل و الصبر مهما كلفهم الامر... فى القرآن الكريم اكثر من آية جاءت فيها كلمة «البلاغ» مخاطبا بها رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى ذاك ما يسقط عنه لوم الناس و شدة تعنيفهم. اذ يريدون من الرسول أن لا يلح عليهم بالدعوة الى اعتناق الدين الذى جاء به من ربه. و الانبياء و ان كانوا يشق عليهم امر الدعوة و الارشاد و الموعدة فان الناس يشق عليهم كذلك تقبل ذلك. و من هنا وجدنا الصراع و المقاومة الشديدة و ما الى ذلك من الامور التى تقعد فى طريق الرسل الى هداية شعوبهم... و من ذلك تكذيب الرسل و اتهامهم بالجنون و السفاهة و السحر و قد كان فى الرسل من تعرض للقتل و البطش الشديد. و حماية لرسول الملوك الى نظرائهم صار هناك عرف دولى يحمى حاملى رسائل هؤلاء الملوك و الرؤساء من التعرض للبطش و الايذاء و العقوبة مهما كانت محتويات الرسائل التى يحملونها. فكأنما كان مانوه به القرآن من امر المهمة الابلاغية للرسول تستوجب ان لا يتعرضوا للادى ولكن الشعوب كانت تؤذى رسلها المرسلين اليها بشرائح الله و لا تكتفى بتكذيبهم و رفض شريعتهم و تعاليم دينهم... و كما ان رسل الملوك يفرض فيهم عند حمل رسالات ملوكهم التحلى بالتصرف المحمود و التجرد مما يعد من الاعمال الاستفزازية التى تجر عليهم الاذى و المهانة فان رسل الله كانوا مأمورين بان يتحلوا بكثير من اللين و التلطف عند الصدع بأوامر الله و ابلاغ محتويات وحيه الى الناس و هم و ان كانوا كذلك فانهم لم ينجوا من اساءات شعوبهم و أممهم اليهم... و فى ما يلى النصوص (البلاغية) [٤٢] للقرآن الكريم نسردها سردا دون تفسير او شرح و ذلك لوضوح القصد فى هذه الايات: «و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و احذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين». المائدة/٩٣ «ما على الرسول الا البلاغ و الله يعلم ما تبدون و ما تكتمون»... المائدة/٩٢ «و ان ما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك [٤٣] فانما عليك البلاغ و علينا الحساب»... الرعد/٤٠ «هذا بلاغ للناس و لينذورا به و ليعلموا أنما هو اله واحد و ليذكر أولو الالباب»... ابراهيم/٥٢ «و قال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن و لا آباؤنا و لا حرمنا من دونه من شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين»... النحل/٣٥ «فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين»... النحل/٨٢ «ان فى هذا بلاغا لقوم عابدين. و ما ارسلناك الا رحمة للعالمين» [٤٤] الانبياء ١٠٦/١٠٧ «قل أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و

ان تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول إلا- البلاغ المبين»... النور/٥٤ [صفحة ١٣٩] «و ان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم و ما على الرسول إلا البلاغ المبين»... العنكبوت/١٨ «فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك إلا البلاغ...»... الشورى/٤٨ «و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان توليتم فلانما على رسولنا البلاغ المبين»... التغابن/١٢

## باب ربك...

حين يتحدث الله عن نفسه الى نبيه في اكثر من امر من الامور التي يكشف عنها لنبيه او يصفها او يشرحها او يخبر عنها فانه سبحانه و تعالى بدلا من أن يذكر اسمه بلفظ «الله» يورد كلمة «ربك» و في بعض ذلك ترى مناسبة هذا الاستعمال واضحة من مثل قوله تعالى «لم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل» الفيل/١... فان واقعة اصحاب الفيل وقعت في العام الذي ولد فيه النبي. فكأنما يمن الله على نبيه بما فعله من البطش باصحاب الفيل الذين غزوا مكة للاستيلاء على الكعبة ليكون بذلك بعض الربط بين مولد النبي و هلاك اصحاب الفيل اذ كان ذلك من يمن المولد النبوي على الامة... و من ذلك قوله تعالى: «و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة...» البقرة/٣٠... و هناك آيات اخرى تساوق هذا المعنى في اللفظ و قد جاءت لبيان أن شخصية الرسول كان منظورا اليها منذ خلق آدم عند الله [٤٥]... و قوله تعالى «و ربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب...» الكهف/٥٨... فكأنما كان هذا الرفق بالقوم من بعض ما يجعل الله به للرسول ضلع شفاعا او اعزاز مكانة... لقد وردت كلمة «ربك» بمختلف وجوه الاعراب في معاني كثيرة جدا اشارة الى أن الله يريد لنبيه أن يكون مذكورا ابدًا في كل خطاب بلفظ تصاف به كلمة الرب الى (كاف) الخطاب التي تعنى النبي امعانا في اكرام النبي و تبجيله في كل خطاب و لو جاءت كلمة الجلالة بدلا من كلمة الرب المقرونة ب«كاف» الخطاب لكان هناك غياب للاشارة الى النبي في هذه الخطابات اي «و اذ قال ربك للملائكة» و قد جعل بدلا منها - و اذ قال الله للملائكة - فان التعبير مستقيم الا أن استحضار شخصية النبي لا يكون تصور لدى سامع ذلك او قارئه... حقا ان كثرة ماورد في التنزيل من ايراد كلمة «ربك» ليدل على القصد الالهي في ان يكون لنبيه حضور في سائر المناسبات و المواقع و هي مناسبات كثيرة و مواقع عديدة فيها من معاني البر و الرحمة و معاني الغضب و النعمة على من يستحقون كلا الامرين من المؤمنين و الكافرين... على أن بعض ألفاظ الرب المقرونة الى (كاف) الخطاب - اي كاف الخطاب الذي خوطب به النبي - قد جاء بلفظ القسم و ذاك هو قوله تعالى: «فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فلي أنفسهم خرجا مما قضيت و يسلموا تسليما» النساء/٦٥... فان الله أقسم هنا بذاته العلية قسما مقرونا باسم نبيه من طريق الاضافة اعزازا لنبيه و رفعا لمكانته و توفيقا للثمين بذكره... و كذلك قوله تعالى «فو ربك لنحشرنهم و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا» مريم/٦٨... فان في هذا القسم توكيدا و تقوية لما جرى القسم في شأنه و صرفا لظن المشركين أن يكون به رجاء لهم في الحنث فيه و لا يتصور مثل ذلك في صيغ الأيمان الاخرى حتى ما كان من قبيل فو رب السماء و الارض. و ذلك لعظم منزلة الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم ربه... على أن استعمال «ربك» قد ورد في مخاطبة النبي: «اذ يوحى ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألتني في قلوب الذين [صفحة ١٤٠] كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كل بنان» الانفال/١٢... فان ذلك يعبر عن أن الله يريد تصبير نبيه و شد أزر اتباعه و خذلان الكافرين بأمره تعالى للملائكة أن يؤديوا هذه المهمة القتالية العظيمة في ساحة حرب يعد النبي أحد طرفيها. و من ذلك قوله تعالى «ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة...» الاسراء/٣٩... فان في كلمة «ربك» من التحبيب و الادناء و التقريب اذ جاء النص في معنى المن بالحكمة على النبي و ذاك كله يجول في فلك الرعاية و اللطف الالهي المسبغ على نبيه العظيم... و فيما يلي الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا التعبير الذي شاء الله ان يجعله بدلا عن اسمه العظيم الذي هو «الله». اما البدائل الاخرى فانها على وجود شيء منها فهي خارجة عن مجال الخطاب الذي اختص به النبي بكثرة كثرته و في ما يلي نصوص ذلك... «و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يفسدك الدماء و نحن نسيح بحمدك و نقدر لك

قال انى اعلم ما لا تعلمون... البقرة/٣٠ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين... البقرة/١٤٧ «فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حربا مما قضيت و يسلموا تسليما»... النساء/٦٥ «و هذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون». الانعام/١٢٦ «ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم و أهلها غافلون». الانعام/١٣١ «و لكل درجات مما عملوا و ما ربك بغافل عما يعملون» الانعام/١٣٢ «و ربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم و يستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين»... الانعام/١٣٣ «فان ربك غفور رحيم»... الانعام/١٤٥ «ان ربك سريع العقاب و انه لغفور رحيم». الانعام/١٦٥ «و الذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها و آمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم»... الاعراف/١٥٣ «و اذ تأذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب و انه لغفور رحيم»... الاعراف/١٦٧ «و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين»... الاعراف/١٧٢ «ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته و يسبحونه و له يسجدون»... الاعراف/٢٠٦ «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و ان فريقا من المؤمنين لكارهون». الانفال/٥ «اذ يوحى بربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق و اضربوا منهم كل بنان»... الانفال/١٢ «و ما كان الناس الا امه واحدة فاختلفوا و لو لا كلمة سبقت من ربك لفضى بينهم فيما فيه يختلفون»... يونس/١٩ «كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون»... يونس/٣٣ «و منهم من يؤمن به و منهم من لا- يؤمن به و ربك أعلم بالمفسدين» يونس/٤٠ [صفحة ١٤١] «و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء و لا- أصغر من ذلك و لا- اكبر إلا فى كتاب مبين»... يونس/٦١ «ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»... يونس/٩٣ «و لو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»... يونس/٩٩ «فلما جاء أمرنا نجينا صالحا و الذين آمنوا معه برحمة منا و من خزي يومئذ ان ربك هو القوى العزيز»... هود/٦٦ «فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها و أمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، مسمومة عند ربك و ما هى من الظالمين ببعيد»... هود/٨٣/٨٢ «و ما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك و ما زادوهم غير تنبيب»... هود/١٠١ «و كذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى و هى ظالمة ان أخذه أليم الشديد»... هود/١٠٢ «فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق، خالدين فيها مادامت السماوات و الارض إلا- ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد»... هود/١٠٧ «و أما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السماوات و الارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ»... هود/١٠٨ «و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه و لولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم و انهم لفى شك منه مريب»... هود/١١٠ «و ان كلا- لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير»... هود/١١١ «و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون»... هود/١١٧ «و لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة و لا يزالون مختلفين»... هود/١١٨ «الا- من رحم ربك و لذلك خلقهم و تمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة و الناس أجمعين»... هود/١١٩ «و لله غيب السماوات و الارض و اليه يرجع الامر كله فاعبده و توكل عليه و ما ربك بغافل عما تعملون»... هود/١٢٣ «المر تلك آيات الكتاب و الذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون»... الرعد/١ «و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنه و قد خلت من قبلهم المثالات و ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم و ان ربك لشديد العقاب»... الرعد/٦ «أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب»... الرعد/١٩ «و ان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم»... الحجر/٢٥ «و اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون»... الحجر/٢٨ «و ما خلقنا السماوات و الارض و ما بينهما الا بالحق و ان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل، ان ربك هو الخلاق العليم»... الحجر/٨٥/٨٦ «فسبح بحمد ربك و كن من الساجدين»... الحجر/٩٨ «و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين»... الحجر/٩٩ «هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة او يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم و ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»... النحل/٣٣ «و أوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما يعرشون»... النحل/٦٨ [صفحة ١٤٢] «ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا و صبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم»... النحل/١١٠ «ثم ان

ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك و أصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم»... النحل/119 «انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه و ان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»... النحل/124 «ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعة الحسنه و جادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين»... النحل/125 «و كم أهلكنا من القرون من بعد نوح و كفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً»... الاسراء/17 «كلا نمد هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً»... الاسراء/20 «و قضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احساناً اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف و لا- تنهرهما و قل لهما قولاً كريماً»... الاسراء/23 «و إما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً»... الاسراء/28 «ان ربك ييسر الرزق لمن يشاء و يقدر انه كان عباده خبيراً بصيراً»... الاسراء/30 «كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها»... الاسراء/38 «ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة و لا- تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً»... الاسراء/39 «و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و فى آذانهم و قرا و اذا ذكرت ربك فى القرآن وحده و لوا على أذبارهم نفوراً»... الاسراء/46 «و ربك أعلم بمن فى السماوات و الارض و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض و آتينا داود زبوراً»... الاسراء/55 «أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً»... الاسراء/57 «و اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس»... الاسراء/60 «و من الليل فتهدى به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»... الاسراء/79 «و ان ربك لهو العزيز الرحيم» [46]. الشعراء/104 «و ان ربك لذو فضل على الناس و لكن أكثرهم لا يشكرون»... النمل/73 «و ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون»... النمل/74 «ان ربك يقضى بينهم بحكمه و هو العزيز العليم»... النمل/78 «و قل الحمد لله سيرىكم آياته فتعرفونها و ما ربك بغافل عما تعملون»... النمل/93 «ما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون»... القصص/46 «و ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا و ما كنا مهلكى القرى إلا و أهلها ظالمون»... القصص/59 «و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله و تعالى عما يشركون»... القصص/68 «و ربك يعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون»... القصص/69 [صفحة 143] «و ما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين»... القصص/86 «و لا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك و ادع الى ربك و لا تكونن من المشركين»... القصص/87 «و لئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين»... العنكبوت/10 «أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون»... السجدة/3 «ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»... السجدة/25 «و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً»... الاحزاب/2 «و يرى الذين أتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد»... سبأ/6 «و ما كان له عليهم من سلطان الا- لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن منها فى شك و ربك على كل شىء حفيظ»... سبأ/21 «فاستفتهم أربك البنات و لهم البنون»... الصافات/149 «سبحان ربك رب العزة عما يصفون»... الصافات/180 «اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين»... ص/71 «و كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار»... المؤمن/6 «فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون»... فصلت/38 «ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة و ذو عقاب أليم»... فصلت/43 «و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه و لولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم و انهم لفى شك منه مريب»... فصلت/45 «من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها و ما ربك بظلام للعبيد»... فصلت/46 «سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد»... فصلت/53 «و ما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم و لو لا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم و ان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب»... الشورى/14 «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخرياً و رحمة ربك خير مما يجمعون»... الزخرف/32 «و لو لا- أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر

بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة و معارج عليها يظهرون و لبيوتهم ابوابا و سررا عليها يتكئون، و زخرفا و ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا و الاخرة عند ربك للمتقين... الزخرف ٣٣/٣٥ حم، و الكتاب المبين، انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا انا كنا مرسلين، رحمة من ربك انه هو السميع العليم... الدخان ١/٦ لا يدعون فيها الموت الا الموتة الاولى و وقاهم عذاب الجحيم، فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم... الدخان ٥٦/٥٧ ان عذاب ربك لواقع... الطور ٧/٧ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن و لا مجنون... الطور ٢٩/ [ صفحہ ١٤٤ ] و اصبر لحكم ربك فانك بأعيننا و سبح بحمد ربك حين تقوم... الطور ٤٨/ ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى... النجم ٣٠/ ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض و اذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا- تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى... النجم ٣٢/ و أن الى ربك المنتهى... النجم ٤٢/ و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام... الرحمن ٢٧/ تبارك اسم ربك ذي الجلال و الاكرام... الرحمن ٧٨/ فسبح باسم ربك العظيم [ ٤٧ ] ... الواقعة ٧٤/ ان و القلم و ما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون... القلم ٢/ ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين... القلم ٧/ فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون... القلم ١٩/ فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت اذ نادى و هو مكظوم... القلم ٤٨/ و الملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية... الحاقة ١٧/ و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتلا... المزمل ٨/ ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفه من الدين معك... المزمل ٢٠/ و ربك فكبر... المدثر ٣/ و لربك فاصبر... المدثر ٧/ و ما يعلم جنود ربك الا- هو و ما هي الا- ذكري للبشر... المدثر ٣١/ يقول الانسان يومئذ أين المفر، كلا لا وزر، الى ربك يومئذ المستقر... القيامة ١٠/١٢ و قيل من راق، و ظن أنه الفراق، و التفت الساق بالساق، الى ربك يومئذ المساق... القيامة ٢٧/٣٠ فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثما أو كفورا، و اذكر اسم ربك بكرة و أصيلا... الدهر/ الانسان ٢٤/٢٥ ان للمتقين مفازا، حدائق و أعنابا، و كواكب أترابا و كأسا دهاقا، لا يسمعون فيها لغوا و لا كذابا، جزاء من ربك عطاء حسابا... النبا ٣١/٣٦ و يسألونك عن الساعة أيان مرساها، فيم أنت من ذكراها، الى ربك منتهاها... النازعات ٤٢/٤٤ ان بطش ربك لشديد... البروج ١٢/ سبح اسم ربك الاعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، و الذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى... الاعلى ١/٥ الم تر كيف فعل ربك بعاد... الفجر ٦/ فصب عليهم ربك سوط عذاب... الفجر ١٣/ و جاء ربك و الملك صفا صفا... الفجر ٢٢/ ما ودعك ربك و ما قلى... الضحى ٣/ [ صفحہ ١٤٥ ] و لسوف يعطيك ربك فترضى... الضحى ٥/ و أما بنعمة ربك فحدث... الضحى ١١/ و الى ربك فارغب... الانشراح ٨/ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ و ربك الاكرم... العلق ١/٣ ان الى ربك الرجعى... العلق ٨/ يومئذ تحدث اخبارها، بأن ربك أوحى لها... الزلزلة ٤/٥ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل... الفيل ١/ فصل لربك وانحر... الكوثر ٢/ فسبح بحمد ربك و استغفره... النصر ٣/ يلاحظ من الآيات الآنفه الذكر أن كلمة «ربك» فيها اكثر من موقع ذى عطاء بياني مقصود و فى كتب البلاغة توضيح فى موارد هذه الكلمة و ما تعنيه من معان... و من زاوية نظرنا فى هذا الكتاب نرى ان الله عزوجل جعل هذا الحرف بدिला عن اسمه لتكون لرسوله الاعظم المكانة التى لا تنفك عن هذه الصلة ابتغاء التنويه بعظمة شخصيته صلى الله عليه و سلم...

## النبي...

النبي صفة و وظائفية شاءها الله لبعض عباده و هى كصفة الرسالة لا تختلف عنها فى قليل و لا كثير... فما من فرق بين النبي و الرسول على حد علمنا بالمصادر التى تحدد معانى هذه المفردات. و قد جاءت الاشارة الى نبوة النبي فى القرآن الكريم ايجازا و تفصيلا، و لما فى هذا الحرف من مطالب تتصل بمهمة النبي بوصفه نبيا فانا ساردون بهذا الجدول ما جاء من آيات التنزيل فى هذا الشأن... ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا و الله ولى المؤمنين... آل عمران ٦٨/ و ما كان النبي أن يغل و من يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون... آل عمران ١٦١/ و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين



الانس و الجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا و لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون»... الانعام/١١٢ «الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و نصره و اتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون»... الاعراف/١٥٧ «فآمنوا بالله و رسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون»... الاعراف/١٥٨ «و منهم الذين يؤذون النبى و يقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين و رحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»... التوبة/٦١ «ما كان للنبى و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين و لو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم»... التوبة/١١٣ «لقد تاب الله على النبى و المهاجرين و الانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم»... التوبة/١١٧ «و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبى إلا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم»... الحج/٥٢ [صفحة ١٤٦] «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم و أولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين و المهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا، كان ذلك فى الكتاب مسطورا»... الاحزاب/٦ «و اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة و ما هى بوعورة ان يريدون الا فرارا»... الاحزاب/١٣ «يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيرا»... الاحزاب/٣٠ «يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض و قلن قولا معروفا»... الاحزاب/٣٢ «ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدرا مقدورا»... الاحزاب/٣٨ «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه و لكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا و لا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم و الله لا يستحيى من الحق و اذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما»... الاحزاب/٥٣ «ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما»... الاحزاب/٥٦ «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون»... الحجرات/٢ «و اذ اسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به و أظهره الله عليه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير»... التحريم/٣ «يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عس ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى و الذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمنهم يقولون ربنا آتمم لنا نورنا و اغفر لنا انك على كل شىء قدير»... التحريم/٨ «و لعله مما يلاحظ فى هذا الباب ان يراد ذكر النبى فى القرآن الكريم تتعلق به مطالب عامة و خاصة و امور تشريعية و تهذيبية، و قد تكون بعض هذه الآيات عرض لها شىء و من الشرح و التفصيل فى بعض فصول الكتاب و لقد توخينا هنا الايجاز و عدلنا عن الاسهاب و ان كان الكثير من الكلام فى حق الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم هو جد قليل.

### باب يبايعونك...

تعنى كلمة البيعة. الاعلان بالثقة التامة و الولاء المطلق للجهة التى يقصد اليها المبايعون و كان النبى صلى الله عليه و سلم هو الجهة الاولى و الاخيرة التى رأت الامة يومذاك أن تقبل عليها باخلاصها و طاعتها و ولائها... و قد اشارت آيات البيعة الى ذلك بأسلوب فيه وضوح و تفصيل و فيه كذلك دلالة على أن رسول الله كان من المهابة و ثقل الوزن الشخصى و استحقاق الاجلال والتكريم بحيث كانت تقبل عليه الجموع التى تمثل عليه القوم و فضليات نسائهم ليسجلوا امامه بيعتهم و اقرارهم بالطاعة بوصفهم الرعية التى انصهر فى نفسها الايمان كله و التعلق كله و العهد بالولاء كله... و فيما يلى نصوص آيات البيعة مقرونة بشىء من الشرح يسير...]

صفحة ١٤٧] «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما»... الفتح/١٠ هذا النص يبرز مقام الرسول صلى الله عليه و سلم عند الله اذ جاء فيه «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله» و تلك مزية عظيمة لم يتيها مثلها لنبي من انبياء الله و لا لرسول من رسله و تأكيداً لكون الذين يبايعون النبي يبايعون الله ان النص جاء قائلًا- «يد الله فوق أيديهم» و المراد بذلك كما قلنا تأكيد ان مبايعتهم للنبي هي عين مبايعتهم لله ولكن موضوع اليد هنا هو موضوع معنوي اي الله عزوجل يؤيد هؤلاء الذين بايعوا رسوله بوضع أيديهم بعضها فوق بعض وفق قاعدة البيعة التي كانت مألوفة في تعاملهم يومذاك بل في تعامل كثير من الامم و الشعوب حتى اليوم. و في النص جاء قوله تعالى «عليه الله» بضم الهاء و ذاك لان لفظ الجلالة هنا يجب ان يكون محل التفخيم و لذلك نطقت الهاء في «عليه» مضمومة ليقع التفخيم في لفظ الجلالة وفق النظام الصوتي في اللغة العربية. و هنا كان العهد خاصا بالله عزوجل اذ لم يقرب به اسم الرسول لان الله هو المتفرد بكل سلطان و المتفرد بكل احسان و هو الذي ارسل رسوله بالرسالة العظيمة الى العالم كله. و البيعة المشار اليها هي ان اصحابه رضوان الله عليهم اعلنوا للنبي شدة تعلقهم به و بدينه و انهم سيلبثون وراءه و تحت قيادته في الدفاع عن الدين و مواجهة الخصوم المعتدين. و قد جاء النص بلفظ «انما يبايعون الله» لان «انما» للحصر اذ أحل الله عزوجل ذاته الكريمة في هذا المقام و كأنها هي التي بويعة بالذات امعانا في ان شخصية الرسول الاعظم قد أدت مهمة هي مهمة الله عزوجل... «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا»... الفتح/١٨ فى هذا النص ما يشير الى قوة موقف النبي صلى الله عليه و سلم اذ هيا له الله اعوانا مخلصين و صادقين و ناصحين و دوى قوة و اقتدار على تقديم المشورة و حسب كل قيادة توفيقا ان يكون هيكل من يكون فى معيتها هيكل على مثل هذه الصفة. و قد شهد النص لتلك الرفقة المرافقة للنبي بأنهم مرضى عنهم عند الله و ان الله علم ما فى قلوبهم و انه عزوجل انزل السكينة عليهم و انه رعاهم رعايه خاصة و اثابهم الفتح القريب. و المهم هنا ان ما جاء به النص اوضح سلامة البيئة القيادية التي يقوم على رأسها الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم. «يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا و لا يسرقن و لا يزنين و لا يقتلن أولادهن و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهن و لا يعصينك فى معروف فبايعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم»... الممتحنة/١٢ فى النص تعداد لجمهرة من العاهات الاجتماعية التي كانت سائدة فى بيئات الجزيرة و قد جاء جماعة النساء يعلن امام النبي عهدهن بان يكن عند حسن ظنه من طاعة الله و تجنب مالا يرضاه و لا يرضاه رسوله من تلك العاهات و ما اليها و النقطة الثانية و قد تكون هى الاولى ان الاسلام اقام للمرأة شأنًا معترفًا به بحيث امر الله نبيه ان يبايعن حين يأتينه مبايعات و يفهم من ذلك ان طى هذا الامر الالهى ان يحسن النبي استقبالهن و ان يكون لطيفا بهن و ان يستغفر لهن الله و يعنى الاستغفار هنا الرجاء من الله عزوجل ان يسخ عليهن رضاه و رحمته... و كان النبي صلى الله عليه و سلم معروفا بالرفق بالنساء و الرأفة بهن و اعزاز مكاتتهن و يفهم من ذلك كذلك ان المؤمنات يوم ذاك كن يتدارسن امورهن و يقررن فى ما ينبغى ان يعملن و يفهم من ذلك [صفحة ١٤٨] كذلك ان النساء المعنيات فى هذا النص كن يجدن لقيادة النبي فى الامة ما يعترفن عن قناعة بكون ذلك جديرا بالطاعة و التأييد و التعلق الشديد و ان ذلك مما يعنى النساء كما يعنى الرجال. حقا ان احصاء مشغوليات الرسول فى حياته اليومية التي كان اطارها واسعا بسعة عموميات الاختصاص و قلّة خصوصياته.

### ما يتعلق باتباع الرسول و الانقلاب عليه

الكلام على هذا العنوان ينصرف الى الكلام على تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة و ذاك على هدى ما جاء فى النص الكريم... «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق و المغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم، و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا و ما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه و ان كانت لكبيرة الا- على الذين هدى الله و ما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس

لرؤوف رحيم، قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فوق وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون، ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين»... البقرة ١٤٢/١٤٥ حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الصلاة في العهد المكي كان الاتجاه القبلي فيها الى بيت المقدس وذاك لان الصلاة الى الكعبة في تلك الايام يستغلها الكفار والمشركون وعبدة الاوثان بأن فيها اعترافا بالاصنام التي هناك وحين بدلت القبلة في العهد المدني وصارت الى الكعبة كانت الاصنام ما تزال فيها الا ان قدم الاسلام اذ رسخت وعموده قد قام وموضوع التوحيد قد استقر في العقول والقلوب فلم يعد هناك من مجال للدعاء نفسه. وفي اوائل ايام النبي في العهد المدني كان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه الى السماء يتمنى أن يستجيب الله لرغبته في تحويل القبلة الى الكعبة التي هي اول بيت وضع للناس في الارض والتي هي مما كان لابراهيم عليه السلام بنائه من يد ظاهرة ومع ابنه اسماعيل وظلت الكعبة محل عبادة المتعبدين من ذلك العهد [٤٨] الى عهد الاسلام على ما في بعض تلك الانماط من العبادات من اوضاع عولجت في الاسلام بالتصحيح والتعديل وقوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره». يعد مبدأ التحرك نحو اقرار القبلة الجديدة... وقد شعر اليهود بان هذا التعديل للقبلة ضرب قدسية بيت المقدس عرض الحائط. غير أن قدسية بيت المقدس ظللت قائمة في نفوس المسلمين و صاروا يشيرون اليها بأنها أولى القبلتين و ثالث الحرمين. و الموضوع ليس موضوع اختيار جهة محددة فان الله المشرق والمغرب. ولكن مسألة القبلة لا شأن لها بالجهوية و انما هي رمز لبيئة الاسلام الاولى و اتجاه الى مقام ابراهيم الذي قدسته العرب كل تقديس من قديم الزمان. و في الاتجاه اليه ما يعد من اوائل مراحل الحج اليه و قد استجاب الله لرغبة النبي بهذا الشأن و خاطبه بهذه الاستجابة «فلنولينك قبلة ترضاها» فصارت القبلة الى الكعبة على ما وقع عليه رضا النبي صلى الله عليه وسلم، و قد أمر المسلمون بالاتجاه الى البيت الحرام في سائر الصلوات حيثما كانوا من العالم «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره»... [صفحة ١٤٨] و يبدو ان هناك من لم يستجب لهذا التحول و قال السفهاء من الناس و هم الذين يصرفون حياتهم العملية و الفكرية بعيدا عن الاتزان المنطقي اذ يشوب تصرفهم هذا شيء من البلاهة و الغباء و قد رد الله عليهم مقولتهم التي انكروا بها تحويل القبلة الى الكعبة و يبدو ان الحسن القومي لدى ابناء الامة العربية يومذاك كان ضعيفا ان لم يكن معدوما و ذلك بسبب الميل الى القبائلية التي كانت تعد مرجحة على القومية الكبرى التي هي الاصل و الاساس في كيان الامة العربية... و لم ينشط فيهم الحس القومي الا- بعد أن اثبت الاسلام شخصيتهم بما حملهم من مسؤوليات عظيمة في مجالات السياسة و الحضارة و الوجود الكياني... اذ كانوا قبل ذلك عرضة لعوامل تفتيت الشمل و تطيع أوصال الخارطة و اصرار دول من خارج الجزيرة على إلتهايم كل منها الحصص الممكنة. و قد صارت القبلة رمزا للملة فكأنها اذا ذكرت ذكر بذكرها الدين كله و هذا معنى قوله تعالى «ولئن أتيت الذين أتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك»... اي ما تبعوا جوهر دينك و الاصول التي قامت عليها شريعتك و هكذا صار يقال في صفة المسلمين انهم اهل القبلة... ان الكعبة المشرفة و ان كانت تجمع قبائل العرب عند باحتها فانها لم تكن قد خلقت فيهم الحس القومي الجامع لسائر شعوبهم و قبائلهم فلما جاء الاسلام كان لها ان تحقق ذلك [٤٩]... و هنا نرى ان من اركان تحويل القبلة الاستجابة الالهية التكريمة لرغبة الرسول الاعظم في هذا التحويل. و الركن الثاني هو الكشف عن من يتبع الرسول و عن من لا يتبعه. و الركن الثالث هو وضخ الحس القومي المتنامي الى هذه الامة التي كان لما بعد ان عرفت نفسها ان تعرف ربها فتصنع جلائل الاعمال في اطار ايمانها الخالص فتكون حقا خير أمة أخرجت للناس»...

## باب العجب و الاعجاب...

العجب هو التحير و الاندهاش و أعمال الفكر في امر حدث. على غير الوجه المألوف في حدوث نظائره... فعندنا ما أخبرت زوجة نبي

طعن في السن انها مستلد ضحكت و عجبت لذلك. مما يفهم منه أن بعض العجب يجر الى الضحك و بعضه يكون مدعاة تفكير طويل كم يحاول حل لغز او الخروج من مأزق وقع فيه... و قوله تعالى «بل عجبت و يسخرون» اى انك في حال جد و أخذ الامور اخذ من يزنها بالعقل و التبصر و هم يسخرون و يهزلون فالفرق اذن فرق جسيم... لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي اى لا تستغربي من بكاء رجل هو على هذه الصفة فانه يحق له البكاء... ان وقوع امر ما على غير المؤلف يثير العجب اى الحيرة في تفسير السبب المادى لوقوع ذلك و حدوثه. و قول القائل في مثل ذلك: هذا شىء عجيب او عجاب او غريب هو التعبير عن العجب. قد يكون العجب من عظمة الشىء او ندرته او غرابته او من استحالة وقوعه يوم يخبر احد بوقوعه و من ذاك «أتعجبين من أمر الله» هود/٧٣. لامرأة نبي طاعنة في السن قيل لها انها ستلد... اما الاعجاب فهو ابداء منتهى التقبل و الارتياح لشىء يقع على حال متكاملة بحيث يكون لتقديم التهئة فيه مجال و للاطراء سبب... الاعجاب يكون بما يقع من الاشياء مقرونا بالابداع و الجمال و النبوغ و ما [ صفحة ١٥٠ ] يستأهل التقدير و الاستحسان. و فى ما يلي بعض الآيات فى هذا المعنى... «و من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه و هو ألد الخصام»... البقرة/٢٠٤ الاقوال التى يعبر بها اناس عن حب و تعلق و اخلاص و وعود كانت مصوغة باجمل الالفاظ و افصح الكلمات. و كثيرا ما غلفت اقوال بعض الناس بالخداع و المداهنة و الكذب و الغش ممن اذا اطمأن اليه سامعه و نال اعجابه تعرض بذلك لاكثر من ضرر جسيم. و من هنا نقم الله من الشعراء انهم يقولون ما لا يفعلون و لا يؤمنون بما يقولونه و انهم يبالغون فى مدح الناس و ذمهم فيجعلون الجبان شجاعا و البخيل جوادا و الكاذب صادقا و العيبى منطقيًا و ذلك هو الخط الاسلامى الذى نبه الله اليه النبى محذرا اياه أن يفتن بالذين يعجب الناس قولهم و فى الحديث «احثوا فى وجوه المادحين التراب»... و قد يكون مما يغرى القاضى باصدار قرار لصالح احد الخصمين ذلاقة لسانه و فصاحة كلامه و انه ألحن فى حجته... و النص القرآنى فيه من ظاهر التوجيه و حسن التعليم من قبل الله عزوجل لرسوله العظيم. فلقد اراد الله لنبيه ان لا يحكم لاحد بحكم ما بناء على ظواهر تستدعى الاعجاب به... «فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون»... التوبة/٥٥ فى الاية الكريمة اشارة الى انه ليس من الضرورى ان يكون غنى الغنى دالا على انه فى موقع من رضوان الله و تزكيتته فان رضوان الله و تزكيتته من اسرار الله عزوجل فقد يكون فى من اغناهم الله من فضله من هم من اخيار الناس و قد يكونون من شرار الناس. و النص القرآنى نص توجيهى و تعليمى للرسول صلى الله عليه و سلم... و المراد بالاولاد هنا ما يكون من كثرتهم و تعدد مجالات نفوذهم و بسطة عيشهم فقد يكون ذلك امتحانا من الله لهم لينظر كيف يعملون... «و لا تعجبك أموالهم و لا أولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون»... التوبة/٨٥ هذا النص على هدى النص الذى سبقه... «أكان للناس عجا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين»... يونس/٢ كانت عبادات الناس فى الجاهلية منصرفة الى الاصنام و الاوثان و كان لكل قبيلة صنم يعبدونه. كما ان هذا الصنم كان شعارا سياسيا لتلك القبيلة و لذلك عجبت القبائل ان يظهر فيهم من يعلن بطلان هذه المعاييد و يدعو كذلك الى انكار تعدد الآلهة و يدعو الى اله واحد فاذا ان النبى صلى الله عليه و سلم و يدعو الى الله الذى بعثه لهداية الناس و ابطال الوثنية الضاربة اطنابها فى الجزيرة فانه صلى الله عليه و سلم واجه من يصير على وثنيته و على شركه و كفره غير مقتنع بان هناك الها واحدا لا شريك له و ان هناك نبيا بعثه الله اليهم بل جاوزوا ذلك الى ادعاء انه ساحر مبين... و قد وجدوا أن الايمان باله واحد هو غير ما اتخذوه لكل قبيلة من اله من الاوثان وجدوا أن ذلك يلغى آلهتهم بل يلغى ذاتيتهم و يفرض أن يكون الوجود كله للمجموعة الكبرى و ليس للوجود القبائلى المتعدد [٥٠]... [صفحة ١٥١] «و ان تعجب فعجب قولهم أنذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم و أولئك الاغلال فى أعناقهم و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»... الرعد/٥ الخطاب للرسول الاعظم و قد جاء فيه ان مما يستدعى العجب فى مواقف المشركين انهم انكروا الحشر و النشر و زعموا و ظنوا أن من مات و آل جسده الى التراب فانه لن يعود الى الحياة من جديد و هو قول يخالف العقيدة القائمة فى الاسلام على عالم الآخرة و على الثواب و العقاب و الجنة و النار. و مثل هؤلاء كانوا كثيرين فى زمن الدعوة

الاسلامية في العهد المكي و قد رد الله عليهم بما أكد به وجود الحشر و النشر و الثواب و العقاب و ذاك بقوله «و أولئك الاغلال في أعناقهم و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون». و قد ووجهوا بالعقاب و الجزاء في نفس العالم الذي انكروه بعد اعادة الحياة اليهم ليحاسبوا على كفرهم و يعاقبوا عليه في عالم الاخرة الذي انكروه و انكروا انهم ستعاد اليهم الحياة فيه ليواجهوه على أن النصوص القرآنية استفاضت في الكلام على اعادة الخلائق الى عالم الحياة بعد هلاكهم و فنائهم و قد كان ذلك من مهمات المقاصد العقائدية... «لا- يحل لك النساء من بعد و لا أن تبدل بهن من أزواج و لو أعجبك حسنهن الا ما ملك يمينك و كان الله على كل شيء رقيباً»... الاحزاب/٥٢ ورد الكلام على هذا النص في موقع اخر من الكتاب اما قوله تعالى «و لو أعجبك حسنهن» اي بهرك حسنهن، و قد نزيد على ما ذكرناه من قبل ان مستوى الجمال و الحسن كان عاليا في العرب و كان مشهودا. و من هنا كثر شعراء الغزل في العهد الجاهلي و الاسلامي في سائر انحاء الجزيرة... «بل عجبت و يسخرون، و اذا ذكروا لا- يذكرون، و اذا رأوا أية يستسخرون»... الصافات ١٢/١٤ هذا النص مسبوق بنص آخر او آية اخرى هي «فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب»... المراد من العجب في هذا النص هو ما يستوجب اطالة النظر و دقة التفكير و تمحيص القضية المعروضة أما قوله تعالى اثر ذلك «و يسخرون» فانه اشار به الى ان القوم كانوا يأخذون بهذب السخرية في مقام الجدل، و الهزل في مقام الحكمة، و تلك حجة من فقد الحجة و ذاك منحى من نحنا في مواجهة الحق نحو الباطل على جاري عادة المشركين في تعاملهم مع رسل الله، و الرسول الاعظم احد هؤلاء الرسل. ان العجب لا يعنى الاستغراب الانكارى دائما و هو في قولنا تعالى «بل عجبت» اي شغل بالك و أخذ نصيبا من تفكيرك مما عليه القوم من ضلال و شتاب رأى و متاهة تسيب... «و عجبوا أن جاءهم منذر منهم و قال الكافرون هذا ساحر كذاب»... ص/١٤ العجب هنا عجب انكار و استغراب و استبعاد و تكذيب... «بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب»... ق/١٢ اي هذا امر لا- يصدق و هو عجب لا شأن له باعمال الفكر و انما هو محض انكار و تكذيب على نحو مامر في آيات مماثلة. «و اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون»... المنافقون/٤ هنا جاء النص بلفظ الاعجاب و ليس العجب و يقع الاعجاب في الاشكال و الالوان و الزينة و متع الحياة و غير ذلك. فلقد كان المنافقون الذين أقبلوا على رسول الله في غايه البهرجة و الزينة و الهندام يظنون ان ذلك مما يقوم به لهم وزن بين الناس، اما قوله تعالى «و اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم» فانه يبدو انهم كانوا على جانب من القبول او الكمال الجسماني و ما الى ذلك [صفحة ١٥٢] مما استأثر بلفت نظر النبي صلى الله عليه و سلم و قد كان في القوم من يجعل مثل ذلك اصلا في رفع مكانة الناس و قد عرف شعراء العرب ذلك فقال قائلهم: ترى الرجل النحيف فتزدره و فى اثوابه اسد هصورو يعجبك الطير فتشبهه فيخلف ظنك الرجل الطيرو كان المنافقون على مثل هذا الحال، و قد سخر بهم النص و فضحهم اسوأ فضيحة...  
**باب فاستفتهم**

من الخطابات القرآنية الموجهة الى النبي صلى الله عليه و سلم بلفظ الاستفتاء و يكون تارة باستفتائه صلى الله عليه و سلم القوم و تارة اخرى باستفتائهم اياه و ذاك مما لم يكثر في القرآن و انما ورد فيه بقله و ها نحن اولاء شارحون ذلك و عارضوه... «فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب»... الصافات/١١ امر النبي بالاستفسار منهم عما اذا كانوا أشد خلقا من السماوات و الارض و غيرهما. و ما من شك في أن احدا منهم لن يقول ذلك. لانه ان قاله فقد ثبت كذبه و ظهر بهتانه و بان من غروره ما يسقط من حيثيته... و استعملت كلمة الاستفتاء هنا لان الاجابة على الاستفتاء تتطلب الصدق و الاعتماد على العلم - خلافا كلمة السؤال - فان من يرد عليه رد من يجد في الرد انه جعل محل ثقة و اعطى مكانة استأهل بها ان يستفتى. و التعبير بالاستفتاء كما قلنا قليل الورد في التنزيل... «فاستفتهم أربك البنات و لهم البنون، أم خلقنا الملائكة إناثا و هم شاهدون»... الصافات ٤٩/٥٠ الاستفتاء هو نوع من السؤال و الاستفهام يكاد يكون مصحوبا بالاستحلاف. و بهذا يكون الاستفتاء اقوى انواع الاسئلة لأن السائل المستفتى يمنح المسؤول

المستفتى شيئا من الثقة بصدق جوابه «فاستفتهم أربك البنات و لهم البنون، أم خلقنا الملائكة اناثا و هم شاهدون»... و طبيعة السؤال لا يقع لها من الجواب الا امر واحد هو نفى ما اعتقدوه في الملائكة من أنها اناث فان لم يجيبوا على ذلك بنعم ام لا فانهم سيجيبون عليه بالصمت المطبق. يفهم من مثل هذه الصيغ الاستفهامية التي امر الله النبي باستعمالها في مخاطبة القوم ان الله كان يعهد اليه مواجهة المشركين بتكذيب معتقداتهم و تسفيه ارائهم ولكن باسلوب يتميز بالحكمة و التعقل و الاستدراج الى جواب يفحم المجاوبين انفسهم. و قد يكون استعمال كلمة الاستفتاء هنا قد أريد به التهكم بالقوم لانه نسب اليهم فهم الحقائق و الدقائق حين استفتاهم فيما استفتاهم فيه. اذ اوهمهم أنهم يعلمون و هم لا يعلمون...

## باب يستفتونك

كان النبي صلى الله عليه و سلم محل استفتاء اتباعه المؤمنين فيما يعن على بالهم من مسائل الشريعة مما لم يكن قد نزل منها او كان قد نزل و لم يفهموه. فكان النبي يستمد الجواب من وحى الله اليه لان الله هو منزل الشريعة و باعث الرسول بتعاليمها و احكامها و مفردات العقيدة فيها... و مراجعة المسلمين النبي في مثل هذه الامور و المطالب كثيرة ولكن ما جاء منها بلفظ الاستفتاء قليل اذ كان يغلب على تلك المراجعات أن يرد الكلام عليها بالقرآن الكريم بلفظ السؤال. و فيما يلي ما جاء بهذا الحرف في التنزيل العزيز... «و يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن و ترغبون أن تنكوهن [صفحة ١٥٣] و المستضعفين من الولدان و أن تقوموا لليتامى بالقسط و ما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما»... النساء/١٢٧ «و يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن أمرؤ هلك ليس له ولد و له أخت فلها نصف ما ترك و هو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك و ان كانوا اخوة رجالا و نساء فللذكر مثل حظ الانثيين بين الله لكم أن تضلوا و الله بكل شىء عليم»... النساء/١٧٦ فيبدو من هذين الاستفتاءين و من غالب ما يوجه الى الرسول من اسئلة مدنية. أن الغاية منها الحصول على معلومات فقهية ينتفع منها المستفتون السائلون و ذاك خلافا للاسئلة المكية التي تغلب عليها من الرغبة في التعجيز و الاضجار و الاستفزاز و المماحكة و اشغال النبي بما لا حصيله فيه لاولئك السائلين من نفع و فائدة... و كان مثل ذلك كثيرا ما يقع في الاسئلة المدنية من قبل اليهود في معظم الاحيان و من ذلك. «يسألك اهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء»... النساء/١٥٣... فان اليهود لا يعينهم نزول الكتاب الذي يريدون نزوله من السماء او عدم نزوله ولكن الذي كان يجرحهم الى مثل ذلك هو الميل الى المشاكسة لا غير...

## الرسول الاعظم و السكينة الالهية

السكينة التي جاءت في القرآن الكريم مشار الى أن الله عزوجل انزلها على النبي و المؤمنين و قد تكرر ذلك - غير مرة - يراد بها الاطمئنان النفسى الى عروض الفرج بعد الشدة و قوة الرجاء و اليقين بلطف الله و تداركه نبيه و المؤمنين من عباده... و فيما يلي ما هناك من آيات وردت فيها كلمة السكينة في القرآن الكريم... «ثم انزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و انزل جنودا لم تروها و عذاب الذين كفروا و ذلك جزاء الكافرين»... التوبة/٢٦ النص مسبق بآية ذكرت فيها الموقعة الحربية التي هي في «حنين» و ذاك في قوله تعالى «و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا و ضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم و ليتم مدبرين»... فان الجيش الاسلامى على كثرته تعرض في وقعة حنين للفشل اول الامر و عظم القلق في النفوس و استولت الخشية على القوم من عدم كسب النصر في هذه المعركة فأنزل الله سكينه على المسلمين اى قوى رجاءهم بالنصر و شد من عزائمهم في المواجهة و طمأنهم على العاقبة فذاك هو معنى السكينة في هذا النص... «فأنزل الله سكينته عليه و أيدته بجنود لم تروها»... التوبة/١٤٠ اول النص هو قوله تعالى «ان لا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه

و أيده بجنود لم تروها و جعل كلمة الذين كفروا السفلى و كلمة الله هي العليا و الله عزيز الحكيم... السكينة المنزلة على رسول الله هنا كانت في الغار و هي نعى جعل النبي مستيقنا من الفرج و مطمئنا الى النصر بما ألقاه الله عليه من الاستقرار النفسى و لم يرد فى النص أن السكينة نزلت على النبي و صاحبه لآن النبي هو رأس الامر الموحى اليه بالرسالة و لا- يتسع المجال لشمول احد سواء بالسكينة فى هذا المقام و قد جاء النص بقول النبي لابي بكر «لا تحزن ان الله معنا» و لم يرد بلفظ «ان الله معى»... و القلق الذى يصيبه هو اضعاف القلق الذى يصيب من يكون معه و فى النص القرآنى ايماء الى أن النصر انما هو من الله فاذا نصرت الناس النبي أم لم تنصره فان نصر الله هو الذى يضع كل شىء فى نصابه فقوله تعالى «اذ أخرجهم الذين كفروا» لا يعنى انهم اقتادوه و معه صاحبه ابوبكر الصديق رضى الله عنه الى خارج الحدود و انما كان [ صفحة ١٥٤ ] يعنى أن خطة أعدائه فى مكة قامت على اخراجه [ ٥١ ] و أصرت على احد الامور الثلاثة منها التخلص منه بالقتل او اخراجه او رده او حمله على اعتناق ملتهم... و قد جاء فى شعر لحسان بن ثابت يقول فيه واصفا هذه اللحظات من ايام الهجرة: الثانى اثنى فى الغار المنيف و قد طاف العدو به اذ صعدا الجبال و هنا كان حزن ابي بكر و طمأنة النبي له. اذ كان جماعة الكفار يمشطون المنطقه... «هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا»... الفتح/٤ يشير النص القرآنى الى أن هذه السكينة نزلت فى قلوب المؤمنين... و القلوب فى المنهج العقائدى الاسلامى - و فى كلام العرب - المعبر عن طبيعة المعقولات التى يعقلونها هى مصدر الفكر و الوعى و مسؤولية اتخاذ القرار و كذلك هى مركز حمل الهوم و مواجهة المشاكل و تباعة الكفر و الايمان فحين نزلت السكينة فى هذه القلوب فقد استقر كل شىء فى مكانه من الطمأنينة و الراحة فلم يبق ما تقلق له النفس او يشغل البال... اما زيادة الايمان فالمراد به تثبيته و تقويته لان الايمان مسألة معنوية لا حجم لها فهو - اى الايمان - اشبه بانتماء الانسان الى وطن معلوم مما يسمى فى لغة العصر بالجنسية... فان العراقي مثلا- لا تزداد عراقيته و لا تنقص بالقياس الى حسن عمله او سوءه و بتعبير اخر ان زيادة الايمان هى بروزه بوضوح و رسوخه فى اعماق النفس و لا- علاقته للحجم و الكمية بذلك... و قوله تعالى «ليزدادوا ايمانا»... يراد به التنويه بهذه السكينة التى جعلت من طمأنينة النفس ما يؤدى الى التحسس بالايمان و القناعة به و الانتماء اليه... «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا»... الفتح/١٨ قوله تعالى «فعلما ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا» اى ان الله علم ما فى قلوب المؤمنين من قوة رجائهم فى رحمته و تطلعهم الى نصره فأنزل السكينة عليهم اى آمنهم من الخوف و قوى رجاءهم بالنصر... و قد كانوا رضى الله عنهم و هم المنوه به فى النص من بعض اسباب انزال السكينة الالهية عليهم... و تكاد السكينة هنا تعبر عن معنى اللطف و الرعاية و اسباغ الطمأنينة و راحة البال على القوم اذ انزل الله سكينته عليهم... ان نزول هذه السكينة كان جزاء للقوم و مكافأة لهم على حسن موقفهم من رسول الله و صدق بيعته و صدق ايمانهم الذى وجده الله مكتنزا فى اوعيه قلوبهم و هى شهادة من الله بحق من كانوا مع الرسول فى تلك البيعة التى سميت ببيعة الرضوان أخذا بما ورد فى النص بقوله تعالى «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة»... و هذا يدل على مامنحه الله نبيه من التوفيق فى حسن اختيار الاصحاب و الاعوان الذين كانوا سند هذا الدين و حماة الملة و ورثة الدعوة الاسلامية... «فأنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و ألزمهم كلمة التقوى و كانوا أحق بها و اهلها و كان الله بكل شىء عليما»... الفتح/٢٦ اول هذا النص فى الآية هو قوله تعالى «اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية»... و هو بقية كلام قرآنى ذكر بشىء من التفصيل بخروج المسلمين الى مكة و قد منعهم الكفار عن دخولها و لم يأذن الله للمسلمين بقتال القوم اذ كان فى مكة خلق من المسلمين فيهم الرجال و النساء و هم محتفظون باتمائمهم الاسلامى و لم تكن شخصياتهم و عناوينهم [ صفحة ١٥٥ ] معروفة للمسلمين فلو وقعت الحرب بين الفريقين فلعل هؤلاء المسلمين سيصيبهم من الأذى ما هم غير مقصودين به فيشق ذلك على النبي و اصحابه حين يعلمون أن فريقا من المسلمين قد تعرضوا لأذاهم و هذا ما سماه القرآن «معة» اى شيئا يستعير منه من يصنعه... و فى الآية حكم شرعى يقرر عدم الهجوم على قوم من الاعداء اذا كان فيهم فريق من المؤمنين لثلا- ينال هؤلاء المؤمنين ما ينال الكافرين من تقتيل و ايداء و أسر و ما الى ذلك... ان نزول السكينة هنا كان على الرسول و على

المؤمنين الذين معه و قد يكون المؤمنون الذين فى مكه مشمولين بهذه السكينة التى تعنى انهاء المشكله المحتمله بين القوم - اى كفار مكه و الفئه التى يقودها الرسول صلى الله عليه و سلم - بما كان لهم به من منجاة من اللجوء الى الشدة فى المواجهه...ان ورود «السكينة» فى النصوص التى وردت بها انما كانت مقرونة بكلمة الانزال و ان كان يعنى مطلق التفضل و المنه فانه كذلك يعبر عن نزول شىء من السماء على الامه تشرح له صدورها و تطمئن به الى لطف ربها و تعلم انها أبدا محل الرعاية ممن ارسل اليها و رسولها و بعث اليها نبيها نبي الخير و الرحمة محمد بن عبدالله عليه افضل الصلاة و التسليم. و النزول من السماء يعنى ظهور العطاء الالهى و تفشيه و وضوحه و عمومية الانتفاع منه...اما قوله تعالى: «فصل عليهم ان صلاتك سكن لهم» التوبة/١٠٣... فان كلمة «السكن» هنا فى معنى السكينة و معنى الاستقرار و الطمأنينة و الفأل الحسن و ترقب بشائر الخير و الرجاء كل اولئك مما يتحقق عند نزول السكينة...

## باب الجدل

الجدل هو النقاش فى امور يقع الخلاف عليها بين الناس و يكون فى كثير من شؤونهم و اهوائهم كما يكون فى معتقداتهم. و بعض الجدل يكون على جانب من المحاسنة و اللين و هذا ما جاء النص فيه بقوله تعالى «و لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هى أحسن». العنكبوت/٤٦. فالتى هى أحسن من بعض اوصاف الجدل المقبول و المرضى ولكنه غلب على الجدل فى عرف الناس انه نوع من الشقاق و ابتغاء الفتنة و الرغبة فى ايقاع الحجته على الخصم و افحامه بالحق و بالباطل و هذا ما جاء فى فحواه و محتواه قوله تعالى «ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون» الزخرف/٥٨ اى ارادوا بجدالهم ذلك أن يجروك الى الشقاق و ما الى لا طائل فيه من امر ذى فائدة او ذى بال...و الجدل بين ذوى الديانات و المذاهب العلميه كائن فى سائر المجتمعات اذ يبدى كل شبهاته و وجهات نظره و يبسط ادلته و براهينه و من أستمزاج الاءاء بذلك الوصول الى الحقيقة... و الاصل فى الجدل يقع بين طرفين على حال من التكافؤ تام او غير تام... و بعض انواع الجدل يعنى النقاش و الاستيضاح عن امور وقعت و امور لم تقع فهو من نمط ما يكون فى مناقشة الناس من اصحاب الخبرة فى شأن امر يراد الاقبال على اعداده و التشاور فى ادارته مما لا يصل الى مستوى الشقاق و المماراة و يقع الجدل من قبل صاحب رأى يريد فرضه على الناس و من ذلك قوله تعالى «قالوا يا نوح لقد جادلتنا فاكثر جدالنا» هود/٣٢... و من الجدل ما يكون من باب التظلم كالذى فى النص القرآنى «قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها و تشتكى الى الله...» المجادلة/١. و قد سمي الله هذا الجدل بالتحاور و قد يكون بعض الجدل من باب الشفاعة كقوله تعالى «يجادلنا فى قوم لوط» هود/٧٤. و فيما سنورد من الكلام على آيات [ صفحة ١٥٦ ] الجدل فى القرآن الكريم انماط من الجدل تدل على اختلاف مناحى هذا الامور و تعدد وجوهه الكثيرة...«و لا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما». النساء/١٠٧ فى النص نهى عن التحيز لمن يقف موقفا خيانيا و ذاك لثلاث- يكون هناك من يدافع عن الخائنين فتقوى بذلك شوكتهم. و ليس المراد مخاطبة الرسول بهذا النهى ولكنه اريد به تقرير قاعدة يوضع فيها كل امر فى نصابه...«حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا الا أساطير الاولين»... الانعام/٢٥ هذا النمط الجدل هو جدال عناد يقوم به المشركون لاحباط العقيدة التى جاء بها النبى صلى الله عليه و سلم من غير استدلال بحجة عندهم او لياذ بشبهة لان البحث فى الموضوع قائم على مجرد العناد و الانكار و لذلك اكتفوا بقولهم «ان هذا الا اساطير الاولين» و ليس فى شىء فى هذه المقولة ما يدل على حجة مقبولة تصلح للنقاش و المحاجة و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يواجه فى كل حين بمثل هذا النمط من الجدل العقيم فكان يحسن الرد على المتعلقين بحباله...«يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت و هم ينظرون»... الانفال/٦ هذا نمط من جدال المحقوقين و هو جدال من يجادل من غير أن يكون فى يده و لو جزء ضئيل من حجة معقولة مقبولة بحيث لا يقوى على التمسك برأيه اذ يضطر الى الانصياع للحجة القائمة عليه... و قد نزل النص فى قوم لم يكونوا يريدون الخروج مع النبى فى امر قتالى ولكنهم اضطروا الى الخروج مع النبى عندما تقطعت بهم الاسباب فكانوا كمن يساق الى الموت و هو ينظر اجله و قد حان. و مثل هذا الجدل يمكن أن يوصف بأنه جدل الخائنين... يفهم من



هذا أن مركز النبي القيادي كان جد قوی بحيث لم يستطع هؤلاء المجادلون ان يفلتوا من قبضة القيادة التي كانت قوية التحكم و الاقناع و ذات سلطة مقتدره... «و جادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين»... النحل/١٢٥ اول هذا النص هو قوله تعالى «ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنه...» المراد بذلك ان التوصل الى بث الدعوة الدينية التي يحملها النبي صلى الله عليه و سلم الى الناس انما يكون في اطار الحكمة و الموعظة الحسنه و اذا جر الامر الى الجدل فليكن بالتي هي احسن. و الخطاب الموجه الى النبي صلى الله عليه و سلم ينسحب على سائر من يأخذ على عاتقه الدعوة الى الملة اذ يكون عليه أن يلتزم بهذا الاصل السديد في دعوة الناس الى الدين و اشاردهم الى الهدى... ان تغيير معتقدات الناس و الزامهم بمعتقدات جديدة ليس بالامر الهين مهما كانت المعتقدات القائمة ظاهرة البطلان و المعتقدات البديلة ظاهرة الحجة فلا بد وفق هذا الاصل أن يؤخذ الناس بالرفق و الحسنى للوصول الى الغاية المبتغاة في هذا الوجه. و هذا اما جاء به النبي صلى الله عليه و سلم هذا ايضا نرى ايضا أن الله اكثر من توصية نبيه العظيم بالصبر على ما يتعرض من اذى قومه الذين كانوا شديدي الحرص على كفرهم و شركهم حتى امكن له أن يقيم عمود الدين و يتوصل الى إيلاف القلوب التي اقتنعت بعد حين بأحقية دعوته صلى الله عليه و سلم و آمنت و انصاعت و أذعنت بل راحت تستमित في الدفاع عن مفردات ايمانها الذي رسخ في قلبها كل رسوخ... «و ان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون»... الحج/٦٨ النص له ما يشبه المقدمة في قوله تعالى «و ادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم». كان النبي عرضة للمجادلين من سائر اصناف الناس من اهل الديانات و غيرهم. و قد وصاه الله في الرد على جدال المجادلين [صفحة ١٥٧] ممن همهم المنازعة و خطتهم المعاندة أن يرد ردا جميلا يضع به حدا لما لا طائل فيه و هذا ما عناه النص... «و قالوا آللهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون»... الزخرف/٥٨ هذا النوع من الجدل عقيم لانه اراد به القوم المفاضلة بين آلهتهم التي هي معايد من الاصنام و الاوثان «و قالوا آللهتنا خير ام هو...» و بين ما جاء به النبي من عبادة اله واحدا... و قوله تعالى «ما ضربوه لك الا جدلا» اي عليهم آلهتهم بمقتضى عقيدتهم الوثنية و بين ما يفرضه عليهم النبي من عبادة اله واحدا... و قوله تعالى «ما ضربوه لك الا جدلا» اي ما جاءوا بهذا القول الا رغبة في مطلق الجدل الذي لا موضوعية له... و وصفهم الله بأنهم خصمون أي يحبون الشقاق و الخصومة و لا يريدون الوصول الى ما يحق الحق و يبطل الباطل... «قد سمع الله قول التي تجادلنك في زوجها و تشتكى الى الله و الله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير»... المجادلة/١ يشير النص الى امرأة جلست الى النبي تحاوره و تجادله في زوجها الذي وجهت اليه مسؤولية معينة و كان يتردد بينها و بين الرسول ما سماه الله تحاورا و لا يفهم من ذلك أن تلك المرأة كانت تجهر للنبي بقولها و صوتها لان كلمة التحوار تدل على التساوى في طريقة الكلام و الحديث و كانت في مقام الشاكي اللائذ بالنبي و لم يكن صلى الله عليه و سلم يفتيها بشيء لانه ليس مؤسس الشريعة و لا هو صانعها و انما هو رسول من رب العالمين و على ذلك انزل الله سورة في هذا و الشأن حل بها عقدة تلك الزوجة و صرف عنها سبب الشكوى بتشريع صار يطبق على الامه كلها في مثل تلك الحالة التي عرضت لخولته بنت ثعلبة... ان الغالب على امر الجدل و المجادلين في مسائل الدين و العقيدة و الرسل هو اللجاجة و قد وصف الله الذين يولعون بذلك بعدة آيات و صفا قام على الذم و من ذلك قوله تعالى «ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد» غافر/٤... «و من الناس من يجادل في الله بغير علم و لا هدى و لا كتاب منير» لقمان/٢٠... «و من الناس من يجادل في الله بغير علم و يتبع كل شيطان مريد» الحج/٣... «و يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق» الكهف/٥٦... بل ان القرآن الكريم حذر الامه عند ادائها شعائر الحج أن تلجأ الى شيء من الجدل «فلا رفث و لا فسوق و لا جدال في الحج»... البقرة/١٩٧... و قد قرن الجدل في هذا النص بالرفث و الفسوق تبشيعا له و توكيدا لصرف الناس عنه... و ما من شك أن مواجهة الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم بجدل المجادلين و محاكمة المماحكين امر فيه من تلبس ظروف الجدل بكثير من دواعي الاضجار و العناء. و هذا امر يطرد في ما يقوم من جدال بين الناس لا سيما ان كان جدالا بين جاهل و بين حكيم و بين ذى جهل و بين عليم... و يفهم من آيات الجدل هذه ان النبي صلى الله عليه و سلم كان يؤخذ الى الجدل أخذًا يراد به اضاءة الوقت في الاخذ و الرد و النقاش غير الموضوعى و ذاك من اجل ان

يصل الامر بالنبي الى حال من الاضطراب و التشنج غير أن النبي لم يكن كذلك. و في بعض الاحيان يأمره الله أن ييادىء القوم بالجدل الذى هو منطقى وجد سليم... و الجدل فى عرض قرارات دينية جديدة على قوم يراد اصلاح احوالهم و تصحيح معتقداتهم ليس بالامر الهين. على أنا نفهم من فحوى آيات الجدل أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان موفقا فيه بسبب أخذه بأهداب المنطق السديد و الصبر على لغط المجادلين فكان له صلى الله عليه و سلم موقف الغلبة و الرجحان و افحام الخصم فى سائر ما جادلهم فيه و خالفهم عليه... [صفحة ١٥٨]

## باب ترى

يرد هذا الحرف فى الخطابات القرآنية فى مواقع و مشاهد حاضرة و غير حاضرة. و من ذلك ما كان قد وقع فى دهر غابر و منه ما سوف يقع فى دهر آت و قد يكون ذلك يوم الاخرة و فى الجنة او فى النار. اذ المراد بالتثويه بهذه الرؤية التى ترد فى النصوص القرآنية من مثل «ترى» و من مثل «و لو ترى» و ما الى ذلك استحضار شخصية الرسول للاستشهاد بها على حقيقة تلك الحقائق المتحدث فى شأنها، و فى هذا ما يدل على عظم قدر النبي و انه يستشهد به على امور و احداث لم يكن قد شهدا بالعين الباصرة و انما كان قد شهدا بعين غير تلك العين لانه شاء الله له ان يكون ذا حضور فى سائر ازمنة الحضور... و ذاك فى عالم التمثيل و عرض احداث غيبية لشخص اراد الله حضورهم عند حدوث تلك الاحداث و وقوع تلك الوقائع لتكون لهم الشهادة المصدقة على ذلك... و النبي و ان كان بشرا من هذا البشر فان الله اصطفاه ليكون ذا شئيه ليست من اشياء البشر والله خواص فى الازمنة و الامكنة و الاشخاص... و فى ما يلى نأخذ بشرح المقولات القرآنية التى جاء فيها استعمال كلمة «ترى» و مشتقاتها... «فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى انفسهم نادمين»... المائدة/٥٢ فى النص استحضار صورة المتجمهرة المتجمهرة من المنافقين و اليهود ممن وصفهم الله بان فى قلوبهم مرضا اذ كانوا يسارعون ان يتعجلوا وقوع الاحداث و بذلك يزداد الخوف فى نفوسهم و القلق على مصيرهم، و قوله تعالى «فعسى الله أن يأتي بالفتح او امر من عنده» ليس من بعض كلامهم و انما هو من الكلام القرآنى، و لذا جاء فى اثره قوله تعالى «فيصبحوا على ما أسروا فى انفسهم نادمين»... «و ترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم و العدوان و اكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون». المائدة/٦٢ ما جاء فى النص من الكلام على القوم الذين كانوا يأكلون السحت و يرتكبون ضروب الاثم و العدوان صورته القرآن بصورة الواقع المشهود و الحقيقة الملموسة و ذاك باستعمال الرؤية فى كلمة «و ترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم و العدوان»... و جعلت الرؤية لراء خاطبه النص القرآنى بها... «ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئسما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون»... المائدة/٨٠ النص مسبق بقوله تعالى: «كانوا يتناهون عن منكر فعلوه لبئسما كانوا يفعلون» المائدة/٧٩... فى النص وصف فريق من المتظاهرين بالاسلام و قد جعلوا انتماءهم الى قوم من الكافرين، والانتماء الى الكافرين يتأتى منه اطاعتهم اطاعة تامة و افشاء اسرار المسلمين اليهم... و الآيات القرآنية تحذر من مثل هذه الانتماءات التى لا- تجعل للمسلم لونا متميزا فى الناس... و مثل ذلك ما يستوجب سخط الله عزوجل و شديد نقمته لان مسخ وجه الهوية مسخ لكل كيان الذين يحملون هوية يريدون بها ابراز عناوينهم لان هناك من ذوى العناوين التى تتم عن واقع انتمائهم الذى يفترض فيه ان يكون محل التباهى و التبجح بين الناس... «و اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فكتبنا مع الشاهدين»... المائدة/٨٣ هذه الرؤية رؤية واقعية اذ شوهه قسس نجران يبكون عند سماعهم القرآن و قد كان قد تلى عند الصلاة به او خارج الصلاة به... و الخشوع كثيرا ما يعرض لمستعمى القرآن من قبل من هم غير متمين الى ملته و لا مؤمنين به... [صفحة ١٥٩] و قسس نجران ضرب لهم النبي خيمة فى المسجد فكان صوت القرآن يصل الى اسماعهم فتفعل آياته فعلها فى نفوسهم... و مسألة معرفة الحق الذى تلتصع معالمه فى اجواء القرآن مسألة لا- يملك مكذبوها ان يسارعوا الى تكذيب الحقائق... اما اعلان القسس بايمانهم اذ جاء فى النص «يقولون ربنا آمنا

فاكتبنا مع الشاهدين» فان ذلك لا يعنى اعتناقهم الاسلام ولا اعترافهم بنبوۃ النبي بالضرورة، و انما يعنى انهم وجدوا لحلاوة الايمان مذاقا فى نفوسهم بحيث لو هداهم الله الى الايمان لآمنوا... ان مبادئ الايمان تنزع اليها النفوس ولكنها لا تصل الى الواقع الايمانى الذى ينشده المؤمنون...«و لو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد و لا نكذب بايات ربنا و نكون من المؤمنين»... الانعام/٢٧ كلمة «ترى» هنا تعد من الكلام على ازمان الآخرة، و مخاطبة الرسول الاعظم بمثل ذلك يدل على ان شخصية الرسول كانت ذات حضور و اشراف اذ خاطب النص النبى بلفظ «ترى» فى امر لم يكن الرسول من افراد ناسه يومذاك ولكن الله جعل له صلى الله عليه و سلم حضورا قد جاء بلفظ افتراض التصور و ذاك شىء واقعى يقرر امكان ان تكون للنبي هناك حالة من الحضور و المشاهدة. لان الذاكرة ترى ما سبق لها ان رآته، بل انها ترى ما لم تكن قد رآته مدفوعة الى ذلك بفعل احضار الشاهد قصد اثبات انها من الحقائق التى لا تواجه بالتكذيب و الابطال... ان استحضار الاحداث و الصور فى ايضاح ما يراد له ان يقع امر لا يستغرب وقوعه فى عالم الازهان. لان فى امكان الازهان استحضار ما تشاء من الصور على الهيئة التى تتخيلها و تتصورها و تنشئ لها واقعا مشهودا...«و لو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى و ربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»... الانعام/٣٠ فلقد ارى الله النبى القوم موقوفين عند ربهم بالصورة التى خلقها الله فى عين النبى فكانت معبرة عن الواقع الذى كان القوم فى اطاره و رهن مداره... و استعمال «لو» هنا لا يغير من الحقيقة التى يحتجها النص القرآنى، فكأن النص يعنى ان يقال: - ليتك ترى ذاك يومذاك اذن لرأيت الامر على الهيئة التى جاء تفصيلها فى النص... اذن ان الله يخاطب الرسول بأمر لا يتحقق الا لمن جعل له الله امكانيات خارقة يتأتى بها تحقيقه...«و لو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت و الملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن اياته تستكبرون»... الانعام/٩٣ فى التعبير بالكلمة القرآنية «و لو ترى» امكانية وقوع شىء غير واقع، و انما كان لما هو غير واقع ان يقع فى الخطابات القرآنية للرسول الاعظم من اجل ان الرسول ذو اهلية أهله الله بها فى مثل هذه الامور... على أن هذا الاسلوب فى الكلام الذى يجرى بين الناس فى شعر و نثر و خطاب و جدال لا يقع فيه ورود الاحتمالات غير المحتملة فى ظاهر العقل و مألوف التعامل الجدلى و البيانى الا- أن الله جعل ذلك مما خوطب به النبى من غير ان يقع مثله لسواه من الرسل... ان الله جعل لرسوله الاعظم امتيازاً فى الحضور فى سائر احداث الزمان ليتعلم من ذلك الكثير و ليكون شاهدا على سائر اعمال الناس فى كل عصر و جيل... فالظالمون الذين هم فى غمرات الموت و الملائكة باسطوا ايديهم ينتزعون ارواحهم و يأمرونهم باخراجها و يضعونهم موضع [صفحة ١٦٠] المدعنين لذلك فانه مما لا يرى بالعين المجردة. ولكن البارىء الكريم جعل لنبيه اقتدارا خاصا أمكن له به ان يرى هذه المشاهد و يطلع على ما وراءها من وقائع لا تملك الناس الوقوف عليها والالمام بها... ان الخطابات الالهية للرسول لا يمكن ان تجرى فى عالم التصورات الموهومة ما لم تكن وراءها حقائق يريد الله بها لنبيه الدراية التامة و الا كان ذلك الخطاب لا مفهوم له و لا غاية وراءه، فى حين يريد الله لنبيه أن يرى مالا- يراه الناس فى العادة. لا- سيما مالا- يناقض قانونا من قوانين الشريعة و أصلا من اصولها...«و لو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و ادبارهم و ذوقوا عذاب الحريق»... الانفال/٥٠ فى هذا النص ما يدل على امكانية رؤية الرسول الاعظم للموضع الذى جاء فى النص من كون الملائكة كانوا يضربون وجوه الكفار و ادبارهم - اى ظهورهم - و حين يذكر الله الملائكة و ما كان من ضربهم وجوه الكفار و ادبارهم انما هو خبر الهى يحتج الحقيقة التى لا يعلق بها الكذب لان الخبر القرآنى يعد من اصدق الاخبار التى يخبر بها الناس...«و ترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد، سرايلهم من قطران و تغطى وجوههم النار، ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب»... ابراهيم ٥١/٤٩ سبق هذا النص بالآية التى جاء فيها قوله تعالى «يوم تبدل الارض غير الارض و السماوات و برزوا لله الواحد القهار»... و على هذا يكون المراد برؤية المجرمين العصاة مقرنين فى الاصفاد. اى مصفدين و مسلسلين بالسلاسل و النار تلفحهم من كل جانب و لتوكيد حقيقة ذلك جاء النص القرآنى مشيرا الى أنه كان يراه النبى توكيدا لوقوع ذلك و تنويعا بأن النبى صلى الله عليه و سلم كان يراه بالعين المجردة التى يرى بها الاشياء... و يفهم من هذا أن الله امكن للنبي أن يحيط علما باوضاع النار و المعاقبين فيها بأنماط من العقاب الالهى الذى كان جزاء وفاقا لما

اقترفوه في الحياة الدنيا من الجرائم التي حذروا منها و اندورا لانهم سوف يعاقبون يوم القيامة عليها...«و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون»... النحل/١٤ أول النص هو قوله تعالى: «و هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا و تستخرجوا منه حلية تلبسونها...» هذه الرؤيا رؤيا بصرية في عالم الحياة المألوفة لدى الاحياء و قد جاءت الاشارة اليها في معرض فضل الله على الناس بما أودعه في البحار التي تثير الرهبة في النفوس من الحصول على المنافع العظيمة التي منها ما يعد من الغذاء و منها ما يعد من اسباب الزينة و ما هناك من الفلك التي تجرى في البحر حاملة البضائع و انواع التجارات و الناس. اذ يعد جريان الفلك في البحر بثقل وزن ما فيها من الناس و البضائع من آيات الله القائمة على دقيق ما أودع في الطبيعة من قوانين و نظم يتم وفقها أن يكون سهلا و هو صعب و يسيرا و هو عسير... و ذكرت الرؤية هنا و هي في المراتب البديهية التي يراها الناس جميعا ليكون معنى الرؤية فيها و في ما سواها من الغيبات بخوارق الاشياء مما تشير اليه الايات القرآنية المبدوءة بالكلمة التي هي عنوان هذا الفصل و هي كلمة «تري» و مشتقاتها... و الغاية من إيراد ذلك تنبيه الناس الى وجوب شكر الله على كبير مننه، و عبادته لعظيم سلطانه، و الايمان بوحدانيته و حكمته، و تفضله على خلقه بالافضل التي لا تعد و لا تحصى... و في جملة النص و تفصيله ما يحقر الذين يعبدون الاوثان التي لا تملك أن تصنع من ذلك شيئا...«و ترى الشمس اذ طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و اذا غربت تقرضهم ذات الشمال و هم [صفحة ١٦١] في فجوة منه ذلك من آيات الله. من يهد الله فهو المهتد [٥٢] و من يضل فلن تجد له و ليا مرشدا»... الكهف/١٧ الكلام هنا على اهل الكهف الذين قصص القرآن قصتهم التي تعبر عن احتمال الأذى و الفرار بالايمان و عدم الانصياع للكفر و سلطان اهله و كان زمنهم قد سبق عهد الرسالة ولكن الله أشار الى حضور النبي في بعض ما كان لاهل الكهف من احداث و وقائع فجعل النبي رائيا للشمس التي كانت تطلع عليهم و تغيب و كان القصد من ايراد ذلك التنويه بأن الله أراد أن تكون لنبية العظيم احاطة بهذه القصص التي تصور صدق الجهد في سبيل الله و الطاعة العظمى له. كان النبي في مقام الشهادة على صدق ايمان اولئك الفتية الذين لجأوا الى الكهف فرارا بعقيدتهم من البغاة الظالمين... و في النص ما يومية الى الجو الذي يلاحظ على الكهف فهو قديم و رهيب كشأن معظم الكهوف. و يبدو ان طبيعة الكهف طبيعة مخوفة فما ان يصل اليه احد و لذلك أوى الفتية الهاربون اليه و من طبيعة الخائف ان يلوذ من اجل النجاة بنفسه بما هو مخوف و غير مخوف... ان فتية الكهف ضرب الله عليهم من المهابة و الحال التي ترعب المشاهد من اجل ان لا يتعرضوا للاذى من أية جهة آتية من الخارج... فهم يبدون ايقاظا رغم أنهم في حال سبات و نوم عميق... و لا بد أن يكون الكهف عميقا و ليس ظاهر العمق و ذلك لا- مكان الاحتماء فيه من الضواري و سباع البهائم... اما ان المطلع عليهم يولى منهم فرارا و يمتلىء رعبا... فكأن ذلك مما جعله الله لهم امام من يدخل عليهم الكهف حماية لهم فعساهم يصل اليهم رجال السلطة فلا يتهاى لهم ايداؤهم لمكان رهبتهم في النفوس... و للمبالغة في اضعاف هذه الصفة عليهم جاء النص موجها الى النبي بأنه سيكون مشهده لهم ذات مشهد سائر من يراهم. و النص انشائي لا اخباري اذ لم يأت بلفظ انه اطلع عليهم فولى فرارا و ملىء رعبا و انما جاء بلفظ «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و للمث منهم رعبا» امعانا في ابراز الصورة و تعميقها في النفوس... ان اهل الكهف و ان لم ينص القرآن على فترة مكثهم في الكهف لنعلم من طولها ما يجب ان نعلم فانها على أي حال فترة غير فترة غير اعتيادية و لا مألوفة في حياة الناس... و يعنى امر انهم طالت شعورهم و لحى من كانت لهم لحى و هذا امر بطبعه يخيف و لا- تراح له النفوس فكأن النص القرآني جاء لتصوير ذلك و الايماء اليه [٥٣]...«و يوم نسير الجبال و ترى الارض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا، و عرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا»... الكهف ٤٧/٤٨ تسيير الارض و بروز جبالها من خلال هذا التسيير و حشد الناس الى اللقاء الله عند الحشر الاكبر شيء لم يقع بعد ولكنه واقع يوم تقوم الساعة و اتخذ الله من نبية شاهدا على وقوع ذلك برويته صلى الله عليه و سلم الارض بارزة بكل ما فيها من خفى و منكم و هي رؤية اثبتها الله للنبي ليجعله شاهدا على ذلك و كفى النبي عظمة و جلاله قدر و علو مقام عند ربه ان يشهده الله مثل هذه الاسرار العظيمة...«و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا- يغادر صغيرة و لا- كبيرة الا- أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرا و لا- يظلم ربك أحدا»...

الكهف/٤٩ يذكر النص أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى جموع المجرمين المكذبين قد أحضروا اذ يرون [ صفحہ ١٦٢ ] عاقبة كفرهم و جحودهم يوم كفروا بالله و جحدوا بآياته... و هذه المشاهد كثر عرضها في السور المكية اذ كانت و طأة العقاب الالهى تهز الكفار و المشركين هزا عنيفا... و يلاحظ كذلك ما في العبارات القرآنية من جبروت بياني جد بليغ كان يفعل فعله في نفوس القوم فلا- يجد من لم يكن منهم مقبلا على الايمان غير الصمت المطبق و النكوص بعيدا عن مواقع التلاوة التي كان النبي يصدع سمعهم بها... «لا ترى فيها عوجا و لا أمنا» طه/١٠٧ او قد سبق هذا النص بقوله تعالى «و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا، فيذرها قاعا صفصفا»... و في هذه الرؤية للجبال المنسوفة التي ازال منها كل ارتفاع و شموخ و طول و عرض و هيبه و رهبة أشهد الله نبيه على أنه رأى من تمت اليه مما تناوله الوصف القرآني بالواقع الذي آل اليه... فان الله أراد ان لا يكون النبي بعيدا عن مثل هذه الاحداث التي ينتهي اليها عالم الارض و الجبال. «و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»... الحج/٢ صدر هذه الآية هو قوله تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها...»... لم تكن الساعة تقوم على عهد الرسول و كانت سائر المعلومات في شأنها مشيرة الى ان وقتها مجهول غير معلوم و قوله تعالى: «و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» يقرر أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيرى ذلك المشهد بنفسه حين تقوم الساعة و كان قد رآه اذ قرب الله له ما بعد و ادنى اليه ما نأى عنه. و مثل ذلك نعلمه يقينا و ان كنا لا نعلم تفاصيله في الزمان و المكان و الغيب و الشهادة. اما قوله تعالى في مخاطبة الناس «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها» فهو خطاب لمن سيدركون الساعة و يكونون ممن اذا وقعت كانوا من شهودها. فالامر مختلف بين مخاطبة الناس بذلك و بين مخاطبة الرسول الاعظم به... «و ترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و انبتت من كل زوج بهيج»... الحج/٥ و هذا من بعض مشاهد الطبيعة في عالم الحياة اذ ينزل الله من السماء المطر الذي تنبت به الارض ما تنبت من الخيرات التي ينتفع منها الناس. فالرؤية هنا رؤية واقعية لطرفين كل منهما نقيض الاخر اذ كان احدهما هامدا لا نبات فيه و لا خضرة فاذا به بعد نزول الماء عليه تنبت فيه النباتات التي يأكل منها الانسان و ترعاها الحيوانات... و ايراد هذا النص فيه ما يوحى الى الناس بوجوب شكر الله على عظيم فضله و جزيل نعمه... «و ترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون»... النمل/٨٨ هذه الرؤية للجبال انما هي رؤية لها بعد انهيار عالم الدنيا اذ ذكر الله فيها أن النبي يرى هذه الجبال و هي بين السكون المطلق و الحركة المطلقة و كأن النبي صلوات الله عليه يرى ذلك عن كذب من موقف يطل اخر عهد حياة بها و قد جاء قبل هذا النص قوله تعالى: أن يرى النبي مفردات هذا الكون تتفتت و هي في اخر عهد حياة بها و قد جاء قبل هذا النص قوله تعالى: «و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات و من فى الارض الا- من شاء الله و كل أتوه داخرين»... «... فترى الودق يخرج خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون»... الروم/٤٨ بدء هذا النص قوله تعالى «الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطه فى السماء كيف يشاء و يجعله كسفا»... [ صفحہ ١٦٣ ] الاشارة الى رؤية النبي الودق يخرج من خلال السحاب يراد بها وضوح النعمة الالهية على الناس بالغيث الذى يغيثهم به لتعلم الناس من كفره اهل مكة خاصة عظيم فضل الله عليهم و فى ذاك تعريض لعباد الاوثان التي يعبدونها من دون الله و هي لم تنزل عليهم قطرة واحدة من السماء و لا- أنبتت نبتة واحدة من الارض لاین الامطار و الانبات من خلق الله و متقن صنعه و كريم منته و رحمته... «و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون»... السجدة/١٢ فى هذا النص بعض مشاهد الناس يوم الحشر الاكبر اذ يشتد خجلهم امام ربهم فينكسون رؤوسهم من فرطه و يروحون يتمنون الرجوع الى الدنيا و الى عالم الحياة فيها ليكونوا من اكثر الناس ايمانا و اشد هم تقوى و صلاحا و ليصححوا سوء عملهم عند وجودهم على ظهر الارض اذ كفروا بربهم و جحدوا رساله رسوله. و كان الرسول و هو يراهم على مثل هذه الحالة الزرية المثخنة بالذل و المهانة قد كان قد رآهم فى عالم الحياة على أشد ما يكون المغرورون غرورا و صلفا و جحودا و استخفافا بمعايير الخير و الايمان و الفضيلة و ذاك لما كان يدعوهم الى الله و يحذرهم عاقبة كفرهم و ضلالهم... «و لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند

ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكانا مؤمنين... سبأ/٣١ النص مسبوق بقوله تعالى «و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه...» مشهد الظالمين و هم موقوفون عند ربهم من مشاهد الآخرة و قد جاء النص فى معرض التنويه بان يرى الرسول ذلك المشهد من سائر جهاته فانه مشهد يناقض ما كانوا عليه فى مكة من بطر و كبرياء و عجرفة... «و ترى الفلك فى مواخر لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون»... فاطر/١٢ فى هذا النص بعض مظاهر عظمة الخالق فيما خلق من مفردات هذا الكون مما ينفع الناس و يصلح امر معاشهم. فان الناظر الى ذلك يذهله حسن صنع الله فيما صنع من هذا الكون الشاسع الكبير... و جاءت الاشارة الى رؤية النبى «الفلك» و هى تمخر عباب البحر متهادية على صفحة مائه... و بعض هذه المعانى نوهت بها نصوص قرآنية أخرى... «و ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و قضى بينهم بالحق و قيل الحمد لله رب العالمين»... الزمر/٧٥ الكلام هنا على بعض مشاهد الآخرة و قوله تعالى: «و ترى الملائكة حافين من حول العرش» بيان بأن النبى رأى الملائكة و كانت رؤيته اياهم كثيرة التنوع و منها هذا الذى ينوه به النص اذ رآهم النبى حافين من حول عرش الله العظيم... و فى الآية تعريف بالمشركين الذين ظنوا أن لاصنامهم من العظمة و الخلود مثل الذى لله رب العالمين... «و من آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهترت و ربت ان الذى احيها لمحى الموتى انه على كل شىء قدير»... فصلت/٣٩ الكلام على نزول الغيث و سقوط المطر و اخضرار الارض و حصول الخلائق منها موارد المعيشة تكرر فى القرآن الكريم لما تحمله هذه المعانى من الدلالة على وجود الخالق العظيم و على رائع حكمته اذ خلق الخلائق و خلق أرزاقها و اقواتها من ماء ينزل من السماء فتصبح الارض به مخضرة تنتج للناس ما يأكلون منه و ما ترعاه انعامهم... و قوله تعالى: «و ترى الارض خاشعة» يبدو منه أن رؤية النبى للارض موصوفة بالخشوع هى رؤية نبى حكيم تنفذ نظراته الى مدى بعيد من عالم التبصر و النظر السليم... [صفحة ١٦٤] «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله و لولا كلمة الفصل لقضى بينهم و ان الظالمين لهم عذاب أليم... ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا و هو واقع بهم و الذين امنوا و عملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير»... الشورى/٢٢ الرؤيا هنا تنصرف الى جهتين مختلفتين احدهما جهة الظالمين و هم يلقون الهوان و العذاب الشديد. و جهة المتقين الذين يلقون اللطف الالهى و الجزاء الكريم... و انها حقا لرؤية يستمتع فيها الرائي بصدق وعد الله و صدق وعيده و وجود فئتين تمثل فى وجودهما الحقيقتان المختلفتان... «و ترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون»... الجاثية/٢٨ رؤية النبى هنا تبدو ممتدة الى ابعاد بعيدة اذ شملت امما كثيرة من ذوى الديانات و الكتب السماوية فانها يراها النبى فى ساحة العرض بين يدي الله جاثية جثو من ينتظر صدور القرار الالهى بحقه... و فى هذا اشارة الى مقام رسول الله فى هذه الساحة ان يكون له الاشراف و الشهادة على هذه الخلائق المتعددة الديانات و الاهواء... «يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم»... الحديد/١٢ ان المشاهد الآخروية التى رآها الرسول رأى فيها ما ينعش القلب و يسر النفس من عظيم فضل الله الى امته التى رزقها مغفرته و أثابها فضله فكان لها فى دنياها و آخرها الفوز العظيم... و كأن الله عزوجل يبشر نبيه بهذه البشارة التى لا تعدلها بشارة... «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت»... الملك/٣ ان النص مشار فيه الى ما جاء فى صدر النص قوله تعالى «الذى خلق سبع سماوات طباقا». و فى هذا استشهاد صريح بأن ما خلق الله من هذه الالوان بسماواتها و أروضها ليس فيه من اختلال و تفاوت... ان رؤية النبى فى هذه الحقيقة لرؤية شاء الله أن يقيم منها دليلا و برهانا على عظم خلقه و دقة نظام ملكوته... «فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية» فهل ترى لهم من باقية... الحاقة/٧ الكلام هنا على ما جرى لقوم ثمود من العقاب الالهى العادل اذ سخر العواصف الشديدة التى كانت تفرغ الناس فلا يملك احدهم ان يثبت قدميه فى مكانه حتى كانت النتيجة المشهودة أنهم باتوا على الارض صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية. و الحادث كان قد وقع منذ زمن بعيد... ولكن الله امكن لنبيه رؤية اولئك القوم و هم صرعى يستثير منظرهم العبرة و يستدل به المستدل على ان الله اقوى من كل قوى و أقدر من كل قدير و اعظم من كل عظيم...

## باب انظر

ورد في الخطابات القرآنية ما بدأ الكلام فيه بكلمة «أنظر» و ذلك في معنى الاعتبار و لفت النظر و وضع كل امر في نصابه لان من طبيعة هذا الحرف التركيز على المرئيات يستوى في ذلك ان تكون مادية او ان تكون معنوية... ان في استعمال كلمة «أنظر» ما يشخص الاحداث و الوقائع و يخرجها من الظنيات الى الحقائق المرئية فلا يعرض لها بهذه النظرة شىء من الشك و الارتياب. و قد وجدنا ان القرآن الكريم استعمل كلمات الرؤية بأساليب متعددة و متنوعة و قد شرحنا ذلك في مواقع من الكتاب قصد التوكيد و ابتغاء الكلام على ما هو وارد من العبر و سائر القصص أن يجيء جليا ظاهرا لا يعترضه الشك و الارتياب... [صفحة ١٦٥] «انظر كيف يفترون على الله الكذب و كفى به اثما مبينا»... النساء/٥٠ هذا نص جعل الله النبي شاهدا فيه على الذين وصفهم بأنهم يفترون على الله الكذب الذى هو اثم مبين اى اثم كبير ضخيم غير ضئيل. و الدعوة الى هذا النظر الذى اراد الله من نبيه ان ينظر فى محتواه اضافة الى الاشهاد فيها ما يعرض فى معنى الاستغراب و الانكار و التهكم لان كل واحد يمكن ان يفترى عليه الكذب الا الله الذى يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور. لقد كان القوم قد اتخذوا لله شريكا فكان كفرهم بذلك كفرا بواحا الا انهم رغم ذلك زكوا أنفسهم «الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء و لا يظلمون فتىلا». النساء/٤٩ «انظر كيف كذبوا على انفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون»... الانعام/٢٤ النص مسبق بكلام جاءت فيه كلمة «انظر» التى هى هنا موضحة له و مسببة لوروده و ذاك فى الآيتين «و يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين»... يتحدث النص فى امر فريق من المشركين لقوا الله يوم القيامة بشركهم و قد خوطبوا فى ساحة الحشر فى صدد شركائهم الذين اشركوهم بالله عزوجل اذ طولبوا باستحضار اولئك الشركاء الذين لم يكونوا الا اصناما أو اوثانا أ معابيد اخرى باطله من مثل الشمس والقمر و بعض الاشجار و النار و غير ذلك و قد كان جواب هؤلاء المشركين لفرط غفلتهم و جهلهم انهم راحوا يقسمون الايمان على انهم لم يشركوا بربهم شيئا فى حين انهم امضوا حياتهم على وجه الارض يعاقرون اصنام الشرك و لا يؤمنون بوحدانية الله. و قوله تعالى «ثم لم تكن فتنتهم» المراد بالفتنة انهم كانوا مفتونين غلبت عليهم فتنة الشيطان التى يفتنهم بها اى يستولى على عقولهم و قلوبهم. و فى هذا الموقف يأتى النص القرآنى لافتنا لنظر الرسول صلى الله عليه و سلم الى امر هؤلاء المشركين المخدوعين الذين يظنون انهم اذ لجأوا الى القسم بنفى الشرك عنهم فسيكون لهم فى عالم الحشر من يصدقهم و فى كلمة «انظر» التى هى معقد العلاقة بين ما جاء فى نهاية هذه الآية و بين ما كان قد سبقها من النص القرآنى الذى اوردناه فانه فى كلمة «انظر» لفت لنظر النبي الى ما يقع من اناس يكذبون على الله باقترافهم الشرك و ادعائهم التوحيد فهم نمط من ذوى العقول العارية عن التبصر والاستضاءه لهدى الايمان فانهم يشركون و ينفون انهم اشركوا و يعمدون الى توثيق كذبهم باللجوء الى اليمين الكاذبة و بذلك نبه الله نبيه الى ان يكون على علم بهؤلاء الكذابين الذين كذبوا على انفسهم و ليس على غير انفسهم جاهلين أن ابشع انواع الكذب هو الكذب على النفس و بذلك لم يقع فى يدهم شىء مما ادعوه و تمت فضيحتهم بالكذب الذى كذبه على انفسهم و على ربهم و أخذوا يوم القيامة بجناية شركهم... فى كلمة «انظر» التى خوطب بها الرسول الاعظم اشهاد فيه ما يدعو الى التعجب من فعل اولئك المشركين المكيين و كأنما جاء النص ليوصل الى النبي قدرا كبيرا من العجب و الاستغراب من تصرفات بعض الكفار الذين كانوا قد واجهوه ابان دعوته الى توحيد الله بمثل ما جابهوه به... «انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون»... الانعام/٤٦ النص المنقول جزء من الاية التى اثبتنا رقمها فى السورة و بدؤها «قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم و ابصاركم و ختم على قلوبكم من اله غير الله يأتىكم به»... النص القرآنى يتضمن محاجة فى سلطان الله عزوجل القوم - فى العهد المكى - قال الله فيها ان أخذ بسمعهم و ابصارهم و ختم على قلوبهم اى اغلقها فلم تعد تفكر فى شىء أو تعقل شيئا او تحيط [صفحة ١٦٦] به علما فمن الذى يستطيع ان يرجع اليها هذه الحواس الاساسية فى كل جسم بشرى... ان القصد من هذه المحاجة افهام هؤلاء القوم ان اصنامهم و اوثانهم لا تملك ان تصنع شيئا اذا تعرضت اجسامهم الى هذا

الفراغ من ادوات السمع و البصر و العقل و الحياة... و هنا جاء النص القائل «أنظر كيف نصرّف الايات» اى كيف نضعها فى مواضعها آخذين بالجديّة و صرمة المواجهة بما يكون به الامر واضحاً للمخاطبين...والامر بالنظر هنا مراد به النظر الاعتبارى و ليس النظر البصرى ثم تختم الاية بقوله تعالى «ثم هم يصدفون» اى يميلون و يزيغون عن موقع الاعتبار بهذه الحكمة الالهية العظيمة اذ كان عليهم ان يستوعبوها و يجدوا فيها اضاءة تهديهم الى الايمان. و كلمة «أنظر» هى للعجب من السلوك الذى لجأ اليه القوم بعد وضوح الخطاب الالهى و صمتهم المطبق الذى لم يجيبوا فيه على اصل السؤال و لا بحرف واحد. و هكذا كانت كلمة «أنظر» دعوة للرسول الاعظم الى ان يعجب لهؤلاء الذين تغلب الكفر على كل شىء فيهم. و لم يرعوا و لم ينصاعوا. و فى الآية الكريمة اشهاد للنبي على ما كان من امر هؤلاء المشركين المعاندين مما يستدل به على عظم ثقة الله فى هذا الموقع لرسوله صلى الله عليه و سلم. «أنظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون»... الانعام/٦٥ النص جزء من الاية التى هى «قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعاً و يذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون»... تصريف الآيات يراد به ما يوقعه الله بمن يعاقبهم و ينتقم منهم و ليست هى الآيات بالآيات المتلوّة التى هى مفردات سور القرآن الكريم و انما هى العبر التى يعتبر بها أولو الالباب... و فى النص دعوة الى الاعتبار بالعواقب التى تصيب العصاة من الكافرين و غيرهم و فى ما يتعلق بالرسول الاظعم فى هذا الباب انه احاطه علماً بالعقوبات التى اوقعها بأولئك القوم. و فى باب «قل» ذكرنا بعض ذلك... «فانظر كيف كان عاقبة المجرمين»... الاعراف/٨٤ الازال المعنى الذى تستوعبه كلمة «أنظر» يدور فى اطاره الواحد الذى هو الاعتبار بالعقوبة النازلة بأولئك القوم و كذلك ما يعنى افصاحهم بحيث صارت لهم صورة منظورة يراها رسول الله بعد دهر من وقوعها ليستقر بذلك فى علمه عظم سلطان الله فى كونه و شدة غيرته على حرّماته. «فانظر كيف كان عاقبة الظالمين»... يونس/٣٩ هذا النص جزء من الاية التالفة التى أولها «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم». التكذيب هنا معلل بأن القوم لم يحيطوا علماً بما أنزل الله على الرسل من شرائع و قوله تعالى «و لما يأتهم تأويله» معناه انهم لم يصل اليهم ادراكه و فهمه و فى ذاك وصف لهم بالغباء و البلادة بحيث لم يستوعبوا ما قاله لهم الرسل و قد عاقبهم الله على هذا الموقف السلبي الذى وقفوه من رسالة الرسل الاعظم محمد صلى الله عليه و سلم و قد سماهم الله «الظالمين». و ظلمهم ناشىء من انهم تجاهلوا عمداً حقائق الملة التى جاء بها النبي و قد كانت بلسان عربى مبين هو لسانهم الذى لا يملكون ادعاء جهله و غموض معانيه... و جعل الله المصير الذى صاروا اليه من العقوبة الاليمة منظورا اليه من قبل الرسول الاعظم لبيان ما تعرض له اولئك الكافرون من مفضوح العقاب فان مفضوح العقاب يكون اقسى على المعاقبين من خفائه و انكثامه... [ صفحہ ١٦٧ ] «فانظر كيف كان عاقبة المندرين»... يونس/١٣٣ النص جزء من الاية التى هى «فكذبوه فنجيناه و من معه فى الفلك و جعلناهم خلائف و اغرقنا الذين كذبوا باياتنا». الكلام فى هذا النص على نوح عليه السلام و ما لقي من عدوان قومه و ما كان الله قد اصاب به قومه و عاقبهم باغراقهم و قد وقع ذلك منذ عهد نوح و هو عهد يرجع الى زمن بعيد ولكن الله كشف الصورة كلها امام نظر نبيه العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم ليزداد يقيناً بأنه تعالى قادر ان يصنع مثل ذلك أو ما هو اشد منه فى سائر الذين ينكرون رسالة الله و يوذون رسله... «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للاخرة اكبر درجات و اكبر تفضيلاً»... الاسراء/٢١ التفاضل بين الناس فى معاشهم و فى مداركهم و فى رتبهم و مراكزهم فى الحياة الدنيا يعد مسألة طبيعية ليكون للحياة بهذا التفاوت المعنى الذى يدل على التوسع و التنوع فى عالم الخلق و التكوين و جعل ذلك مما دعى النبي الى النظر اليه ليستقر فى ذهنه أن ذلك هو النظام الحكيم فى هذا الوجود و الناس فى الاخرة بمقتضى تفاوت مكافآتهم التى تجىء وفق اعمالهم و حسناتهم هم ايضا متفاضلون فى الحياة الآخرة... «انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً»... الاسراء/٤٨ ضرب القوم الامثال للنبي صلى الله عليه و سلم هو أنهم اظهروه آونةً بمظهر الساحر و آونةً بمظهر الشاعر و عاملوه بمقتضى هذه التصورات و قد ضلوا حقاً و الضلال هنا يعنى المتاهة التى لا يدرون اى جهاتها توصلهم الى الرأى النهائى لفهم شخصية الرسول اذ انهم كانوا يترددون بين تلك التصورات ما عسى ان يكون النبي فيها هو شاعر ام ساحر ام كاهن ام مجنون... ان الله عزوجل يطلع نبيه على



مقولات خصومه فيه و هي مقولات متهافته و كاذبة تستوجب العجب العجاب لأولئك الخصوم الذين عوقبوا بشتات الرأى الذى هو اصلح عقاب لامثالهم، اما رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يحمل لمثل ذلك من هم لان مقولات القوم هذه تبطل نفسا بنفسها و كان الرسول كما قلنا مشرفا على مثل هذه المواقف التى لم تكن تربكه و تقلق باله. «انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سيلا»... الفرقان/٩ النص فى هذا المقام غيره فى مقام سلف فانه هنا جاء اثر تحديات ساذجة تتضمن شروطا تعجيزية لم تكن لتتحقق و هي ان تحققت لما تبدل من موقف القوم شىء لانهم بنوا مقولا-تهم على المكابرة و المغالطة و العناد...«فانظر كيف كان عاقبة المفسدين»... النمل/١٤ هذا النص جزء من اية جاء فيها قوله تعالى «و جحدوا بها و استيقنتها انفهسهم ظلما و علوا». فى النص الذى جاءت فيه كلمة (فانظر) فى موضع لفت النظر الى عناد القوم فى مكة و اصرارهم على الكفر يتعلقون به بمختلف الحجج الواهنة نرى أن الله عزوجل يتابع ايراد الصفات التى يصف بها اولئك المعنادين بحيث تنوع لا لغرض التنوع و انما لغرض التعدد فأونه يجرى وصفهم بالمكذبين و آونة بالمنذرين و آونة بالمفسدين و المجرمين و الظالمين و هم حقا جدرء بمثل هذا التلقيب الحقيقى العادل...«فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم و قومهم أجمعين»... النمل/٥٧ الكلام على قوم صالح الذين ناصبوه العدا و تنكروا له و صمموا على تصفيته جسديا و ذاك هو [ صفحة ١٦٨ ] معنى المكر انه يعنى التدبير الخفى للقيام بعمل يحيط به الكتمان من كل جانب و على هذا فان قوله تعالى «و مكروا مكرًا و مكرنا مكرًا»... اى اتخذوا خطة خفية للايقاع بصالح عليه السلام و اهله و اتخذ الله أمره فى مواجهة امرهم فخابوا و فشلوا و كان أمر الله مفعولا. «فانظر كيف كان عاقبة الظالمين»... القصص/٤٠ عاقبة الظالمين غرق فرعون باليم و هو ذو ملك و جند و بطش و سلطان ولكن الله اراد القضاء عليه فقضى عليه. و قد كان النص جزءا من اية جاء فيها «فأخذناه و جنوده فبنذناهم فى اليم». و ظاهر فى النص انه يجعل الاعتبار بالعقوبات المنزلة على الطغاة اصلا فى اسباب ورود الاية الكريمة و قوله تعالى «فانظر كيف كان عاقبة الظالمين». مؤداه و محتواه اطلاق النبى على تلك الاحداث التى انتهت بغرق فرعون و جنده [٥٤]...«فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى و هو على كل شىء قدير»... الروم/٥٠ فى هذا النص بيان عظمة الخالق فيما ابدع فى كونه من بدائع و بث من خير و نشر من نعم تستأهل ان ينظر اليها الناظر بتسيح الخالق على ذلك و الموضوع يتطلب التفكير فى العظمة الالهية و ذلك لمتابعة آثار رحمة تعالى بعباده اذ جعل غالب اقواتهم مما زرعه لهم فى ارضه فحماهم من المجاعة. و فى النص كذلك تحد قوى لاولئك الاصنام اذ انها ابطلت المقولات القرآنية ما عسى ان يتسرب الى اذهان الوثنيين المغفلين من ان هذده الاصنام هى التى زرعت و حصدت و افاضت الخير على الناس...«فانظر كيف كان عاقبة المكذبين»... الزخرف/٢٥ النص مسبوق بما يلى «فانقمنا منهم» و الكلام على امم قديمة كذبت أنبياءها فعاقبهم الله بسوء اعمالهم و تفصيل ذلك مذكور قبل النص الذى نحن فى صده... بهذا النص ينتهى ما أوردناه فى باب «انظر» من آيات كان الخطاب فيها موجها الى رسول الله صلى الله عليه و سلم لا-كث من عبرة لها فعلها فى حثه على الصبر و الجلد و الاعتبار و افهام الناس ما فى هذه الايات من مطالب تعليمية و وعظية و قد تكون فيها دوافع اغرائية للمكيين بتقبل عقيدة التوحيد و ما جاء به نبيهم العظيم من هدى و رشاد و طاعة و توبة و انابة الى الله رب العالمين...

## باب اعراض

فى التوصيات القرآنية الموجهة الى الرسول الاعظم و فيها بعض معانى النهى عن ما جاء بلفظ الامر بالاعراض اى عدم الحفول بما يدعى الرسول الى الاعراض عنه لاسباب قد تكون واضحة و ظاهرة و قد تكون معللة فى النص و مشارا اليها فلقد كان الله يلاحظ نبيه فإمره بأمر و ينهاه عن امر... و فى ما يلى بعض النصوص القرآنية الكريمة الواردة فى هذا الباب...«اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم و عظمتهم و قل لهم فى أنفسهم قولا بليغا»... النساء/٦٣ ان المراد بالاعراض هنا عدم التشديد فى العقاب و المحاسبة و ذاك لما يتطلبه الامر من الاخذ بالرفق و حسن التوصية و الموعة... و لقد كان من الادب النبوى الذى هدى اليه الرسول الاعظم ان

يأخذ [ صفحته ١٦٩ ] بهذب الرفق في معاملته من يزيغ عن غير فساد في الارض و اساءة للغير و كفر بالدين و انشقاق عن محجة المسلمين... اذ ان في الاخذ باللين في مثل هذه المواطن ما يفيد في التهذيب و التعليم و تصحيح اخطاء المخطئين... (و يقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا)... النساء/١١١ اي فدعهم و شأنهم حتى يقع منهم من صلاح الحال و اسقامه السلوك و الارعواء الذى يتوقع من كل زائغ غير مقيم على الزيغ... ان معنى الاعراض هنا هو الامر بالرفق و اللين لا سيما اذ كان ذلك من بوادى الخلاف و الخروج عن الطاعة التامة في ايام العهد المدنى... و فى النص تهوين للاحداث على النبى ليخف عن كاهله عبئها فلا يأخذ منه الضجر الشديد مأخذه فان اساءات الناس منازل لا بد للحكيم الحازم أن يصنفها عند الحكم عليها فيجعلها مراتب و درجات يتولى كلا منها بما يستحق من المعاملة فقد يستقيم المنحرف و يعتدل المعوج و ينصاع الزائغ و يتوب المسىء... «سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فالحكم بينهم او أعرض عنهم و ان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا و ان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين»... المائدة/٤٢ النص مقول فى فريق من اهل الكتاب موصوفين بما وصفوا به من التذبذب فى السلوك العقائدى. فهم أكالون للسحت و سماعون للكذب و قد شاءوا القدوم على النبى للاختصاص لديه فيما وقع بين اطراف منهم اذ كان من دأب اناس منهم أن يجدوا لدى النبى فرجا فى الحكم بينهم اذ لا يجدون مثل ذلك لدى رؤسائهم و هذا نمط من الثقة الموقنة و القبول المبدئى بأحكام النبى و قد جعل الله للرسول صلى الله عليه و سلم حق النظر فى مثل هذه الدعاوى و المراجعات لما فى ذلك من لفت النظر الاعلامى الى عدل الرسول فى الحكم و لو بين اهل اديان غير دين الاسلام فان شاء حكم بينهم و ان شاء صرفهم عن مجلسه من غير أن يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه و ذاك حسب جدية الموضوع و لا جديته على ما يتبين للرسول من رأى يومذاك... و يفهم من هذا ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان ينظر اليه من لا يعترف برسالته السماوية من اهل الكتاب و غيرهم نظرة ثقة بأنه اهل للصدق و العدل و الارشاد و النصيحة و الحكم الذى لا- ظلم فيه... و قد جاء فى القرآن فى هذا المعنى قوله تعالى «فلا- و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما» النساء/٦٥... و فى هذا ما يؤكد أن النبى كان اهلا لثقة المحكمين من سائر الناس... (و اذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره و اما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد بعد الذكري مع القوم الظالمين»... الانعام/٦٨ يقع فى مجالس الناس و كان النبى يحضرها ما فيها من كلام يساء فيه الى العقيدة التى جاء بها الرسول و ذلك فى معرض المواجهة، و قد اوصى الله نبيه ان يعرض عن مثل هذه المجالس فيغادرها من دون ضجة و صخب و جدال و ذاك حين لا يتهدى تغيير مسار الحديث و الخوض فى غيره مما لا يساء فيه الى الاسلام و العقيدة... لقد كان النبى طويل الصبر و كثير الحلم فى مواجهة قومه حين فى مواجهة قومه حين يواجهون دعوته بذلك الانكار و الرفض فكان لا يحفل بما يصنعون لانه لا يرى فى معادلتهم من جدوى و انما امره الله ان يعرض عن هؤلاء الذين يخوضون فى آيات الله سدا لمنافذ الجدل الذى لا يهدى الى نتيجة و قد اوصى الله النبى ان يغادر المجلس اذا حصل فيه مثل ذلك الا اذا غير القوم حديثهم الى ما لا ضير فيه... [ صفحته ١٧٠ ] ان النبى صلى الله عليه و سلم كان يقرع اسماع اقوم بمبادئ الدين ثم ينصرف الى غيرهم لانه اذا لازمهم فان ذلك يأخذ من وقته الكثير بل انه يفقد من وزنه الشخصى ما يفقد و هو متميز الشخصية بالوقار و السجايا التى تستحق الاحترام، و قوله تعالى «و اما ينسينك الشيطان» فانه يشير الى ان بعض ما كان يدور فى تلك المجالس يعد مما تشغل به الاسماع عادة من الاحاديث التى تختلط فيها المقولات ما بين جد و غير جد... و يفهم من هذا ان النبى لم يكن ينقطع عن مجالس قومه و تجمعاتهم و الالتقاء بهم فى سائر مجالات الحياة اليومية و فى ذلك دلالة ظاهرة على راسخ حكمته و ثابت حنكته و ان حياته اليومية مع قومه تجمع بين المعاشة الاجتماعية و بين اداء المهمة الالهية المنوطة به و هى الدعوة الى الاسلام و محاربة المعتقدات الباطلة لدى القوم فانه صلى الله عليه و سلم صاحب رسالة جاء بها لتغيير الكثير من عنعنات القوم ضلالاتهم التى كانوا لا يرضون عنها بديلا... فكلمة الاعراض عنهم و صية بأن لا يجعل ذلك مدعاة خصام لا ينتهى الى خير و لا يصل الى المطلوب من الدعوة الى الله... و قوله تعالى «فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين»

فان فيه نمطا من الاحتجاج على سلوك الكافرين و هو كذلك اى مغادرة المجلس مما يحمى المعانى التى كان النبى يدعو اليها و يحرس عليها و لا يتساهل فيها و يظهر عليه الغضب لتجاوزها و الاساءة اليها...«اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو و أعرض عن المشركين»... الانعام/١٠٦ الامر بالاعراض عن المشركين يعنى عدم اطالة الجدل معهم فى سائر ما يقولونه و ذلك تحلما و اتقاء الدخول فى دائرة شقاق عريض...«خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين»... الاعراف/١٩٩ فى هذا النص المكى دعوة الى التعامل وفق متطلبات الخلق السمح الكريم و قوله تعالى «و أعرض عن الجاهلين» اى أمسك عن محاسبتهم على جهلهم و ما يصدر منهم من هنات و سيئات... و فى ذلك يتجلى فى شخصيه الرسول ما كان يتمسك به من حلم و لطف تعامل و حسن تصرف... ان اولئك الجاهلين سيتعلمون يوما ان كان المراد من وصفهم بالجهل العقلى، و سيحسنون التصرف ان كان المراد بالجهل الذى وصفوا به الجهل النفسى و سيلينون و ينصاعون...«فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين» الحجر/٩٤ يوصى النص النبى صلى الله عليه و سلم بالأخذ برأس الأمر و عموده مما تكون له النتائج الناجحة فى مجال الدعوة الدينية و هذا يتطلب عدم التشاغل بلغط المشركين الذين كان غالب جدالهم فارغا من محتوى الرغبة فى الوصول الى الحقيقه المنشوده...«فأعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون»... السجدة/٣٠ سبق هذا النص نص جاد فيه «و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين. قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم و لا هم ينظرون»... و من هنا كان معنى الاعراض الذى امر النبى به عن القوم يعنى عدم التشاغل بما يلغظون به من اقوال لا طائل فيها... و بذلك علم الله النبى الحكمة فى اختيار المواقف التى يصح قبول التحدى فيها و التى لا يصح فيها ذلك...«فأعرض عن من تولى عن ذكرنا و لم يرد الا- الحياه الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى»... النجم ٣٠/٢٩ السورة من أواخر ما نزل على الرسول فى العهد المكى و قبل الخروج الى الهجرة التى هاجر بها النبى الى المدينة... و الامر بالاعراض هنا ينصرف الى من [ صفحة ١٧١ ] تولى عن تقبل الدين و ما جاءت به العقيدة الرشيدة من التوحيد و الايمان بالله رب العالمين ممن شغلته شهوات الحياه الدنيا عن مثل هذه المعانى العالیه... فان انشغال البال به لا طائل فيه و قد جاء فى وصفهم ان مبلغهم من العلم محدود لا- يبشر بخير. و قد ختم النص بقوله تعالى «ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى»... بهذا ينتهى الكلام على مفردات هذا الباب الذى هو باب «أعرض» الذى أحصينا به بعض ما كان يتلقاه النبى من ربه من تنبيهات و توجيهات و كان غالب آيات الاعراض من سمات العهد المكى...

## باب اقل

فى الخطابات القرآنية ما جاء بلفظ «واتل» امرا للرسول بتلاوة نصوص القرآن فى غير مسألة واحدة أو أمر واحد... و فى اللفظة جهر و اسماع لمن يكون فى الساحة التى يتلى فيها ما يؤمر النبى بتلاوته على القوم من المؤمنين و من كفره و مشركين... و فى التلاوة ابلاغ للقوم بما شرعه الله من الاحكام و الفرائض و انما نشير الى ذلك لبيان ما كا يقع على الرسول من تكليف و قد كان الامر الالهى للرسول بالتلاوة ضمن جمهرة الاوامر الالهية التى تلقى الى الرسول لأبلاغ الشريعة التى الناس و كان منها لفظ «قل» و لفظ «أنذر» «واستفتهم»... «و أسألهم» و غير ذلك... و فى ما يلى ما جاء فى القرآن من الخطابات الالهية المبدوءة بلفظ «واتل»...«واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الاخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين، انى أريد أن تبوأ بائسى و اثمك فتكون من أصحاب النار و ذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين»... المائدة ٣٠/٢٧ لآية تتمه فليراجعها من شاء للوصول الى نهاية الكلام القرآنى أمر الله عزوجل رسوله بأن يتلو على الناس قصة ابنى آدم اللذين هما قابيل و هابيل و قد قتل قابيل هابيل و كانا قد قدما قربانا تقبل من هابيل و لم يتقبل من قابيل. و حين جاهر قابيل اخاه بانه سيقته رده عليه بانه لن يعتمد الى قتل اخيه لانه يخاف الله رب العالمين. ولكن قابيل لم يرتدع لهذا الموقف الاخوى الكريم بل اصر على قتل اخيه فقتله... النص القرآنى فيه تهذيب و ارشاد

للناس بان يكون موقفهم مع الاقربين خاصة موقف تراحم و لطف و تسامح و النص القرآني هنا آت لتهديب النفوس التي تتعطش الى الثارات و الانتقام و ما الى ذلك مما يهدم الامه و يضعف من أمر القومية الواحدة التي كانوا ينتمون اليها في حملهم على التعاون و على التغاضي عن هنات الامور و قد عرف العرب بانهم كانوا يستمرؤن الغزو و سبي النساء و ما الى ذلك حتى لو وقع منهم هذا في معامله جيرانهم و ذوى قرابتهم... و آونة على بكر اخينا اذا ما لم نجد الا أخانا و قد اراد النص القرآني الذي أمر به النبي علنا و جهرا على الناس من اجل تصوير صورة البر في تعامل احد الاخوين مع اخيه و في زجر القسوة و الضراوة من قبل احد الاخوين مع الاخر. و الحقيقة ان تلاوة هذه الآيات على الناس بصوت الرسول صلى الله عليه و سلم و بأسلوب التلاوة المنعمه عادة له عظيم التأثير على الاسماع التي تأنس للصوت و تستوعب المحتوى و تتأثر بالمعنى الذي يعنيه مضمون تلك الآيات و هو اسلوب يشبه ما يسمى بوسائل الايضاح التي تقرب المنطوق و المفهوم ممن يراد ايصال ذلك اليهم... و انا لنرى في القرآن الكريم استخداما للقصص لما فيه من تقريب الصورة الموضحة لتفاصيل القضية المعروضة بحيث يكون للنص القرآني فعله الفاعل للناس. و بهذا تؤدي القصه مهمه الارشاد و الموعظة و التلقين التربوي [صفحة ١٧٢] بأحسن اسلوب و اوضح عبارة و اجلى بيان و ألد ما يطرق السمع من كلام و هذا تحقق في قوله تعالى «واتل عليهم نبأ ابني آدم...» بما قد لا- يتحقق في مثله بلفظ آخر...«واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين و لو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض و اتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتذكرون. ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا و انفسهم كانوا يظلمون». الاعراف/١٥٧ في بعض الاحيان يكون النص المكى ذا اسلوب فيه شيء من الصرامة و عند تأمل ذلك نرى تلك الصرامة هي اقل مما يستحق من عوملوا بها و خوطبوا بها و ذاك لفرط عدوانهم و كثرة مساءاتهم و شدة غدرهم و خروجهم على المألوف في خصومه ما يخاصمون من اجله، و من يخاصمون. ان كثيرا من كفار مكة لم يرد في حقهم مثل هذا القول القاطع و ذاك لان كثيرا من كفار مكة انتهى امرهم الى الطاعة و الازعان و اعتناق الاسلام اما من هو في صدد كلامنا عليه فانه لم يسلم و لم ينتفع بما وصل اليه من الدلائل على قبح الشرك و حسن التوحيد و ما الى ذلك مما كان القرآن الكريم ينزل به الى الناس. ان الامر بالتلاوة لا يتطلب بالضرورة ان يكون ما يتلى شيئا ينتمى الى ازمته قديمه بل قد يكون كذلك و قد لا يكون كذلك... و من هنا يكون الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هو من اهل مكة و ما اكثر من كان منهم جديرا بان يقال فيه القول القرآني من تبشيع عمله و اعلان اساءته و الكلام على فرط ظلمه و عتوه من اولئك الذين حار الرسول في أمر اصلاحهم و ارشادهم و قد ذهب بعض اهل التفسير الى ان المعنى بذلك هو أمية ابن ابي الصلت الذي قال النبي فيه انه آمن لسانه و كفر قلبه و نستبعد ان يكون أمية هو المعنى بالنص القرآني لانه في رأينا لا يوصف بانه مثله كمثل الكلب و لا بد انه رجل آخر من كفره اهل مكة او من الكفرة الاخرين الذين هم من خارج مكة و لا نرى هذا الرجل الى آخر عهده بالحياة قد اعتنق الاسلام. و من عادة القرآن ان لا يصرح باسماء الناس من اخيارهم و لا من اشرارهم فان القرآن لم يصرح باسم ابي بكر و هو صاحب رسول الله في الغار و لا- صرح باسم التي جادته في زوجها و لا ذكر من اسامي القبائل العربية احدا و لا ذكر من اسامي ملوك ذلك الزمان اسما و لا من قوميات الناس قومية و لا من معالم الارضين معلما و لا ذكر اسماء زوجات النبي و لا- ذكر نسب النبي و لا- غرابه في ذلك فالقرآن ليس كتاب تأريخ و قد يكون اولاد بعض الكفار من خيرة المؤمنين من امثال عكرمة ابن ابي جهل فان عكرمة صحابي جليل...«واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى و تذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا امركم و شركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غممة ثم اقضوا الى و لا تنظرون فان توليتم فما سألكم من أجر ان اجري الا- على الله و أمرت ان اكون من المسلمين»... يونس/٧١ في قصة نوح التي امر النبي بتلاوتها على الناس عبر تقرب من العبر التي تقع للنبي من قومه. فلقد كان قوم نوح يؤذون نوحا و يعاملونه بكثير من السخرية حتى عندما كان يبنى السفينة مما يدل على شراسة هؤلاء القوم و انعدام الحياء في معامله نبينهم نوح عليه السلام. و ليس الامر الذي نستعجبه من قوم نوح خاصا بهم في معامله نوح ان سائر الانبياء اصابوا من سوء معامله قومهم ما اصابوا فلقد قال قوم عاد لنبينهم هود «انا لنراك في سفاهة و

انا لنظنك من الكاذبين»... الاعراف/٦٦... فرد عليهم قائلا- «يا قوم ليس بي سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين» الاعراف/٦٧... و هكذا نجد [ صفحة ١٧٣ ] الرسل يعانون من بغى قومهم و عدوانهم مالا يصبر عليه الا الرسل المرسلون...والقرآن الكريم فى ما يقصه من قصص الانبياء يثبت به قلب النبى فيجعله يتأسى بسير اخوانه الانبياء الاولين و حين يسمع سكان مكة بمثل ذلك يعلمون أنهم قد حذوا حذو الامم الغابرة فى معاملته نبيهم و لعل فى ذلك ما يخجلهم و يجعل للحياء سبيلا الى نفوسهم و الا فان سلوكهم مع نبيهم كسلوك من سبقهم من الامم مما يجعل الرسول غير مستغرب للذى يقع له من قومه من سوء الخطاب و صلف المواجهة و الاستهزاء و السخرية و انكار الحقائق الالهية التى جاء يدعوهم الى اعتناقها...«واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته و لن تجد من دون ملتحد»... الكهف/٢٧ المراد فى ذلك هو أن يجاهر النبى المشركين و الكفار من اهل مكة بتلاوة القرآن الكريم لما فى ذلك من ابلاغ الرسالة الى الناس بأسلوب فيه ما يغرى القوم بالاصغاء و الاستماع... و للنبى أن يتخير الزمان و المكان لمثل هذه التلاوة بحيث يتحقق بذلك معنى التبليغ و الدعوة و الصدع بما أنزل الله خاصة ان ذلك كان من مهام النبى و من صميم عمله الذى بعث الى الناس لادائه و الجهر به...«واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لآبيه و قومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون. او ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون. انتم و آباؤكم الاقدمون. فانهم عدو لى الا رب العالمين. الذى خلقنى فهو يهدين. و الذى هو يطعمنى و يسقين. و اذ مرضت فهو يشفين. و الذى يميّتى ثم يحيين»... الشعراء ٨١/٦٩ فى النص القرآنى الذى امر الله نبيه أن يتلوه على قومه نقاش فى صدد عبادة الاصنام لو وعاه من يعبد الاصنام لعدل عن عبادتها فذاك لانه نقاش منطقي سليم تبرز فيه حجة التوحيد على حجة الاشراك فى الخالق العظيم. فلقد ذكر ابراهيم عليه السلام من صفات الله مالا- تملكه كلا- و لا- جزءا اصنامهم التى كانوا يعبدون. على أنهم لم يكونوا قد استعملوا العقل و المنطق لعبادة تلك الاصنام و انما ورثوا عبادتها من آباءهم. و فى النص ابطال لكل ذلك و تفنيد له... و فى قصة ابراهيم ما يدفع مشركى مكة و كفارها الى استعمال عقولهم فى مناقشة معتقداتهم الوثنية الباطلة و بذلك يعلمون أن الله لم يبعث محمدا وحده بهذا الامر الرشيد و انما بعث من قبله رسلا كثيرين فى ذات الشأن و المهمة و ذاك الفساد الشرك و ضلال عبادة الاصنام و للهدى الناصع الذى يصل اليه من يعبدون الله و لا يشركون به شيئا...«اتل ما أوحى اليك من الكتاب و أقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر و الله يعلم ما تصنعون»... العنكبوت/٤٥ يميز القرآن الكريم بخصيصه التلاوة العلية و من هنا جاء النص القرآنى «و اذكروا ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله و الحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا» الاحزاب/٣٤... فان ما كان يتلى كان يتلى جهرا لا سرا و رغم ان عباد الاصنام كانوا يجهرون بالالفاظ التى يعبرون بها عن عباداتهم الوثنية و طقوسهم التى يؤدونها عند الطواف بتلك الاصنام و كانت منغمة فان ذلك لم يكن على النمط الذى جاء به الاسلام من حسن الاداء و الترتيل و النطق القرآنى الفصيح الذى علم الله اياه نبيه لتكون تلاوته فى اعلى منازل الصلاة. ففى القرآن الكريم اوضح الله كيف تكون تلاوة القرآن «لا تحرك به لسانك لتعجل به. ان علينا جمعه و قرآنه. فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» القيامة ١٧/١٨/١٩... و فى القرآن الكريم كذلك «و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا» [ صفحة ١٧٤ ] الاسراء/١٠٦... و فى القرآن ايضا «و رتل القرآن ترتيلا» المزمل/٤... فى هذه النصوص جعلت التلاوة نظاما و نهجا و اسلوبا اذ تكون بها التلاوة القرآنية متميزة على سائر ما يتلى و ينشد و يتغنى به...لم تكن فى المؤمنين تجمعات فى مكة على نحو ما صار لهم من التجمعات فى المدينة. اذ كانت الصلاة تؤدى فى المسجد النبوى جهرا فى الفجر و العشاء الاخرة و المغرب. و قوله تعالى «ان قرآن الفجر كان مشهودا» الاسراء/٧٨. يراد به وصف صلاة النبى فى بيته حين يصلى الفجر فيه... اما ما أمر النبى بتلاوته فى مكة فانه كان يقع بالمجامع و المحافل و فى ساحة الكعبة و حيث ما وجد النبى بهذه التلاوة من المناسبات ما يجعله يقوم بادائها علنا... و قوله تعالى «و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» فصلت/٢٦... دلالة على أن هناك من كان يجتمع الى رسول الله من القوم ليسمعوا القرآن و كان هناك من يريد ابعادهم عن سماعه... ان المهمة النبوية الملقاة على عاتق النبى فى هذه التلاوة مهمة ظاهر فيها عظم معاناة النبى للغط قومه و خصومتهم و شجارهم الذى لا ينقطع...

## باب الاستغفار

في آيات الاستغفار ملامح واضحة التعبير عن معان خاصة في شخصية الرسول الاعظم موزعة على اكثر من مناسبة مما سنحيط به علما عند مراجعتنا لتلك الايات على الوجه التالي... ان دعوة النبي الى الاستغفار ينص منها أن على الامة أن تكون اكثر استغفار و اكثر ليأذا بأذيال التوبة و تشبثا برضوان الله عزوجل... «انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله و لا تكن للخائنين خصيما، و استغفر الله ان الله كان عفورا رحيمًا»... النساء ١٠٥/١٠٦ اعتياد النفوس استغفار الله دليل رسوخ التقوى فيها و تألق الايمان في أرجائها و ان لم يكن العبد مشيرا في استغفاره الى خطايا و آثام يسجلها على نفسه فان مطلق الاستغفار بعد عبادة استمرارية يتعبد بها الله على مدى ما يمر عليه من دقائق الوقت و ساعاته... حقا أنها عبادة تكاد تشبه الصلاة من غير اذان و لا اقامة... «استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله و رسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين»... التوبة/٨٠ في هذه الآية نهى عن الشفاعة لقوم كفروا بالله و رسوله و ذاك أن للشفاعة حدودا مرسومة لا يتحقق بتجاوزها شيء مما ينفع من تأتي الشفاعة من اجل الرأفة به او اعطائه حقا حرم منه او التغاضي عن ما بدر منه من اخطاء و مساات... في النص بيان في جماع ذلك. والاستغفار سبعين مرة لا يعنى سبعين بصفتها عقدا عدديا من نحو الثمانين و التسعين و ما الى ذلك و انما كانت العرب تجعل هذا العدد اقصى الاعداد و تأتي به في موضع المبالغة و لذا قال علماء الاصول ان الاعداد لا مفهوم لها... و قوله تعالى «سبعين مرة» لا يعنى سبعين استغفارا بل يعنى سبعين حالة استغفار لتوضيح صورة التكرار الزمنى و تعاقبه كأن يستغفر في الصباح و الضحى و عند غروب الشمس و في منتصف الليل و عند الفجر و هكذا لأن المرة لا تعنى العدد المحدود و انما تعنى السقف الزمنى الذى تقع فيه حالة ما كالطلاق مثلا. فان قوله تعالى «الطلاق مرتان» لا يعنى العدد الحسابى و انما يعنى العدد الزمنى و قوله تعالى «الطلاق مرتان» هو أن يطلقها في شعبان مثلا. ثم يطلقها في رمضان... و المرتان و الثلاث مرات لا تجتمع في مرة واحدة «أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين...» التوبة/١٢٦... فالمره هي مرة و المرتان هما اثنتان لا واحدة. و على هذا يكون [ صفحة ١٧٥ ] جمع المرتين و الثلاث مرات في الطلاق غير متصور... و في القرآن الكريم «و قضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين.» الاسراء/٤... و هما مرتان متباعدتان... ان الشفاعة حق للنبي صلى الله عليه و سلم والاستغفار نمط من انماطها و باب من ابوابها و قد جعل الله للناس حق الشفاعة «من يشفع شفاعه حسنه يكن له نصيب منها و من يشفع شفاعه سيئه يكن له كفل منها» النساء/٨٥... و المراد بالشفاعة السيئه هنا ما يتأتى منه جعل الحرام حلالا و الاثم ثوابا و الكفر ايمانا و نحو ذلك... على ان المهم فى الشفاعة قبولها من قبل الله و من ذلك قوله تعالى «سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم و الله لا يهدي القوم الفاسقين» المنافقون/٦... و عبارة اخرى ان الاستغفار هو الرجوع الى الله بالانابة و التذلل و المتاب اليه و التبرؤ من العودة الى تقصير وقع منه أو سهو أو خطأ أو تسرع أو عدم تورع... «فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله ان الله غفور رحيم»... النور/١٢٢ اي اسأل الله لهم المسامحة و تمحل لهم المعاذير التى تخفف عنهم نفوسهم ثقل اللوم النفسى و النقد الذاتى... و يفهم من مواقفه صلى الله عليه و سلم فى هذه الاستغفارات انه كان كثير الرفق و التلطف فى معاملته من يعايشهم و يعايشونه من المؤمنين و بعض غير المؤمنين و هذا ما كان قد حبه الى الناس و الى بعض ذلك يرجع ارتياح الناس الى الاقبال على اعتناق الدين لأن سلوك الداعية اذا كان رقيقا و سمحا يجعل بذلك الاستجابة و يجد رد الفعل الحسن من سائر الاوساط... «فاصبر ان وعد الله حق و استغفر لذنبك و سبح بحمد ربك بالعشى و الابكار»... غافر/٥٥ المراد بهذه الاوامر انها لم ترد على وجه الابتداء و انما وردت بعد الوقوع قصد الاستمرارية و المثابرة لأن الاوامر الالهية لا تأتى مكدسه تكديسا بحيث يأمر الله نبيه بالصبر ثم بالتسبيح ثم بالاستغفار و الى اخره... ولكن الرسول كان يمارس هذه الامور فجاء النص لتزكية ذلك و الحث عليه و ملازمته... و استغفار العبد كائنا ما كان ذنبه - من ندره و كثرة - حق الله عليه و ان لم يكن متبهما بشيء من التقصير فى حق الله و التفریط فى جنب الله... «فاعلم أنه لا اله الا الله و استغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات و الله يعلم متقلبكم و

مثواكم... محمد/١٩ الاستغفار من بعض ما ينبغي للنفوس ان تتعاطاه اثر معرفة الله فانه من متممات الايمان و من آدابه. و معرفة الله تعنى الالمام بصفاته عزوجل من رحمة و نعمة و قدرة و حكمة مما يهدى العبد الى التقرب من ربه بالتسبيح و الاستغفار و الطاعات المقبولة و ان لم يكن المستغفر مسجلا على نفسه شيئا من الآثام و الاوزار... و اتهام الانسان نفسه بالتقصير فى خدمة ضيف أو زائر كريم أو فى طاعة الوالدين أو التعامل مع ذوى الفضل و المآثر المحموده انما هو من الآداب التى تدخل فى اطار التواضع و حسن المعامله... و اذ كان الاستغفار من هنات الامور و لمهما مطهرا للنفوس و ما حيا عنها ما يستوجب اللوم و التثريب فانه تعالى اذ يدعو فى كل مناسبة الى الاستغفار انما يريد ان يجعل ذلك طهراً تتطهر بها الذات النبوية - على ثبوت قدسيتها - فى جميع الاوقات... «سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلنا اموالنا و اهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً». الفتح/١١ [ صفحہ ١٧٦ ] فى هذا النص ما يوضح أن النبى صلى الله عليه و سلم امتنع عن الاستغفار لهؤلاء الذين فروا من الزحف و لم يقاتلوا مع مقاتلة المسلمين. و الاستغفار لقوم انما يقع عن قناعه المستغفر لهم. و لم يكن النبى هنا قانعاً او مقتنعاً لاستحقاق القوم أن يستغفر لهم ربه او أن يدعوهم بالرفقه و الرحمة لان جريره هؤلاء الناس كانت من نمط الفرار من الزحف و عصيان القيادة النبوية فى امر فيه الذود عن حرمت الامه و صيانته كيانها السياسى و الدفاع عن ذاتيتها التى فى الدفاع عن ذاتيتها دفاع عن ذاتية الاسلام. و المعذرون الذين ادعوا المعاذير لتخلفهم عن اللحاق بجيش المسلمين كانت اساءتهم ثقيله و باهضة لذلك لم يشفع لهم النبى و لم يقبل معذرتهم. و مما يفهم من ذلك أن الشفاعة موقف منطقي لا يتورط الشفيع فيه الا عن بينه و من هنا جاء فى التنزيل العزيز من قوله تعالى: «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» المدثر/٤٨... و مثل قوله تعالى: «ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع...» غافر/١٨. و فى باب التهكم «و لا يقبل منها شفاعة و لا يؤخذ منها عدل و لا هم ينصرون» البقرة/٤٨... «يا أيها النبى اذ جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئا و لا يسرقن و لا يزينين و لا يقتلن اولادهن و لا - يأتين بهتان يفتريه بين ايديهن و ارجلهن و لا يعصينك فى معروف فبايعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم»... الممتحنة/١٢ الاستغفار هنا فى معنى الدعاء لهؤلاء المؤمنات برعاية الله لهن و رضوانه عليهن و تسديد خطاهن و تحقيق ما جرت عليه بيعتهن و قوله تعالى: «فبايعهن» أى واثقهن على ذلك قوم عزمهن فيما مضين فيه. و فى النص اشارة واضحة لحقوق النبى فى قيادته للامة. اذ جاء فيه «و لا يعصينك فى معروف» اى فى أى امر تأمر فئات النساء به و ذاك كذلك حق النبى على الرجال فى قيادته أى فئة منهم فما يحق لاحد منهم أن يعصى النبى فى معروف. و المعروف و العصيان فيه قيد اتفاقى لا احترازى أى ان المعروف سمة ثابتة فى كل اوامره صلى الله عليه و سلم فما يقع منه أن يأمر بغير المعروف. و البيعة هذه هى بيعه عهد على نمط من الايمان مستوف لشرائط الايمان كلها. و فى النص كذلك ايماء الى أن لعالم المرأة فى الاسلام وجوداً معترفاً به فى مجالات الحقوق و الواجبات... اذا جاء نصر الله و الفتح و رأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسيح بحمد ربك و استغفره انه كان تواباً... النصر ٣/١ جرى الكلام فى تفسير هذا النص فى باب التسبيح اما الاستغفار فانه جاء تبعاً لذلك لتقوية ركن العبودية لله عزوجل فان من سماتها التذلل الى الله و افتراض التقصير فى عبادته تعبيراً عن التواضع له و اللياذ به و اعظامه و الاعتراف بربوبيته و فى اختتام النص بقوله تعالى «انه كان تواباً» بيان بأن الله لا يضيع لعباده ثواب حالات التوجه اليه و الخشوع لديه و الاخلاص فى طاعته و الانابة اليه... ان نصر الله هو الغلبة التى يقدرها الله للمسلمين على الكافرين فى كل غزوة و ما كان من نحوها... و الفتح لفظ يعنى النصر الا انه فى هذا النص يعنى فتح مكة الذى يعد اكتساباً لمعقل عظيم من معاقل الكفر يومذاك و ليس مجرد بلد فيه قوم لا يزالون فى يوم الفتح غير مستجيبين للاسلام بل انه البلدة التى تقوم فيها الكعبة المشرفة بيت الله الحرام الذى وقع الاسراء منه الى بيت المقدس... لقد كان فى فتح مكة وردها الى سلطان المسلمين اكمال للحكام الشرعية و اتمام لعقائد الامة اذ يقوم عندها امر الحج و شعائره و مناسكه و قد اقترن بفتح مكة اقبال الناس بحجم كبير على الدخول فى دين الله [ صفحہ ١٧٧ ] لما كان فى ذلك من اشتداد قوة الفئة المسلمة و خذلان القوى المعادية رغم ان المدينة بقيت هى المقر الرسمى للقيادة الاسلامية الى ما بعد وفاة النبى و قيام ثلاثة خلفاء [٥٥] بعده على امر الدولة التى

راحت تفتح سائر الانحاء فى مشرق العالم و مغربه...التسييح هنا يعبر عن تعظيم الله و الثناء عليه فى تحقيقه النصر العظيم الذى لم يكن ليتحقق لولا انه جل جلاله كان يريد تحقيقه... و الامر بالاستغفار ليس مكانه بكائن عند التقصير ابدأ و انما هو امر مستديم يراد به شدة التعلق بعبادة الخالق و الانابة اليه.غير ان اعباء النبوة الملقاة على عاتق اى نبي قد يعلق بها فى بعض الحالات نمط مما يشبه اليأس و استبطاء العون الالهى و شىء من الضجر النفسى من مواجهات الاعداء فان مثل هذه المضجرات لا بد من عروض شىء منها فى حياة الرسل و قد جرت اشارات فى النصوص الى بعض ذلك فكان الاستغفار من أمثالها استغفاراً طبيعياً على وجه التواضع لله و التصاغر امامه عزوجل و بالعصر الحديث حين تنتهى اعمال عسكرية كبيرة تكون عاقبتها النصر و التوفيق فان المجالس التشريعية فى تلك الدول تصدر قانوناً بالعفو عن القائمين بتلك الحركات من غير تحديد او تعيين و قد يكون فيهم الكثير من القادة الذين لم يقع منهم ما يخالف القوانين أو ما يسىء الى أحد من الناس...لقد أوجزنا الكلام على الشفاعة، و موضوعها موضوع يستأهل الكلام الطويل و فى ما مر منه الكفاية...

## باب آرايت

فى هذا الباب يجرى الكلام على ما جاء من كلمة «أرأيت» فى خطاب النبى مرفقه بهمزة الاستفهام اذ ان ذلك يكون فى الغالب محل نقاش و استفسار و عروض امور جديرة بالملاحظة و الاهتمام. و لكل منها فى موردها شأن سيتم شرحه فى ما يلى من النصوص القرآنية الكريمة الآتية...«أرأيت الذى كفر بآياتنا و قال لأوتين مالا و ولدا، أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً، كلا سنكتب ما يقول و نمده من العذاب مداً، و نرثه ما يقول و يأتينا فرداً»... مريم ٧٧/٨٠ النص من نصوص العهد المكى و فيه تذكير للرسول بأحد دهاقته الكفر من المعتدين بأنفسهم و اموالهم و اولادهم و المتباهين بكفرهم و ضلالهم و حين يرد النص بلفظ «أرأيت، أرأيت... فانه يقترن بتتمة يقع بها التعليق على اصل السؤال. و التتمة هنا هى قوله تعالى «كلا سنكتب ما يقول و نمده من العذاب مداً و نرثه ما يقول و يأتينا فرداً». و انما يرد الكلام بلفظ الاستفهام بصيغة «أرأيت» او «أرأيت» تمهيداً للتعقيب على ذلك بالامر الذى يريده الله...«أرأيت من اتخذ الهه هواً أفأنت تكون عليه و كيلاً»... الفرقان ٤٣/٤٣ فى النص لفت لنظر الرسول الى انماط من الناس ركبوا رؤوسهم و أصروا على ضلالهم و أصموا سمعهم عن كل صوت يدعو الى الهدى و الايمان جاعلين هواهم مصدر توجيههم و تحركهم و التصرف فى حياتهم و هذا ما عبر عنه النص بقوله تعالى «اتخذ الهه هواً». و كان التعقيب على هذا الاستفهام هو قوله تعالى «أفأنت تكون عليه و كيلاً»... أى ان مثل هؤلاء لا تنجح فيهم النصيحة و لا ينجح فيهم وعظ و ارشاد و توجيه... [صفحة ١٧٨] «أرأيت ان متعنا هم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون»... الشعراء ٢٠٥/٢٠٧ فى النص اشارة الى أن ما يمد به للكافر من مال و نعيم لا يغنيه شيئاً اذا جاءت ساعة البطش الالهى و حان حين النقمة و العقاب العادل... و فى هذا زجر ظاهر و تحذير واضح للذين تغرهم الحياة الدنيا فلا ينصاعون الى سماع كلمة الحق و الدعوة الى عبادة الى الله و الأخذ بأهداب طاعته و ابتغاء رضاه و عفوه...«أرأيت من اتخذ الهه هواً و اضله الله على علم و ختم على سمعه و قلبه و جعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون»... الجاثية ٢٣/٢٣ فى النص القرآنى اعلام للنبي صلى الله عليه و سلم بلفظ فيه استحضر للحالة المتكلم فيها اذ يراد بها شخص موصوف بكل صفات الضلال الذى تكدر لديه بسبب حرمانه من ادوات العلم و الاعتبار و التبصر و هو لا يرى و لا يسمع و لا يعقل فان من كان كذلك لا جدوى فى افراغ النصيحة فى اذنه لانه اتخذ الهه هواً و اضله الله على علم... و مثل هذه الآيات المكية ترسم للرسول الاعظم خطط الدعوة الناجحة التى يهديه الله اليها و يدعو الى اتباعها. و كان الرسول صلى الله عليه و سلم يتمنى أن يؤمن الناس جميعاً بما جاءهم به من رسالة الاسلام السمحة الكريمة... و فى آيات اخرى خوطب بها الرسول جاء فيها «و ما اكثر الناس و لو حرصت بمؤمنين» يوسف ١٠٣... و يفهم من هذا ان فى كفار مكة من مرد على عناد فى الجهل لا عناد يضاهيه و على اصرار على الكفر لا- اصرار يوازيه. و من لم تجد حقائق الايمان الناصعة الى قلبه سبيلاً فلا ينفع فيه نصح و لا تؤثر فيه موعظة...«أرأيت الذى



تولى، و اعطى قليلا و أكدى، أعنده علم الغيب فهو يرى، أم لم ينبأ بما فى صحف موسى، و ابراهيم الذى وفى، أن لا تزرر وازرة و زر اخرى، و أن ليس للانسان الا ما سعى، و أن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى...» النجم ١٣٣/٤١ الصيغة الواردة بلفظ الاستفهام واردة فى معنى الشرط الذى سيأتى جوابه و ذاك فيما لا حظناه على ما جاء من مثل «أرأيت» من استعمالات بيانية و اسلوبية و الذى تولى هو من انصرف عن الاصغاء الى الدعوة الايمانية فقله تعالى: «واعطى قليلا و اكدى» أى كان تجاوبه مع الخير نزرًا جد نزر و قوله تعالى: «واكدى» تصوير للتوقف عن المضى فى امر يجد الماضى فيه كل جد ثم يتوقف عنه كل التوقف و كلمة «واكدى» تعنى التعرض لكديّة تكون فى طريقه... و الكديّة هى الحجر الضخم الذى لا يملك حافر الارض أن يزيحه من امامه فيتوقف عن الاستمرار فى الحفر و ذاك هو معنى الاكداء فى العطاء... و كان التعليق على ذلك هو قوله تعالى: «أعنده علم الغيب فهو يرى». أى ان هذا الذى تولى أهو مطمئن الى عاقبة امره و مستقبل ايامه اذ يتصور أنه سيكون فى منجاة من عقاب الله عزوجل و مما يسلطه الله عليه من نكال فى الحياة الدنيا والاخرة. «أرأيت الذى ينهى، عبدا اذا صلى، أرأيت ان كان على الهدى، أو امر بالتقوى، أرأيت ان كذب و تولى، ألم يعلم بأن الله يرى، كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندعو الزبانية...» العلق ١٨/٩ الانزال عند قولنا فى أن عبارة - أرأيت - و مثلها - أفأرأيت - تحمل معنى الشرط الذى ينتظر جزاءه و قد تكررت أرأيت هنا ثلاث مرات لتثبيت الصورة المرئية المنقومة منها مع ايراد الجواب عليها فان هذا الذى راح ينهى متعبدا يعبد الله عن صلواته فانه مقترف بذلك اقصى درجات الاثم و هو كذلك ينهى من كان على [صفحة ١٧٩] الهدى ان يستمر على هداة و كذلك ينهى من كان قد امر بالتقوى أن لا يأمر بالتقوى. انه حقا لنمط من الايغال فى الاثم و الجريمة أن يتطوع رجل فينهى عن كل شعيرة من شعائر الخير من غير تأثم او تخرج و كان التعليق الذى جاء وراء ذلك هو قوله تعالى: «ألم يعلم بأن الله يرى». جاء بعد ذلك التهديد بالعقوبة الرادعة اذ قال الله تعالى: «كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندعو الزبانية». و يبدو من النص أن صانع ذلك و مقترف وزره و عاره كان يعتمد على نادى القوم فى افاعيله الشريرة و مواقفه اللثيمة و غروره الذى جاوز فيه حد الاسراف و المبالغة و تحداه الله بأنه اذا دعا ناديه يستعين به فان الله سيدعو زبانية جهنم للبطش به و بمن وراءه...الموقف المصور فى هذا النص هو احد المواقف التى واجهها النبى صلى الله عليه و سلم فى مكة مما يفهم منه و النبى يوم ذاك و حيد يواجه قوة الكفر و الشرك. أن الامر لعظيم و أن المهمة عسيرة و أن امام النبى طريقا غير معبد و هو جد طويل و هكذا كان النبى يؤدى رسالته العظيمة فى مثل تلك الاجواء الدامسة العداة و البغضاء فصلى الله عليه و سلم من نبى كريم و رسول عظيم...«أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم، و لا يحض على طعام المسكين». الماعون ١/٣١ الظاهر فى غالب من يكذبون بالدين و ينكرون رسالة الله التى يحملها الى الناس نبى منهم أنهم لا يعادون الرسل و حدهم و لا يتنكرون لفحوى العقيدة التى يدعون الى اعتناقها و الاخذ بقيم المفردات التى فيها بل انهم يتميزون اضافة الى ذلك بالبراءة من المروءة و الانسانية على ما وصفتهم الاية الكريمة بأنهم يدعون اليتيم و يغمطونه حقه و يعاملونه معاملته من لا- كرامة له. كما أنهم لا يراعون لمسكين و لا جائع و لا حائر حقا يعملون على رده اليه و حفظه له...و سورة الماعون سورة مدنية و ذاك ما اخذنا به من الاقوال التى قيلت فى عائدية السورة على ما اورده غير واحد من المفسرين منهم النيسابورى...

## باب رايه

الخطابات التى يخاطب بها النبى بمثل لفظ «رأيت او ترى» يرد ذلك فى احداث لم تقع بعد و فى احداث وقعت فى قديم الزمان يراد بها مخاطبته بصفته موجودا حيث تصح مخاطبته و من ذلك مثلا قوله تعالى عند قيام الساعة «و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» الحج ٢/... و هو خطاب للرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم نستدل به على ان الرسول معنى بهذا الخطاب و قد خاطبه الله به اذ جعله موجودا يرى قيام الساعة و يرى الناس سكارى من هول ذلك و ما هم بسكارى... و من ذلك قوله تعالى فى قصة اهل الكهف التى وقعت قبل مولد النبى بزمان بعيد اذ جاء فيها قوله تعالى «و ترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم

ذات اليمين و اذا غربت تقرضهم ذات الشمال...» الكهف/١٧... فلقد حكم الله لنيه برؤية ذلك اذ اعتبره موجودا يرى الشمس اذا طلعت على القوم و يراها اذا غربت كذلك... و ما نشير اليه من آيات الرؤيا فى الجدول التالى نذهب فيه الى هذا المعنى من غير شك... الا اذا كان الخطاب بالرؤيا قد وقع على عهده صلى الله عليه و سلم فى مكة او فى المدينة ابان الصدع بما امره الله ان يصدع به من الصدع بهذا الدين العظيم...» و اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله و الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا... النساء/٦١ [صفحة ١٨٠] الخطاب هنا موجه الى الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم و قد أخبر بان المنافقين كانوا يصدون عن النبي كل الصدود حين كانوا يدعون الى الاستماع الى ما أنزل الله... و كان فى هذا التصرف الذى عرف فى القوم اول المشاهد دلالة على النفاق اذ لم يكن المنافقون يملكون من الحدق ما يخفون به امارات نفاقهم، و قد قيل فى الحكم انه (ما أضمر أحد شيئا الا ظهر على فلتات لسانه)... فاذا أنزلت سورة محكمة و ذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم)... محمد/٢٠ رغم أن العرب كانوا فى ايام جاهليتهم اهل سيف و غزو و قتال فان هذا لا ينطبق عليهم جميعا و لذا وجدنا فيهم من لا يشارك فى القتال و يفر من ساحته و يفرغ منه على ما تقصه آيات الذكر الحكيم فى مثل هذه المواطن فى حين أن قتل الحرب فى الاسلام شهيد و لم يكن قتلها قبل الاسلام بشهيد... و الشهيد فى الاسلام حى يرزق ولكن هذا لم يكن كافيا فى تشجيع جناء الناس على خوض غمرات الحرب و الجهاد فى سبيل الله... والآية التى نحن فى صدد الكلام عليها تشير الى أن قوما ممن كانوا قد اعتنقوا الاسلام من العرب عندما نزلت سورة ذكر فيها القتال شخصت ابصارهم الى السماء دليل الرعب و الخوف الشديد و قد راحوا ينظرون الى النبي نظر المغشى عليه من الموت و قد تهكم بهم البارى عزوجل بقوله (فأولى لهم) و هو لفظ يعنى ما يعنيه الويل من التوجع المصحوب بالازدراء...» و يطوف عليهم ولدان مخلدن اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، و اذا رأيت ثم رأيت نعيما و ملكا كبيرا، عاليهم ثياب سندس خضر و إستبرق و حلوا أساور من فضة و سقاهم ربهم شرابا طهورا، ان هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكورا... هذه احدى صور النعيم فى الآخرة جاءت فيها مخاطبة النبي بأنه يرى ذلك...» و رأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا... النصر/٢ هذه رؤيا رآها النبي صلى الله عليه و سلم بعد الفتح المكى اذ صارت الناس تعتنق الاسلام بكثرة كاثرة و تقبل عليه جمهورا بعد جمهور، بعد أن كان الذين يعتنقون الاسلام يقبلون على النبي باعتناق الدين فرادى و بأعداد قليلة جدا...باب)

## واضرب

بعض الخطابات القرآنية التى خاطب الله بها الرسول و الاملاءات التى املاها عليه ما يسبق بكلمة (اضرب) و المراد بذلك ضرب الامثال التى تحتج العبر و المطالب التهديبية و التشريعية و من ذلك قوله تعالى «و اضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب و حففناهما بنخل و جعلنا بينهما زرعاً كلتا الجنتين آتت أكلها و لم تظلم منه شيئا و فجرنا خلالهما نهراً و كان له ثمر فقال لصاحبه و هو يحاوره انا اكثر منك مالا و اعز نفرا و دخل جنته و هو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبىد هذه ابدى و ما اظن الساعة قائمة و لئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه و هو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم نطفة ثم سواك رجلا لكن - هو الله ربي و لا اشرك برى احدا و لو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا و ولدا فعسى ربي ان يؤتىن خيرا من جنتك و يرسل عليها حسابانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا و أحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها و هى خاوية على عروشها و يقول يا ليتنى لم اشرك برى احدا و لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله و ما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا و خير عقبا». الكهف ٤٤/٣٢ [صفحة ١٨١] فى هذا النص حوار بين الكفر و الايمان و بين العقوق و الوفاء و فيه اشعار بنعم الله الكثيرة على الناس و فيه تهذيب و تأديب و تعليم و دروس فى الاخلاق و السيرة الذاتية لكل انسان و الايات المقتبسة هنا كثيرة ناط الله بالرسول ان يشرحها للقوم ليوعظوا بها و ينتهوا الى اتخاذ العبرة منها و ذاك من بعض المهام التى ينهض بها فى قومه...» و اضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح

هشيما تذروه الرياح و كان الله على كل شىء مقتدرا، المال والبنون زينة الحياة الدنيا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير املا». الكهف ٤٥/٤٦ الى هذا النص ما سبق ايراده و التعليق عليه و كانه تلخيص لقصة الحور السالف العرض فان الحياة فى حقيقة امرها ليست الا مسألة زمن مهما طال فهو قصير و مهما زها و نضر فانه يبيت امام عين الناظر و المشاهد شيئا لا شئيه له و فى ذلك تصوير لقدرة الله فى ملكوته. ان اعظم العبر التى يوردها القرآن الكريم هى ما يعتمد على الحواس التى ترى و تلمس و تسمع و تبصر... و كان صلى الله عليه و سلم يأخذ بايضاح هذه الحقائق و استعراض ما تنطوى عليه ما عظات و عبر و ذاك هو القصد من تكليف الله اياه أن يضرب الامثال...حقا ان مشغولية النبى و هو فى بيئته قومه مشغولية دائمة مستمرة كثيرة السبل و الوسائل و هذا يعنى ان اتصال النبى بالجماهير من جاءه منهم و من ذهب هو اليه، انما هو اتصال غير منقطع ابان مسيرة الدعوة على ان السورة مكية و يعنى ذلك ان الاتين الى النبى قليلون و معظم جهده فى الدعوة الى الدين وحث الناس على تقبله و اعتناقه انما يقع ذلك اذ يقصدهم النبى قصدا لا- سيما ان كانوا مجتمعين فى الكعبة او فى مجالسهم او فى القرى التى يشخص اليها و هم هناك، و ذاك من صميم عمل الرسل منذ ظهور الرسالات فلهذا هذا النبى فى مواصلته دعوة قومه الى الايمان لا- يفتر عن ذلك الليل و النهار.» و اضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون، اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون، قالوا ما انتم الا بشر مثنا و ما انزل الرحمن من شىء ان انتم الا- تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون، و ما علينا الا البلاغ المبين، قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم و ليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم أن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون». سورة يس ١٣/١٩ فى هذا النص اشارة الى بعض معاناة الانبياء الاقدمين فى مواجهة اقوامهم فقد كانوا يتحملون اللسان السليط و المجابهة العارية من الرفق و المثخنة بالزجر و قبيح القول و قد امر الله نبيه ان يذكر ذلك فى المثل الذى يضربه لقومه بحيث كان بعض الانبياء يبعثون الى اقوامهم بالجملة (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) على ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان وحده فى الساحة يتلقى من قومه من ضروب الاذى ما يتلقى مما كان يوصيه الله بالصبر عليه...فى هذه الامثال التى امر الله نبيه ان يضربها للناس دروس و احكام و عظات و عبر و لم يرد فى موضوع المثل التى امر الله نبيه بضربها غير هذه المواقع الثلاثة و لا يعنى ضرب المثل ان يقرأ النبى عليهم الايات دون شرح و تأويل و عرض للشريعة بالكلام الذى يتطلبه الموقف لا سيما فى البيئته المكية.

## باب آيات الاتباع

فريق كبير مما نزل من آيات الذكر الحكيم جاء على هيئة خطابات و اوامر الهيئة و جهت الى الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم من مثل (قل) و من مثل «واتل» «و بشر» «و سبح» «واصبر» «وادع» و بعض هذه الاوامر جاءت مسبوقه ب «لا الناهية» و من هذه الصيغ. الصيغة التى استعمل فيها فعل الامر «واتبع» مما نحن شارحوها [صفحة ١٨٢] آيات قرآنية وردت على هذا الوجه و هذه الهيئة مما يعلم به ان الاسلوب القرآنى اسلوب تحكم فيه الجانب البلاغى فكان على مستوى بيانى عال و كان ذلك من بعض معالم الاعجاز فى كلام الله رب العالمين...«الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و نصره و اتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون»... الاعراف/١٥٧ فى عرض ما قصه الله فى القصص القرآنى ايام العهد المكي جاءت الاشارة عند الكلام على موسى عليه السلام الى أن الله خاطب موسى فى شىء مما يتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم و قد جاء وصف القرآن المنزل عليه بأنه النور الذى انزل معه... و نوه بالذين يتبعون هذا الرسول النبى الامى. و الاتباع هو مطلق الانقياد و الالتزام بالسمع و الطاعة... و فى النص بعض سمات العقيدة التى يحمل النبى رسالتها الى الناس و منها أنه يحرم الخبائث و يحل الطيبات و يضع الاغلال عن الناس. و امتدح الله الذين يؤمنون به و الذين يعظمونه و يجلونهم و وصفهم بأنهم المفلحون...«نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك و اذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا- رجلا- مسحورا»...

الاسراء/٤٧ المراد بالظالمين من اسرف في مواجهة الرسول بالعداوة اذ كانوا يلاحقون المؤمنين مستهجين أنهم اتبعوا رجلا مسحورا... و كان القوم يتهمون النبي آونة بأنه ساحر و آونة بأنه مسحور و ذاك من فرط تخليطهم و ابتغائهم الحجة التي يحتاجون بها لانكار نبوة النبي انكارا من غير علم و لا تبصر و انما هو انكار قائم على البغى و التعسف و العدوان و الجهل... و قد تكررت هذه المقولة التي لا محتوى فيها من الجدل السديد فى مواقع اخرى من التنزيل اذ جاءت فى سورة الفرقان الاية الثامنة «و قال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا» مما يفهم منه أنهم استطابوا مقولتهم هذه ولكن الله فى مواجهة ذلك ألقى عليهم صفة الظالمين اى الباغين و المعتدين الناشزين عن العدل و الانصاف و الراكبين متن الجهل و الضلال. و قد كان القوم على اصرار شديد باتباع آبائهم و التمسك بأهوائهم و رفض دعوة من يدعوهم الى الهدى و الرشاد و هذا فى قوله تعالى: «و اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير» لقمان/٢١... و مثل ذلك الاية السبعون بعد المئة من سورة البقرة «و اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا و لا يهتدون»... «اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو و أعرض عن المشركين»... الانعام/١٠٦ الامر الالهى الذى يوجهه الله الى نبيه يحتوى دعوة النبي الى اتباع ما انزل الله عليه و ما اوحاه اليه، و لم يكن النبي منصرفا الى اتباع شىء غير هذا ولكن النص القرآنى جاء بلفظ الاتباع لبيان اهمية القرار الالهى المنزل على النبي و وجوب الالتزام بوحيه تعالى فان ذلك يظهر النبي امام القوم بأنه لا يتلوا النص القرآنى على ما جاء من آيات الامر بالتلاوة فحسب بل انه يوجب عليه ان يتبعه و يستمسك به... [ صفحة ١٨٣ ] و فى النص مما يقوى الامر بالاتباع قوله تعالى فى نهاية الاية «و أعرض عن المشركين» فان الاعراض عن المشركين يعنى الانصراف عن اقوالهم التي يقولونها فى مواجهاتهم النبي و فى اخذهم باللغظ و الجدل الفارغ فى رد دعوة التوحيد... و قد ظهر أن النص القرآنى يرد فى توكيد رسالة الرسول و فى دعوته عليه السلام الى التمسك بالوحي الموحى اليه من ربه كلما حاول الكفار و المشركون اغراء النبي بالعدول عن دعوة القوم الى توحيد الله و رفض عبادة الاوثان و لم يكن ذلك ناشئا عن ميل النبي الى شىء من هذا، ولكن فى امر الله النبي بالتمسك بالوحي و اتباعه ما يروع المشركين و يخيب رجاءهم الذى يسعون اليه فى معركة الشرك و الايمان و كأن ما تكون هذه النصوص الواردة باتباع الوحي والاستمسك به معلنة أن الله عزوجل هو مع نبيه فى صميم المعركة لذلك يظل يؤازر نبيه و يشد عزمه و يقوى رجاءه و يضمن له التوفيق كله فى مسعا... و مثل ذلك النص الذى فى سورة يونس الاية التاسعة بعد المئة و هو قوله تعالى «واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين» يونس/١٠٩... «ثم اوحينا اليك ان اتبع ملء ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين»... النحل/١٢٣ جاء الامر باتباع النبي ملء ابراهيم مقرونا بكلمة الوحي التي هى «ثم اوحينا اليك ان اتبع ملء ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين»... ان اتباع النبي ملء ابراهيم لم يكن على جارى عادة الحنفاء فى الاخذ بما كان عندهم من سنن ابراهيم و بقیة وصاياه و تعاليمه و انما كان الله عزوجل قد اوحى الى نبيه باتباع ذلك و كان هناك من يظن أن النبي تابع الحنفاء على مألوف عباداتهم تلك الايام... ان فى اتباع النبي ملء ابراهيم و تكرر اسم اب الانبياء ابراهيم عليه السلام فى القرآن ما ينوه بقوة آصرة النسب بين الامة العربية و بين ابراهيم عليه السلام «ملء ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل» الحج/٧٨... و فى ذلك اى فى هذا النهج القرآنى المتعلق بتثبيت سيرة ابراهيم فى الثقافة العربية ما يخرس ألسنة اليهود و غيرهم من اللهج بأنهم ابناء ابراهيم دون يعترفوا للاخرين بهذه النبوة و كان اليهود يزعمون يهودية ابراهيم فرد القرآن عليهم قائلا: «ما كان ابراهيم يهوديا و لا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين» آل عمران/٦٧... و فى المصادر العربية و اشعار القوم ما يؤكد هذه الصلة توكيدا تاما. و فى النسب النبوى ما يدل على ذلك دلالة قاطعة و فى التوراة ما ينم عن ذلك و يومىء اليه... «واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا»... الاحزاب/٢ الامر الالهى موجه الى الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم و هو يأمره بأن يتبع ما يوحى اليه ليس فيه ما يومىء الى أن النبي لم يكن ملتزما باتباع ما يوحى اليه ولكن النص جاء بقصد التركيز على هذا الاتباع و ان كان النبي آخذا بهذب هذه الوصية و متمسكا بما يوحى اليه... و لما كانت الشريعة هى شريعة الامة و أن الامة هى التي تتلقى احكام الوحي من الرسول و هى محل الطاعة و العصيان و القبول

و الرفض و لذلك انتقل الكلام من مخاطبة شخصية مفردة هي شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم الى جهة اخرى هي جهة الاتباع و الاقوام الذين [ صفحة ١٨٤ ] جاءهم النبي بالشرعية. لانهم يكون فيهم المحقون المحقوقون. من ابواب البلاغة القرآنية الانتقال او الالتفات بحيث يكون الخطاب لجهة ثم ينتقل الى جهة اخرى و من ذلك هذه الاية: «واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً»... الاحزاب ٢/ أن الالتفات في هذا النص من مخاطبة الرسول الى مخاطبة من ارسل اليهم تستوجه القرائن البيانية. فان ما اوحاه الله الى نبيه انما اوحاه ليلغاه الى هؤلاء الناس الذين خاطبهم قائلاً «ان الله كان بما تعملون خبيراً»... و لم يكن من طبيعة الخطاب القرآني أن يرد النص بما يجعل الخطاب هنا موجها الى النبي و ان كان النص قد بدأ بمخاطبة النبي... «ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها و لا تتبع اهواء الذين لا يعلمون»... الجاثية ١٨/ يشير النص القرآني هنا الى أن النبي محمداً صلى الله عليه و سلم تلقى من ربه شريعة متكاملة و قد أمر باتباعها و نهى عن اتباع ما سواها «و لا تتبع اهواء الذين لا يعلمون»... نفهم من هذا أن الله عزوجل احكم آيات كتابه احكاماً تاماً و كان يتولى هذا القرآن الكريم بحفظه و رعايته و صيانته و حمايته بما كان يلقيه على رسوله من التنبيهات و التحذيرات و بذلك كان هذا القرآن المعجز للعالم... ان كلمة «ثم» جاءت في اول النص لبيان أنها جاءت لحل اكثر من مشكله كانت قائمة هناك و في الايات التي سبقت هذه الاية ما يدل على ذلك «و اتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون»... «لا تحرك به لسانك لتعجل به، ان علينا جمعه و قرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم ان علينا بيانه»... القيامة ١٩/١٦ علم الله نبيه كيف يتلقى القرآن الكريم حين يوحى اليه و كيف يتلوه عندما يتلوه في صلاة و غير صلاة. و النص و ان كان مخاطباً به النبي وحده فان في ذلك ما يومية الى تعليم الامه كيف تقرأ قرآنها و كيف تتلوه: «لا تحرك به لسانك لتعجل به، ان علينا جمعه و قرآنه» و الجمع و القرآنية مما تكفل به الباري عزوجل. و يؤيد ذلك قوله تعالى «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون» الحجر ٩/... و قوله تعالى «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» بيان بأن النبي صلى الله عليه و سلم يتلقى القرآن بقلبه و بسمعه. يجد آياته تطبع في صدره و يراها تتموج في ذهنه و بذلك تكون رواية النص القرآني من اصدق من روى نصاً و نقل قولاً... فالوحي القرآني وصل الى الامه عن طريق رسولها و هو في حرز حريز من كل تعديل و تغيير... «ثم ان علينا بيانه» و المراد بالبيان تنوير بصر النبي و قلبه بما وراء هذه النصوص من احكام الهية مفصلة تنقل الى النبي من غير طريق النص المتلو... ان ورود هذا النص في السور المكية دليل على أن التوعية الالهية للرسول الاعظم كانت منذ بدء الوحي في العهد المكي مما يدل على أن الرسول الاعظم لم يقع منه شيء من التقصير في التلاوة و ذاك لان الله تداركه منذ الهزيع الاول. و لو جاء هذا النص في سورة مدنية لربما قال قوم من خصوم الدعوة الاسلامية. ان النبي وقع منه أن نقل القرآن غير مثبت منه نصاً و منطوقاً و ما اكثر ما يزعم الخصوم و ما اكثر ما يفترون على الله الكذب و هم يعلمون... لا سيما فريق من المستشرقين... [ صفحة ١٨٥ ]

## في باب الاوامر

«خذ العفو [٥٦] و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين»... الاعراف/١٩٩ يتضمن هذا النص حثاً على آداب اخلاقية محمودة هي الاخذ بالعفو و التسامح و اللين و خفض الجناح للناس من اعتذر و من لم يعتذر... و التعامل بالحسنى مع مستحقيها و غير مستحقيها و الاعراض عن الجاهلين أى ان الله يوصى نبيه بأن لا- يجسم زلات الجاهلين و يحملهم مسؤولياتها فان كثيراً من هؤلاء قد يدركون اخطاءهم فيلوذون بالاستغفار و التوبة و تصحيح الاعمال. و النص و ان كان مخاطباً به الرسول صلى الله عليه و سلم فهو مما يقع الخطاب به ايضاً لسائر افراد الامه لان التخلق بهذه الاخلاق يفيد الجميع... و قوله تعالى «خذ» اي تمسك... «خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم و الله سميع عليم»... التوبة/١٠٣ كلمة «خذ» هنا تدل على أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يومذاك في مركز القوة و النفوذ لانه اخذ الاموال قلت او كثرت أمر يتطلب القدرة على اخذها و انتزاعها من ايدي اصحابها و هذا الاخذ أخذ تقضى به الشريعة مع أن أخذ هذه الاموال انما يتم من اجل تطهيرهم و تزكيتهم لانها - أى الاموال -

انما تؤخذ منهم لتوزع على ذوى الاستحقاق من الفقراء و المملقين و اليتامى و المساكين و غيرهم... و قوله عز من قائل «وصل عليهم»... اى ادع لهم و تشفع فيهم فان لهم فى ذلك الخير الكثير...

## باب حرض المؤمنين

التحريض هو الحث بقوة و شدة و اقناع و اغراء فاذا حرضت رجلا- على قوم فان عليك أن تعرف كيف تغرى هذا الرجل باولئك القوم و كيف تقر فى نفسه الامر الذى تريد تحقيقه. فلا بد اذن من بذل جهد و اطالة كلام و معاودة و مراجعة لكى يثمر ذلك ثمرة فى الذين تدعوهم الى ما تريد و حين يأمر الله نبيه بتحريض قوم على القتال فان ذلك يتطلب من النبى أن يعتمد على طاقة الاقتناع التى لديه فى جر القوم الى القتال و حين يأمر الله نبيه بتحريض المؤمنين على قتال المشركين فانه لا- يلزمه باتخاذ خطة معينة أو يلقيه استعمال اسلوب محدد فى هذا الوجه لذا تبقى المهمة يعتمد النبى [صفحة ١٨٦] فى تحقيقها على اقتداره الشخصى و بذلك نعلم أن النبى كان محل ثقة الله لينهض بأخطر المهام التى يأمره بها ولدنيا من آيات التحريض ما ندونه فى هذا الباب. «فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا- نفسك و حرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا و الله أشد بأسا و أشد تنكيلا»... النساء/٨٤ من استيعاب معانى هذا النص نرى ان الامر غير هين اذ جاء فيه ما يصور شدة البأس لدى المشركين و انهم كانوا يتوخون بأسهم هذا ايداء المؤمنين و من اجل كف بأسهم عن المؤمنين فانه يجب على المؤمنين الوقوف فى وجه اولئك الخصوم الذين يتميزون على ما يبدو بشراسة الية و مثل ذلك يتطلب أن تتجه قيادة الامة الى تجميع جمع يحسن اللقاء و يجيد القتال و يصبر فى ساحة المواجهة و مثل ذلك يتطلب ما سماه الله بتحريض المؤمنين فكانت مهمته صلى الله عليه و سلم ان يخاطب القوم بكلام من شأنه فى مثل هذه الملمات ان يكون طويلا و مؤثرا و باعنا اللهمم الراكدة و كان ذلك كذلك. و انما كان ذلك كذلك لما كان عليه الرسول صلى الله عليه و سلم من اقتدار فى الاقتناع و الخطاب و كذلك ما كانت عليه شخصيته من اتصاف بالهيبة و قوة التأثير و فصاحة اللسان و بذلك كان قوله تعالى «و حرض المؤمنين» كائنا فى مكانه الطبيعى و واقعا فى موقعه الحقيقى و لو لا ذلك لكان التحريض آتيا من عند الله بصيغة خاصة... النبى اذن هو الذى علقت به مسؤولية التحريض بدءا و ختاماً... و بدأ النص كما يلاحظ بصدور الامر الى النبى بالقتال و بديهى أن النبى انما يقاتل بجيش يجيشه و يسلحه و ينظم تحركه و توقفه فكان فى ذلك التحريض على ذلك و هو امر كان على النبى ان يتدبره بنفسه و يواجهه ببيانه و اقتداره الخطابى و هو صلى الله عليه و سلم ذو قدرة على ذلك و اهل له... «يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين و ان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون»... الانفال/٦٥ بدأ النص بتسمية النبى و مخاطبته بهذه التسمية و نيط به أن يحرض المؤمنين على القتال. و قد يعد من مطالب التحريض و مفرداته أن يكون على مستوى المعركة و أن تستثار فيه عزائم المحاربيين و هكذا كان الامر فى تلك المعركة اذ جعل على كل مقاتل أن يكون كفاً لعدد من جند الاعداء حدد بالنص ثم أعيد تحديد هذا العدد الى اقل من ذلك بما تبقى به كفة المؤمنين راجحة و قد ذكرنا ذلك و فصلنا الكلام عليه فى مكان آخر من الكتاب غير هذا المكان... لقد ترك الله امر التحريض على القتال الى النبى يتولاه بما عنده من اقتدار قيادى و مهارة عسكرية ثقة منه تعالى بما يملكه نبيه من هذه الاقتدارات و لو لا ذلك لفصل الكلام فى مفردات هذا الموضوع كل تفصيل...

## باب و ما يدريك

ما جاء من هذا الحرف فى القرآن الكريم لم ترد الاجابة عليه بشىء واضح و ظل منكتما و كأنه من الاسرار التى لم يحن الوقت لافشائها و توضيح مقاصدها و معانيها، فان قوله تعالى فى الجمل القرآنية التى وردت فيها كلمة «و ما يدريك» و فى هذه النصوص ظل بعيدا عن الشرح و التأويل. و الجواب لان فى ذلك من بعض مالا يحسن افشاؤه الى يوم يحين امر الله لا فشاء ذلك و كان من

اسباب نزول هذه النصوص في شأن الساعة أن القوم اكثروا من الاستفسار عنها و ذلك في قوله تعالى «يسألک الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة تكون قريبا» الاحزاب/٦٣... «الله الذي أنزل الكتاب بالحق و الميزان و ما يدريك لعل الساعة قريب» الشورى/١٧ و قد نزل نص قرآني آخر و فيه هذا الحرف اي «و ما يدريك» في الاعمى الذي اشارت اليه سورة [صفحة ١٨٧] عبس و تولى و هو قوله تعالى «و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنتفه الذكري» عبس ٤/٣... فانه رغم ظهور ايمانه و اعلان اسلامه فانه لم يتكشف لاحد ما يدل على تزكيتة او انتفاعه من التذکر و على هذا ظلت صيغته «و ما يدريك» تجول في مجال واحد. على أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يكن يدرى من امر ايمان الرجل شيئا... و في استعمال صيغته «و ما يدريك» في هذه النصوص ما يومية الى نوع من التحوار شاء الله أن يجعله بينه و بين رسوله تعبيراً عن التبسط في مخاطبته صلى الله عليه و سلم و لم يقع مثل هذا التبسط في مخاطبة أحد من الانبياء سواه...

## باب و ما أدراك

ما جاء في التنزيل بلفظ «و ما ادراك» يكون له جوابه في ذات النص «و ما ادراك ماهية، نار حامية» القارعة ١١/١٠... و مثل ذلك «و ما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين» الانفطار ١٨/١٧. فلقد جاء بعد ذلك جواب للتفسير «يوم لا تملكك نفس لنفس شيئا... الانفطار/١٩... و جميع ما جاء من هذه الصيغ في القرآن كان متبعا للتفسير و الرد على السؤال... و في ما يلي الايات المنزلة في هذا المعنى... «الحاقة، ما الحاقة، و ما ادراك ما الحاقة، كذبت ثمود و عاد بالقارعة، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، و أما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال و ثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية»... الحاقة ٨/١. «ان هذا الا قول البشر، سألصليه سقر، و ما ادراك ما سقر، لا تبقى و لا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر»... المدثر ٣٠/٢٥ «لأى يوم أجلت، ليوم الفصل، و ما أدراك ما يوم الفصل، ويل يومئذ للمكذبين»... المرسلات ١٥/١٢ «يصلونها يوم الدين، و ما هم عنها بعائنين، و ما ادراك ما يوم الدين، ثم ما أدراك ما يوم الدين، يوم لا تملكك نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله»... الانفطار ١٩/١٥ «كلا ان كتاب الفجار لفي سجين، و ما أدراك ما سجين، كتاب مرقوم، ويل يومئذ للمكذبين»... المطففين ١٠/٧ «كلا ان كتاب الابرار لفي عليين، و ما أدراك ما عليون، كتاب مرقوم، يشهده المقربون، ان الابرار لفي نعيم، على الابرار ينظرون»... المطففين ٢٣/١٨ «و السماء و الطارق، و ما أدراك ما الطارق، النجم الثاقب»... الطارق ٣/١ «فلا اقتحم العقبة، و ما أدراك ما العقبة، فك رقبه، أو اطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة»... البلد ١٦/١١ «انا أنزلناه في ليلة القدر، و ما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر»... القدر ٣/١ «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية و أما من خفت موازينه، فأمه هاوية، و ما أدراك ماهية، نار حامية»... القارعة ١١/٦ «كلا لينبذن في الحطمة، و ما أدراك ما الحطمة، نار الله الموقدة، التي تطلع على الافئدة، انها عليهم مؤصدة، في عمد ممددة»... الهزلة ٩/٤ ان صيغته «و ما ادراك» تعنى زيادة معلومات النبي في مثل هذه القضايا التي تبدأ بالاستفهام عن معنى الحرف و الرد عليه بجواب يأتي بايضاح شاف... و من تمام اهمية الموضوع أن يأخذ الله بيد نبيه اليه ليوقفه على ما هناك من تقديرات عظيمة و اسرار الهية كبرى... [صفحة ١٨٨]

## باب صاحبكم

وردت في القرآن الكريم كلمة «صاحبكم» غير مرة في معاني يرد بها على كفار مكة فان وصف النبي بصاحبهم يومية الى انه صلى الله عليه و سلم كان قائما بينهم و ظاهرا فيهم فاذا نزوه بالسحر أو الجنة و ما الى ذلك فان الكذب و الاختلاق في ذلك ظاهر كل الظهور. و اتهامات الامم لرسولها انما تعتمد على عقائدها المتوارثة من آبائهم و أسلافهم اذ جاءت الرسل لابطالها و نقضها في اقوامهم و بذلك يرى الكفار ان الغاية تبرر الوسيلة... و كلمات السب و الشتم بين الناس يكثر فيها الافتئات و القاء الكلام على عواهنه و الشعر

يعتمد في الهجوم على افتعال التهم و اختلاق المساوىء لتحطيم شخصيات الخصوم. و مما جاء في القرآن الكريم مما وردت فيه كلمة «صاحبكم» ما نسرده هنا: «ما ضل صاحبكم و ما غوى، و ما ينطق عن الهوى». والنجم ٣/٢ يراد كلمة «صاحبكم» هنا يوماً بها الى أن النبي عرف في قومه بالصدق و لم يكن قد ظهر على لسانه من الكذب شيء في سائر تعامله مع الناس... و على هذا لا يصح اتهامه بأنه ادعى ما ليس بحقيقته لان من عرف بأنه ألف الصدق و اطمان الناس الى صحته كلامه و ائتمنوه على مهمات حياتهم من مال و غيره فانه حرى ان لا- ينسب الى الكذب و الزور في سائر ما يقول... «و ما صاحبكم بمجنون». التكوير/٢٢ وورد الجنون عن النبي في هذا المقام جاء رداً على القوم اذ زعموه مجنوناً حين جاءهم بالدين الذي يدعوهم الى التوحيد و ما اليه... و قد عرف في تاريخ كثير من الشعوب اتهامهم المصلحين من رجالهم بالجنون فبات ذلك في حكم ما أتفتت الامم الجاهلة عليه في مواجهة المصلحين و الرسل و غيرهم... «أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه ان هو الا نذير مبين». الاعراف/١٨٤ ادعاء الجنه في شخص ما يتطلب ان تكون هناك مقدمات و شواهد و أدلة على الحالة الجنونية التي يتهم بها من يقال فيه ذلك... و عاب النص القرآني على القوم من مدعى ذلك انهم قالوا قائلهم في النبي من غير تفكير و مراجعة فلو فكروا في الامر و راجعوا مزاعمهم تلك لما قالوا ما قالوه في نبز النبي بالجنه... و انما امرهم الله بالتفكير في مقولتهم هذه من اجل ما يترتب على اتهام احد بالجنه من اضرار جسيمة كثيرة منها اسقاط شخصيته و هدر انسانيه و منع الناس من الوثوق به و الاعتماد عليه و العمل على اضعاف جهده و الحط من كرامته و في ذلك من الظلم ما فيه. و كانت الشعوب القديمة تقسو بحق المجانين و تسلط عليهم صبيانها و تعاملهم معاملة الحيوانات و تخرجهم من دائرة بني الانسان و هذا كله من بعض ما كان يريد من يتهم الانبياء بالجنون الا أن وضوح الحكمة في مقولات الانبياء و حسن تبصرهم و رعايه الله لشخصياتهم كانت في مقدمه ما احبط الله به كيد خصومهم و ها نحن أولاء نرى بعد اربعة عشر قرناً كتاب الله الذي جاء به محمد بن عبدالله لا شيء فيه مما يظهر عليه أثر من الجنه أو يستدل بها على حاله من حالاتها او لون من ألوانها... و يبدو ان الناس بعد حين أمسكوا عن تكرار مثل هذا الزعم. اذ وجدوه لا يفيدهم شيئاً في تبشيع الرسالة التي جاء بها النبي و لا في صرف الناس عنه صلى الله عليه و سلم فان هذه التهمة و ما من قبيلها إنما هي من الباطل الذي تكون له جولته واحدة ثم يضمحل كل الاضمحلال... ان ادعاءات الجنه في النبي لم ترد الا في السور المكية، اما السور المدنية فالامر هناك خرج من التعامل بالمهاترة الى التعامل بمواجهة الجد و الواقع، و لكل قبيل من اهل مكة و المدينة نهج في الجدل و الخصومة... [ صفحہ ١٨٩ ] «قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد»... سبأ/٤٦ في رد ما زعموه من جنه النبي جاء وعظهم في النص بان يتعدوا عن مجلس الاتهام ليكونوا احراراً في التفكير في الموضوع بعيداً عن التاثر و الالتزام بمبدأ التضامن العشوائى بما سبق من وقوع اتفاهم على ادعائهم ما بالرسول من جنه... اى ان يخرجوا عن دائرة الارتباط الجماعى التعسفى للفتنة التي ارادت نبز النبي بالجنه بالحق و بالباطل... و هذا ما عناه النص القرآني من دعوتهم الى التفريق الى اكثر من مجموعة و النظر بعيداً عن المؤثرات المؤثرة فيهم ليظهر الحق بذلك بعيداً عن سلطان القرار الجماعى المتعسف و قد أشرنا الى مثل ذلك في مكان اخر... في قوله تعالى «ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا» التوبة/٤٠ و الكلام وارد في حق ابي بكر الصديق رضى الله عنه فلقد كان ابوبكر حقاً ذا صحبة للنبي منذ أيام الشباب الاول... فهي صحبة كائنه و ليست مفترضة و قد جاءت تحكى الواقع التاريخى لعلاقة الصداقه بين النبي و ابي بكر... و ما سبق من الاشارة الى امر الصحبة في قوله تعالى «و ما صاحبكم» انما هو للتفريق...

## باب سبع

ان التوصية الالهية الموجهة الى الرسول الاعظم بالتسيح تكررت في القرآن الكريم و قد حدد النص القرآني مواقع ذلك في بعض الاحيان فانه أشبه بالورد اليومي الذي يؤدي او يراد تأديته في الليل عند الاختلاء و عند الفراغ من هموم النهار و مطالب الحياة و بالتسيح ملامح و معالم من الاقرار بوحدانية الله و عظم سلطانه و كبير مغفرته و حسن اللياذ به و الاعتماد عليه في الرزق و الصحة



والامان و انجاح المطالب و الوصول الى الغايات والنجاة من محن الزمان و غدرات الايام. و فى التسييح كذلك صدق التعلق بالله و نشدان رحمته و مغفرته مع خلو ذلك من ظنون الرياء لانه غالبا ما يكون فى الليل و الناس نيام او يكون بلسان القلب الذى لا تسمعه الناس انما يسمعه الله و لو سمعته الناس فهو فى موضع التعليم و التلقين و الهداية و الارشاد... ان التسييح نوع من التوبة المستمرة و للتوبة المستمرة عند الله شأن عظيم. ان الامر بالتسييح اذ يطالب النبى به فى كل حين انما هو نوع من اشغال الزمان بما يعد من غذاء الروح و مستلذ الطاعات. و تفهم من هذا أن النبى كان كثير اللهج بتسييح البارى و تنزيهه و حسن الظن به. و فيما يلى ما نشير اليه من آيات التسييح: «واذكر ربك كثيرا و سبح بالعشى والابكار». آل عمران/٤١ فى هذا التسييح جاءت الاشارة الى أنه ورد يؤديه النبى من أول يومه الى نهايته و هو من الاعمال التى تؤدى فى الصلاة و خارج الصلاة... و النص مدنى... «و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون، فسبح بحمد ربك و كن من الساجدين». الحجر ٩٧/٩٨ فى هذا الامر بالتسييح تصبير للنبى على ما يسبب له من ضيق الصدر بفعل مواقف المشركين منه و تحدياتهم اياه. و المراد بالسجود فى هذه الآية مطلق الرضا باقدار الله و الاطمئنان الى لطفه و رحمته. «و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من انا الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى». طه/١٣٠ فى هذا النص امر للنبى للتسييح بما يكاد يستغرق اليوم كله من غير انقطاع عنه مما يتأتى منه ديمومة الابتهاج الى الخالق و اللجوء اليه و الاستمداد من عون و لطفه و سلطانه... «و توكل على الحى الذى لا يموت و سبح بحمده و كى به بذنوب عباده خيرا». الفرقان/٥٨ [ صفحة ١٩٠ ] جاء الامر بالتسييح مقرونا بكلمة الحمد مما يعنى أن يكون التسييح فى معنى الشكر و الثناء على الله لان الحمد غالبا ما يكون تجاه ما يستحق الحمد. «فاصبر ان وعد الله حق و استغفر لذنبك و سبح بحمد ربك بالعشى و الابكار». المؤمن/٥٥ جاء الامر بالتسييح بحمد الله مقرونا بالدعوة الى الاستغفار و الى الصبر و مع التنبيه الى الزمن الذى يقع فيه هذا التسييح و هو العشى و الابكار. و ما جاء من كلمة الاستغفار يراد به الاشارة الى ما كان يقع من النبى ابان العهد المكى من التضجر و التشكى من سوء مواجهات قومه له... «و سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل الغروب و من الليل فسبحه و ادبار السجود». ق ٣٩/٤٠ تعنى كلمة التسييح هنا شكر الله على رعايته نبيه. و اذ لم تكن الصلاة جماعة فى العصر المكى بالحجم الذى عرف فى المدينة، فان النبى كان يسبح لله بعد السجود لما مكنه الله من ادائه على نحو ما امره الله أن يؤديه... و فى الاشارة الى طلوع الشمس و الغروب تنويه بسلامة النظام الكونى الذى هو من صنع الله. اذ انه متصل منذ بدء الخليقة الى نهايتها و فيه دلالة على حسن خلق الله و دقة تصرفه فى ملكوت السماء و الارض. و ان الانسان ليرى من جميل الشكر للخالق العظيم أن يسبحه قبل طلوع الشمس حين يأخذ الكون بالاضاءة و الايضاض بعد ظلمته فتبدو معالم الحياة زاهية و جميلة شيئا فشيئا فى انظار الناس و التسييح قبل الغروب اذ ينتهى اليه النهار و تنتهى اليه شمسها الى عالم جديد يختلف كل الاختلاف و عالم النهار و ان سلطان الله فى التصرف فى كونه يبرز فى مثل هذه اللحظات الدقيقة و ذاك مما يحسن فيه التسييح و تمجيد الله و اعظام شأنه. و فى ذلك من تربية النبى و ترويض لسانه على تسييح الخالق و صرفه الى التدوق بجمال الكون و الحياة فى كل لحظة من لحظات هذا الكون و الحياة... «و اصبر لحكم ربك فانك بأعيننا و سبح بحمد ربك حين تقوم، و من الليل فسبحه و ادبار النجوم». الطور/ ٤٩ ٤٨ ما يكون للنبى صلى الله عليه و سلم من فراغ زمنى فى ليله او نهاره فانه كان يشغله بالتسييح لله تعبيراً عن مصيره لما يلقى من اذى قومه رغم اطمئنانه الى أنه محل رعاية ربه. و قوله تعالى: «حين تقوم» أى تقوم الى صلاتك او بعض عملك فان فى هذا التسييح عوناً على ذلك و هذا من تسييحات النهار و قد اضيف اليه الامر بتسييحات الليل: «و من الليل فسبحه»... و يفهم من هذا ان النبى صلى الله عليه و سلم كان يألف صلاة التهجد و يؤديها منذ العهد المكى... «فسبح باسم ربك العظيم». الواقعة/ ٧٤ [ ٥٧ ]. الامر بالتسييح هنا انما هو تسييح باعلان الشكر لله ازاء ما صنعه فى الخلق من تدبير الامر و حسن تخليق الخلق و ما جعل فى الارض من ضوابط انتظم بها عقد الكائن البشرى لهذا العالم و ذاك أن هذا الامر بالتسييح قد سبق بقوله تعالى فى ذات السورة: «أفرأيتم ما تمنون، أنتم تخلقونه ام نحن الخالقون، نحن قدرنا بينكم الموت و ما نحن بمسبوقين، على أن نبدل امثالكم و ننشئكم فى مالا تعلمون، و لقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون، أفرأيتم ما تحرثون، أنتم تزرعونها ام نحن الزارعون، لو

نشأ لجعلناه حطاما فظلمت تفكهنون، انا لمغرمون، بل نحن محرومون، أفرأيتم الماء الذي تشربون، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون، لو نشأ جعلناه أجاجا فلو لا تشركون، أفرأيتم النار التي تورون، أنتم انشأتم [صفحة ١٩١] شجرتها ام نحن المنشئون، نحن جعلناها تذكرة و متاعا للمقوين، فسبح باسم ربك العظيم». الواقعة ٥٨ / و ما بعدها حتى ٧٤ للتسبيح هنا تسبيح شكر على الطاف الله بعباده و على سابغ رزقه الذي رزقهم به و على ما اودع في حياة الاحياء من خير... «ان هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم».

الواقعة ٩٦/٩٥ هذا التسبيح فيه معنى اعظام العدل في وضع كل شيء في نصابه من حق و باطل و قد جاء ذلك بعد قوله تعالى «فأما ان كان من المقربين، فروح و ريحان و جنه نعيم، و أما ان كان من اصحاب اليمين، فسلام لك من اصحاب اليمين، و أما ان كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم، و تصليه جحيم، ان هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم» الواقعة / ٩٦٩٥٩٤٩٣٩٢٩١٩٠٨٩٨٨. «و انه لحق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم». الحاقة / ٥٢٥١ الضمير في - انه - يرجع الى القرآن الكريم... و التسبيح باسم الله العظيم تسبيح اعظام و اجلال للخالق على ما كان من نزول القرآن و اعزاز امر المؤمنين و اذلال الكافرين... و قد يكون التسبيح ابتداء و اغراء و قد يكون انتهاء و جزاء أي نتيجة أمر من الامر يستوجب شكران النعمة و تمجيد المنعم و اللهج بما يرضى الله من خالص الطاعات. و كريم الثناء عليه بله ثناء... «سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى، و الذي قدر فهدى، و الذي اخرج المرعى فجعله غثاء أحوى». الاعلى ٥/١ هذا التسبيح و ان جاء ابتداء فانما هو في شكر الله و تمجيده على ما من به على خلقه من كبير نعمه و كثيرها... و هي نعم تستوجب التسبيح و من عادة النص القرآني عند الامر بالتسبيح و التوصية به أن تذكر موجبات ذلك و هذا ما وجدناه في سورة الاعلى... «فسبح بحمد ربك و استغفره انه كان توابا»... النصر/٣ الامر بالتسبيح هنا يأخذ صفة الجزاء و الشكران على ما حققه الله للنبي و للأمم من الانتصار على الشرك و اهله و دخول الناس في دين الله افواجا في حين كانوا يدخلون فيه فرادى مع الخوف من تربص الاعداء و اذى الخصوم... ان كلمة التسبيح لا- تعنى ان يقع ذلك مرة او مرتين و لا- تعنى أن يقع ذلك غب الفتح الذي تحقق و انما ينبغى ان يظل هذا التسبيح مستمرا ابد الاحيين و جاء التسبيح مقرونا بالاستغفار تطمينا الى مرضاة الله عن نبيه في فترة الدعوة الى الدين و حمل رسالته الى العالمين عبر العهد المكي و المدني... لقد علمنا أن الرسول كان يتلقى على مدى ساعات ليلة و نهاره الاوامر الالهية لاداء المهام التي يلزمه الله بادائها و قد كان بعضها يرد بلفظ غير الذي يرد ما سواه حتى احصينا عدة الفاظ في هذا الامر منها امر التسبيح و أمر الابلاغ و أمر البشارة و الانذار و السؤال و الاستفتاء و الذكر و النظر و ضرب الامثال و غير ذلك.

## باب ألم تعلم

في بعض الخطابات القرآنية التي خوطب بها الرسول الاعظم ما يرد بلفظ «ألم تعلم» و من ذلك قوله تعالى: «ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، ألم تعلم أن الله له ملك السماوات و الارض و ما لكم من دون الله من ولي و لا نصير» البقرة ١٠٧/٤٠٦. «ألم تعلم» هنا تعنى الاستدلال بقدرة الله على ما يستعبد وقوعه منكم و ذلك. فان آية النسخ هنا تعنى الشرائع اذا ان الاسلام نسخ اليهودية [صفحة ١٩٢] و النصرانية - و نسخ كذلك ما كان هناك من اديان قديمة - و أمر نسخهما يتطلب القدرة العالية على مثل ذلك و لا شك في قدرة الله عليه. و من هنا جاء قوله تعالى «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير» ثم قال بعد ذلك «ألم تعلم أن الله له ملك السماوات و الارض...»... لذا كانت قدرة الله قادرة على التحكم في الاديان و غيرها وفق الحكمة الالهية الحكيمة و بذلك كان استعمال «ألم تعلم» في موقع التأكيد و الجزم على حدوث النسخ في عالم الديانات... و من قال ان هذا النسخ وقع عالم الديانات... و من قال ان هذا النسخ وقع في الآيات القرآنية قلنا ان ذلك لو كان مرادا هنا لما جرى الاستدلال على امكان وقوعه بمثل هذا النص المفصل الدال على عظيم قدرة الله، و ليس لما قالوه مكان في هذا المكان... «ألم تعلم» استشهاد بالرسول لصحة علمه و قوة شهادته على ماتم استشاده عليه صلى الله عليه و سلم فكان ذلك من عظيم ثقة الله به و هو اهل لثقة الله به

و من ذلك ايضا قوله تعالى: «ألم تعلم أن الله له ملك السماوات و الارض يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء و الله على كل شىء قدير»... المائدة/٤٠ ان ملك الله السماوات و الارض و سلطانه على الكون أمر من بديهيات الامور و قوله تعالى «ألم تعلم» اى أأست متيقنا من علم ذلك و من حقيقته و من أن الله اذ يسلك امر السماوات و الارض فان له فيهما التصرف المطلق. و لذلك جاء فى النص «يعذب من يشاء و يغفر لمن يشاء» و التعذيب و المغفرة يتمثل فيهما من صفات الله العنفة و اللطف و العقاب و المسامحة و الاخذ بالشدء و اللين و هو شأن من يملك شيئا و الله خير المالكين... ان استعمال صيغة «ألم تعلم» استعمال ينوه بقيام امره و وجود شىء معلوم و لا يقع مثل هذا المعنى فى ان يقال «اعلم» لان هذه الصيغة تنشئ علما جديدا قد لا يكون معلوما من قبل. و قوله تعالى من مخاطبة النبى «ألم تعلم» ما يعد من قبيل الاعتراف بأن ما يخاطب فى هذا المعنى بهذه الصيغة هو كائن و ثابت و معلوم لديه صلى الله عليه و سلم... «ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء و الارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير»... الحج/٧٠ فى هذا الخطاب الذى هو استفهام تقريرى ما يعد تقريرا للناس يومذاك ممن طال عليهم ان يعلموا ان الله يعلم كل شىء. لأن الله عزوجل اراد بمخاطبة النبى بهذه الصيغة ان الامر جدير ان يكون واضحا و معلوما لأرباب العقوب و الالباب. اذ ان ألوهية الاله من شأنها أن تكون محيطئة بكل شىء علما. على ان فى النص ابرازا لجانب مما يتصف به النبى من العلم و المعرفة لا سيما فى ما يختص بذات البارى عزوجل و صفاته...

### باب فاعلم

من التوجيهات الالهية التى ترد فيما يحمله الوحي الى رسول الله صلى الله عليه و سلم من جديد الامور و الحقائق و ما ينبغى أن يصل الى علم النبى فى جمهرة مفردات العقيدة التى يحمل لواءها الى الناس ما يكون مسبوقا او مبدوءا بلفظ «فاعلم» و من ذلك قوله تعالى: «فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم و ان كثيرا من الناس لفاسقون»... المائدة/٤٩ «فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم و من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين»... القصص/٥٠ ان كلمة «فاعلم» تعنى توثيق المعلومات المبلغة للنبى فى شأن من تولى و عصى و اساء و كفر فان الله اذ قال لرسوله عند الكلام على مصير هؤلاء «فاعلم» فان فى ذلك اشهادا للنبى على أن الله صانع بهم ما يستحقون [صفحة ١٩٣] «فاعلم أنه لا- آله الا الله و استغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات و الله يعلم متقلبكم و مثواكم»... محمد/١٩ فى هذا النص الذى يشير الى وجوب العلم بوجود الله عزوجل نرى ملامح التحدى ظاهره فى ذلك اذ انه ورد فى أعقاب الكلام على الذين قال الله فيهم انه طبع على قلوبهم... ففى كلمة «فاعلم» بيان بقوة هذا المعنى و أهمية ايراده اما امره تعالى للنبى بالاستغفار فذاك فى مجال التوصية بديمومة الاستغفار فى كل حين لما فيه من التقرب المستديم من لطف الله و رحمته...

### باب بشر

من الخطابات الالهية الموجهة الى الرسول الاعظم فى القرآن المكى و المدنى النص الامرى الذى هو - بشر - ... و للبشارة اثر عظيم فى النفوس التى توعدهم بالخير او المغفرة او النصر و قد تكون كلمة «بشر» مكافأة للمبشرين و جزاء على اعمال من الطاعات قاموا بها و قد تكون كلمة «بشر» حاملة معنى الاغراء و الاستحثاث على اداء اعمال يرضاها الله... و فى بعض الاحيان تأتي كلمة البشارة هذه على عكس معناها قصد التهكم بمن ييشرون بعقاب او عذاب. و ذاك من بعض الاساليب البلاغية فى القرآن الكريم و مما جاء فى باب «بشر» ما نسرده فى هذا المجال... «و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل و اتوا به متشابها و لهم فيها ازواج مطهرة و هم فيها خالدون». البقرة/٢٥ «بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا»... النساء/١٣٨/١٣٩ فى هذا

النص ما يشير الى المواجهة التي تثقل على من بشروا بالعذاب الاليم و امعانا في وصف سوء عملهم جاء النص يتكلم على ذلك ببعض التفصيل... و التهكم هنا و الاستخفاف بالقوم ظاهرا بوضوح... «و بشر الذين كفروا بعذاب أليم»... التوبة ٣/ و المعنيون بذلك هم من سبقت الاشارة اليهم في اول النص اذ جاء فيه: «و أذان من الله و رسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين و رسوله فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله و بشر الذين كفروا بعذاب أليم»... على أن المعنيين ببشارة العذاب الاليم أعم من المذكورين لان جميع الكافرين في سائر الظروف معنيون بهذا التهديد الالهى... «و من الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم و يتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين. و اذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لهم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم»... لقمان ٧/٦ فى هذه البشارة و هى لا تتضمن من معانى البشارة شيئا لطمه على وجه من بشروا بها ممن يستحقون هذه اللطمه و فى تفاصيل النص حيثيات هذا الجزاء العادل و العقاب الذى هو وفاق الاستحقاق و كان على النبى أن يواجه هؤلاء بما انزله الله عليه فى شأنه فى الحكم و ذاك ليس بالامر الهين فى مكة لقله انصار النبى و نذرة اعوانه... «و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا»... الاحزاب ٤٧/ هذا النص جاء مسبقا بقوله تعالى: «يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا. و داعيا الى الله بأذنه و سراجا منيرا»... مما يفهم منه ان الرسول كان يوصل الى المؤمنين دائما ببشائر رحمة الله و ما اعده لهم من أجر عظيم و ثواب كبير. فالنبى بهذه الحالة على اتصال دائم غير منقطع بمن لحق به من المؤمنين [ صفحة ١٩٤ ] يفر فى نفوسهم تقبل الله ايمانهم و ثبوته لهم على ذلك... «انما تنذر من اتبع الذكر و خشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة و أجر كريم»... يس ١١/ البشارة هنا مرشحة لمن يستحق المغفرة و الاجر الكريم لأنه اتبع الذكر و خشى الرحمن بالغيب... و هى بشارة تدخل السرور الى النفوس و تشجع الغير الى ان يتمناها لنفسه بعبادة الله و حسن طاعته لأن الامر ينعقد على قاعدة اصولية عامة و كل من كان من الناس على ذلك استحق هذه البشارة. و كان النبى صلى الله عليه و سلم يخاطب من يتوسم فيهم انطباق تلك الصفات و السماوات بحسن موقفه و رفعه مكانته عند الله... «ويل لكل أفاك أثيم. يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصبر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم»... الجاثية ٨/٧ بهذه ننتهى من باب البشائر الالهية الواردة بلفظ «بشر» على أن جمهرة ذلك ما يعد من البشائر الواردة فى التعذيب و الزجر وفقا لجارى عادة الناطقين بالعربية من استعمال الفاظ فى غير ظاهر معناها...

### باب الفضل الالهى على النبى

تتضمن كلمة الفضل صنوفا كثيرة من البر و الخير و النعم معنويها و ماديها لا سيما اذا كانت منسوبة الى الله عزوجل «و أن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم» الحديد ٢٩... و يكون الفضل فى المقامات و المنازل و الدرجات و الرتب و قد اشارت النصوص القرآنية الى عظم فضل الله على النبى فى اكثر من موقع قرآنى و ها نحن اولاء موردون هذه النصوص مقرونه بشرح يسير... «و لولا فضل الله عليك و رحمته لهتم طائفة منهم أن يضلوك و ما يضلون الا أنفسهم و ما يضررونك من شىء و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما»... النساء ١١٣/ فى هذا النص تنويه ببعض مفردات الفضل الالهى على النبى و كان فى ذلك العلم الذى علمه اياه. اذ لم يكن يعلمه من قبل و كذلك الحكمة و الكتاب... و من فضل الله كذلك انه عز شأنه احاط النبى بالامانة و الحصانة فلم يستطع اهل الضلالة و الفتنة ان يضرروه شيئا و جاء فى نهاية النص «و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما»... و فى ذلك دلالة على اتساع نطاق الحذب الالهى على النبى... و فى النص تصريح ظاهر بعظم فضل الله على رسوله اذ وقاه مكايد مكثفة كان اعداؤه يسعون الى ايقاعه فى فخها، و من ظاهر النص نعلم عظم المكر الذى كانوا يمكرونه و المكيدة التى كانوا يكيدها و تهكم الله بهم اذ رد ضلالتهم اليهم... و قرن الله فضله برحمته و هما أمران عظيمان غاية العظم اذ كان الرسول الاعظم ينعم من ربه بالفضل و الرحمة و ناهيك بذلك رعاية و حماية و عصمة... و نفى الله اقتدار القوم على ايقاع الضرر برسوله محمد بن عبدالله. «و ما يضررونك من شىء» و بذلك خاب فآل الخصوم كل خيبة ورد الله الذين كفروا

بغضهم لم ينالوا خيرا... و تلا ذلك من بعض فضل الله و رحمته على رسوله ما جاء التنويه به من أنه تعالى انزل الكتاب عليه و الحكمة و كلاهما من أهم لطف الله السابغ على الرسول الذي جعله الله معدن الحكمة «و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»... و علم الله النبي ما لم يكن يعلم فكان بذلك اعظم الرسل شأنا و أعلاهم قدرا و أقربهم الى ربه مكانة. و ختم النص بالتنويه باللطف الالهي العظيم «و كان فضل الله عليك عظيما»... و في هذا الاطراء السابغ ما يدل دلالة واضحة على جلاله قدر الشخصية المحمدية عند الله، و على نضاعة صفحات سيرتها الكريمة و تاريخها الحافل باللطف العظيم مما كان قد علمه الله نبيه فعلمه النبي أمته و مما كان قد ألقاه اليه من الحكمة فالقاه النبي الى امته [ صفحة ١٩٥ ] و مثل ذلك لا يقال فيه انه زائل غير ثابت و منقطع غير متصل. فالعلم و الحكمة و بصائر الشريعة منتفع بها من قبل سائر البشر الى يوم القيامة. و لو لا أن يكون كذلك لما جاء النص في ذلك بلفظ الفضل الذي تكرر في النص مرتين موصوفا في احدهما بأنه عظيم. «و ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو و ان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده و هو الغفور رحيم»... يونس/١٠٧ في النص ما يثبت ان فضل الله اذا من به الله على احد فانه لا تملك قوة في الدنيا الحيلولة دون ذلك اذ ان فضل الله الذي يسبغه على من يسبغه عليه قائم و واسع و ثابت و مستفيض... «الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا»... الاسراء/٨٧ و ما من شك في ما يملكه النبي من حسن تصرف وجد في اداء المهام النبوية و عظم طاعته للاوامر الالهية. و النص الذي تحقق للنبي صلى الله عليه و سلم كل ذلك مرده الى فضل العظيم على النبي صلى الله عليه و سلم...

### باب لا يحزنك، و لا تحزن

من اجل أن لا يتعرض النبي من جراء اساءات قومه الكثيرة الى انشغال نفسه بالحزن و ما يكدر خاطر كانت هناك آيات قرآنية تنزل في صرف النبي عن الحزن و الهموم فهي أولاه كثيرة و ثانيا يكون تأثيرها على النبي ثقيلًا. و لاجل ان يتحرر النبي من ذلك ليمضى في وجهته الاصلاحية العظيمة كان الله يوصيه بأن لا يجزع و أن لا يحزن و من كان منوطا به ما نيظ بالنبي من مهمة اصلاح البشرية و انقاذها و اخراجها من الظلمات الى النور جدير ان يكون فوق الهم و الحزن و التأثر و الهموم... و فيما يلي من آيات الكتاب المبين ما هو من بعض هذا الحديث... «و لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة و لهم عذاب عظيم»... آل عمران/١٧٤ من الامر البديهي ان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم كان يحزنه انصراف امته الى الكفر و قد اراده الله منقدا لها منه و مخرجا اياها الى نور الهدى من ظلماته... و على هذا كان الله يصبره على تحمل ذلك و يدعوه الى أن يطول حزنه على مواقف قومه من الكفر و الضلال. و قد اكد النص على ان هؤلاء مطبوع على قلوبهم فلا يتأتى من الحزن عليهم بسبب كفرهم شيء من جدوى أو فائدة... «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم و لم تؤمن قلوبهم و من الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه...»... المائدة/٤١ من آيات التصبير على ثقال الهموم و المعاناة الشاقة ما جاء في هذا النص من دعوة النبي الى عدم الحزن لما يقع من مساءات قومه و من اهل الكتاب و قد استقصى النص القرآني مساءاتهم هذه و جرائمهم مما جعلنا للكلام عليه مجالا في آيات المعاناة من هذا الكتاب. و في آية الانعام الثالثة و الثلاثين و هي سورد مكية جاء قوله تعالى «قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبوك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون»... النهي الذي يرد الى النبي عن الحزن في مثل هذه الامور لا يعنى أنها لا تستأهل الحزن فهي في الحقيقة جديرة به ولكن الله يهون على نبيه الامور لثلا تأخذ منه مأخذا عميقا فان الهموم اذا جرت من النفوس في مجار عميقة ادت الى امساكها قليلا او كثيرا عن المضى في وجهتها الجدية الصائبة... و قد جاء النص مشيرا الى تزكية النبي من أن يكون محل تكذيب القوم الذين يجحدون آيات الله. فانهم لا يتهمون النبي بالكذب شخصيا و فيما يقوى قصد التهوين على النبي فلا يذهب بعيدا في الحزن... [ صفحة ١٩٦ ] «و لا يحزنك قولهم. ان الغزة لله جمعيا هو السميع العليم»... يونس/٦٥ القول الذي كان يحزن النبي صلى الله عليه و سلم هو من انماط اقوال الكفار و المشركين لا سيما ما كان منها في ذات الله ما يصل الى هذه العزة بخدش او اساءة... و من هنا كان النهي

الالهى للنبي أن يأخذ منه الحزن أى مأخذ. و فى الاية السادسة و السبعين من سورة يس جاء قوله تعالى «فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون و ما يعلنون»... فان النص اذ يوصى النبي بأن لا يحزن على مقولات المشركين ينوه للنبي بأن ما يحزنه من قولهم انما هو ما يعلنونه و يجاهرون به فى حين أن الله يعلم انهم يكتمون فى صدورهم ما هو شر من ذلك... «لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجنا منهم و لا تحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين، و قل انى أنا النذير المبين»... الحجر ٨٩/٨٨ فى هذا النص و هو توجيهى تربوى و عطى يقول الله لنبيه فيه أن لا- يستكثر ما آتاهم الله من خير نعيم لم يحسنوا مكافأته فيحزن لذلك... و أمره فى نفس الوقت بمعاملة المؤمنين و هم الذين اخلصوا فى عبادتهم و رضوا ما قسمه الله لهم فى حياتهم من رزق يسير وليكن موقفك دائما على مستوى كونك النذير المبين من الله لسائر عباد الله. «و اصبر و ما صبرك الا- بالله و لا- تحزن عليهم و لاتك فى ضيق مما يمكرون»... النحل ١٢٧/ من الايات التى خوطب بها النبي فى شأن ما يدعو الى الحزن و احتمال الهم. و قد نهى عن الحزن لتكون وجهته الى اداء مهمته الرسالية و جهة فى غاية الجد و الحزم و الصبر و قوله تعالى «و لا تحزن عليهم» اى لا تحزن بسبب ما يقفونه من مواقف تجر الى الحزن و الاكتئاب. كما نهاه الله عن أن يكون فى ضيق. و الضيق هو الحزن نفسه و الضجر و القلق مما يبلغك من محاولاتهم التى يدبرونها ضدك... «و من كفر فلا يحزنك كفره لينا مرجعهم فنبتهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور»... لقمان ٢٣/ يشير النص الى ان كفر هؤلاء الكفرة سيكون محل حسابهم و جزائهم و اذ ان الامر كذلك فليس للحزن من فائدة او جدوى لانهم قد أحاط الله بكفرهم علما فتوعدهم بالعقاب الاليم يوم يحاسبهم الله على كفرهم و سوء عملهم... فى هذه الآيات التى دعى الرسول فيها الى عدم الحزن ما يشير الى أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان كثير الحزن لما يراه من سية مقولات المشركين فيه و فى الخالق العظيم و ما يلاحظه كذلك من خبيث تصرفاتهم فان اخلاصه لربه و حرصه على دينه و مهمته فى دعوة الظالمين من قومه الى هدى الله و تقواه بعمله على أن يلوذ بالحزن الذى كان على ما يبدو فى هذه النصوص ثقيل الوطأة عليه و شديد التأثير و لذلك كان الله يتداركه بآيات التهوين و وصايا التخفيف مما يجعل النبي يفىء الى الصبر و يأخذ بهدبه و انها حقا من الغم الذى يكون له معتركة فى الصدور المترعة ايمانا و هدى و مخافة من الله عزوجل...

## باب اقم الصلاة

الصلاة فى الاسلام عمود هذا الدين العظيم لا سيما اذ انها تجعل العبد قريبا من ربه و هى كذلك حين تؤدى مع الجماعة فانها تشعر كل فرد من المصلين بانه جزء من المجموعة و هذا معنى حرصت الشريعة على اظهاره و ابرازه و تشييته فى احكامها و اهدافها و أوامرها و نواهيها... و هاهنا آيات فى هذا الصدد نسردها مقرونة بشيء من الشرح و التأويل... «و أن أقم وجهك للدين حنيفا و لا تكونن من المشركين، و لا تدع من دون الله مالا ينفك و لا يضرك فان فعلت فانك اذن من الظالمين»... يونس ١٠٥/١٠٦ [ صفحته ١٩٧] هذا أمر ينتمى الى ما هو من الامر الواقع. فقد جاء لتثبيت استمرارية ما كان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم قد اعتاده و ألفه من الطاعات... فكان الله يدعو الى ملازمة ذلك. و الخطاب موجه الى النبي اقرار لما هو عليه و تشييته و هو كذلك موجه الى الامة تعليما و استحاثا على الصدق فى العبادة و تجنب نزغات الشرك... و من بارع ما يرد من الاوامر الالهية الموجهة الى الرسول انها يراد بهاد فى كثير من الاحيان مخاطبة افراد الامة على التأويل الذى اشرنا اليه آنفا... و قد حدد النص كذلك فى سورة الروم الآية الموفية على الثلاثين بالصيغة التالية «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون» كما ورد ذلك فى سورة الروم ايضا الاية الثالثة و الاربعين بلفظ «فأقم وجهك للدين القيم قبل ان يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون»... «و أقم الصلاة طرفى النهار و زلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين، و اصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين»... هود ١١٤/١١٥ من مظاهر الاعجاز البلاغى فى القرآن الكريم انه دقيق الاوامر و التوجيهات و ذو عبارات و اساليب من شأنها على تباين حروفها و كلماتها أن تؤدى نفس المؤدى و تعنى نفس المعنى. فقوله تعالى: «و اقم الصلاة

طرفي النهار و زلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين» و قد ختم بقوله تعالى: «و اصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين» اذ تتطلب العبادات الصبر الذي يعد من اهم اشراطها و ملامحها و في القرآن الكريم: «و أمر اهلك بالصلاة و اصطبر عليها»... «أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل و قرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا، و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، و قل رب أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، و قل جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا»... الاسراء ٨١/٧٨ من الاوامر الالهية الوجيهة التي تلقاها النبي صلى الله عليه و سلم من ربه و فيها دعوة الى الصلاة في مواقيت محددة مقررّة... اما قوله تعالى: «و قرآن الفجر» فهذه الصلاة تؤدي في هذا الوقت تبعا للصلوات التي جرى الامر باقامتها عند دلوك الشمس و غسق الليل و ربما أعربت كلمة «قرآن الفجر» منصوبة بنزع الخافض على تقدير و تمسك بقرآن الفجر... و التقديرات هنا كثيرة تشير كلها الى هذا الوجه و كون قرآن الفجر مشهودا اي يشهده الله و الملائكة المقربون على ان الله يشهد كل شيء ولكن قصد الاطراء و تخصيص الفجر به ظاهر في النص اضافة الى ان الفجر هنا ما توضح من الضوء المنتشر في الافق بين يدي طلوع الشمس و في هذا النص تنويه بديمومة الصلاة في كل يوم اذا ان دلوك الشمس و غسق الليل و بزوغ الفجر ظواهر طبيعية تتكرر كل يوم على مدى أيام الزمان. و الامر هنا مشموله به الامة كلها لأن الرسول هو اقوى المؤمنين ايمانا و اشداهم تمسكا بطاعة الله اذا كان أمر بأداء هذه الصلوات فان الامة مأمورة بها من باب أولى... و هذا الخطاب ليس من الخصوصيات الخاصة بالنبي و انما هو مما يدخل في عموميات الخطابات الالهية... «اتل ما أوحى اليك من الكتاب و أقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر و الله يعلم ما تصنعون»... العنكبوت ٤٥/ جاء الامر بالصلاة هنا في مخاطبة الرسول صلى الله عليه و سلم مقرونا بالتنويه ببعض عطاها و آثارها و مزايها اذ جاء القول بانها تنهى عن الفحشاء و المنكر بما تتركه في نفوس المصلين القانتين من آثار تربوية عالية... [ صفحة ١٩٨ ]

## باب واصبر

كان النبي صلى الله عليه و سلم طاقة عظيمة ذات اقتدار اقتحامى و صمود نادر في الصامدين و صبر لا يوازيه صبر في الصابرين و كان ذا جلد و تحمل و تحل بضبط النفس و بعد نظر و رجحان رأى و صلابة موقف حين تجب الصلابة و تسامح حيث يحسن التسامح و بذلك صمد في مكة ثلاثة عشر عاما و في المدينة عشرة اعوام. و لا شك ان بعض ذلك كان استجابة لاوامر الله المنزل عليه بوجوب التدرج بدرع الصبر اذ كانت النصوص في هذا المعنى تكرر على سمعه صلى الله عليه و سلم. بل ان المؤمنين كانوا يوصون بالصبر و التحمل و الحلم و ضبط النفس... و فيما يلي آيات في هذا المعنى نشرحها شرحا يسيرا لنعلم ان الله كان يوصى رسوله به ابدًا... «و اتبع ما يوحى اليك و اصبر حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين»... يونس ١٠٩/ النص يقضى بالالتزام التام بوحي الله المنزل على رسوله و الصبر على ذلك اذ ان وحي الله الموحى الى الرسول فيه الاحكام و الاوامر و الوعد و الوعيد و مجاهرة الكفار بما اعده الله لعقابهم من نار. و في التصريح بذلك للمشركين ما فيه من معاناة جهد كبير، لذا أعقب الله كلمة الاتباع بالصبر، و في النص ما يدل على أن وراء الصبر الذي أمر به النبي فرجا مهما بعد فهو قريب و ذاك معنى قوله تعالى مما جاء في نهاية النص «حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين»... فهو اذن صبر لا- يأس معه لأن اله سيحكم امر دينه و يحقق لرسوله النصر و يعزه و يذل خصومه مالم يسلموا او يؤمنوا... «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين»... هو د/٤٩ ما قصه الله على رسوله في التنزيل مراد به الاعتبار و التأسي اذ كان الرسل قد عانوا من اقوامهم كثيرا من الاذى و التكذيب و على ذلك امر الله نبيه بالصبر كما كان حال اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين اذ كانوا قد أمروا بالصبر كذلك. فيكون للصبر مكانه و موقعه في نفس النبي اذ انه توجيه الهى ألف الانبياء من قبل تلقيه من ربهم و لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم وحده قد جرت توصيته به و ذاك ان الصبر على الخطوب و المصابرة على المعاناة الشديدة امر غير يسير على الصابرين و من هنا كان من تهوين امر الصبر على

النبي ما كان من الاشارة الى ان الرسل الاقدمين عرفوا بالصبر و كتبوا في الصابرين فلقد كانت مهمة الانبياء ذات مهمة النبي صلى الله عليه و سلم لذا كانت الوصية بالصبر موجهة الى الجميع... و الناس هم الناس. و ذوو العقائد الباطلة لا يستطيع تصحيح عقائدهم بين عشية و ضحاها انما يتطلب ذلك ما يتطلب من مجاهدة و صبر و تحمل الهم الثقيل... «و أقم الصلاة طرفي النهار و زلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين، و اصبر فان الله لا- يضع أجر المحسنين»... هود ١١٤/١١٥ و وصف الصابرون بالمحسنين في النص الانف الذكر، و قد دعا الله نبيه الى الصبر بعد أن دعاه الى اقامة الصلاة طرفي النهار و زلفا من الليل و في النص تشجيع للذين يؤدون الصلوات لما فيها من زيادة في البركة و تطهير للنفوس و انها حسنات تمحى بها السيئات... و تضمن النص الاشارة الى أن للصابر اجرا يؤجره الله عليه اذ جاء في النص «فان الله لا- يضع اجر المحسنين»... و الوصية بالصبر في معرض الامر باقامة الصلاة و وصية ذات موقع طبيعي فان اداء الصلاة استمرارية مطردة او متعاقبة امر تحتاج النفوس فيه الى اغراء وحث مستديم... و قد جاء في القرآن الكريم في هذا المعنى «و أمر اهلك بالصلاة و اصطر عليها». [ صفحة ١٩٩ ] «و اصبر و ما صبرك الا- بالله و لا تحزن عليهم و لا- تك في ضيق مما يمكرون»... النحل/١٢٧ في النص ايماء الى بعض منافع الصبر و محاسنه و عطائه و موجباته فانه يعين على تطير دواعي الحزن و تحمل المضايقة من الناس من فرط عدوان الكافرين و قد جاء في ختام النص «ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون»... فبان بذلك ان الصبر من معالم التقوى و الاحسان. و في النص كذلك تعبير على احتمال الهموم و دواعي الاضجار و سوء معاملة من يدعون الى الدين فيصدون عنه أسوأ صدود... و قد يظن ظان أن أمر الله نبيه بالصبر على المكارم يستوجب طول النظر اذ يحسب أن على الله مادام قد ارسل رسله الى الناس ان يدرأ عنهم هذه الهموم و أن يطوع لهم نفوس الناس لكي يستجيبوا لهم بدون تعريض الرسل لما يتعرضون له من معاناة الصبر و ثقل و طأته. و الجواب على ذلك ان الله لو شاء ان يحمل الناس على الايمان به حملا بالسهولة المقترحة لهداهم من غير أن يجشم الرسل عناء القيام بهذه المهمة... «و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه و لا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا»... الكهف/٢٨ في النص تعليمات في مسائل العبادة اذ يوصى الله نبيه بالصبر مع جمهرة من هناك من المؤمنين. و النهى عن اطاعة من اتخذ الهه هواه انما يعنى أن هناك من هم على هذه الشاكلة من العناد و المشاكسة، و لم يكن النبي مطيعهم في شيء الا أن النص اراد و صم القوم بما و صمهم به من غفلة القلب و التفریط في السلوك السديد... «فاصبر ان وعد الله حق و لا يستخفك الذين لا يوقنون»... الروم/٦٠ يتضمن النص دعوة النبي الى الصبر في موقف يعد من اشد المواقف التي يقع الجزع فيها و يكاد ينعدم الصبر و ذاك ان الذين و صفهم الله بأنهم لا يؤمنون و هم فئة المشركين الذين كان سلاحهم الاستخفاف بصاحب الرسالة. فالتوصية الالهية هذه بالصبر تعنى أن لا يستهين الرسول بسلوك الكفار يومذاك مهما كان سلوكا يغلب عليه سلوكهم من الطيش و الحماقه و الجهر بما يؤذى النفوس الكريمة... و هي توصية فيها درس تربوي كريم لضبط النفس و التحلم في مواجهة مساات الجاهلين... «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل و لا- تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا- ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا- القوم الفاسقين»... الاحقاف/٣٥ في النص ايراد لصبر أولي العزم من الرسل ممن ظهروا على مسرح الاصلاح على محاكات اقوامهم الزائغة عن محجة الدين و الهدى... و في دعوة النبي الى الصبر في هذا المقام تشجيع له على تحمل مرارة الصبر و ثقل عبئه. فلقد كان اولو العزم من الرسل قد سموا هذه التسمية - اى اولي العزم - بسبب صبرهم في تحملهم عناء مواجهة امهم برسالات ربهمو قد يكون اولو العزم من الرسل اكثر عددا مما يحصى في هذا الباب... و بهذا يكون القصد اتفاقيا لا احترازيا... «فاصبر على ما يقولون...»... ق/٣٩ بعض الصبر الذي أمر النبي به انما هو الصبر على مقولات يقولها اهل الشرك و هي مما يستثير الغضب و يتطلب الرد و الزجر الشديد... فان في اقوال الالسنه ما هو أشد ايداء من جراحات الأسنة... ولكن الله وصى نبيه بالصبر في مثل هذه الحالات التي كانت تتكرر من جهلة قومه و ضلال الناس هناك... «و اصبر لحكم ربك فانك باعيننا...»... الطور/٤٨ [ صفحة ٢٠٠ ] الدعوة الى الصبر و الامر به قد يكون لاجتياز مساحات من الزمن شديدة القسوة و عظيمة الوطأة و لا يجد الصابر عليها من قوة الرجاء و عظم الامل ما



يهون عليه مشقة الصبر الذى قد يكون فى غالب الاحيان اكثر مرارة مما يراد الصبر عليه و بهذا كان الصبر الوسيلة التى لا بد منها فى مواجهة الخطوب و الهموم و ما اليهما ولكن النص القرآنى ألحق بالصبر الكلمة التالية «فانك باعيننا» فان الدعوة الى الصبر مع هذا التعهد و هذه الموعدة يجعل الصبر على جانب كبير من الاستمرار فيخف بذلك العناء به والتثاقل منه و اللارجاء فى عواقبه، حقا ان قوله تعالى «فانك باعيننا» لتطيب خاطر و يقع معه من عظم الثقة باللطف الالهى و رعاية البارى عزوجل ما هو ذو قدر كبير و حجم عظيم. ان الله عزوجل اذ امر نبيه محمدا بالصبر على قضائه و بلائه و ما يقدره فى عرض مسيرة السيرة النبوية من اقدار تبدو قاسية بعدها من لا يعلم حكمه البارى فى مثل هذه الامور مما يجر الى الاخفاق و اليأس لذا جرد الله ذهن النبى من ان يظن ان الصبر على ما امر بالصبر عليه سيدخل الى نفسه الرعب من الاحداث التى تجد فى ساحة الدعوة الدينية حقا ان كلمة «فانك باعيننا» قربت النبى تقريبا جد قريب من الثقة بالنتائج المرضية وحببت اليه الصبر الذى تعده الناس من ثقال التكليف فان قوله تعالى «فانك باعيننا» قد ملأت اجواء نفس النبى بالامان و الطمأنينة و الفأل الحسن بما سيجد وراء ذلك من احداث و اقدار. و قد طمأن ذلك النبى الى ان ما دعى الى الصبر عليه من حكم ربه لن يكون اقسى مما رأى و تحمل... «فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت اذ نادى و هو مكظوم، لولا أن تداركه نعمته من ربه لنبد بالعراء و هو مذموم، فاجتباه ربه فجعله من الصالحين»... القلم ٥٠/٤٨ قد يكون الصبر ثقيلًا فى مواجهة بعض الامور كالذى وقع ليونس عليه السلام و قد اراد الله ان يقوى القدرة على الصبر لدى نبيه محمد بن عبدالله فلا تجره موجة العدوان و شطط معاملته الكفار الى الجزع. فليصبر ما استطاع الى ذلك سبيلا. هذا النمط من التوصيات الالهية بالصبر فيه جانب عظيم من التربية و التوجيه بضبط النفس و تحمل عبء الدعوة العظمى المرسل بها الرسول الى قومه و انها تستاهل كل الصبر لما وراء ذلك من فوز جد عظيم... «فاصبر صبرا جميلا».. المعارج/٥ ووصف الصبر الذى دعى الرسول الى الاتصاف به بأنه جميل و قد صارت ادبيات العريية تنعت الصبر ابدا بأنه جميل و ذاك نظرا لما يتحقق فى عواقبه من معالم التوفيق و اسباب الخير و النجاح و التيسير... «و لربك فاصبر»... المدثر/٧ كان الامر بالصبر و التوصية به مما جاء فى اول ايام المبعث النبوى و ذاك فى سورة المدثر «و لربك فاصبر»... سورة المدثر من اوائل السور التى نزلت على النبى فى مكة بعد وقت قريب من ابلاغه بالنبوة و الوحي السماوى... «فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثما او كفورا» (الدهر) الانسان/٢٤ قبل هذا النص جاء قوله تعالى «انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا»... و كان حريا ان يكون وراء النص الأمر بالصبر على تحمل ما يواجهه به النبى من الائمة و الغامطين فضل الله عليهم و المنكرين عظيم سلطانه. و يبدو- و هو امر طبيعى - ان الساعين فى هدم الدعوة الاسلامية كانوا يريدون النبى يقلع عن دعوته و ينسحب من المجال الذى فتحه لنفسه فى مواجهة الشرك السائد لدى القوم. والآثم و الكفور صفتان تدلان على وجود رهط من المعاندين الذين لا يتوقع ارعواؤهم و انصياعهم الى الهدى... و الآثم و الكفور انما سميا هذه التسمية بما يتقمصانه من قميص الشر و اللدد فى الخصومة و قد [صفحة ٢٠١] يكون فى الناس من ينكر الدين الجديد و لا- يرضى ان يبدل من اجل التوحيد ما هو عليه من عبادة الاوثان ولكنه لا يوصف أبدا بالآثم و الكفر و مثل هؤلاء يكون اذاهم غير ذى شأن ولكن من يروح بغلالة العناد و الاعتداد بعقيدة الوثنية التى لا يرضى الا بالجهر بها فأولئك يكون شرهم شديدا و عدوانهم كبيرا و لذا قال الله «و لا تطع منهم آثما او كفورا» فمن هنا نعلم جسامه الصبر الذى امر الرسول به فقد كان يملا آفاق حياته صلى الله عليه و سلم... ان هذا النص يرينا ان النبى كان على جانب من الصمود و القوة فى مواجهة انماط من الخصوم الذين وصفوا فى النص القرآنى بانهم أولو إثم و عناد و كفر بواح و تجاهل لكل الدلائل التى توثق الوثائق و تؤيد الحقائق. بهذا يتم الكلام على آيات الصبر و التصبير التى يلاحظ أنها من الايات المكية اذ كانت المواجهات يومذاك جد قاسية و عنيفة مما يتطلب الصبر و ضبط النفس و التحلم فى حين أن مواجهات الخصوم فى العهد المدنى كانت تتطلب التبصر و أخذ كل حالة بما يلائمها من الحكمة و دقة التصرف...

من الخطابات القرآنية التي خوطب بها الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم ما بدأ الخطاب بلفظ (ألم تر) لفتنا لأنظار النبي الى أحداث و أمور وقعت في أزمنة شتى و كذلك كان منها ما حدث في زمنه و كان على شيء من العلم بها و في استعمال هذا الحرف ما يدل على أن الله أراد أن يوصل الى نبيه تلك المعلومات والانباء والاحداث على وجه اشهاده عليها و اشراكه في وقوع عليه بها ليكون ما يرد من ذلك في القرآن الكريم حجة على من سبق من الامم و الرسل و ما وقع لقومه و لغيرهم من ذلك اذ كان النص يستحضر الصورة بكامل اطرافها لتكون في متناول استيعاب النبي صلى الله عليه و سلم. و فيما يلي مما جاء في التنزيل العزيز من الايات التي تدخل في هذا الباب قوله تعالى: «ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم و هم ألو ف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون»... البقرة/٢٤٣ قال الشوكاني في تفسير هذه الآية [و الغرض من ايراد هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد (والمعنى ان الحذر من الموت و ترك الجهاد لاجل ذلك لا ينجي من الموت ان اراده الله)]. «ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا قالوا و مالنا أن لا- نقاتل في سبيل الله و قد أخرجنا من ديارنا و أبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم و الله عليم بالظالمين، و قال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا و نحن أحق الملك منه و لم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم و زاده بسطة في العلم و الجسم و الله يؤتى ملكه من يشاء و الله واسع عليم». البقرة/٢٤٧ ٢٤٦ في قوله تعالى هنا «ألم تر» ما يستحق الاستغراب لسوء عمل القوم و قد جاء النص القرآني و كأنه الصورة المصورة التي تكاد ترى بالعين المجردة. و أخبار بنى إسرائيل ذات الصيت السيء متكلم عليها في القرآن بكثرة. و في النص إشارة الى أصول الملك و شروط الملك اذ كان القوم يريدونه من ذوى الثروات الطائلة ولكن نبيهم صحح رأيهم في ذلك فأفهمهم أن هناك معايير لتولى الملك و ذكر منها أن الله اصطفى ذلك الملك [صفحة ٢٠٢] عليهم و زاده بسطة في العلم و الجسم و يفهم من ذلك ان الله اذ يملك الملوك يمنحهم طاقات عالية لم يكونوا يملكونها من قبل فاذا كان ذلك هو أمر الملوك فان امر الانبياء يكون اكثر استئصالا لبسطة العلم و الجسم و القدرات الاخرى بحجم اكبر من ذلك. «ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى و يميت قال أنا أحيى و أميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين»... البقرة/٢٥٨ في (ألم تر) هذه صورة صورها الله لنبيه و قد ظهر فيها ابراهيم عليه السلام و هو يعلن رسالة الله الى ملك زمانه الذى ادعى ردا على ابراهيم انه يحيى و يميت و لم يناقشه ابراهيم فى كيفية هذا الاحياء و الاماتة لان قاعدة الجدل فى هذا المقام تقتضى جر من يجادل فيه الى الاعتراف بالعجز ليكون ذلك ابطالا- لربوبيته لذلك انتقل ابراهيم الى موضوع اخر أفحم به مدعى اللوهية اذ قال له (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) و بذلك بهت الذى كفر. ان مدعى اللوهية هذا لو كان قد طالب ابراهيم بأن يدعو ربه بالآتيان بالشمس من المغرب لا من المشرق لكان ذلك كذلك مشيرا الى بطلان ألوهيته لان أى عجز يصدر ممن يدعى اللوهية عن تنفيذ شيء مما هو من اختصاص الربوبية فانه لدليل قاطع على فقدان ربوبيته و حسب قوم ان هذا الذى حاج ابراهيم فى ربه لو قال ذلم لجعل ابراهيم فى حيرة من أمره ولكن ابراهيم كان قد أعد لذلك الملك المنكر لألوهية الله و الزاعم صلفا و جهلا أنه هو الاله: سيلا من الحجج التي تبطل ألوهيته من طريق اعلانه العجز الكلى عن الاستجابة بما يراد منه و يقترح عليه... أما الوهية الله رب العالمين فأنها الوهية ثابتة له سبحانه و تعالى أأجاب الناس الى ما أرادوه أم لم يجبهم الى ذلك اذ ان موضوع المناقشة قائم بين بشر و أله. و لله عزوجل قوانينه الطبيعية لا يخرقها نزولا على رغبات و مسائل جدلية كائنه ما كانت أما مدعى اللوهية من البشر فان عليه أن يثبت استئصاله للقبها مهما كلفه الامر من غير أن يلوذ بالعجز و الصمت بما يجعله مفتضحا بين الذين يدعوهم الى عبادته. «الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم و هم معرضون» آل عمران/٢٣ فى هذه الآية ما يستثير العجب من فعل قوم من اهل الكتاب دعاهم النبي صلى الله عليه و سلم الى الاحتكام الى كتابهم فتملص فريق منهم من ذلك... و قد وصفهم القرآن - و هم من احبار اليهود - بأنهم أوتوا نصيبا من الكتاب أى أنهم لم يكونوا ذوى

علم بالكتاب كله. والحادث ليس من اخبار التاريخ القديمة و انما هو من الحوادث المعاصرة التي وقعت في العصر المدني مما يفهم به أن (ألم تر) ترد في الكلام على المشاهد القديمة والحديثة. «ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة و يريدون أن تضلوا السبيل». النساء/٤٤ في (ألم تر) هذه و ما بعدها استخفاف بأهل الكتاب الذين يرتقب منهم و يتوقع ان يكونوا دعاء هدى و خير لا دعاء كفر و ضلالة و في (الم تر) هذه مما يدعو الى القاء نظرة احتقار لهؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب لجهلهم و فساد تصرفهم و خروجهم على ما يزعمون من قيم دينهم. «ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء و لا يظلمون قتيلا». النساء/٤٩. في (ألم تر) هذه اشهاد للنبي فيما يقع من أناس كانوا يومذاك يزعمون في انفسهم المزاعم و يدعون الدعاوى الكبار و هم على غير ما يعرف الله فيهم، و الله هو الذى يزكى من يشاء من عباده. [صفحة ٢٠٣] أن من آداب الاسلام أن لا يزكى الانسان نفسه فيجعلها في مقام العصمة التي لا يصل اليها أثم و لا معصية فان ظهور ذلك في الناس يسقط حقائق الاشياء و يغرى الناس بتصديق الكاذبين و الادعاء و في ذلك ما يجر عليهم من الضرر الجسيم ما يجر. و في (ألم تر) هذه تعبير صريح عن الازدراء بمثل هؤلاء الناس و قد جعل النبي محل الاستشهاد على أمثال هذه الزمر الضالة. «ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا»... النساء/٥١ في (ألم تر) هذه يدعو الله نبيه الى العجب من موقف أناس ممن أوتوا الكتاب اذ يخرجون عن عهده دينهم الذى هو دين التوحيد ليروحا يزكون عبدة الاوثان و الاصنام... ان في (ألم تر) هذه فضحا لموقف شنيع يفضل فيه اهل الكتاب فئة المشركين و عبدة الاوثان على عبدة الله المسلمين فكان النص يلفت نظر النبي الى غريب ما يقع من اهل الكتاب فى المدينة ليعلم الله بذلك خيانة هؤلاء الناس لدينهم و لكتابهم و لذلك جاء النص مشيرا الى وصفهم بأنهم أوتوا نصيبا من الكتاب تهكما بهم و تقييحا بعملهم. «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما انزل اليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا». النساء/٦٠. فى هذا النص كلام على المنافقين و فضح لهم و تشهير بهم اذ زعموا الايمان بما انزل الله الى النبي و ما انزل الى الانبياء من قبله و لكنهم يفضلون الاحتكام الى الباطل و يفتنون الى ما لا يؤمن بالله و رسوله. «ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذ فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية». النساء/٧٧. الكلام على أناس من المنافقين كانوا يتصفون بالشراسة و ادعاء القوة فجاء الامر بالطلب منهم ان يمسكوا عن ذلك و أن يكون حالهم كحال المسلمين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة. لكنهم لما كتب عليهم القتال اذا انهم فى غاية الجبن و الخوف... ان مثل هؤلاء جدير ان يدعو الله نبيه الى الازدراء بهم و احتقارهم و عدم ائتمانهم و الاطمئنان اليهم... و فى كلمة «الم تر» ما يعنى معنى قول القائل: فاعجب لقوم هم على مثل هذه الحال من سوء الطباع و الخصال... و رغم ان المنافقين لم يكونوا يعرفون بأعيانهم فان مشاهد اعمالهم و سوء خطابهم و لؤم نفوسهم كان يظهر منها للناس ما يحكم عليهم به أنهم من المنافقين... «ألم تر أن الله خلق السماوات و الارض بالحق ان يشأ يذهبكم و يات بخلق جديد، و ما ذلك على الله بعزيز». ابراهيم ٢٠/١٩ جاءت «الم تر» هنا فى مجال فلسفى يشار فيه الى قدرة الخالق العظيم اذ خلق السماوات و الارض و هو اذا افنى الناس ان شاء كان قادرا على ان يأتى بخلق آخر سواهم... ان النص يثبت فى النفوس قدرة الله على الخلق و أهلاكه و أعادته فهو صاحب هذا الملك و رب كل شىء... و كلمة (الم تر) تحمل معنى الاستشهاد بالنبي على ان ذلك كائن لا مرية فيه. و فى مثل هذه الخطابات الواردة بكلمة الرؤية بصيغة الاستفهام دليل على عظمة الرسول بحيث يتخذ الله من رؤيته للأمر ما يقرر واقعيتها و وضوحها و ظهور معالمها... [صفحة ٢٠٤] «الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها و يضرب اله الامثال للناس لعلهم يتذكرون، و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و يضل الله الظالمين و يفعل الله ما يشاء». ابراهيم ٢٧/٢٤ فى النص المبدوء بكلمة (الم تر) ما يومىء الى استعراض حقيقة عقائدية و اخلاقية هى ان الكلمة الطيبة جديرة بالحمد و جديرة بالاكبار و أن الله شبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ذات الثمار و الظلال يتنفع الناس منها فى مواسم عطائها فما تخطىء حدس أحد فيها... و

يعد ذلك بما ضربه من مثل الكلمة الطيبة مثل الكلمة الخبيثة التي شبهها بالشجرة الخبيثة التي لا خير فيها ولا رجاء. وقديما قال الشاعر في شجرات وصفهن: إذا لم يكن فيكن ظلل ولا جنا فأبعد كن الله من شجرات لقد صارت كلمة (الم تر) عنوانا على ثبوت ما يرد في مجالها من امور اعلامية او عقائدية أو مما يدخل في اطار الاعتبار والذكرى والموعظة التي تصحح اخطاء الناس... «الم تر الى الذين بدلوا نعمه الله كفروا وأحلوا قومهم دار البوار... جهنم يصلونها و بئس القرار». ابراهيم ٢٨/٢٩ في كلمة «الم تر» هنا ما يشار الى تعامل قوم بالاثم الذي جرهم الى ان يكونوا من اصحاب النار... ويلاحظ ان التعبير بهذه الكلمة مقطوع بحقيقة ما يرد في النص بعد تلك الكلمة من حقائق وقائع... ومن هنا أستعملت الرؤية في هذه المعاني لانها أوضح الادلة على يراد ابانته و اظهاره و الاعلان به... «الم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا، يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا و نسوق المجرمين الى جهنم وردا»... مريم ٨٣ و ثلاث آيات بعدها الرؤية هنا غير بصريه و انما هي ذهنية و عقلية تستند على العقيدة القائلة بأن الله يملك أن يفعل ذلك. ان الشياطين ابدا رمز شر ذريع لذلك إذ يبعثهم الله الى الكافرين فانهم يأخذون هؤلاء الكافرين بالشر و يسدون عليهم جميع آفاق التملص و النجاة... و تبدو الرؤية في ارسال الله الشياطين على الكافرين من النظر الى افعال الكافرين الشنيعة و خبث مكرهم و لئيم تعاملهم و صلف مواجهاتهم... و قوله تعالى: «فلا تعجل عليهم» يراد به أن عاقبة أمرهم تظهر لأن من كان كذلك فلا بد ان يكون له من العاقبة ما يكافئ ذلك... «الم تر أن الله يسجد له من في السماوات و من في الارض و الشمس و القمر و النجوم و الجبال و الشجر و الدواب و كثير من الناس و كثير حق عليه العذاب و من يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء». الحج ١٨/الرؤية هنا في «الم تر» رؤية تؤكد وضوح الحقيقة الثابتة التي تقرر أن كل شيء في الكون مما خلقه الله يقر بوجود الله و عظيم سلطانه، و معنى السجود المنسوب الى السماوات و الارض و الشمس و القمر و الجبال و غيرها انما هو الاعتراف بأن لا أحد يستحق العبادة سوى الله... و جاء ذكر الشمس و القمر و النجوم و ما الى ذلك لانها كانت من بعض ما عبده الناس من دون الله... و النبي صلى الله عليه و سلم أقدر من غيره بتذوق هذا المعنى في النص القرآني لانه صلى الله عليه و سلم يفهم من أمره هذه المفردات الكونية مالا يفهمه الاخرون من غير الانبياء و الرسل الذين يرون في كل ذرة من ذرات الكون اكثر من دليل على وجود خالق [ صفحة ٢٠٥ ] الكون الذي هو مسبب الاسباب و رب الارباب سبحانه و تعالى عما يشركون... «الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير، له ما في السماوات و ما في الارض و ان الله لهو الغنى الحميد»... الحج ٦٣/٦٤ في هذه الرؤية ما يعد من الامور البصرية النبي يراها الجميع و التي يرون آثارها و آثار عطائها اذ جاء فيها ذكر المطر و ماتم به من اخضرار الارض و بديهي ان اخضرار الارض يعنى الانبات و الاثمار و توفير الرزق للعباد... ان في الاشهاد على ذلك بكلمة «الم تر» من معاني الاستمتاع بجمال الطبيعة و أنتظام أدائها مهمتها الزاخرة بالخير و النعم الالهية العظيمة لعبرة من اكبر العبر على سلطان الله في ملكوته الواسع العريض... و قد وجدنا القرآن الكريم يثبت وجود الله بمثل هذه الادلة التي تقع عليها عيون الناس من مؤمنين و غير مؤمنين و لا ترى الادلة التي جاء بها الفلاسفة على وجوده من مثل الدور و التسلسل و ما الى ذلك من الكلام السوفسطائي مغنية شيئا في هذا المجال... «الم تر أن الله سخر لكم ما في الارض و الفلك تجري في البحر بأمره و يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم»... الحج ٦٥/الخطاب هنا موجه الى النبي صلى الله عليه و سلم بلفظ (لكم) للدلالة على عمومية القصد في مخاطبة الناس جميعا... و في النص ما يقوم حجة على وجود الله و باهر قدرته. و بالغ تصرفه في ملكوت السماوات و الارض... «الم تر أن الله يسبح له من في السماوات و الارض و الطير صافات كل قد علم صلاته و تسبيحه و الله عليم بما يفعلون»... النور ٤١/بعض ما جاء من الخطابات الالهية للنبي مقرونا بكلمة «الم تر» ينتمى الى السور المكية و بعض ذلك ينتمى الى السور المدنية، لان في «الم تر» ما يوافق الخطابات التي خوطب بها الرسول في العهدين المكي و المدني، و ان كان لكل مقام مقال. المراد من تسييح من نسب اليهم النص التسييح من الكائنات المختلفة أنما هو من وسائل الايضاح الموصلة الى الحقيقة الكونية الظاهرة الدالة على أن الله هو الذي خلق هذه الخلائق جميعا. و لا- غرابة في نسبة التسييح اليها فلعلها تملك التسييح لخالقها و بارئها بلسان عندها هو غير لسان الادميين و

الحيوانات الاخرى... «الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله و ينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار، يقرب الله الليل و النهار ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار». النور ٤٤/٤٣ الرؤية هنا في قوله تعالى «الم تر» تتردد بين النظر بالعين الباصرة و النظر بعين الاعتبار و أستيعاب ما وراء الاشكال من صور و معان. و الجانب البصرى في هذا النص كثير المعالم و المفردات اذ جاء فيه من الفاظ السحاب و البرق و ما الى ذلك ما هو مرئى و ملاحظ أما الجانب الاخر الذى هو الجانب المعنوى فانه يرمز الى حسن تصرف الله عزوجل فى آفاق هذا الملكوت ليظل جاريا على نظام دقيق ذى ديمومة مستمرة. فى كلمة (الم تر) حث للنبي صلى الله عليه و سلم على ادامة التفكير فى مفردات الكون و فى ما يعرض لها من التصريف الالهى الدال على عظمة الخالق و ما أودعه من حكمة بالغه فى سائر مفردات كونه. بل ان الله عزوجل حث سائر أبناء البشر على التفكير فى ملكوت السماوات و الارض و السير فى [صفحة ٢٠٦] الارض و تتبع ما فيها من معالم الخلق و الابداع و اذا كان ذلك مما أراد الناس ان يفعلوه فانه عزوجل قد أمر به نبيه أمرا يبلغ حد الفرض و الالزام. «الم تر الى ربك كيف مد الظل و لو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه لينا قبضا يسيرا». الفرقان ٤٥/٤٦ فى هذا النص جاءت كلمة (الم تر) فى أمر منظور و مشهود و أمر الظل يمتد و يقصر و يخفى وراء ذلك أسرارا تتحدد بها الازمنة و المواقيت و تتبين بها أجزاء النهار. و ما زال الفقهاء يقيسون أوقات الصلاة النهارية بالظل الذى يكون على الارض حين تكون الشمس مشرقة... ان الظل - و لم يكن الناس يعرفون ذلك من قبل - هو رمز النظام الفلكى الكونى اضافة الى ما فيه للناس من منافع ينتفعون بها فى حياتهم اليومية. فى النص ما يستدعى تسييح الخالق اذ جاءت فيه كلمة (الم تر) مصروفة الى الله بلفظ (الى ربك) لأن ما جاء من ذلك مراد به اثبات ربوبية هذا الرب العظيم و فى النص تعليم للنبي ببعض أدلة الاثبات الدالة على أن ربه قادر على أن يصنع كل شىء فى هذا الكون العظيم و قوله تعالى (و لو شاء لجعله ساكنا) بيان بأن الله اذا صنع شيئا فانه يستطيع أن يصنع ما يخالفه و يناقضه ولكن الله عزوجل رسم خارطة هذا الملكوت العريض على الهيئة التى اقتضتها حكمته فبات الكون لابد من وجوده لضرورة وجوده و انعدام ضرورة وجود ما سواه. «الم تر أنهم فى كل واد يهييمون، و أنهم يقولون مالا- يفعلون» الشعراء ٢٢٥/٢٢٦ هذه الرؤية من الرؤى التى تعرف بالمشاهدة و الملاحظة و الكلام هنا آت فى حق الشعراء الذين جاء فى شأنهم قبل هذه الاية قوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) و جاء بعد النص المبحوث فى شرحه قوله تعالى (انهم يقولون مالا يفعلون الا الذين امنوا و عملوا الصالحات و ذكروا الله كثيرا و انتصروا من بعد ما ظلموا و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. ان قوله تعالى [الم تر أنهم فى كل واد يهييمون] اشارة الى ما يستدعى العجب من أمر الشعراء فى تقلبهم و تناقض مذاهبهم فى الوقت الواحد و أستثنى منهم الذين امنوا و انتصروا من بعد ما ظلموا و فى النص اشارة لطيفة الى أن الشعراء لا يبصرون على شىء من الظلم يصيبهم... و قد أستعان النبي بالشعراء فى ردع المشركين و كيل صاعهم بأكثر من صاع بالهجو و ما اليه من كلام مما هو مألوف فى عالم الشعر من قديم الزمان. «الم تر أن الله يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و سخر الشمس و القمر كل يجرى الى اجل مسمى و أن الله بما تعملون خبير، ذلك بأن الله هو الحق و أن ما يدعون من دونه الباطل و أن الله هو العلى الكبير». لقمان ٢٩/٣٠ فى (الم تر) هذه ما ينبه النبي صلى الله عليه و سلم الى بعض المعانى الفلكية التى تعد من اقوى الادلة على وجود صانع حكيم صنع هذا الكيان الكونى الرحيب. بعض هذه الرؤيا بصرى يراه الرائي فى طلوع الشمس و غروبها فتحول الليل الى النهار و النهار الى ليل و بعضها نظرى عقلى لا يدرك بالعين المجردة هو سر هذا الكون الذى لا يعلم أحد سر تكوينه و المراد من (الم تر) هذه فى هذا المكان اقرار هذه المعانى فى نفس الرسول و افحام للكفار و المشركين الذين لا يملكون أن يزعموا أن أيلاج الليل فى النهار و النهار فى الليل و تسخير الشمس و القمر و ما الى ذلك من صنع الاصنام التى يعبدونها. «الم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور». لقمان ٣١/٣١ ما جاء بعد (الم تر) فى هذا النص مما تدركه الابصار فإراه الناس و يعيشون فى اطاره أن الفلك التى [صفحة ٢٠٧] تجرى فى البحر و هى السفن التى تنقل الركاب و السلع التجارية لتعد من نعم الله على الناس. و عقلاء النسا و ذوو البصائر فيهم لا يخفاهم أن ما يجرى

في الكون من مثل حركة الفلك في البحر انما يجرى وفق ارادة الله. و في عرف العلم الحديث أن كل ما يجرى في الكون يتم بمقتضى قوانين مادية ثابتة غير متبدلة... و ما يريه الله للناس من آياته انما يريد به ردهم اليه والايمان به و الاعتراف بعظمته. «الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانا و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانا و غرايب سود و من الناس الدواب و الانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور». فاطر ٢٧/٢٨ كل ما يرد من النصوص بعد كلمة (الم تر) معبر به عن حقائق ثابتة بفعل المعرفة البصرية أو المعرفة الجدلية و في هذا النص مشاهد من الطبيعة تقع تحت أنظار الناس جميعا و قد سردت في النص سردا دقيقا من شأنه إيقاع الحجة على الذين يساق اليهم الكلام الالهي من الذين لم يؤمنوا بعد لان كل شيء في هذا الكون ينه عقول ذوى العقول أنه من صنع الله و ليس من صنع الاصنام و المعابد الباطلة المتخذة من الاحجار و غيرها و لذلك جاء في آخر الآية قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) أى ان العلماء يخشون الله خشية تامة لانهم يرون آثار وجوده في كل شيء كائن في كونه. أن مثل هذه الايات المبدوءة بكلمة (الم تر) فيها تثقيف شامل لاطراف العقيدة و مفرداتها يتقف بها الله نبيه ليتولى إبلاغ الامة بها. «الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لأولى الالباب». الزمر ٢١/ من الايات المكية المستدل بها من طريق الامور المحسوسة على وجود الله ما جاء في هذا النص أنه اليه و الى نظائر من النصوص القرآنية يرجع الفضل الاكبر في القضاء على الشرك و اثبات عقيدة التوحيد لدى كفره اهل مكة لان ما كان دليلا مشهودا متكررا يراه الرائي صباح يومه و مساءه فانه يعطى عطاءه الكامل للناس من كان منهم من أولى العقول و ذوى الالباب و فى النص بيان لمهمات أسباب اليجاد و الافناء اذ ينشأ النبات و يترعع بفعل ما ينزل من السماء من ماء ثم يصوح بعد أن تكون الناس قد أفادت منه فوائد كثيرة و ذلك أمر لا يختلف و القانون الالهي فى خلق الناس و الحيوانات و ما هو مادي من المخلوقات. فالآية اذن من الدلائل على وجود الله و قد أستحضر الله صورتها المرئية فى عاملها الواقع ليراها النبي بعين التبصر و الحكمة و التقدير السليم. ان كثيرا من الناس يمرون على ذلك أو أن هذه الامور و المشاهد تمر بهم فى كل حين من غير أن يعتبروا بها أو يتنبهوا اليها و لعلنا نلاحظ أن عالم الزرع و الفلك و المطر و ما الى ذلك يتكرر فى القرآن الكريم فى معرض الاستدلال على وجود الله لانه حقا من خيرة الادلة على وجوده عز شأنه. أن الادلة العقلية هى كذلك تعين الداعى الى الله فى اثبات ربوبيته و وحدانية و عظم سلطانه فى ملكوته إذ كانت ناصعة الحجة و قوية البرهان و منطقية الدليل فلقد رأينا بعض حجج الفلاسفة فى هذا الباب متهافتة يمجها العقل السليم من مثل اللجوء الى الادعاء بالدور و التسلسل فان الاستدلال بذلك على وجود الخالق لا يستقيم دليلا على وجود شيء يراد أثبات وجوده: أن الادلة العقلية المنوط بها اثبات وجود الله لتنهض سندا للادلة السمعية القرآنية حيثما وردت و ذكرت لان الحقيقة أبدا واحدة لا تعدد. «الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون». المؤمن (غافر) ٦٩/ [صفحة ٢٠٨] كان كفار مكة يهبون فى وجه النبي يجادلونه فى أبسط الحقائق التى لا يمارى فيها عاقل من عقلاء الناس و ذوى العلم فيهم. و جدل الكفار من اهل مكة يشوبه من اصرار المشركين على شركهم و كفر الكافرين بكفرهم يضاف الى ذلك ما كان مألوفاً لدى كفره القوم من اللجوء الى السخرية و اتهام النبي صلى الله عليه و سلم بالاتهامات الباطلة من نحو السحر و الكهانة و غير ذلك. «الم تر أن الله يعلم ما فى السماوات و ما فى الارض، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم و لا خمسة الا هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينههم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم». المجادلة/ فى هذا النص مسائل من الغيبات التى تتعلق بصفات الله تعالى عز وجل و بأسراره فى خلقه و قد نزل ذلك منزلة الحقائق المرئية و هى فعلا حقائق مرئية و إن لم تكن مرئية و ذاك لان الله تعالى مما يملك الرسل تصوره حين تنهض المخاطبات الالهية به عند الحديث بذلك الى الرسل فان ما يرد بعد الكلمة القرآنية (الم تر) يعد مما يمكن أن يراه النبي بأقترار يكون لديه على رؤيته و لذلك أستعملت صيغة الرؤيا فى هذا المقام. «الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه و يتناجون بالاثم و العدوان و معصية الرسول و اذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير».

المجادلة/٨ في هذا النص لفت نظر النبي الى قوم من المنافقين كانوا يجتمعون للخوض في أمور لا منفعة للاسلام منها ولا للمسلمين و قد نهوا عن ذلك و حذروا مما يفعلون فلم ينتهوا و لم يبالوا التحذير و كان يظهر على سلوكهم عند قدومهم على الرسول ما ينم عما في بواطنهم من ابطان الاثم و المعصية و شعائر الكفر و الضلال و قد جاء في النص ما صرح بان هؤلاء القوم هم من أهل النار و في النص القائل (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) فضح لهم و تشيخ عليهم و اعلان لفساد تصرفهم و باطل أعمالهم اذ شاء الله ان يستعرض ذلك كله في صورة قربها من أنظار نبيه ابان حياته صلى الله عليه و سلم في المدينة و قد كشف الله لنبية عما كان يقوله المنافقون في انفسهم من قول كتموه و فضحه الله. «الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم و لا منهم و يحلفون على الكذب و هم يعلمون»... المجادلة/١٤ في هذا النص ابراز لحالة قوم من المنتمين الى الاسلام يوادون قوما غير مسلمين و يتولونهم رغم أنهم من أشد اعداء المسلمين بحيث وصفوا بانهم غضب الله عليهم و في كلمة (الم تر) استحضار لصورة القوم أمام النبي و كان كأنه يشهد أفعالهم كلها كلها و ما جاء في كلمة (الم تر) في اكلام على المنافقين يراد به اشهار مكايدهم و مفاسدهم و كفرهم و ضلالهم و افكهم و نفاقهم و خبيث مواقفهم ليكونوا عبرة للناس. ان تولى المنافقين قوما من غير المؤمنين يعنى انشادهم اليهم و استنصارهم بهم على المؤمنين و ذاك من اشد الجنائيات و الجرائم التي يلجأ اليها من ينشقون عن قومهم و أمتهم و رسولهم و من هنا اعلن القرآن الكريم تهديدهم باشد العقاب يوم القيامة. و في مثل هذه المواقف يرى النبي و هو يعانى من أفراد يعيش بينهم و يعيشون قريبا منه ما يعاينه من سوء ابدائه و التظاهر عليه و الاساءة الى المخلصين من أتباعه أجل انها لمعانة قاسية تشغل البال و تؤذى المسلمين فى حين كان النصر يدب الى الفئة المسلمة و يتعالى شأن الاسلام فى الجزيرة خارج المدينة و قد وصل خبره الى خارجها فما أعظم قيادة هذا القائد العظيم صلى الله عليه و سلم و ما أجمل صبره و أشده [صفحة ٢٠٩] حزمه و ما أقوى يقينه بالله ربه الذى حقق له النصر على جميع خصومه لا سيما من أظهر الايمان و أبطن الكفر و الانسلاخ من الايمان. «الم تر الى الذين نافقوا يقولون لا-خوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم و لا نطيع فيكم أحدا أبدا و ان قوتلتم لننصرنكم و الله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا- يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا- ينصرونهم و لئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون». الحشر ١١/١٢ المنافقون فئة من مدعى الايمان يخفون فى صدورهم الكفر القديم و يبدوون لمن حولهم بعض معالم الايمان ولكن رقة الدين و فساد العقيدة ظاهرة فيهم و ما يلبسونه من ثوب الرياء يكشف عن كل ما فى بواطنهم لذلك صارت اصابع الاتهام تومىء اليهم و صار الشك فيهم يعقد فى نفوس سائر المؤمنين و راحت الايات القرآنية تكشف عوارهم و تنم عن فاسد عقيدتهم و عن سوء نياتهم لما يجعلهم يشعرون بالمقت الذى يحاطون به من كل جانب و هم فى الصورة التي أوضحها الله لنبية على ما جاء به النص القرآنى الاتى بعد كلمة (الم تر) و راحوا يعربون لخصوم النبي و هم هنا اليهود عما قرره النبي بشأنهم من اخراجهم من الجزيرة اذ يقولون لهم ان النبي اذا اخرجكم من الجزيرة فانا سنتضامن معكم و نخرج معكم كما انهم يقولون لهم اذا قاتلكم المسلمون فسننضم الى جهتكم و قال الله فى ذلك ان تضامنهم هذا كذب فى كذب... و لم يتم الاجلاء النهائى لليهود فى عهد النبي اذ وافته المنية قبل ذلك و انما تم اجلاؤهم منها على عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) و بذلك ارتاحت الجزيرة و ارتاح عربها و ارتاح المسلمون فيها من مكاييد اليهود. «الم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد». الفجر ٦/٧ قصة عاد التي كانت تعد من عجائب الدنيا القديمة حيكت حولها الاساطير و قيلت فيها الاقاويل و كان القرآن الكريم قد اشار الى تاريخ هذه القبائل ايام قوتهم و بطشهم و أشار الى أن الله بعث اليهم هودا (عليه السلام) نبيا لهم كما أشار القرآن الى سوء معاملتهم نبيهم (عليه السلام) و فى النص الذى نحن فى صدده استحضر الله صورة عاد يوم هلا-كهم و ضياع ملكهم فقال (الم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها فى البلاد) كما أشار الى ثمود التي هى عاد الثانية و قال فيهم (و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد) و أشار الله كذلك الى فرعون بقوله (و فرعون ذى الاوتاد) و المراد بالواتاد الاهرام التي ما تزال كائنة فى مصر و وصف الله هؤلاء الاقوام (الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد) ثم ذكر عقابه لهم (فصب عليهم ربك سوط عذاب، ان ربك لبالمرصاد). «الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم فى

تضليل، و أرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول». الفيل/١ و ما بعدها كان مولد الرسول صلى الله عليه و سلم فى عام الفيل، ذلك العام الذى هاجمت فيه جيوش الحبشة مكة قصد الاستيلاء على كعبتها المقدسة عند العرب... و قد لقي الجيش الحبشى فى غزوته تلك عاقبة مروعة قضت عليه و أفقدته صوابه و اعادت فلوله هاربة من حيث أقبلت. و قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) يتم فيه استحضار الصورة بكامل هيئتها فى ذهن الرسول الاعظم لما يفهم منه ان اهل مكة و من حولها ظلوا يتناقلون سيرة تلك المسيرة الطائشة الضالة التى لبثت سيئة الى وقت بعيد. و كيفية ما فعله الله بالغزاة كيفية لها هيئتها المعلومة فى ذاكرة القوم من كلاب-الطرفين الغازى و المغزو فتسمية القوم باصحاب الفيل ظاهر فيها التهكم بهم [صفحة ٢١٠] و بجحافلهم العسكرية التى ظنوا ان تهويلها باستصحاب الفيل سترك أثرا عميقا من الرعب لدى أهل مكة و ذاك لفخامة الفيل و لما كان عليه من عدد و عدة قتالية قادرة على التدمير دون أن يصل اليها حملة السيوف و الرماح و الرجال... والتضليل الذى أشار اليه النص... (الم يجعل كيدهم فى تضليل) يومىء الى دقة المحاولة العسكرية و التدبير المعقود عليها و التضليل هو التبيد و الهدر و جعل جميع الطموحات فى المغنم قد باتت هواء فى شبك و كانت كلمة الختام فى هذا الصدد ان الله جعل الجيش الغازى كالعصف المأكول و هى صورة يبرز فيها الاخفاق و الانهيار العسكرى و الخسارة القادمة باجلى الاوضاع المشهودة ان كل ذلك مما جعل الله الرسول يراه بالعين الباصرة و ان كان يعلم منه ما علم بعين الذاكرة و المهم فى هذا التعبير أن يضيف الله نفسه الى رسوله (الم تر كيف فعل ربك) للتبويه بان ذلك ذو علاقة عضوية بمولد نبيه محمد بن عبدالله فلقد كان من بركات يوم مولده و يمنه على الامة ان انجاها الله و أنجى الكعبة مما اراده بها الخصم القوى المتغطرس الذى كانت جريمته شديدة الخطر و جسمية الضرر. فلمولد النبى فى هذه السورة مكان عليه من حبول اليمن و غرر البركة الكثير. و فى غالب ما يرد فى النص القرآنى من اضافة الرب الى النبى ما يشير الى غاية متغياه يراد بها التبويه بوجود خيط من الصلة الادبية بين النبى و بين ذلك. و فى فصل اخر من هذا الكتاب كلام ذو شىء من التفصيل على ما كان من ايراد كلمة (ربك) و الحديث عليها أشرنا اليه فى عدة نصوص جاء بها ايراد هذه الصيغة. كانت ولادة النبى صلى الله عليه و سلم فى عام الفيل و قد نزلت هذه السورة و النبى موف على الاربعين من عمره الشريف و كأن السورة ترمز الى أن ميلاده صلى الله عليه و سلم كان فى عام الفيل اى العام الذى هجم به القائد الحبشى ابرهه ابن الاشرم على مكة ليستولى عليها الا أن الله أبتلى جيشه بالجدرى - على ما قال بعض المفسرين - و هم فى طريقهم الى مكة فبادوا جميعا و وصف الله هلا-كهم بقوله (و ارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) ولكن المسلمين عندما هاجروا الى الحبشة انما وقعت هجرتهم إليها بعد أن تغير اللون السياسى لحكام الحبشة اذ حدث هناك انقلاب عقائدى سيطرت به على الحبشة فنه كان معتقدها الدينى و هى فنة مسيحية مشابهة للعقيدة الاسلامية فى المسيح و من هنا كان هذا التقارب عونا للفنة التى هاجرت من المسلمين الى الحبشة فلقبت من حاكمها النجاشى الطمأنينة و الامان على أن الحبشة كانت يومذاك من الاسواق التجارية للتجار العرب فى بيوتات كثيرة تتعاطى التجارة و الاستيراد و التصدير بين الحبشة و بين الجزيرة العربية و قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) فيها كامل الصورة بكل اطارها و هى ترى النبى عبرها ما حدث لغزاة الحبشة عندما غزوا مكة و وصلوا الى مشارف الكعبة و كانت صورة ذلك و كأن النبى صلى الله عليه و سلم يشهدها من جميع آفاقها. ان ما ورد فى النصوص المستعرضة فى هذا الباب و قد افتتح الكلام فيها بكلمة (الم تر) يكاد من يراجع هذه النصوص اكثر من مرة يفهم منها أن الله يخاطب نبيه فى أمر كان ملما به و واقفا عليه فيروح عز شأنه يذكره به و هذا منتهى ما يكون من كريم الخطاب بين قائل و سامع و بين متحدث و متحدث اليه و بين أمر بأمر و مأمور به و وسائل بسؤال و مسؤول عنه فما يقع فى مثل ذلك من تجهيل من يخاطب فى موضوع من اجل تلقينه و تعليمه... [صفحة ٢١١] و قد علمنا أن «لم» حين تدخل على الفعل المضارع و هو فعل زمنه المستقبل فانها تقلبه الى فعل زمنه الماضى و لذلك قيل فى «لم» هذه انها حرف نفى و جزم و قلب فالكلام الوارد بمثل هذه الصيغة يراد به الاستفسار عن احداث الماضى فكأنك اذا قلت «لم تر» قلت أما رأيت متحدثا عن الماضى و ليس عن المستقبل كما أن البارى عزوجل كان يرى محمدا بن عبدالله جديرا أن يكون له وجود



على مدى السقف الزمني من زمن آدم الى يوم خوطب به. و يستتبع هذا أن يكون النبي جديرا أن يكون موجودا حتى قيام الساعة...فما أعظم رسول الله اذ تكون مخاطبات الله له على هذا المستوى العالي من التوقير و التقدير و المقدمات التي تحمل شريف الخطاب و كريم الاسلوب و جميل الحديث كيف لا و من كان مخاطبا بذلك هو النبي العظيم محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم.

### العصيان للنبي عصيان لله

في عصيان الله اثم كبير و ضلال مبين و كذلك يعد عصيان النبي صلى الله عليه و سلم. فان عصيانه عصيان الله الذي ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله. و لذلك جاء اسم النبي مقرونا باسمه تعالى في المقولات التي يقع فيها عصيان الله و ذاك اشعارا بعظيم معصية النبي و انه عدل معصية الله اذ لا وجود للنبي الا من وجود الله الذي اختاره رسولا منه الى عبادته و لا يتهم الله في اختياره لانه عزوجل أعلم حيث يجعل رسالته... و في الايات التالية ما جاء من هذا الاقتران في ذكر المعصية...«يومئذ يود الذين كفروا و عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض و لا يكتفون الله حديثا»... النساء/٤٢عصيان القوم رسول الله لم يرد القول فيه مقرونا بعصيان الله انما جاء بلفظ «الذين كفروا». و في الاكتفاء بذكر عصيان القوم رسول الله زيادة واضحة في التعبير عن أهمية الرسول في مقام الايمان و عدمه... فان الذين عصوا الرسول كانت جنائتهم جسيمة و كبيرة بحيث واجهوا من العقبات ما تمنوا أن تسوى بهم الارض. اى أن يمسحوا بها فلا يبقى لهم وجود و بروز لعلهم بذلك يتسترون على انفسهم و على ما اقترفوه من عصيان الرسول في ايام حياتهم... و يفهم من هذا عظم شأن الرسول عند الله و أن عصيانه كعصيان الله و أن العقوبة واحدة فيهما. و قد كان من وضوح التصريح بذلك أن عصيان الرسول جاء بعد وصف القوم بأنهم كفروا و عصوا الرسل. اشارة الى أن عصيان الرسول انما ينشأ من انصراف النفوس الى الكفر...«و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا»... الاحزاب/٣٦الضلال المبين حكم حكمه الله على من عصاه و عصى رسوله... و عصيان الرسول انما هو عصيان الله لان الرسول لا يعد متصرفا في ايصال الاحكام الالهية الى الناس من تلقاء نفسه و انما هو مرسل من ربه. و قد أمره أن يقول للناس ما أمره به...«يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئا و لا يسرقن و لا يزنين و لا يقتلن أولادهن و لا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن و أرجلهن و لا يعصينك في معروف فبايعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم»... الممتحنة/١٢جاءت الاشارة الى مبايعة النساء رسول الله في أن لا يعصينه في معروف و فيها اكتفاء عن الاشارة الى عصيان الله لما في ذلك من دلالة على ذلك. و فيها ايضا [صفحة ٢١٢] اشارة الى أن اوامر النبي واجبة الطاعة و في عصيانها ما يستوجب المؤاخذه... و لقد وجدنا ان بيعه النساء قد التمت على مطالب هي لباب الايمان و ركائز العقيدة. و كان من متمات ذلك أن لا يعصى النبي في أمر بالمعروف يأمر به و نهى عن المنكر ينهى عنه... و كلمة - المعروف - هنا من القيود الاتفاقية [٥٨] لا الاحترازية اى ان كل امر يأمر به النبي دون النص هو امر بالمعروف...«و من يعص الله و رسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا»... الجن/٢٣يوضح النص بان عصيان الرسول و قد قرن بعصيان الله يستوجب الخلود في النار...«يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم و العدوان و معصية الرسول و تناجوا بالبر و التقوى و اتقوا الله الذي اليه تحشرون»... المجادلة/٩جاءت الاشارة الى معصية الرسول تلو كلمة الاثم و العدوان في تناجى القوم اشعارا بأن معصية الرسول ضرب من الاثم و العدوان و هي حقا كذلك و مجال المعصية هنا مجال واسع يتناول العبادات و المعاملات و السلوك الخلقى و شؤون الحرب و القتال و اخراج الزكاة و سائر التصرفات مما يفهم منه أن الرسول كان هو القيم الاول على الامة فما يصح من عاص ان يعصيه و لا سامع امر يأمره النبي به أن يسد اذنيه عنه فلا يطيعه و لا ينفذه ما كان ذلك في مستطاعه...في هذه الاية توكيد للمضمون الذي ورد في الاية التي سبقتها. و ما جاء فيها واضح لا يحتاج لطويل شرح و لا قصيره. و كان النص الاول اذ سجل عليهم التناجى السيء في خلواتهم و اجتماعاتهم. جاء النص الذي يليه يهديهم الى التناجى الصحيح كما هو ظاهر.

## آيات البعث

المراد بايات (البعث) ما جاء من النص القرآني مشارا به الى بعثه النبي بالدين الحنيف و كلمة البعث تساوق كلمة الارسال اي ان ارسل و بعث شىء واحد. وقد استعمل هذا المصطلح فى السور المكية والمدنية. و فى ما يلى الايات التى تتناول ذلك...«ربنا وبعث فيهم رسولا- منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم انك أنت العزيز الحكيم»... البقرة/١٢٩ هذه دعوة ابي الانبياء ابراهيم عليه السلام دعاها ربه و هو يرفع القواعد من البيت فى مكة يوم حل فيها و قد استجاب الله لدعائه فبعث فى الامة النبي المعنى لينهض بالرسالة المنشودة...«كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و ما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه و الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم»... البقرة/٢١٣ النص دلالة قاطعة على ان مهمة الانبياء عدل مهمة الرسل لا فرق بين هؤلاء و هؤلاء و ان كان هناك من يظن ان الانبياء غير الرسل حتى ان بعضهم يعتقدون ان النبي ليس معه كتاب و لا يبعث الى الامم انما يبعث الى زوجته او الى نفسه و هو قول متهافت و قد جاء [صفحة ٢١٣] النص القرآني ينقضه و يقرر ان الانبياء كالرسل يبعثهم الله مبشرين و منذرين و ينزل معهم رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و كان الله عزيزا حكيمًا.»لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا- من انفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين.» آل عمران/١٦٤ جاء النص مقرونا بلفظ المنة و التفضل عليهم «رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة» فقد كانوا من قبل ذلك فى ضلال مبين و فى كلمة الامتتان هذه بيان بكبير نعمة الله على الامة و فى هذا ما ينبىء بان الله احسن اختيار النبي الذى تفضل ببعثه الى هذه الامة و فى المن من معانى اعظام النبي و اعظام رسالته ما هو ظاهر و ملحوظ. ان الله يبعث الرسل الى الامم لهدايتهم رضوا بذلك ام لم يرضوا اما الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه و سلم فانه صار محل منة الله عليهم اذ ارسله اليهم لهدايتهم.»و يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم و جننا بك شهيدا على هؤلاء و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين». النحل/٨٩ يصور النص القرآني هنا صورة فى اجتماع الرسل بين يدي الله يوم القيامة. و الكلام على انزال الكتاب يراد به التنويه بما كان من نزول الكتاب ايام حياة الرسول فى قومه و قد احضرت صورة ذلك للربط بين الحالتين، حالة النبوة فى الدنيا و حالة الشهادة يوم القيامة اذ كان للنبي فى الاولى دور عطاء و فى الاخرى دور جزاء.»من اهتدى فانما يهتدى لنفسه و من ضل فانما يضل عليها و لا تزر وازرة وزر اخرى و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا». الاسراء/١٥ من عادل قانون الله فى ثوابه و عقابه ان لا يعذب الا بعد ارسال الرسل و تشريع الشرائع و ثبوت عصيان العصاة و هذا ما نص عليه النص القرآني الكريم.»و ما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا». الاسراء/٩٤ المراد بالبشر الرسول هو النبي محمد صلى الله عليه و سلم و قد تكرر فى التنزيل مثل هذا الاعتراض على رسالة الرسول فوقع الرد عليهم بما كان وراءه من القبول و الاقتناع.»و ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا- يتلوا عليهم آياتنا و ما كنا مهلكى القرى الا- و أهلها ظالمون». القصص/٥٩م القرى هى مكة و قد بعث الله فى ام القرى هذه الرسول الذى جاء الناس بكتاب الله العزيز و ذاك لاقامة الحججة على من يستأهل العقوبة الالهية وفق عدالة الله.»هو الذى بعث فى الاميين رسولا- منهم يتلوا عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين». الجمعة/٢ المراد بالاميين الامة العربية التى عرفت بهذه التسمية و ان كان سائر امم الارض أميين بالفعل و الواقع التاريخي... و المراد بالرسول هو الرسول الاعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم و قوله تعالى «و يزكيهم» اي يأخذهم بالترويض و التربية و الترقية لتزكو نفوسهم و تسمو أخلاقهم بعد أن كانوا فى تسيب و ضلال كبير.»و أنهم ظنوا كما ظننتهم أن لن يبعث الله احدا»... الجن/٧ رغم ان العرب يعلمون علم اليقين ان سائر الشعوب قد بعث الله فيهم الانبياء و ارسل الرسل فانهم كانوا لا يتصورون هذا المعنى ادنى تصور فلما طافت رسالة الرسول الاعظم اليهم استعظموا الامر و لم يصدقوا و اشتراك فى هذه الجهالة و الظن المظنون جهنم و انسهم... و هذا ما عناه النص القرآني الكريم. [صفحة ٢١٤]

## يا أيها النبي

«يا أيها النبي حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين». الانفال/٦٤ في هذا النص اشارة جاءت في توثيق علاقة المؤمنين بالرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم من انهم يصلحون ان يكونوا حسب النبي و معتمده. و قوله تعالى «و من اتبعك من المؤمنين» و هو تصريح قاطع بان للنبي اتباعا من المؤمنين يقفون في وجه الفئات المعادية للدين الحنيف... و في النص تظمين للنبي بتحقيق النصر و حسن العاقبة لان الله هو قائل ذلك و هو معلنه و مذيعة. اذ كانت فيه الدلالة على انه تعالى وراء النبي و هو كاف رسوله هم خصومه «فسيكفيكمهم الله و هو السميع العليم». البقرة/١٣٧ «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم صابرون يغلبوا مثنين و ان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون... الآن خفف الله عنكم و علم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مثنين و ان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله و الله مع الصابرين»... الانفال/٦٥/٦٦ في النص القرآني امر من الله للنبي أن يحرض المؤمنين على القتال اذ كان و طيسه و ساحته ساخنه و كان الامر القتالي صادرا بالزام كل نفر من المسلمين بأن يكون عدل عشرة من الاعداء و قد أمر المسلمون بالصبر على احتمال هموم القتال و شدته... و قد جاء في النص ان الله جعل الامر القتالي ملزما لافراد الجيش الاسلامي بأن يكون كل فرد من افراده عدل اثنين من الذين كفروا اذ خفف الله عن الامه هذا التكليف، على أن الامر القتالي أوجب على المقاتلين المؤمنين أن تكون طاقتهم القتالية مضاعفة لطاقة المقاتلين الكفار و كذلك كان الحال... و بذلك غلبت الفئة المؤمنة الفئة الكافرة... ان النص ورد بلفظ الانشاء و لم يرد بلفظ الاخبار اذ ان الانشاء يقع فيه نصريف التكليف التي تناط للمكلفين خلافا للخبر الذي لا يقع فيه شيء من التكرير و التقليل... و اخبار القرآن من حيث يوصف الخبر فيه لدى الاصوليين بأنه يحتمل الصدق و الكذب نستثنيها - أى اخبار القرآن - من أن تنسحب عليها القواعد التي وضعها علماء الاصول فان الخبر القرآني لا يحتمل الا الصدق البتة. و من هنا لم يكن النص الذي تكلمنا عليه مخبرا بل كان منشئا. و قد ذهب غير واحد من المفسرين الى ما ذهبنا اليه في هذا الوجه... ان تكليف المؤمنين بان تكون طاقتهم القتالية عدل اكثر من واحد من المشركين و غيرهم ينبني على ان من يقاتل في سبيل عقيدة يعتقدها غير من يقاتل في فراغ عقائدي او من اجل الحصول على منافع محددة... كما ان تحديد هذه الطاقة في المقاتلين تحول دون تراخيهم في ساحة القتال عند الاخذ بالجد و الحزم و قاعدة الحسم السريع... «يا أيها النبي قال لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم... و يغفر لكم و الله غفور رحيم»... الانفال/٧٠ الخطابات الالهية التي توجه الى الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم منها ما يختص بالرسول شخصا و منها ما يوكل اليه ابلاغ محتوياتها الى المؤمنين، و منها ما يراد به ان ينقله النبي الى المشركين و غيرهم... والنص الذي نحن في صددده هو خطاب اراد الله ابلاغه الى من وقع من محاربي قريش في - وقعة بدر - اسرى في يد المسلمين... و القرآن يأمر هنا بمخاطبة الاسرى برفق تام و ادخال التفاؤل الى نفوسهم و فيه كذلك ما يغريهم باعتناق الاسلام من غير تصريح بذلك لئلا يكون هناك ما يظن من استغلال المواقف الضعيفة لدى بعض الناس من غير المسلمين في جرهم الى الاسلام و حملهم على اعتناقه [صفحة ٢١٥] اجل لئلا يكون جر الناس الى الاسلام آتيا من مثل هذه المداخل و انما قال عزوجل «ان يعلم الله في قلوبكم خيرا» اي ان اقبلتم على الاسلام و قوله تعالى «يؤتكم خيرا مما اخذ منكم» اي مما دفعتموه من الفدية و قوله تعالى «و يغفر لكم» انما ينصب على حالة تلبسهم بالايمان و اعتناقهم الاسلام و الا فان غير المؤمنين لا يخاطبون بمثل ذلك، و قوله تعالى «و الله غفور رحيم» من الصفات الدائمة للباري عزوجل حسن بها خطاب النص. فلقد كان النبي هنا وسيطا مكلفا باستدعاء الاسرى و نقل الموعدة الالهية اليهم، و قوله تعالى «في ايديكم من الاسرى» اي الذين هم مطوقون بطوق الاسر و مقيدون بقيده. و هم كذلك يفتقدون الحرية و قد بات قدرهم بأيدي الجهة الآسرة و هم اذن في غاية الضعف و ضياع العز و فقدان الرجاء اذ كانت الجهة التي خرجوا في جيشها محاربين للمسلمين قد كانت مهزومة على فرط غرورها و شدة كبريائها و بذلك يكون الاسير المنتمى الى الجهة المغلوبة اسيرا في غاية المذلة و الانصياع. فاذا كان الله عزوجل قد امر نبيه بان يخاطب اولئك الاسرى

باسلوب من الرفق جميل و لطيف و النبي قائد تلك الامة الغالبة فان في هذا معنى من معاني البر و الانسانية و الرحمة. ان من شأن الخطابات الالهية التي توجه الى النبي ان فيها ضروريا من التعليم و التوجيه و التنشئة الرشيدة مما يخرج النبي من مثلها من التوجيهات و قد تعلم من ربه الكثير الذي يجعله يقتحم ساحة الجهاد و مواجهة سائر الناس من عدو و من صديق و قد افرغ النص في نفوس الاسرى المشركين معنى يفقهه المؤمنون قبل غيرهم و هو ان الله عزوجل يقيم احكامه على ما يعلم في قلوب الناس فلقد لمح للمشركين ان اى خاطرة من الايمان تنقدح في قلوبهم يعلمها الله و ان اى مراوغه او محاولة خداع تتلجج في صدورهم يعلمها الله و لذلك كان في مراجعة النبي لهم ما يغني عن النقاش و المفاوضة الجدل و الاستدراج. «يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين و اغلظ عليهم و مأوهم جهنم و بئس المصير». التوبة/١٧٣ السورة مدنية و في المدينة كانت المواجهة المسلحة التي صارت الفتان فيها متكافئة أو شبه متكافئة و كانت الحرب سجالا بينهما... ان الله يأمر نبيه بالوقوف في وجه اهل الكفر و المنافقين و اليهود و من جال في صفوفهم... و النص لم يرد صريحا في القتال ولكنه كان صريحا في استعمال الشدة و عدم اللين في المواقف التي تستعرض فيها القوى... فالامر الموجه الى الرسول الاعظم بهذا النص هو مجاهدة الكفار و اخذهم بما يستحقون من شدة و غلظة... و قد عطف في العبارة القرآنية المنافقون على الكفار لبيان استحقاقهم لما يستحقه الكافرون من زجر و استقباح و انهم مثلهم في الشكل و الموضوع و ان كان المنافقون مبرقين ببراقع الاسلام بحيث لا- يظهرون ظهور الكافرين و انما كان الكلام عليهم معطوفا على الكفار لاثبات انهم في مصاف الكافرين و على خطهم... «يا أيها النبي اتق الله و لا- تطع الكافرين و المنافقين ان الله كان عليما حكيما». الاحزاب/١ الكافرون و المنافقون الى شر و فساد و فتنه و عدوان فما يقترح مقترحهم الا ما يؤذى المسلمين و يضر بمصلحة المؤمنين لذا كان لابد من اخذ الحذر الشديد في مخالطتهم... و التحذير الالهي من اطاعة هذه الفئات المخاصمة كائن عن علم يعلمه الباري العظيم و حكمة يحيط بها عزوجل... و لا نعلم النبي اطاع الكافرين و المنافقين ولكن النص على ذلك فيه تنبيه للأمة الى ما يجب أن يكون موقفهم عنده في مجال العلاقات [صفحة ٢١٦] و المواجهات في مجتمع ملتم على انماط متخالفة في الناس... «يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعن و أسرحكن سراحا جميلا»... الاحزاب/٢٨ يوضح هذا النص نظام الحياة البيئية للرسول صلى الله عليه و سلم مع اسرته المؤلفة من عدة زوجات... و كان تعدد زوجاته صلى الله عليه و سلم مثار ادعاء المغرضين من المستشرقين اذ جعلوا زواج النبي من عدة زوجات ناشئا عن شديد الرغبة في النساء في حين ليس في الامر مثل ذلك. فان الرغبة في النساء ان كان لها ما ينظر به للموضوع نظرة قابلة للتصديق فان ذلك يتطلب أن يكون لهؤلاء الأزواج قسط كبير من الرفاهية و بلهنية العيش داخل البيت و خارجه لان ذلك هو الذي يثبت للنساء استمرارهن في بيت الزوجية و تعلقهن بأزواجهن. و ما كان من الزوج قائما على هذا الاساس فان تلبية مطالب الزوجات أمر لابد منه مهما كانت التكاليف ضخمة و باهضة... فاذا رجعنا الى النص القرآني الوارد في هذا الصدد فانا نرى النبي قد طلب اليه أن يكاشف زوجاته بالواقع المشهود فيقول لهن انه لا- يملك لهن شيئا من الرفاه و الرفاء بل لا يملك لهن الحد الأدنى للمستوى المعيشي المألوف في بيوت الناس و قد خاطب زوجاته «ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين أمتعن و أسرحكن سراحا جميلا»... اى تعالين اطلقكن لتذهبن حيث تجدن ما ترغبن فيه و تشوقن اليه من اسباب المعيشة المترفة... و ان كنتن تردن الله و رسوله راضيات بأى حال من حالات المعيشة البسيطة فان ذلك هو الذي يقيم الكيان الزوجي بيني و بينكن و ان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما. يفهم من هذا بوضوح ان غالب حياة النبي البيئية كان في غاية البساطة و التقشف و كان نساء النبي على حال من الرضى بهذا النمط من المعيشة... حقا أن الحياة الزوجية التي كان يحياها النبي مع سائر زوجاته لم تكن الا حياة قناعة بما ييسر الله له صلى الله عليه و سلم و لزوجاته من المعاش خلافا لما عليه رؤساء الامم و شيوخ القائل و القادات و سائر الناس من الرفاه و بجموحه العيش و السعادة و الانبساط... انا لا نبالغ في القول فنقول ان بيت النبي كان يعيش على البؤس و الفاقة ابد الايام ولكننا نقول ان بيت النبي كان يجوع و يشبع و يغنى و يفتقر و لم يكن طابعه العام البذخ و السعة في النفقة على خط مستديم مستمر كبيوت الاغنياء و الموسرين... اجل انه بيت كسائر بيوت الطبقة المتوسطة في كل قوم و أمة... فلقد علم ان بيوت النبي كانت تقام فيها

المآدب و يدعى اليها من يدعى على ما جاء فى النص التالى «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتهم فادخلوا فاذا طمعتم فانتشروا...» الاحزاب/٥٣ على أنه كان صلى الله عليه و سلم من اجود الناس و اكرمهم و قد عرف ذلك فيه. و ما يستدل به على بساطة بيوت النبى أنه صلى الله عليه و سلم وجد يوما على باب بيته قراما [٥٩] فيه نقوش و تصاوير فأمر بنزعه عن باب بيته قائلا «ما كان لنبى ان يدخل بيتا مزوقا» او كما قال و الغرض من ذلك أن لا يظهر الترف على بيت نبى يحسن ان تكون حالته حالة بسيطة. «يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا، و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا». الاحزاب ٤٥/٤٦ فى النص الذى جاء بلفظ «يا أيها النبى» وردت الاشارة الى ان الله ارسله بمهمات كبيرة فى هداية العالم [صفحة ٢١٧] و تقويم ما اعوج من امور الناس و نشر التوحيد الذى اراد الله به ابطال الشرك بالمرءة... (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا الى الله). و مفردات النص التى هى كون النبى شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه و هى حقا مهمات جلية فى التكليف و فيها التشريف مما تبرز به عظمة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى عين امته و عيون الامم الاخرى... و هى اعمال و وظائف مما يلبيه الانبياء و الرسل... اما قوله تعالى «و سراجا منيرا» فان ذلك هو عقد القلادة فى تكريم النبى و اعزازه و اعلاء مكانته فهو السراج المنير وفق ما وصفه الله به و انه لوصف فيه من فخامة القدسية و عظمة الاعزاز و الاعلاء لشخصية النبى ما هو واضح كل الوضوح. لأن وصف النبى بالسراج المنير ليس وصفا لجوانبه الوظائفية يخص الرسالة و النبوة من نحو الانذار و الابلاغ و التبشير و الدعوة و ما الى ذلك من الكلمات ذات المعنى المعجمى المألوف ولكن هذه الصفة «و سراجا منيرا» انما هى كلمة اراد بها الله أن يسبغ على رسوله سوابغ التقديس و الاطراء العظيم و الاكبار و التفخيم و الصيت العالى و السمعة المباركة... «يا أيها النبى انا أحللتنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن و ما ملكت يمينك مما أفاء [٦٠] الله عليك و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتى هاجرن معك و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسا للنبى ان اراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم و ما ملكت أيماهم لكيلا يكون عليك حرج و كان الله غفورا رحيمًا». الاحزاب/٥٠ مفردات النص واضحة المعانى و قد وقع القول على بعضها اذ جرى ايرادها حيث أوردت. و يعنى من النص ما جاء من الايماء الى ملك اليمين و موقف الاسلام من الرق و الاسترقاق و ذاك أن هناك من يرى فى اعتراف الاسلام بالرق مطعنا فيه و مغمزا لمكانته الانسانية و اتهاما لهذا الدين الحنيف بالانصراف عن معالجة ما يصفونه بمشكلة الرق المأساوية فى حين ان الاسلام ظهر و كانت للرق سوق فى سائر ارجاء العالم، اذ كان تعاطى الرق مسألة معترفا بها. و كان ذلك من بقية ما تركته الحضارات القديمة من النظم الاجتماعية و الاقتصادية و الحربية السائدة. و كل ما فعلته هذه الحضارات اذ شاءت ان تفعل شيئا فى هذا الشأن انها وضعت نظما و قواعد فى تنظيم الاسترقاق و اجواء مشروعية... و كذلك كان موقف سائر الاديان من الرق... و ذاك لان وجوده كان جزءا مهما فى حياة المجتمعات البشرية فالارقاء و فيهم الفلاحون و العالمون فى الشؤون التجارية و المصانع و سائر اسواق الناس... فقد كان الانسان بضاعة و كان اداة عمل و مادة احترام. ان موقف الاسلام من الرق و الارقاء اعتمد فى شأنه الموقف الانسانى و المنطقى و وضع خطة دقيقة فى معالجة المشكلة التى لم تفكر البشرية فى جعلها مشكلة عصر او مشكلة امه... فالعبد ينتقل من يد الى يد يبيعا و شراء ليعيش حيث ينتقل لا يعنيه تغير الوجوه و تبدل المالكين فقد الف ذلك فما كان يستوحش من حالة جديدة او يحن الى حالة قديمة. اذ ان انتماءاته تعددت و تناقضت فلم يعد فيها ما يلفت النظر الى أمر غريب مادام القانون الدولى العام يقر التعامل بجسده و احاسيسه على مثل حالة التعامل بالبضائع، بل ان التعامل بالبضاعة البشرية تسوطة العصا و الرعاية، و التعامل بالبضاعة البشرية تسوطة العصا و تتحكم فيه قواعد النخاسة و اصولها المرعية يومذاك و منذ دهر بعيد... فانك لترى من يمسك بدجاجة يريد ذبحها فى عرض السوق و هى تصرخ الصراخ الشديد فلا احد من الغادين و الرائيين يعنيه أن الدجاجة ستذبح او لا تذبح [صفحة ٢١٨] اذ كان من فى السوق منصرف عن صراخ الدجاجة التى تناشد القوم انقاذها من سكين الذبح الحادة، ذلك لان العرف العام اقر ذبح الدجاجة التى شاء ذابحها ذلك. كانت للمروءة فى الاسلام تجاه الارقاء سحنة ظاهرة عرفها الارقاء انفسهم، ففى البدء جاءت الشريعة الاسلامية لتجعل كلا من الحر و العبد عنصرا يهدف الدين الى

جره الى محرابه يبنى به كيانه و يتمد به ازره اذ ساوى هذا بهذا مساواة منظورة ملحوظة فهما من بعض خلق الله يقفان معا على خط مستقيم عند عبادة الله فى الصلاة. هذا المعنى ارتاح له العديد و انكره الاسياد المالكون اشد الانكار... و بديهى ان ازالة الفرق بين الحرية و العبودية كان الحديث المعلن عنه فى اللحظات الاولى التى اتسع فيها ضياء الاسلام الاول. فكان العبيد محل انتقام مالكيهم بكل قسوة منذ ذلك الهزيع... و بديهى ان هذا ادى الى تملل عظيم فى حياتهم الطبيعية باتت لهم به شوكة و هم لم يكونوا يوم ما بذوى شوكة... البيان الاول فى الثورة على الرق كان هذا البيان و الاعلان الاول فى ابطال الرق هو هذا الاعلان. اجل ان قدح هذه الفكرة الثورية فى الازهان صنع صنعه و فعل فعله فى التحرك البشرى نحو تحرير العبيد و اطلاق سراح الارقاء من حباله الرق و فسخ الاستعباد... لم يكن الامر فى بدء الامر ليصيب اكثر من هذه الحصيلة المتحصلة فى عالم الاسترقاق الشاسع العريض الذى كان اقتحامه مجازفة كبرى و خرقا عظيما لحجاب اشتركت البشرية كلها فى نسجه منذ دهر موغل فى القدم حتى كان موقف الديانات السماوية منه موقف الساكت الحذر المتوجس كل الخيفة من مقارفة اية تجربة فيها من ملامح تحدى الرق العالمى يومذاك... لقد رأت الشريعة الاسلامية ان الارقاء هم دعامة الاعمال التجارية و هم مركز الثقل فى كل صناعة و زراعة و انتاج و استغلال و صنفق فى الاسواق. فاذا الغى الرق بجرة قلم ان كان الغاؤه مما يدخل فى نطاق الامكان فان الكيان الاقتصادى العالمى سينهار بالمرءة... و يعنى هذا ان مذاق هذا التحرير سيكون مشوبا بمرارة قاطعة لانه سيتبدل به عنوان الكارثة لا غير. والنقطة الاخرى هى ان تنامى الحركة الاستعبادية فى العالم التجارى للرق يعزز مشروعى الرق دوليا. و بهذا يفشل اعلان عتق الارقاء من دون دفع تعويض لاسيادهم عن كل رأس من رؤوس عبدانهم. و بديهى ان ذلك تصرف غير عادل اذ سيؤدى الى افلاس جميع تجار العالم و فقدان ثروات فى فقدانها ما تخفى فيه القيمة الانسانية لالغاء الرق المراد الغاؤه... والنقطة الثالثة ان حياة الاسترقاق التقليدية التى سادت المجتمعات البشرية احرارا و عبيدا قد صيرت عالم العبودية عالما متفسخا و محطما يفتقد القيم الانسانية كلا و ليس جزءا... لان اسلوب الازلال كان هو الآخذ بهذب الحياة اليومية للارقاء. اذ كان العبد يباع يباعا على بيع و ينقل من يد الى يد و يرحل من مكان الى مكان و يحمل ما فوق طاقته و قد يموت رازحا تحت العبء الثقيل و الاجحاف القاسى و الالهانة المتعمدة التى تخلع فيها على الانسان كل ثياب الكرامة فلا يكون فيها الانسان انسانا بحال من الاحوال... و بهذا فان اعلان حرية الارقاء لن تتحصل به حصيلة ما لانهم لن يستفيدوا من حريتهم المعلنة اذنى استفادة اذ سيعيشون عيشة غوغائية سائبة عاجزة عن العيش فى ظل اتفاق اجتماعى سوى... فان من فقد حريته و كرامته و انسانية اذا سلمته هذه الاقانيم بعد فقدة اياها فانه لا يعرف لها من مذاق فهو كالطفل تسلمه كل شىء فيروح يجهل كيف يصنع به. [صفحة ٢١٩] ففى مثل هذا الموقف الدراسى الذى وقفته الشريعة الاسلامية من مسألة الحرية و العبودية تسنى لهذه الشريعة العظيمة ان ترسم ادق الرسوم التوجيهية فى معالجة الرق العالمى حتى زالت جميع اخطاره و انمحت سائر اثاره. كان الجانب الادبى و الخلقى فى توصية السادة من مالكى العبيد بالاحسان اليهم ذات اثر حميد فى تصحيح الوضع الاجتماعى العام فهذا التملل الرهيب فى بيئات العبيد ان كان قد حدث من ذلك شىء فى حقبة من حقبة التاريخ... بديهى ان الشريعة الاسلامية لم تكن ذات تمويل تنفقه على شراء العبيد و عتقهم ولكنها نهت الى فضيلة عتق العبيد فى حالات كثيرة يمكن ان توصف بانها شبه يومية اذ اتخذت الشريعة من عتق الرقاب عقوبة على ما كان يقع من صائم افطر عمدا، و حالف حلفه يريد التحلل منها و مبع اجرا و ثوبا من ربه... بل لقد اوجدت الشريعة على اى من السادة اذا طالبه عبد من عبيده بالمكاتبة ان يبادر الى مكاتبته و المكاتبته هى ان يأذن السيد لعبده بالخروج من فلك التقييد بتلك العبودية زمنا ما يذهب خلاله العبد ليعمل منفردا فيجمع من المال ما يكفى لدفع ثمن رأسه لسيدته على نحو ما كان قد دفعه سيده من ثمن راسه عند شرائه... و فى نظام العقاب كانت للشريعة لفتة رفق ملحوظة فى معاملته الاماء اذ جعل عليهن من العقاب نصف ما على المحصنات من حرائر النساء... ذلك بعض ما سنع لنا من موجز الكلام على الرق و نظرة الاسلام اليه و طريقته الصائبة فى معالجة مشكلته باسلوبه السامح الرشيد. و لا جدال فى أن الرسول الاعظم كان له اتباعه الكثيرون المخلصون للدين و الملة فى المدينة التى هى مهجرهم الجديد و قد هاجر اليها منهم من هاجر من قبله و من هاجر من بعده و ما زالت المدينة مفتوحة لكل من يدخلها او يخرج

منها... الا ان الذي يشير اليه النص القرآني صدر هذا الفصل انه كانت للنبي هناك اى فى المدينة اسير من ذوى قرابته من اعمام و اخوال و بنات عم و عمه و بنات خال و خالة... «يا أيها النبي قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن مرفن فلا- يؤذين و كان الله غفوراً رحيماً»... الاحزاب/٥٩ فى النص القرآني حكم شرعى بالحجاب الذى فرضه الله على نساء المؤمنين و فيهم ازواج النبي و بناته و كان للنبي غير واحدة من البنات متزوجات يسكن بالمدينة و قد أمرن و أمر جميع المؤمنات من نساء الامه متزوجات و غير متزوجات بالحجاب وفق ما تكلمنا عليه فى الاوامر القولية. لاحظ الاية الحادية و الثلاثين من سورة النور المدنية. [٤١]. «يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يباعدنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزينن ولا يقتلن أولادهن ولا يأتينك ببهتان يفتريه بين أيديهن و أرجلهن و لا- يعصينك فى معروف فيابعن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم»... الممتحنة/١٢ النص يتضمن خطاباً للنبي خوطب به بعد فتح مكة و فحواه أن من فى مكة من المؤمنات اذ جئن النبي بوفد للسلام عليه و تهنته بالفتح المبين و اعلان [صفحة ٢٢٠] اسلامهن و التزامهن بتنفيذ مفردات الشريعة الاسلامية والاقلاع عما كانت عليه المرأة فى الجاهلية من تعلق باعمال و معتقدات نقضها الاسلام و رفضها فان على النبي أن يباعدن على ذلك... و النص يكاد يكون ملخصاً و مجملاً لمفردات الشريعة الاسلامية السمحة التى لا تخص النساء وحدهن و انما تعم جميع المسلمين و كان من هذه النقاط القتل و السرقة و الزنا و الشرك بالله... لقد كان للمرأة قسط مهم فى الكيان الاسلامى الذى بوأها مكانة عالية و شأناً عظيماً. و لم يكن لها قبل ذلك مثل ذلك... «و لا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن و أرجلهن» اى لا يأتين بذلك و هن جالسات و لا ماشيات فهو معنى للبهتان يستغرق النهى عنه فى جميع الاوقات و الحالات... «يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و أحصوا العدة و اتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن و لا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة و تلك حدود الله و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً». الطلاق/١ الخطاب و ان كان موجهاً الى النبي بحجم كبير فهو كذلك موجه الى الامه لانه يتضمن حكماً شرعياً هو محل العروض و الوقوع فى حياة كثير من الأزواج و ذلك أن الطلاق مسألة كائنة فى سائر المجتمعات على ما يخالطه فى بعض الاحيان من خروج على قواعد العدل و الانصاف و اصول الدين... «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم»... التحريم/١ يفهم من هذا النص ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان كثير الرعاية لزوجاته و عظيم الحذب عليهم، فابتغاء مرضاة الأزواج فيها دلالة على حسن المعاشرة و التسامح فى المآخذ الهينة، و الرغبة فى ادامة الالفه و رفع الكلفة و اشعار الزوجات بأنهن غير اسيرات عند الزوج، كما ان فى ابتغاء المرضاة من التواضع و تنحية ما هناك من فرق الاستعلاء الزوجى و قيمومته فلا تعود الزوجه تشعر بثقل كون الأزواج قوامين على النساء للطف المقابلة و حسن المخاطبة و أنى كانت اسباب نزول هذه الآية فان النقطة التى نقف عندها فى هذا الصدد الخاص لشخصية الرسول الاعظم قرآنيا يقرر ان النبي كان عظيم الشفقة بازواجه و رفيقاً بهن كل الرفق صلى الله عليه و سلم... و فى النص جاء قوله تعالى «تبتغى مرضاة أزواجك»... و انتزعنا من هذا النص أن سلوك الرسول فى حياته الزوجية كان سلوكاً عادياً على المستوى بشأن رعاية زوجاته و حسن معاملتهن و لا يؤذيهن فى شىء لان ابتغاء مرضاة الأزواج يعنى الحرص على تحسين معاملتهن و المبالغة فى استرضائهن و تلك خلة محمودة فى الرجال و ان كان هناك من يظن أن توخى الرجل مرضاة اهله فيه أماره على الضعف فى حين أن ذلك و ان كان يظن فيه الضعف فهو من اللين و خفض الجناح فما يعاب الرجل عليه حتى لو كان عظيم المنزلة و عادى الرتبة فى قومه... بل كان صلى الله عليه و سلم يمنحهن فوق ما يستحقن من التحيز الودى و الميل الانسانى بما يجاوز حدود الرعاية و موضوع حسن المعاشرة و كان صلى الله عليه و سلم يوصى الأزواج بذلك واصفا النساء بانهن عوان عند الرجال.

## باب و اذكر

من الخطابات التى خاطب الله بها الرسول الاعظم ما يدخل فى اطار الامر بذكر احداث و اشخاص و فى طى ذلك اكثر من تكليف

للسلر اراد الله امضاءه و تنفيذة و ايصاءه بتذكره و مراجعته. و هناك نوع من الذكر يراد به ذكر الله عزوجل و هو و ان كان قد خوطب به النبي فانه من حيث العقيدة الدينية موجه بعضه الى النبي و رعيته و يحسن ان يلاحظ في معنى (و اذكر) معنى القصص و شرح التفاصيل لمن يواجههم بذلك. و فيما يلي تفصيل ذلك... [ صفحه ٢٢١ ] «و اذكر ربك في نفسك تضرعا و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو و الاصل و لا تكن من الغافلين». الاعراف/٢٠٥ في النص توصية الهية الرسول الله بادامة تسبيح الله و ذكره في قراره نفسه على وجه التضرع اليه تعالى او الانابة و ابراز احساس الخوف و الخشوع و بصوت غير مرتفع اذ قد ينقلب ذلك الى صراخ على مدى استمرارية التسبيح و ذلك في سائر اوقات الليل و النهار... و هو ورد يومى للرسول يؤديه بالتزام تام ان يذكر اسم ربه و اوصاه ان يلهج كل اللهج بذكر الله... و أكد أهل التفسير ان الصراخ في ذلك ممنوع و غير محمود... «الا أن يشاء الله و اذكر ربك اذا نسيت و قل عسى ان يهدين ربي لا قرب من هذا رشدًا». الكهف/٢٤ في النص تهذيب و توصية للرسول من ربه بأن يعلم ان الغيب لله فلا يقرر على وجه الجزم فعل عمل من الاعمال في يوم غد... لان غدا ليس له، ثم دعاه ان يذكر اسم ربه و اوصاه ان يلهج كل اللهج بذكر الله عن النسيان اذا عرض له او خشية ان يتعرض له و دعاه ان يتضرع الى ربه ليكون قريبا من الله ابدا... و هي دروس او اشبه بالدروس التي يعلم الله بها رسوله في كل حين ليكون ذلك من عوامل تكامل حسن سلوكه و اخلاقه و سائر مواقفه... «و اذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا»... مريم/١٦ النبي هنا مكلف ان يتحدث على قصة مريم و ما جرى لها اذ انتبذت مكانا أوت اليه، و من دأب القرآن الكريم ان يوصى النبي بالتحدث الى الناس عن أشخاص من الانبياء و غيرهم قصد التعليم و الاعتبار... «و اذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صديقا نبيا»... مريم/٤١ واللهم بقصة إبراهيم عليه السلام و اخباره و مواقفه التوحيدية من مثل ما جاء في الآيات التالية «اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع نولا يصبر و لا يغني عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا... يا أبت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك و اهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بى حفيا و اعترلكم و ما تدعون من دون الله و أدعو ربي عسى أن لا اكون بدعاء ربي شقيا»... فانه مما كان الله قد أوصى نبيه ان يذكره و يتعبر به و يتحدث فيه الى الناس... و ذلك لاعاء الشخصية العربية لابراهيم عليه السلام ما تستحق الابرار للنسب العربى المتصل بابراهيم عليه السلام و هذا ما كبت اليهود كبتا ذريعا. «و اذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا و كان رسولا نبيا». مريم/٥١ ما ينزله الله على رسوله من اخبار الرسل و النبيين يوصى الله نبيه ان يجعل من ذلك تذكرة و يتكلم في شأنها الى قومه ليزدادوا بذلك علما و يكسبوا بذلك ادبا و يصيبوا عبرة... «و اذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد و كان رسولا نبيا، و كان يأمر أهله بالصلاة و الزكاة و كان عند ربه مرضيا»... مريم/٥٥ والكلام على اسماعيل و قد أمر الله نبيه ان يذكره و يتذكره و فى النص اشارات اخلاقية عالية المستوى تتعلق بكون اسماعيل كان يتميز بصدق الوعد و انه كان مرضيا عند ربه و كذلك قص الله من خصاله الكريمة انه كان يأمر أهله بالصلاة و الزكاة... و المراد باهله سائر من يضمهم سقف بيته و سلطانه من نساء و بنين و بنات و ذوى قري... و فى تذكر ذلك ما فيه من حسن التوجيه و مواصلة التهذيب و التأديب. و ابراز الاسماء الكريمة ذات المآثر المحودة. و الخطاب الموجه الى [ صفحه ٢٢٢ ] الرسول فى هذه المعانى هو خطاب لسائر الاتباع و ابناء الامة. «و اذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا»... مريم/٥٦ ان فى ذكر هؤلاء النبيين و ما كان منهم من طاعة للخالق العظيم و جهاد فى سبيل اصلاح شعوبهم و اقوامهم ما هو جدير بالذكر و الاعلان و التعريف و التأديب. لقد كان على الرسول الاعظم ان يكرر ايراد الكلام فى شأن أولئك الرسل لما فى ذلك من تربية النفوس على اكرام رسل الله و اعظامه تعالى و اجلاله و تسيحه و تقديسه بما كان قد رسمه من اجل اصلاح عباده من ارسال الرسل اليهم صلوات الله عليهم... «اصبر على ما يقولون و اذكر عبدنا داود ذا الاید انه أواب». ص/١٧ فى ذكر شخصية داود عليه السلام عبر جديرة بالاعتبار فانه على ما وهبه الله من هبات الخير و التكریم و فضائل الاعمال و الملك و الشأن فانه تعرض من قومه لكثير من الاذى مما يستأهل أن يكون من العبر التي يعتبر بها النبي و سائر من يقفون على الحقائق التي يعرضها الله فى التنزيل بحق انبيائه و رسله الذين اراد الله ان



ينفذ بهر عباده من الضلال والكفر والفساد... «و اذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب و عذاب». ص/٤١ فى قصة ايوب عليه السلام و عظيم صبره ما يستأهل الذكر و الحديث و الاعتبار فقد تحمل من اذى الاعتلال ما يشق احتماله حتى كافأه الله على صبره بما كافأه به. و البارى عزوجل يوصى الرسول الاعظم بأن لا يغيب عن باله مواقف اولئك الانبياء العظام فلقد سبقوه فى الابتلاء بعظيم الاذى و أليم عدوان الناس و كان أيوب على فرط ما عرض له من العلة المنفرة. كثير التسبيح لله و اللجوء الى استغفاره و الانابة اليه... «و اذكر عبدنا ابراهيم و اسحاق و يعقوب أولى الايدي و الابصار». ص/٤٥ و هذه مجموعة اخرى من رسل الله مجدهم الله و اطراهم بذكر ما اتصفوا به من الصفات الكريمة المحموده و فى اذكارهم و اذكار صفاتهم الجليله التى حمدها الله لهم ما فيه من التهذيب و التوجيه السديد و الاعتبار... «و اذكر اسماعيل و اليسع و ذا الكفل و كل من الاخير». ص/٤٨ تكرر ذكر اسماعيل عليه السلام و قد ذكرت معه عدة معدوده من الانبياء ممن اصطفاهم الله بالنبوة و جعل لهم الذكر الحسن و الصيت الكريم فى تنزيه العزيز و كل اولئك مما اوجب الله على رسوله الاعظم ذكره الدائم لان قوله تعالى «و اذكر» يعنى كثرة ايراد هذه الاسماء بلسان الحمد والتبجيل و الحث على تقبل ما اثرهم و تقدير جهودهم و حمد مواقفهم. «و اذكر أخوا عاد أنذر قومه بالاحقاف و قد خلت النذر من بين يديه و من خلفه أن لا تعبدوا الا الله أنى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم». الاحقاف/٢١ فللك هى قصة هود عليه السلام و قد ارسله الله الى قوم عاد. و فى ذكر ذلك ما فيه من العبرة من الاتعاظ و الاعتبار و مقارنة ظروف الانبياء... «و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتلا». المزمل/٨ فى النص توصية يوصى الله بها رسوله ان يذكر اسمه و التبتل اليه و هو خلوص العبادة. و هناك توصيات للنبي توصيه بالصبر على ما يقع له من اذى قومه له و اصرارهم على كفرهم و عصيانهم ربهم... «و اذكر اسم ربك بكرة و أصيلا». الانسان (الدهر)/٢٥ فى هذا النص ما يدل على ان النبي كان مشغولا صباح يومه و مساءه بذكر الله والاخذ بهدب الخضوع [ صفحه ٢٢٣ ] لدته العظيمة و يلى ذلك ان الله امره بالعبادة الليلية المتصلة. و هو ما يقال له التهجد «و من الليل فاسجد له و سبحه ليلا طويلا». و هذا ما يجعلنا نرى النبي صلى الله عليه و سلم يقضى حياته اليومية بحالة الذكر و القنوت و التعلق بعبادة البارى العظيم. لا يقعدن ذلك و لا ينصرف عنه. فاذا قال القائل ان النبي كان ذا لسان رطب بذكر الله و اللهج بتسيحه و القنوت له و اللباز به. فان قوله جد صحيح. و مطابق للواقع... كان النبي صلى الله عليه و سلم كثير اللهج بذكر الله و تسيحه فى كل حين من ليل و نهار و بكرة و اصيل و لم تكن تسيحاته لربه عابرة و صارئة و لا- كانت تسنح له حين يعن ذلك على باله بل كانت لها ديمومة دائمة مما يفهم منه فرط انشغال النبي بعبادة بارئه العظيم و كان ذلك كله يقع فى وسط كان فيه حيثما اتجه المتجه آثم او كفور «انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثما او كفورا» الانسان/٢٤... و قد وصف الله من كان من الناس يومذاك يقوله «ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوما ثقيلا» الانسان/٢٧... و بذلك نعلم عظم جهد النبي و ثقل مهمته فى مثل تلك البيئه التى كان من طبيعتها ان تستعصى على دعوة التوحيد و ان لا تستجيب لنبي بعثه الله اليها من خير ابنائها و اشرف رجالها و اكرم أنسابها. و من التوصيات الالهية الموجهة للنبي صلى الله عليه و سلم اذ جاء الامر فيها بلزوم ذكر الله فى النهار و فى اعماق الليل. و لقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يؤدى من ضروب العبادة لله ما لا يؤديه الآخرون من اتباعه المؤمنين... «و جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و فى آذانهم قرا و اذا ذكرت ربك فى القرآن وحده و لوا على ادبارهم نفورا»... الاسراء/٤٦ كان اهل مكة من كفرتها و مشركيها يصرفون اسماعهم عن الاصغاء الى النبي و هو يتلو القرآن خوف ان يتسل الى قلوبهم فيؤمنوا به و هم لا- يريدون ذلك... و النص يوضح هذا المعنى و يجعل لذلك مقدمه هى كون القوم مجعولا- على قلوبهم من الله اقفال و اكنة و فى آذانهم اثقال و احوال تقعد فى طريقها عن الاصغاء والاهتداء... و جاء تلو ذلك من النص القرآنى: «نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك و اذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا- رجلا- مسحورا» الاسراء/٤٧... إن معاناة النبي لجاجة قومه و عنادهم و نفورهم و تباعدهم عنه و فرط خصومتهم لأمر لم يكن ابن ساعة من نهار بل كان مما لا تعد فيه الايام و الليالى الطوال... و مثل ذلك يحز فى نفس من يقبل على قوم يدعوهم الى الهدى و هم فى ضلال مبين... اجل انه يشق على ينفذ اناسا لا يدركون اهمية هذا الانقاذ لفقدان التمييز لديهم بين الهوى و الهدى و بين الحق و الباطل و بين الصلاح و

الفساد...» و من اظلم ممن ذكر بآيات ربم فأعرض عنها و نسي ما قدمت يدها...» الكهف/٥٧ التذكير جاء صيغة الفعل المجهول و المراد به الرسول في تذكيره و كذلك من عسى ان ينهض بمهمة التذكير في زمنه او بعد زمنه... و قد وصف الله القلوب التي لا تصغي لصوت الخير و الموعدة بقوله: «انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم وقرا»... و مما يستدل به على ما ذكرناه صدر هذا الفصل قوله تعالى الآتي في ذات السياق: «و ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذن ابد» الكهف/٥٧...

## باب تجد و لا تجد

وجود الشيء أحد المحسوسات التي تدل على الحقائق الثابتة و لا وجوده نفى له ان يعد من المحسوسات و استعمال الوجود في القرآن الكريم في مخاطبة النبي يحمل معنى التوثيق الذي لا يحوم حوله شيء من النفي و ما اليه و في الذكر الحكيم استعمالات بيانية لهذا الحرف و بمعنى ذلك يرد بلفظ التشديد و التوكيد من مثل «لتجدن» و قد اراد الله عزوجل [ صفحة ٢٢٤ ] في مخاطبة الرسول بهذا الحرف باستشهاد الرسول على جمهرة من القضايا الساخنة و من وقوف الرسول عليها و احاطته علما بها يجعلها من ادق الحقائق القرآنية التي تمتنع أن تكون مادة جدل و نقاش و جحد و انكار... فالرسول اذن - و هو مرسل من الله الى عباده - قد جعله الله و سيلة ايضاح و شاهد اثبات تقوم شهادته مقام شهادة الارض و السماء و من فيهن من اخلائق و الاقوام... و فيما يأتي نصوص جاء فيها هذا الحرف مشارا فيها الى مواقع السور و ارقام الايات. مع شرح ما يقتضى الشرح منها و تأويل ما يقتضى التأويل... و الدليل على و ثاقبة هذا الحرف اى (وجد. يجد) و ما اشتق منه قوله تعالى «ألم يجدك يتيما فآوى» فلقد كان اليتيم حقيقة لا مريه فيها لأن الله اخبر عنه بأنه وجد النبي قد ابتلى به اى باليتيم و لا تتحمل كلمة الوجود اى معنى مجازى خارج على دائرة الحقيقة و اطار الواقع. و قوله تعالى «و وجدك ضالا» كذلك «و وجدك عائلا»... اما قوله تعالى «فوجد الله عنده»... فان ذلك الواجد قد وجد آثار سلطان الله. لان سلطان الله دال على الله و ليس في مجاز القول هنا ما يعارض الحقيقة او يخالفها... «و لتجدنهم أحرص الناس على حياة. و من الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة و ما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر و الله بصير بما يعملون»... البقرة/٩٦ جاءت عبارة الوجود في النص مؤكدة ب(لام التوكيد) لتوثيق الحقيقة التي جرى الكلام عليها في وصف اليهود بأنهم أكثر عباد الله حرصا عليها. و ذلك اشعارا بأن اليهود لم تنفعهم عقيدة التوحيد في هذا الامر اذ شاركوا المشركين في الحرص على الحياة... و لتصوير صورة هذا الحرص لدى القوم جاء في النص ذكر الالف سنة التي يودون أن يعمروها مع عبارة التهكم بهم و السخرية التي جاءت بأنهم لو تحقق لهم أن يعمروا ألف سنة فان الالف سنة منصرفة و زائلة على طولها فما إن يعصمهم من العذاب و العقاب الالهى الشديد. أن يعيشوا هذا العمر الطويل لان الالف سنة و الالفين و ما جاوز ذلك كلها من الزمن المتحرك الذي يجب على من يعلم من الناس أن يعلم انه منته و في الاشارة الى ذلك نبز لهم بالغباء و السذاجة و غفلة العقل عن ادراك حقائق الاشياء... و قوله تعالى في ختام ذلك «و الله بصير بما يعملون» قرع لاسماعهم بأنه عزوجل محيط بكل اشائهم احاطة لا يعزب منها عن علمه شيء... «أولئك الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا». النساء/٥٢ في النص نفى صريح لوجود من ينتصر للذين لعنهم الله... و المراد بنفى النصير هنا من يملك نصرتهم من الله يوم القيامة و كذلك من يحاول نصرتهم في الدنيا فانه مكتوب عليه الخذلان ابدًا و ذاك لان جريرة هؤلاء الملعونين كانت في أنهم جعلوا عبادة الاوثان افضل من عبادة الله. و الكلام في النص مصروف الى اليهود الذين رجحوا شرك المشركين على توحيد المسلمين رغم أن اصل ملتهم و هى اليهودية قائم على التوحيد... ان نفى كون النبي و اجد لهؤلاء القوم نصيرا فيه من النفي حجم كبير جدا لان عدم وجود النبي لهؤلاء القوم من نصير يقوم مقام التوكيد القاطع بنفى هذا الامر المتهم و بذلك يعرض الخذلان و اليأس كل العروض لمن نفى الله أن يكون لهم نصيرا او عونًا معينًا. و بذلك تكون شهادة النفي التي نسبها الله للنبي بقوله «لن تجد» اقوى شهادة نفسى في هذا الباب. لان الرسول ليس كأحد من الناس. «فما لكم فى المنافقين فئتين و الله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من اضل الله و من يضل الله فلن تجد له سبيلا»... النساء/٨٨ كان رأى القوم من المنافقين يتردد بين تقديرين مختلفين. و أكد

النص القرآني هلاك هذه الفئة و ضلال [ صفحہ ٢٢٥ ] سعيها و من اجل أن لا يكون لها رجاء في رضا الله و غفرانه نسب الاضلال اليه عز شأنه في قوله «و من يضل الله فلن تجد له سبيلا»... و من هذا النص قوله تعالى «ان المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم و اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس و لا يذكرون الله الا قليلا، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء و من يضل الله فلن تجد له سبيلا» النساء/١٤٣... و قد ذكر السبيل هنا لبيان انهم لا مجال لهم للافلات مما قدره الله عليهم من العقوبة التي يستحقونها. و قد نفى وجود السبيل للمنافقين في ما خاطب به النبي «و لن تجد لهم سبيلا» اي ان السبل التي يقدر على الافلات منها الى النجاة غير موجودة اصلا لانهم لفرط ضلال عقولهم و قلوبهم لا يجدون من السبل المحيطة بهم ما ينفذون منه الى خارج الهوة التي هم فيها و لنفى وجوده هذه السبل نفيا باتا نسب الله الى رسوله صلى الله عليه و سلم انه هو كذلك لا يجد لهذه السبيل وجودا رغم انه يراقب الامور و يشهد الاحداث و هو في صفاء ذهن و طمأنينة فكر بحيث لو كانت السبل موجودة لوجودها و ان لم يجدها المنافقون... فالنص هنا جاء بصيغة تعد غايه في بلاغة التعبير عن نفى شيء و عن احاطة القوم اي المنافقين بكل ما هناك من مغاليق الرجاء و حواجز التيسر... «ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار و لن تجد لهم نصيرا»... النساء/١٤٥ نفى وجود النصير هنا اي الذي ينصر المنافقين انما هو ادوات النصر التي تصل اليهم و هم في اعماق جهنم و كذلك لعجز هذا النصير أن يبرز للقيام بما يرجوه المنافقون لعجز هذا النصير أن يبرز للقيام بما يرجوه المنافقون منه من عون و اسعاف و قد جاء النص بنفى نصره نصير ما لان النصير في العادة يكون ذا قوة و جرأة و تخطيط سديد لخطة العمل المطلوبة و في مواجهة قضاء الله لا نصير هناك... و لذا فان في الاية من صيغ التيسر و اغلاق باب الفرغ ما يعد من ابلغ التعابير صياغة و تعبيراً. و لم يقل عوناً لان العون يملك أن يعين من يريد اعانه بالكلمة و الشفاعة و ما الى ذلك. ولكن النصير هو من يقتحم ساحة المواجهة بكل سلاح عنده و في نفى وجوده نفى لجميع الوسائل و الاساليب و المحاولات... «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود و الذين أشركوا و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين و رهبانا و أنهم لا يستكبرون»... المائدة/٨٢ ذكر الوجود في الخطاب الذي يخاطب به النبي هنا مقرونا (بنون التوكيد و بلام التوكيد ايضاً) حكم بواقعية ما يجري الكلام عليه. اذ الوجود هو الاحاطة بالشئ على وجه تشارك فيه جميع الحواس المدركة مما يعد بذلك حقيقة ثابتة حاضرة غير غائبة و قائمة غير زائلة فان اليهود حقا هم اشد الناس عداوة للذين آمنوا في كل دار و في كل زمن و في كل جيل و ذاك لانهم يزعمون انهم شعب الله المختار. و الاسلام الذي يبغضون اهله اسقط هذا في عقيدته التي آمن بها الذين آمنوا فجعل اليهود كسائر خلق الله «و قالت اليهود نحن ابناؤ الله و احبأوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق» المائدة/١٨... و كان اليهود يجدون لهم في منطقة المدينة هوية و تجمعا و قلاعاً محصنة فلما وصل الاسلام الى المدينة و استقر فيها و وجهت اليهم الدعوة باعتناقه زاد ذلك من غيظهم و حقدهم و عدائهم اذ وجدوا أنهم فقدوا كل شيء و خسروا كل شيء... و من هنا لم يكن نبيهم بشدة العداوة للذين آمنوا مبالغاً فيه بل هو الواقع القائم الذي جعله الله في حكم المرئي المشهود اذ استعمل في التعبير عنه صيغة «لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود» ان اليهودية دين عرقي و شريعة اسروية لا تدعو احداً من غير ابناء اسرائيل الى اعتقاد عقيدتها و اعتناق شريعتها لذلك لم يكن الاسلام [ صفحہ ٢٢٦ ] قد نافسها في دعوة الناس الى اعتناقه و على هذا فان منشأ العداوة نابع مما أشرنا اليه صدر هذا الحديث و كان من الضروري اعلاميا و واقعا أن تنزل آيات كثيرة من القرآن لتضع مجموعة كبيرة من عيوب اليهود في ايديهم مما لفت انظار العرب من مسلمين و غير المسلمين الى جبله هؤلاء الناس و فرط كرههم لمن هو من غير ملتهم... و في مقابلة ذلك جاء ذكر قوم آخرين وصفهم الله بمودة المؤمنين اذ قال «و لتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين و رهبانا و أنهم لا يستكبرون» و قد عنى النص بذلك من كان من النصارى الموجودين في الجزيرة و المترددين عليها من الحبشة و غيرهم و كان يومذاك شيء من التقارب في بعض الاسس الدينية و الاسلامية ساعد على بروز هذا الخلق الودي بين الفئتين مما كان له اثر ظاهر عند فتح المسلمين للعراق اذ ذكر مؤرخوا المسيحية أن نصارى العراق ارتاحوا كثيرا لهذا الفتح الودي بين الفئتين بفعل ما هناك من تقارب بينهم و بين الفاتحين في اللغة و حسن التعامل و بعض وجوه الالتقاء

العقائدي. و اذا رجعنا الى العلاقات الاسلاميه الحبشيه فانا نجد ذلك في ايام هجرة المسلمين الى الحبشه دالا على أن حكام الحبشه في تلك الفترة غيرهم في فترة الغزو الاول لمكة عام الفيل اذ دان حكام الحبشه فيما بعد بعقيدة في المسيحية استخلصت من قرارات المجامع النيقية يوم ذاك. و من هنا ارتاح النجاشي و جماعته من نصارى الحبشه الى ما سمعوه من موقف القرآن الكريم من مريم ام المسيح عليهم السلام. و كان القسس و الرهبان يومذاك على جانب من الحس الانساني و السواك الهادي الذي يأخذ بهذب التعاون... «و لولا- أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا. اذن لاذقناك ضعف الحياء و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا»... الاسراء ٧٤/٧٥ ما من شك في أن مهمة الرسالة التي ناطها الله بالرسول الاعظم انما هي مهمة شاقه كل المشقه اذ كان على الرسول أن يعمل على قطع صلة العرب باصنامهم و اوثانهم و بكثير مما هم عليه من عادات و تقاليد و قيم توارثوها من زمن بعيد... و هم قوم عرفوا بشده الاصرار على ما ألفوه و اعتادوه من عنعناتهم و مثل جاهليتهم... لذلك كان من الامر الطبيعي ان يواجهوا رسالة الرسول اليهم بالانكار و المقاومة الشديده و اللجوء الى شتى الوسائل التي يحسبون أنهم يجتثون بها عرق هذه الدعوة الطارئة عليهم و التي جاءهم بها رجل منهم بمفرده و لا عون معه الا ما يستعين به من عون ربه الذي لم يكونوا يؤمنون به. و من كان يؤمن به انما كان يجعله شريكا لبعض معايبه. و لذلك نبه الله الرسول الى ان يكون شديد الحذر من مكاييد القوم و من دقيق مكرهم «و احذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك» المائدة/٤٩... و لبيان عظم المحنة فيما لو استطاع كفار مكة و مشركوها أن يجروا الرسول الى ساحتهم فيبيت مقصرا باداء المهمة... جاء النص بعبارات فيها مكان من قوله تعالى: «اذن لاذقناك ضعف الحياء و ضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا» على ان الفضل في ذلك كله اى استمساك الرسول بالوحى كله و التنبه للتحذيرات الالهية المترلة اليه انما كان من فضل الله عليه بالثبوت الذي لولاه لما استطاع الرسول أن يقف في وجه قوم أولى عناد و جاهلية ذريعة فيتغلب عليهم و ينتصر الانصار العظيم. و قوله تعالى: «و لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا» ينفي الركون اليهم بفعل قوة الثبوت الالهية. ولكنه يدل على ثقل المواجهة اى مواجهة الكفار للدعوة و يدل على أن الله [صفحة ٢٢٧] عزوجل كان وراء رسوله امدادا بالقوة و الصبر و العزم و المطاوله و يعنى هذا ان الرسول كان ابدًا يتلقى من الله الدعم و التأييد منه عزوجل في محل الرعاية و الملاحظة في كل لحظة من لحظات وجود النبي في ساحة المعركة الطاحنة بينه و بين القوم... «سنه من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنتنا تحويلا»... الاسراء/٧٧. نفى أن يجد الرسول لسنة الله تحويلا هو نفى قاطع لوقوع التحول في سنة الله أى ما جعله الله امرا ثابتا و قانونا قائما لا سيما ما جرى عليه الامر في التعامل مع جميع الرسل. و ليس المراد هنا بالسنة ما يعد من قبل النواقل و ما اليها من ما هو دون الفرائض و انما السنة هنا ما كان من نوااميس القضاء الالهى... و فى المصطلحات الحديثه يرد قولهم سنن الطبيعة اى ركائزها و ثوابتها التي لا تتحول و لا تتبدل و نوااميسها... و قد تكرر هذا النص بالاية الثانية و الستين من سورة الاحزاب التي نصها: «سنه الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا» كما تكرر النص فى الاية الثالثة و الاربعين من سورة فاطر قوله تعالى: «استكبارا فى الارض و مكر السىء و لا يحق المكر السىء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة تبديلا و لن تجد لسنة الله تحويلا» و كذلك تكرر ايضا قوله تعالى: «سنه الله التي قد خلت من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا» الفتح/٤٣... و يقع مثل هذا التكرار فى الجمل القرآنية الحكيمه لتماثل اسباب النزول و تشابه موارد القوم... «و لئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا. الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا»... الاسراء ٨٦/٨٧ فى هذا النص ما يشير الى أن اصطفاء الله لرسوله الاعظم محمد بن عبد الله بالرسالة ليس فى مقام التكليف وحده بل هو فى مقام التشريف ايضا و قد يكون التشريف اسبق من التكليف و من ذلك ما نحن مواجهوه. و فى هذا النص ما يومية ايماء دقيقا الى أن فيه تنبيها للنبي ينبهه أن لا يشتد همه لمواقف المشركين المشخنة بالعداوة و الحقد و فرط الكيد فان شرف الرسالة التي يحملها من رب العالمين الى العباد شرف عظيم و هذا هو معنى قوله تعالى: «و لئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك» فمن هنا كذلك يثبت الله لذاته العظيمة الفضل الا- كبر على رسوله «ان فضله كان عليك كبيرا»... و لو أن الله حبس و حيه عن نبيه. فصرف رسالته عنه لكان لهم فى ذلك أعظم من معاناه اذى المشركين و على هذا جاء قوله تعالى: «ثم لا تجد لك به علينا وكيلا»...

فليس في النص انتقاص لما كان الله قد وهبه للنبي من مكانة عنده و شأن و قدر و اعزاز و تعظيم... «و من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و بكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا»... الاسراء/٩٧ في هذا النص اسقاط لما يظنه الظانون من مسؤولية الرسول أن لا يتحقق له ايمان جميع الناس اذ ان الهدى هو هدى الله و الذين لا- يؤمنون لا- يؤخذ النبي على جريرة كفرهم فهم و حدهم ينالون العقاب الاليم... و قوله تعالى «فلن تجد لهم اولياء من دونه» يدل على أن اولئك الكفار لا اعوان لهم و لا انصار من عقاب الله و شديد بطشه و في «لن تجد» ما ينوه بعض التنويه بأن النبي صلى الله عليه و سلم في هذا المقام لا يملك الشفاعة لا مثال هؤلاء الناس لو شاء أن يتشفع فيهم لدى ربه. «ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا»... الكهف/١٧ [صفحة ٢٢٨] جاء هذا الكلام الالهى في تضاعيف الكلام على فتية اهل الكهف و الامر في هذا قديم و قد نقل الله نبيه الى ذلك العهد ليكون في صميم الموقع و في بحبوحة الحالة. و امر الضلال و الهدى أمر مستديم في حياة البشر فما جاء من قوله تعالى «من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا» ينطبق على السلف و الخلف... و نفى ان يجد النبي لمن يضلل الله من ولي مرشد تعبير عن قاعدة ثابتة لا تتبدل في عهد موسى عليه السلام و عهد نوح و عهده صلى الله عليه و سلم. «و اتل ما أوحى اليك من كتاب ربك، لا مبدل لكلماته و لن تجد من دونه ملتحدا»... الكهف/٢٧ جاء الكلام على هذا النص في باب «واتل» و قوله تعالى «و لن تجد من دونه ملتحدا» تثبت للنبي على اداء مهمة الرسالة لا سيما في ما يكون منها خاصا بالتلاوة أى بمجاهرة القوم بالنصوص المنزلة اليه مهما أدت هذه النصوص الى اغضابهم و ازعاجهم و اطلاق راحتهم فانها مهمة على النبي أن يؤديها و هو واجد من الله ما يلوذ به من ملتحداى ركن حماية لا يجده في غيره... و في ذلك كذلك تنبيه للناس و تحذير صريح بأنهم ان لم يؤمنوا بالله فلا احد يجيرهم من الله... «لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الاخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو ابناهم أو اخوانهم أو عشيرتهم»... المجادلة/٢٢ في النص القرآنى اثبات لقاعدة ايمانية تقرر أن المؤمن الصادق الايمان لا يوالى كافرا و لا يواده و لو كان ذا قربي لان من رسخ الكفر في قلبه فانه يظل يحمل العداوة و البغضاء و الكره لمن آمن و ان كان من ذوى قرباه... فالمعادلة واحدة. و لا يصح القول ان الايمان سبب للتفريق بين ذوى الارحام فان قيل ذلك فان الكفر هو كذلك سبب للتفريق بينهم...

## باب الرسول

هذه جمهرة من الايات القرآنية التى جرى فيها الكلام على الرسول مقرونا اسمه بصفة الرسالة و قد اوردناها في هذا الركن مشروحة بعض الشرح... «و لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون». البقرة/١٠١ القرآن الكريم فى محتواه الذى هو محتوى التوحيد المطلق للخالق البارى العظيم لا- يخرج فى ذلك عما استوعبته التوراة من التوحيد ولكن اهل التوراة حين نزل القرآن الكريم و هو على ذات النهج من الدعوة الى التوحيد حاربوه و نبذوه و هذا ما سجله الله عليهم فى سجل الجنایات المقترفة من قبلهم و وصفهم الله بأنهم فى فعلتهم هذه تصرفوا تصرف من يجهل الحقائق و لا يعلم منها شيئا. و قوله تعالى «و لما جاءهم رسول» يوضح أن رسالة النبي ليست خاصة بالعرب و حدهم و انما هى لسائر ابناء آدم عليه السلام من ذوى الديانات المعروفة و غير ذوى الديانات المعروفة لذا كانت مهمة النبي صلى الله عليه و سلم شاقّة جدا اذ كان يواجه اكثر من قوم و يخاطب اكثر من امة و يدعو الى الاسلام فئات متضاربة الاراء مختلفه المعتقدات متباعدة الاهواء و من هنا برزت شخصية الرسول فى مجالها الوظيفى شخصية نادرة النظير... «و اذا اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أقررتم و اخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين»... آل عمران/٨١ يشير النص القرآنى الى أن الله اعلم النبيين من ذوى الكتب المنزلة بأنه باعث رسولا يختم برسالاته الرسالات و بنبوته النبوات و هو مصدق لما معهم من حقائق الدين و اصول العقيدة. و قد دعاهم و المراد [صفحة ٢٢٩] بدعوتهم هنا دعوة

اتباعهم و ان بعد الزمن الى الايمان بذلك الرسول ولكنهم اذ جاءهم الرسول المعنى رفضوا الاعتراف له بالرسالة و حاربوه و كفروا بشريعتهم. و المراد بالرسول هنا رسول الله صلى الله عليه و سلم اى محمد بن عبدالله... ان اخذ ميثاقا من النبيين و غيرهم ينطوى فى مجال يعلمه الله فهو مما لا يدركه علم عالم و لا بصيرد ذى بصيرة و مثل ذلك فى القرآن الكريم «و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين» الاعراف/١٧٢. كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم و شهدوا ان الرسول حق و جاءهم البيئات و الله لا يهدى القوم الظالمين... آل عمران/١٨٦ الكلام هنا يدور حول فريق من المنافقين عرفوا باعتناق الدين اول الامر ثم انقلبوا الى الكفر من جديد. و من الامر البديهي ان من ذاق حلاوة الايمان ثم كفر فانه غير من لم يذق من حلاوة الايمان شيئا و مثل هؤلاء لا يستحقون أن يؤتمنوا على حق و هداية و ايمن لانهم عرفوا ذلك و تذوقوه ثم نبذوه...فها هنا نتوقف لحظات لنرى ثقل و طأة هذا الموقف على شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم اذ كان قد انفق من الجهد ما انفق حتى هدى الى الدين اولئك الذين عادوا الى الكفر من جديد. لا ريب أن نصية من يبعثه الله مصلحا لامته و هاديا لقومه الى سبل الخير و الرشاد فانه ليشق عيه ضياع جهده و اشتداد معاناته فى مثل هذه الساحات التى تنهك فيها القوى و الطاقات. فلهذا هذا النبى العظيم الذى تقصر كلمات الاطراء عن اطرائه و الفاظ الاعجاب عن الاعجاب بشخصيته العظيمة المتفردة فى طاقاتها و استعداداتها و صبرها و جلدتها و متواصل ماثرتها و مستصعب ممارساتها... اذ تصعدون ولا- تلون على احد و الرسول يدعوكم فى اخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا- تحزنوا على ما فاتكم و لا ما اصابكم و الله خير بما تعملون»... آل عمران/١٥٣ هذا النص سبق بنص سابق هو قوله تعالى «و لقد صدقكم الله و عدته اذ تحسبونهم باذنه حتى اذا فشلتم و تنازعتم فى الامر و عصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم و لقد عفا عنكم و الله ذو فضل على المؤمنين» آل عمران/١٥٢... فى النصين المتتابعين عرض لظرف من ظروف الاقتتال بين المسلمين و المشركين و هو على وجه التحديد قد كان وقعة (أحد) التى كادت الغلبة تتم للمسلمين فلما فرطوا فى التمسك بالخارطة القتالية التى رسمتها القيادة و على رأسها الرسول الاعظم انعكست الاية و احيط بجيش المسلمين و كادا الغلبة تكتب للكفار اى الجهة الاخرى و كان الرسول فى صميم المعركة يرى القوم قد انهزموا فكان يدعوهم الى العودة الى الساحة و الالتمام فيها و اخذ المبادرة من جيش العدو...هذه الصورة تمثل جانبا مهما من عظمة شخصية النبى التى تتصل برباطة جأشه و صلابه عزمه و عدم خوفه و رعبه و شدة بأسه فى ساعه مثل تلك الساعة و فى ساحة مثل تلك الساحة و قد استطاع النبى أن يرد القوة الى الدين ضعفوا و الرجاء فى الذين يشؤوا و العزم فى الذين انهاروا حتى تم نصر الله... و لم نجد النص قاسيا فى مفرداته التى وصف بها المسلمين و انما كان هادئا لينا نالت به فئة المسلمين من لطف الله و سابغ رحمته ما جعلها تطمئن الى ايمانها و تثق بنصر ربها تلتم حول نبيها و رسولها... و قد جاء فى ذات المجال القرآنى استجابوا الله و الرسول من بعد ما اصابهم القرع للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجر عظيم» آل عمران/١٧٣... [ صفحہ ٢٣٠ ] «و اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله و الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا»... النساء/٦١ فى هذا النص جاء اسم الرسول مقرونا باسم الله و بما أنزل الله اشعارا بمكانة الرسول من ربه و عظم الوظيفة التى و كلها الله اليه و الدعوة الموجه الى القوم بالاقبال الى ما انزل الله على رسوله من هدى و رشاد انما هى دعوة ذات مستوى عال من التهذيب و الموعظة الحسنه مما هو حرى بالقبول و المبادرة الى الاستجابة ولكن المنافقين كانوا يبدعون من هذه الدعوة. و فى قوله تعالى «و اذا قيل لهم تعالوا» رفق فى الخطاب و لطف فى الحديث لا يخدش كبرياء من كان من القوم أخوا كبرياء و ذا مخاشنة ولكن المنافقين و قد ملثوا حقدًا و جبنًا و ذلا و تقلبا لا يحمد مثله فى الرجال... و المنافقون و ان كانوا غير مكشوفى الحال مئة بالمئة فان بشاعة تصرفاتهم كانت كثيرا ماتم عن حقيقة امرهم و خفى حالهم و بذلك تنصب عليهم علامات التعجب و الاستفهام و الارتياب من قبل كثير من المسلمين.» (و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا)... النساء/١٥ مشاققة الرسول تعنى عصيانه بلجاجة و اساءة تعامل لا سيما اذا كان هذا الذى يشاقق الرسول يشاققه بعد دراية و علم بما جاء به الرسول من هدى و حسن نصيحة. و قوله تعالى «و يتبع غير سبيل المؤمنين»

هو تعبير آت لتفسير معنى المشاقفة أو هو متمم لذلك المعنى... و بديهى أن من يقف مثل هذا الموقف تجاه الرسول صلى الله عليه و سلم فان له من الله العقاب العادل و الجزاء الذى يستأمله و هو النار يصلها مذموها مدحورا. ان من يشاقق الرسول فانه يشاقق الله و من يعص الرسول فانه عاص لله... «يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم و ان تكفروا فان الله ما فى السموات و الارض و كان الله عليما حكيما»... النساء/ ١٧٠ الخطاب بلفظ «يا أيها الناس» يغلب فيه أن يكون من الخطابات المكية لان حجم الذين آمنوا فى مكة كان حجما ضئيلا و الخطاب هناك - أى فى مكة - موجه الى عامة الناس و لذا كانت كلمة «يا أيها الناس» سمة للخطابات القرآنية فى مكة. ولكن حين كان سكان المدينة و من حولها متوزعين على اناس كثيرين فيهم المشرك و فيهم الكتابى و فيهم اهل الحضر و فيهم اهل الوبى فى اول ايام الهجرة فقد عوملوا فى الخطاب معاملة اهل مكة لذا كان يصلح فى مخاطبتهم استعمال «يا أيها الناس» فى هذه السورة المدنية. على أن فى مخاطبة الناس بلفظ «الناس» فيه اشارة الى من لم يدب ديب الايمان الى قلبه و لذلك حين جاء قوله تعالى «و ان تكفروا» غير معنى فيه انهم على شىء من الايمان و كفروا بل انهم لم يكونوا على شىء من الايمان اصلا و معنى قوله تعالى «و ان تكفروا» أى ان تستمروا على كفركم و ترضوه لكم نهجا و عقيدة. و الرد على كفرهم بقوله تعالى فان لله ما فى السماوات و الارض» يعنى ان الله عظيم و ان كل ما فى السماوات و الارض له، و طوع امره، فهو فى غنى عنهم و عن امثالهم من الكفرة المارقين... «و اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعيينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آما فاكتمنا مع الشاهدين»... المائدة/ ١٣ النص وارد فى قسس نجران الذين زاروا لانبى فاتخذ لهم مستقرا فى ساحة مسجده بالمدينة. فانه صلى الله عليه و سلم اذ قرأ القرآن و استمعوا له و اصغوا اليه انبجست من اعيينهم دموع ساخنة تعبر عن فعل القرآن فى عواطفهم و نفوسهم مما يفهم منه كذلك ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان عذب التلاوة و ذا [ صفحة ٢٣١ ] جرس فى قراءة القرآن شديد التأثير. و فى الاصوات البشرية ما يكون له التأثير العظيم على الاسماع العواطف و قد عرف الرسول بهذه الخصيصة فكان اذا تلا القرآن منذ اوائل نزوله عليه فى العهد المكي فسمعه من سمعه أو شك أن يحتل القرآن مكانا من قلبه. و لذلك كانوا يتواصون - اى الكفار - بالابتعاد عن الاصغاء الى النبى و هو يتلو القرآن «و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» فصلت/ ٢٦... و لم يكن يومذاك من يقرأ القرآن جهرا على الناس فى الصلاة و خارجها غير النبى خوف البطش بهم و خوف اعلان من اسلم منهم اسلامه إن أراد أن لا يعلن اسلامه. على ان الدموع المترقرة فى محاجر العيون عند سماع القرآن الكريم انما كان يقع لها ذلك اضافة الى رقة الصوت و عذوبته. اذ كان القرآن يتلى باللسان العربى المبين. و كانت لغة معروفة لسائر سكان الجزيرة فان لفهمه و ادراك فحوى عباراته و جملة و تذوقه و التلذذ بلاغته ما يجعله مفهوم الفحوى و لذا يكون بكاء من يبكى عند سماعه ناشئا من استيعاب ذلك و ليس مجرد ما يستعمل فى ادائه من الانغام و عذوبة الصوت فقط رغم أن لذلك شأنا طبيعيا فى ترقيق القلوب. ان القرآن الكريم نزل بلغة قريش التى هى لغة الشعر و الادب لدى العرب، و القسس النجرانيون هم من اهل اليمن. و اليمن كانت تنهج بالشعر نهج اهل الحجاز و اليمامة و غيرهم. و من اجل ذلك كان القرآن الكريم مفهوما لسائر قبائل العرب و عشائرهم و بطونهم و افخاذهم و سائر اصحاب الديانات فيهم... «و اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله و الى الرسول قالوا حسنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا و لا يهتدون»... المائدة/ ١٠٤ المراد بهؤلاء الذين خوطبوا ب«قيل لهم» - على ما فى النص - هم عرب الجاهلية. و قد جاءت الآية التى سبقت هذا النص تتحدث فى امرهم و فى بعض معتقداتهم التى اغاها القرآن بالمرء و ذاك على نحو ما جاء فى قوله تعالى «ما جعل الله من بحيرة و لا - سائبة و لا - وصيلة و لا - حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب و اكثرهم لا يعقلون» المائدة/ ١٠٣... لقد كانت للعرب ايام جاهليتهم احكام دينية لا يدري لها اصل دينى و لا صلة لها بشرع من شرائع الله فهذه الالفاظ هى ألقاب لبعض انواع النياق و الابل كان العرب يصلون فى معاملتها الى درجة التقديس بحيث تطلق سائبة لا يعترضها احد مهما نفشت فى المزارع و البساتين و الحقول و قد أبطل الاسلام ذلك و اباح اكل هذه الحيوانات التى اراد العرب تقديسها لدرجة وقع لهم بها ما وقع لعبدة البقر فى بعض انحاء العالم. ولكنهم استعظمو الحكم القرآنى فى الغاء معتقدتهم فى هذه النياق. و قد ابطل الله عبادة العجل

الذي كان اليهود عبدوه او اشكوا ان يعبدوه تقليدا لما كان عليه الوثنيون القدماء في مصر و هذا ما توضحه قصة البقرة التي امرهم الله بذبحها فظفوا يماطلون في ذلك من فرط تعلقهم بها و لعبادتها «و أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين» البقرة/٩٣... ان قوله تعالى - و اذا قيل لهم تعالوا الى قوله حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا - ان قولهم في هذا المقام يعنون به اصرارهم على رأيهم في البحيرة و الوصيعة [٦٢] و غيرهما مما كانوا قد [صفحة ٢٣٢] وجدوا عليه آباءهم «أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا و لا يهتدون»... الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و نصره و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»... الاعراف/١٥٧ هذا النص مرتبط بجزء من آية سابقة ذلك الجزء قوله تعالى «قال عذابي اصيب به من اشاء و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون»... القول الالهي لا- نراه قاله الله لموسى عليه السلام و انما هو مما علمه الله و قدره في اقداره و كتبه في لوح غيبه... ان النص الذي نحن بصدده يشير الى أن الرسول الاعظم محمدا بن عبد الله مشار اليه في التوراة والانجيل و موصوف فيهما ببعض مهمات الرسالة الالهية من نحو احلال الطيبات و تحريم الخبائث و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و وضع الاصر و الاغلال. و جاء النص «فالذين آمنوا به و عزروه و نصره و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»... المراد بهؤلاء القوم من كانوا انزلت اليهم كتب سماوية من توراة و انجيل كذلك من كانوا من اهل ديانات اخرى و من لم يكن منهم على دين و قوله تعالى «و عزروه» اي عظموه و اكبروه و احترموه و المفلحون الذين قال الله فيهم «اولئك هم المفلحون» هم سائر من اشرنا اليهم من الامم التي تقبل على اعتناق الاسلام و تقبل برسالة الرسول الامي. و المراد بالامي من كان لا يعلم القراءة و الكتابة و كان غالب العرب هم كذلك... ان القراءة و الكتابة لو كانتا مما يعرفه النبي و مما يتعامل به في حياته اليومية فانها لن يغنيها شيئا لانهما ليسا مصدر نبوته فان الذين يقرأون و يكتبون من انبياء البشر لم يكن مصدر نبوتهم ما يعرفون من القراءة و الكتابة و ان ما جاءوا به من رب العالمين لم يكن مكتوبا في كتب درسوها... و الشريعة الاسلامية التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم لم ترد احكامها في شرائع مكتوبة و قواعد الميراث الاسلامي لم تعرف بالكتب من قبل و احكام الزواج و الطلاق في القرآن الكريم لم تعرف في كتب من قبل و احكام الصيام على ما في الملة الاسلامية لم تعرف في كتب سبقت الاسلام و ان كان الصيام قد عرف لدى الاقدمين ولكن على غير ما عرف لدى المسلمين... و قصص الانبياء في الكتب القديمة جاء القرآن بها مصححة و منقحة. و العبر المستخلصة مما جاء في التوراة و اعاد القرآن ذكرها و التنويه بها. لم تكن هذه العبر قد عرفت في كتب سالفه و القرآن لم تردد سورة و آياته على نسق ما جاء في التوراة والانجيل اذ جاء القرآن صارفا النظر عن اسماء المدن و الاراضي و القبائل و الملوك و التواريخ و الانساب و تخوم الارضين و اخبار تنصيب الملوك و غير ذلك فلو كان النبي يقرأ و يكتب و كان قد قرأ التوراة و الانجيل على زعم من شاء ان يزعم ذلك فما جدوى هذه القراءة اذا كان القرآن الكريم لم يذكر من الانبياء غير عدد يسير و لم يشير الى الامم و الاقوام و تفاصيل الحروب. و يفهم من هذا ان الثقافة القرآنية لم تكن تستمد كيانها الثقافي من غير طريق الوحي الالهي الذي اقره القرآن الكريم و من هنا نعلم ان النبي كان اميا غير عارف بالكتابة او بالقراءة و لا ملم بالكتابة، فذاك هو شأن سكان الجزيرة العربية الا من ندر منهم اذ كان العرب كما اشرنا في غير مكان من هذه الفصول - تغلب عليهم الامية بفعل اعتدادهم بذكائهم و قوة ذاكرتهم و مثل ذلك غالبا ما يغني على اللجوء الى القلم و الحرف لا سيما حين لا يجد الكاتب من يكتب اليه شيئا يريد ابلاغه به... ولكن الشريعة الاسلامية التي جاء بها محمد بن عبد الله سيد رسل الله الى عباد الله قد نظرت الى [صفحة ٢٣٣] العالم البشري نظرة ارادته أن يكون متحضرا و متعلما اذ شاء النبي و هو امي للعالم البشري أن لا يكون اميا و تلك من اسرار عظمة هذا الرسول العظيم صلى الله عليه و سلم. «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و اعلموا أن الله يحول بين المرء و قلبه و انه اليه تحشرون»... الانفال/٢٤ الخطاب ب «يا أيها الذين آمنوا» ليس كالخطاب ب «يا أيها الناس». فان المراد بيا أيها الذين آمنوا فئة المسلمين فهؤلاء يخاطبون بالامور الاصلية والفرعية اما



الناس فالمراد بهم سائر افراد المجتمع فانهم قد يخاطبون بالاصوليات و العموميات فى غالب ما يخاطبون به. و فى النص الذى نتكلم فى اطاره أن الله يأمر الامة المؤمنة بأن يستجيبوا الله و لرسوله اذا دعاهم ما يحييهم. و قد الاحياء هنا قصد اتفاقي و ليس هو القصد الاحترازي لانه ليس فيما يدعو النبي الناس اليه ما هو فى غير سبيل الاحياء و الافادة. و النص يوجب متابعة الاستجابة الله و للرسول لان فى الغفلة عن هذه الاستجابة ما عسى أن ينسى المؤمن بعض واجباته نحو ربه و نبيه و انهم سيحشرون الى الله يوما ما فيسألهم عن فحوى ايمانهم و محتوى عقيدتهم. عليهم اذن مواصلة التثبيت بأسباب الايمان و موجبات اليقين و أن لا يتعدوا عن مسالك الهدى و الطاعة و العبادة الخالصة لله... «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أماناتكم و انتم تعلمون»... الانفال/٢٧ يثبت النص هنا أن خيانة الامة الرسول كخيانتها الله و لذلك نهى الله الذين آمنوا ان يخونوا الله و الرسول و قرن ذلك بخيانة الامانات التى هى فى عهدة الضمائر النظيفة و قوله تعالى: «و انتم تعلمون» يراد به ان لا يقع منكم شىء من ذلك على وجه القصد فان وقوع شىء من المنهيات على وجه الغفلة و اللاقصد غير ما يقع من ذلك على وجه الاصرار و القصد... فلكل من هاتين الحالتين موقف يتخذ تجاهه القرار الملائم او المناسب... «و اعلموا أن ما غنمتم من شىء فان الله خمس و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان و الله على كل شىء قدير»... الانفال/٤١ كان الرؤساء و القادة عند توزيع الغنائم يكون لهم اكثر من سهم و حصه مما لا يقع لاحد من المقاتلين سواهم و فى ذلك يخاطب قائد حملة عند توزيع غنائمها لك المرباع منها و الصفايا و حكمك و النسيطة و الفضول [٦٣]. و لم يكن للنبي عند توزيع الغنائم سوى الخمس الذى يكون الله اى ما هو فى سبيل الله نصيب و للنبي و لفئات اخرى من ذوى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل يشركونه صلى الله عليه و سلم فى هذا الخمس... اذ ان هؤلاء كلهم تكون اعطياتهم من الخمس الواحد. و يفهم من هذا ان انتفاع الرسول بهذه الاخماس انتفاع غير واسع القدر. اما ذوى القربى فالمراد بهم من يحضر القسمة من افراد المؤمنين. و ذهب قوم الى تحديد انتماءاتهم القبائلية و الاسرية اما ذو و قرابة النبي فان النبي ينفق عليهم من سهمه و حصته و اما اليتامى و المساكين و ابناء السبيل فان الدولة تنفقدهم و تبحث عنهم و تعطيم اعطياتهم من [صفحة ٢٣٤] ذات الخمس... و يبدو أن موضوع الخمس يعالج أو كان يعالج وفق نظام حسابي دقيق. و بديهي أن الغنائم تحصى و تحمى من أى تصل اليها يد غير ذات حق فى الاستحقاق و من هنا شدد النص فى تحريم الغلول و هو اخذ شىء من الغنائم من دون علم القيادة التى تتولى فسمه و توزيع هذا السهم «و ما كان لنبي أن يغفل و من يغفل يأت بما غل يوم القيامة» آل عمران/١٦... و بذلك كان النبي فى انتفاعه من الغنائم اقل نصيبا من القادات و امراء الجيوش على ما ذكرنا... ان مهمة توزيع الغنائم و هى فى العادة لقاء على القيادة المتمثلة بالرسول صلى الله عليه و سلم هى مهمة شاقة و حرجة و قد تواجه القسمة باعتراضات البعض من لا يتهيأ لهم حسن التقدير و دقة التصرف... حقا ان مهمة توزيع الغنائم على المقاتلين عبء ثقيل و كان جعل ذلك الى الرسول مما يزيد التكليف و الاعباء الملقاة على عاتقه صلى الله عليه و سلم... ان استحقاق ذوى القربى للخمس منوط بثبوت حاجتهم للنفقة. فمن كان منهم غنيا فليس له فى الخمس نصيب لان ذوى القربى كثيرون و لا يسعهم الخمس الواحد. «ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم و هموا باخراج الرسول و هم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله احق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين». التوبة/١٣ هذا النص فى الكلام على المشركين الذين عاهدوا الا أنهم نكثوا العهد و لم يلتزموا به و حق عليهم أن يعاقبوا و أن يقاتلوا فلا يحميهم من ذلك الا التوبة فلقد أسرفوا فى الغدر و نكث العهود و ايداء المسلمين. و النص الذى نحن فى صدد الخوض فيه مسبق بنص اخر بل بأكثر من نص اذ ان الموضوع القرآني الذى جاء فى هذا الصدد قد احتواه فصل من الايات طويل. ان قوله تعالى (و ان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون» التوبة ١٢ يوضح بعض الجوانب من سوء تصرف المشركين الذين كان همهم الطعن فى الدين و نقض المواثيق و اثاره اسباب القتال و الفتنة و أوضح القرآن أن أيمان القوم التى كانوا يقسمونها لم تكن محل الاحترام من قبلهم هم بالذات. ان معايشة النبي بمثل هذه الظروف و الاحوال المتكررة لهى معايشة غير سهلة الاحتمال على حين كان النبي منوطا به من ادارة شؤون الامة فى مجالها الدينى و الدنيوى ما هو كثير

لا يكاد يحصيه من يريد أحصاءه. «والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»... التوبة/٦١ نهى الله عن إيذاء رسوله و توعد من يفعل ذلك بالعذاب الاليم لان في إيذاء النبي ما يشغله عن مواصلة أعماله في رعاية أمر المسلمين و تحقيق مطالب الدين و الوقوف في وجه خصومه الكثيرين من اهل الكتاب والمشركين. ان توعد الله الذين يؤذون النبي بالعذاب و العقوبة مسألة طبيعية في مجال نهوض الانبياء بمهام الدعوة الى الله، على انه تعالى قد تكفل حماية أنبيائه و رسله من مكاييد اعدائهم و خصوم دينهم... «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله و كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم و انفسهم في سبيل الله و قالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون». التوبة/٨١ المخلفون هم الذين لم يخرجوا مع المقاتلين المؤمنين للذود عن المدينة عند تعرضها لغزو كان مرادا به القضاء على الاسلام في عقر داره و في مقر سلطانه ان المخلفين هؤلاء كانوا قد سرهم موقفهم العدائي من الرسول بل أنهم فوق انكماشهم عن المشاركة في القتال كانوا يغرون الناس بعدم الخروج مع النبي بدعوى شدة الحر يومذاك. و يختمهم الله على ذاك و لفت أنظارهم الى أن الحر الذي يحتمون منه فلا يحاربون بسببه سيواجههم حر أشد منه هو الحر الذي سيلفح وجوههم في نار جهنم. [ صفحہ ٢٣٥ ] «لكن الرسول و الذين امنوا معه جاهدوا بأموالهم و انفسهم و اولئک لهم الخيرات و اولئک هم المفلحون». التوبة/٨٨ في هذا النص شهادة للنبي بالجهاد في سبيل الله بماله و نفسه فما كان يقع في يده من مال ينفقه في هذا الوجه، و جهاده بنفسه هو أنه كان يغشى الوغى و يقود المعركة و يرسم الخطط العسكرية و القتالية و يصدر أوامر القتال و كان أصحابه يجاهدون كذلك بأموالهم و انفسهم و هي كذلك شهادة لصحابة النبي بصدق تعلقهم برسول الله و صدق طاعتهم له و صدق ايمانهم بالدين فان الجهاد بالنفس و النفس في سبيل أمر ما يعد وثيقة في الاعتقاد بذلك الامر و كل قيادة يعد نجاحها مضمونا لما يتجمع من اخلاص الاتباع و النصر و قد أعلن الله جزاء الصادقين من أتباع النبي و الذين كانوا في معيته عند كل قتال و عند كل شدة و عند كل ساعة عسرة. أجل و عدهم النبي بحسن الجزاء و المكافأة. «و من الاعراب من يؤمن بالله و اليوم الآخر و يتخذ ما ينفق قربات عند الله و صلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم». التوبة/٩٩ كان الاعراب ينزون بالمواقف غير الناصحة و لا- النافعة للامة و للدين و الملة و لكن النص الذي نقوم على تفسيره أو على الكلام عليه هنا أوضح ان في الاعراب من كانوا مخلصين للدين صادقين في الانتماء الهى ينهجون نهج الاحسان و الخدمة الخالصة لله و للرسول و هو نص فيه للاعراب تركية صريحة و فيه عهد من الله بأن يثيبهم و يحسن اليهم. فالاعراب اذن ليسوا كافة محل النبز بالتقصير أو الكفر أبدا و في جميع الاحوال، و قوله تعالى «و صلوات الرسول» أى استغفاره لهم و دعاؤه الدال على رضاه عنهم و الشافعة لهم عند الله فان شفاعته الرسول لامته ثابتة بأكثر من نص قرآنى. من ذلك النص الذى بن يدينا. و يفهم من ذلك أن الاعراب كانوا يجدون هم و غيرهم في شخصية الرسول من القدسية العظمى ما يحملهم على اعظامه و أكبار شخصيته و أعزازه و أجلاله و تهب مقامه. «لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»... التوبة/١٢٨ في هذا النص الكريم اكثر من صورة رائعة كريمة لشخصيته صلى الله عليه و سلم فهو رسول الى العرب من العرب و جاءت العبارة القرآنية بلفظ «من انفسكم» للايماء الى العلاقة النسبية الوطيدة و الصلة العرقية الوثقى بين النبي و بين بنى قومه، و كان النبي يستعظم ان يعصيه قومه خوفا عليهم من الوقوع في هوة الكفر، و قوله تعالى «حريص عليكم» و في وصف ذى قيادة بالحرص على من معه دلالة ظاهرة على فرط انشغال البال و القلب براحة تلك الامة و مصلحتها و بتوفيق مسعاها نحو ما يسعدها و يكرمها و يريح بالها. و ختم النص بالشهادة للنبي بانه «بالمؤمنين رؤوف رحيم». و الشهادة الالهية برأفة النبي بالمؤمنين و رحمته و كريم تعامله شهادة غاية في العظمة و الجلال. ان القيادة النبوية للامة كانت مضمخة بالرأفة و الرحمة و طيب الرجاء و صادق التمنيات لها بالخير و السعادة... و مثل هذه الخلال تظهر جليا في سائر وجوه العلاقات الرعوية و على قدم المساواة بين الجميع... «و لقد أرسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم أزواجا و ذرية و ما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب»... الرعد/٣٨ في هذا النص المكى توكيد على بشرية الرسل و من اوضح ما يدل على ذلك تعاملهم البشرى في اتخاذ الأزواج و تكوين الاسر... و ما جرى عليه من بعض شؤونهم الخاصة التى لم تنزل بها الديانات على وجه الفرض و القسر. و يبدو أن

هناك في جمهرة كفار مكة [صفحة ٢٣٦] من ذهبوا يستغربون ان يكون من يبعثه الله نبيا الى قومه ذا زوجة متروجة به. فكان النص قد جاء ليوضح أن زواج الانبياء و الرسل لزوجات لهم هو امر طبيعي. اما الآية او الايات التي يطلبون من الانبياء اتيانها فما اكثر ما كان لهم من مثل هذه الطلبات و اذ ان الآيات من الله فليس على النبي من حرج او تباعة حين لا يحقق للقوم ما يريدون من هذه الايات. و في النص بيان واضح على أن قدرة الانبياء قدرة محدودة لا- يتجاوزونها لان الله عزوجل لم يجعلهم و كلاءه في سلطانه و على ملكوته... (و ما ارسلنا من رسول الا- بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و يهدي من يشاء و هو العزيز الحكيم)... ابراهيم/٤ كان الانبياء يرسلون الى اقوامهم أى ان كل نبي يختص به قومه. و بديهي أن ذلك يستوجب أن تكون اللغة بين الداعي و من يدعو و الرسول و من ارسل اليهم لغة واحدة. اذ لا ينفذ في ذلك تراجمه أو وسطاء يشرحون معاني الالفاظ للناس. و اذ كان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم هو النبي العربي لقومه و عشيرته اول الامر ثم لابناء البشر عامة في ذات الوقت فلقد كان لسانه لسان قومه فلا غرابة في ذلك و التعليل القرآني واضح في أن لغة النبي اذا كانت من لغة قومه فانه يبين لهم الشريعة بذات لسانهم، فاذا ضل من ضل فانما يضل على مسؤوليته. و اذا اهتدى منهم من اهتدى فان سبيل الهداية سبيل واضح و معبد بسبب وحدة اللئ... و عندما سلكت الدعوة الاسلامية سبيلها الى العالم ثبت بالدليل الثابت أن الامم الاعجمية ارتاحت للغه العربية و لم تنتكر لها اذ كان مستوى هذه اللغة في الجرس البياني مستوى عاليا هش له عقلاء ابناء الاعاجم و كان حفظ القرآن الكريم مسورا و بذلك ظهر في الامم الاعجمية التي دعيت الى الاسلام فأسلمت من نبه فيها من فحول العلماء و التفسير و الفقه و البلاغة و قد كان لهم دور في الاسهام في ابتداع علوم لسانية كثيرة و غير لسانية ايضا توصلوا اليها ابتغاء خدمة القرآن الكريم و الملة الحنيفية السمحة... ان اشترط أن تكون لغة الانبياء من جنس لغات الناس لم يعد قائما في تعامل رسالة الاسلام مع جميع الشعوب اذ يقتضى ذلك أن يكون للنبي اكثر من لسان و هذا يناقض مبدأ توحيد امم العالم في ساحة واحدة هي ساحة الاسلام و هكذا كان القرآن بلسانه العربي المبين قد جمع الناس جميعا في خيمته العظيمة... (و ما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)... الانبياء/٢٥ في هذا النص ايماء الى وحدة الشرائع السماوية التي بعث الله الى سائر الاقوام و الامم انبياءه و رسله فان الغاية لبثت واحدة في جميع الرسالات السماوية لم تتغير و لم تبدل اذ كان هدفها التوحيد قبل كل شيء. و يفهم من ذلك ان الغرض من النص الذي نحن في صددده أن الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم لم يكن بدعا من اولئك الانبياء و لا كان امر التوحيد الذي جاء به بالامر الذي يقع موقع الاستغراب على النحو الذي عرف لدى عرب الجاهلية من تحدى دعوة التوحيد و انكارها كل الانكار... (و يقولون آمنا بالله و بالرسول و اطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك و ما اولئك بالمؤمنين). النور/١٤٧ الايمان في المدينة غير الايمان في مكة اذ لم تكن في مكة شعائر و عبادات و احكام بحجم ما كان من ذلك في المدينة يرتبط بها المؤمن فيها ارتباطا وثيقا بحيث يسأل عن أى تقصير يقع له في اداها كالا و جزءا و لذا فان (اي في المدينة) هناك كان يؤمن بالدين و يعلن انتماءه اليه ثم لا يلتزم باداء مفرداته و شروطه و اركانه فكان هؤلاء ينكلون عن التمسك [صفحة ٢٣٧] بالدين الذي اعلنوا انتماءهم اليه و مثل هؤلاء لا يعدون مؤمنين و الحكم عليهم بطلائ ان ايمانهم حكم صحيح... و هم من جرت تسميتهم بالمنافقين على أن النفاق لم يكن موجودا في مكة... في هذه الذي اورده النص من نكول بعض المؤمنين عن الايمان تبدو به شدة معاناة النبي في مجاله الوظيفي الذي انتدبه الله اليه في هذه البيئة الكثيرة الزوغان و التقلب... (و أقيموا الصلاة و اتوا الزكاة و اطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)... النور/٥٦ الامر باقامة الصلاة و ايتاء الزكاة هو امر عظيم لان الصلاة ذات شروط و اركان و سقف زمني مقسم على اقسام و الالتزام باداء الصلاة ليس بالهين (و انها لكبيرة الا على الخاشعين) البقرة/٤٥... و كذلك القول على الزكاة التي لها شروطها في اخراج اموالها الى مستحقيها و المال ابدا عزيز على اهله و في توزيعه على مستحقيه و هم ابدا غرباء نسبا و علاقة بدافعي الزكاة فيه بعض ما يشق من التكليف. لذلك جاء النص بوجوب اطاعة الرسول ليتذكر من يصلى و من يزكى معالم هاتين الشعيرتين فيظل ملتزما بها بحيث يستحق بذلك رحمة الله و حسن مكافأته... (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم)...

النور/١٦٣ الكلام هنا في امر الاستجابة للرسول اذا دعا القوم الى اجتماع يدعوهم اليه. و في مثل ذلك تنكشف امور و يجرى التشاور في مهمات من مصالح المسلمين. فاذا لم يحضر الى مثل هذه الاجتماعات من يدعوهم الرسول اليها اختل امر الامة و عصى الرسول في ما يريد اقراره و بديهى أن الاستجابة لدعوة النبي قومه الى الاجتماع بهم ما يؤدي الى تركيز مبدأ الشورى بين الراعى و الرعية لان النبي انما يدعوهم الى لقاء تعرض فيه مسائل لم ينزل في شأنها قرآن اذ لو نزل في شأنها قرآن لكان مغنيا عن دعوة الناس الى الالتقاء بالنبي و ابداء المشورة في الامر لمعروض. و التحذير القرآنى هنا شديد و جدى لان التسامح فى التنصل من دعاء الرسول للقوم الى ما يحزب من الامور دليل تشتت و تسيب و لا مبالاة بطاعة القيادة التى هى هنا قيادة دينية و دنيوية و التسلسل لو اذا يعنى التذرع ببعض المعاذير و التهرب من الوجود حول النبي و بين يديه فى مسائل يجرى النظر فيها لصالح المسلمين. و قد يكون من هذه المسائل ما يتعلق بأمر غزو يرتأى اعلانه بعد الاجتماع او عدم اعلانه... يفهم من هذا أن الله جعل لا يصدر من رسول الله من امر كهذا الامر ما تجب طاعته بلا-اعتذار...«وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق لو لا- أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا»... الفرقان/٧ يفهم من النص أن القوم يجهلون الكثير عن حياة الانبياء الاقدمين لبعدهم عن دراسة اخبار الانبياء و المرسلين اذ كانوا يظنون ان الانبياء لا- يلقى بهم أن يأكلوا و يشربوا و يخرجوا الى الاسواق بحثا عن الطعام الذى يعرض فيها... و هم يرون أن الرسول اذا كان يأكل و يشرب فانه يحسن أن يكون معه ملك يرافقه لينذر الناس بما جاءتهم الشريعة به و كأن هذا الملك لا يأكل و لا يشرب سيكون شاهدا على صدق رسالة رجل من البشر اليهم. و هم بذلك يجعلون او ثانهم و اصنامهم - و هى لا تأكل و لا تشرب - اصلا للقياس فى هذا الوجه...«و يوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا... لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى و كان الشيطان للانسان خذولا... الفرقان ٢٧/٢٩ [ صفحة ٢٣٨ ] الظالم هنا من ظلم نفسه و ظلم الحق الذى جاءت به رسالة الرسول. و عض اليد تعبير عن الندم الشديد و قوله تعالى: «و يوم يعرض الظالم على يديه»... يعنى عروض الندم الشديد له سواء أعض يديه أم لم يعضها... و المراد بذلك اليوم يوم القيامة و يروح هذا النادم الى لقاء اللوم على خليل له فى عالم الحياة الدنيا نسب اليه أنه هو الذى اضله عن الذكر بعد اذ جاءه و ذاك بفعل نزع الشيطان الذى كان هو الخاذل عن الاخذ بعرى العقيدة و الايمان... و فى النص تحذير للقوم يومذاك من اللامبالاة بالدين الذى جاء به النبي صلى الله عليه و سلم. و تحذير آخر من نزع الاخرين بجريرة التقصير فى الاستجابة للرسول القادم اليهم بدين الله و شريعة السماء... و لغة النواح بالهم الثقيل ظاهرة فى قوله «يا ويلتى»...«ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امينته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم»... الحج/٥٢ فى النص ذكر لا حوال من بعث الى الامم القديمة من انبياء و رسل و لا علاقة للنص بالنبي صلى الله عليه و سلم و ما قيل فى سبب نزول هذه الآية من أن النبي عرض له ما كان قد عرض لبعض الانبياء القدامى من تحريف و حى الله اليه... لا يصح منه شىء و ذلك لان حديث الغرائق ذكروا فيه انه وقع عند تلاوة سورة النجم المكية... و ان قوله تعالى «و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي» فلا- يمكن البتة أن يخرج عليها بحال من الاحوال... و أن علماء الامة نصوا على أن حكاية الغرائق من صنع الزنادقة و قد وضعوها وضعها مصحوبا بغباء و سداجة و ما اكثر ما وضعوا و لفقوا على الرسل الاقدمين فحفى امرهم على اهل تلك الازمنة. اما فى صدد رسول الله صلى الله عليه و سلم فان شيئا من وضعهم لم يتسرب الى العقل الاسلامى و العقيدة الاسلامية اذ واجهه العلماء بالنقد و التمحيص و خسر هنالك المبطلون... ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان عظيم النباهة و الحدق و الاخلاص و الامانة فى نقل النصوص المنزلة عليها من القرآن كما ان الآيات القرآنية كانت تتداعى عليه تنبئه الى اداء مهمته بكل دقة و ثبت ثم ان السجود لم يكن من مطالب النص المقروء فى الآية التاسعة عشرة من سورة النجم «أفرايتم اللات و العزى» اذ قالوا ان النبي سجد عندها و سجد القوم ايضا فان السجدة الواجبة انما جاءت فى الآية الثانية و الستين اى بعد جمهرة كثيرة من الآيات فالسجود الى السجدة حيث لا سبب لسجود احد ما يكذب القصة المسموعة ثم ان التعابير القرآنية فى الكلام على معايير القوم ظاهر فيها التهكم. فمن اين كان التهكم مصدرا للسجود. و ان الصلاة عند المسلمين لم يكن السجود جزءا منها اول الامر و انما كانت مجرد قيام و تلاوة للقرآن و

استقبال للقلبة التي كان النبي عليها... ان حكاية الغرائق «العلی» كلام لا ينطبق اصلا على اوثان القوم و لا على اصنامهم فالكذب و التلفيق ظاهر ان هنا في اطار من الغباء و البلاهة اللذين لا يعقلهما عاقل و لا جاهل... و انه ما من شك أن النبي كان معروفا بذكائه الخارق و نسبة تصرف خال من الذكاء و الفطنة اليه غير كائن و لا متصور كما ان غالب التقائه برجال قومه من المشركين لم يكن التقاء و ديا فمن اين جاء الانسجام بينه و بينهم في ناديتهم الذي كانوا مجتمعين فيه... و النادي معد للهو و المفسدة في الغالب دأب عادة كثير من النوادي... و النوادي كذلك تغلب عليها التجمعات الحزبية و الاسرية و التمام الناس فيها على وحدة الانتماء الى رأى او معتقد فمن اين وقع الاجماع على السجود للاوثان عند ذكر الغرائق. و العرب كان طوافهم بالاصنام هو تعبيرهم الكلى عن عبادتها. فمن [ صفحة ٢٣٩ ] اين جاءهم السجود و كيف تابعوا النبي عليه و هو من صور العبادة الاسلامية؟! «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الاخر و ذكر الله كثيرا»... الاحزاب/٢١ و وصف الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم بأنه الاسوة الحسنة لامته لا سيما من كان من مؤمنى هذه الامة و صالحى منتسبها و اخيار ابنائها ممن يذكرون الله كثيرا. و فى ذكر الله ما يلتم من معانى التقوى و الصلاح و ما يرقى بالنفوس الى معارج السمو و الرشاد... «و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما»... الاحزاب/٢٢ جاء اقتران اسم الرسول باسم الله فى الكلام مرتين احدهما على لسان الناس و الاخر على لسان القرآن الكريم لبيان صدق مقولة الناس عند ايراد هذا الاقتران... و قوله تعالى «و ما زادهم الا ايمانا و تسليما» اشارة الى عظم ثقتهم بالله و رسوله و كذلك عظم ايمانهم بهذا الاقتران الذى بات يعد اصلا قرآنيًا فى ذكر الله و رسوله... «و ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله و لا- أن تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما»... الاحزاب/٥٣ مس النبي بأى نوع من الاذى كان قل أو كثر محرم على المؤمنين أن يفعلوا منه شيئا لان شخصيته صلى الله عليه و سلم تعد شخصية مقدسة فوق ان عطاءها الاصلاحى و الانسانى فى سائر مجالات الاصلاح و الانسانية أمر جد عظيم وجد كبير... و اذ كان أزواج النبي قد جعلهن الله أمهات المؤمنين لذا جرى النهى أن يتزوجهن أحد بعد الرسول و بذلك كان مجرد الرغبة و التمنى فى ان يتزوج احدهم احدى زوجاته صلى الله عليه و سلم يعد من المساءات التى لا تليق. ان تحريم الزواج من زوجات النبي يعد تشريعا من الله مضافا الى من حرمت الشريعة الزواج من النساء فى نصوص معلومة. كان من تقاليد العرب أن يقع الاختلاط و الالتقاء بين رجالهم و نسائهم لا حاجة فى ذلك للاستئذان عند استقبال الضيوف و ضيافتهم... و فى حدود التعامل مع النبي و نسائه جعلت الشريعة لذلك معايير لا تشبه معايير القوم و الرصين. و عند الدعوة الى طعام فأن الضيوف يكونون عادة محل الخدمة و استجابة الطلبات و فى بيوت النبي حدد ذلك تماما اذ لا يجوز للضيوف دخول بيت النبي قبل اكتمال نضج الطعام منعا للتشاغل بغير ما وقعت الدعوة له و كذلك كان منع الضيوف من المكث بعد الطعام من اجل ان لا يخوضوا و هم فى دار النبي [٦٤] فى مطالب و مسائل قد تجاوز حدود ما يكون للضيوف من حظوة و رعاية و تكريم و فى هذا بناء للشخصية القيادية التى يجب ان تنال النصيب الاوفى من الصيانة و الحماية فلا يقع للتبذل و ارتفاع الكلفة ان يتسرب الى بيوت من هم فى مركز القيادة. كما ان الرسول صلى الله عليه و سلم يعد وقته ثمينا اذ قد يرتاح فيه او قد ينزل فيه و حى او قد تعرض فيه امور و لا يصح ان يظل الرسول متشاغلا فى خدمة ضيوفه وقتا اطول مما يقدر لخدمتهم فى مثل هذه الحالات... [ صفحة ٢٤٠ ] و ما تضععت الخلافة العباسية و تعرضت للاستهانة و الاستخفاف الا يوم ارتفعت الكلفة بين الخليفة و بين زواره فى عقر داره... «و لقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك و ما كان لرسول أن يأتى بأية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق و خسر هنالك المبتلون»... المؤمن/غافر/٧٨ الرسل الذين بعثهم الله الى عبادهم لهدايتهم كثيرون قص الله سير بعضهم بايجاز و تفصيل وفق مقتضى السياق الاعلامى و لم يقصص قصص الاخرين. و لم يكن أى من اولئك الرسل و الانبياء بصانعين شيئا من الايات الا اذا شاء الله ذلك لانهم يتكلمون عن لسان الله و يصدر عن أمر الله و لا يجاوزون ذلك الى ما لم يأذن لهم به الله. بل ان الله يجعل لرسله سلطانه يتمكنون به أن يصنعوا الخوارق التى هى من أعمال الله أنى شاءوا و ميت أرادوا. و غير

خاف على دارسى سير الانبياء ان فريقا منهم قتلوا و أودوا أشد الاذى فلو كانت لشخصياتهم الاقتدارات الالهية لما وقع لهم ذلك. و الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم على مثل حال من سبقه من المرسلين يمثل هذه الاختصاصات و غيرها. «ان الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله و شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا و سيحبط اعمالهم»... محمد/٣٢ ما يصنعه الذين يكفرون بالله و رسالاته من عدوان على الرسل - و المعنى بالنص بذلك هو الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم - لا يملكون احباط ما يريد الله تحقيقه من أرسال الرسل الى عباده لان قانون الله نافذ لهذا الوجه و من يقف في وجه هذا القانون هالك و خاسر... و فى هذا ما هو واضح من طمأنينة الرسول الى أن رسالته قائمة بما يحيطها الله به من صيانة و رعاية. «بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول و المؤمنون الى اهلهم أبدا و زين ذلك فى قلوبكم و ظننتم ظن السوء و كنتم قوما بورا»... الفتح/١٢ كان بعض المحسوسين على الجماعة المؤمنة و هم ممن رق دينهم و ركت عقيدتهم كانوا حين خرج النبي الى الحديبية ليؤدى شعائر العمرة فى بيت الله قد تخلفوا عن اللحاق به ظانين أن رحلته هذه ستكون آخر رحلة له اذ انه فى تقديرهم الفاسد قد حسبه و من معه سيهلكهم اهل مكة و لا يرجعون الى اهلهم فى المدينة و لما عاد النبي الى المدينة و معه من كان فى رافقه من المؤمنين الصادقين و بخهم الله على فعلتهم و فساد ظنهم و كان الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم كثير المعاناة لما يواجهه من هؤلاء الاعراب من مشاق و لدد الخصومة و عصيان مغلف بالمعاذير الباطلة. «ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة و أجر عظيم»... الحجرات/٣ يعد من حسن أدب التعامل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم أن لا ترفع الاصوات فى حضرته اجلالا له و تعظيما و تهيبا و ذاك ما هو حرى أن يعد من آداب مخاطبة الرؤساء و الخلفاء و الملوك و القادات لما فيه من ترجيح الاصغاء الى التوصيات و الاوامر الصادرة من جهات ترجع اليها ولاية الامة و قد زكى الله موقف المؤمنين الذين غضوا أصواتهم عند رسول الله و جزاهم خيرا و غفر لهم و زكى التقوى التى فى قلوبهم بل ان الله جعل غص الاصوات عند النبي فرضا فرضه على الامة (يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون) الحجرات/٢٢... «و اعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان و زينته فى قلوبكم و كره اليكم الفكر و الفسوق و العصيان اولئك هم الراشدون»... الحجرات/٧ [صفحة ٢٤١] المعروف فى سلوكك التعامل مع الرعية أنه قائم على الشورى [و شاورهم فى الامر] آل عمران/١٥٩ ولكن مناط هذه الشورى أن يكون الرأى النهائى فيها لقيادتها. و قيادتها متمثلة فى شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم لذلك لا تكون دعوة الشورى ملزمة للنبي ان يطيع قومه فى ما يبدوونه من آراء و مقترحات و ذاك لان بعض مقترحاتهم لا تتحقق لهم فيها مصلحة و منفعة و النبي بصفته صاحب القيادة العليا يدرك ذلك إدراكا تاما لدقة استيعابه ظروف الامة و واقع حالها فلو مال الى بعض آرائهم لجر ذلك عليهم العنت و الضرر الجسيم و يعلم من هذا أن قيادة الامة لا تعنى الميل الى سائر رغبات الامة لان القيادة مسؤولية تتعلق بها جميع التبعات و قد زكى الله الامة فى انها كانت تستجيب لاوامر النبي و ترضى قراراته بما طبعها الله عليه من رسوخ الايمان و صدق العقيدة... «و ما أفاه الله على رسوله من اهل القرى فله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله ان الله شديد العقاب»... الحشر/٧ الفىء هو ما يكون للمسلمين من غير قتال من الاموال التى لا توصف بأنها غنائم فلقد جعل لها نظام حسابى خاص يجرى فى غير مجال الخمس المعروف. و الآية واضحة فى قسمة ذلك و توزيعه. و قد ذكرنا ان رؤساء القبائل وقادة الفئات المقاتلة كانوا يتفردون فى مثل هذه الاموال عند الوقوع عليها. اما النبي فكان امره غير هذا الامر و كان اتباعه الذين سمتهم الآية باسمائهم ينالون من الفىء حصصا ينتفعون بها. اما قوله تعالى «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا». فهو امر بطاعة الرسول فى سائر الاحكام و مواقف الشريعة و لا نراه خاصا بتوزيع الفىء الذى تم توزيعه بقرار الهى واضح و لو أريد بالنص ما يتعلق بالاعطاء و المنع لذكرت كلمة المنع بدلا من كلمة النهى فان المنع يخاطب بها المحروم الضعيف و النهى يخاطب من هو ذو قوة و حول يحتال به... و فى القرآن الكريم «و امر قومك ياخذوا بأحسنها»... أى يستمسكوا بما فى الشريعة من تعاليم. فليست كلمة الاخذ قاصرة على تناول

الاموال... «يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم و اطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم. أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا و تاب الله عليكم فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اطيعوا الله و رسوله و الله خبير بما تعملون»... المجادلة ١٢/١٣ يبدو - و الله اعلم - أن طارئه من القحط و الخصاصة مرت بالمدينة جعلت اناسا من المملقين و ذوى الحاجات يتجمعون بالعدد القليل او العدد الكثير حيث يجتمع الرسول بالقاديين اليه في بعض شأنهم فكان الامر الالهى قاضيا بأن يقدم هؤلاء معونات لاولئك المملقين تطيب بها خواطرهم و يجد الرسول صلى الله عليه و سلم في ذلك شيئا من الارتياح، و ظهر أن تقديم الصدقات ابان ذاك كان غير ميسور بالحجم الكافي و ذلك لعموم البلوى في المدينة فأعفى الله القوم من هذه التوصية... «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و اياكم ان تؤمنوا بالله و ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي و ابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالموودة و انا اعلم بما اخفيتم و ما اعلنتم و من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل»... الممتحنة/١ الانص جاء في مجرى طبيعى في تحذير الامة ان تتعامل مع اعدائها بأطمئنان كأطمئنان الاصحاب و المتصافين. ان التحذير من العدو امر لجأت البشرية [صفحة ٢٤٢] اليه من قديم الزمان لان العدو لا يألو ايذاء لمن يعاديه. و الميل الى العدو بالتلطف و الموودة قبل تغيير احواله و تصحيح طباعه هو ما نهى عنه النص... والتحذير القرآني الانف الذكر قد جاء مستوعبا لكثير من التفاصيل مما يصح ان يقال فيه بلغة العصر الحديث انه وضع النقاط على الحروف. فاذا كان من المسلمين من كان يصنع ذلك لاي سبب من اسباب الجيرة او القرابة او الانتفاع فان مثل ذلك ليعد من دواعي معاناة النبي لمشاكل جانبية تقع من بعض افراد الجماعة على أن الله يوم يقع من ذلك شىء فانه يبلغ به النبي و يظهره عليه فيتوقاه و يتحصن منه بالخطه التي يرى ان يتخذها في مواجهه ذلك. «و اذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم و رأيتهم يصدون و هم مستكبرون»... المنافقون/٥ يميز المنافقون من اهل المدينة بصلف كبير حين يرون الجانب الاسلامى يعانى من الضعف، و حين يرونه ظاهر القوة متمتعا بالانتصارات المتتابعة فانهم يعمدون الى التذلل و التبصص. و كانت حكايتهم من اشد اسباب المعاناة للنبي صلى الله عليه و سلم و لفئة المسلمين هناك الا- أن الرسول كان شديد التنبه الى ما يقع من فئاتهم في سائر الاوقات و الاحوال من المزعجات... و فى النص القرآني استعراض لبعض تلك الظروف التي كان لصلفهم فيها سعار اذ حاول بعض الاخيار من المؤمنين أن يلفظ لهم الجو بقدمهم الى النبي و اعتذارهم اليه من بعض ما وقع منهم من المساءات. ولكنهم ابدوا من العجرفة بسوء المقابلة و الاستكبار ما اوضحه النص القرآني... يبدو حقا أن جو المدينة و فيه مثل هؤلاء المشاكسين انما هو جو يشق الصبر فيه على مثل ذلك لولا أن النبي كان من الحكمة و حسن التبصر بحيث كانت تمر مثل هذه الظروف الشاذة بسلام... على ان للانتصارات العظيمة التي كانت تحرزها الدعوة القول الاسلامية منذ وضع النبي قدمه في المدينة كان لها اثرها في اطمئنان الامة على دينها و مستقبل ايامها... «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا و لله خزائن السماوات و الارض ولكن المنافقين لا يفقهون»... المنافقون/٧ ووجد المنافقون ان مما يشرد فريقا من اتباع النبي عن اتباعه ان يمسك النفقة عليهم اذ قد يكون فيهم من هو من شركائهم او العاملين معهم في زراعة و تجارة او غير ذلك. و كان المنافقون يرون ان هذ الخطه تجر الى انفضاض القوم عن النبي ولكن الله رد عليهم بأن خزائن المال و النعمة كلها هي ملكه و فى قبضه يده فليفعل المنافقون ما شاءوا أن يفعلوه... و يفهم من هذا ان مساعى المنافقين فى ايذاء الرسول و صرف المؤمنين به عن الوصول اليه و خدمة دينه و الجهاد فى سبيله كانت متنوعه الابتكارات و النبي كان يحيطه الله علما بذلك و كان لطف الله به عظيما... «فلا اقسام بما تبصرون. و ما لا تبصرون. انه لقول رسول كريم. و ما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون. و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين» الحاقه ٣٨/٤٣ النص المصحوب بقسم يراد به التوثيق و التوكيد. و محتوى ذلك أن القرآن و ما تضمنه من احكام الشريعة الاسلامية ليس قول شاعر و لا قول كاهن و لم يكن الشعراء و لا الكهنة محل الحفول و التقدير و لا كانت مقولاتهم مصدر علم و حكمة و تبصر. و انما القرآن قول رسول كريم ارسله الله الى العالم بشيرا و نذيرا و ألهمه الشريعة و انزل عليه القرآن بوحي من عنده... و كما يسر للرسول فان ما ينسب اليه انما هو مما يكون صادرا من

مرسله الذى هو اعلم حيث يجعل رسالته. فالرسول الكريم هنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم لان النص نفى أن يكون قول شاعر او كاهن و انما بمقابلة الشاعر [ صفحة ٢٤٣ ] والكاهن نبي من انبياء الله و رسول من رسله يوحى اليه الله ما يوحى ليكون ذلك الوحي عمود الدين و نقطة ارتكاز الرسالة... و نسبة القول اليه صلى الله عليه وسلم تعنى أنه يقول ذلك تبليغا عن ربه يؤكد ذلك ما جاء فى نص آخر هو قوله تعالى «و ما ينطق عن الهوى. ان هو الا وحي يوحى» النجم ٤/٣... اذن ان نسبة القول الى النبي انما يراد بها نسبته الى الله و لفرط قوة المهمة التى يؤديها النبي فى مجال رسالته جاءت نسبة القول اليه... «الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رسدا»... الجن ٢٧/الكلام هنا يعم اكثر من رسول و فيهم خاتمهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم. و بقية الصفات الواردة فى النص منطبقة عله صلى الله عليه وسلم... و ما يتعلق باظهار الغيب لا يعنى كشف جميع الحجب للانبياء و انما يعنى انه تعالى اصطفاهم و جعلهم محل شىء من اسراره فى خلقه يدل على هذا أنه ائتمنهم على وحيه و وثق بهم فى نقل كتبه و صحفه و آيات قرآنه الى الناس... «فلا أقسم بالخنس الجوار [٦٥] الكنس و الليل اذا عسعس و الصبح اذا تنفس انه لقول رسول كرمى ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين و ما صاحبكم بمجنون». التكوير ٢٢/١٥ الرسول الكريم هو النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فمن كان يوحى اليه بالنبوة و الرسالة فان نسبة القول اليه انما يراد بها نسبة القول الى مرسله اى الله عزوجل فهو ناقل من ربه ما اوحى اليه و الذين يقولون ان الرسول الكريم - هنا - هو جبريل لا- يقولون ان القرآن من قول جبريل بل يقولون ان جبريل نقله فاذا كان النقل هو المطلوب فى نسبة القول الى جبريل فإنه كذلك هو المطلوب فى نسبة القول الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. و وصف النبي بأنه ذو مكانة عند ذى العرش و قوة و أنه حقيق بأن يطاع لصدقه و عصمته و امانته. و قوله تعالى هذا فى مواجهة ما ادعاه خصومه من انه مجنون فقد نزهه الله من وصمة الجنون و قد وصفه بأنه صاحبكم امعانا فى تكذيب ما ادعوه من جنونه. «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيمهم البينة. رسول من الله يتلو صحفا مطهرة. فيها كتب قيمة»... البينة ٣/١ الرسول الذى يتلو صحفا مطهرة هو محمد بن عبدالله النبي العربى العظيم المرسل الى سائر ابناء البشر و قوله تعالى «يتلوا صحفا مطهرة» لا يعنى انه يقرأ ذلك فى الصحف و انما يقرأ ذلك من حفظه. اى انما كان يتلوه من حفظه دون النظر فى المصحف لان المصحف لم يكن موجودا ايام حياته صلوات الله عليه... و قد ثبت أن النبي كان يتلوا القرآن على ظهر قلب كالذى يكون منه فى الصلاة... و لم يواجه الناس بصحيفة فيها قرآن مكتوب و بذلك يكون تفسير الصحف المطهرة منوها بأن القرآن الكريم قد تقررت كتابته فى الصحف التى يقرأ فيها القرآن الكريم قد تقررت كتابته فى الصحف التى يقرأ فيها القرآن من قبل قارئيه... و قوله تعالى «فيها كتب قيمة» اى ابواب و فصول تحتوى امورا جد ثمينة بل انها لعظم فضلها و كبيرا شانها فى عالم الاصلاح و التهذيب و اخراج الناس من الظلمات الى النور لتعد من جليل قدرها اكبر و اغلى من أن تثمن بثمن... [ صفحة ٢٤٤ ]

## باب قل

ما ورد من آيات المشتمة على «قل» اذا كانت مسبوقه بلفظ يسألونك و ما الى ذلك فإن الكلام يرد عنها هناك - اى فى باب يسألونك - ان لم نشأ ايرادها فى باب (قل) فى باب «قل» من التنزيل العزيز فصول كثيرة بدأت بها آيات الكتاب التى تكلمت فى امور كثيرة منها ما يقع فى اطار التبليغ و منها ما يقع فى الرد على اسئلة موجهه الى الرسول و منها ما جاء مفتاحا للصدع بتعاليم و احكام دينية امر الله بها رسوله العظيم ان يواجه بها القوم ابتداء... «يسألونك عن الاهله قل هى مواقيت للناس و الحج» و مثل «يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله» و مثل «قل لا اجد فى ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير»... و من مثل «قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون» و من مثل «قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله... و ذاك لان الاسلام دين حوار و مخاطبة و نقاش منطقي، و عند استعراض آيات القول فسيتضح لمتابع ذلك من حقيقة الامر الكثير... و كذلك نعلم بذلك ان الله عزوجل حين ارسل رسوله بالهدى و دين الحق و اصل تكليفه بالحوار و لفت الانظار و عرض مهمات المسائل العقائدية



على الساحة المكشوفة، ليكون لكل ذى قول ان يقول قوله و يسط رأيه و يعلن حججه و شبهاته و أدلته... حقا لقد كان رسول الله فى شغل شاغل لا ينقطع و لا يتوقف فى هذا الباب العريض لا سيما ايام العهد المكى... ان وراء «قل» هذه تعليمات و ايعازات و احكاما و مواقف ذات شأن عظيم. و قد كانت «قل» حامله للنبي من الوحي ما يكون احيانا جوابا لسؤال يسأله النبي من سألتهم بقصد او تحرش و قد لا يكونون من المؤمنين. و من ذلك «و يسألونك عن الروح قل الروح من ربي و ما أوتيتم من العلم الا قليلا»... «و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمّتا»... ففى بعض ما يؤمن النبي بقوله للقوم عظات و رسائل عقائدية و صور للحشر و النشر و الحساب و اعمال الناس... و فى بعض هذه الاوامر القولية تكاليف كبيرة الحجم ثقيلة الوزن منها «قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لا نعبد الا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله». و عدد ما جاء من هذه الصيغة فى التنزيل - اى صيغة قل - ثلاثمئة و ستون مرة او نحو ذلك تعرضنا عنها لأكثر من ثلاث مئة نص. ان الاوامر الالهية و التكاليف التى و وجه بها النبي من رب العزة مصوغه بشتى الصيغ و منها صيغة «قل» هذه توقفنا على انماط من الجهود التى كان على النبي ان يبذلها تحقيقا للرسالة التى ناطها الله به. و فى «قل» سنرى من ذلك الكثير... يرد فى التنزيل العزيز لفظ «قل» مرارا متعدة إذ يكون طى ذلك شىء من التشريع و الاحكام و التأديب و اعلان بعض الحقائق الدينية. و المخاطب بذلك هو الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم و المراد من هذه المخاطبة ابراز مهمة النبي فى اعلان المقاصد الشرعية ليكون له دور فيها و انتماء اليها فلا يكون بعيدا عن شىء منها... و احيانا ترد «قل» على حالة لا تكون اجابة لسؤال و من ذلك «قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد و لم يولد. و لم يكن له كفوا أحد». و هى سورة قرآنية اثبتت للتوحيد قواعد راسخة و ابطلت ما سوى ذلك حينما كان هناك من يعتقد سوى ذلك... و المراد من الامر الالهى للرسول صلى الله عليه و سلم بهذه القولية ليس اللهج بها فحسب بل اعلانها الى الامة من معتقد بها و غير معتقد لانها الحقيقة الالهية التى ناطها الله بالنبي فليقلها اذن لا مرة واحدة و لا مرتين اثنتين بل الى نهاية الاعداد المعروفة عند اهل الحساب... و الاسلام دين رائع تتجلى روعته فى المجال الاعلامى النادر اذ يقرأ المصلون هذه السورة فى [ صفحة ٢٤٥ ] صلواتهم اليومية التى تكرر فى اليوم خمس مرات سرا و جهرا و ليس شىء فى الدنيا يقرع الاسماع و يتسلل الى القلوب و الافئدة كالذى يتلى من القرآن فى الصلاة و ما وراءها من هذه التلاوات التى يثيب الله الذين يتلونها آناء الليل و آناء النهار... و فى كلمة «قل» تركيز على مسؤولية الصدع بالامر الالهى و الالتزام به و اذاعته و ايصاله الى سمع كل سامع، و فى ذلك كذك نمط من الاصرار على ما ينزل من الشريعة على وجه التحدى و الجهر بالحقيقة التى لا يصح كتمانها و اخفاؤها عن مجال الدعوة الى العقيدة التى انتدب الله لها نبيا من صفوة انبيائه و رسولا من خيرة رسله... و ظاهر فى القول انه مسألة ذات جهره و ذبوع و تصريح يذيع فى الناس و يستقر فى النفوس يوم يجد الاذن المصغية و من ذلك «قل الله ثم ذرهم فى حوضهم يلعبون»... «قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملائكتكم ثم تردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»... «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله»... «قل ان كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين»... ان هذا العدد الكبير مما جاء فى باب «قل» كان الله يأمر نبيه بالخروج الى الناس فى كلا العهدين المكى و المدنى ليعلن على اسماعهم و على رؤوس الاشهاد منهم قرارا الهيا امره الله بالجهر به فى اوساطهم، و بديهى أن الناس كان فيهم من يعقب على هذا الوحي و من يعارض و من يجادل و من يضع أصبعيه فى أذنيه و كان النبي فى مثل هذه الاحوال يعالج كل حالة بما يلائمها... ففى آيات «قل» اكثر من صورة لمواقف النبي ابان الصدع بالاوامر الالهية المنزلة و يظهر من ذلك بوضوح معنى دعوة المشركين و غيرهم الى الاسلام و حوض غمرات التبليغ الدينى للامة. و من هنا كان باب «قل» كبير الاهمية فى ابواب هذا الكتاب و فصوله و كذلك ما يتعلق بالدلالة على عظمة شخصية الرسول الاعظم فى مجالات جهده الشخصى الذى تتابغ فيه الوقائع و الاحداث. فلقد يكون النبي ف بيته و بين نسائه فاذا بالامر الالهى ينزل عليه يدعوه الى مواجهة الناس بواحدة من آيات «قل» اى ان آيات «قل» كانت تنزل عليه تباعا لتلزمه بمخاطبة الناس بالامر الالهى الذى كان النبي يصدع به فى الحال من غير تاجيل... و سنرى من استعراضنا لآيات «قل» ما وراء ذلك من معالم تبرز فيها شخصية النبي داعيا و هاديا و مجادلا و مقارعا و بشيرا و نذيرا على مدى سنى الدعوة

الاسلامية... و في ما يأتي سرد ذلك و عرضه و تفصيل القول فيه... «قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا أم تقولون على الله ما لا تعلمون»... البقرة/٨٠ جاء هذا النص تعقيبا على ما سبق من قوله تعالى «و قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة» في ذات الاية و في مقدمتها لقد زعم القوم من غير علم و لا بينة انهم لن تمسهم النار الا اياما معدودة و في ذلك اعتراف بكبير جنائيتهم و ببلغ عدوانهم و لولا هذا الاعتراف الاضطرارى منهم لنفوا ان يعذبهم الله و لا يوما واحدا ولكن الله تهكم بهم قائلا «أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدا» و النكتة البلاغية الرائعة هي ان الله امر نبيه ان يواجههم بالمقولة الالهية هذه و ذاك في تمام النص القرآني «قل أتخذتم عند الله عهدا...» و كان النبي على ما نلاحظ في هذه النصوص على خط المواجهة و المجابهة لا سيما تجاه قوم عرفوا باللد في العناد و الشطط و اللجاجة... «قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين»... البقرة/٩١ هذا الخطاب جاءت به مواجهة لليهود من سكان المدينة و ما وراءها و فيه من لغة التحدى ما هو صريح. و المجاهرة بالاتهام ما هو ظاهر في ايقاع المسؤولية على [ صفحہ ٢٤٦ ] القوم و قد أوقعها النبي عليهم في نقاش منطقي حاسم اذ كان ذلك ردا على اليهود و تكذيبا لهم و ابرازا لعجزهم عن الاتيان بحجة مقبولة في رد دعوى رسول الله الى الاسلام و قبل هذا النص جاء النص الاتي «و اذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا تؤمن بما أنزل و يكفرون بما وراءه و هو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تتقون انبياء الله...»... كان النبي صلى الله عليه و سلم يواجه اليهود بدعوتهم الى الانخراط في سلك الاسلام و معنى «و اذا قيل لهم» اى اذا قال لهم النبي نفسه او دعاه الذين كان صلى الله عليه و سلم يبعثهم الى سائر الانحاء يدعون الناس الى الايمان بما انزل الله من شريعة و قرآن لقد كان اليهود يلعنون براءتهم من الاستجابة لنبي من غير ملتهم فكان من بعض الرد عليهم ان رسلا من صميم ملتهم جاءهم بالبينات فقتلوه و بهذا بطلت حجتهم بالانكماش القومى في اطاعة الرسل و في مثل هذا النص نرى شدة الصراع بين رسول الله و بين اليهود الذين كان اليهود وجود في الساحة و كانوا ذوى وقاحة في الخطاب و المراجعة. «قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين»... البقرة/٩٣ في هذا النص استخفاف بايمان يزعم اليهود انهم كانوا يتلبسون به و هو تعبير فيه صرامة المواجهة و جهارة التكذيب و الحجة القاطعة التي امسك النبي برايتها مرتفعة على ملاء الشهاد بالاستخفاف بايمانهم الكاذب هو انهم اتخذوا العجل و انهم واجهوا رسل الله بوقاحة تامة اذ يقولون لهم «سمعنا و عصينا». يفهم من هذا ان نمط الجدل الذي كان بين النبي صلى الله عليه و سلم و بين اليهود كان نمطا يختلف كثيرا عن نمط الجدل بينه و بين مشركى قريش في مكة و الامر هنا يحتاج لاقتدار جدلى عال اذ كان يتمتع به النبي حقا في مواجهة اليهود. ان هذه اللقاءات الجدلية بين النبي و اليهود مما تنتظمه آيات «قل» كان العرب من آمن و من لم يؤمن يلاحظونها بمنتهى الدقة و المتابعة و كانت تفعل في نفوسهم و عقولهم فعلها المؤثر اذ عرف العرب من وراء هذه المراجعات الكثير من خفايا عالم اليهود. اذ كشف ذلك النقاب عن حقائق في الدين لم يكن يعرفها العرب قديما و هذا ما عجل بانهيار اليهودية في الجزيرة و بطلان ما كانت تتمتع به من مكر عظيم و خبث دفين و كيد للنبي كبير... «قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين»... البقرة/٩٤ عرف اليهود بالخوف من الموت. و المناقشة القرآنية تناولتهم من جانب منطقي فانهم اذا كانوا يزعمون انهم أو يظنون انهم مقربون عند الله ففيم يخافون من الموت الذي ينقلهم الى الله و هم على وفق ظنهم احباؤه المقربون اليه و انما كان سبب خوفهم من الموت خوفهم من ملاقات الله بسيئات اعمالهم و جسامه خبائثهم... و لم يكن العرب من سكان المدينة يعرفون في اليهود من هذه الخصائص شيئا حتى ازاحت آيات البقرة النقاب عنها... «قل من كان عدوا لجبرئيل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين». البقرة/٩٧ كان من لؤم اليهود في معاداتهم الاسلام انهم راحوا ينقمون على جبرئيل عليه السلام انه حامل وحى الله الى النبي العربى محمد بن عبد الله و في هذا اشارة الى ان اليهود لم يكونوا يجرؤون على تكذيب النبي فى وصول جبريل اليه و قد جعل الله معاداة اليهود لجبريل معاداة لا عرق لها من الصحة لان الله هو الذى نزل جبريل على رسوله و هو الذى حملة و حيه الذى هو هدى و خير و اصلاح للناس و غسل للقلوب من الادران و الجهل و الكفر و الضلال. [ صفحہ ٢٤٧ ] «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين»... البقرة/١١١ فى مقدمة هذا النص جاءت العبارة القرآنية «تلك امانيتهم قل هاتوا برهانكم» تعبيرا عن اكاذيبهم و اخيلتهم الباطلة ثم ترك

لهم حق الاتيان بالدليل و البرهان على وجه التحدى و التكذيب «قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين» ان تسلسل هذه النصوص القرآنية و تتبعها فى مجال موضوعى واحد يدل على اقتدار لدى النبى العظيم فى المصاولة و المطاولة و القام هذا النمط من الخصوم اللدء باكثر من حجر. و الشىء الذى يلفت النظر كله هو ان اليهود يقيمون حيث يقيم الرسول فان لم يصل اليهم و صلوا اليه فالجدل و النقاش محتدمان دائما و كان اليهود لفرط بلادتهم يجهلون ان موقفهم التقليدى مثخن بالعناد و التهافت الجدلى فى حين ان جماعة المسلمين لم يكونوا يوما ما قد محصوا ما كان عليه اليهود من سلوك شائن و خلال متهافته و جبن و غدر و خصال اخرى سيئة و لقد كانت من سورة البقرة مقدمة مسهبة فضحت سلوكيات اليهود فضحا ذريعا بما اوردت عنهم من خبث معاملاتهم لانياء اقدمين و جبههم المال و تهالكهم فى الحصول عليه و كره الموت و لقاء الله و فرط حقدهم على الناس و انكماشهم على أنفسهم فى قرى محصنة و عمق الجبن الذى فى قلوبهم «لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون» الحشر/١٤. «قل ان هدى الله هو الهدى و لئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى و لا نصير»... البقرة/١٢٠ فى هذا النص معادله بين امرين هما هدى الله و اهواء اهل الكفر المنكرين لشريعة الله و لذلك فان الله عزوجل يحذر نبيه من ان يكون فى الشق الثانى من المعادله ما يستأهل الحفول و الملاحظة و المراد بالشق الثانى اهواء القوم التى فندها ما انزله الله على نبيه من العلم الذى لا يسلك الجهل ان يقف فى وجهه و يتحدى سلطانه و ثوابت حقائقه... و الغرض من هذا التحذير الموجه الى النبى بقوله «و لئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جدك من العلم مالك من الله من ولى و لا نصير» انما هو تحذير سائر الناس فاذا كان النبى اذا اتبع اهواء القوم محقوقا عند الله و متبرءا من ولايته و نصرته و هو اعز الناس عند ربه فكيف يكون حال من سواه من الناس. و مثل هذا الاسلوب فى تحذير الله لنبيه تكرر فى القرآن لذات الغاية التى هى تجسيم جناية الخروج عن الدين الحق و تهويل عواقبه عند محاسبة الله عباده. «قل اتحاجوننا فى الله و هو ربنا و ربكم و لنا اعمالنا و لكم اعمالكم و نحن له مخلصون»... البقرة/١٣٩ يظهر من هذا النص ان الخصوم كانوا يمارسون صناعة المحاجة و الجدل ابتداء منهم قصد التحرش و الازعاج و الاستفزاز و توهم الغلبة و لذلك امر الله نبيه ان يواجههم بالتساؤل الذى يحتوى على ضرب من التحدى و التجاهل تجهيلا لهم فى محاجتهم. و لو لا ان النص يحسن فيه اعلان ربوبية الله لهم لجاى بلفظ «اتحاجوننا فى الله و هو ربنا» لثلا يظنوا انهم ابعدوا عن ربوبية الله لهم و هو ما يسرهم سرورا عظيما لانهم لا يعتقدون عقيدة الامم فى ان الههم و اله الامم واحد... و موضوع المجادلة و المحاجة و ما يعلق بهما من استفزاز و سوء نقاش كان اليهود يتعمدون ذلك ليؤهموا من يقف على هذه الامور بانهم اهل علم و دراية لا يعرفها العرب المسلمون. و الاستفهام فى قوله تعالى «اتحاجوننا» استفهام يحمل فى طياته من التحدى الشىء الكثير و الاستغراب و الاستخفاف بما اراد اليهود ان ينزلوا انفسهم بمنزلته و الامر بمواجهة ذلك كله بكلمة «قل» ظاهر فيه الانكار الالهى لذلك... و بديهى ان هذه المناقشات من شأنها ان تشغل الرسول الاعظم عن ما هو فى صدده من مطالب الدعوة و شؤون القيادة... [صفحة ٢٤٨] و انتهى النص بعبارة هادئة لطيفة واضحة المعنى لا تخلو من التحدى و من الزجر الخفى «و لنا اعمالنا و لكم اعمالكم و نحن له مخلصون» اشعارا بان الاسلام دين عمل و دين طاعة لله و اخلاص له بالعبادة و ان مقاييس المفاضلة بين الناس تعتمد على الاعمال الصالحة و فى النص الذى هو «و لنا اعمالنا و لكم اعمالكم» اسكات لهم من التشبث بالجدل غير السديد و اللغظ الذى لا فائدة فيه و فى الاية الكريمة ملاحظة تومىء الى ان الله عزوجل حمى رسوله الاعظم من ان تشغله اليهود بمجادلته فى الله و غير ذلك... «قل أنتم أعلم أم الله»... البقرة/١٤٠ هذا النص مسبوق بقوله تعالى «أم تقولون ان ابراهيم و اسماعيل و اسحق و يعقوب و الاسباط كانوا هودا أو نصارى...» و يبدو أن اليهود كانوا لفرط غرورهم يتكلمون اذا تكلموا بوصفهم و كلاء عن الله، و قديما كانوا قد قالوا انهم ابناء الله و احباؤه و على هذا و بخهم الله توبيخا ظاهرا و قرعهم تقريرا اذ قال لهم على لسان رسوله «قل أنتم أعلم أم الله»... «قل ما انفقتم من خير فللوالدين و الاقربين»... البقرة/٢١٥ هذا النص جاء جوابا على ما ورد فى اول الاية من قوله تعالى «يسألونك ماذا ينفقون»... و المعنى واضح. و فى باب «يسألونك» شىء من تفصيل الكلام فى هذا الامر... و هناك من آيات «قل» ما احلنا الكلام عليه الى ابواب آخر و فى ما يلى هذه الايات

١٤٢/١٨٩/٢١٧/٢١٩/٢٢٠/٢٢٢... «قل للذين كفروا ستغلبون و تحشرون الى جهنم و بسس المهاده»... آل عمران/١٢ فى هذه الاية تكليف للرسول الاعظم بان يصارح الكفار من خصوم الدين و اعدائه مصارحة مكشوفة بانهم من اهل النار و هى مصارحة تعتمد على قدرة الجهر بالبلاغ الذى ابلغه الله الى نبيه ليبلغه هو بدوره الى الكفار و معنى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان على مستوى هذه المواجهة. و ما من شك فى أن مواجهة الكفار بمثل هذا الخطاب المصيرى سيلهب مشاعرهم و يجرح كبرياءهم و يحملهم على ابداء احقادهم و سوء موقفهم من الاسلام و داعيته العظيم... و النص القرآنى لم يصور لنا ما كان بعد ذلك لانه شبه معلوم بالضرورة و لم يكن النبى لينسحب بعد هذه المقولة الالهية من امام القوم بل لبث صامدا امامهم راسخة قدمه مواجهةهم على دأب عادته و المعروف من عظمة شخصيته صلى الله عليه و سلم. «قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدون فيها و أزواج مطهرة و رضوان من الله و الله بصير بالعباد». آل عمران/١٥ و هذا النص يحمل البشائر الطيبة للمؤمنين المتقين و طى ذلك ادخال السرور على قلوبهم بانهم خالدون فى جنات تجرى من تحتها الانهار... و قد جاء هذا النص تلو قوله تعالى... «فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله و من اتبعن و قل للذين أوتوا الكتاب و الاميين أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا و ان تولوا فانما عليك البلاغ و الله بصير بالعباد»... آل عمران/٢٠ النص مسبوق بقوله تعالى «ان الدين عند الله الاسلام و ما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم و من يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب». و فى الآية التى نحن فى صدد شرحها يبدو لنا أن الجدل كان مشتدا بين القوم و بين جهة الدعوة الى الاسلام و كان موقف الاسلام موقفا ذا تمسك بالحقيقة و اصرار عليها و هذا ما عرف فى موقفه صلى الله عليه و سلم من خصومه فانه لا تراجع فيه. و كان اقتحام النبى على الكفار من اليهود و مشركى [صفحة ٢٤٩] العرب معاقلهم من طبيعة الدعوة العظيمة «و قل للذين أوتوا الكتاب و الاميين أسلمتم»... «قل اللهم ما لك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذلل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير»... آل عمران/٢٦ هذه آيات تضرع الى الله و تسيح لحمده و تلخيص للعقيدة الاسلامية فى ذات الله و فى طى ذلك بر و عظات و هدى و بيان للناس بانهم لا رجاء لهم الا فى الله و لا ملجأ لهم الا الى الله. و الآية تتناول اعلى الهيئات و أدناها أى من يكونون ذوى ملك و من يكونون منزوعى الملك و من يكونون اعزاء و من يكونون اذلاء ممن تتقلب بهم الحياة الدنيا على دأب هذه الحياة من التقلب و هى كذلك تسيحات كان النبى قد أمر بتكرارها على لسانه الشريف كما انه يجب تكرارها من قبل كل مؤمن صادق العقيدة خالص الايمان... «قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله و يعلم ما فى السماوات و ما فى الارض و الله على كل شىء قدير»... آل عمران/٢٩ هذه آية تحذير و تنبيه و مزيد تعليم و تثقيف ببعض حقائق الدين و أدبياته أمر الله نبيه ان يقولها لاتباعه للاعتبار بها و الاتعاظ... «قل ن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم و الله غفور رحيم»... آل عمران/٣١ ان حب الله يستوجب طاعة الله و الذين قالوا انهم يحبون الله طلب منهم ان يتبعوا الرسول المرسل اليهم من الله فاذا صنعوا ذلك أحبهم الله فكان الحب متبادلا بينهم و بين الخالق العظيم الذى جاء فى النص أنه وعد بمغفرتهم و ايراد بعض صفات الله من نحو المغفرة و الرحمة «و الله غفور رحيم»... فانه من بعض الاساليب التى كان الرسول يكررها على القوم بتلاوة الصلاة خاصة و فى ايام الالتقاء بالقوم فى اى مكان كون ذلك الالتقاء... والخطاب لجمهور المؤمنين لاعلامهم بأن متابعتهم لما هناك من الاحكام حتى يتكامل الدين و يتم امر الله مسأله هى من صميم الدين، لذا جاء فى النص «ان كنتم تحبون الله فاتبعونى» اى واصلوا الاخذ عنى بما آتاكم به من وحى الله و مكتمل احكامه. و قوله تعالى «يحببكم الله» اى يقابل حبكم اياه بحب منه يغمركم به و اذا احبكم غفر لكم و ذاك غاية ما يتمناه المؤمن الذى آمن بالله مخلصا له الدين. «قل أطيعوا الله و اطيعوا الله و الرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين»... آل عمران/٣٢ و هذه آية فيها حث القوم على طاعة الله المقرون بها حثهم على طاعة رسوله و تحذيرهم من مخالفة ذلك... ان معظم الآى القرآنى يقرن فى الطاعة بين طاعة الله و طاعة الرسول لان طاعة الرسول من طاعة الله لان الرسول لم يأت بشىء من عنده... و يلاحظ ان هذه الاوامر الالهية التى يؤمر النبى فيها بقول اشياء يريد الله و يوجهها اليه ليلقيها فى سمع الناس على اختلاف منازلهم و تعدد هياتهم. ان النبى صلى الله عليه و سلم من هذه الناحية فى شغل جد شاغل...

«فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»... آل عمران/٦١ في آية المباهلة دليل ثقة قاطع لدى النبي بربه فهو واثق انه لو استجابت الجهة المعادية لهذا التحدي فاجتمع من الفريقين خلق من ابنائهم و رجالهم و نساءهم و تباهوا امام السماء لنزل القدر بقضه و قضيه على الكاذبين و المراد من النص «ابناءنا و ابناءكم» من هناك من شباب القوم و صغارهم من مسلمين يمثلون جهة النبي و من غير مسلمين يمثلون الجهة الاخرى و كذلك القول على «نساءنا و نساءكم». و المراد [ صفحة ٢٥٠ ] «بانفسنا و انفسكم» رجال القوم اذ اراد النص ان تكون المباهلة شاملة مختلف الاعمار من المتباهلين من صغار و شباب و رجال و نساء و فيهم النبي و من الجهة الثانية رأس الخصوم و هو أحد احبار القوم ايامذاك. و النص نزل بالدعوة الى المباهلة من قبل الخالق العظيم ولكن الذي استقر عليه علم النبي و ارتاضت له نفسه انه لو فعل ذلك لكانت الغلبة له و ذلك لصدق ايمانه بربه و عظم رجائه فيه و قوة يقينه. الا ان المباهلة لم تتم لذعر الفئة المخاصمة و فرط خوفها على نفسها و لاقتناعها بان الجهة التي تخاصمها هي على حق لا مريء فيه... «قل يا أيها الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد الا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»... آل عمران/٦٤ في هذا النص دعوة لاهل الكتاب صريحة أمر النبي ان يواجههم بها في أمور هي من أساسيات الدين و أهل الكتاب هم أكثر من أهل دين واحد، و الخطاب هنا لرؤساء القوم و من يليهم و هو على ما يبدو مما كان النبي يؤديه في ساحة الدعوة الاسلامية غير منفرد فيه بالكفار من الكتابيين، اذ كان يقوم معه بعض اصحابه و اعوانه و قد يكون فيهم بعض مؤمني الكتابيين، و لذا جاء النص قائلاً- «فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» أي أن فئة المسلمين هي التي خوطبت الان باعلان اسلامها أمام كفره اهل الكتاب بعد ان كان أصل الخطاب لرسول الله، لانهم كانوا يعلنون كفرهم فيعلن المسلمون اسلامهم تبجحا بالاسلام و اعتداد به و عكوفاً عليه لئلا يظن أهل الكتاب انهم في جدالهم و حوارهم ثم توليهم عن قبول العرض الاسلامي قد وصلوا الى درجة من تشكيك المسلمين بدينهم و كان قول المسلمين انهم «مسلمون» و نقطة التحدي هنا هي أن الفئة المسلمة اشهدت المتولين من أهل الكتاب على اسلامها. «و لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الله واسع عليم»... آل عمران/٧٣ يبدو أن حكاية النفاق التي شاعت في اوساط المدينة انما مدبروها هم اليهود الذين كانوا يلقنون المنافقين مبادئ النفاق و اساليبه و قد كشف النص القرآني ذلك... و اذ ان خطة المنافقين كانت خطة مكتومة ليس من السهل اكتشافها و اتخاذ الطريقة التي تقضى عليها لا سيما عند قصر الزمن و ضيق الوقت لذا جاء الخطاب الالهي بما جاء به من قوله تعالى «قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم» و بذلك نهج النبي في مقاومة المنافقين منهجا دقيقا حتى خصد الله شوكتهم و تمت كلمته تعالى و ارتفعت راية الاسلام... «قل آمننا بالله و ما أنزل علينا و ما أنزل على ابراهيم و اسماعيل و اسحاق و يعقوب و الاسباط و ما اوتى موسى و عيسى و النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون»... آل عمران/٨٤ في هذا النص كلام اجمالى للعقيدة الاسلامية في الانبياء و شرائع الاولين و فيه ما يطمئن اتباع اولئك الانبياء الى سلامة موقف الاسلام و انبيائهم و بيان ما في العقيدة الاسلامية من المشاركة في المعقنات المنزلة على اولئك الرسل و ليس في مستطاع اهل الكتاب ان يجدوا في هذا الكلام ثغرة ينفذون منها الى تكذيب شىء من ذلك... «قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين»... آل عمران/٩٣ في هذا النص تكذيب صريح لليهود في بعض مزاعمهم و مقولاتهم اذ امر الله نبيه أن يطالبهم بالاتباع بالتوراة و تلاوتها علنا. و في فئة المسلمين من أصحاب النبي من كان من مسلمة اليهود الذين يقرأون التوراة بالعبرية اذ لم تكن التوراة قد ترجمت الى العربية [ صفحة ٢٥١ ] يومذاك لان اليهود لا مصلحة لهم في ترجمتها الى العربية لانهم لا يدعون الى دينهم من هم خارج قوميتهم من العبرانيين و ان كانت سياسة التهويد قد وقع منها ما وقع في تاريخ اليهود [٦٦]... «قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين»... آل عمران/٩٥ في تكرار الدعوة الى التشبث بملة ابراهيم هدم للكيان اليهودي الذي اقاموه لانفسهم في الجزيرة، و النص يقوى عقيدة الامة بما يدعوها اليه من الاطمئنان الى صدق الله عزوجل فيما ينزل من شريعة محمد صلى الله عليه و سلم... «قل يا أهل الكتاب لم

تكفرون بآيات الله و الله شهيد على ما تعملون، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل اله من آمن تبغونها عوجا و أنتم شهداء و ما الله يغافل عما تعملون... آل عمران ٩٨/٩٩ في هذا النص كانت المواجهة بين النبي و بين احبار اليهود مواجهة مكشوفة ذكرت فيها مكايد القوم و تصرفاتهم العدائية التي كان منها تثييط من يريد اعتناق الاسلام اذ كان اليهود لا ينفكون يسعون في صرف الناس عن اعتناق الاسلام بما كانوا يضعونه من الاشواك في طريقهم مما يستدل به على اشتداد الصراع بين الفريقين في اكثر من ساحة على بعد الشقة بين الاسلوب الاسلامي الرشيد و بين الاساليب اليهودية الخبيثة الماكرة... «قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور»... آل عمران ١١٩ هذا خطاب فيه زجر و اهانة و تحد ظاهر لقوم غلب عليهم الحقد لما يسره الله للنبي من توفيق و نصر عزيز. و هو تعبير فيه قوة ردع و شدة صدع يحسن ان يخاطبوا بمثل ذلك من الرد بالعنف اذ ان لكل مقام مقالا و لكل حديث اسوب و لكل جدال نهجا. و الآية هذه مسبوقه بقوله تعالى: (و اذا لقوكم قالوا آمنا و اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ). و لذلك جاء الرد مكافئا لسوء عملهم و قبح نياتهم. و منطلق القوة في جانب النبي ظاهر كل الظهور و واضح كل الوضوح. كما أن في النص فضحا لتصرفات اولئك الناس حين يكونون في جو بعيد عن جو المسلمين. فان هؤلاء الذين يعضون الانامل على المسلمين من الغيظ انما يعبرون عن عجزهم ان يصنعوا شيئا يؤذون به الفئة المنتصرة. مع انهم لجبنهم و لما ركبهم من الذل و الهوان يتظاهرون بحب المسلمين بحيث لم يتصور المسلمون ان الحب يكون غشا و كذبا و رياء. فكانوا يبادلونهم الحب ايضا حتى يوضح الله لهم الحقيقة... «و اذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم» ان الحقد لياكل الاكباد لاسيما ما كان منه في المسائل الاعتقادية فان سائر القيم النبيلة تتساقط و تنهات امام الذرة الواحدة من حقد الحاقدين... ان شيئا من الحقد ظهر في مصنفات خصوم لا يرعون للانصاف الا و لا ذمة و لا يعيرون الحقائق شيئا من رعايه و حفول... و الحاقد المستخف بالقيم النبيلة و العقائد الكريمة لا يصدر في حقه عن فكر و ثقافة انما يصدر عن نفس خبيثة... «ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم و طائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى [صفحة ٢٥٢] مضاجعهم و ليلتلي الله ما في صدوركم و ليمحص ما في قلوبكم و الله عليم بذات الصدور»... آل عمران ١٥٤ ان بعض المناقشات القرآنية للمتشككين و ذوى العقيدة المهزوزة تقوم على المنطق الواقعي الذي يقرر أن الموت حقيقة لا مجال للشك فيها و انه قانون موضوعي لا يد لاحد فيه. و الخروج من فلك الاسلام لا يعصم احدا من أن تصيبه مصيبة الموت و بهذا الاسلوب وقع افحام المنافقين و غيرهم... و قوله تعالى «و طائفة قد أهمتهم أنفسهم» اي رجحوا مطالبهم الذاتية على كل شيء هم لا- ينظرون الا- من زاوية الانتفاع الشخصي و التشبث بالمكاسب الخاصة و هؤلاء عالج النص نهجهم الجدلي معالجة حكيمة و موفقة... أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير».. آل عمران ١٦٥ في النص تصحيح لما يراود بعض الافكار التي ترى أن انتماءها الى الاسلام يجب أن يجعلها بمنجى من الخسارة لانه دين الله الذي يجب أن يظهر و تكون له الغلبة ابدًا. و ينبههم الله الى أن الربح و الخسارة انما هما امران مرتبطان بالتصرف الصحيح للفئة المؤمنة المقاتلة فاذا لم تكن تحسن الكر و الفر و اللقاء فانها لا بد أن تتعرض لشيء من الضرر الذي تكون هي المسؤولة عنه من جراء الخطأ في بعض تصرفاتها [٦٧]... «الذين قالوا لآخوانهم و قعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين»... آل عمران ١٦٨ في هذا النص نقاش منطقي فيه من قوة الاقناع ما يسكت الجهة المجادلة و ذلك بتقدير ان الموت لا ينجو منه ناج و ان يبتعد عن الحرب و اسبابها بعد المشركين. ذلك لان الموت حق فقد ركزت النصوص القرآنية على هذه العقيدة في آيات و سور قرآنية كثيرة لان في ايراد الموت و سلطانه على الناس ايرادا لقدرة الله و سلطانه على سائر من في ملكوته من الاحياء... «الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات و بالذي قتلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين». آل عمران ١٨٣ في هذا النص اسلوب في الجدل من نمط اسلوب الفئة المجادلة التي كانت تظن انها تتكلم بلغة لا يحيط النص القرآني بمفرداتها ولكن الامر كان على غير هذا النص الخائب فلقد ذكروا

بأمور من نمط ما طالبوا به ولكنهم لا يصدقوا الالتزام به في العقيدة و طاعة الله «قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات و بالذى قلم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين»... كان اليهود فى عرض مقولات لهم يحسبون فيها ما يثبت قدمهم فى الجدل فاذا بقدمهم تزل من غير أن يكون لها ثبوت و بذلك يكثر افتضاحهم فى البيئه العربيه و هو افتضاح يعز به الاسلام و يسمو و يذل به خصومه اليهود و يخزون...» و اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله و الى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا، فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا و توفيقا اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم و عظمهم و قل لهم فى انفسهم قولا بليغا». النساء ٦٣/٦١ [صفحة ٢٥٣] فى هذه الايات ايماء الى جانب من معاناة الرسول صلى الله عليه و سلم فى مهجرة بالمدينة فانه وجد فيها عدل ما كان قد وجد من اهل مكة قبل الهجرة. و فى النص القرآنى اشارة الى عقوبات الهية عاجلة كانت تعرض لبعض خصوم النبى فكانوا يدركون انها من بعض نعم الله عليهم جراء اساءتهم لرسوله العظيم. لذلك كانوا يقبلون عليه صلى الله عليه و سلم معتذرين من موقفهم السيء الذى يروحون يفسرونه بما يظنون فيه تصحيح عملهم ذاك «ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا و توفيقا». و قد وصى الله نبيه ان لا- يابه لما وقع منهم و ان يعرض عن ذلك اى لا يجعل منه ما يثير شديد الهم فى نفسه و ذاك معنى قوله تعالى «فأعرض عنهم» و مثل ذلك قوله تعالى «يوسف اعرض عن هذا» اى لا تشغل بالك به و لا تحمل من أجله هما. ثم اوصى الله نبيه ان يعظ القوم بقوله تعالى «وعظهم و قل لهم فى انفسهم قولا بليغا» و فى هذا النص دلالة على ان النبى صلى الله عليه و سلم كان قوى الحججة متين الاسلوب يحسن النقاش و يقنع الجهة التى يخاطب و يأخذ بتقريعها و ردها الى الصواب... و فى هذا النص كذلك اشارة الى انه صلى الله عليه و سلم كان محل ثقة الله باقتدار نبيه على تنفيذ اوامره و نواهييه. ما اسهل الاعتذار و اكثر كلماته لدى معتادى الاساءة و ممتهنى الغدر و من كان من قبيلهم...«قل متاع الدنيا قليل و الاخرة خير لمن اتقى و لا- تظلمون فتيلًا»... النساء/٧٧ قبل هذا النص قوله تعالى على اناس «و قالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب». قائلوا ذلك ممن اعترضوا على ان يكتب الله عليهم القتال و الخروج الى الجهاد و طالبوا بان يؤجلهم الله الى وقت اخر لينجزوا على زعمهم اعمالا لهم فيها منافع فى حين ان المنافع المتأتية من الجهاد اعم و اهم... ولكن الله نبههم الى ان ما يريدون انجازه من اعمالهم هو بالنسبة الى ما يصيبهم من اجر الجهاد ضئيل جدا...«قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا»... النساء/٧٨ قبل هذا النص جاء قوله تعالى «و ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و ان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك». الامر هنا يتعلق فى دعوى يدعيها قوم و صفهم الله بانهم لا يفقهون حديثا و ذاك انهم كانوا يتهمون النبى بان ما يصيبهم من اذى انما ترجع مسؤوليته الى النبى فكذب الله مقولتهم هذه و بين ان كل شىء هو من عند الله...«و يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا- تؤتونهن ما كتب لهن و ترغبون ان تنكوهن و المستضعفين من الولدان و أن تقوموا لليتامى بالقسط و ما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما»... النساء/١٢٧ فى هذا النص شىء من التحاور و الاستفسار الذى وجه الى النبى و قد امره الله بأن يرد على القوم بما يفيدهم به من امور الدين الخاصة بالنساء. «يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلاله ان امرؤ هلك ليس له ولد و له اخت فلها نصف ما ترك و هو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك...»... النساء/١٧٦. فى هذا النص شرح مستفيض ببعض انماط الميراث الذى وقع السؤال عنه. «و قالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله و أحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء و الله ملك السموات و الارض و ما بينهما و اليه المصير»... المائدة/١٨ النص مسبوق بقوله تعالى «و قالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله و احباؤه...». و لم يكن النص القرآنى فى رد مقولة القوم هذه مصرحا بتكذيبهم [صفحة ٢٥٤] فيها لان امثال هذه الادعاءات يبطلها تهافتها و جسامه الكذب فيها فان الله لم يقل لهم [كذبتم لستم أبناء الله و لا احباؤه]. و انما تخطى ذلك الى بيان الواقع الذى هم واقعوه اذ قال انهم بشر كسائر البشر و انهم مؤاخذون على ذنوبهم و معاقبون على معاصيهم. و يعد هذا النص ابتداء نص جدلى فى اخطر المواقف العقائديه. و الاصل فى الجدل ان يحو حول نقطة ارتكاز تتعلق بها المقولات العقائديه و لا يتباعد عن ذلك الى امور هى خارج صدد الموضوع...«قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمننا بالله و ما أنزل الينا و ما أنزل من

قبل و إن اكثركم فاسقون... المائدة/٥٩ المفروض في اهل الكتاب ان لا ينقموا ممن يدعو الى وحدانية الله و ينكر ألوهية الاوثان، ولكنهم كانوا يبذون كل الالفه لعبد الاوثان في حين يواجهون عبدة الله بالخصومة... و من هنا جاء الامر الالهى الى رسول الله يأمره بمصارحة اهل الكتاب و لومهم و تفرعهم على الوجهة الخاطئة التى يتجهون اليها... و كان النبى مكلفا ان يتولى هذه المواجهة بنفسه و مثل ذلك يتطلب صبرا جميلا و عقلا حسيفا و تهيؤا مكتمل الادوات لمثل هذه الجولات الرهيبة التى يكون الطرف الاخر فيها راكبا مركب عناد و خارجا عن صدد الخلق الذى يمليه عليه دينه و صميم عقيدته ولكنه يزيغ عن ذلك كل الزوغان... و العتاب هذا تمتزج فيه رقة المخاطبة و لين المحادثة بصريح المحاسبة الا ان الكتابيين. و هم هنا اليهود خاصة لم يكونوا يندى لهم جبين من الخجل على قبح موقفهم و سوء تصرفهم... ان فى هذا النمط من الاشارات القرآنية ما يسجل لاهل الكتاب فى المدينة أحيث المواقف و الأم الانماط من الفتن التى يحوكونها امام النبى صلى الله عليه و سلم... ان اليهود و غيرهم كانوا يدعون الى اعتناق الاسلام لانه جاء مبطلا لديانتهم ابطلا قائما على الحجة و الدليل... ولكن اليهود كانوا يتذرعون فى رد دعوة الاسلام بانهم فوق مستوى الاسلام اذ تغلب عليهم و اخيلة و اوهام يحسبون انهم بمقتضاها ابناء الله و شعبه المختار و من عداهم من ابناء البشر ليسوا بشيء... يتلخص من هذا. ان النبى كان من هؤلاء القوم على خطه مواجهة غليظة و ساحة مناظرة عريضة، و مثل ذلك مما يعيق مسيرة الركب الاسلامى كل اعاقه الا ان حسن قيادة الركب الاسلامى. و عظم الاقتدار القيادى لدى رسول الله كان فوق ذلك كله... «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير و عبد الطاغوت اولئك شر مكانا و أضل عن سواء السبيل»... المائدة/٦٠ النص يدور فى دائرة زجر يستأهله اولئك المماحكون الذين جابهوا النبى صلى الله عليه و سلم بما للؤم من ثقل فى صدره... «قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة و الانجيل و ما أنزل اليكم من ربكم و ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا و كفرا فلا تأس على القوم الكافرين»... المائدة/٦٨ فى النص كشف عن الواقع العقائدى التطبيقى عند اهل الكتاب يومذاك فى تعاملهم الذاتى اذ ان القيم الخلقية العالية التى فى كتب الله القديمة لم تكن محل تمسك اتباع اولئك الديانات التى يتظاهرون بأنهم شديدا التمسك بها. لذلك قال لهم «حتى تقيموا التوراة و الانجيل» غمزا لهم بالصد عنها. و من هنا كان موقفهم ضد الاسلام موقف غدر و لؤم لا- يحسن أن يقع مثلهما من قوم يدينون بديانتين قديمتين و كتابين معروفين بالحكمة و حسن التوجيه... ان سلوك الكتابيين تجاه الاسلام و المسلمين كان اكثر انحطاطا من سلوك الوثنيين و عبدة الاصنام فانهم لفرط مثيرتهم على تحطيم الاسلام و هدم صرحه و ابتداعهم سائر الوسائل الغادرة لتحقيق ما يريدون... [ صفحة ٢٥٥ ] لقد كان الاسلام مهددا منهم بأن لا يقوم لا عمود ولكن لان الاسلام دين الله و قد اراد ان يظهر دين و تسود شريعته و ينصر نبيه، و هذا ما كان... «قل أتعبدون من دون الله مالا- يملك لكم ضرا و لا- نفعا و الله هو السميع العليم»... المائدة/٧٦ فى هذا النص نقاش لبعض الكتابيين يقرر به بطلان معتقداتهم و ما سبق هذا النص من الآى القرآنى يوضح تفاصيل الموضوع. و لغه النص القرآنى فى هذا المقام جاءت بالترتيب المطلق بين كتابيين و بين عبدة الاوثان امعانا فى التهكم و التبكيت و ابطال ما اراد النص ابطاله من معتقدات القوم. «قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل»... المائدة/٧٧ فى هذا النص نصيحة أمر الله نبيه باصدارها لاهل الكتاب و فيها ما يدعوهم الى ان لا يخرجوا بفعل الغلو عن اصول دياتهم... و فيها تحذير من اتباع من ضل من الامم عن سبيل الحق و انما تفسد الاديان من اقحام أمور خارجية فى صلبها فيتبدل وجهها الناصع و يصل اليها التحريف... و هى لعمري نصيحة خالصة لحماية الاصول الدينية من ان تقتحم عليها ابوابها آراء و افكار و معتقدات من هنا و هناك و فى النص تفرع لاهل الكتاب بما صنعوه من التساهل فى الغلو فى الدين و اتباع أهواء من ضل من الناس و لقد كان القوم فى حوارهم مع النبى صلى الله عليه و سلم، يخرجون عن الصول الدين الى اشياء ليست منه فى شىء و هذا ما كان من بعض ما يعقد الموقف بين فئة المسلمين و فئة اهل الكتاب. «قل لا يستوى الخبيث و الطيب و لو اعجبك كثرة الخبيث، فاتقوا الله يا أولى الالباب لعلكم تفلحون»... المائدة/١٠٠ هذا نص فيه حكمة عالية المستوى موجهة الى الجميع، فان الخبيث شىء و الطيب شىء اخر و من تمام رسالة النبى أن



يوصل الحكمة الى سائر الاطراف لاسيما من خوطب في النص بأنهم من ذوى الالباب... أجل ان من مهام الرسالة الارشاد و النصح و التهذيب... و الآية آتية على هذا الوجه. «قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين»... الانعام/١١ فى هذا النص دعوة أمر الله نبيه ان يدعو بها المعاندين و غيرهم الى الوقوف على أحداث التاريخ و جها لوجه لكى يعلموا سلطان الله فى خلقه و ما صنعه فى الامم التى جحدت رسالات رسله فى الارض كثير من العلامات الدالة على وجود امم كانت هناك ثم زالت و على قوى كانت متحكمة فى العالم ثم ضعفت و ذلك ليكون المعاندون و المذبون امام الامر الواقع الذى يرد اليه النص دائما بالتكرار و تحذيره من السير على الخط الذى ادى الى ما ادى اليه من العقوبات التى انزلها الله بالكافرين. و التحدى ظاهر فى هذا النص لانه يدعو جهلة القوم الى الخروج الى العالم و رؤية الاحداث كما هى. و هذا من منطق القول الذى اجراه الله سبحانه و تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم فى أن يسيروا فى الارض... «قل سيروا...» «قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السماوات و الارض و هو يطعم و لا يطعم قل انى امرت ان اكون اول من اسلم و لا تكونن من المشركين»... الانعام/١٤ فى هذا النص تبكيت لكفار مكة و من وراءهم من المشركين يراد به ما يشبه القياس بين عبادة الله و عبادة الاوثان التى لا تعقل شيئا و لا جدوى لاحد فى عبادتها و قد جاء فى النص من صفات الله عزوجل المثبتة لألوهيته ما كان ايراده طبيعيا فى هذا الموقف لاقامة الحجج و اثبات الدليل. و قد جاء تلو ذلك الخطاب بكلمة (قل) لوضع النتيجة على مقربة من المقدمة تبيانا للحقيقة الالهية الناصعة اذ أراد الله للنبي ان يبرز ذلك علانية «قل انى [صفحة ٢٥٦] أمرت ان اكون اول من أسلم و لا تكونن من المشركين» و قد جاءت هذه الصيغة بلفظ «أمرت أن أكون أول من أسلم» لبيان فضل الأمر و لا يصلح عبده فى الهداية و الأمر هنا هو الله الذى يستأهل كل تسييح. «قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم»... الانعام/١٥ بعد ان نسب الى البارى عزوجل امره نبيه بالاسلام فكان اول من اسلم حسن ان تجيء الاشارة الى وجوب طاعة الله و عدم عصيانه و الاشارة كذلك الى ان فى خوف الله اثرا فى ذلك. و النبي حين ينقل هذه الوقائع الذاتية الى اناس يقر فى نفوسهم مذاق الخوف من الله اذ كان و هو رسول الله و المقرب من رعايته يخاف الله و يطيعه و لا يعصيه و من سواه من عباد الله اولى بالمخافة من الله «قل انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم» لما فى عصيان الله من التعرض للعذاب الاليم الذى خشى النبي صلى الله عليه و سلم ان يتعرض له اذا عصى ربه. «قل اى شىء اكبر شهادة قل الله شهيد بينى و بينكم و اوحى الى هذا القرآن لانذركم به و من بلغ أنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد و اننى برىء مما تشركون»... الانعام/١٩ فى هذا النص نقاش فكرى و منطقى جد دقيق كان على النبي ان يواجه به الاطراف المعنية من أهل مكة اذ ان السورة مكية و اخبارها تدور حول جهود النبي المبذولة لدعوة المشركين الى الدين و ظاهر فى النص استعمال كلمة الشهادة امر عظيم لانها لا تكون الا عن بينة و عن ثقة تامة بما يؤدى الشاهد فيه شهادته و كان النبي يتحدى القوم بانهم اذا شهدوا ان مع الله الهة اخرى فانه لن يشهد بمثل شهادتهم لما يتقن عنده من وحدانية الله التى لولا ثبوتها لذاته العلية لما كان هناك شىء فى الكون قد خلق احسن خلق و قوم احسن تقويم. «وقالوا لو لا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون»... الانعام/٣٧ طلب نزول الآيات و الدلائل الغيبية و الاعجازية كان كثيرا فى اوساط القوم بمكة. ولكن الله لم يقم دينه على الاستجابة لمثل ذلك... «قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله او اتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين»... الانعام/٤٠ تجول آيات الموعظة فى القرآن الكريم بين الترغيب و الترهيب و فى النص يأمر الله نبيه ان يجعل لبعض وقائع العقاب الالهى صورا مستحضرة تكون على مدى رؤية القوم حذيرا لهم و ترهيبا و فى طى ذلك استبيان لطبيعة موقفهم من ذلك و هو موقف المدعن لله و المستغيث به لينقذه من خطب ذلك اليوم العظيم. «قل أرأيتم ان اخذ الله سمعكم و ابصاركم و ختم على قلوبكم من اله غير الله يأتكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون»... الانعام/٤٦ فى هذا النص يأمر الله نبيه ان يواجه القوم بما عسى ان يعرض لهم من اقدار الله الشديدة الوطأة عليهم من نحو اخذ الابصار و الاسماع و ما الى ذلك من شديد نقمه. جلت قدرته و هو مما يلاحظونه من احداث الحياة فى عالم البشر و قال لهم ماذا عساكم ستفعلون و من سيرد اليكم ما اخذه الله منكم و فى ذلك ايماء الى عجز الاصنام و الاوثان التى يلوذون بها ان تصنع شيئا... و فى النص القرآنى ما يلوح بقوة الجدل

فيه رغم انصراف القوم عن الاقتناع و في ذاك دلالة واضحة على المكابرة التي تركب نفوسهم و تمنعهم من الانصياع و المجاهرة بمثل هذا التهديد الالهي في اوساط معاندة ينشأ منها فرط حقد على المجاهر بها و هو النبي صلى الله عليه و سلم ولكن قانون الرسالة يقتضى [ صفحة ٢٥٧ ] ابلاغ الاوامر الالهية الى من توجه اليهم من دون استثناء احد و لابد من ان ينهض الرسول بذلك دون ملاحظة لما يضره او ينفعه لانه مرسل من الله في مهمة عليه ان يؤديها. «قل ارأيتم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون»... الانعام/٤٧ في هذا النص عدل ما جاء في النصوص السابقة من الاخذ بأسلوب الترهيب و عرض العقوبات الالهية التي اصاب بها الظالمين من عباده و كان على النبي ان يواجه الناس في مكة بما يأمره الله ان يواجههم به و كان صلى الله عليه و سلم من الرصانة و الحصافة و حسن التصرف قادرا على مواجهة كل قوم بما يأمره الله ان يقوله لهم من غير ان يأبه بكل عجاجة جدل و انكار من القوم تثار عليه... «قل لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا اعلم الغيب و لا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى. قل هي يستوى الاعمى و البصير أفلا تفكرون»... الانعام/٥٠ كان الرسول صلى الله عليه و سلم لا يقول للناس شيئا غير الذى يعلمه فى نفسه و يعرفه من صفته و كان ذلك واضحا لدى من آمن به و من لم يؤمن فانه لم يسلك الى نفوس قومه من طريق المغريات و لا سلك الى نفوسهم عن طريق الشعوذة و لا عرف الدجل له طريقا الى شخصية هذا النبي العظيم [٦٨] فمن آمن برسالته آمن عن قناعة لم يستغل اليها استغلالا و لا اغرى بها اغراء و تلك من مزاياه صلى الله عليه و سلم فى بيئته قد تكون استجابتها له سريعة و عاجلة و مكثفة و انه لجأ فى دعوته الى الدين الى وسائل من الشعوذة و الدجل و المغريات فها هو ذا صلى الله عليه و سلم يقول لهم وفق ما امر الله ان يقوله لهم (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا اعلم الغيب و لا اقول لكم انى ملك). فى هذا التصريح الصادق المعبر عن حقيقة شخصية الرسول يتباعد عنه ذوو الاطماع على اختلافها و لا يلتحق به الا من يكون مقتنعا بسلامة سلوكه الذى لا يمس بسوء ثم تلا ذلك قوله تعالى «ان اتبع الا ما يوحى الى» و فى ذاك دلالة على ان النبي لم يكن مستقل الشخصية فيما جاء به لان اعلان كونه متبعا لما اوحى الله اليه و ليس آتيا من عنده بشيء يسقط كل ادعاء للغرور فيظل النبي عبدا لله و رسولا منه الى الناس فلا تجد الناس له شخصية مستقلة الا بما امده الله به من عون و قوة و توفيق. «قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله، قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذن و ما انا من المهتدين»... الانعام/٥٦ فى هذا النص صراع و تشابك جدلى بين الرسول و قومه فى مكة فهو صلى الله عليه و سلم قد أمر ان يصارحهم ان لا يتبع اهواءهم التى كانوا يصرون عليها و يريدون جره اليها و واجههم صلى الله عليه و سلم بتسمية اهوائهم اهواء بجرأته التى كان يواجه بها المعاندين من القوم و المهم فى هذا النص القرآنى انه يصور التكليف الالهية التى يحملها الله نبيه لمخاطبة الكفار و المشركين و هم يومذاك فى مكة بما يرد عليهم اهواءهم و يعلن على مآل الاشهاد بطلان ذلك... و بديهى ان مثل ذلك انما يكون على خط مواجهة مكشوف لا يحذر النبي فيه من شيء... و كان ذلك مما يبدد الكثير من عناد المشركين و يضعف تجمعاتهم المتواطئة على الباطل... فان النبي رغم هجرة كثير من اصحابه و اعوانه الى الحبشة فانه كان ما يبرح قوى الشخصية صريح المخاطبة بما لا يرضى كفار قريش. [ صفحة ٢٥٨ ] «قل انى على بينة من ربي و كذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا الله يقص الحق و هو خير الفاصلين»... الانعام/٥٧ فى هذا النص يعلن النبي لخصومه انه واثق من سلامة عقيدته و صحة ما عنده من الدين بما لا يعلق به شك و لا يحوم حوله ارتياب ثم يقول لهم انكم تكذبون ذلك و لا تؤمنون به و تطالبون بأن ينزل الله عليكم نعمته و عذابه تقولون ذلك على وجه التحدى و الانكار و ليس فى ذلك من شأن و لا مهمة «ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق و هو خير الفاصلين» فانه بيده كل شيء و بذلك لم يدخل النبي من مجادلة القوم فى مأزق من التحدى و المراهنة و فى قدرة الله أن يصنع بهم ما يريد... «قل لا أن عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى و بينكم و الله أعلم بالظالمين»... الانعام/٥٨ هذا النص جاء معقبا على النص السابق و فيه ان الامر لو كان الى رسول الله لما مد لهم من حبل الصبر ما امده الله لهم فأن النبي يقول لهم ان الله عظيم الصبر على عباده... فمجال الصبر عنده سبحانه و تعالى عريض و فسيح مهما كانوا من شدة العدوان و شراسة التعامل... و فى هذا نمط للحديث الى الناس فى شأن سمات الله و اسمائه الحسنى. فان الكفار سيجدون فى هذه المعانى ما يجعلهم يقتربون من

معرفة الله على أن هذه النصوص و اشباهها هي من بعض تعليم الله لنبيه على مدى فترات نزول القرآن الكريم في مكة و في المدينة... و في الآيات المارة الذكر ما يشير الى أن النبي لا يدخل في اقدار الله و خاصة أعماله في خلقه...«قل من ينجيكم من ظلمات البر و البحر تدعونه تضرعا و خفية لئن أنجانا من هذه النكونن من الشاكرين، قل الله ينجيكم منا و من كل كرب ثم أنتم تشركون»... الانعام ٦٣/٦٤ في هذا النص محاكمة حظورية لاولئك الخصوم جاء فيها ما يذكرهم بأنهم كثيرا ما تعرضوا للمخاوف «من ظلمات البر و البحر» حين كانوا يسلكن البر و يركبون البحر. البر و البحر مواقع تكثر فيها دواعي الخوف... و كنتم تلوذون بالله ليحميكم من بأسه فاذا ما حماكم رجعتم الى شرككم القديم... و في هذا ما يؤكد عظيم صبر الله على القوم لعلهم يقلعون عن كفرهم و يقبلون على الايمان بربهم... و هذه الآيات المتتابعة كلها الى وجه واحد من التقرير و الوعظ و شرح الامر الواقع. و ما من شك في أن موقف النبي ازاء هذه الفئة موقف فيه من المعاناة ما فيه المتاعب و الهموم ما فيه...«قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا و يذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون»... الانعام/٦٥ يعد هذا النص من النصوص المجاهرة بالتهديد و التقرير التي كان على النبي أن يتلوها جهرة على قومه في مكة. و قد كان لها أثر هائل في انفسهم بحيث لا يملك ذو جرأة منهم أن يقول و اين هذا العذاب و متى و ذاك لقوة العبارة القرآنية و نفاذها الى اعماق النفس لا سيما لدى من يكون من فصائحهم و بلغائهم و متكلميهم اضافة الى وضوح الصورة في عقولهم و ابصارهم... و يستفاد من ذلك ايضا ان الشخصية الرسول الاعظم اثرا لا يقل عن هذا الاثر في نفوسهم اذ ان شخصيته كانت تتميز على تواضعه صلى الله عليه و سلم بالشموخ و الحضور بما كان يتكامل فيها من ادوات الهيبة و الوقار... هذا و ان النص القرآني الذي نحن في صدد الكلام عليه و ما يناظره من النصوص انما كان يقع الخطاب لقوم يؤمنون بالله و كان العرب يؤمنون بالله حتى ما كان من مشركيهم.»«قل اندعو من دون الله مالا ينفعنا و لا يضرنا و نرد على اعقابنا بعد اذ هوانا الله كالذي استهوته [صفحة ٢٥٩] الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى و أمرنا لنسلم لرب العالمين»... الانعام/٧١ في هذا النص ضرب من ضروب الامثال و مناقشة المشركين في البيئة المكية مما يستدل به على شدة انكفاء القوم على معتقداتهم التي كانت الآيات المكية تقبل عليهم بتبديد ما في اذهانهم من تلك المعتقدات على وجه مستمر متصل و كانت مهمة الرسول آنذاك يغلب عليها هذا الاسلوب من النقاش و الجدل و المناظرة بحيث لم يترك القرآن الكريم للقوم متنفسا يلجأون فيه الى الراحة فمزال الامر الالهي يرد على الرسول قائلا له «قل» للصدع بكثير من وجهات النظر الاسلامية ضد النظريات الوثنية التي لم تلبث حتى جاء امر الله و علت رايه الاسلام...«قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا و هدى للناس»... الانعام/٩١ كانت السور القرآنية النازلة في مكة - قبل الهجرة - قد تناولت بكثير من التفصيل سير الانبياء و المرسلين و ذاك لاشعار العرب بان سائر الاحم قد ظهر فيها مصلحون من بين ابنائها و رسل بعثهم الله اليها ليخرجهم من الظلمات الى النور... و كذلك ليتعلم النبي من سير اسلافه النبيين الذين لقوا من شعوبهم و اممهم مالمقوا من العدوان و الاذى. و قد صار للنص القرآني بعد ان اصاب المشركون من الثقافة التاريخية الدينية و العلم باخبار الرسل ان يخاطبهم القرآن على ضوء تلك الثقافة خطاب نقاش و مراجعة... و الكلام على موسى عليه السلام منذ العهد المكي يوم لم يكن لليهود فيه شأن جدلي كبير انما كانت الغاية منه ما قلناه حتى اذا بلغ الاسلام تخوم المدينة و لليهود هناك وجود و بروز كان المسلمون على قدر حسن من الدراية بامر أنبياء الله ممن بعثوا قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم الى اقوامهم هنا و هناك... و لما جاءت السور المدنية بالكلام على الرسل كان ذلك قائما على تأسيس سابق بحيث لم يحتج المسلمون الى القيام باستبيان من اليهود عن شيء من ذلك... و يبدو ان مشركي قريش و غيرهم لم يكن لديهم تعقيب او تعليق على ما انباهم به القرآن الكريم من ظهور رسالات الهيبة الى غيرهم من الاقوام و الامم... بل صدقوا ذلك و هم يرون في الارض و في اكثر من مكان يهودا و نصارى و اصحاب ديانات اخرى... و اهل مكة عروا من امر المسيحية القليل او الكثير من سفراتهم الى الشام و من احداث الغزو الحبشي الى مكة و من خروجهم الى الحبشة في اغراض شتى من تجارة و نحوها... و على هذا جاء قوله تعالى «قل من نزل الكتاب الذي جاء به موسى» في مخاطبة مشركي قريش و هو يقدر زناد

افكار القوم بان الله انزل الكتب على الرسل المرسلين الى اممهم فقيم يتعجبون تعجب المنكر الجاحد ان يكون الله قد انزل على رسول من العرب بعثه اليهم كتابا يهدي الى الرشد و يدعو الى عبادة الله و نبذ عبادة الاحجار التي اتخذت منها الهة كاذبة لا تسمع و لا تبصر و لا تجيب على سؤال و لا تفعل شيئاً و لا ترد عن نفسها عادية لمن يهوى عليها بفاس... و في النص تعليم للرسول صلى الله عليه و سلم ان يتوكل على الله توكلًا مطلقًا فاذا فعل كفاه الله شر اولئك القوم الذين أمر النبي ان يذرهم في طغيانهم يعمهون فان الله اعلم كيف يصنع بهم. فالآية اذن تنص ان الله هو الذي يتولى امر تلك الفئة التي كانت لاهية لاعبة و خائضة في جدلها و لغطها و مكايدها كل الخوض... و الكلام هنا على نحو قوله تعالى «فسيكفيهم الله» و في النص اشارة ظاهرة الى عمق ما تركوه في نفس الرسول من اذى شديد بحيث امره الله ان ينقلب اليه و يتوكل عليه و يذر القوم على ما هم فيه اذ كان الذي كانوا فيه خوضا في لعب يلعبونه و جهلا يجهلون و ضلالا عكفوا عليه... و كلمة اللعب هنا يراد بها وصف مستوى تلك الجماعة فانه مستوى غوغائي ليس للعقل في خطوته كلها نقطة واحدة... [صفحة ٢٦٠] و الباري عزوجل يكل الى انبيائه و رسله امر شعوبهم حين لا يكون هناك من طول لدى اولئك الانبياء على اممهم الا طول الله و عظيم سلطانه... و تهديد اولئك الناس ظاهر في النص «قل انما الايات عند الله و ما يشعركم أنها اذ جاءت لا يؤمنون...» الانعام/١٠٩ هذا النص بقيه من آية قرآنية اولها «و أقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليومنن بها»... كان القوم في مكة يتملصون م الانصياع للحقيقة التي يجاهرهم بها النبي و من ذلك انهم كانوا يقسمون بانهم اذا جاءتهم عبرة من عبر الله في خلقه ليومنن و تأتي هذه العبر ولكنهم يتصلون من الايمان التي اقسموها و المراوغة هنا ظاهرة واضحة كان الرسول الاعظم يصبر عليها و يبادرهم بنص اخر جديد يجعلهم في حيرة متراكبة و ذهول مكثف... و في النص اللاحق ما ينوه بموقف الرسول تجاه مراوغة الكافرين و المشركين و تقلبهم الذي كان يقع على اكثر من ست جهات... «قل آلذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين»... الانعام/١٤٣ في النص نقاش امر الرسول ان يناقش به مشركي مكة اذ كانت احكام بمقتضى شرائعهم في الحلال و الحرام من المآكل و المذابح. و تكرر ذلك في نص ألا و هو «قل آلذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين»... «لا أجد في ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس، ام فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ و لا- عاد فان ربك غفور رحيم»... الانعام/١٤٥ في هذا النص تحريم لبعض المآكل التي لم يكن اهل الجاهلية يعزفون عنها لذا صارت مميزة لاهل الايمان عن اهل الشرك... و نحن على حد قولنا في المحرمات المكية اذ قلنا ان عددها يسير. و غالب ما جاء منها كان من اعمال الناس اليومية... و المراد بالدم المسفوح ما كانوا يلجأون اليه من قصد الابل و التغذى بدمائها و ضيافة الضيف بشيء من ذلك... فمنع الله سفك هذا الدم و سماه مسفوحا صفة له بالعدوان و هو عدوان حقا، و لا شأن لهذا الدم بما يخرج من الدبائح من دماء عند ذبحها... و تحريم لحم الخنزير في السور المكية يوضح انه لا علاقة بهذا التحريم بما عليه اليهود من تحريم لحم الخنزير و انما هو حكم الله و قد كان واحد في الشريعتين... و جاء في النص ما يعد حالة استثنائية عند الاضطرار و يفهم من هذا على وجه الايماء ان بعض القوم كانوا يأكلون الخنزير و الميتة فان لم يكن ذلك عن مخمصة و درء مجاعة فانه حرام... و التزم المسلمون بهذه التعاليم فصارت بعض سمات المفارقة بينهم و بين سائر سكان مكة من غير المؤمنين و في النص اشارة الى ان الرسول كان قد اذن الله له بالاجتهاد و النظر في فهم النصوص و ما تنطوي عليه من دقائق الاحكام فان عبارة (لا اجد في ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه) بيان بان الرسول نظر في ما عده من النصوص المتزلة عليه و استوعبها فلم يجد فيها من المحرمات في ذلك الوقت غير الذي ذكره و اشار اليه... «سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا و لا اباؤنا و لا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن و ان أنتم الا تخرصون». الانعام/١٤٨ في هذه الآية نمط من الجدل الدقيق فان القرآن الكريم اورد مزاعم المشركين الذين ارادوا ان يردوا سبب شركهم الى الله فكانت الكلمة الموجهة اليهم غاية في الحكمة (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) و قد ورد ذلك على وجه التحدي و التنيؤة باهمية العلم ان [صفحة ٢٦١] كان

هناك علم فانه خير ما يحتكم اليه و كان نهاية ما قيل لهم في رد مزاعمهم انهم يتبعون الظن و يخرسون خرسا من غير تثبت و لا استيقان...«قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين»... الانعام/١٤٩ في هذا النص تحد جدلي للقوم بمطالبتهم باحضار من عندهم من الشهداء ليشهدوا على صحة ما يدعون و هو مما يومىء الى قوة الطرف الاسلامى المجادل و ضعف الجهة المخاطبة... و فى النص اشارة الى أن الفئة الاسلامية لا تخشى تجمع المبطلين و لا كثرتهم و لا اجماعهم على الباطل... ان مثل هذا النمط من الالتقاء بالكفار و اهل الاهواء و الضلال كان كثيرا و ما من شك فى أن حومة الجدل بين الفئة التى تدعو الى الله و الفئة الكافرة كانت تترك آثارا عميقة فى البيئه تنشأ عنها مراجعات الكفار لنفوسهم فى شأن حقائق الدين و احكام مله المسلمين...«قل اننى هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما مله ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين»... الانعام/١٦١.النسب النبوى يتصل بابراهيم ابى الانبياء و صاحب رساله الحنيفية التى حررت العقل البشرى من عبادة الاصنام و دعت الى التوحيد الخالص. و كان آباء النبى على ذات الهدى كما كانت لهم سدانه الكعبة رغم أنها كانت محفوفة بالاوثنان و لم يشهد النبى اباه الذى توفى شابا و لا شهد جده اذ مات جده و هو صبى... و لا عرف فى اعمامه عبادة الاصنام، و لذا نشأ النبى بعيدا عن ممارسة شىء من عبادة الجاهلية و هو قد عاش ايام شبابه فى مكه حيث الكعبة قائمه و الاصنام منها فى كل مكان... ان قدسية الكعبة ناشئة من كونها اقدم مواقع العبادة فى الجزيرة و لا يقلل من قدسيتها وجود الاصنام فيها. و المتحفظون لم يكونوا يبهون لهذه الاصنام و انما كان الطواف بالكعبة اصل العبادة المشتركة بين الحنفاء و بين الوثنيين و لكل شعائره... و النص القرآنى الذى نحن فى صدده يثبت ان النبى كان على مله ابراهيم عن طريق الوراثة و ليس عن طريق التعليم... و أبوه ابراهيم معروف لدى العرب و لبثت الايات القرآنية النازلة تعلن ذلك و تؤكد (مله ابيكم ابراهيم) و انه عليه السلام منذ رفع قواعد الكعبة كان منصرفا الى دعاء الله ان يجعل العرب امه ذات نبى «ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم...»... و سنن ابراهيم باتت من تراثيات العرب يعرفونها و يتواصلون بها و صارت من بعض ادبيات المسلمين بعد الاسلام. و فى النص الذى فى صدر هذا الموضوع نعلم أن الله اراد تبرئة نبيه من ان يكون له عرق فى الوثنية فى اى يوم من ايام حياته صلى الله عليه و سلم بل ان الله امر نبيه ان يتبجح بفضل الله عليه بهدايته الى دين التوحيد و ان يعلن ذلك على ملأ الاشهاد فى بيئه مكية متبجحة بعبادة الاصنام.«قل ان صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين، لا شريك له و بذلك امرت و أنا اول المسلمين»... الانعام /١٦٢/١٦٣ فى هذا النص يأمر الله نبيه أن يعلن التوحيد الخالص فى عبادة الله فلا يكون فيها شىء لغيره...«قل أغير الله أبغى ربا و هو رب كل شىء و لا- تكسب كل نفس الا عليها و لا ترز وازرة و زر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون»... الانعام/١٦٤ فى هذا النص نقاش فى شأن ربوبية البارى عزوجل التى لا تنازعها ربوبية «قل أغير الله أبغى ربا»... و لم يعد كفار مكه بعد هذا الذى قيل لهم على لسان النبى يملكون الجرأة ليقولوا له نعم، فانك تستطيع أن نبغى غير الله ربا، فان كثرة الترداد و المراجعة بالارشاد و النصيحة و الموعظة الحسنه و الجدل الصريح لها أثرها فى النفوس الا اذا كانت قد عميت بالمره... [صفحة ٢٦٢] و فى تضاعيف النص عظات و نصائح و مسائل من الثقافة الدينية و دقائق الشريعة الكريمة السمحة...«قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون»... الاعراف/٢٨ فى هذا النص يأمر الله نبيه ان يزجر قوما جديرين بالزجر و الرد و هى مهمة من مهام النبى فى الوسط المكى اذ يجب رد مقولات الكفار و تخرساتهم من الزور و البهتان بحق الله فى اقوالهم و معتقداتهم و قد جاء فى صدر الاية التى هى موضوع البحث ما نصه «و اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله امرنا بها». ان القوم فيما قالوه و زعموه من ان الله امرهم بالفاحشة لا سند له فى ادعاء انه امرهم و هم ليسوا محلا للوحى و لا رساله عندهم قبل ذلك و انما اعتمدوا على المجازفة فى الكذب و الترجيم فى الاقوال لذلك كانوا جديرين بالزجر الذى أمر الله رسوله ان يزجرهم به معلنا «ان الله لا يأمر بالفحشاء» و كان من بعض رد القرآن الكريم انه نسب اليهم بانهم يقولون على الله ما لا يعلمون... يلاحظ ان الموقف بين النبى و بين القوم موقف ظاهر التوتر و جدية المواجهة و يبدو كذلك ان النبى صلى الله عليه و سلم لم يكن يظهر عليه شىء من اتقاء شر الخصوم اذ كان يجاهرهم بكلمة التقريع غير هباب منهم و لا وجل و ذاك برغم ان الظروف كانت ظروفًا يتمتع فيها اهل مكه من المشركين

بالقوة و الجرأة و التناول. و بهذا نعلم ان شخصية النبي يوداك كانت شخصية أهلها الله للمهمة التي كانت شخصية النبي قادرة على ادائها... «قل أمر ربي بالقسط و أقيموا وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون»... الاعراف/٢٩ في النص شيء من التثيف و الارشاد الديني. و القسط هنا هو العدل و المراد بالمسجد في النص «و أقيموا وجوهكم عند كل مسجد» اي عند كل صلاة تؤدونها حيثما اتيتموها و الخطاب هنا لمن اسلم من القوم و لمن لم يسلم بعد... «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون»... الاعراف/٣٢ الدعوة الى اعتناق الاسلام منذ العهد المكي موجهة الى سائر اصناف الناس من اغنياء و فقراء و متنعمين و غير متنعمين. و يبدو ان هناك من كان يظن و يشيع هذا الظن في المجتمع المكي اذ يوهم المقبلين على اعتناق الاسلام من الاغنياء و سرورات الناس بأن الاسلام يمنع عليهم التمتع و الزينة و التوسع في النفقة و الاستمتاع بخيرات الدنيا. فلقد بات واضحاً من النص القرآني «قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق» ان الاسلام لا يدعو الى الفقر و الخصاصة و الزهد الذي يبعد المسلم عن تذوق نعم الله في دنياه. و هذا هو معنى النص و الغاية المبتغاة منه... و قد جاء في تفسير الشوكاني لهذه الآية [الزينة ما يتزين به الانسان من ملبوس أو غيره من الاشياء المباحة كالمعادن و الجواهر و نحوها. فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة اذا لم يدخل في حد الاسراف و لم يكن مما حرمه الله و لا حرج على من تزين بشيء من الاشياء التي لها مدخل في الزينة و لم يمنع منها شرعى و من زعم ان ذلك يخالف الزهد فقد غلط]. «قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و الاثم و البغى بغير الحق و أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا و أن تقولوا على الله ما لا تعلمون»... الاعراف/٣٣ في هذا النص تأكيد واضح على أن الله لم يحرم الطيبات من الرزق و لا منع الناس بالانتفاع بما يسره الله لهم من اسباب الخير من طعام و شراب و كساء و بلهنية عيش. فان الله لم يرد للمسلمين أن يكونوا [صفحة ٢٤٣] على حال من البؤس و الشقاء المعاشى و الظهور بالمظهر الزرى و التقشف المفتعل الذى لا دلالة له على صمود عندما يجب الصمود و على صبر عندما يجب الصبر و على التحمل عندما يجب التحمل... و هذا معنى تطرقت اليه الايات القرآنية فى اكثر من سورة بحيث فهم المسلمون ذلك فهما دقيقا و تاما. ان الحياة لتجمع ضددين و يعجز تداولها بين الناس من غنى الى فقر و ن فقر الى غنى و من شبع الى جوع و من جوع الى شبع، أما ادعاء أن الاسلام يمنع المسلمين من أن تظهر عليهم آثار نعم الله فذلك ما عالجته النص القرآني الذى نحن فى صدده بالعبارة الصريحة و الاسلوب الواضح. و فى هذا النص المكي بعض التعليمات العقائدية الاساسية التى تعد من اصول الشريعة الاسلامية و فيها نهى عن القول على الله غير الذى يقوله عزوجل... «قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السماوات و الارض لا اله الا هو يحيى و يميت فأمنوا بالله و رسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون»... الاعراف/١٥٨ هذه احدى ايات التبليغ التى كان الرسول يواجه بها المشركين و كفار مكة ليقرع سمعهم بانه رسول الله اليهم و فى بعض النص ذكر لصفات البارى عزوجل و دعوة القوم الى الايمان به و فى ذلك بيان بان النبى هو مثلهم فى الايمان بالله و كلماته... «قل لا املك لنفسى نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء ان انا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون». الاعراف/١٨٨ فى هذا النص يبلغ الله رسوله ان يقول للناس انه ليس الا بشرا اختاره الله لهداية البشر و انه لا يعلم الغيب و لو كان يعلمه لاستكثرت من الخير و لتحامى ان يصل اليه شيء من اذى الناس، ان هذه الصفات الواقعية معروفة لدى الناس و ان نفى علم النبى بالغيب ليس فيه ادعاء ما هو غير حقيقى فانما هو من خيرة الاعترافات التى علمت الناس بها ان النبى لم يزغ عن محجة الصدق و النصح السديد... «قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون»... الاعراف/١٩٥ فى النص القرآني تحد لمعاييد المشركين الذين هم مجرد احجار لا تعقل و لا تبصر و لا تملك البطش و التصرف و لا تدرأ عن نفسها الاذى... و التهكم بأولئك الاصنام و بعبادها عنيف فى النص لاسيما اذ يتحداهم النبى و يسخر من آلهتهم و يدعوهم الى الاستعجال فى اثبات قدرة آلهتهم على أن يؤذوا النبى و يقفوا فى وجهه بما يملكون من كيد ان كان لهم من كيد... «و اذا لم تأنهم بأية قالوا لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر من ربكم و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»... الاعراف/٢٠٣ يشير النص الى أن كفره المكين كانوا

يطالبون النبي بابرار بعض الاعمال الخارقة و غير المألوفة يزعمون انها ستكون برهاناً له على صدق رسالته. فجاء النص يرد عليهم ذلك «قل انما اتبع ما يوحى الى من ربي هذا بصائر من ربكم و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»... اما قولهم في مخاطبة النبي «لولا اجتبيتها» فانهم يريدون حمل النبي على تحقيق ما يقترحون من الايات بأى وسيلة. غير أن النبي لم تكن وجهته في دعوته العظمى الى مثل ما يريدون و يقترحون... «قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف»... الانفال/٣٨ في هذا النص عهد من الله الى النبي ان ينقله الى الناس ليطمئنوا ان انتهوا من غيرهم و فاسد اعتقادهم فان الله عزوجل سيمحو عنهم ما سبق [صفحة ٢٤٤] من سيئاتهم و هى قاعدة في الملة تقرر ان الاسلام يجب ما قبله... «قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا و على الله فليتوكل المؤمنون»... التوبة/٥١ هذا النص من الادب الاسلامى العالى الذى تطمئن به النفوس و تهدأ به الخواطر عند عروض المصائب و المحن و الغوائل كان النبي صلى الله عليه و سلم يلوذ بمثل هذه الكلمات التامات فلا يغالبه الهم و ان الايمان الحق هو ان يؤمن المرء باقدار الله كيف ما كانت و فى الحديث النبوى «لن يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه و ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه» و هذا التوجيه الالهى توجيه مشترك للنبي و لسائر المؤمنين و جاء النص بلفظ «لنا» و ليس بلفظ - علينا - لانه يبعد به التشاؤم على الناس «قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا» قول فيه من التفاؤل ما تطمئن اليه النفوس الصابرة المؤمنة... «قل هل تربصون بنا الا احدى الحسينين و نحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون». التوبة/٥٢ فى هذا النص احتدام لجدل هو فى صالح الفئة المسلمة و قد امر الله نبيه ان يخاطب اعداءه بانهم انما يتربصون بالمؤمنين احدى الحسينين النصر او الشهادة و كلاهما فيهما من الخير و الرجاء ما يتمناه المؤمنون و المعادلة هنا ان المؤمنين يتربصون بالكافرين ان يصيبهم الله بعذاب من عنده على نحو ما يشاء الله ان يوقعه بهم و قد يكون هذا العذاب بايدي المؤمنين فى اى ساحة قتال يقوم بين الفئتين. و كلمة «أو بأيدينا» فيها التفاؤل المهدب و التوقع الذى لا اغترار فيه. كذلك ايماء الى حال من القوة كان عليها المسلمون يومذاك. «قل أنفقوا طوعاً او كرهاً لن يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين»... التوبة/٥٣ الخطاب الذى امر الله نبيه ان يواجه به قوماً قد يكونون من الكافرين للانفاق على امور الدفاع عن الاسلام و قد جاء فى صميم النص مجاهرة اولئك القوم بالحكم عليهم بانهم كانوا فاسقين... و ظاهر فى هذا النص مستوى الصراحة فى مواجهة الفئة التى كانت تتردد فى الانفاق فخاطبها النبي بان ما تقدمه تلك الفئة من عون مادي بالسلاح و الخيل و ما الى ذلك اكان كرهاً ام كان طوعاً فان ذلك لن يتقبل منهم... و انما كان ذلك كذلك لما سبق من سوء موقف تلك الفئة التى قد تكون منافقة و غير مخلصه للدين... لقد كان فى هذا القول من منطق الشجاعة و القوة ما هو واضح اذ امر النبي ان يستغنى عن عون يصل اليه من فئة غير موثوقة العقيدة... لقد كان الرسول هنا ذا قيادة حاسمة غير مترددة برفض عون قوم لا يعرف الاسلام فيهم شيئاً من الصدق و سلامة العقيدة... و لقد استوت النفقة هنا فى ميزان التقييم فصار ما يقدم منها طوعاً كالذى يقدم منها كرهاً و هى نفقة مرفوضة و على ملاءم الشهادة. بحيث يرجع راجعها مخذولين كل الخذلان و مطرودين اسوأ طردة و مفضوحين اشنع فضيحة. «قل اذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين و رحمة للذين آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»... التوبة/٦١ جاء هذا النص مسبقاً بكلمات قرآنية قبله تكتمل بها الاية و هو: «و منهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو اذن» اشار النص القرآنى الى ان هناك فئة من الذين ينتمون الى الاسلام الا- انهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه و سلم بما يزعمون من انه على حد وصفهم «أذن» اذ يستمع الى من ينهون اليه بعض اخبار الخصوم فيأخذ بها لثقتة بناقلى اخبار اولئك القوم... ولكن الرد جاء بأن النبي اذن خير [صفحة ٢٤٥] للامة اذ يميز بين المقولات التى تصل اليه و يعرف ما يصح من ذلك و مالا يصح و قد جاء النص بلفظ «أذن خير لكم» اذ لم يقع فيه التمييز التحيز فى هذه الاذنية للمخاطبين و غيرهم و هدد النص القرآنى: «و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»... و ايداء رسول الله يكون فى الغيب و الشهادة و الحياة و الموت... و هنا نلاحظ ان موقف المعادة للنبي من اناس فى زماننا يتظاهرون بانهم من صميم المسلمين يشبه الى حد كبير موقف خصومه صلى الله عليه و سلم من كفار مكة أيام العهد المكى بل انه يزيد على ذل و يجاوزه. و هنا كان الله قد جاهر اعداء النبي بان لهم عذاباً أليماً «و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم»... و يلاحظ ان النص جاء بالتعميم و

المطلقية التي لا ترتبط بزمان محدد و لا حالة خاصة فهي اذن قاعدة أصولية من قواعد العقيدة الاسلامية الثابتة. «قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون». التوبة/٦٤ اول الاية قوله تعالى: «يحذر المنافقون ان تنزل عليهم [٦٩] سورة تنبئهم بما في قلوبهم»... كان لجماعة المنافقين نشاط خفي و ظاهر في سائر مواقفهم من الرسالة و قيادتها رغم انهم كانوا يحذرون ان تكشف خباثتهم و تظهر مكائدهم و تتناولهم الفضيحة الشاملة و قد كان الامر كذلك اذ فضحهم الله فتمت عنهم آياته و سور قرآنه رغم شدة حذرهم و فرط ليادهم بالستر و الكتمان. و لقد نسب اليهم القرآن الاستهزاء بما تتخذه القيادة النبوية من قرارات. و غاية كل مستهزىء اذا استهزأ بأمر ما هي ان ينقل صورة الجد التي يسخر منها و يستهزىء بها الى صوردهشة لا قيمة لها و لا جدوى فيها على ما يتصوره من ان ذلك يثبط القوى العاملة عن الجد في عملها و يضعها أمام الاعين على غير حقيقتها الجادة المتكاملة... و كان الاستهزاء و السخرية من دأب كفار مكة ولكنه أنتقل الى منافقي القوم في المدينة غير أن كفار مكة كانوا يجاهرون بذلك اما المنافقون في المدينة فقد كانوا يتسترون في ذلك. و قد صبر الله نبيه على ذلك خير تصبير اذ أمره ان يقول لهم برصانه و جلد عظيمين «استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون» و في هذا استخفاف واضح بمواقفهم الاستهزائية و تهديد لهم بأن ما يبيتونه من مكر و خسارة موقف سيفضحه الله، و ذاك غاية ما كان يخفيهم فان الله حقا كان يمكن لنبيه الوقوف على نوايا اولئك المنافقين المتظاهرين بالاسلام امام الناس و الساعين لنقض كل حجارة قائمة في كيانه و هدمها و تحطيمها لانهم لم يريحو رايحه و لم يتذوقوا مذاقه و انما غلبت على سلوكهم تجاهه الرعونه و الحقد و الانتماء الى الكفر... «قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون»... التوبة/٨١ صدر هذا النص: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله و كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم و انفسهم في سبيل ال له و قالوا لا تنفروا في الحر»... حين وجب على الامه ان تقتحم ساحات الحرب صدا للمعتدين و حماية لبيضة الاسلام و حقنا لدماء من هاك من ابناء المؤمنين صار موقف المنافقين ظاهرا كل ظهور اذ كانوا يثبطون المؤمنين عن الرد قائلين بصريح العبارة و قبيح الوقاحة «لا تنفروا في الحر» فنزل النص التالي: «قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون» و ذاك ان الفرار من الزحف و التخلف عن القتال من الكبائر التي يعاقب عليها مجترحوها بالخزي في الدنيا و النار يوم القيامة... و قد فضح الله جمهور المنافقين الذين كرهوا ان يجاهدوا بأموالهم و انفسهم في سبيل الله فجمعوا [صفحة ٢٦٦] بين صفتي البخل و الجبن في موقف كان عليهم بفعل انتمائهم الى الاسلام ان يكون لهم فيه حضور و مبادرة... و انما فعل المنافقون ذلك لاطمئنانهم الى ان النصر لن يكون حليف النبي. لقد كان الرد على هذه الفئة الحاكمة المارقة من ربة الاسلام ردا مسكتا قوى الحججة «قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون» اذ ان القوم لم يكونوا يفقهون، و لو فقهوا لادركوا ان الجهة المهاجمة لا تنتظر و لا تتهادون و انها اقبلت لتحطيم الرسالة الاسلامية و قد خرج جندها و محاربوها في ذات الحر من غير ان يمنعهم الحر من الخروج لذا فان اشاعة دعوى عدم النفر في اوساط المسلمين هي اشاعة قائمة على الجهل الذريع الذي حسب المنافقون انهم يتوصلون به الى تشييط المقاتلين من صادقي اهل الدين و الايمان. و جاءت كلمة «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله»... فيه تصوير واضح لصغر عقلية اولئك الذين تخلفوا عن رسول الله في تلك الموقعة لان الامر ليس امر فرح و سرور مما تعبر عنه السجاي البشرية لدى السذج من الناس خاصة... و كان خير عقاب لهؤلاء ان الله امر نبيه بان لا يأذن لهم بالخروج لقتال معه فيما بعد و ذلك هو معنى قوله: «فان رجعتك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا و لن تقاتلوا مع عدوا انكم رضيتم بالعود اول مرة فاقعدوا مع القاعدين» التوبة/١٣... «قل لا- تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم و سيرى الله عملكم و رسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»... التوبة/٩٤ صدر هذه الآية التي ورد فيها النص هو: «يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم»... في مواقف المنافقين من أمارات الخسارة انهم حين لا يلتحقون بالمقاتلين من المؤمنين، فان عادوا منتصرين راحوا يعتذرون اليهم... فكان الرد عليهم ان الله خاطب نبيه فيهم: «قل تعتذروا لن تؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم» و في هذا الجواب اكثر من فصيحة لموقف المتخلفين عن رسول الله... ان مثل هذه المواقف و المعالم و وجود انماط من الناس على مثل ضلال المنافقين و فساد بواطنهم لاعظم دليل على عمظة موقف القيادة النبوية و قوة سيطرة الرسول على الموقف و حسن ادارته رحي الحرب. ثم الرد على المتخلفين و قد



جاءوا يتعذرون العذر البارد و كانت خطة الاسلام و هي خطة جد حكيمة في الامر انها منعت تجنيدهم لمهام آتية و قد جاء في النص ان القوم سيكونون موقوفين بين يدي الله في عالم الحساب لينالوا هناك جزاءهم العادل... «ثم تردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»... «و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنين و ستردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»... التوبة/١٠٥ في هذا النص توجيه و عطي و تأديبي و فيه مبدأ اصولي من مبادئ الملة السمحة أو فيه حث ظاهر على العمل في مجالات الخير و الصالحات مما سيراه الله و يراه رسوله و يراه المؤمنين. و هذا مبدأ رائع في الاسلام جدير ان يعد من ثوابت قوانينه و دقائق تعاليمه و احكامه و مطالبه الاصولية الثابتة... «فان تولوا فقل حسبى الله لا الا الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم»... التوبة/٢٩ في هذا النص تعليم للرسول صلى الله عليه و سلم أن يتصبر على ما يقع من الامر على غير ما يرجو و يتمنى... و قد كان النص من الادعية التعبيرية التي يكون الرجاء فيها معلقا بألطف الله عزوجل. و هناك من معنى اللياذ بالله و حسن التعلق برجائه و الاستعانة به و الاتكال عليه ما هو ظاهر كل الظهور... [صفحة ٢٦٧] «قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى»... يونس/١٥ و قد جاء في صدر الآية قوله تعالى: «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا او بدله». الآية من الايات المكية و من غريب المماحكات التي كان يلجأ اليها قوم في مكة حين يدعوهم الرسول الى الاسلام انهم يطلبون تبديل القرآن و الايات بقرآن غيره و هو اشتراط عجب ظهرت عليه السذاجة المبرقعة بالصلف ولؤم القالة والاقتراح الارتجالي غير المدروس... و قد كان الجواب على هذا في الجدل القائم بين القوم و بين الرسول ان يقول لهم صلى الله عليه و سلم على ما أوحى الله اليه «قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى». و تلا ذلك توا: «انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم» لم تكن الشريعة قد جاءت على هوى كفار مكة و مشركيها ليكون لهم أن يبدوا الرضا ببعض الكتاب و عدم الرضا من البعض الاخر و انما هي شريعة الله يؤمر النبي بنقلها الى الناس و عرضها على من يكونون هناك أو من تصل اليهم النصوص و لو في مكان بعيد. و لذا فان النبي كان يؤمر ان يقول لامثال هؤلاء المسيئين الى شرف الجدل العقلي بانه لا يملك عصيان ربه لان ذلك يغضب الله و يتأتى منه انزال العقاب على مبغضيه و عصاته... و في النص ما يقرر ان النبي لا شأن له و لا دخل في امر الوحي و انما هو مرسل من الله الى الناس و ما على الرسول الا البلاغ المبين. و لم يكن من طبيعة الجدل القرآني ان يناقش مفردات الموضوع الذي يحوم حوله النص لانهم حين قالوا «انت بقرآن غير هذا أو بدله» لم يقل لهم لم هذا التبديل و ما الحرف الذي ينكرون في النص، و انما أمال سهم المناقشة الى اثبات حقيقة لا تقبل الحوار و الرد و التعليل، اذ جاء القول الذي امر النبي ان يقوله بلفظ «قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى، ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم» و في هذا من الحجّة الدامغة و الجواب المسكت ما يمسك افواه الخصوم و المعاندين ان تنبس بعده بحرف واحد و جاء بعد ذلك تعليما لما أمر النبي ان يقوله للمعاندين. «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم و لا ادراكم به فقد لبث فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون». يونس/١٦ و في هذا النص توكيد على أن القرآن ليس من عند النبي و لا هو من كلامه و صناعته و استشهدهم و هم اهل بلده في انه لبث فيهم عمرا من قبله و لم يكن قد صدر منه من كلام مثل ذلك ليطالبوه بتعبير تلقائي أو تبديل ليعمد الى استرضائهم بالموافقة على طلباتهم و انما هو مرسل من ربه بالقرآن الذي لا يملك احد ان يتصرف فيه أو يقترح فيه من تغيير و تبديل. ان الرسول في الجواب الذي امر ان يجيب به القوم لجأ الى ما هو قاعدة اصولية ثابتة هي انه لا حوار في امر القرآن البتة من جهة تغيير أو تبديل او جرى وراء اهواء قوم لا يراعون و لا يريدون ان يراعوا. ان مثل هذه المنازلات الكلامية بين صاحب الرسالة و بين قومه ليحتاج هضمها الى اعصاب حديدية بل الى اعصاب هي اقوى من الحديد و قد كان النبي جديرا أن يمتلك مثل هذه الاعصاب. «قل أنتبئون الله بما لا يعلم فى السماوات و لا فى الارض سبحانه و تعالى عما يشركون»... يونس/١٨ اول النص هو «و يعبدون من دون الله مالا يضرهم و لا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله»... و فى الرد على القوم و هم مازالوا عبدة اوثان يعبدونها جهارا معتقدين ان اولئك الالهة شفعاء لهم عند الله و فى ذلك كله أمر النبي بمخاطبتهم قائلا [صفحة ٢٦٨] أنتبئون الله بما لا يعلم فى السماوات و لا فى الارض» اى بما لا وجود له أصلا فان الله يعلم كل شىء فى السماوات والارض فما يخفى عليه

من شيء ينتظر أن نبينه به احد... و من طبيعة الجدل القرآني انه حيشما ورد كان لايد ان يثبت لله من صفات الوحدانية و القدرة و السلطان ما يقرع سمع الخصوم و يزيد من تعريفهم بربهم. و فى المناقشة التى مررنا بها عرض لخله الشرك لدى القوم «و يعبدون من دون الله ما لا- يضرهم و لا- ينفعهم» فلقد سلب من معايبهم كل نفع و ضرر على انهم و هم فى حال شرك ميين يزعمون تغطية لشكرهم ان اولئك الاصنام ستشفع لهم عند الله و التخليط ذظاهر على لسانه ظهورا جليا واضحا.»فقل انما الغيب لله فانظروا انى معكم من المنتظرين...» يونس/٢٠ قبل هذا النص و اول الاية التى ورد فيها «و يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه...» كان النبى صلى الله عليه و سلم يتابع ما يقوله كفار مكة و مشركوها من اقوال مثخنة بالمزاعم منتظرا ان يكون لله امر فيها... فهم اذ قالوا «لولا انزل عليه آية من ربه» اى انهم يعلقون ايمانهم و تصديقهم بظهور الايات و المعجزات على يده من الله فان النبى كان يرد عليهم بان مثل ذلك هو من غيب الله الذى يعلمه الله و لا يذره لرغبات الناس و لا سيما الكفارين منهم بربوبية الله. ان الاسلام دين اصلاح للنفس البشرية و دين تصحيح لاوضاع الناس فى العالم و فى مقدمتهم العرب القابعون فى جزيرتهم. و على هذا قام أمره بالحكمة السديدة و التشريع الرشيد و الحث على وحدة الامة و نبذ خلافاتها و تطهير عقلها من المطالب الاسطورية الفارغة من المحتوى العلمى و الحضارى... و بذلك شأن للخوارق فى ساحة خلق الامم و رفع مستواها الاجتماعى و الفكرى و العقائدى و السياسى... و ظاهر هنا تأزم الجو الجدلى بين الرسول الاعظم و بين أناس من قومه فى مكة و ما تزال النبوة حدية القول و ليس للنبى من اعوان يقفون الى جنبه و النص كذلك واضح فى هذا الامر القول الذى يوجه الى النبى وحده فى سائر الاوقات و الظروف و الاحوال فاذا به صلى الله عليه و سلم يبادر الى الصدع به فوراً. لقد كان تألق عقل النبى و بروز الحكمة فى تصرفه و مواجهته كفار قومه من اسباب تفوقه عليهم جميعا فصلى الله عليه اكرم صلاة و سلم اجمل تسليم.»قل الله اسرع مكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون...» يونس/٢١ يبرز النص فى ذات الاية «و اذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا» المكر هو التدبير الخفى و معالجة الامور بطريقة يدبرها من يتعهد هذه المعالجة و المراد بالمكر الذى يكون من الناس بعد ان يذيقهم النعمة بعد الضرر انهم ينسبون تلك النعمة الى غير الله على وفق اهوائهم و يقول الله انه اسرع مكر و ادق تدبيرا و احكم امرا و ان مكر القوم تكتبه الرسل الى الله و الرسل هنا هم الملائكة الذين وصفهم الله بالكرام الكاتبين فلا يخفى على الله من شىء.»قل من يرزقكم من السماء و الارض أم من يملك السمع و الابصار و من يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى و من يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون...» يونس/٣١ فى هذا النص نقاش بدأه النبى مع القوم فى أظهر أموره الحياء و الوجود الكونى فقد سألهم عن من يملك السمع و الابصار و من له سلطانه فى عالم الحياء و الموت و التكوين، و كانوا يبادرون الى الجواب الفورى بانه الله لأنهم لا يملكون أن يقولوا ان الاصنام هى التى تصنع هذا و تديره و هى أحجاره مركونة على الارض اتخذها أناس معايب لهم عن جهل فاضح و غفلة ذريعة... [صفحة ٢٦٩] و اذا كان جوابهم هو هذا الجواب فان التعقيب عليه يكون بكلمة تكذيب و زجر خفيف «قل أفلا تتقون...» ان هذه الانماط و الصور الجدلية قائمة و مستمرة بين النبى و القوم فى سائر الاوقات من ليل و نهار لا يعرف للنبى فيها راحة و لا صمت و لا مهادنة... فلهذا هذا الرسول العظيم فما أثقل ما احتمل من قومه و أبناء عشيرته و ذوى قرباه و الأبعاد من الناس من عنف و ضراوة من المعاندين.»قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون، قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الكافرين الى الحق أحق أن يتبع أن لا- يهدى الا- أن يهدى فما لكم كيف تحكمون...» يونس/٣٤ فى هذا النص مجاهرة جاهر بها النبى الكافرين فى شأن شركائهم أى آلهتهم التى اشركوا بها الخالق العظيم. فلقد أبطل شركهم بالحجة و المنطق و الجدل العقلى السديد و قارن بين اقتدار البارى عزوجل و قوة سلطانه فى ملكوته و عجز اولئك الشركاء عن تقديم أو تأخير أو صنع شىء مما يجعل لهم شأن فى عالم الخلق و التكوين... و مفردات هذا النص شديدة الجرح لكبرياء اولئك المشركين الذين كان كل حرف فى النص القرآنى صادعا بالاستخفاف بهم و الازدراء باصنامهم و اسكاتهم كل اسكات و هم اهل كلام طويل و جدل عريض الا انهم سكتوا على مضض و لم يقدروا على الدفاع عن آلهتهم التى ألبستها الآية القرآنية كل خزى و منقصة و اهانة و ازدراء... مما يفهم منه أن النبى

صلى الله عليه و سلم كان ذا طول و تمكين فى مخاطبة كبار مشركى قومه بما امره الله أن يخاطبهم به... «أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين». يونس/٣٨ فى هذا النص مجاهرة صريحة بتحدى القوم فى ابرز ما كانوا يتميزون به من اختصاص هو اختصاصهم بالبلاغة و الفصاحة و ذلاقة اللسان و إحكام التعبير شعرا و نثرا و جدلا و معارضة اذ امر الله نبيه باقتحام هذه المرحلة بما يشعروهم بالعجز و النكوص و التخلف عن اللحاق بالموكب... و هم يزعمون ان النبى افترى القرآن و لفقہ تلفيقه و جاء به من هنا و هناك و شحنه بالاساطير وليكن الامر كذلك جدلا فليأتوا اذن بسورة مثله و لهم ان يستعينوا على ذلك بمن شاءوا من غير الله و انهم لعاجزون عن قبول هذا التحدى و الاستجابة له بالآتيان بسورة من مثل سور القرآن و قد سلب منهم الصدق الذى هو ميزة الرجال و حلية ذوى العقول و الالباب فقال «ان كنتم صادقين» و ليس بمثل هذا الطلب خروج على قوانين الجدل و التحدى و هم اهل بيان و طلاقة لسان لا يعيهم ان يأتوا بقرآن كهذا القرآن فيما يزعمون «و اذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين» الانفال/٣١... على ان مشيئتهم حبسها التحدى القرآنى ان تتطلق الى ما زعموا انهم قادرون عليه... لقد علم المؤمنون و الكافرون من العرب و غير العرب ان القوم رغم وقوع التحدى عليهم غير مرة لم ينبسوا ببنت شفة فى هذا الصدد رغم صرامة التحدى و ما يترتب عليه من الوقوع فى ورطة الخجل الذى يندى له الجبين و بذلك رجحت اعلاميا كفة الجهة التى كان النبى على رأس قيادتها و انتكس بيرق الجهة المعاندة و صار عنادها فارغا من كل محتوى... «قل لا أملك لنفسى ضرا و لا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون»... يونس/٤٩ فى هذا النص بيان بان قوة النبى و صموده امام الخصوم انما هو من قوة الله التى اصفها عليه مما يفهم منه انه كان صلى الله عليه و سلم صارما فى مخاطبة [ صفحة ٢٧٠ ] المشركين و عنيفا فيما يوجهه اليهم من لطمات التوبيخ و التقرير و تسفيه احلامهم التى ساقتهم الى شركهم برب العالمين. و فى النص اضافة الى معانى التواضع الذى يتواضعه النبى لربه شموخ فى الانتماء الى قدرة الله القدير الذى يمنح نبيه طاقة عظمية فى مثل تلك المواجهات التى كان يخرج منها منتصرا و يروح الكفار مخذولين يجرون أذيال الخيبة و الهزيمة الذريعة... «قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون»... يونس/٥٠ انه نص يجتمع فيه التهديد و التوبيخ و التقرير و الانذار و قد كان ذلك جديرا أن يرد النص فيه بعد ما سبق من المناقشات الرصينة و الصريحة الواردة فى ابطال شرك اولئك المشركين... «و يستنبئونك أحق هو قل اى و ربى انه لحق و ما انتم بمعجزين»... يونس/٥٣ فى النص ما يشير الى وقوع الاستنباء و الاستييان من اهل مكة من الرسول عن امور قد يكون غالب غرضهم من ذلك المشاغلة و التضجير و لذلك جاء الجواب واردا فيه النص «و ما انتم بمعجزين». فالنبى و ان لم يواجههم بشيء فانهم كانوا هم الذين يبادرونه بما يشغلونه من استنباءاتهم فى اوقات يتخبرونها ابتغاء المشاغلة و التضجير و ليس ابتغاء العلم و الوصول الى حقائق معينة... و يتجاهل القوم الحقيقة التى تلتصق امام اعينهم فى كل نص قرآنى ينزل على الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم و يروحون ببساطة تعلق بها غفلة صلعاء يسألون النبى احق هو اى احق ما تقول فى حين ترفرف راية الحق فوق جميع الرؤوس معلنة علو هذه الشريعة و شموخ دعوتها و صدق نبيها و عظم جهاده و طول صبره و قوة حاجته و ظهوره ابدا فى الساحة لا- ينكص عنها خطوة واحدة. «قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما و حلالا- قل الله أذن لكم أم على الله تفترون»... يونس/٥٩ فى هذا النص يأمر الله نبيه ان يهز سارية القوم هزا عنيفا مقرعا اياهم على ما اتخذه من احكام تحلل و تحرم... والمراد بهذا النص ابطال ما يدعونه لانفسهم من حق فى التحليل و التحريم و قد عزلهم بهذا عن ان تكون تحليلاتهم و تحريماتهم ذات عرق شرعى الهى. «قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون»... يونس/٦٩ امر الله نبيه بان يقول ذلك علنا فى وجه القوم و ان يصدع به فيما بينهم و يدل على ان القوم الذين امر الله بمخاطبتهم بذلك هم من بعض من تقع عليهم هذه الصفات. «قل انظروا ماذا فى السماوات و الارض و ما تغنى الايات و النذر عن قوم لا يؤمنون». يونس/١٠١ «فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانظروا انى معكم من المنتظرين»... يونس/١٠٢ فى هذين النصين انذار باقدار الله المتوقعة التى يجب على المشركين ان يحذروها كل الحذر. و ظاهر من ذلك ان القوم تكونت لديهم ثقافة تاريخية باخبار من كفر من الامم القديمة و عوقب العقاب الذى يستحقه و

ذلك من طريق الايات القرآنية و القصص القرآني يقصه الله على رسوله في معظم السور مما نزل في العهد المكي اذ لم يكن لعرب الجزيرة المام باخبار تلك الامم قبل نزول القرآن...«قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم و أمرت ان اكون من المؤمنين»... يونس/١٠٤ في الخطاب الذي امر الله نبيه ان يخاطب به قومه ما يدل على انه لا مجاملة في شرع الله و لا مبالاة لاعداء الله في دين الله. فاذا اجمعت الامة على الشك في الدين الذي يدعوها رسول الله اليه فان على رسول الله ان [صفحة ٢٧١] لا- يعير ذلك شيئاً من اهمية لانه يأخذ الدين من رب العالمين، و قبول الاحم ما يأتيهم به المرسلون من الله و عدم قبولهم ذلك لا يقدم و لا يؤخر في صحة شرائع الله التي يشرعها لعباده. ان النبي الاتي بشريعته من الله الى قومه لا- تهتز عقيدته بها مهما اجمع الناس على رفضها و تكذيبها و هكذا كان موقف الرسول الاعظم من رسالة الله و هو يواجه قومه في عقر الالحاد و الشرك. و في مخاطبة النبي للقوم تلميح الى عظمة الخالق بذكر احدي صفاته العظمى الثابتة له و هي امانة الخلائق و قوله «و أمرت ان اكون من المؤمنين» كلام يوميء لاستمرارية التحدي و اللامبالاة بكل تلك الجموع المجاهرة برفض الانصياع الى دعوة النبي و قبول دين الوحداية الخالص من شوائب الشرك و الضلال. «قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه و من ضل فانما يضل عليها و ما انا عليكم بوكيل». يونس/١٠٨ هذه مواجهة جديدة امر الله نبيه ان يخرج بها على الناس قائلاً ما امره الله ان يقوله مما احصينا وروده في القرآن بما يتردد على الثلاثمئة نص و كل ما جاء من آيات القول مراد به ان تعلن في الساحات و المحافل (يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه و من ضل فانما يضل عليها). و في هذا النص من الشموخ و الكبرياء ما هو ملحوظ في مخاطبة المشركين يتعالى الله به على المتعاليين عليه... و دور النبي فيه انه غير منتفع بشيء من ايمانهم و هو كذلك غير متضرر بشيء من اعراضهم و ضلالهم، لكي يستقر في نفوس القوم أن نبيهم لا مصلحة له شخصية في الامر و انما هو صادق بالكلمة التي يأمره الله ان يقولها للناس. و الرائع في هذه الاوامر القولية البدوءة بكلمة (قل) انها تتكرر بأساليب شتى فهي تنزل على النبي متتابعة لينقلها الى الناس متتابعة في ذات وقت نزولها من دون الاكتفاء بعدد يسير من هذه الاوامر القولية مما كان قد نزل منها من قبل مما يرى في ظاهر الرأي انها كافية في مجالات التبليغ لان النصوص القرآنية يظل يكررها النبي في التلاوة و في الصلاة الا- ان الذي حصل من ظهور عدد كبير من هذه القوليات ان المشركين صارت تفرغ اسماعهم كل يوم بالجديد من ظهور النبي في ساحتهم بنص جديد على تعدد المعاني او توافقها... و يتميز اعجاز القرآن بنمط من التكرار الذي لا يضعف تأثيره في النفوس و لا- يقل سلطانه عليها و هو ما حير بلغاء القوم و فصحاءهم فجرهم الى اليقين جراً و حملهم على الايمان حملاً- و اخذ بتلابيبهم الى الارعواء اخذاً كما ان النص القرآني كان لا- يتوقف عن النزول عند كل حالة من سؤال او اعتراض او تصرف يقع في البيئة المكية... و المؤلف في جدل الاقوام و الفلاسفة و غيرهم ان ما يتكرر من سؤال وقعت الاجابة عليه فانه لا يؤبه به و لا- يرد عليه اكتفاء بما كان من الرود السابقة. ولكن الجدل القرآني على خلاف ذلك فان القوم كلما سألو عن شيء فكررنا السؤال عليه اجابهم القرآن بجواب جديد و لم يحلهم الى ما سبقت الاجابة عليه. و قد دل هذا على طول صبر و قوة تحمل و عظمة اناة توفرت في الشريعة الاسلامية بحيث حير ذلك أبواب المشركين و المعاندين و المجادلين. «قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين»... هود/١٣ والنص مسبوق بقوله تعالى في صدر الاية و هو «أم يقولون افتراه»... و جاء تعداد السور التي طلب اليهم الايتان بها عشر سور و قد وصفت بأنها مفتريات للمبالغة في التحدي اذ زعموا ان القرآن مفترى و لذا قيل لهم اثتوا بعشر سور مثله مفتريات و أذن لهم [صفحة ٢٧٢] ان يستعينوا بمن شاءوا للتوصل الى الايتان بهذه السور والامر في هذا الباب عسير ليس باليسير لان بلغاء مكة عاجزون عن الايتان بسورة واحدة و يزداد عجزهم حين يطلب منهم الايتان بعشر سور و حين جرى الكلام على الايتان بمثل القرآن وجه التحدي الى الانس و معهم الجن و ذاك في السور المدنية اذا بات الامر أشد و أشق. لم يعرف عن العرب انهم حاولوا معارضة القرآن و الايتان بسور مثله و لا- يعقل ان يكونوا قد فعلوا ذلك و خفي الامر على المؤرخين... و ما ينسب الى مسيلمة و غيره من الفاظ و عبارات زعموها قرآناً جاءوا به لتثبيت نبوتهم فأذ ذلك يغلب عليه الافتعال قصد الاستخفاف

بالكذبة من هؤلاء المتنبئه مثل ما نسب الى مسيلمه [يا ضفدع بنت ضفدعين نقي ما تنقين نصفك في الماء و نصفك في الطين] و مثل [القد حرم المذق فما لكم لا تمجعون]... «أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى و أنا برىء مما تجرمون»... هود/٣٥ النقاش هنا منطقي اذ ان من يقترف سيئه فانه يكون مسؤولا عنها. و قوله «و انا برىء مما تجرمون» هو كذلك نقاش منطقي طبيعي. «قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيره أنا و من اتبعنى و سبحان الله و ما أنا من المشركين»... يوسف/١٠٨ الدعوه الى الله مهمه النبى و عرق رسالته الى الناس فاذا صار له اصحاب و اتباع عارفون بامر الدين و احكام الشريعه انشأهم على يده فانه يكون عليهم واجب الدعوه الى الله. و هكذا يظل الامر يتصل و المهمه تستمر جيلا بعد جيل. لان العقائد تنتقل ابدًا من سلف الى خلف و بذلك يظل عمود الدين قائما و احكام الملة السمحه ذات ديمومه فى الامه و من وراءها من الامم التى تعتنق الدين و لو بعد حين... ان محتوى الاطار الاسلامى العام ما يحكم بان المؤمنين فى سائر عصور التاريخ هم وحده متوحده و فئه متقاربه غير متباعده و لذلك نرانا و نحن فى هذا العصر حين نقرأ قوله تعالى «ربنا اغفر لنا و لأخواننا الذين سبقونا بالايمان» انما نعنى سائر المؤمنين السابقين و لو كان ذلك قبل عصور و دهور... ان الدين لا تتوقف الدعوه اليه بوفاه صاحب الدين الذى هو الرسول المرسل من الله به الى من يرسله الله اليهم من الشعوب. لانه قانون سماوى مطلوب اقراره فى العباد امه فأمه و قوما فقوما... و من فحوى النص يعلم ان واجب الدعوه الى الدين و ابلاغ العباد به مسأله من ضروريات المسائل العالقه باعناق المسلمين مهما بعد الزمن و عظمت الكلفه فذاك هو أحد الجهادين باللسان و السيف... و يفهم ذلك وفق ما توارثته الامه من سنن الدعوه الدينيه و ما عرفته من صبر رسول الله على العناء فيه... «قل من رب السموات و الارض قل الله قل أفأخذتم من دونه اولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرا قل هل يستوى الاعمى و البصير أم هل تستوى الظلمات و النور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء و هو الواحد القهار»... الرعد/١٦ فى هذا النص نقاش ذو نقاط متعدده تحوم كلها فى حومه الكلام على التوحيد و هو أس الشريعه و عرق العقيدة و غايه الرساله و قد جاء الكلام بصيغه حواريه كما أنه تناول نواحى فيها توجيه و تثقيف و تقريع و تنديد و مثل هذا النمط الحوارى ذو أثر ظاهر فيه السلوك المكى ولكنه قد يرد كذلك نقاشات مدنيه و ذاك لوضوح التهمه و تحديد مواطن العله و لا يجاز المقدمه و النتيجة. «و يقول الذين كفروا لو لا أنزل عليه آيه من ربه قل ان الله يضل من يشاء و يهدى اليه من أناب»... الرعد/٢٧ [ صفحه ٢٧٣ ] جل اعتماد مشركى القوم فى مكه - والآيه مكيه - فى مواجهتهم رساله الرسول الاعظم بالانكار و عدم الاقتناع هو انهم يريدون أن يأتيهم النبى من ربه بالخوارق و قد امره الله ان يرد عليهم قائلا «قل ان الله يضل من يشاء و يهدى اليه من أناب» و يعنى ذلك أن عدم تصديق منكرى الرساله لا اهميه له عند الله لانه هو الذى يهدى الى الايمان من شاء و لذلك فان اشتراط القوم ما يشترطون من شروط من اجل الايمان انما هى شروط مرفوضه و غير مقبوله... ان الشريعه الاسلاميه ظهرت الى الوجود بعد أن سبقت بعشرات الديانات بل بمئاتها و كانت سائر تلك الديانات خاصه بأمم تدين كل امه بدين و تتبع رسولا خاصا بها. و الاسلام دين البشريه جمعاء فاذا كانت الديانات القديمه قد قامت على ظهور آيات و معجزات فان معجزات الاسلام هى قرآنه العظيم و تفاصيل ما جاء فى هذا الكتاب المبين من احكام و قواعد و تشريعات و انظمه ثبت نجاحها لدى التطبيق. فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر. ان مجيء الآيات وفق اهواء من يقترحها ستخرج الاسلام من الحكمة الى ما يبعد عنها كثيرا و سيجعل ذلك مهمه النبى خارجه عن صدد اصلاح العالم البشرى و اعاده بنائه. و منكروا الرساله من اهل مكه كانوا يصفون الرسول بالساحر و هو لم يقم بشىء من الاعمال التى تنسب الى السحر فلو استجاب لهم فى تحقيق مقترحاتهم الناشئه من تهافت اخيلتهم و مضمحل اوهامهم لكانوا يجدون فى اتهامهم الرسول بالسحر من صدقهم على ذلك... و قد جاءت اثر هذه الآيه آيات تزكى المؤمنين و تصفهم بصفات التكريم و هم لم يكونوا ممن طالبوا بالآيات التى لم يكن المطالبون بها بالجادين فى ذلك. و انما كانوا معابثين لا غير. ثم جاءت الايه الموفيه على الثلاثين بجماع ذلك. «كذلك ارسلناك فى أمه قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك و هم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت و اليه متاب [٧٠] ...» الرعد/٣٠ ما تكلمنا عليه من مفردات الايه السابقه السابعة و العشرين ينطبق على هذه الايه كذلك.

فان الدين الحنيف الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو دين حكمه و رشاد و اصلاح للعالم و هداية للامم و تهذيب للاخلاق و اقامة معالم العدل و توحيد المجتمع البشرى فى ظل رايه الاسلام دين الوحدانية و مكارم الاخلاق و الهدى و الخير و فضائل الاعمال... و هذا ما كان النبى صلى الله عليه وسلم من ربه بتبليغه و التوكيد عليه... و أمر الله نبيه ان يصرح بايمانه بالله الذى لا اله الا- هو و الذى يتوب اليه التائب و يلجأ اليه اللاجىء فى أمه ألفت فى حياتها اليومية و العقائدية الكفر بالرحمن و يعنى ذلك ان خروج النبى الى القوم و هو يعلن الايمان بالله انما هو خروج تحد و تسفيه لعقيدة الكفر الغالبة على القوم... و نمط هذا الكلام كان مألوفا كثيرا فى العهد المكي... «و الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك و من الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله و لا أشرك به اليه أَدْعُو و اليه مآب»... الرعد/٣٦ الكلام على من كان من الكتابيين فى مكة فان فيهم من كان يعرئ للقرآن قيمته العالية و يحمد منهجه فى التهذيب و التثقيف و فى مكة كان كذلك اهل الاهواء من المتألمين على الاسلام و المتمنين له الاخفاق و هذا [ صفحہ ٢٧٤ ] ما جاء فى النص بلفظ «و من الاحزاب من ينكر بعضه» و لا نزال نرى الاية مكية [ ٧١ ]. «و يقول الذين كفروا لست مرسلنا قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم و من عنده علم الكتاب»... الرعد/٤٣ هذا النمط من الكلام يمثل ما كان منه فى العهد المكي اما فى العهد المدنى فلقد استقام عمود الاسلام و كثر اتباع النبى و اعوانه غير ان من عادة القوم المجازفة بالتكذيب من غير بينة و لا حجة مقبولة و بهذا تكون مهمة الرسل شاقه فى اقناع الذين يبادرون الى التكذيب و رفض الاصغاء الى رسلهم و انبيائهم، و كان الامر كذلك فى تعاون الشعوب مع انبيائهم و لم يتغير من خلق المكابرين و المنكرين عبر الدهور شىء قل او كثر. و الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم و وجه بمثل ذلك باكثر من موقف لا سيما ابان العهد المكي، و غالب كلام النبيين لمثل هذه الجماعات يعتمد على اشهاد الله عزوجل على صحة رسالتهم و صدق مقالاتهم... و فى ذكر الله و الاكثار من ذلك ما يكون فى كثير من الاحيان ذا تأثير نفسى و وجدانى فى نفوس المخاطبين و ان كانوا لم ترح قلوبهم رائحة الايمان... «قل تعتموا فان مصيركم فان مصيركم الى النار»... ابراهيم/٣٠ و صدر النص هو «و جعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله»... الانداد هم الشركاء الذين يشركهم بالله اناس ضلوا السبيل الى الله و بديهي ان الذين يشركون بالله ما يشركون لم يتوبوا فانهم من اهل النار و هذا ما عرف فى الملء بالضرورة و المهم فى ذلك هو مجاهرة الرسول الاعظم لهم بهذه الحقيقة و يبدو ان المخاطبين هنا هم من ذوى الغنى و اليسار لانه قال لهم تمتعوا. «قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سرا و علانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه و لا خلال»... ابراهيم/٣١ فى هذا النص امر شرعى لمعتقى الاسلام ان يقيموا الصلاة و يحسنوا الى الناس فان الايمان يتطلب العمل و العبادة و ليس الايمان مقولة تقال فان هناك يوما يحاسب الله فيه العباد على اعمالهم و هو غير ايام الناس فى هذه الحياة اذ تنقطع فيه جميع أسباب الانتفاع من علاقات تجارية و غير ذلك. و مثل هذه التوصية القرآنية كان محل حاجة المجتمع المكي و ان كان محل حاجة سائر المجتمعات. «قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا و هدى و بشرى للمسلمين»... النحل/١٠٢ فى هذا النص توكيد على صحة الوحي الذى انزله الله على نبيه و ما كان لهذا الوحي من اثبات العقيدة فى النفوس، و هى مقولة كلما تكررت انشقت لها مرائر [ صفحہ ٢٧٥ ] الكافرين لما فيها من التركيز على نبوة الرسول الاعظم و هم فى سبيل انكارها انكارا ابديا... و من البديهي ان المؤمنين يزدادون بذلك ايمانا و استيقانا فيقوى جمعهم و يشتد عزمهم. «و لا تقل لهما أف و لا تنههما و قل لهما قولا كريما»... الاسراء/٢٣ يخاطب النبى بخطاب يراد به فى الحقيقة غيره من سائر افراد الامه، و من ذلك قوله تعالى «و قضى ربك ان لا تعبدوا الاياه و بالوادين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف و لا تنههما و قل لهما قولا كريما و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا»... ان النبى لم يكن والداه على قيد الحياة يوم خوطب بهذه التوصية التى اراد الله بها مخاطبة سائر افراد الامه. و مثل ذلك مما يخاطب به الله نبيه و هو يريد سائر الناس قوله تعالى «و لا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا» الاسراء/٣٩... مما يفهم منه ان القواعد الدينية عامة تنطبق على الجميع... «قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا»... الاسراء/٤٢ مسألة واحدية الله مسألة لا تحتمل الجدل لان جميع بصمات هذا الكون واحده تشير بكل قوة الى ان الخالق واحد و الادلة

القرآنية على ذلك غير قليلة و ما جاء في النص الذي نحن في صدد سرده و شرحه يومئذ الى انه لو كان مع الله آلهة اخرى اذن لارتقى كل بمكانه من هذه الالهية بل لدب دبيبا الى موقع من ذلك اعلى و ذاك ان التنازع طبيعي في سائر ما يشارك فيه المشاركون لا سيما في عالم السلطنة و الحيازة على المكسب الواسع... فالنص اذن ينفي من الاصل حكاية الشرك و يأخذ بمناقشة عقول الناس بالمقدار الذي يهديها الى تصحيح عقيدتها في الله... و كان الشرك الذي عليه اهل الجاهلية شركا له اكثر من اطار و كانت مهمة الشريعة التي جاء بها الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم تنهد الى اكثر من علة اعتل بها القوم بتبغى معالجتها و تسعى الى نقضها نقضا بالعقل و الحكمة و ضرب الامثال للناس. و اخيرا زال الشرك من الجزيرة و قام عمود التوحيد مرتفعا في كل مكان على ان كل مناقشة للشرك لا سيما ايام العهد المكي تستنفر سائر قواهم الجدلية في مواجهة الرسول الاعظم لان العقيدة اذا استفحلت في النفوس كان استئصالها غير يسير: و اذا العقيدة في النفوس استفحلت فمن المحال بحجة ابطالها ولكن شخصية الرسول بما طبعها الله عليه من اقتدار و حكمة و ثبات فعلت الاعاجيب في عالم الدعوة الى الاسلام و تصحيح سائر الاوضاع... «قل كونوا حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغصون اليك رؤسهم و يقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا»... الاسراء ٥١/٥٠ في هذا النص كلام على القدرة الالهية في اعادة الخلق. فان ذلك في منطق العقل و القياس الامر بديهى فمن انشأ شيئا بدأ انشاءه بعد ذلك بأقل كلفة فانه اذا تلف امكن له ان يعيده كما كان... لان العملية الاولى انشاء انما كان على غير قاعدة مقعدة ولا خارطة مدونة و لذا كان اعادة تكوين ما يصنع لأول مرة بعد تلفه مسألة من الممكنات لان هذه الاعادة لا تتطلب تصميمًا جديدًا اذ سيعتمد فيها على التصميم الاول و من زعم ان مثل هذه الاقيسة هي قياس مع الفارق فقد وهم وادعى الفارقة في القياس حين لا وجود لها. ان قواعد المنطق و ان كانت قائمة على النقاش العقلي فانها في الحقيقة قائمة على الاف الوقائع و التجارب التي يشهدها الناس في كل حين و ذاك ان [صفحة ٢٧٦] الصنعة الاولى و الاختراع الاول يتحقق بعد طول تأمل فاذا تم ذلك فان الاعادة لما يتلف من ذلك و يفسد لا تتطلب من طول التأمل شيئا من زمن... و ظاهر في النص ان الجدل فيه قائم على نباهة جدلية من احد طرفيه و على سذاجة ظاهرة من الطرف الثاني... لقد كانت مهمة النبي في مثل هذه المواقف الجدلية و ان كان الله يعلمه كثيرا من دقائقها و حقائقها كانت مهمة غير هينة و لا يسيرة لا سيما حيث يتجمهر المنكرون المماحكون و المكذبون و يعين بعضهم بعضا على ان يحققوا لانفسهم انتصارا في ذلك الجدل و هزيمة الجهة التي كانت تقض مضاجعهم بكثرة معاودتها الحديث في تلك المواضيع... «و قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا»... الاسراء ٥٣ في هذا الحوار كلام على الشيطان و افاعيله في النفوس، و كان العرب يرون للشيطان عليهم الاستطاعة الكبرى، و قد حثهم الرسول بنصائحه الرشيدة الى حسن التصرف و الثبوت مما يقولون لئلا ينزغ الشيطان نزغه فيهم. و النص مخاطب به اتباع الملة الذين كان النبي يتولاهم بالموعظة و يتفقدهم بالمراجعة بين كل حين و حين ليكون لايمانهم بذلك ثبات و رسوخ. و الجهد النبوي في هذه الساحة جهد متكرر لا- ينفك يؤدي مهمته و يصدح بحجته فاذا كان النبي ينصرف الى المشركين و كفار مكة بالحث على تقبل الاسلام كان كذلك يروح الى المؤمنين بالحدب و معاودة النصيحة فان ساحة المعركة جد رهيبه خلال العهد المكي بين الرسول و سائر الجهات... «قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا»... الاسراء ٥٦ في هذا النص خطاب صريح لكفار القوم بأن يدعوا معاييدهم الى أن يصنعوا لهم شيئا يفيدونهم به او ينقذونهم مما يصيبهم من الاحداث و المصائب و تهوين الاضرار النازلة عليهم ان كان لمعاييدهم قدرة على شىء من ذلك، كما أن من حق العابد على معبوده أن يسأله مثل ذلك. و النص قد تكررت نظائره في الذكر الحكيم و كان ابدا من التحديات القرآنية المسكته لعبدة الاصنام بل التي كانت تحملهم على ان يدخلوا من عبادة اصنام لا تملك لعابديها ضرا و لا نفعا... و كان النبي صلى الله عليه و سلم ينفذ الامر الالهى على الفور في دعوة القوم الى أن يردوا على هذا التحدى بشىء. و بديهى أن مواجهة النبي هؤلاء بذلك تتطلب الاقتدار الاقتحامى و ذاك ما كان يملكه النبي و ظل يملكه في كلا العهدين المكي و المدني... «و قل رب أدخلنى مدخل صدق و أخرجنى مخرج صدق و اجعل لى من لدنك سلطانا

نصيرا... الاسراء/٨٠ ان الله عزوجل على ما يبدو ف بهذا النص كان يعلم النبي ما يسأله و كيف يسأله... و تلقين الملحن يدل على شدة الحرص و قوة الرغبة في افادة من يوجه اليه ذلك التلقين، كأنما يكون الكائن الانساني غافلا عن استعمال الالفاظ ذات العطاء الكبير لذلك يكون تنبيهه الى مثل تلك الالفاظ ناما عن فرط الحفول به و شدة الحذب عليه... و في ذلك وضوح لما عند الله من استجابة ثابتة لتلك الادعية التي لقن بها نبيه صلى الله عليه و سلم... في هذا النص خطاب الهى تربوى اخلاقى موجه الى سائر الجهات التي تصلح للمخاطبة و كان النبي اول جهة فيهم لهذا الامر... حقا انها عبارات تهذيبيية في غاية الروعة و البيان فيها بناء النفس و الروح و الدعوة الى سلوكية جد نقيه في التعامل مع البارى عزوجل. و في النص اعلان لسائر من سمع هذا الدعاء الجميل الى ان الحق أحق ان يستقر في الارض و يجد الاعوان و الانصار و ان الباطل كان زهوقا ابدا و مخذولا. على ان النبي كان ابدا محل تكريم الله و عظيم رعايته و اخذه بالتعليم [ صفحة ٢٧٧ ] والارشاد و الدعاء القرآنى المنصوص عليه في هذا النص مستوعبا جميع ادوات التوفيق في سائر مواقف الانسان و تصرفاته و ما كان مما يغيب عنه و ما كان مما يحضره و السؤال من الله عن التمكين و السلطان النصير غاية ما يتمناه عبد من خالقه و رازقه و محبيه و حاميه... و لا سيما النبي الذى كان أحوج الى عون الله من سائر من هناك فانه يحمل عبء رسالة عظيمة الى امه لم يكن الوصول الى قلبها و عقلها بالامر اليسير... «قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا»... الاسراء/٨٨ ما يزال القرآن الكريم في عهده المكى على ما تمثله هذه الآية من احداث الدعوة الاسلامية التي جاء بها الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم... فالنبي هنا يأمره الله ان يتحدى القوم مرة اخرى بان يأتوا بمثل هذا القرآن شكلا و موضوعا و هم اهل لسان بليغ و نطق فصيح و جدل عريض و مطاولة و منازلة. و لم يكن الاسلام يومئذ ذا مركز من القوة و السلطة تخاف الناس الوقوف في وجهه بل كان الذين كفروا هم اهل الصولة و الصولجان. و مازال مشركوا مكة و كفارها و للموم المعاندين و المكابرين فيها يمسعون هذا التحدى و يستخفون ان يظهرها في وجه المتحدى بشيء يمكنهم ان يطاولوه به مرة بعد الاخرى... و قد قرن النص بين الانس و الجن في هذه المنازلة و كان كل من الانس و الجن قد اغمض عينيه و أصم اذنيه عن قول شيء يرد به هذا التحدى الذي تكرر في السور المكية - ثم تكرر بعد ذلك في السور المدنية -... و قوله تعالى «و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا» غاية التحدى و الاستخفاف بالتجمع المقترح... و نص التحدى هنا جاء على وجه الاخبار «قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله» والذي يستخلصه مما يتعلق بشخصية الرسول الاعظم في مثل هذا الموقف انه صلى الله عليه و سلم كان قائما في الساحة كالطواد الشامخ يعلن الكلمة الالهية بكل ثقة و اعتداد و جرأة على اقبال القوم بما كان يذل كبرياءهم اذلالا و يحط من كرامتهم حطا فما يملكون عليه من رد و لا ببعض حرف او بعض كلمة... التحدى القرآنى للعرب بأن يأتوا بمثله كان لاستحالتة و قوة الجدية فيه قد تناول الانس و الجن ولكن بلغاء العرب و قد استهوتهم العبارة القرآنية و البلاغة التي هي عرق القول فيه لم يورطوا انفسهم في صنع قرآن او بعض قرآن... و لو انهم كانوا قد فعلوا ذلك لاشار اليه القرآن و لاحقره و ازدرى به و في القرآن اشارة الى من يدعى النبوة و يزعمها «... او قال اوحي الى و لم يوح اليه شيء...» الانعام/٩٣... و هذا ينقض زعم من زعم ان اناسا من العرب ضارعوا القرآن و جاءوا بمثله و ان المؤرخين اخفوا ذلك على التاريخ. لقد علمنا ان القرآن لم يكتب في اسلوبه الاعلامى شيئا مما قاله المشركون و غيرهم في الله «و قالت اليهود يد الله مغلولة» المائدة/٦٤. و كذلك ما كان من قولهم في النبي اذ رموه بالجنون و ادعاء الشاعرية و السحر و الكهانة فلو كان ثمة ما يخفى اعلاميا لاختفيت هذه الاتهامات... ان واقع التحرك الاعلامى ظاهر في القرآن لحظة فلحظة و شبرا فشبرا فليس في الاسلام و لا في شخصية نبيه العظيم ما خفى من شيء... ففيم اخفيت القرائن التي صنعها المشركون ان كانوا صنعوا شيئا من ذلك. و خصوم الاسلام كثيرون و جراء و ذوو حد عريض... و ان ما نسب الى مسيلمة الكذب و طليحة و غيرها من المنتهين في صدر الاسلام من مقولات سخيفة و ركيكة بدعوى أن ذلك مما اوحاه الله اليهم كل اولئك لا صحه للروايات التي روته و قد كررنا القول على ذلك في مواقع اخرى من الكتاب... «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي



بالله و الملائكة قبلا أو يكون لك بيت من [ صفحہ ٢٧٨ ] زخرف أو ترقى في السماء و لن تؤمن لرقيق حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا.. الاسراء ٩٣/٩٠ من غريب تحديات الخصوم انهم عرضوا على النبي مطالب و شروطا قالوا انهم سيعترفون عند تحقيقها بالاسلام و نبوة نبيه الحامل لبود هذا الدين و رايته العظمى... هذه المطالب التصاعديّة ظاهر عليها التعسف و العناد و ابتغاء المشاقّة و التعجيز... و كان جواب النبي على ذلك كما أملاه الله عليه «قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا...» فان النبوة ليست خرقا للنواميس الثابتة و لا- تطاولا- على الحقائق و لا- مشاركة للخالق في خلقه و تكوين مكوناتها... و السداجة و اللجاجة و اضعفان في هاتيك المطالب التي يبدو ان الذين تقدموا بعرضها على النبي لم يكونوا من مفكري القوم و لا من كبرائهم فان سمة الضحالة في هذه المطالب تدل على ان نزعته التهريج في الاوساط المكيّة كانت تسود بعض الفئات فتعبر عن مكنون صدرها بمثل ما عبرت به. والانباء كانوا قديما يواجهون اممهم بالمعجزات الخارقة التي تسكت تلك الامم عن اللجاجة في مطالبها غير المنطقية. و النبي صلى الله عليه و سلم وقف تجاه منكري نبوته موقفا صلبا لم يتزحزح فيه عن التصرف المنطقي الصحيح قيد شعرة فكان اقوى من كل القوى التي تظاهرت عليه و تظاهرت على احباط دعوته التي لم تظهر عليها يوما ما قبل الهجرة و بعدها اشارة من شعوذة و اعمال يراد بها اقتناع السذج و الجهلة و استرضائهم و ان الذي جاء به صلى الله عليه و سلم خلال مسيرة الدعوة الى الدين الجديد هو القرآن وحده. و يبدو ان الذين وجهوا مقاتلتهم تلك الى النبي لم يكونوا فريقا واحدا بل كانوا اكثر من فريق واحد... و هم كذلك حين راحوا يلعنون عن شروطهم لم يكن المتكلم فيهم واحدا بل كان كل منهم يقولون كلمته و يقترح اقتراحه وفق عقليته و مزاجه و اسلوبه في الجدل و المماحكة و كان يطغى على هذا الجو الهرج و المرج و الصخب الشديد... غير ان الجواب كان من الهدوء و الاناة و قوة التمالك و ضبط الاعصاب على اعلى درجة «سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا...» و بذلك فهم غالب من حضر ان رسالة الاسلام ليست ضربا من الشعوذة و المخزقات و الاعمال الغريبة التي ألفت الناس قديما فيها الحجة على صدق دعوى من يدعى دعوى ما... لقد كان رسول الله في مواجهة مثل هذه المواقف المشخنة بالعناد و الصلف و اثقا القوم سينصاعون يوما ما الى دعوته و يروحون يذودون عنها و يفتدون بها بكل غال و رخيص و نفس و نفيس و ما زال عليه الصلاة و السلام يدعو ربه قائلا «اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون». و قد رأينا أن الصحابة قالوا عند كسوف الشمس يوم وفاة ابراهيم ابن النبي ان السماء كسفت حزنا لوفاة ابراهيم الذي توفي عن ثلاث سنوات - و لما سمع النبي ذلك خرج اليهم قائلا [أيها الناس ان الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا تكسفن لموت أحد] في حين أن في مقولة القوم مكسبا اعلاميا لصالح النبي ولكنه رده و أنكره و لم يستغله و ذلك من آيات صدقه و نصحه و مواجهته الاحداث على وجهه الصحيح... «قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا، قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم انه كان بعباده خيرا بصيرا»... الاسراء ٩٥/٩٦ كان مجادلوا القوم يطلبون ان ينزل الله عليهم ملكا يكونه اليه امرا انذارهم و دعوتهم الى الدين... و قد رد الله عليهم طلباتهم هذه بانه لو كان في الارض ملائكة أي لو كان أهل الارض من الملائكة لنزل الله عليهم ملكا يأتيهم بالدين و الشريعة، و هو نص ظاهر الوضوح فان الرسل انما تكون من اجناس من نرسل اليهم ليكون بين الجهتين لسان واحد و عرف واحد. و النص القرآني الذي نحن في صدده افتراضى اراد الله به مجابهة القوم على قدر عقولهم و الا فإن الملائكة لا تبعث اليهم الرسل لهديتهم. و في ذلك [ صفحہ ٢٧٩ ] الرد المقنع و الجواب المسكت فان الملك لو أرسل رسولا- الى هؤلاء الناس لا- نعدم التفاهم بين القبيلين و لا نقطع الرجاء في الوصول الى حل العقد المستعصية في معتقدات القوم. ان الدين قيادة و التحام و حضور و تفاهم و سؤال و جواب و استفاء و افتاء و إمامة و اقتداء و مواصلة الالتقاء و الاستشارة و خصومة و عداء او مصالحة و ولاء و لا تتحقق هذه المطالب بكون الرسول المرسل الى البشر ملكا فان ذلك مما يصعب ان يعيش معهم و يكون معهم و يكون بينهم و يؤمهم في صلاة و يقودهم في زحف و في مثل ذلك يجب ان ينقلب الملك الى بشر و هذا ما صرح به القرآن الكريم في الرد عليهم اذ جاء فيه «و لو جعلنا ملكا لجعنا رجلا». ان قصة الاقتراح بأن يكون النبي ملكا من الملائكة لا تعنى الا- التعجيز و سد باب النبوة كل سد و قائلوا ذلك لا حجة لهم في هذا القول فان الامم القديمة عرف فيها ان المرسلين اليها

كانوا بشرا من بين افرادها. على ان الملائكة ليست لهم اشكال بشرية و لا- ما يواجهون به الناس من ادوات الرؤية و الاستماع و المخاطبة... اما الوحي الذي يحملونه الى الرسل فذلك امر اخر... والنص الذي نحن في صدده مسبق بالاية الرابعة و التسعين «و ما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا». و كان مشركوا مكة يكثر من ادعاء ان الرسل يجب ان يكونوا من الملائكة لا من البشر... و على هذا جاء قوله تعالى في أن الارض لو كانت مساكن للملائكة لكانت الرسل المرسله اليها من الملائكة، ولكن الارض يسكنها البشر و على ذلك فان من يرسل الى الامم التي فيها يجب ان يكون من البشر و من الرجال خاصة... و جاء بعد ذلك نص يثبت هذه الحقيقة و يعلق باب الكلام عليها و ذلك في قوله تعالى «قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا» الاسراء/٩٦... ان قوله تعالى «لو كان في الارض ملائكة يمشون لبعث الله ملكا رسولا» لا يعني ان الله بعث الى الملائكة رسولا- منهم فان الملائكة لا يعاملون في هذا الوجه معاملة البشر و انما جاء النص على هوى المجادلين. و في الجدل يقع الكثير من ذلك... «قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لأمسكنكم خشية الانفاق و كان الانسان قتورا»... الاسراء/١٠٠ في هذا النص نبز للقوم بالبخل والشح حتى و كانت في يدهم خزائن الله. و البخل و الشح خصلتان كانت العرب تستكف ان تتصف بهما رغم ما يكون عليه احدهم من الفاقة... و القرآن و صمهم بهما على رؤوس الاشهاد على عرض الملك و سعة الغنى و فرط الاقتدار المالى و قد واجههم الرسول الاعظم بذلك علانية و هم ينصتون اليه يخاطبهم بذلك جهارا... «قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا»... الاسراء/١٠٧ الكلام هنا على القرآن الكريم و قد جاءت الآية السابقة تشير الى ذلك «و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا» و يفهم من ذلك انه كان في مكة من احبار اليهود و غيرهم من كان موقفهم لنا تجاه ما كان ينزل من القرآن في العهد المكي اذ كانوا لا يكتفون اعجابهم به و ارتياحهم له. و النص ظاهر الدلالة على ذلك. و قوله تعالى «يخرون للأذقان سجدا» تعبير عن فرط الاعجاب بالقرآن الكريم... و انما اشتد سعار اليهود ضد الاسلام بعد اتخاذ النبي المدينة مقرا له اذ صار الاسلام قريبا من منازلهم و مراكز ثقلهم على ما صرنا نرى ذلك في السور المدنية... «سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فقل تمار [صفحة ٢٨٠] فيهم الا- مرءا ظاهرا و لا تستفت فيهم منهم احدا، و لا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا، الا ان يشاء الله و اذكر ربك اذا نسيت و قل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا»... الكهف ٢٢/٢٤ قصة اهل الكهف من جهة عددهم - أى عدد الفتية - الذين أوو الى الكهف و من جهة الزمن الذى قضوه فيه يعد ذلك مما لا يعلمه الا الله. و ما قاله النقلة من اخبار اهل الكهف فى تعداد عددهم و تحديد زمن مكثهم انما هو من الرجم بالغيب و هذا ما جاء به النص بصريح اللفظ و العبارة... و قوله تعالى «قل ربي اعلم بعدتهم» اى قل ذلك للذين يتحدثون فى امر اهل الكهف بغير علم... و قوله تعالى «و قل عسى ان يهدين ربي» ليس من الاقوال التي امر الله نبيه أن يقولها للناس او ليفشيها فى المجتمعات و انما اراد ان يقولها النبي فى نفسه تعليما و هداية و ذاك من بعض ما تولى الله نبيه فيه بالتربية و التوجيه و الموعدة الخاصة... «و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها و ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقا»... الكهف/٢٩ فى هذت النص قول خوطب به الكافرون ليعلموا ان الايمان و ان كان يرضى الله فانه لا يعد المؤمن به منفصلا عن ربه و ذاك ان الايمان من خاصة عمله الذى يحمد عليه. و كذلك القول على الكفر فانه لا- يضر الله شيئا، و ان الله يدعو العباد الى الايمان فانه عزوجل يدعوهم الى ما يفيدهم. و حين ينهاهم عن الكفر فانه ينهاهم عن الوقوع فى ما يضرهم. و الكفر معصية المعاصى و جريرة الجرائر... و تلك حقيقة منطقية تتعلق بسلوكيات الناس ان شاؤا ان تكون سلوكياتهم محمودة و ان شاؤا صيروها سيئة مذمومة... و جاء بعد ذلك تهويل شديد لعذاب النار يوم القيامة... و هو امر طبيعى فى قانون الترغيب و التهيب جذبا للناس الى مشارع الخير و صرفه لهم عن مهاوى الشر... و الكهف سورة مكية فيها من العبر و العظات الكثير و قد جاء فريق منها على اسلوب القصة و ذكر بطولات فريق من مؤمنى الزمن القديم ممن تحملوا فى سبيل ايمانهم الاضطهاد. على ان النمط التاريخى فى سرد السير قد استبعد من كتاب الله اذ لم تقع

الإشارة في ذلك الى زمان او مكان او انتماءات نسيية أو عرقية للذين جرى الكلام عليهم... «قل هل ننبئكم بالآخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقاءه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا»... الكهف ١٠٣/١٠٤/١٠٥ في هذا النص مطالب تعليمية و وعظية و شرح مفصل لسلوك اقوام اساءوا الى انفسهم في علاقاتهم بربهم فكانوا بذلك كفارا لا بصيص للايمان في قلوبهم... و العجيب ان قوما على هذه الشاكلة من الضلال المبين و الكفر البواح الكثيف يحسبون أنهم يحسنون صنعا، و انما كان ذلك كذلك فيهم بفعل الاغترار و العناد، ثم عقب النص على هذا بان القوم ليس لهم في الآخرة الا النار اذ لا تدرکہم شفاعة الشافعين لأنهم لا شيء لديهم من حسنات المحسنين و اعمال المتقين. و جاء العرض القرآني بلفظ «ننبئكم» و لم يرد بلفظ الافراد و ذلك لبيان ان القضية معروفة للكثيرين لا للقليلين و لان في ذلك معنى التوكيد و الجزم و قوة الثقة... و في هذا الاسلوب تعال بارز و شموخ بين... ان هؤلاء القوم حقا من فصيلة الذين لا يدرون و لا يدرون أنهم لا يدرون... و قد يكون قوله تعالى «الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا» جزءا من صفة الآخسرين أعمالا و عند ذاك يكون الجواب المعلن بالنبا هو قوله تعالى «اولئك [ صفحة ٢٨١ ] الذين ليس لهم في الآخرة الا النار» و كلتا الآيتين تكشفان عن الواقع السيء الذي ينغمر فيه أولئك الضالون المضلون... و النص و ان كان آتيا بصيغة الخبر فانه مراد به توجيه تلك الضلالات الى من خوطبوا بها. «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا»... الكهف/١٠٩ الآية من سورة مكية و قد جاء فيها افهام المشركين و غيرهم ان الله لا يعجز عن الكلام الذي يوحى الى نبيه و ان ما سمعتموه من القرآن الكريم و تسمعونه ليس هو كل ما هناك من كتاب الدعوة و مهما كان الامر فان القرآن الكريم نزل في سقوف زمني في مكة مقداره ثلاثة عشر عاما و في المدينة لبث ينزل على رسول الله عشرة اعوام. ان المنطق الجدلي في مواجهة قوم يظنون أنهم اقدر الناس على الكلام و الجدل و المحاجرة و ابعث الناس غورا في النقاش و المطاولة الكلامية و ما الى ذلك من الاقتدارات البلاغية انما يتم بمثل هذا الكلام الالهي في مواجهة تلك التحديات. بل إن الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم تخطى جميع مالمدى القوم من شعر و نثر و كلام بليغ و اقتدارات خطابية و ما الى ذلك على ان الله عزوجل لا تنفذ كلماته و لا يعجزه احد في شيء من كلامه و عظيم اقتداره. «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا»... الكهف/١١٠ في هذا النص تلخيص لجوانب كثيرة مما يتصل بشخصية النبي منها اعلان النبي لبشريته في مجموعة أولئك البشر فهو واحد منهم بشريا ثم جاء الكلام على ان الله ميزه بشرف الوحي الذي ليس فيه ما يريب او يخرج على المنطق و الحقيقة و اصلاح شأن العباد فان رب العباد واحد و هو اله حى سيلقاه من آمن به و من كفر به «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا» فالعمل الصالح هنا من ضمن ما جاء النبي يدعوا اليه و يحث عليه. و في النص اثبات لمبدأ التوحيد و رفض صريح لعقيدة الشرك التي قام امر العرب و كثير من الناس عليه. و المنطق الوعظي و الجدلي هنا في غاية الهدوء و الرقة و اللطف و السلاسة و ذاك مما كان الله عزوجل يعلمه نبيه و يهديه اليه و يدلّه عليه. و قيد الاختيار يعنى اللاعنف في الدعوة «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه احدا». و في هذا النص كذلك يأمر الله نبيه محمدا ان يؤكد للناس بشريته ليطمئنوا الى ان نبيهم واحد منهم بكامل بشريته، و ليزول استيحاشهم من ان يكون وراء ذلك شيء لا يريدونه و لا يرتضونه و لا يعقلونه... و اخبار القوم بان النبي الذي يخاطبهم يوحى اليه من ربه ان الله اله واحد هو فوق الآلهة التي لا تستأهل التأليه و لا تستحق العبادة ثم يذكر لهم ان من خاف الفشل عند لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه احدا... يلاحظ في هذا النص نمط من تلخيص الدعوة الى الدين الحق باسلوب هادى ذى معان تعد اصول العقيدة الاسلامية، و كذلك كان الادب الالهي للنبي ادبا هادئا يتعلم به حسن مخاطبة عباد الاصنام المصنوعة من الاحجار و ليس في شيء من هذه المقولة من كبرياء و تعال على احد من العالمين... «قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا...»... مريم/١٧٥ اي ان من شاء الضلالة لنفسه و ارتاض لها و رضى كينونته فيها فانه حرى ان يتركه الله في ضلالته، و المعنى الاجمالي للنص ان الضال المظتمن الى ما هو فيه منها لن يجد من ربه عوناً على تحيته على ضلالته لانها من بعض ما ارتفع اليها بذاته و انشدت اليه نفسه فليكن له ذلك

[ صفحه ٢٨٢ ] وليذق وبال امره اذ لم ينفعه عقله ولاهدته كلمته الله الى منجائه... وتلا هذا النص نص جاء في آية اخرى «حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جدا»... وكلام هنا جاء بصيغة الجمع. وهو الاصل في ذلك ان الاشرار والضالين ليسوا انفارا بل هم كثيرون، فاذا وقعت الواقعة وجاء امر الله علموا يومئذ ان غرورهم وعنادهم ساقهم الى شر المصائر وعلموا من قوة الله وعظم سلطانه ما اخفاه عنهم عمى الضلالة وعجرفة الكفر وفساد التقدير. وواضح هنا ان الخطابات المكينة وراء هذه القولييات هي خطابات عنيفة فيها مجاهرة صريحة باستحقاق المخاطبين من دهاقنة الكفر لمثل تلك اللغة التي كان النبي يفرغها في اصمخه اذانهم وفي وضوح النهار وفي كل جهة من جهات مكة ووسط من اوساطها... «ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه، وقل رب زدني علما»... طه/١١٤ بعض ما ينزل من القرآن ينزل ابتداء وبعضه استجابة لاحداث وامور ليس من اختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سكت عنها ينتظر نزول الآي القرآني لتوضيح الامر للامة ولمن سأل واستفسر او اعترض او جادل او عاند او ماحك. وهنا أدب الله رسوله بادب الانتظار حتى يحين مجيء الوحي من الله، وان لا يأخذ منه القلق مأخذا بعيدا... لقد كان النبي يجد نفسه مطالباً من الناس على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم بان يقضى في كل ما يعرضونه عليه من دقيق شؤونهم ومعقد قضاياهم وكان يتمنى ان يكون نزول الوحي على حد ذلك وحرفه. والوحي مسألة ترجع الى الله وليس الى احد غيره... وعلى هذا كان تفسير قوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام» البقرة ١٤٤ اذ كان الرسول يترقب ان يصل اليه من ربه وحى يحل عقدة القبلة التي يتجه اليها في الصلاة فكان يقلب وجهه في السماء يتلهف وحرص عظيمين ورجاء يغلب عليه التشبث الشديد وفي هذا ما يومىء الى قوة الحرص على وصول الوحي، والناس على مثل ذلك الحرص. في النص وهو زبدته «وقل رب زدني علما» وان الدعاء الى الله بزيادة العلم من خير ما يستحق الدعاء الى الله والابتهاال اليه فان العلم من اغلى حاجات اولى العقول والنهى فهو الطريق الذى لا تزل قدم سالكه الى شىء من الحضيض او تهوى به قدمه فى منزلت من الضلال والمتاهة مادام يجد فى الاستزادة من العلم ولا يقصر عن السعى اليه. وفى النص تنبيه تعليمى من الله بحسن التلقى بدقه الملاحظة... والله وراء نبيه فى ذلك كله. «قل كل متربص فتربصوا فستعملون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى»... طه/١٣٥ فى هذا النص معادلة بين جهة الدعوة والاخرى المقابلة اى ان كلا من الجهتين تنتظر النتيجة وتوقع العاقبة ولكن ذلك سيعلم بعد حين ويرى القوم ان اصحاب الصراط السوى ومن اتقى هم الجهة المؤمنة الداعية الى الله انها جهة الرسول صلى الله عليه وسلم فهى من جهة الصراط السوى وهى المهتدية بهدى الله. والتحدى ظاهر هنا بوضوح بل ان النتائج المعلنة سلفا لتومىء الى خسارة الجهة المتصلة بالعناد والجهل وسوء التلقى وبديهى ان مثل هذا الاسلوب فى الخطاب يشبه اللطمة التي تغطى الوجه كله حين لا يكوه هناك ارعواء للحقائق الالهية التي يبعث الله بها رسله لاداعتها فى الناس. [ صفحه ٢٨٣ ] «أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون»... الانبياء/٢٤ فى هذا النص صورة واضحة من الحوار الذى تعتمد فيه الجهة المؤمنة على البرهان «قل هاتوا برهانكم» وجاء فى البرهان الذى يمتلكه الرسول الاعظم ان معه الذكر الذى هو القرآن ومع ذلك الذكر الذى هو كتاب الله الى الامم السابقة فانها كلها تجمع على التوحد وعبادة الواحد الاحد... غير أن النزغ الشيطاني راسخ فى نفوس اولئك المعرضين عن الحق الناكسين عن هدى الله وشرعه العزيز. والتحدى بمطالبة البرهان واضح فى كل حرف من حروف هذا الخطاب الذى كانت فرائص كفار مكة ترتعد له كل ارتعاد. ان فى ظهور الرسول الاعظم امامهم بين حين وحين اخر يصدع اسماعهم بنصوص قرآنية على الاسلوب من الترقيع والتحدى والتبكيث والوعيد بالنار وأليم العقاب. ليدل على ما كان يلازم القوم من ضعف وارتعاب اذ يقوم الرسول فيهم واعظا ومحدرا ومرشدا ومؤنبا ومبشرا ونذيرا. «قل انما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما يندرون»... الانبياء/٤٥ فى هذا النص يأمر الله نبيه ان يؤكد للقوم انه انما يندرهم بالوحي الذى يوحى اليه فهو ملزم بابلاغهم ما يوحى الله اليه لا يتأخر عن ذلك... وتلا هذه الحقيقة التي يتكرر بها على سمع القوم ان هناك وحيا يوحى الله الى رسوله لا بلاغه الى كفار مكة ومشركيها. هذا وتلا ذلك تقرعهم بتقريع شديد وتوبيخهم بتوبيخ عنيف «ولا

يسمع الصم الدعاء اذا ما يندرون» فان الصم الذين لا يسمعون في العادة فانهم اذا ما اندروا لا يسمعون. وقد انزلهم القرآن منزلة المصابين بالصمم ممن اذا ناديتهم لا يسمعونك ولا يلتفتون اليك و هو تعبير رهيب بذعر اولئك القوم و هم يزعمون انهم ذوو السنة ناطقة و اسماع سامعة و بصائر مبصرة الا ان الرسول الاعظم اعلن في ساحتهم انهم من الصم الذين لا يسمعون. و في العبارة القرآنية ما يثير الاسف لقوم يندرون بالاطار المداهمة فلا يسمعون ذلك الانذار و بهذا يكونون نهبا منهوبا للغوائل و سوء العواقب. ان هذا التعبير كسائر التعابير القولية ظاهر الدلالة على سلامة موقف النبي في مواجهة القوم و ضعف موقفهم تجاهه ضعفا ملحوظا مزريا بهم كل ازراء. «قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون [٧٢]». الانبياء/١٠٨ في النص تركيز على الوجدانية الالهية و توكيد على ان ذلك من وحي الله الى رسوله، و امر الوجدانية امر عظيم اذ لقيت الدعوة اليها مقاومة شديدة لدى المشركين الذين كان الشرك اصل عقيدتهم بفعل ماجنى عليهم التفرق الاجتماعي و التفكك السياسي و الكبرياء الشخصي و التكاثر و التفاضل و استمرار الغزو القبائلي و كانت كل قبيلة تتخذ لنفسها و ثنا تتميز به شخصيتها لذا كانت دعوة التوحيد غريبة و ثقيلة الوطأة على معتقداتهم و عنعاتهم الراسخة في قرارة نفوسهم من دهر بعيد... و مثل هذا المعنى تكرر ايراده في الايات القرآنية بسينغ متقاربة و اساليب مبسطة غير معقدة، ثم وجه اليهم السؤال الذي كان يتكرر كذلك «فهل انتم مسلمون» و هو يحملهم في طيات حروفه على معنى الاستحاث على اعتناق الاسلام و الايمان بدعوته الاصلاحية الشاملة... [صفحة ٢٨٤] و صيغة انما و انما من الصيغ المحددة للمعاني المعروضة فهي تقصد معنى القصر الذي يكاد لا يشركه قصد اخر في المسألة الاسلامية و هذا الامر القولي موجه الى جماعة المشركين و كانوا من القوة و فرط الاصرار على الشرك بحيث تشدد مقاومتهم لمن يدعوهم الى تركه تو اللياذ بالتوحيد بدلا منه... و بذلك يعد موضوع وحدانية الله موضوعا سياسيا ذا اهمية كبرى في هذا الباب و ان كان الأصل مسألة اعتقادية قام عليها عمود الاسلام. فان تولوا فقل اذنتكم على سواء و ان أدري أقرب أم بعيد ما توعدون... انبياء/١٠٩ في النص و هو يعقب على ما امر الرسول ان يقوله لقومه من ابلاغهم بدعوة التوحيد و نبذ الشرك و هو ما كان قد حدد الغاية من الوحي على وجه يشبه القصر لبيان ان ذلك هو الاصل الاصيل في الملة التي بعث النبي الى قومه بها. والنص الذي نحن في صدده يقرر النتيجة المتوقعة من قوم ذوى اصرار على الشرك و أهل جاهلية شديدة العناد في اسلوب الحديث على المعتقدات. و بهذا كان جواب توليهم اذ تولوا انذارهم بما سيقدره الله عليهم من العقاب الالهى الذى يكون توقيته بيد الله. و كلمة الانذار هنا و الابلاغ بعقوبة الله تدل على شراسة التولى الذى كان منهم و صلف المقابلة في مواجهة كلمة النبي في دعوة التوحيد، و فى الايدان بالعقوبة و ترك توقيتها مجال جديد يراجع فيه المشركون انفسهم فيه فلعلهم يرعون و ينصاعون و يهتدون، و بذلك يتضح ان الدعوة الى التوحيد ليست من هينات الامور التي تمر بلا ضجة و لا مقاومة و لا مجابهة عنيفة يواجهها النبي من ملحدى قومه و مشركيهم ابان كل امر قولى يلقيه الله على رسوله... «قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين، فالذين آمنوا و عملوا الصالحات لهم مغفرة و رزق كريم... الحج ٥٠/٤٩ الخطاب بلفظ (الناس) هنا هو خطاب للمشركين و غيرهم و هو غالب الخطابات القرآنية فى العهد المكي و قد جاء بوصف الرسول بانه نذير مبين و لهذا الوصف اثر ظاهر على نفسيات القوم، فالنذير عندهم فى سائر الحالات محل الاصغاء و المتابعة لانه فى العادة يبلغهم باشياء تستوجب لفت انظارهم الى احداث و اخطار قادمة مقبلة. و من السلوك الاعلامى فى القرآن الكريم انه يقلب وسائل المخاطبة تقليبا و يروح يأتيهم بما هناك من مترادفات الالفاظ و متنوع الاساليب ما يضيق مجال التملص من الاستجابة لا سيما و هم اهل بلاغة و اقتدار كلامى و خطابى عرف فيهم. فان للكلمة البليغة تأثيرا عليهم قويا و شعورا بالتلذذ و الارتياح رغم عنادهم و كفرهم و قول الشاعر: «كما لذ على كره كتاب الله للمشرك» و لذلك لم يتقيد القرآن بكلمة رسول او نبي و انما استعمل كذلك كلمة النذير و البشير و غير ذلك... ثم جاء النص يصور مجالات الانتفاع لدى الذين اقبلوا على الدين بطاعة تامة و استجابة واضحة اذ وعد المؤمنون بالرزق و النجاة و كريم الاجر و عظيم المثوبة و المغفرة السابعة و رضا الله عنهم، و ما من شك فى ان حوارا كهذا يتطلب جهدا جهيدا و استعدادا نفسيا و عقليا للمواجهة و الالتقاء بذوى عقيدة يراد تغييرها و تصحيحها و تفرغها فى نفوس معتقديها لا حلال بديل جديد متناقض لها يحل محلها...» و ان

جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون». الحج ٦٨/٦٩ يشير النص الى ان هناك من كفره القوم من كان يجادل النبي في امور قد يكون هذا المجادل محقوقا فيها و ضعيف الحجة و الاستدلال لذا كان من جميل الرد و سديد الجواب ان يشعروا بان امرهم متروك الى الله يوم القيامة. [ صفحة ٢٨٥ ] و في الاشارة الى يوم القيامة اخافة و ابراز لصورة ساعة العقاب الالهى التى تعد عنصر موعظة و تربية للضمائر و الايمان ينتظر الناس يوما يسألون فيه عن جرائمهم و جناياتهم، و اقرار مثل هذا المعنى فى النفوس يمسكها عن السعى فى الشر و التعامل بمفردات الفساد و الحذر من يوم الحساب، و من نظام الجدل القرآنى ان يشار فى كل فرجة من فرج الجدل بذكر مهمات العقيدة الاسلاميه و التبشير بها و الدعوة اليها. «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعددها الله الذين كفروا و بس المصير»... الحج/١٧٢ الاسلوب القرآنى فى هذا النص على هدى الاسلوب المكى و يبدو فيه للجدل وجه كالح و للعناد و للخصومة لدى المشركين و غيرهم ما كان يخيف الداعى الى الدين و التالى للقرآن المبين، اذ اشار النص الى ان هناك من كان يهم بالبطش به... و يفهم من ذلك ان بعض الاجواء قد تشابه فى البيئه المكيه و البيئه المدنيه فالكفر على ما قيل مله واحده... «قل لمن الارض و من فيها ان كنتم تعلمون... سيقولون لله قل أفلا تذكرون... قل من رب السماوات السبع و رب العرش العظيم سيقولون لله. قل أفلا تتقون... قل من بيده ملكوت كل شىء و هو يجير و لا- يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسخرون... المؤمنون و ٨٤/٩٩ فى النص نقاش مع فئة من كفره القوم فى مكة و جهت اليهم أسئلة كانت محرجه لهم و ذاك بالسؤال منهم عن رب الارض و من فيها فلم يكن منهم الا الاعتراف بأن الله هو رب هذا الملك. و ذاك أنهم لم يملكوا أن يقولوا ان الارض ملك للأصنام لان هذا الجواب لا يقبله العقل مهما كان هذا العقل ضحلا ساذجا... ثم جاء السؤال الثانى «قل من رب السماوات السبع و رب العرش العظيم سيقولون لله» فى حين أن طبيعة الجواب تقتضى ان يكون بلفظ «الله» و ليس بلفظ «الله» و يبدو أن القوم اتخذوا سلفا صيغه جوابيه واحده للاجابة على اسئلة توهموها تقيدها فيها تلك الاجابة و قد افادت فعلا عند الاجابة على السؤال الاول اما الاسئلة الاخرى فان استعجالهم بالاجابة عليها بذات الصيغه التى اجابوا بها على السؤال الاول فانها على صحتها معنويا ظهر عليها التفاوت بين اسلوبى السؤال و الجواب لما ذكرناه آنفا و ذاك مما يدل على ان الفئة التى قرع سمعها بالسؤال راحت تتعجل الجواب على هذه الاسئلة بسبب انصياعها القسرى و وقوعها فى فخ الامر الواقع فان المحقوق الذى لا يجد مجالاً- للتملص من الاعتراف المطلق بما يجب الاعتراف به من الحقائق الواضحة... و لذا جاءت كلمة «الله» فى الجواب على الاسئلة التالى... السؤال الاول و هو حول ربوبية الرب العظيم للسماوات و الارض و كذلك ماتلاه من قوله تعالى: «قل من بيده ملكوت كل شىء و هو يجير و لا يجار عليه ان كنتم تعلمون» و قد جاء جواب ذلك بلفظ «سيقولون لله» فى هذا النمط من الاجوبة التى راحت تجرى تباعا على ألسنة كفره القوم و فيها إلتزام بجواب واحد لم يتغير و هو ان كان مطابقا لواقع السؤال الاول فانه صار خارجا عن واقع الاجابة على الاسئلة الاخرى التالى... و انما كان ذلك كما قلنا تعبيراً عن انجاس الذهن على صيغه واحده من الجوانب المنبعث من ذهول كبير غرق فيه الذهن فلم يعد يستبين طبيعة الواقع... فالكفرة هنا آخذون بهدب الاستسلام دون قيد و لا شرط اذ غلبتهم حالة نفسية شرد فيها الحاكم العقلى عن النطق السليم فهم على حد قول الشاعر: - «فما يكاد يبين القول ان نطقا»... [ صفحة ٢٨٦ ] و ذلك طبيعى فى الاحوال المماثلة يوم تكون الذاكرة مهزوزة لدرجة لا تملك عندها التركيز بفعل سيطرة اليأس و فرط الاستسلام و الخوف و الذعر من وضوح الحقيقة القاطعة فى موضوع وجود الله و ثبوت سلطانه فى هذا الملكوت العظيم فهى مستعدة للمبادرة الى ان تجيب على الاسئلة كلها بلفظ واحد دون ان تدخل فى التفاصيل... و كان التعقيب على ذلك بقوله تعالى: «بل أتيناهم بالحق و انهم لكاذبون»... «قل رب اما ترى ما يوعدون. رب فلا- تجعلنى فى القوم الظالمين»... المؤمنون ٩٣/٩٤ فى هذا النص دعاء يدعو النبى به ربه ان لا- يمسه الاذى الذى يصيب به الكفار... «و انا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون... و قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين و اعوذ بك رب ان يحضرون»... المؤمنون ٩٥/٩٦/٩٧/٩٨ فى النص ما يثبت فؤاد النبى و يقوى عزمه بما اخبره الله به من

قدرته تعالى على ان يوقع بالخصوم ما يشاء... و أو عز اليه ان يستعين به تعالى على همزات الشياطين. فالاستعاذه منهم بالله دليل ايمان بالله و لجوء اليه و احتماء... و هو تعليم يعم عامة المؤمنين و ذاك لثلا يعلق بهم الغرور في انهم بلغوا القمه في الايمان و اليقين و لم يعودوا يجدون ما يحملهم على الاستنجاد بالبارى العظيم... ان دراسه منطق الكافرين و المنافقين لتوضح اجواء الصراع الجدلى بين فريق المؤمنين و بين الفريق الآخر الذى هو فريق الكافرين و المنافقين فلقد كان يستقر فى ذهن هؤلاء خطأ ان ميدان الجدل يبيح الخروج على الاعراف المنطقية المتفق عليها الى آفاق شرسه المخاطبه و خبيثه الكلمه و فضه الحديث... و هذا ما اردنا التوصل اليه لنقول ان الرسول الاعظم فوق مستوى التهافت و اللا-الترام و بذلك كان هو الغالب المحاسب و المفاوض الناصح، و النبى الذى علمت الناس انه رسول الله اليهم جميعا و اضل الله الظالمين. «و قل رب اغفر و ارحم و انت خير الراحمين»... المؤمنون/١٨ فى النص دعاء و ابتهاج الى الله بأن يطف بالعباد و يرد عقول الناس و قلوبهم الى الهدايه فان ذلك مما لا يملكه الا الله. و قد جاء هذا النص تلو قوله تعالى «و من يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون»... ان الهدايه الشامله التى تحققت على يد رسول الله فبات بها الكفار مؤمنين و المشركون موحدين و الخارجون عن محجئه الصراط السوى مهتدين انما كان ذلك كله بفضل هدايه الله. و على هذا كان هذا الدعاء الذى تنقدح فى نفس قارئه و تاليه لوعه على احوال اولئك الزائغين عن العقيدة السليمه... و قوله تعالى «الها آخر لا برهان له به». يفهم منه ان شرك اولئك المشركين غير ناشىء عن فكر و قناعه مبنيه على دليل. و مثل هؤلاء تكون لهم عند الله معامله غير التى تكون لمن يلحد بالله و يشرك به شريكا عن بينه يدعيها و حجه يحتجها على فساد الادعاء و ضلال الاحتجاج و من كان كذلك فان اصراره على الشرك و الكفر يكون أشد من اصرار من يدعو مع الله إلهها آخر بلا برهان، فالقيد فى «لا برهان له به» قيد احترازى فان المشركين لا يعدمون البراهين الزائفة على ما يدعون... «قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون، و قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى [ صفحه ٢٨٧ ] الاربه من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء و لا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن و توبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون»... النور ٣١/٣٠ فى هذا النص المثبت فى آيتين مدنيتين تثقيف للمجموعه الاسلاميه من رجال و نساء و ذاك بامرهم بالغض من ابصارهم و حفظ فروجهم و حرمتهم... و فى الذى كذلك تعداد لذوى القرابه الذين لا يمنع السناء من الظهور امامهن و التحجب عنهن... و كلمات النص واضحه كل الوضوح فما تحتاج المزيد من الشرح و التفصيل. و الآيات هى فى عداد المواعظ و الاداب و ما يلزم به افراد الامه الفضيله و الحشمه... و الآيتان كذلك تصوران هدى الاسلام و معالم التربيه الفاضله التى يجب التمسك بها فى بيئه المؤمنين... ان هذه التعليمات مما جد فى المله الحنيفيه السمه على اسلوب الحياه فى البيوت مما لم يكن معروفًا مثله لذى القوم ايام الجاهليه بهذا الحجم و التحديد... «و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفه ان الله خبير بما تعملون»... النور/٥٣ هذا قسم منهم فى غير مكانه فهو يشبه ان يقول قائل مقسما انه سيلبس ملابسه و يخرج الى عمله غدا فى الصباح... و العبارة القرآنيه تحتجن التوييح لقوم يقسمون على امر هو مفروض عليهم، كما ان مظاهر التملق على وجه النفاق واضحه فى قسمهم الذى اقسموه بان يخرجوا مع النبى للقتال ان امرهم بالخروج اليه... و مثل هذه المواقف تصور لنا ما كان يواجهه الرسول صلى الله عليه و سلم من اناس محسوبين ظاهرا على فئه المسلمين و هم على جانب من الثقل و التردد يكثر من الأيمان فى غير طائل... ان مثل ذلك يرينا كيف كان النبى يعرف عواقب الامور فى مواجهه مثل هذه الاحداث المزعجه المؤذيه... «قل اطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و ان تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول الا البلاغ المبين»... النور/٥٤ يبدو ان من وجه اليهم هذا الخطاب القرآنى فى وجوب اطاعة الله و اطاعة الرسول انهم كانوا يتملصون من الاستجابة للامر بانهم يريدون ما يقنعهم بان اوامر النبى اليهم مما يجب ان يقبلوه و ينفدوه و جاءهم الخطاب الالهى بان ذلك لا يتصل برغبتهم

فالجندی ينفذ امر رئيسه و قائده دون ان يعرف فحوى ذلك الامر أو يدخل في تفاصيل فحواه او يناقش فيه. و قوله تعالى «فعليه ما حمل و عليكم ما حملتم» قانون من قوانين الرئاسة و القيادة لا يسمح تجاهه للجند و سائر افراد الرعية بمناقشته و التلکؤ في تنفيذه و لو وقع ذلك لمر الوقت بلا- طائل و لتعرضت مصالح الامة لما يفسد امرها و يؤذيها في اهم مصالحها...«قل انزله الذي يعلم السر في السماوات و الارض انه كان غفورا رحيمًا»... الفرقان/٦٦ قبل هذا النص «و قالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة و اصيلا» و قد جاء الرد على مقولتهم بان الذي انزل القرآن يعلم السر في سائر ارجاء ملكوته من سماء و ارض، فاذا كانت هناك اخبار و احداث اشار اليها التنزيل المنزل فانما هي من بعض علم الله نزلها في الكتاب...«قل اذلك خير ام جنه الخلد التي وعد المتقون، كانت لهم جزاء و مصيرا». الفرقان/١٥ الخطاب للقوم و هم نزلاء النار التي كانت عاقبة امرهم يوم القيامة «و اذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا» اذ لفت نظرهم الى المقارنة بين حال من هو في الجحيم و حال من هو في الجنة، فان الفرق بين المكانين و العقيبين ظاهر و واضح، و كان الرسول الاعظم [ صفحه ٢٨٨ ] يقف عند خط المواجهة في استعراض الموقف و التنويه بالمعادلة العادلة بين الفريقين من اهل النار و من اهل الجنة...«قل ما أسألکم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا»... الفرقان/٥٧ ليس في النص شيء من مطالبه باجر ينتفع منه طالبه و انما كان في مثابة الاجر الذي يسر من يؤتاه ان يقبل القوم الى ربه بالطاعة و عمل الصالحات... و لكلمة المشيئة هنا معنى فيه امتداح للذين يسلكون سبيل التقوى و رضا الله. فان مشيئتهم تومى الى صدق الايمان و الاستجابة بتعاليم الدين بمحض الرغبة و صميم الارادة التي لا ضغوط عليها من احد...«قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما...»... الفرقان/٧٧ المعنى الذي يحتججه النص ان الله لا يعبا بما ينصرف اليه القوم من ضلال و عدم طاعة لولا- ان دعوتهم مسألة من مهمات اعمال الرسول المرسل اليهم و يعنى ذلك ان على الرسول مواصلة دعوة الناس الى الايمان و حثهم على الانتساب للملة التي جاءهم بها... و هناك قاعدة قرآنية تقول «و اذ قالت امه منهم لم تعظون قوما الله مهلكم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم و لعلمهم يتقون» الاعراف/١٦٤...«فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون»... الشعراء / ٢١٦ النص مسبوق بقوله تعالى... «و أنذر عشيرتک الاقربين و اخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنين»... العصيان في النص مصروف الى من أمر النبي بانذارهم من عشيرته الاقربين فاذا كان قوم النبي قد عصوه في الاستجابة بما جاءهم به من عقائد تصحيحية و تعاليم في توحيد الله عزوجل و ما كان قد نهاهم عنه من اعمال و تصرفات فلم ينصاعوا الى نصائحه و عظاته و لبثوا مكبين على تلك التصرفات و الاعمال المنهى عنها فانها مما يتبرأ النبي منه و لذا جاء النص بلفظ «فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون» ايدانا بقبح تلك الاعمال و اشعارا بان كل عامل عمل مجزى على عمله ان كان خيرا فخير و ان كان شرا فشر. «قل الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى الله خير ام ما يشركون»... النمل/٥٩ في هذا النص امر بحمد الله و التسليم على عباده الذين اصطفاهم بعظيم فضله فجعلهم رسلا مرسلين الى أممهم و كانت مهمتهم العظمى الدعوة الى توحيد الله... و بديهى ان التوحيد خير من الشرك بكثير و انما كان التوحيد قد تحقق بفضل اولئك الرسل الذين اعلى الله مقامهم برسالتهم. و النبي صلى الله عليه و سلم احد تلك الدعائم التي اقام الله عليها صرح العقيدة الصحيحة...«ام من يبدأ الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء و الارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين. قل لا يعلم من فى السماوات و الارض الغيب الا الله و ما يشعرون ايان يبعثون»... النمل ٦٤/٦٥ تناول النص الكلام على بدء الخلق و اعادته اشارة الى الحشر و النشر كما تناول رزق العباد و ذاك من حاجات الناس ان ينزل من السماء الماء و يخرج من الارض انواع النبات و الثمرات... و تكلم النص على غيب الله الذي يجهله غير الله و قال في امر البعث الذي يبعث الناس فيه بعد الموت. و هذه امور كانت تعنى القوم يومذاك و تشغل بالهم و قد اراد الله ان يراجعهم النبي صلى الله عليه و سلم في حوار ينتهى الامر به الى التسليم و الاعتراف بهذه الحقائق الاساسية فى الدين الحنيف الذي جاءهم به نبيهم محمد بن عبدالله...«قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين»... النمل/٦٩ [ صفحه ٢٨٩ ] فى هذا النص ايعاز الى الرسول الاعظم ان يقرع سمع القوم بالخروج الى ظاهر الارض ليروا مما فيها من الاثار كيف ان الله قصم ظهور العتاة و الطغاة و الكفرة المتجبرين... و فى هذا نجد مظاهر يواجههم الرسول



بها و يحاورهم فيها و لم تسمع لهم كلمة تعقب على ذلك او ترد عليه... و وصف اولئك بالمجرمين دليل قوة في الخطاب و شدة في التقرير مما يتجلى فيه الموقف الجدلى يتولاها النبي في مواجهة الكافرين... و السورة مكية و الجدل يومذاك يتكرر و يطول و يعرض... و في القرآن اشارة بل اكثر من اشارة الى ان القوم كانوا في اسفارهم التجارية و غيرها يمرون على مثل تلك المواقع فيرون صورة الاعتبار فيها ظاهرة... «قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون...»... النمل ٧٢/٧٢ في النص تذكير او تهديد بقرب ما كانوا قد وعدوا به من نعم الله. و كلمة «عسى» للاحتمال المتحقق او المتوقع... و اذ يبلغهم النبي بذلك فانه يعنى ان اصل البلاغ من الله و هو العالم بكل شيء و لم يكن النبي الا آخذًا بهدب الامر و ناهضًا بصريح القول في مخاطبة كفار القوم. «و ان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه و من ضل فقل انما انا من المنذرين... و قل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها و ما ربك بغافل عما تعملون...»... النمل ٩٢/٩٢ يصارح الرسول قومه بانه مأمور من ربه بتلاوة ما ينزله الله عليه من قرآن و وحى سماوى فيه ما هو بشاره و فيه ما هو انذار... و كانت تحركات القوم و مواقفهم في مصالوة الاسلام و مقاومة الدعوة اليه ذات افانين من الشر والفتنة و لذلك قال الله «و ما ربك بغافل عما تعملون...» و يفهم من هذا النص ان الرسول الاعظم كان بلاحق القوم بالتلاوة الجهرية التي يقرع بها اسماعهم فلا يجدون مفردا من اخذها بكثير من التفكير و المدارس و لعل مثل ذلك كان يقع لهم في مجالسهم و سائر تجمعاتهم على ان النبي اذ يتلو القرآن على اولئك الكفرة كان يعمل ان هناك من سيهتدى فيكون من المفلحين و ان هناك من يرفض الاهتداء كل رفض غير ان النبي ما يزال موكولا اليه امر الدعوة الى الانذار المستمر لانه ليس الا من المنذرين اما قوله تعالى في الآية التي تلت ذلك «و قل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها» فان المراد باياته هنا ما يكون من دلائل التوفيق و براهين النصر و اقبال من يقبل من القوم على اعتناق الدين. اما قوله تعالى «و ما ربك بغافل عما تعملون» فانه شبه استحقاق بما تنطوى عليه اكبادهم من احقاد و ضغائن فان ذلك لن يصنع شيئا تتعطل به عجلة الدعوة عن السير... «قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين»... القصص ١٤٩/النص مكي و كان في مكة من اهل الكتاب من كانوا يعملون في اسواقها و تجاراتها و قد كان أناس منهم يترددون عليها لاغراض شتى، و كان فيهم من هم من سكتتها... و التوراة و الانجيل معروفان باطارهما العام لدى اهلها اذ كانت الامية متفشية لدى الجميع... و في الكتابين من الحقائق العامة لاسيما ما يتعلق بامر التوحيد ما يؤيد الدعوة القرآنية تأييدا ظاهرا... و في النص تحد لمنكري ذلك من اهل الكتاب فجاء الخطاب مفحما لهم... و الايمان بالكتب السماوية و برسل الله الاقدمين مسألة مندرجة في مطالب الايمان في الملة الاسلامية الجديدة... «قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون... قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون». القصص ٧٢/٧١ [صفحة ٢٩٠] في النص ايضاح لسطان الله في ملكوته و انه يتصرف فيه تصرفا هو ادرى بما يتأتى منه من منافع للناس... و جاء النص ليشعر القوم بعظيم فضل الله عليهم في تنظيم اوقات اعمالهم و راحتهم و نومهم و يقظتهم ليتبينوا بذلك عظيم فضل الله عليهم و واسع نعمته و ان ما يقع خلاف ذلك مما يعرضهم للاذى العظيم لن تستطيع اوثانهم و معاييدهم الحيلولة دون حدوثه و وقوعه... فان الآله الباطلة التي يعبدونها من دون الله لا تملك ان تصنع شيئا... و هو موقف حوارى منطقي في امور تتعلق بنظام العالم الفلكي أمر الرسول الاعظم ان يحاور به القوم الذين امسكوا عن القول فيه بادنى قاله... و حين تواجه الحورات القرآنية بمثل هذا الصمت تكون كفة الكفر هي المرجوحة و هي الخاسرة في وضح النهار... «قل ربي اعلم من جاء بالهدى و من هو في ضلال مبين»... القصص ٨٥/في هذا النص يواجه الرسول الاعظم قومه بتنزيه الباري عزوجل ان يكون غير عالم بالمهتدين من عباده فانه جل شأنه يميز بين الفريقين فلا يخفى عليه من امرهما او من امر احدهما شيء. و في هذا الحوار مواجهة للقوم بان فيهم من الضالين غير الذين فيهم من المهتدين... «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شيء قدير»... العنكبوت ٢٠/في النص توجيه عقائدى واسع المنهجية فهو يطلب من المشركين ان يتجولوا حيثما يملكون ان يتجولوا في الارض ليروا ما فيها بعين البصيرة و الاعتبار من عجائب خلق الله. و قياسا على ذلك يروح العقل البشرى الى التفكير في القرارات القرآنية لعقيدة الحشر و النشر و

ذاك هو عرق الايمان فى الملة الحنيفية السمحة. و على هذا يتكرر الكلام فى البعث و النشور و بدء الخلق و النشأة الاولى و الاخرة لان العظمة الالهية تتجلى بالخلق بدءا و اعادة... «قل انما الآيات عند الله و انما أنا نذير مبين»... العنكبوت/ ٥٠ قبل هذا النص مما يدخل فى ضمن الاية الكريمة... «و قالوا لولا- أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله»... ما زال المشركون و غيرهم من اهل مكة يطالبون النبى بالآيات مدعين انها هى التى تقنعهم بصحة رسالته و صدق نبوته فى حين ان طلباتهم هذه انما هى تعجيزية لا غير و لكى يخادعوا الرسول فيقبلوا بعد اشتراط الآيات الى انكار كل شىء... و قد أمر الله رسوله صلى الله عليه و سلم بالرد عليهم بانه نذير ارسله الله اليهم من غير ان تكون له يد تقدم فى امر تؤخره، و هو رد هادى مفحم لا يجدون فيه ما يضاعف من لجاجتهم الجدلية الفارغة. و لقد ثبت بسائر ما قرأناه من كتاب الله ان القرآن الكريم كان يخاطب العقل العربى و غيره من عقول البشر من غير ان يستعين بوسائل اقناعية إلا هدى العقل. «قل كفى بالله بينى و بينكم شهيدا، يعلم ما فى السموات و الارض و الذين آمنوا بالباطل و كفروا بالله اولئك هم الخاسرون»... العنكبوت/ ٥٢ فى هذا النص كلام مسكت نهى النبى به عن هدر الوقت فى النقاش و المجادله مع قوم لا يلتزمون فى مثل ذلك بنظام و لا قاعده... و يتبع ذلك قول فى الله عزوجل يشير الى انه تعالى يعلم كل شىء فى السماوات و الارض. و فى النص حكم على الذين مالوا الى الباطل فأمنوا به و زاغوا عن محجة ربهم فلم يؤمنوا به و هو ظاهر للكفرة الذين كانوا محل هذا الخطاب و المحاورة... «قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون»... العنكبوت/ ٦٣ [ صفحه ٢٩١ ] اول النص «و لئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون». فى مثل هذا النمط من الحوار ما يمسك القوم ان يقولوا فيه شيئا اذ لا يجدون غير الاعتراف بالحقيقة المسؤول عنها... فمن نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها و هم ملزمون أن يعترفوا بان الذى نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها انما هو الله و ليس الاصنام و الاوثان التى صنعت لهم بايدى تجار الاصنام و كان التعقيب على ذلك... «قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون» و الحمد هنا ناشىء من رجحان كفة الايمان على كفة الكفر، و التوحيد على الشرك و ان قوما يعلمون علم اليقين ان الله هو الذى نزل الماء من السماء فاحيا به الارض ثم يروحون يعبدون الاوثان، انهم حتما لا- يعقلون... «قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل، كان اكثرهم مشركين»... الروم/ ٢٢ فى هذا النص توكيد لضرورة التجول فى الارض و الاطلاع على ما فيها من معالم دالة على ما تركه البطش الالهى فيها لقاء زيغ تلك الامم التى ضلت السبيل و خرجت على القيم و كفرت بأنعم الله و طردت دعاه الفضيلة و افسدت فى الارض... ان التنبه الى مثل ذلك يحتجج العبرة و يلفت نظر القوم من مشركى العرب فى مكة ليحذروا ان يوقع الله عليهم غضبه الذى لا يرد عن القوم الظالمين... و الرسول الاعظم ما زال يواجه قومه بهذا المعنى الذى بعد من معانى العبرة و الاتعاظ... «قل يتوفاكم ملك الموت الذى و كل بكم ثم الى ربكم ترجعون»... السجدة/ ١١ فى هذا النص تذكير بموقف ملك الموت الذى ينقل الاحياء من عالم الحياه الى عالم الموت و ذاك مما تشهد الناس فى كل ساعات الليل و النهار و حين يتوفى ملك الموت الناس من الذين تجرى مخاطبتهم من قبل الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم فانهم سيرجعون الى الله رب الخلائق و الممالك... و فى رجوعهم الى ربهم يكون الحساب. و قد جاء هذا الجواب فى مواجهة ما نصت عليه الاية من رعم القوم الذين فصل الكلام عليهم بالنص التالى الذى سبق الامر القولى... «و قالوا إذا ضللنا فى الارض أنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون» السجدة/ ١٠ و لذا جاءت كلمة «قل» فى الايعاز الالهى القولى لرسوله لمواجهة احاديث القوم و مزاعمهم... «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم و لا هم ينظرون»... السجدة/ ٢٩ جاء هذا النص جوابا لما ورد فى الاية السابقة الثامنة و العشرين و هو: «و يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين». و الجواب ظاهر فيه ان يوم الفتح حين يتحقق لا تكون فيه مصلحة للذين يسألون عن يوم الفتح لانه يوم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم و لا يفسح لهم مجال الانظار... و يعد هذا الجواب مسكنا لاولئك الذين يبنون على سؤال يسألونه رجاء لا يدخل فى كيسهم منه شىء لانه يوم النعمة العظمى التى تنصب على امثالهم... ان بعض استفسارات القوم تعد استفسارات فيها تطفل كبير على امور هى خارج الصدد التى هم فيه... و كانوا اذ وجهوا الى الرسول الاعظم سؤالا على هذا النحو يستفسرون فيه عن يوم الفتح و كأنهم يترقبون يوما

يجيء الفرج و التفاؤل اليهم فى غاية الاكتظاظ على حين ليس الامر كذلك... لقد كان الجواب الذى امر النبى بالرد به على مرتقيه جوابا يحكى اللطمة التى تملأ الوجه كله... «قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل و اذن لا تمنعون الا قليلا»... الاحزاب/ ١٦ [ صفحة ٢٩٢ ] فى النص تعقيب و جواب على ما سبق ايراده فى آية سالفه هى «و لقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار و كان عهد الله مسؤولا» الاحزاب/ ١٥... و ذاك ان القوم... - والآية مدنية - كانوا قد قدموا من وقت سابق عهدا بان لا يفروا من زحف... و لم يكونوا ممن يوثق لهم عهد و لذا جاء النص بلغة يفهم منها تهكم بهم و اخراج لمكون صدرهم اذ صورحوا بان الفرار ليس بنافعهم شيئا ان فروا من الموت او القتل... هذه الآيات نزلت فى زحمة الاعمال القتالية و مواجهة الاحزاب المتجمعة فى الغزوة المسماة بغزوة الخندق و كانت قد احاطت بالمدينة ضد فئته المسلمين و كان هناك من يزعم الولاء و الصدق فى الذود عن بيضة الاسلام و كيان الدين. و لذا لم يرد الجواب فى التعقيب على عهدهم ذاك و انما صرف الكلام على نبرهم بالفرار الذى لا يفيدهم شيئا... و يفهم من ذلك تأزم الحوار الجدلى بين فئته المنافقين و فئته المسلمين و على رأسهم قائد جبهتهم النبى العظيم صلى الله عليه و سلم... «قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من دون الله وليا و لا نصيرا»... الاحزاب/ ١٧ والنص هنا عام شامل للموقف اذ تناوله من جميع اطرافه ليبين لهم ان الله هو ذو السلطة العليا التى تحكم امر الجميع... و النص من ضمن نصوص واقعة الاحزاب التى تسمى واقعة الخندق... «يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين امتعن و اسرحن سراحا جميلا... و ان كنتن تردن الله و رسوله و الدار الآخرة فان اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما»... الاحزاب ٢٨/٢٩ فى هذا النص وضوح بارز لاسلوب الحياة اليومية التى كان النبى يحيها و معه نساؤه امهات المؤمنين اذ كانت حياتهم غير ذات اطار من السعة و البذخ على النحو الذى يعرف فى حياة الرؤساء و الملوك و قادة الامم من الرفاه و البلهنية و التمكين... فانا نجد البارى عزوجل قد شرح الكلام شرحا مفصلا فى امره للنبى بأن يخاطب زوجاته بانهن ان كن يردن الحياة الدنيا و زينتها و الموائد الفخمة و الاسراف و الترف فان ذلك غير كائن فى الحياة مع النبى... «فتعالين امتعن و اسرحن سراحا جميلا» اى ازودكن بكسوة الطلاق و ارجعن الى اهليكن... «و ان كنتن تردن الله و رسوله و الدار الآخرة فان اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما» اى ان كنتن تصبرن على واقع العيش البسيط ف يبيت النبى راضيات بنعمة الايمان و القناعة بما ييسره الله لكن من رزق بسيط و حظ من العيش يسير فان ذلك هو الذى يجلب لكن رضوان الله و واسع رحمته و كبير اجره و ثوابه... يفهم من هذا ان تعدد ازواج النبى لم يقم على قوائم من المغريات المعاشية و ما اليها من وسائل اجتلاب النساء الى عش الزوجية. و هكذا كانت حياة الرسول قربية الى الفقر الذى تستره القناعة و يعطيه الرضا بما يقسم الله لعباده من الرزق ضيقا أو واسعا، و ليس فى حكاية تعدد زوجاته صلى الله عليه و سلم مغريات أو مشوقات من عالم المادة و ما اليها و انما كانت وراء تعدد أزواجه أمور من غير هذا العالم المادى الذى تتداعى عليه النساء. ان سيرة زوجات النبى واضحة لمتابعى امرها فمعظم زوجاته ثيبات و بعضهن طعن فى السن و منهن من كن من ذوات قرابته و منهن من وقع زواج الرسول بها لاغراض تشريعية كزينة بنت جحش، أبطل النبى بهذا الزواج حكاية الادعاء المتبين و كانت حكاية من صميم العنعات الجاهلية... و قد جاءت الاشارة الى ذلك فى مكان اخر من الكتاب. و من زوجاته ام حبيبة بنت ابي سفيان فانها احدى المهاجرات الى الحبشة و قد فارقتها زوجها الذى هاجر معها ملتحقا بدين الاحباش فى مهجره... فتزوجها النبى ردا لاعتبار أسرتها و تم له صلى الله عليه و سلم بذلك الاصهار الى ابي سفيان. [ صفحة ٢٩٣ ] و لم يكن ابوسفيان يومذاك قد اسلم الا انه اطمأن لوصول بنته ام حبيبة الى مكان من الشرف لا يملك احد مسه بالقالة الجارحة و لا همزه بالكلمة الشائنة. و منهن صفية بنت حبي بن اخطب كبير اليهود و قد تزوجها النبى من السبى اليهودى و بذلك اكرم مقامها و لم يذلها بتزويجها من الاخرين، و قد اسلمت و حسن اسلامها و صارت فى عداد امهات المؤمنين. و لم يكن النبى قد تزوج من الابكار الا عائشة بنت ابي بكر رضى الله عنها... و تعدد الزوجات عادة كانت شائعة لدى العرب ايام جاهليتهم فى كبرائهم اذ كانوا قد تزوجوا العشرات و هى عادة اقتضتها ظروف القوم فى عصرهم ذاك... و من قبلهم عرف الرجال من بنى اسرائيل النزوح العدد الكبير من النساء... «يا ايها النبى قل لأزواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين

عليهن من جلايبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين و كان الله غفوراً رحيماً... الاحزاب/٥٩ النص من بعض التوجيهات التربوية التي رسمتها الشريعة الاسلامية لنساء الامه و في مقدمتهن ازواجه صلى الله عليه و سلم. و لم يكن الناس في الجاهلية يلتزمون بذلك الا من ألف التحشم و اتخذ لأسرته و ذلك خطأ تمشى عليه و تلتزم به و مثل هذه الاحكام لم يكن ثمة مجال لالقائها في سماع الناس ابان العهد المكي اذ لم تكن يوم ذاك أسر اسلامية متكاملة و لا كانت هذه المعاني جديرة بالترجيح على مطالب التوحيد و بناء الشخصية الايمانية لدى ذلك الجيل... و النبي هنا هو و سائر المؤمنين على حال واحدة تجاه الامر الالهى القاضى بتحجب نسائه و نساء سائر الناس... «يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة تكون قريباً»... الاحزاب/٦٣ سؤال الناس عن الساعة في ايام العهد المكي و ايام العهد المدني يتكرر كثيرا و اذ ان الساعة من اسرار الله لا يجليها لوقتها الا هو فان الجواب على ذلك كان باعلان مجهولية كينونتها... و السؤال عن الساعة له عند القوم مقاصد متنوعة على وفق اهوائهم ولكن الرد على الجميع كان واحداً... و كان الله يعلم بهذه الاسئلة فور وقوعها الى النبي فيلهمه الجواب عليها و يأمره بابلاغ ذلك الى السائل السائلين... «قل بلى و ربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات و لا فى الارض و لا أصغر من ذلك و لا اكبر الا فى كتاب مبين». سبأ/٣ النص فى الآيه مسبوق ببداية هي «و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربى لتأتينكم...» و فى النص ما ينسب الى الكفرة من اهل مكة بانهم نفوا ان تأتيم الساعة و قد امر الله رسوله الاعظم ان يخرج الى القوم ينقل اليهم قول الله فى ان الساعة آتية لا ريب فيها و جاء التحدى الالهى بلفظ «قل بلى و ربى لتأتينكم» و يتصل بذلك من كلام الله ما يذكر عظيم صفاته عزوجل من نحو انه عالم الغيب و انه لا يعزب عن علمه من الغيب شىء مهما قل فى السماوات و الارض فان امره عزوجل ثابت و مثبت فى كتاب و ذكر الكتاب اذا ذكر يعنى ثبوت الامر و انه حقيقة ثابتة لا تلغى و لا تنسى. و هكذا كان الرسول الاعظم فى نقاش دائم مع مشركى قومه بمكة يناقشهم و ينقل اليهم الرد الالهى القاطع... «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات و لا فى الارض و ما لهم فيهما من شرك و ماله منهم من ظهير»... سبأ/٢٢ فى النص الذى امر الرسول بمخاطبة القوم به تحدى لهم بدعوة من يشركون بهم الله عزوجل و هم لا يملكون من سلطان فى السماء و لا فى الارض و هى [ صفحة ٢٩٤ ] حقائق يدع الله بها المشركين و يرد اليهم عقولهم التى لا تلبث ان تعلم ان الكلمة الالهية صحيحة كل الصحة و ان آلهتهم من الاحجار ليست بمالكة من القوة شيئاً و لا- صانعة من التأثير شيئاً... و حين نشهد النبي ينجول فى جمهرة اولئك الكفرة ذوى الاصرار على كفرهم و شركهم نرى جهد هذا النبي صلى الله عليه و سلم لا يحد بحد و لا يقاس بمقياس فهو حجم كبير لا ينتهى من مواجهة فريق منهم الا لينتهى الى مواجهة فريق اخر اشد عنادا و أعتى خصومة... «قل من يرزقكم من السماوات و الارض قل الله و انا أو أياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين»... سبأ/٢٤ المعادلة طبيعية بين الفريقين فهما اما ان يكون احدهما على حق والاخر على باطل و ان يكون أى منهما فى احدى الجهتين على هدى و الاخر على ضلال مبين... و هو اسلوب فى الخطاب كبير الرقق و الادب و التلطف و ان لم يكن الشك فيه متصورا بينهما فالكفر هو الكفر و الهدى هو الهدى... و ناقش النص القوم فى الرزق الذى يقوم عليه أمر حياتهم و هو ما لا- يملك احد ان يرد الى وثن او صنم فهم جميعا يعلمون أنه من الله. «قل لا- تسألون عما أجرنا و لا نسأل عما تعملون»... سبأ/٢٥ فى النص تفسير للذى سبق و هو قوله تعالى «و ان أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين»... اذ تقتضى المعادلة بين الفريقين فى صواب منهج من هو صائب منهم و من هو غير صائب ان يكوء للصائب اجره و لغير الصائب جزاؤه، و ذاك ان لا يسأل مجرم فئه عن مجرم فئه اخرى... و مثل هذا الحوار المتصل الحلقات و المستديم التحركات كان هو السمة السائدة فى اوساط مشركى مكة بينهم و بين الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم ايام العهد المكي... «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و الفتاح العليم»... سبأ/٢٦ فى النص اظهار للنتيجة التى سينتهى اليها أمر ذلك الجدل بين الفريقين و هو يوم يجمعها الله و يضع امام عين كل منهما الواقع الذى ارتضاه لنفسه و الخيار الذى اختاره... و يلاحظ ان الآيات المتتابعة التى جاء الخطاب فيها لكلمة «قل» هى من باب واحد يعقب على الاخر متمما و موضحا و مفسرا... «قل أرونى الذين ألحقتهم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم»... سبأ/٢٧ فى النص يواجه النبي القوم بنقاش صريح واضح يطالبهم به ان يروه ما جعلوا الله من

شركاء لا مكان لهم في شرك ولا في غيره... و انما الله هو العزيز اى القوى، و الحكيم اى من تكون اعماله كلها رشيدة سديدة... ان هذا الامر القولى الذى امر النبى ان يصدع به سمع قومه لشديد المجابهة و صريح المجادلة و للنبي فيه القوة النابعة من قوة مرسله فى سائر افاق الجدل العنيف بينه و بين عناء المشركين من قومه و هو ما يزال فى مكة عرق الشرك يومذاك... «قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة و لا تسقدمون»... سبأ/٣٠ فى هذا النص مجاهرة بالتوعد الالهى الذى يصدع به الرسول لينبئهم بانهم الى يوم غير بعيد لا يتقدم و لا يتأخر و يعنى به ساعة حلول الاجل الذى لا يتقد و لا يتأخر و يومذاك لا تجدوهم عصبه و لا ينفعهم مال و لا يقف دونهم ما ادخروه لانفسهم من وسائل المواجهة. و بديهي ان مثل هذا الكلام اذ يخيفهم بعض الخوف او كله فانه يجعلهم يشتاطون غضبا و عتوا فى مواجهة رجل جاءهم يغير كل شىء من معتقداتهم و يفند كل ما اتخذوه لانفسهم دينا و عبادة. هما عند الله من ابطل الاديان و العبادات... فالى ساعة الموت اذن... «قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون»... سبأ/٣٦ [ صفحہ ٢٩٥ ] فى النص ذكر لما يمن به من نعم الله على الناس و قد نسب الله الى نفسه انه ييسر الرزق لقوم و يقتره لآخرين بيانا بانه سبحانه و تعالى هو المتحكم فى ملكوته الشاسع العريض، و لان الجهد بذلك هو الواقع الذى يشهده الناس من غنى متسع الرزق و فقير شح عليه رزقه. و قد وصف اكثر الناس بانهم لا يعلمون. و المراد بذلك غمز اولئك القوم بالجهل المطبق فى هذا الشأن و هو ما دفعهم الى الشرك و الالحاد بالله رب العالمين الذى هو الرزاق ذو القوة المتين... و فى مثل هذا النص الذى يجاهر به النبى القوم بعض معانى التوحيد و ما اليه من عرض صفاته جل شأنه على القوم لكى تتسلل الى قلوبهم فيروا ان الله حقا و المغنى المفقور و ليست اصنامهم بقادرة على ان تفعل من ذلك شيئا او بعض شىء... «قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له، و ما أنفقتم من شىء فهو يخلقه و هو خير الرازقين»... سبأ/٣٩ و جاء هذا النص شبه مكرر اثر آيتين هما «و ما اموالكم و لا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا- من آمن و عمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعيف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون... و الذى يسفون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون» سبأ/٣٧/٣٨ و فى النص المتخذ عنوانا لهذا الفصل بيان بأن ما يرزق الله به العباد ان شاء التوسعة عليهم هو كثير بحيث ينفقون فلا ينفد ما ينفقون و انما يخلفه الله لهم... و فى هذه المعانى المعكّرة تذكير للقوم بان الرزق الذى هو مصدر رخائهم و حياتهم انما هو من الله يقرب بذلك اذهانهم الى مصدر الخير و الرخاء و النعمة و ليس من ذلك شىء يصح ان ينسب الى المعاييد الاخرى التى يعبدونها من دون الله رب العالمين... «قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد»... سبأ/٤٦ الخطاب هنا للقوم و هم مجتمعون يتواطؤون على اتهام النبى بالجنة ليصرفوا عن انفسهم سلطان الدعوة و قوة الحجّة و يتخلصوا من النبى اذ يلاحقهم بقرع حجّتهم باكثر من حجّة... و فى النص دعوة للقوم الى التفرق الى مثنى و فرادى ليكون التفكير فى الموضوع بعيدا عن التواطؤ و ليكون كل منهم كالفئة صغيرة مسؤولة عن تفكيرها و حرة فى ابداء رأيها... و كلمة «اعظكم» اى انصحكم و اقترح عليكم... و قوله «ان تقوموا لله مثنى و فرادى» اى تخلصوا لله القول و تصدقوه بعد تفرق للمتكم الملتمة على ضلال و اصرار على باطل. فاذا فعلتم ذلك ففكروا فى اتهاماتكم التى اتهمتم بها النبى بان فيه جنة و انظروا فى امر هذا النبى اصحيح ان فيه جنة... ام انه نذير لكم من الله بين يدي عذاب شديد يريد دفعه عنكم... و قد يكون المراد من قوله تعالى «ان تقوموا لله مثنى و فرادى» اى ان تنفضوا عن مجلسكم القائم على الحقد و الساعى فى الشر و الآخذ بهدب الباطل. «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى إلا على الله و هو كل شىء شهيد»... سبأ/٤٧ طلب الانبياء من اقوامهم اجرا على ما يدعونهم اليه من الايمان بالله امر مستبعد لان الانبياء كلفوا القيام بهذه الدعوة من ربهم الذى لا يعصى فى ذلك... و جاء النص باسلوب يقول فيه على الافتراض ان كنت سألتكم عن اجر هذا الواجب فهو لكم، فانما اجرى على الله الذى هو شاهد على كل شىء... و قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى» هو من هذا الباب لا يخرج عنه شيئا و قد فصلنا الكلام عليه فى مجاله... [ صفحہ ٢٩٦ ] «قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب»... سبأ/٤٨ فى النص افهام للمشركين و من اليهم بان الله هو ولى الحق الذى يفحم به مبطلى عباده. و هو علام الغيوب التى لا يصل منها الى علم عباده شىء... و تلا هذا النص قوله تعالى بيانا

بعظمة الخالق وسعة سلطانه و بالغ حكمته «قل جاء الحق و ما يبدى الباطل و ما يعيد»... «قل ان ضللت فانما أضل على نفسى و ان اهتديت فبما يوحى الى ربي انه سميع قريب»... سبأ/٥٠ في النص ما يشير الى ان القوم كانوا يتهمون النبي بالضلال عما يحسون انفسهم منه على هدى و صواب... و مكان المعادلة هنا مكان طبيعى فهو قد أمر ان يقول لهم ان كنت ضللت فلا عليكم من ذلك و ان كنت اهتديت فان ذلك من فضل التوجيه الالهى فى بناء نفسى و تكوين شخصيتى... و اما انتم فانكم على طرف واحد لا يتردد بين خير و شر بل هو الشر كله... و هذا ما يفهم من غير تردد لان المعادلة تقضى بذلك... «قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السماوات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل أن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا»... فاطر/٤٠ فى هذا النص امر الله نبيه ان يواجه الكفار بصريح القول فى مناقشة ادعاءات يدعونها كذبا و جهلا اذ استعرض النبي امر شركائهم و طالب المشركين بأن يذكروا له ماذا خلق اولئك الشركاء من الارض و ما حصتهم التى يمتلكونها فى السماوات و قد جاءهم بما وصفهم بالغرور الذى يقوم اصلا فيهم لدى كل قائله او وعد يعده بعضهم لبعض. و قوله على لسان النبي (ارونى ماذا خلقوا من الارض) كلام آت بلغة من التحدى و الاستخفاف و الردع فى مخاطبة جمهرة اهل الكفر حيث ما كانوا مجتمعين او متفرقين. ان فى هذا النص ما يندد به رسول الله - و هو ما يزال فى مكة - حماة الاصنام و سدنتها و دعاء الشرك، اجل ان ذلك يدل على قوة شخصية النبي صلى الله عليه و سلم فهو حقا شخصية فطرها الله على قوة التصدى لا تنهزم و لا تخشى و لا تردد فله انت يا رسول الله من مصلح و قائد و رسول... ان الخطاب الذى يخاطب به النبي الناس ظاهر فيه الجرأة فى التصريح و القوة فى المواجهة فان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان على هذه الحال فى مجادلة قومه و لم يقع منه التذلل اليهم كالذى كان من موسى عليه السلام اذ قال لقومه «لم تؤذوننى و قد تعلمون أنى رسول الله اليكم» الصف/٥... و كالذى وقع من نوح «ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين» الاعراف/٦٧ مما يفهم منه أن النبي صلى الله عليه و سلم كان قد زوده الله بشخصية ذات سلطان و تمكين عظيمين لا- يطاولهما مطاول. «قل يحييها الذى انشأها اول مرة و هو بكل خلق عظيم»... يس/٧٩ النص جاء جوابا على قولهم «أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين، و ضرب لنا مثلا و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم»... الرد واقعى و منطقى فان من يصنع شيئا ابتداء على هيئة كان قد ارتآها و ارتضاها فان ذلك اذ تلف او عطب فان رده الى ما كان عليه امر جهد سهل و ذلك لوضوح صورته و استقرار القاعدة فى نظام تكوينه... و انه من بديهيات المسائل ان النظام الصناعى للاليات الكبيرة و الدقيقة فى أيامنا نجد من يصلحها و يرد اليها شبابها و لا عجب فى ذلك. اما من زعم ان قياس النشأة الاخرة على النشأة الاولى قياس مع الفارق بعيد جدا فما ابعده عن فهم بديهيات الامور لا سيما ما كان من [ صفحة ٢٩٧ ] ذلك آثلا الى الله تعالى لا يقال له مثل هذه القالة المتهافئة... و سبحان الله و ما كان الكفر مما يعتمد فيه على حقيقة واقعة او جدل مستبين... انما يقوم على الاصل الذى تم وفقه انشأؤه... فمن اين قال مارق القوم ان ذلك قياس مع الفارق بعيد جدا و من اين جاء هذا الفارق فصار بعيدا بعدا موصوفا بالجديئة المطلقة... اننا مادنا نعتقد ان الله هو خالق الخلائق و صانع هذا الكون الشاسع و ما فيه فكيف نمنع على هذا الخالق ان يملك القدرة على اعادة تكوين ما هلك من خلقه و هو اعلم بسر تكوينه... اجل ان الذين ادعوا استحالة اعادة المخلوقات قياسا على قوله تعالى «قل يحييها الذى انشأها اول مرة» زاعمين ان هذا القياس مع الفارق بعيد جدا انما هو السداجة و غياب الذاكرة بمكان... ان مصلحى الساعات و السيارات و الهواتف و التلفزيونات يعلمون ان مثل هذه المقولة انما هى مقولة ساذجة لانهم يصلحون فى اليوم الواحد عشرات من تلك الاجهزة و ذاك لانهم يعرفون اسلوب تكوينها و طريقة تأليف مفرداتها و خارطة خلقها و ايجادها و على هذا فان اعادة التكوين لما فسد و عطب مسألة ممكنة لمن يعرف اوليات الموضوع. والخالق العظيم الذى خلق الانسان على هيئة ارادها عزوجل و كان ذلك على صورة ابتدعها البارى بحكمته فاذا عرض لهذا التكوين الالهى عارض من عطب فان اصلاحه هين جد هين، حتى لو كان اصلاحه قائما على تطويره و تحسين خلقه فانه كما قلنا امر هين... «قل نعم و انتم داخرون»... الصافات/١٨ الكلام هنا وارد فى التعقيب على قولهم «و قالوا ان هذا الا- سحر مبين أنذا متنا و كنا ترابا و عظاما أننا لمبعوثون أو اباؤنا الاولون»... جاء الجواب على مقولتهم تلك بلفظ «قل نعم و

انتم داخرون» اي و انتم صاغرون ذليلون. و اسلوب التهكم ظاهر في الجواب الذي ابلغهم به الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم... و قول الكفار في صفة اجسادهم بعد الموت بأنهم كانوا ترابا و عظاما يستبعدون به العودة الى عالم الحياة في حين ان كونهم ترابا و عظاما مما يعد من الامور الظاهرة التي يعرفها الناس في كل ارض تقوم عليها مقابر موتى الناس... ولكن ذلك من طبيعة الجدل عند المعاندين الذين يلوذون عند ارادتهم اقامة الحجج على الغير بمثل تلك المقولات الضئيلة... «قل انما أنا منذر و ما من اله الا الله الواحد القهار»... ص/٦٥٥ يرد مثل هذا القول في مواجهة الكفار توثيقا لمهمة الرسول الاعظم في قومه... و جاء القول بحرف الحصر و التوكيد «انما أنا منذر» و تلا ذلك معنى ان لا يكون هناك اله سوى الله الذي جاءت صفته سبحانه و تعالى في النص بانه واحد و انه قهار أى له الغلبة في ملكوته و في كل حيز من السماء و الارض و كان النبي يؤمر ان يكرر في سمع قومه بانه رسول و انه نبي و انه نذير و منذر لينطبع هذا المعنى ف ياذهانهم و يتأكدوا ان رجلا جاءهم من ربهم بدين و وحى و قرآن مبين فكذبوه و خصموه لو لم يكن صادقا لترك الأمر و لجأ الى شىء آخر. و انهم رغم قسوتهم في معاملته و ادعاءاتهم ما كذبوا به على انفسهم من انه ساحر او كاهن او مجنون كل اولئك لم يكن ليجعله يفرط في مهمته الالهية ادنى تفريط... فهو النذير المبين رضوا أم أبوا... «قل هو نبأ عظيم، انتم عنه معرضون، ما كان لى من علم بالمأ الأعلى اذ يختصمون، إن يوحى الى إلا أنما أنا نذير مبين»... ص ٦٧/٧٠ يصارح النبي الناس على جارى عادته و موقفه انه لا علم له بالمأ الأعلى الا ما ينقل اليه من هذا المأ على لسان الوحي... [صفحة ٢٩٨] «قل ما أسألكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلفين. إن هو الا ذكر للعالمين، و لتعلمن نبأ بعد حين»... ص ٨٦/٨٧/٨٨ جاء النفي في النص على المطالبة بشىء من اجر لقاء ما يؤديه النبي من مهام التبليغ ليكون عملا من اعماله التي يتكسب بها... «قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار»... النص جزء من الآية الثامنة في سورة الزمر و هي «و اذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل و جعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار»... الخطاب موجه الى النبي في شأن احد كفره منكرى نعمة الله و جاحدى عظيم فضله فانه اذ كان يعانى الاعتلال و المرض كان يكثر اللياذ بالله بان يشفيه فلما عافاه الله و خوله ما خوله من نعمه نسى ربه وراح يجعل له أندادا و على هذا جاء النص في مخاطبته «قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار»... و مواجهة شخص في وجهه بانه من اصحاب النار يعبر عن صراحة التبليغ النبوى الذى يحتوى مثل هذه المعانى الصارمة الموجهة الى مستحقيها فى وجوههم و على ملاء الأَشهاد... «قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب»... الزمر/٩٩ المعادلة هنا طبيعية بين الذين يعلمون و الذين لا يعلمون او بين الذين لا يعلمون و الذين يعلمون فان فى العلم هدى و نورا و رشيد تصرف و سديد سبيل... و قد سبق اصل النص بقوله تعالى «أم من هو قانت آناء الليل ساجدا او قائما يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه» و على هذا كان العلم هنا العلم بالله و ما يتبع ذلك من طاعة و اناة... و فى مثل ذلك من خير عميم يظهر فيه تصرف من يتصف بتلك الصفة... اما الذين لا يعلمون فان سلوكهم يكون سلوكا بعيدا عن ذلك السلوك الرشيد... على ان النص بات من الحكم العلمية الرشيدة التي تميز بها الناس بين العالم و الجاهل فى ما تضربه من امثالها... و القاعدة الاصولية تؤيد هذا اذ تقول [ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب] و ان كان خصوص السبب هو الاصل فى التأويل و التفسير... و فى النص إسلاء لمنزلة الذين يعلمون و خفض لمنزلة الذين لا يعلمون و هو دعوة ضمنية الى طلب العلم والاستزادة منه... و تهكم بالجاهلين و توبيخ للذين يحسبون الوصول الى ان فهم الاشياء ناتج من غير طريق العلم... «قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم. للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة و ارض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»... الزمر/١٠ فى النص توجيهات رشيدة يؤدب الله بها عباده المؤمنين و قد جاء ذلك بموعظة من الله أو حاها الى نبيه العظيم يصدع بها اسماع الناس و ما تزال الناس فى ابان العهد المكي الذى يرى الشرك مزدردا خلاله فى كل مكان... و قوله تعالى «و ارض الله واسعة» تنويه بأهمية الهجرة و لفت الانظار اليها و ذاك قبل هجرته صلوات الله عليه الى المدينة... يفهم هذا فى قوله تعالى «و ارض الله واسعة»... و قوله تعالى «انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب»... فيه بيان ظاهر على ان المؤمنين فى مكة كانوا يلاقون شديد الأذى و البطش من كفره القوم و هم على جانب من الصبر العظيم يشيهم الله تعالى عليه... «قل

انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين، و أمرت لأن اكون المسلمين، قل انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصا له ديني، فاعبدوا ما شئتم من دونه، قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألا- ذلك هو الخسران المبين... الزمر ١١/١٥ فى النص كلام القاه الله على لسان رسوله ليحبر به عن فرط طاعته لله و صدق اخلاصه فى عبادته و ان الرسول يرى انه الرابع العظيم الحصة فى ربحه و ان الذين [ صفحه ٢٩٩ ] خسروا انفسهم و اهليهم يوم القيامة هم الخاسرون حقا...«و لئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون»... الزمر/٣٨ الخطاب موجه الى الكفار فى مكة عن خلق السماوات والارض و قد اجابوا بأنه الله. فواجههم الرسول الاعظم فى أنهم يدعون من دونه غيره... و بذلك اوضح لهم عمق هوة التناقض فى الاعتقاد بأن الله هو خالق السماوات و الارض... و ان كونهم يشركون به غيره من المعاييد الباطلة التى لا تملك ان تصنع شيئا... ثم ناقش القوم جاعلا من نفسه مثلا على سلطان الله عليه و لا سلطان لتلك المعاييد على أحد... فهن أعجز ما يكون العجز فيهن حين يريد الله النبى بضر فما يملكن أن يدفعن عنه ضره و ان اراده الله برحمته فانهن أعجز من أن يمسكن عنه رحمة ربه... ثم لهج النبى بقوله الذى املاه عليه وحى ربه «قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون» و هى كلمة تسيح للخالق و لجوء اليه و توكل عليه و لياذ به وفق امر الله له بأن يكون ذلك ورده و مستديم دعائه و تسيحه...«قل يا قوم اعملوا على مكاتكم انى عامل فسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم»... الزمر ٣٩/٤٠ فى النص تنبيه و تحذير ظاهران و جههما الرسول الاعظم الى قومه بمقتضى الامر الالهى اليه... و جاء فى التحذير انهم ان لم يحسنوا العمل فسيعرضون للنكال من الله و غضبه الشديد...«أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا- يملكون شيئا و لا- يعقلون، قل لله الشفاعة جيعا له ملك السماوات و الارض ثم اليه ترجعون»... الزمر ٤٣/٤٤ جرى الكلام فى هذا النص على الشفاعة و الشفعاء الذين كان عبدة الاوثان يتخذونهم من اوثانهم و سخر الله منهم اذ ناط الشفاعة لا غير... و كان الرسول الاعظم يوضح للقوم ما اوضحه الله من ان اولئك الشفعاء لا يملكون شيئا و لا يعقلون... و هم حتما لا يملكون شيئا و لا- يعقلون على ان مجاهرة النبى للمشركين بمثل ذلك فى شأن آلهتهم يغيظهم و يثير سخطهم عليه ولكن النبى كان يتحمل ذلك بكل صبر...«قل اللهم فاطر السماوات و الارض عالم الغيب و الشهادة انت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون»... الزمر/٤٦ من آيات التسيح التى امر الله نبيه ان يلهج بها و هى من بعض ما لقنه الله النبى من أوراد العبادة و الدعاء اليه عز شأنه... و فى النص قنوت و لياذ بالله و أنابة اليه و احتكام و هى من الادعية الدينية...«قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم»... الزمر/٥٣ فى هذا النص يأمر الله نبيه ان يخاطب الناس على لسان ربه ناسبا اياهم اليه مبالغة فى تطمين نفسوهم بعظيم لطف الله بهم «يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم» و قد تلا هذا النص نص ثان و ثالث يتضمن كريم وعد الله لاولئك القوم بالمغفرة و ذاك بعد دعائهم الى الانابة و الاستسلام لله «و أنبيوا الى ربكم و أسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون»... و جاء بعد ذلك امر صريح بوجود اتباع الملة التى جاء بها الرسول «و اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة و انتم لا- تشعرون»... ثم قال عزوجل فى مجال ابطال معاذيرهم «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فطرت فى جنب الله و ان كنت لمن الساخرين، أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين»... [ صفحه ٣٠٠ ] بلى قد جاء تك آياتى فكذبت بها واستكبرت و كنت من الكافرين وراح الخطاب الالهى يتدرج فى اسلوبه حتى بدأ فيه التصريح بما يهدد المذنبين من عقوبة... «و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين، و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء و لا هم يحزنون»... هذا الفصل الخطابى الوعظى اذ يتلوه النبى للقوم ما اجتمعوا و ما انفردوا فيفعل فعله فى نفوسهم. و النساء و الرجال معنيون بكل حرف من من حروفه و مخاطبون بكل كلمة من كلماته فى سلب و ايجاب لقد كان النبى هو الذى يتلقى ذلك من الله فيروح يواجه قومه بما عرف فيه من حسن مواجهة و لين خطاب و خفض جناح لا يعلق به ذل و لا تكون فيه مصانعة و استرضاء... حقا انها مهمة ليست هينة و لا



يسيرة بل انها شاقئة ألا انها عند مستوى الاقتدار النبوي الذي زود الله نبيه به يوم بعثه نبيا الى قومه... «قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون، و لقد أوحى اليك و الى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين... بل الله فاعبد و كن من الشاكرين»... الزمر ٦٤/٦٥/٦٦ يوجه الرسول الاعظم الى المشركين ممن حوله في مكة التنديد الشديد لالحاهم عليه بالخروج من فلك الايمان بالله الى عبادة معابيدهم، مما يستدل منه على ان المشركين كانوا يردون دعوة النبي اياهم الى التوحيد بدعوتهم اياه الى الشرك... و تلك معادلة ضالة بين الحق و الباطل ترينا عظم هم الرسول في الساحة التي يقوم فيها مبلغا بالدين و داعيا الى عبادة الله رب العالمين في مثل ذلك الوسط الذي مرد على الكفر... هذه مصارحة فيها من الزجر قسط كبير لمن سماهم الله بالجاهلين و امر بمخاطبتهم بهذه الصفة المكشوفة... و في النص تويخ ظاهر اذ نسب اليهم امرهم النبي بعبادة غير الله و هم دون مستوى هذا الامر... و لقد كان ضغط الكفار على الرسول الاعظم بترك ما يدعوهم اليه و الكف عن ذلك و اللحاق بهم في عبادة معابيدهم الباطلة و ذاك ما جاء الكلام عليه في نص آخر «بلفظ - و يثبتونك»... «قل نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربي و أمرت ان أسلم لرب العالمين»... المؤمن (غافر) ٦٦/أمر النبي أن يصارح الكفار بعظم تعلقه بربه و صدق ولائه لدينه يواجه بذلك ضغوط جهلتهم و سفهاء كفرتهم فهو يقول «انى نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله» و يعلل النبي ايمانه بهذا بانه ايمان المستدل على الحقيقة بنصوص جاءته من ربه مضافا الى ذلك انه أمر بان يسلم لرب العالمين و ذاك على خلاف ايمان المشركين باصنامهم فانهم لم يتلقوا ذلك من وحي سماوى و لا حكمة اهدوا اليها... ثم تلا ذلك نص يؤكد استحقاق البارى عزوجل لعبادة عباده اياه «هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا و منكم من يتوفى من قبل و لتبلغوا اجلا- مسمى و لعلكم تعقلون»... «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه و استغفروه و ويل للمشركين»... فصلت/٦ فى الآية أكثر من ركيزة قام عليها امر الموعظة القرآنية اولها ان النبي يؤكد لهم بشريته و لم يكن فى حين من الاحيان قد قال لهم غير ذلك. و الركيزة انه أكد لهم ان الله عزوجل اوحى اليه بالنبوة و هم قد سمعوا باسماء انبياء كثيرين من قبل فليس فى ايحاء الله لبعض من سيصطفى من عباده من عجب. و الركيزة الثالثة هى اعلامهم بان الله واحد و هو اعلام كبير الاهمية فى وسط مشرك يعبد الاحجار و يطوف حول الاصنام. و الركيزة الرابعة انه امرهم بالاستقامة اليه و الاستغفار [ صفحہ ٣٠١ ] منه عن الكفر العالق بنفوسهم و الحقد الرابض فى صدورهم و اختتم النص باعلان الويل من المشركين. ان الحوارات القرآنية للمشركين فى عقر مواقع الشرك لديهم لأمر غير يسير و لاهين الوطأة... و من هنا نعلم ان جهد النبي فى كل حوار يحاور به قومه انما هو جهد له اثره فى سائر أوساطهم مستوى عنده فى اعلى درجات الهم و السخط و القلق و التشنج شاعرا بانه لبي امر الله و نهض بعبء الرسالة و واجه خصوم التوحيد بكل جرأة و صلابة موقف. «فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود، اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم و من خلفهم أن تعبدوا الا- الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون»... فصلت ١٣/١٤ فى النص انذار و تخويف و ابراز لعظمة الله و قوة سلطانه اذ أمر النبي ان يذره بما اصاب الكفرة الاولين من وقوع الصواعق عليهم كمثلى صاعقة عاد و ثمود و قد سبق الى علم القوم من طريق الآيات و السور القرآنية ما كان قد اصاب الامم القديمة من بطش الله يوم انكروا رسله... و لم تكن العرب قبل نزول القرآن بالتى تعرف الكثير من هذه الاخبار... و جاء النص بلفظ «انذرتكم» و لم يرد بلفظ ينسب فيه الانذار الى الله أى ان الله يذركم و ذاك لاجل ابراز شخصية النبي للدور الفعال فى المواجهة و النبي كان يصدع بذلك لانه يتلقى من ربه ما يجب عليه أن يقوله لا و لئلك الناس... لقد كان الله قد بعث الى عاد نبيهم هودا. و الى ثمود نبيهم صالحا و كلتا القبيلتين نالت من عقاب الله على عصيانها ما نالته فى سالف الازمان. و هما من قبائل العرب و سكان جزيرتها. «قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد»... فصلت/٥٢ فى هذا النقاش مسابرة للقوم بعض الشىء قصد جرهم الى الارعواء و اخذهم الى نمط من النقاش سليم. و المعنى ان القرآن ان ظهر لكم انه من عند الله كفرتم به فسيظهر بذلك من خلافكم و شقاقكم مالا يكون احد اضل منكم فى ذلك ضلالا و أبعد منكم فيه شفاقا... «قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان

الله غفور شكور... الشورى/٢٣ من بديهات طبيعة السيرة النبوية ان الرسول كان شديد الحذب على قومه و الحرص على استنقاذهم من ضلالتهم و كان ذاك معروفا لسائر الناس من المحيطين به و الملمين بأخباره و جاء النص معلنا ان هذا الحرص الشديد من رسول الله على هداية قومه لا يبتغى به شيئا من اجر او مكافأة و انما هو بفعل ما يشعر به تجاه قومه من حنو و رفق و مودة و لا شيء وراء ذاك من كسب و رغبة في مغنم و اجر. اما قوله تعالى (الا المودة في القربى) فليس مما يدخل في الاجر لانه اذا دخل في الاجر صار اجرا مسؤولا عنه و مرغوبا فيه و هذا ما نقاه الله بالنص المبدوء بقوله «قل لا اسألكم عليه اجرا» انه استثناء بلاغى يراد به القول بتأكيد نفى سؤال الاجر «قل لا- اسألكم عليه اجرا» و حين يكون الرسول مرسلا من ربه فليس من الامر الطبيعي ان يطلب له الله من قومه اجرا او مكافأة اما قوله «الا المودة في القربى» فالمراد منه التأكيد على ان الحافظ الذى يحفز النبى الى هذا الحرص الشديد فى خدمة المبدأ الذى جاء به و تحمل اذى قومه و مرارة تعاملهم قومه و اهله و عشيرته و ليس ذلك مما يترقب من اجله مكافأة او شيئا اخر فالمودة فى القربى هى صلة الرحم و حسن التغاضى عن جرائم القوم بحقه و ما الى ذلك و فى الحديث النبوى «و انا آخذ بحجزكم» و فى القرآن الكريم على لسان «هود» [صفحة ٣٠٢] «اذا قال لهم اخوهم هود الا- تتقون، انى لكم رسول امين، فاتقوا الله و اطيعون، و ما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين» الشعراء ١٢٤/١٢٧ او كذلك قال نوح مثل ذلك و مثلها نبى الله (صالح) و غيرهم فى لوط و شعيب و فى القرآن الكريم «قل ما سألتكم مه اجر فهو لكم إن أجرى الا على الله و هو على كل شىء شهيد» سبأ/٤٧. و فيه «قل ما اسألكم عليه من اجر و ما انا من المتكلفين ص/٨٦... و ايضا: «قل لا- اسألكم عليه اجرا إن هو الا ذكرى للعالمين» الانعام/٩٠ و قال نوح: «و يا قوم لا- اسألكم عليه مالا- ان أجرى الا على الله...» هود/٢٩. و كذلك قال: «يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان أجرى الا على الذى فطرني أفلا تعقلون» هود/٥١. و ايضا جاء: «قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا»... الفرقان/٥٧. «قل إن كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين»... الزخرف/٨١ اول العابدين هنا من الفعل «عبد» الذى يعنى الغضب و الاستنكاف اى ان كان للرحمن ولد فان مثله غير جدير أن يعبد... لقد علم الله نبيه ان يرفض قبول ما يخرج عن العقل و الحقائق الثابتة. و من ذاك ان الله لا ولد له و انه كما وصف نفسه عز شأنه «لم يلد و لم يولد» فاذا لم يكن الامر كذلك و قيل ان له ولدا فان ذلك مما يتناقض و العقيدة المعتقدة فهو جدير ان يرفض فى الملة الحنيفية السمحة، فان كلمة «العابدين» تعنى الحائقين الغاضبين الراضين فان رفض ما ليس بحق يعد حقا لا- مريء فيه... «قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا- ريب فيه ولكن اكثر الناس لا- يعلمون»... الجاثية/٢٦ فى النص كلام على الاماتة و الاحياء و الحشر و حضور الحساب يوم القيامة و ذاك ما يجله كثير من الناس من غير المؤمنين خاصة و قد امر الله نبيه أن يجعل ذلك فى اسماع القوم ليتبينوا به حقائق الشريعة و دقائق عقيدة الملة و ليضع فى قلوبهم ما يربهم من الاماتة و الاحياء و الحساب و العقاب فان لرقائق الالفاظ و الموعظة القرآنية شأنا عميق التأثير فى النفوس... «قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا او أثارة من علم ان كنتم صادقين»... الاحقاف/٤ فى النص حوار مكشوف فيه تحد و محاسبة لمن خوطبوا بذلك اذ أمر الله نبيه ان يواجه فئة الكفر فى مكة يقول لهم ارونى ماذا خلقوا فى الارض اذ نفى عن معاييدهم ان يكونوا قد صنعوا من ذلك شيئا كما نفى عنهم ان يكون لهم شرك فى السماوات و طالبهم ان يأعته بكتاب من كتب السماء جاءت فيه ادعاءات كهذه الادعاءات الكاذبة فان لم يكن لديهم كتاب مثل ذلك فلا اقل من ان يكون لهم أثارة من علم و مقالات يقبلها العقل و المنطق ان كانوا صادقين... و هم لم يكونوا يملكون من الصدق ادنى شىء... و الحوار ظاهر الوضوح و المصارحة و هو كأي من الحوارات القرآنية التى يواجه بها الرسول الاعظم الكفرة و المشركين من قومه... و بديهي ان مواجهات كهذه المواجهات تكون مصحوبة بتشنج فئات و صخب فئات و اجواء مثخنة بالشراسة لاتطاق... و كان على النبى ان يلج هذه المجالات بحلمه و عقله و صبره و حسن جداله و جده و حزمه... و لا دلالة فى مخاطبة النص اياهم بأن يأتوا بكتاب او أثارة من علم على قناعة بانهم لديهم مثل ذلك. و انما هو نمط من التحدى الذى يراد به فضح عجز اولئك المخاطبين بما خوطبوا به و هذا مثل قوله تعالى «فأتوا بسورة من مثله...» البقرة/٢٣... فان ايانهم بسورة من مثله امر غير متوقع بل هو مستحيل

الوقوع... و القرآن الكريم اذ يعدد المعاييد الباطلة [صفحة ٣٠٣] التي اتخذها الكافر معايد لهم من شمس و قمر و غيوم و دواب و شجر و اوثان و اصنام فانه نفى بالمره ان يكون لعباد هذه المعاييد كتاب يزكى عبادتهم او ينوه بها او يدعو اليها. فليس ثمة في عالم الديانات كتاب يقر الشرك كائنا ما كان مصدره... «أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى و بينكم و هو الغفور الرحيم»... الاحقاف/٨ يشير النص الى بعض اتهامات القوم للرسول الكاذبة فقد امسكوا عن ادعاء الجنون فيه و الشعر و السحر و الكهانة و راحوا يزعمون أنه يفترى الكذب على الله بادعاء النبوة و أوحى الله اليه ان يرد عليهم بانه ان افتراه فان الله لا- يسامح فى مثل ذلك عبدا من عباده و ذاك ان الله لا يخفى عليه مثل تلك التصرفات فما كان ذلك ليجعله ساكتا على من يفعل ذلك... ان ادعاء الافتراء فى الناس انما يكون من ظاهر على غائب بحيث لا يصل اليه من امر ذلك الافتراء شىء... ولكن الامر اذا كان يرجع الى الله فما من مفتر يفترى على الله فى اوسع الجنايات و اخطر الكبائر بالذى يتسامح به البارى عزوجل... و القرآن الكريم يقول «و لو تقول علينا بعض الاقويل، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» الحاقه ٤٤/٤٦... والغريب فى امر القوم و هم لا- يؤمنون بالله انهم يظهرون هنا بمظهر من يدافع عن الله باتهامهم النبى بأنه كان مفتريا على الله و النبى أولى أن يتكلم عن لسان الله من قوم ينكرون ألوهية الله... و على هذا كان قد دافع النبى عن نفسه وفق ما علمه الله و اوحاه اليه. اجل كان رد النبى عليهم محكما غاية الاحكام و مفصلا كل التفصيل... والعجيب الذى يلاحظ على جدل القوم المتصل الحلقات انه لا يتناول من مفردات الشريعة و مصالحها الاساسية قليلا- ولا كثيرا اذ يظل يحوم حول جوانب لا- تحتك بشىء من اصول الدين و دقائقه و حقائقه... «قل ما كنت بدعا من الرسل و ما أدرى ما يفعل بى و لا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى و ما أنا الا نذير مبين»... الاحقاف/٩ و يكرر النبى فى هذا النص انه لم يكن اول رجل من البشر اعلن رسالته الى قومه بالدين و الشريعة... و جرى التأكيد على معنى ان النبى نذير مبين يتبع ما يوحىه الله اليه على ما كان مثل ذلك معلوما لدى سائر الامم التى جاءتها رسلها بالبينات... لقد كان المشركون يولعون بالانكار على النبى ان يكون نبيا عجزفه منهم و جهلا و استطلاة على الحق، و ما من شك ان ضعفاء الناس كانوا يخشون هؤلاء الطغاة المتجبرين فى تلك السيئات و هم اذا استوعبوا الدين و مالوا الى تقبله و اعلان اعتناقه و جدوا من سفه اولئك العتاة و شنيع مواقفهم ما يخيفهم ان يتظاهروا بالايامن و مساندة الرسول... اذ كان كفره اهل مكة شديدي البطش بضعفاء المؤمنين لا سيما من كان من الارقاء... اذ كان الرسول صلى الله عليه و سلم ظاهر الحذب عليهم و الرأفة بهم و الرعاية لهم... «قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن اراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا». الفتح/١١ فى النص اشارة و اوضحة الى ان القوم على فرط قوتهم و اعتدادهم بأنفسهم انما هم تحت تصرف الله ان شاء نفعهم و ان شاء ضرهم... و هو عليم بسرائرهم و خفى اعمالهم و خبير بمكنونات صدورهم لا يعزب عنه منها شىء... «سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا»... الفتح/١٥ كان الذين تخلفوا عن اللحاق بنصرة المؤمنين بحيث قد راحوا يحاولون الوصول الى تلك المواقع [صفحة ٣٠٤] للانتفاع من المغانم فأمر الله النبى ان يرد عليهم بالمنع من اتباع المقاتلة المسلمين الذين تم الفتح على أيديهم... و يروح هؤلاء يتذرعون بالكلام الذى لا مزعة فيه من معنى اذ يدعون ان المؤمنين يحسدونهم اى انهم يحسدون المخلفين من حيث لم يتعرضوا لجرح او اذى او عناء عند عدم مشاركتهم المسلمين فى غزوة خبير و مثل هذه القالة هى التى عقب عليها النص الكريم «بل كانوا لا يفقهون الا قليلا» و صدق الله بالحكم على امثال هؤلاء بانهم لا يفقهون الا قليلا... و قد أسلفنا الكلام على هذا النص فى آيات المعاناة. و هو نص فيه كثير من الجدل و المراجعة كما أنه يومىء الى و حالة عقليات أقوام من اهل المدينة كانت ادعى الى الاضجار و أقرب صلة باللجاجة... و يلاحظ بعض ذلك فى قولهم «بل تحسدوننا» مما يستدل منه على طول صبر النبى و رسوخ الحكمة فى ذاته الشريفة صلى الله عليه و سلم... ان قوله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله» أى أن يخرقوا بالقاعدة العسكرية التى اتخذها النبى فى رفض الاستعانة بالفارين المتخلفين الذين نهى النبى عن تجنيدهم فى جند المسلمين و هى قاعدة لعمرى بمتلها تنتصر الدول و لا تخذل الامم... «قل للمخلفين من الاعراب استدعون الى قوم أولى بأس شديد

تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا و ان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما... الفتح/١٦ القوم اولو البأس الشديد في احدى الروايات و هم اهل العراق على ما ذكر بعض المفسرين... و المخلفون لقب اطلق على قوم كانوا قد تخلفوا عن الغزو مع المؤمنين... و قد اراد الله اعادة امتحانهم في الخروج لغزوة أبعده و اكبر كانت هي التي وقعت على عهد ابي بكر رضى الله عنه اذ بعث جنده الى العراق و قد سماهم النص القرآني «ستدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون»... «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم و ان تطيعوا الله و رسوله لا- يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم»... الحجرات/١٤ مصطلح الايمان جاء بلفظه الاصطلاحى... اما الاسلام فقد جاء بلفظه المعجمى اى الاستسلام و هو نمط بلاغى يقال له ايها التناسب... اى انكم استسلمتم و لم تؤمنوا فلم صدقتم الايمان لما نقص الله من اجركم و حسناتكم شيئا و يغفر لكم فانه غفور رحيم و كان الله قد كشف عن هذا الامر و اعلم به رسوله اذا اعترف الاعراب بذلك قائلين ان الحاجة و كثرة العيال و الخوف من القتل و السبى قد حملنا على ادعاء الايمان. و هذا ما نصت عليه الآية السادسة عشرة من ذات السورة «قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات و ما فى الارض والله بكل شىء عليم»... و قد جابهم الرسول صلى الله عليه و سلم بهذه الحقيقة التى قلنا انهم لم يجدوا بدا من الاعتراف بها... و فى ذات السورة جاء قوله تعالى موضحا معنى الايمان و الاسلام اذ قال «يؤمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين» الحجرات/١٧... الاسلام هنا على معناه المعجمى ايضا و ليس المراد منه هنا الملة فان الله لا يريد منكم ان تمنوا عليه بأستسلامكم الذى يكفون به المسلمين أذاهم و عدوانهم، ولكنهم لو آمنوا حقا لكان لهم ان يمنوا على الامة بذلك الايمان... «قل تربصوا فانى معكم من المتربصين»... الطور/٣١ النص مسبوق بقوله تعالى «أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون»... جاء الرد على هذه المقولة بأسلوب هادىء فيه حجم من التهكم غير قليل... اما حكاية التربص هذه فهى ان القوم كانوا يتهمون الشعراء بالتعرض للقتل من جراء ما يقع منهم من تحرشات بهجو [صفحة ٣٠٥] القبائل و ما الى ذلك و ليس النبى صلى الله عليه و سلم بشاعر يتعاطى ذلك او يفعله فليتربصوا ما شاء لهم التربص. «قل ان الاولين و الاخرين، لمجموعون الى ميقات يوم معلوم»... الواقعة ٥٠/٤٩ فى النص اشارة الى يوم الحشر الاكبر اذ يجتمع الناس جميعا امام بارىء الخلاق ليكون هناك الحساب الذى تتيين به اعمال الناس ممن آمن و ممن لم يؤمن... و فى ذلك لفت لانظار القوم الى تعرضهم للحساب الالهى العظيم و قد قرب الله اليهم ذلك اليوم على بعده موعظة و حثا على اللحاق بركب الايمان... «قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين، و لا- يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين»... الجمعة ١٧/٦ الثابت من خصائص اليهود فرط خوفهم من الموت و ذلك لعظم انكبابهم على الحياة، و كان القرآن الكريم قد لمح الى ذلك «و لتجدنهم احرص الناس على حياة» البقرة/٩٦ و يناقض ذلك ما يدعون من انهم اولياء الله من دون الناس و انهم شعب الله المختار و انهم ابناء الله و احبائه، اجل يناقض هذا ما هم عليه من فرط الخوف من الموت اذ لا يخاف الموت و لا يخشى لقاء الله من كان صادق الايمان لانه لن يلقى لدى الله الا الرحمة و المغفرة و الثواب العظيم... «قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملائكم»... الجمعة/٨ الم يقل ملاحظكم. لان فى الملاحقة عناء ظاهرا و لانه قد يقع فيها التقصير، كما يقع فيها الانقطاع و المتاهة و التفاوت فى الوجهة... اما الملاقاة فلا شىء فيها من ذلك بل فيها اليسر المتحقق للموت فى اصابة ضحاياه الذين يأتونه سعيا لان الفرار يعتمد اقصى درجات السعى. و يسلك الى النجاة بالخطى الواسعة... اما ارتباط النص بالفاء «فانه ملائكم» فهو متصور فيه وصف حالة الفرار بصفة فيها بعض الشريطة... مهما فررتم. اى مهما بذلت من محاولات الفرار و التملص و الاستخفاء و التمويه لان الفار من خطب او خطر يلوذ بأكثر من وسيلة... و فى كلمة... «ملائكم» معنى المباغته و المفاجأة و القدرة على المواجهة، فلا سبيل للنكوص و الانسحاب و الاستدارة لان الوقوع فى كمامشة الموت صار امرا محتوما... كما ان الملاقاة تنشىء الذهول فى الفارين الذين انفقوا الوقت الطويل و بذلوا الجهد الثقيل للابتعاد عن الخطر، فاذا انهم قد اضاعوا كل ذلك و وقعت عليهم واقعة الموت حيث حدد الموت لهم الوقت الملائم منذ تخطم لهم و ترصدهم و جلس على طريقهم الذى ظنوه ابتعادا فكان اقترابا و حسبوه ادبارا فاذا هو مواجهة... «قل ما عند الله خير من

الله و من التجارة و الله خير الرازقين... الجمعة/ ١١ رأس الاية «و اذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها و تركوك قائما»... و قد أمر الله النبي أن يرد عليهم رد عتاب فيه شىء من القسوة لسوء ما وقع منهم من ترك الاصغاء الى الخطابة و الرسول قائم على منبره... ان امر الطاعة امر عظيم فقد كان القوم لا- يرون فيها اكتمال شخصية الرجل و تلك هي خصال الاعراب اذ لم تحكمهم النظم التي تجب اطاعتها الا بمقدار ما كانوا قد ألفوه و هم على خرق ذلك لمعتادون... و ان كان سبب خروج الجماعة الى السوق قبل ان يتم الرسول خطبته ناشئا بفعل التجارة التي اقبلت بها الابل تفرح اجراسها لذلك رد الضمير اليها دون ان يرد الى الله الذي ورد ذكره مقترنا بها... و من طريق القياس يفهم انهم كانوا سيفعلون مثل ذلك عند عروض حالة لهو عرضت لهم... [صفحة ٣٠٦] و فى النص احتواء و انتماء الى ركن المعاناة من هذا الباب فانه ليشق على الخطب و هو على منبره أن تنفض عنه جموع مستمعيه و هو كذلك اى هذا الانفضاض يدل على فقدان اللياقة و حسن الاصغاء. و خطبة الجمعة ركن مهم فى العبادات و فى الصلاة خاصة اذ لا يجوز فيها التحرك و التملل و الكلام فضلا عن مغادرة المسجد و الخروج الى اعمال ليست من بعض العبادات و لا من صورها و اشكالها... كما ان الامر مكشوف و مفضوح و مشهود «انفضوا اليها و تركوك قائما» على ان الذين صنعوا هذا صنعه امام جمهور من اتقياء المصلين و فضلاء المؤمنين... و قوله تعالى «قل ما عند الله خير من اللهو و من التجارة و الله خير الرازقين» تفرغ و تويخ لهؤلاء الذين رجحوا حطام الدنيا على ثواب العبادات و اجر الصلاة و أهمية التعليم الدينى الذى كان الرسول يمليه عليهم و هو فوق منبره... ان بعض ما لقيه النبى من الناس فى المدينة لم يكن أقل اذى مما لقيه منهم فى مكة رغم أن هذا الاذى يعرض له صلى الله عليه و سلم من فريق من اتباعه الذين يحصون فى جماعة المسلمين... أجل لقد كان انتصار النبى و قيام عمود دينه و توحيد ما تفرق من كلمة أمته و التمام ما تشتت من جموعهم و تبعثر من نظامهم لقد كان ذلك ثمرة معاناة كبيرة عاناها النبى و جهود متتالية انفقها و صبر كبير صبر لم يصبره نبى من قبله و مكابدة كابدها خلال عهده جهاده و دعوته فى مكة و المدينة و صلى الله عليك أيها النبى العظيم و أيها الرسول الكريم و أيها البشير النذير و أيها المصلح الكبير... «زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قلا بلى و ربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم و ذلك على الله يسير»... التغابن/ ١٧ الذين كفروا و هم فى العادة ينكرون وجود الله كما ينكرون سلطانه تعالى فى ملكوته لا يستغرب منهم انكار البعث و النشور. و قد فند الله مقولتهم و سمي ذلك منهم زعما... و هو على الله حقا يسير جد يسير... «قل هو الذى انشأكم و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة قليلا ما تشكرون»... الملك/ ٢٣ يعد هذا النص من بعض المفردات القصيرة و هى تتكلم فى ذات الله و فى ما كان قد خلق من خلقه ذارئا فيهم السمع و الابصار و الافئدة التى تعد عماد وجودهم على هذه الارض الا انهم قل ان يشكروا البارئ الكريم على ما يراه فيهم من هذه الملكات و الجوارح و مقومات الوجود... «قل هو الذى ذرأكم فى الارض و اليه تحشرون»... الملك/ ٢٤ أمر النبى ان يعلم الناس ان الله هو الذى ذرأهم اى خلقهم و جعلهم اهل الارض يتمتعون فيها بما يتمتع الاحياء من خير و رفاة و سعادة ثم انهم سيحشرون الى الله بعد موتهم يوم تحشر الخلائق الى رب العالمين. «قل انما العلم عند الله و انما انا نذير مبين»... الملك/ ٢٦ فى النص تركيز على ان العلم عند الله و المراد بالعلم هنا ما كان من الغيوب التى لا يصل اليها الانسان و كان النبى صلى الله عليه و سلم نذيرا للامة. و كلمة النذير تعنى ما تعنيه كلمة النبى و الرسول... و هذا ما كان يتكرر فى معظم السور لكى يكون بمثابة اعلام مستديم لسائر الناس ممنه يبعث الله نبيه اليهم. «قل ارأيتم اهلكنى الله و من معى او رحمتا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم»... الملك/ ٢٨ و فى جواب على ذلك جاء النص القولى «قل هو الرحمن آمناب به و عليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين» الملك/ ٢٩... «قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتىكم بماء معين»... الملك/ ٣٠ [صفحة ٣٠٧] هذه الآية و ما قبلها من آيات السورة كلها تؤكد على معنى واحد هو ابراز عظمة الله... و ان عبادة الاصنام لدى عابديها من كفار القوم لا ينشأ منها ان يكون لتلك الاصنام دور فى خلق العباد و رزق الاحياء و تدبير معاش الناس و لم يفكر احد من عابديها بتحميلها مثل هذا التكليف. و كانت الحجة الكبرى المقامة على عبدة الاوثان هى ان هذه الاصنام لا وجود لها فى عالم الحياء و انما ترد الامور فى هذا المجال الى الله الذى هو خالق كل شىء و هو الضار النافع و المعطى المانع و المحيى المميت... اجل كان لهذا التعليم و التوجيه فى عقول الناس أثره

الفعال و عطاؤه العظيم... فان الرسول الاعظم يوم لحق بالرفيق الاعلى لم يترك بعده من عابدى وثن واحد فى جزيرة العرب وء هكذا ختم الله جهاد رسوله الاعظم بالتوفيق التام و الفوز العظيم. و بذلك تحققت المعجزة العظمى فى شخصية محمد بن عبدالله رسول الله صلى الله عليه و سلم... «قل أوحى الى أنه استمع نفر من لجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجا، يهدى الى الرشد فأمانا به و لن نشرك بربنا احدا»... الجن ١/النص يشير الى ان النبى قد أخبر من قبل الوحى بان نفرا من الجن قد استمعوا الى النبى و هو يتلو القرآن الكريم و فى آية اخرى من سورة الاحقاف هى التاسعة و العشرون «و اذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين»... و ليس فى النص هنا اشارة الى ان النبى صلى الله عليه و سلم لقي الجن او واجههم فكلمهم و كلموه. ان الله اوضح فى كتابه العزيز ان الناس لا ترى الجن و ان كانت الجن تراهم «انه يراكم هو و قبيلة من حيث لا ترونهم» الاعراف/٢٧... كما ان ادعاء رؤية النبى للجن ستكون مستغلا للخصوم يزعمون عنده ان للجن دورا و وجودا فى قرآنيات القرآن فالرسول لم ير الجن و ما كان له ان يرى من قال فيهم الله انهم لا يراهم الانسان بحال من الاحوال و ما ورد من الاقاويل فى ان الرسول قد رأى الجن و استقبلهم و تحدث اليهم لا صحة له... اما حديث من قال ان النبى لقي ابليس فأراد ربطه بسارية المسجد يكون محل سخرية صبيان المدينة فان الكلام الآتى على ذلك رمزى و تمثيلى قصد الاعتبار و التوعية الدينية... و قول النبى [ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم] فانه لا يدل على تلبسه فى جسد الانسان و انما هو لقوة سلطان الشيطان على البشر من جهة الاغواء و الوسوسة و ذلك شىء نفسى لا عضوى... و اما قوله تعالى فى آكلى الربا «الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس» البقرة/٢٧٥... فذاك قد جاء على مذهب العرب ايام جاهليتهم فى تصور الشيطان و تعامله مع الناس و هو استعمال لغوى بلاغى لادخل للعقائدية فيه و انما جاء ذلك لتحويل امر الربا و تبشيعه و استعظام إثمه... و من ذلك فى باب التهويل قوله تعالى «انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين» الصافات ٦٤/٦٥ فانه لمن يريد ان يصل الى هذا الطلع اذ يسمع انه كرؤوس الشياطين فانه ينكمش عن الرغبة فى ما يريد الوصول اليه. ان النبى لم يكن قد رأى الجن و قد مر بنا ان نفرا منهم استمعوا اليه يتلو القرآن فكان ذلك باعثا فيهم نشوة الاعجاب «و اذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين». الاحقاف/٢٩... والكلام فى الموقعين واحد و قد تكون السورة الحاضرة مشيرة الى آية الاحقاف و متحدثة على ما تحدثت به تلك الاية... و فى النص ما يدل بوضوح على ان الرسول اخبر بوصول الجن اليه و استماعهم لقرآنه عن طريق الوحى الذى اخبره بذلك... و السورة كلها فى موضوع واحد فيه بعض الاسهاب و التفصيل... و معانى السورة ظاهرة واضحة فى هذا الصدد... [صفحة ٣٠٨] «قل انى لن يجيرنى من الله احد و لن اجد من دونه ملتحد، الا بلاغا من الله و رسالاته و من يعص الله و رسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا»... الجن ٢٢/٢٣ فى النص بيان بان ملاذ النبى هو الله و انه لن يجيره منه احد اذا طلبه... و مثل هذه المعانى افتراضية لا بد من بيانها لاثبات عمومية السلطة الالهية فى سائر ارجاء ملوت الله... ان الانبياء اكثر معرفة بعظمة الله و هم اكثر الناس استغفارا و انابة اليه تعالى ليكونوا محل اعتبار المؤمنين و غيرهم... «قل ان ادرى اقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا، ليعلم أنقذ أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شىء عددا»... الجن ٢٥/٢٦/٢٧/٢٨ والكلام الذى يخاطب به النبى القوم يجول فى مجال غيبى يعلمه الله و لا يعلمه البشر، لذلك فهو يعلن للقوم انه لا يدري اقريب ما يعدهم الله به ام انه بعيد يعلم الله أمده وحده... و فى ذلك تعبير عن ايمان النبى المطلق بربه و عدم تجاوزه حدوده و حقوقه فى مثل هذه المواقف... و هى كذلك سورة عالجت اخطر العقائد الشائعة لدى المشركين و الكتائبين فوضعت كل نقطة عند الحرف الذى هى نقطته بايجاز تام فصارت سورة تستعصى على النسيان لسهولة حفظها و التمامها فى الذهن ن غير ان تتناثر فى ارجائه... ان موضوع التوحيد شغل الرقعة الزمنية فى مكة ثلاث عشرة سنة و شغل من الرقعة الزمنية المدنية ما شغل ايضا لان عرق العقيدة الاسلامية هو توحيد الخالق فانه تعالى لا يغفر به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء... «قل يا ايها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، و لا أنتم عابدون ما أعبد، و لا أنا عابد ما عبدتم، و لا انتم عابدون ما أعبد، لكم

دينكم ولي دين». الكافرون ١/٦ ففى هذا القول مجاهرة أمر النبي ان يواجه بها الكفار بما ينقض عباداتهم و يقضى بابطالها و التبرؤ مما يعبدون و الباسهم لباس الكفر «و لا انتم عابدون ما اعبد» و قد تم تحميلهم مسؤولية ما اختاروه من دين الكفر اذ امر الله نبيه ان يتصل من دينهم و ان يستمسك بدينه و الخطاب صريح فى مجابهة الكفار بلفظ «يا أيها الكافرون» و كان ذلك يعيظهم كل العيظ لا سيما اذ كان النبي فى اول عهده بابلاغ رسالته فى مكة اذ كان ما يزال ضعيف العصبه لا اعوان له. و فى السورة اسلوب بلاغى قائم على التكرار التوكيدى الممتلىء تحديا لا ولئلك الكفار و استقباحا بكفرهم و مقدمات النصوص فى الدعوة الدينيه التى جاء بها الرسول مما سبق ايراد الكلام على نوعيه هذا الكفر الذى هو عبادة الاصنام و الذى جاءت الشريعة من اجله من اجله الناس عن مثل هذه العبادات الى عبادة الله الواحد الاحد الذى لا شريك له. و ظاهر كل الظهور ان القوم كانوا اذا واجههم الرسول صلى الله عليه و سلم بمثل هذا التحدى تشتد خصومتهم له و سوء مقابلتهم التى يفرغون فيها نعمتهم و حقدهم عليه و على من يقع بايديهم من اتباعه المؤمنين بدينه... و مما يلاحظ فى مثل هذه المواجهات ان الرسول صلى الله عليه و سلم كان فى غاية القوة و الاعتداد بعقيدة التوحيد و مبادرة الكفار بجرأة منقطعة النظير و لا بد ان يكون من بعض هذه المواجهه انه يفاجئهم و هم امام اصنامهم فى الكعبه يتحداهم و يتحدى اصنامهم و يسفه احلامهم التى لم تكن لتعصمهم عن عبادة احجار لا تضر و لا تنفع و لا تستجيب لطالب يطلب منها شيئا. «قل هو الله احد. الله الصمد. لم يلد و لم يولد. و لم يكن له كفوا احد»... الاخلاص ١/٤ [صفحة ٣٠٩] سورة الاخلاص من قصار السور ولكنها تتضمن خلاصة العقيدة الاسلاميه المتعلقة بذات الله تعالى فهو واحد احد و هو قصد الخلاق و ملاذهم و مرجعهم فى كل رجاء و طلب و انه تفرد فى ذاته فلا صاحبه له و لا ولد و انه لا احد يشبهه على الاطلاق او يماثله... فهى سورة تنزيه يسبح بها الله و يعظم و اما صفته بالصمد فانها تعنى. انه محل رجاء الخلاق كلها فى ادق حاجاتهم و أجلها... «قل اعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، و من شر غاسق اذا وقب، و من شر النفاثات فى العقد، و من شر حاسد اذا حسد». الفلق ١/٦ هذا النص يتضمن احدى المعوذتين اللتين امر الله نبيه أن يتعوذ بهما من جمهره شرور كانت سائده لدى الناس، كما ان هذا التعوذ موصى به سائر المسلمين فانه تعوذ بالله و قد جاءت صفته سبحانه و تعالى بربوبيه الفلق الذى هو الصبح فانه تزول به المخاوف و تظهر الاشياء على حقيقتها و تزول الاشباح و يرى كل بعينه سبيله و طريقه... و يتصرف هذا التعوذ الى شرور بعض المخلوقات التى تتعشق الشر و تهوى الفتنة و تألف العدوان لا سيما النهار آت بساعاته الطوال و تراحم الناس على الاعمال... و جاء فى مفردات ما يتعوذ منه «الغاسق» و هو الليل (اذا وقب) اى اشتد و صار دامس الظلمه و من تلك المفردات «النفاثات فى العقد» و المراد بهن السواحر. ذكرهن ببعض ما يلزمهن من صفات ابرزها صفة النفث فى الوجوه او الاشياء فهن يفرقن بين المرء و زوجه... و اللفظ يشمل السحرة و الساحرات... و السحر لا اصل له و انما هو محرقات و خفه يد و استدراج ولكنه اذ كان يكثر الشر فيه و المقاصد غير الشريفة فانه نظرت اليه الشريعة نظرة ارياب. و اخر مفردات التعويذه هو الحاسد يستعاذ من شر حسده فان الحساد يتمنى زوال نعمه المحسود و هو من الأم خصال اللؤماء و الغادرين الذين لا يستحون من الله و الناس... ان الله عزوجل وصى نبيه ان يستعيذ من هذه الاصناف ذات الاذى الشديد فانهم ممن لا حيله فيهم و لا منجاة منهم. «قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، اله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة و الناس». الناس ١/٦ و هذه معوذه ثانيه سميت و معها المعوذه الاولى بالمعوذتين و قد صارتا فى مكان ما كان الرقاء يرقون به المرضى و الهلعين و المرتعبين و الملسوعين تصبيرا لهم حتى يصنع لهم العلاج العضوى المادى فان للعلاج النفسى فى بدء عروض العله و ظهور بوادر المحنة الاثر النافع بفعل تقوية المعنويات التى تعين على الصبر و تدفع آفة اليأس عن الانسان من لدغ او خائف او عليل... و نص التعويذه فى السورة الكريمة يبدأ بالامر بالاستعاذه بالله رب الناس و خالق العباد الذى هو ملك الناس و الحاكم المطلق فيهم و الذى هو اله الناس و معبودهم الذى يتعبدون له... و تنصرف الاستعاذه هنا الى شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس و المراد به من كان يفعل ذلك من جن و من انس و جرى التساوى بين الجن و الانس فى مجالات الشر و الخباثت الا ان الفريقين يتكتمان فى ذلك و اكد الله هنا و فى مواقع اخرى من الذكر الحكيم ان الانس لا يقلون شرا فى هذه المسائل عن الجن و

ذاك ليقلل من اهمية الجن الذين كانت الناس تخافهم كل الخوف و ترتعد من ذكرهم و في الانس من هو اكثر شرا من الجن و ابغ حبشا و مكرا و دهاء منهم. و في هاتين المعوذتين ما يوحى بأن الباري الكريم و هو يعصم الرسول من اعدائه ايا كانوا و كيف كانوا ولكن رسله بشر معرضون لخصومة كثير من انماط الناس و اصنافهم و في المعوذتين تحذير من بغاة الشر و مقترفي الجنايات... و التعوذ من شرورهم يجعل المتعوذ في موقع من الحذر و التحوط و التربص و الدفاع عن النفس. [صفحة ٣١٠]

## تعقيب على الايات القولية

لقد تابعنا الآيات القولية التي أوحى الى النبي ان يقولها لقومه ابان العهد المكي و العهد المدني... و لقد لاحظنا كثرة عددها و تفاوت احجامها و تنوع مقاصدها و من بعض ذلك غلبة الجانب الجدلي عليها و مصارحة من خوطبوا بها من الكفار في صفة عظم كفرهم و شدة ضلالهم... و كان النبي يخرج من بيته كلما أو عز اليه ان يصارح القوم ببعض جرائمهم و كفرهم و افكهم فكان يبادر الى ذلك علانية حيثما وجد قومه و أنى التقى بهم من غير ان يخشى منهم بطشا و اساءة خطاب و قسوة كلام... ان الاوامر القولية جاوزت الثلاثمئة آية في كتاب الله و كان النبي يصدع بها واحدة فواحدة و لم يكن يكتفى بتلاوة النص القرآني الموحى به اليه و انما كان يناقش المجادلين من الكفار و المشركين نقاشا ينفق له من الوقت ما ينفق و يفرغ له من الجهد ما يفرغ لا- سيما اذ تكون الجهة المجادلة ذات عناد و تشغيب و عدم التزام بأداب الجدل و المناظرة سؤالا و جوابا... ان مهمة الرسول الاعظم محمد بن عبد الله لتتجلى خلال ثلاث و عشرين سنة في صورة صراع... و هذا الذي نجده في آيات القول قد يكون مصورا القليل من هم الرسول بقومه في مرحلته النبوية العظيمة.

## آيات التبيين

مما و كله الله الى رسوله صلى الله عليه و سلم من مهام الرسالة و وظائفها ان يبين للناس امورا جاء بها القرآن لتعلمها الناس و تقف على فحواها و محتواها... و بديهي أن مسألة التبيين هذه تتطلب في كثير من الاحيان جهدا جهيدا لا سيما حين يكون المخاطبون من ذوى العناد و بطء الفهم و اللدد في الخصومة. و فيما يلي ما هناك من آيات تضمنت ذلك... «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين»... المائدة/١٥ الخطاب هنا لاهل الكتاب و الرسول المرسل هو محمد صلى الله عليه و سلم و لاعزاز موقف الرسول اضافة الله الى نفسه. و كانت مهمة الرسول هنا ليست بالمهمة اليسيرة لانه اقبل على اهل الكتاب مصححا و مرشدا و هاديا و لم يكن اهل الكتاب بالدين يهشون لرسول يأتيهم من غير ملتهم و قد كان ما يصل اليهم من الرسل كلهم من ملتهم و من المتكلمين بلسانهم و من هنا نعلم ان مهمة النبي هذه تتطلب في شخصية الرسول ان يكون كبير الجلد و عظيم الصبر و ذا حلم و رفق و لين و تلك كلها كائنه في صلى الله عليه و سلم. «يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير و لا نذير فقد جاءكم بشير و نذير والله على كل شىء قدير»... المائدة/١٩ البشير النذير هنا هو محمد بن عبد الله النبي العربي الذي بعثه الله للعرب و العجم و لسائر اصحاب الديانات القديمة و لعبدة الاوثان و سائر ابناء البشر حيثما كانت مساكنهم. و امر كهذا الامر جد ثقيل على اهل الكتاب و لا سيما اليهود الذين لا يؤمنون الا الانبياء منهم، على أن فريقا من هؤلاء الانبياء - الذين هم منهم - أوذوا و قتلوا فكيف اذا كان النبي الذي بعث اليهم على فترة من الرسل ليس منهم... «و ما أرسلنا من رسول الا- بلسان قومه ليبين لهم فيفضل الله من يشاء و يهدى من يشاء و هو العزيز الحكيم»... ابراهيم/٤ النص عام يشمل من سبق من بعثهم الله رسلا الى اقوامهم. و رسول الله صلى الله عليه و سلم هو أحدهم ينطبق على رسالته الميثاق الذي اخذ الله اقوامهم على سائر النبيين من قبل... و بديهي ان الرسل حين يأتون اقوامهم بالعقيدة التي يصححون بها فاسد [صفحة ٣١١] المعقنات القديمة. فان امهم تواجههم بالشد و التكذيب حتى يحقق الله لنيه شيئا من النصر بالتحاق طائفة من



المؤمنين به... و في عيسى اذ ارسله الله الى بنى اسرائيل قال الله: «فآمنت طائفة من بنى اسرائيل و كفرت طائفة»... و كون لسان النبي من لسان قومه فان ذلك احدى ان يقيم جسرا من التفاهم بين النبي و بين قومه. كما ان النبي اضافة الى وحدة اللسان بينه و بين قومه فانه لابد ان يكون عائشا في اوساطهم ليكون ملما كل الالمام بعلمهم و عاداتهم و سائر حاجاتهم ليطمئنوا هم ايضا الى شخصيته و شخصيته بيته و نسبه و شىء من تاريخه. و لابد أن تكون للنبي المرسل الى قومه صلوات قرابة بأسر اولئك القوم ليجد منهم العون اذا استعان بهم. ان كلمة «اليين لهم» تتضمن مطالب كثيرة وفق وضع كل امه من تلك الامم و الا- كان هناك تفاوت بين تصور النبي و واقع قومه... «...» و أنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلمهم يتفكرون»... النحل/١٤٤ الذكر هو القرآن المبين، و كان على الرسول الا-عظم و قد ارسله الله بالذكر الحكيم أن يبين ما انزل الله فيه من شريعة و احكام فى العبادات و المعاملات و شؤون الحياة لقوم ما انذر آباؤهم من قبل و هذا التبيين ليس بالامر اليسير كما أنه ليس له سقف زمني محدد ينتهى عنده دور الرسول و انما هو متصل مترابط الحركات يستغرق وجود النبي فى قومه من يوم ابلاغه برسالة من ربه الى اليوم الذى ينسخ الله فيه شريعته بشريعة تالية و هذا ما عرف من امر الديانات القديمة التى نسخت بالاسلام... اما رساله محمد بن عبدالله صلى الله عليه و سلم فهى باقية حتى قيام الساعة لانها خاتمة الديانات و النبي الذى جاء بها خاتم الانبياء و المرسلين... «و ما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»... النحل/١٤٤ النص واضح يلزم به النبي بأن يتولى تبيان شريعته للناس هاديا و مصححا و مرشدا و مقوما للاوضاع المتباينة فى امته. و النص آت فى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد كان وفق حسن ثقة الله فيه، اذ بين الدين و اقام صرح الايمان فى المؤمنين و وحد الامة و نشر العقيدة الصحيحة فى سائر ارجاء العالم... و من ملاحظة كلمة «التبيين» نعلم عظم المهمة التى وكلها الله الى انبيائه على مختلف العصور و قد اختارهم وفق حكمته الحكيمة و تقديره السديد و حرصه المتميز و تفانيه فى اداء الواجب... مما تعد مشغولية النبي فيه مشغولية لا يحدها زمان و لا مكان...

## باب الاستماع

هذا باب واسع يمكن ان يحصى فى المواجهة و يمكن ان يحصى فى المعاناة و فيه ما يثبت به الالتقاء بين الرسول الاعظم و بين الناس و فيه ما يدل على صدق الاصغاء و على كذبه و يتمثل فيه جهد الرسول الاعظم فى مهمة الابلاغ و الجدل و المخاطبة و ما الى ذلك مما لا يقع عادة الا فى حيز واحد... ان الاستماع هو يريد القبول و الاقتناع و الوقوف على مكنون الامر ولكن طبيعة العناد فى الفئات التى تدعى الى الاسلام من المشركين رغم انها تتلذذ بالاصغاء الى كلام الله لبلاغة ادائه و حسن تفصيله و رائع حججه و بيناته فانها كانت فى الغالب بطيئة الاستجابة و ان كانت كفة الايمان قد رجحت لديها فى النهاية... ان الذين سلكوا سبيل العناد اول الامر استجاب الكثير منهم الى الرسول و كان هذا هو الدافع الذى جعل من اسلم متأخرا يستमित فى الدفاع عن الدين تصحيحا للموقف القديم و تعبيراً عن فرط القناعة لهذا [صفحة ٣١٢] الملة ذات العقيدة الصحيحة التى تقبلها الناس بعد القناعة التامة و من دون مغريات اخرى بها المؤمنون [٧٣]... فيما يلى آيات الاستماع مقرونة بما يكفيها شرحا و ايضا حا و من الله العون و الهداية. «و منهم من يستمع اليك و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و فى آذانهم و قرأ و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين»... الانعام/٢٥ الآية مسبوقة بقوله تعالى «انظر كيف كذبوا على أنفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون»... و المراد بهم جماعة المشركين فى مكة. ان هؤلاء اذ يستمعون الى الرسول و هو يتلو القرآن او يشرح الاحكام او يخاطبهم بما يجعلهم يقبلون على الدين و يصغون الى نداءه فانهم كانوا و كأنهم يسمعون و مثل هؤلاء ممن لا تصل الكلمة الى قلوبهم لا جدوى فيهم... لقد شاء الله ان يسلب هؤلاء الناس القدرة و الارادة فى قبول شىء أو رده فحكم عليهم بانه سلبهم السمع و الفهم و استيعاب ما يدور فى حلقته من الرشد و القول الحكيم بل ان القوم اذ عطل الله مداركهم عن الفهم والاستيعاب بلغوا من جهلهم و فرط بغيتهم انهم اذا جاءوك فجادلوك و امكنتهم من ان يقولوا ما يشاءون فانهم يروحون يزعمون ان ما تقوله هو من اساطير الاولين... ان ذلك يعنى

اللجوء الى الاشياء فى حين ان ما ادعوه من اساطير الاولين جدير ان تكون له قيمة مقومة ولكن المبطلين لا يملكون سندا ولا شبهة ولا حجة من الحجج على رفض ما يرفضون وانكار ما ينكرون... «و منهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم و لو كانوا لا يعقلون»... يونس/١٢٢ الكلام هنا على مشركى اهل مكة الذين كانوا يحضرون ساحة الدعوة الى الدين اذ كان النبي يكلمهم فى مسائله ومفرداته ولكنهم كانوا قد طبع الله على سمعهم فلم يكونوا يستوعبون ما يستمعون. فجاء بعد هذا النص قوله تعالى «و منهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى و لو كانوا لا يبصرون». فاذا ان العبرة بالسمع فقد ذكرهم فيه مجتمعين اما فى حالة الكلام على النظر فانه تعالى أورد الفعل فيهم مفردا ولكنه حكم عليهم جميعا بالعمى ثم حكم الله عليهم لأنهم كانوا اشد الظالمين ظلما... «ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون»... و كيف لا يكون الظلم ظلما مبينا حين يجتمع اولئك المشركون و الرسول بينهم يستمعون اليه و ينظرون فلا يقع من قوله السيد و موعظته البليغة و هدية الحكيم فى نفوسهم شىء... «نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك و اذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الـ رجلا مسحورا»... الاسراء/٤٧ يبدو من النص ان كفار مكة كانوا يعقدون فى ما بينهم حلقات يتدارسون فيها الامر الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم ليتخذوا فى صدده القرار الذى برتؤنه. ولكنهم لم يكونوا يخرجون الا بادعاء ان النبي ليس الا رجلا مسحورا و ان هذه ليست الا مقولة كانوا يقولونها منذ الهزيع الاول وفاتهم ان مقولتهم هذه لم تكن الا فراغا لا محتوى فيه... و يبدو أن القوم كانوا يواصلون الاصغاء و الاستماع الى ما كان النبي يتلوه من القرآن و هو - اى القرآن - كان واضح القصد ظاهر المعانى و الغاية المتغية فيه تحوم حول مطلب معلوم هو توحيد الله و رفض الاوثان و الاصنام و ليس فى شىء من ذلك ما يشق فهمه و يعسر ادراكه و ادعاء كون النبي مسحورا ليس الا كلاما ملقى على عواهنه و لا يصح ان يكون بعضه او كله نتيجة لما استمعوه من الرسول... و قوله تعالى «اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا [صفحة ٣١٣] مسحورا»... انما هو قول عامة القوم يومذاك... يقولونه على جهة القدح و ليس على جهة الوصف... «قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السماوات و الارض أبصر به و أسمع ما لهم من دونه من ولى و لا يشرك فى حكمه أحدا»... الكهف/٢٦ موضوع اهل الكهف لم يرد فى القرآن على وجه السرد التاريخى انما ورد للاعتبار بحدث يستحق الاعتبار لذا لم تكن هناك من اهمية لعدد من كانوا فى الكهف و لا لما مر عليهم فيه من زمن و اذ ان الله عزوجل له غيب السماوات و الارض فما ان يغيب عنه من حال اصحاب الكهف شىء... و قوله تعالى «أبصر بهم و اسمع [٧٤]» خطاب للرسول الاعظم يدعوه الى أن يعظم العلم الالهى سمعا و بصرا توكيدا للعقيدة القائلة بان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض و لا فى السماء و هو يرى و يسمع و يعلم ما تخفى الصدور... و هذا مما اراد الله ان يستقر فى فهم النبي ربه... «أسمع بهم و أبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين»... مريم/٣٨ قوله تعالى «اسمع بهم و ابصر يوم يأتوننا» هو خطاب للنبي بان يحكم لهم بقوة السمع و البصر يوم الحساب الـ كبر فما يملكون بذلك التملص من سؤال يراد منهم الاجابة عليه و كانوا فى الحياة الدنيا يتعامون عن رؤية الحقائق و يتصامون عن سماع كلمات الله استكبارا و أنفة و غرورا... «و كم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا»... مريم/٩٨ قوله تعالى «هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا»... اى انهم انقضوا كل انقراض و زالوا كل زوال بيانا بعظم بطش الله بهم. على انه لا احد من الناس يومئذ يشعر بوجودهم ولكن الله اراد ان تكون شهادة النفى هذه شاهدا بها النبي وحده لصدق شهادته و صحة قراره... «نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم الا يوما، و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا، فيذرها قاعا صمصفا، لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا»... طه ١٠٨/١٠٤ فى هذا النص استشهاد بالرسول الاعظم على ما يكون ساعة قيام الساعة من نسف الله الجبال بحيث لا يبقى بعد نسفها شىء مرتفع او منخفض و جعل النبي شاهدا على ذلك و جاء بعد هذا النص قوله تعالى «و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا». و هو كذلك يتضمن استشهادا للنبي على انه لا يسمع لهول الحشر الـ الهمس الخفيف لان الناس يومذاك تفقد طاقة التصارخ و التضجيج... «انك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين، و ما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»... النمل ٨٠/٨١ شبه الله مشركى مكة ممن لا يصل القرآن الى نفوسهم بأنهم موتى

لا- يسمعون. و للمبالغة في هدر سماعهم اذ و سمهم بالصم نفى ان يستطيع الرسول اسماع الصم اذا ولوا مدبرين على ان الصم لا يسمعون و ان لم يولوا مدبرين هذا و الدعاء لا يكون في العادة الا لمن هو بعيد و الاشارة الى ان القوم ولوا مدبرين تعنى انهم رجحوا الابتعاد عن مجال الحديث و المخاطبة بغيا منهم و عنادا، فكيف اذا ابتعدوا عن مصدر الصوت [ صفحہ ٣١٤ ] و غادروا المكان الذى يجرى فيه الحديث و ينطق فيه داعى الهدى بالكلمة الواضحة المسموعة... و اكدت الاية التالية هذا المعنى و اوضحت ان عمى القلوب لا- ينظرون و لا- يهتدون و انما يهتدى الذين يؤمنون بآيات الله و يقبلون عليها بالرضا و القناعة و القبول...«فانك لا تسمع الموتى و لا- تسمع الصم الدعاء، اذا ولوا مدبرين، و ما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»... الروم ٥٢/٥٣ اسماع الموتى لاجدوى فيه لانهم لا يملكون صنع شىء و تشبيه من لا يستجيب لدعوة الاسلام بانه من الموتى او الصم البكم تشبيه دقيق وجه الشبه فيه قائم على عدم الانتفاع بالقول يقال و الحكمة التى تعرف و الحقائق التى تكشف و الامر الذى يدعو اليه النبى قومه... و بقيه النص واضح المعنى و ما من شك فى ان ما يلقاه النبى من العناء الشديد فى حمل قوم هم فى عداد الموتى لفرط صممهم المفتعل انما هو من ثقل المعاناة و قاسى الاحتمال... [٧٥] «و ما يستوى الاحياء و لا الاموات ان الله يسمع من يشاء و ما أنت بمسمع من فى القبور»... فاطر ٢٢/ فى النص تمييز بين الاحياء و الاموات لا من ناحية التكريم و الاستحقاق بل من ناحية الاصغاء و الانتفاع بما يجرى الخطاب فى صدره... و جرى تشبيه المعاندين ممن ينصرفون عن سماع سيد الكلام و رشيدهم بمن فى القبور من الموتى تبيها من اهتدائهم و استجابتهم لكثافة الحجاب الذى يحجبهم عن تبين ذلك و استيعابه... و انما عرض النص لمسلمة ثابتة فأقامها شاهدا على ذلك.» أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى و من كان فى ضلال مبين... الزخرف/٤٠ لفرط صمم الغافلين عن سماع صوت الهدى و المنصرفين عن رؤية الحق الواضح بحيث لا علاج لهم و لأمثالهم من الكفرة و المشركين فان الله اوضح لنبه انه لن يكون له على ارشاد هؤلاء الناس من سلطان...«و منهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم و اتبعوا أهواءهم»... محمد/١٦ الكلام يدور هنا على طريق من اغبياء المنافقين كانوا يحضرون مواعظ النبى و توجيهاته و ما نزل من الشريعة فاذا خرجوا من عنده مالوا الى من كان هناك من ذوى النباهة و حسن الفهم ممن كانوا حضروا مجلس النبى يسألونهم قائلين. ماذا قال النبى آنفا و كأنهم يرون ان هؤلاء كانوا على مثل ما كانوا هم عليه من بلادة الذهن فلم يفقهوا شيئا كأنهم يشككون فى ان تكون لكلمات الرسول جدوى لدى مستمعيه. و قد عقب الله على موقف هؤلاء المنافقين بانهم طبع الله على قلوبهم و تركهم الى اهوائهم و ضلالات او هامهم... و يفهم من فحوى هذا النص ان المنافقين كانوا يؤدون دورا فى المشاكسة و التشكيك و انهم لم يكن لديهم عزم على ان يتعلموا من رسول الله ما يصححون به موقفهم و ما يزدادون به من فهم اسرار الشريعة و احكام الدين فهم العدو الخفى الذى دأبه احباط مسعى الامة الى الاستقرار و النجاح و التوفيق...«قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها و تشتكى الى الله و الله يسمع تحاور كما ان الله سميع بصير»... المجادلة/١ كانت المرأة التى راحت تجادل رسول الله فى زوجها أى تكلمه فى امر شكته من زوجها، و كان الله [ صفحہ ٣١٥ ] يسمع ما تقول هذه المرأة و ما يقوله الرسول صلى الله عليه و سلم... ان الله عزوجل كان يتابع ما يقول الناس للنبى و ما يقول النبى للناس فاذا و جب ان ينزل فى ذلك و حى فيه و حى... و يفهم من ذلك كذلك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان ذا صدر رحب بحيث كان يمكن افراد امته بأن يفضوا بما عندهم من كلام الى النبى... و قد اطال صلى الله عليه و سلم الصبر فى الانصات الى تلك المرأة المتظلمة من زوجها... و ذلك هو من معالم القيادة الرائعة حين يصغى قائد الامة الى شكاوى نساء او رجال من امته مثل هذا الاصغاء. و ما جاء فى النص من أن تلك المرأة كانت تشتكى الى الله فيه دلالة ظاهرة على ان المرأة كانت واثقة عند اقبالها على النبى، انه سيعرض شكواها الى ربه فهو رسوله المرسل من لدنه الى سائر عباده. و جاءت الايات التالية بحل المشكلة التى كانت محل شكواها الى الرسول...

من الاوامر الالهية التبليغية التي وجهها الله الى رسوله صلى الله عليه و سلم مما يطره اطار الرسالة التي بعثه الله بها الى قومه و الى سائر عباده ما يكون من التكليف فى السؤال من المشركين و اهل الكتاب و غيرهم عن مسائل و امور يلزم المسؤولون بالاجابة عليها ابتغاء اقامة الحججة عليهم... و انها لمن المهام الصعبة التي يدعو الله بها نبيه ان يواجه القوم مواجهة صريحة آخذنا فيها بهدب الجدل المنطقي... و باب «سل و اسأل» من نمط باب «و اذكر و ذكر»... «و استفتهم»... «و ائذروهم» و ما الى ذلك... و فيما يلى ما جاء فى القرآن من مفردات هذا الباب مقرونا بشيء من الشرح و التفصيل... «سل بنى اسرائيل كم آتيناكم من آية بينة و من يبدل نعمه الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب»... البقرة/٢١١ فى هذا السؤال تحد لبنى اسرائيل و استعراض لما كان قد حدث لهم و ما اتاهم الله اياه من آيات بينات... حين يأمر الله نبيه ان يسأل من هناك من اليهود عن امور من صميم تاريخهم الدينى فانما هود امتحان و فتح لباب جدل ينتهى الى افحام اليهود و انزالهم منزلة العاقين لرب العالمين... فى هذا النص امر للنبي بنمط من المواجهة لاجبار اليهود و تلك من بعض مهام النبى الملقاه على عاتقه اضافة الى كباثر المهام و صغائرها التي قام عليها امر نبوته صلى الله عليه و سلم... «و اسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم يسبتون لا تأتيتهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون»... الاعراف/١٦٣ كان من دأب اليهود حيثما كانوا أن يظهروا الحرص على التمسك بالسبت الذى يعتقدون ان العمل فيه ممنوع و اذ كان من اوضاع احدى القرى البحرية التي جاء الكلام عليها فى النص القرآنى أن يتداعى عليها السمك بكثافة ايام السبت و لا- يكون كذلك سائر الايام لسر مجهول و سبب غير معلوم فان اليهود خرقوا قاعدة الالتزام بالسبت و راحوا يصيدون السمك يوم السبت بطريقة من طرق الاحتيال و هذا ما نيزهم الله به و عاقبهم عليه و كان لا بد من ان يعرف القوم فى مكة من بعض تصرفات اليهود الذين لم يكن عددهم فى مكة كثيرا و ان كان لهم شأن و خطر كالذى كان لهم فى المدينة الا ان التعرض لهم بالاشارة الى شىء من طباعهم و غشهم لدينهم يعد موضوعا اعلاميا مهما. و لم يكن فى طوق اليهود اذ سلوا عن قصة هذه القرية أن ينكروا ما كانوا قد صنعوا... [ صفحه ٣١٦ ] «فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا- تكونن من الممترين»... يونس/٩٤- يتصور وقوع الشك لدى الرسول فى ما نزل اليه و ذلك لوضوح الدلائل الدالة على صحة ذلك فان النبى يتصل به الوحي كل حين و يبلغه كلام ربه و فى سائر لحظات حياته اليومية من هذه الدلائل الكثيرة المتكررة، و تعدد السور و الايات القرآنية من اقوى هذه الادلة و البراهين فما يقع لنبي تقوى صلته بالله يوما بعد يوم ان يصل الشك اليه و يتسلط عليه و انما جاء النص القائل «فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك» على جهة الافتراض و اسماع الناس الحقيقة بشكلها و موضوعها... و فى صنع - ان - الشرطية دليل على هذا الافتراض... اما قوله تعالى «فاسأل الذين يقرأون الكتاب» فان فيه ايقاع الحججة على اهل الكتاب ان كان سألهم النبى شيئا أم لم يسألهم و كذلك يستوى الامر فى ان يكونوا اجابوه أم لم يكونوا اجابوه... و قوله تعالى «فلا تكونن من الممترين» فانه نهى للنبي ان يمتري فى ذلك و ان لم يكن قد امتري فيه و انما هو الوحي الذى ينزل على النبى هاديا و معلما و موجها و مسددا فى خطاه فى طريق التبليغ الى الدين الحنيف... «و لقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا»... الاسراء/١٠١ يبدو ان الرسول الاعظم كان يلتقى بأحبار اهل الكتاب فيطرحهم الحديث و يسألهم سؤال احراج و تبكيث و تحد و ذلك لان اهل الكتاب مدعوون تلقائيا الى الاسلام و النبى مرسل اليهم و الى غيرهم من الامم من ذوى الديانات القديمة و من غير ذويها و فى مثل هذا النص ما يسكت اليهود خاصة عن تكذيب النصوص القرآنية النازلة فى صدد احداث و وقعت لليهود قديما و جاءت بها التوراة احيانا. «الذى خلق السماوات و الارض و ما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا»... الفرقان/٥٩ قوله تعالى «فاسأل به خبيرا» اى انه خبير فاسأله. و استعمال (الباء) بعد السؤال حرفا شبه زائد مألوف فى لغة التنزيل و ليس المراد فاسأل عنه انما اراد النص ان الله هو الذى يسأل عن كل شىء لانه الخبير بكل شىء... و معنى السؤال هنا هو الطلب من ذى خبرة بالحاجات و ليس معناه ان تسأل عن ما تجهل فيجيبك و لو أخذ بهذا المعنى هنا فلقد يكون له وجه من القول... و ليس المراد فاسأل عن الله من هو خبير بالله... «و اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أبعلنا من

دون الرحمن آلهة يعبدون... الزخرف/١٤٥ السؤال الذي يسأله النبي من الرسل السابقين الذين مضى بهم الزمن. انما هو سؤال عن الحقائق التي كانت محتوى رسالاتهم فهو سؤال افتراضى يراد به نفي ان يكون الله قد رضى ان يعبد غيره فى الارض و سؤال الرسل بعضهم بعضا امر يعرفه الرسل اذ انهم جهة واحدة ليس بينهم فواصل زمانية و مكانية... اجل انهم لا يفصل بينهم فاصل من زمان او مكان أى من حياة و ممات و قرب او بعد... اذ كان الانبياء رغم انهم بشر كوننا مستقل الشخصية، و على هذا تكون المسألة بينهم على غير ما يعرف من المسألة بين الناس. و فى حديث المعراج ما يقرب هذا المعنى الى التصور الذهنى و الحسى اذ جاء الكلام فيه على اتصال النبي صلى الله عليه و سلم بكثير من الانبياء و الرسل. و لابد ان نعلم ان الله حين يأمر رسوله بالسؤال عن امر من جماعه الرسل الاقدمين فانه عزوجل ييسر له ذلك. و الله ادرى بأحوال رسله و اسرار رسالاته... ان الله عزوجل جعل للنبي ملكة الاتصال بأسلافه من النبيين يسألهم عن مسائل من الدين و حقائق [ صفحة ٣١٧ ] من الايمان و انه صلى الله عليه و سلم سيجد منهم الجواب المطلوب و ذاك وفق علم الله الذى يعلم كل شىء فى السموات و الارض... و هناك آيات فى مادة السؤال جاءت بلفظ (و لئن سألتهم) و هى استلثة سألتها النبي القوم تلبية لامر الله اياه بالسؤال و ما اليه و انا موردوا ذلك فيما يلى: «و لئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض و نلعب قل أبالله و آياته و رسوله كنتم تستهزؤن»... التوبة/٦٥ والآية التى تسبق هذه الآية هى: «يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون»... فى هذا النص نمط من الحوار الذى يظهر فيه بوضوح ما طبع عليه القوم من لجاجه فى سوء الموقف و لؤم التصرف، و قد نبه الله رسوله الى أن يواجههم بانكشاف خبثهم و سوء تصرفهم و لبثهم على استهزاءاتهم التى تنم عن صلف فيهم قبيح و شراسة مكثفة شنيعة... «و لئن سألتهم من خلق السماوات و الارض و سخر الشمس و القمر ليقولن الله فأنى يؤفكوا» العنكبوت/٦١ يبدو من النص أن النبي صلى الله عليه و سلم يسألهم الاستلثة المحرجه فلا يجدون بدا من الاجابة عليها بما يتضمن الاعتراف بالله و كونه هو خالق هذا الكون بسماواته و أرضه و غاية النبي من توجيه السؤال هذا اليهم أن يلفت نظرهم الى بطلان عبادة الاصنام التى لم يعد لها وجود معى وجود الله و كذلك يبطل الشرك كله بهذا الاعتراف لانه ليس من المنطق و لا مما يقره العقل أن تشارك الاصنام الله فى خلق السماوات و الارض و الشمس و القمر و ما الى ذلك من مفردات هذا الكون العظيم و هى مجرد احجار من احجار الارض. «و لئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا- يعقلون». العنكبوت/٦٣ بعض خصوم الرسالة حين يمتحنون فى قدرة الله و عظم سلطانه فى ملكوته يكون فى اجاباتهم ما يدل على علم لديهم بالله حسن... «و لئن سألتهم من خلق المساوات و الارض ليقولن الله قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادنى برحمه هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون»... الزمر/٣٨ يتضمن النص مطلباً جديلاً يبدأ بسؤال القوم عن الخالق الذى خلق السماوات و الارض. كان التعقيب على ذلك بمناقشتهم فى شركهم و الكلام يحوم حول المشركين الذين يشركون بالله غير الله من معابيد باطله. أى انهم يؤمنون بالله ولكنهم لا يؤمنون بوحديته بل يشركون به آلهة اخرى و هؤلاء يتحصل من مناقشتهم ما يتم التوصل به الى ايمانهم خلافا للذين لا يؤمنون بالله اصلاً... و النقاش هنا ينصب على اثبات عجز من يتخذون أندادا لله و شركاء عن أن يقدموا او يؤخروا فى مجال الاقدار الالهية على النحو الذى جاء فى النص... و يفهم من هذا أن الرسول الاعظم كان كثيراً ما يحتك بالقو يراجعهم الحديث فى امر الشرك و فساده... يحاورهم و يسألهم و ذاك من طبيعة مهمته الكبرى. و قد تكرر مثل ذلك فى اكثر من نص قرآنى و من ذلك «و لئن سألتهم من خلق السماوات و الارض ليقولن خلقهن العزيز العليم» الزخرف/٩... و من ذلك كذلك «و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون» الزخرف/٨٧... و يفهم من هذا مال كان يتحكم فى عقولهم من البلبلة العقائدية و عدم الاستقرار مما ينسحب أثره على موقف النبي صلى الله عليه و سلم فى مواجهة ذلك... [ صفحة ٣١٨ ]

«أم تسألهم» و كذلك «و ما نسألهم» مما جاء في نفى توجيه سؤال ما الى القوم مقرونا ذلك ببعض اسباب النفى اما على وجه الحقيقة و اما على وجه التهكم و فيما يلي سرد هذه الآيات و تفصيل حالها: «و ما تسألهم عليه من أجر إن هو الا- ذكر للعالمين»... يوسف/١٠٤ أى ان ما تتعلق به مصالح الناس جميعا فهو من الخدمات ذات الصفة الانسانية العامة مما لا يتقاضى عليه شيئا من الاجر من يؤديه اذ لا- أجر من أجور الدنيا لعامل خير او متبرع بعمل محمود. و اذ كان الله عزوجل قد ارسل رسوله الى الناس فهو الذى يتولى اجره... «أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير و هو خير الرازقين»... المؤمنون/٧٢ قال الشوكاني: أم هل الامر الذى يصددهم عن الايمان بك أنهم يزعمون أنك تسألهم أجرا تأخذه على الرسالة. فتركوا الايمان بك و بما جئت به لاجل ذلك. مع أنهم يعلمون أنك لم تسألهم ذلك و لا طلبته منهم [حتى الصدقة حرمها الله تعالى على رسوله لثلا يقول القائل: انه ادعى الرسالة لتحصيل المال]... «فخراج ربك خير» اى: فرزق ربك الذى يرزقك فى الدنيا، و اجره الذى يعطيكه فى الآخرة، خير لك مما ذكر... «أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون»... الطور/٤٠ النص وارد مورد النفى عن سؤال الاجر الذى لو وقع السؤال فى صدده لوجب أن يكون هذا الاجر عظيما و جسيما لعظم الجهد الذى تنفقه فى سبيل هدايتهم و هذا ما يجعلهم يواجهون مغرما ثقيلًا لا قبل لهم به... و فى النص تسمين و تقييم لما ينهض به الرسول من عبء اصلاح القوم و من طول العناء فى هذا الوجه لذا لم يطالب رسل الله جميعا اقوامهم بشىء من أجر و مكافأة و فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم... و قد تكرر النص فى سورة القلم فى الآية السادسة و الاربعين و هو قوله تعالى «ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون»... و المعنى نفس المعنى... «و أمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للتقوى»... طه/١٣٢ النص من النصوص العقائدية التى تعلم الناس أنهم انما يقع رزقهم على الله الذى لا يسألهم رزقا و هذا معنى قد تكرر فى التنزيل لانه عرق من اعراق العقيدة و من ذلك قوله تعالى «و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق و ما أريد ان يطعمون، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين» الذاريات ٥٦/٥٨...

## باب يسألونك

فى القرآن الكريم وردت نصوص تشير الى ان النبى صلى الله عليه و سلم كان محل مراجعة الناس و استفساراتهم فى سائر امور الدين و الحياة فكان يجيبهم او يترك الامر الى الله لينزل فى ذلك من آياته ما يحل العقدة و يحز المفصل... و من ذلك «و يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس و الحج»... و منها «يسألونك ماذا ينفقون» و منها «يسألونك الناس عن الساعة و ما يدريك لعل الساعة تكون قريبا»... و منها «و يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما اوتيتم من العلم الا قليلا»... «و يسألونك عن الساعة ايان مرساها»... و بعض سؤالات القوم من خصوم الرسالة يقصد بها ابتغاء الجدل و المكابرة. «يسألونك [صفحة ٣١٩] اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة»... النساء/١٥٣ كان الناس يترددون على الرسول الاعظم ليأخذوا منه العلم، و يفرون من مشاكلهم اليه ليحل عقدها لهم و ليس كل من يفعل ذلك كان من المعاندين المنكرين الرسالة الالهية فان فيهم من آمن و حسن ايمانه... و قد جر التنبيه الى التثبت من هذه الاسئلة قبل اتصالها الى سمع الرسول «لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم»... من هذه الاسئلة يتجلى لنا ان النبى كان فى شغل شاغل من مواجهات الناس على اختلاف مشاربهم و منازعهم و ذلك امر يتطلب الجهد الفكرى المتحفظ دائما للنظر فى غرائب الاسئلة و المراجعات... «أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل و من يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل»... البقرة/١٠٨ الاسئلة التى تتوارد على الرسول الاعظم من قبل اصحابه كثيرة و دائمة. و فى النص تنبيه الى القوم بان لا تكون اسئلتهم ذات محتوى من الاجحاف و الاحراج الذى لا طائل وراءه... و قد عقب النص على ذلك بان بعض الاسئلة التى يراد طرحها على الرسول نمط مما ينتمى الى الضلال و الكفر، و ذلك ان اليهود كانوا قد اعتادوا توجيه اسئلة و طلبات ذات مستوى عقلى منخفض و غير متوازن الى انبيائهم فقد قالوا لنبيهم موسى عليه السلام «أرنا الله جهرة» و غير ذلك من المطالب و قد حذر الله المسلمين ان يعاملوا نبيهم مثل معاملته اليهود نبيهم «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا

موسى...» واذ سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون...» البقرة/١٨٦ فى النص ما يشير الى ان هناك من كان يتردد على الرسول الاعظم يسأله عن امور من الشريعة يريد أن يحيط بها علما وقد اوصى الله رسوله بالرد على تلك الاسئلة والاستفسارات و من ذلك ما ورد فى هذا النص من ان قوما سألوا الرسول عن الله أو أن اسئلة مقدرة من عادة الناس الاستفسار عنها وهذا ما نوهت به الآية الكريمة اذ جاء فيها «و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان...» و تلا ذلك توجيه الهى عقائدى للناس «فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون...» و يفهم من ذلك ان رسول الله كان فى شأن متكرر من مراجعات القوم يسألونه عن اخطر الامور و هو يجيبهم على ذلك. و يفهم من صيغة النص الوارد بقوله تعالى «و اذا سألك عبادى عنى...» ما يدل على أن الناس كانت تجد الرسول ذا دراية بشأن الله و اطلاع على كمالاته و سننه فى مخلوقاته... و أقر الله هذه الخصيصة فى النبي من الدراية بذات الله و صفاته و لذا قال «و اذا سألك عبادى عنى» و ليس هذا النوع من الاسئلة افتراضيا و ظنيا و انما هو كائن و واقع و ان من حق الناس أن يسألوا عن اشياء من صفات الله ممن هو على علم بها... و هم واجدون فى رسول الله صلى الله عليه و سلم هذا المبتغى و يعنى ذلك ثقة الناس به صلى الله عليه و سلم من هذه الناحية و غيرها و هذا ما يعظم مكانة النبي عند الله و جلالة قدره لديه... «يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس و الحج و ليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى و أتوا البيوت من أبوابها و اتقوا الله لعلكم تعلمون...» البقرة/١٨٩ من اسئلة القوم و هم على ما يبدو من اتباع النبي صلى الله عليه و سلم فى المدينة و ذاك ان الجواب انبا عن ان الاهلة هى مواقيت للحج و لسائر شؤون الناس فى حياتهم اليومية التى يعينهم منها الارتباط بالاحداث و أزمتهتها... لقد كان النبي صلى الله عليه و سلم مهيا للجابة على شتى اسئلة الناس معتمدا فى كثير من ذلك على وحى السماء و ما جاء من النصوص [صفحة ٣٢٠] القرآنية المسبوقه بلفظ «قل» معظمها مما اجاب الله عنه بوحيه الموحى به الى رسوله صلى الله عليه و سلم. و يفهم من ذلك ان الشريعة بتفاصيلها و مجمل و قائعها انما هى من الله و ليس للرسول الاعظم الا نقلها من لدن ربه الى الجهات التى يقضى الله بايصال الامور اليها... «يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلولو الدين و الاقربين و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و ما فعلوا من خير فان الله به عليم». البقرة/٢١٥ تعد الاسئلة التى يوجهها الناس الى الرسول الاعظم من بعض موارد التشريع و اسبابه التى يسميها الباحثون باسباب النزول. على ان العبرة فى هذه المسائل كما قال قال الاصوليون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب... و ذاك هو الغالب فى هذا الباب [٧٦]... والنص وارد فى مسائل من الانفاق و الصدقات مما يعد من صلب العقيدة الدينية التى قام عليها امر الملة و الشريعة... و قد جاء الجواب الالهى الموحى به الى الرسول صلى الله عليه و سلم بفصل الكلام على القصد المقصود فى اسئلة القوم و هو مما يقضى به الله و يحدده و يعلمه الرسول ليعلمه الرسول للسئلة الذين تقدموا بسؤالهم ذلك الى النبي صلى الله عليه و سلم... «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير و صد عن سبيل الله و كفر به و المسجد الحرام و اخراج أهله منه أكبر عند الله و الفتنة أكبر من القتل...» البقرة/٢١٧ المسجد الحرام مصون عن ان يقع فيه قتال لانه بيت الله و حرمة هناك حالات شبه شاذة و نادرة جرى السؤال عليها من قبل السائلين فى صدد حدوث القتال فى المسجد الحرام و قد أوحى الله الى نبيه بالجواب الصريح فى هذه المسئلة ذات الخطر الكبير... فلقد كان الجواب بان القتال فى المسجد الحرام ممكن أن يباح فى حالات دفاعية حددها النص. و أفتت بها الكلمة القرآنية و ذلك عند الكفر به و اخراج اهله منه والعدوان عليه... و بذلك كانت المصلحة الظاهرة هى الميزان الذى توزن به اعمال الناس و ذاك بتقدير الضرورات فيها بقدرها... «يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منافع للناس و اثمهما أكبر من نفعهما و يسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون...» البقرة/٢١٩ تحريم الخمر و الميسر من الامور الاساسية فى الشريعة الاسلامية و قد جاء الكلام على ذلك اثر سؤال وجه الى صاحب الرسالة صلى الله عليه و سلم... على انه لو لم يكن هناك سؤال فى هذا الصدد لافتراض السؤال افتراضا و أجيب عليه بما يقرر الحقيقة الشرعية فى هذا الشأن. و أوحى الله الى رسوله ما كان فيه الجواب التام للمسئلة من حيث ان الخمر و الميسر يحتجنان الاثم الكبير الذى جعلته الشريعة اصلا للتحريم رغم ان للناس منافع تجارية و وقتية من وراء هذين المنكرين و الاعلام القرآنى يتميز بعرض المسائل

على وجهها فلا ينكتكم في الاعلام القرآني شىء عن الناس... و كلمة الاثم الكبير في الخمر و الميسر تعلن الحرمة القاطعة لهما...»... و يسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح و لو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم». البقرة/٢٢٠ لليتامى في الاسلام حظ كبير من الرعاية و قد كثرت الآيات الباحثة في امرهم و حقوقهم كثرة ملحوظة... و كان الجواب الذى أوحى به الله الى النبي [صفحة ٣٢١] فى شأن السؤال عن اليتامى متضمنا توصيات كريمة فى صدد اصلاح اليتامى و حسن معاملتهم... و المهم فى مثل هذا السؤال و نظائره ان الهيئة الاسلامية التى اهتدت بهدى الاسلام صارت تبحث فى امور جد مهمة فى حياة المجتمع الاسلامى و مشاكله الاجتماعية... يفهم منه قوة التعليم النبوى لذلك الجيل بحيث تفتحت بصائرهم على التنقيب عن امور يقوم عليها امر صيانة المجتمع و قوة بنائه الاجتماعى...» (و يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض و لا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين)... البقرة/٢٢٢ السؤال عن المحيض و قد كان للشريعة اليهودية فيه رأى ظاهر القسوة فى معاملة النساء و اذ جرى السؤال عن المحيض علم الله نبيه الجواب الذى كان فى صفة المحيض بانه اذى منع الازواج من الوصول الى نسائهم بسببه و ليس فى الاسلام ان تكون المرأة نجسة بسبب المحيض تمنع من الاعمال البيتية و يتنجس منها اهل ذلك البيت على ما هو معهود عند اليهود. «يسألک اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة»... النساء/١٥٣ هذا السؤال لا يخرج عن دائرة اللؤم و الحقد المعروفين لدى اليهود الذين وجدوا فى ظهور الاسلام ما سوف يقضى على وجودهم و هم فى نعيم مقيم... و الكتاب الذى يريدون من النبي ان ينزله عليهم لا- يعنى الا اللغظ الذى لا طائل فيه فهم اهل كتاب هو التوراة لا يؤمنون بما سواه فماذا يريدون من الكتاب الذى سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ان ينزله من السماء و هم يعلمون على جهة القطع و اليقين ان كتابا من الله لن ينزل عليهم و لم يرد الله عليهم بنفى وقوع ذلك و ذاك على نحو ما ألفناه فى الآيات القولية التى ترد جوابا على مثل تلك الاسئلة. و انما وبخهم الله على سؤالهم الذى اعتادوا نظائره و منها أنهم سألوا موسى ان يريهم الله جهرة... و كان الله قد عاقبهم على ذلك. و سائر اسئلة اليهود الذين اطلق الله عليهم فى النص اسم اهل الكتاب لكى تعلم الناس أنهم لم يتأدبوا بأدب الكتاب و لم يتعلموا منه ما يحسنون السؤال عنه و كانوا و قد سلف القول على ذلك يضاهون كفار مكة و مشركيها فى المزعجات من الاسئلة و التحرشات...» (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات و ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم و اذكروا اسم الله عليه و اتقوا الله ان الله سريع الحساب)... المائدة/٤ فى النص كلام على احكام الصيد جوابا على سؤال القوم رسول الله عما أحلت لهم الشريعة من الطيبات. و فى كتب الفقه و الاحكام تفاصيل حول ذلك... و يفهم من استعمال صيغة «يسألونك ماذا أحل لهم» ان المسلمين كانوا يتخرجون أن يأكلوا ما كانوا يأكلون قبل الاسلام من مآكل فصاروا يسألون النبي عن ذلك و ليس النبي هو الذى يحلل و يحرم فى هذا الوجه من تلقاء نفسه انما يكل ذلك الى منزل الشريعة و هو الله عزوجل و هكذا جاء قوله تعالى «قل أحل لكم الطيبات» و هى المآكل التى تستمرئها النفس مما يعرف فى حياة الناس و ما ألقوه من طعام يتخذونه لموائدهم... و فى القرآن الكريم «فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه...» فهنا يبرز دور الذوق فى تخير الطيبات من الاطعمة...» (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا- يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى المساوات و الارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك [صفحة ٣٢٢] حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون». الاعراف/١٨٧ بعض الاسئلة التى تلقى على الرسول صلى الله عليه و سلم تكون فى غاية التعقيد و الغيبات و يبدو أن سائلى ذلك يأملون ان يجدوا لدى الرسول جوابا يوضح لهم غموض الموضوع... و ذاك بما يعلمونه من قوة قرب النبي من ربه و إطلاعه على اشاء من غيبه... و قد لقن الله نبيه نبأ الساعة بأنها من اسراره فى ملكوته لا- يطلع على امرها احدا و انما تأتى الناس على وجه المباغتة...» (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله و الرسول...». الانفال/١ الانفال هى غنائم الحرب و قد كانت مكان كلام و مراجعة بين القوم فراحوا يسألون الرسول عن ذلك فأنبأه الله فى صدد الانفال ما وجدوا فيه الجواب الكافى لسؤالهم... لوضع الامور فى نصابها و عدم اطالة الجدل حول ذلك. «و يسألونك عن الروح قل



الروح من امر ربي و ما أوتيتم من العلم الا قليلا»... الاسراء/٨٥ السؤال عن الروح ليس المراد به ما هو عرق الحياة في الاحياء لان ذلك ليس من الامور الدينية التي يسأل عنها نبي او رسول لا سيما اذ كان الذين وجهوا الى النبي هذا السؤال هم من بعض احبار اليهود الذين لا يريدون بطبيعة عقيدتهم و نظرتهم الى النبي ان يجعلوه محل الاعتماد في الاستفسار عن مسائل في مستوى عال و خطير كأمر الروح التي في ابدان الكائنات الحية... و انما كان السؤال عما تكرر ايراده في القرآن من ايراد كلمة الروح التي وردت اكثر من مرة في الذكر الحكيم «نزل به الروح الامين، على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء/١٩٣... و من ذلك «و نفخت فيه من روحي» الحجر/٢٩... «و كذلك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء» الشورى/٥٢... «فارسلنا اليها روحنا فتمثل بها لها بشرا سويا» مريم/١٧ «و كلمته القاها الى مريم و روح منه» النساء/١٧١... فانهم سألوا عن معنى هذا الحرف و مؤداه فكان الجواب ما ذكره القرآن الكريم «قل الروح من امر ربي و ما أوتيتم من العلم الا قليلا» الاسراء/٨٥... اى ان الله يعلم من اسرار مكنوناته مالا- يبلغ اليه علمهم و بذلك لا- يكون من المتيسر لهم فهم الجواب لو أجبوا به مفصلا و ذاك لافتقادهم ادوات المعرفة و فقدان المشاركة البيانية في استيعاب الاشياء، و كثيرا ما رد القرآن على السائلين فريقا من اسئلتهم «لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم» المائدة/١٠١... و كأن النص الذى جاء جوابا على سؤالهم ظاهر فيه ما يشبه الاسكات عن الخوض في هذه المسائل لانها من صميم خصوصيات الخالق. اذ ان ما يعد من خصوصيات الذات الالهية و ان عرض ذلك في الخطابات القرآنية فانه لا يكشف للناس اذ لو كشف ذلك للناس لتهدت الاسرار الالهية فصارت مما يلهج به العوام... والاسرار الالهية لا يحيط بشيء منها الا رسول او ملك مقرب من الملائكة المقربين... و ثابت في الاساليب العلمية و الادبية و التشريعية انها تتفاوت في الافصاح عن محتواها فان الاستنباط سيضعف والاجتهاد سينقطع والراسخون في العلم سيظنون كتبهم و يلقون اقلامهم... و فى النص مما يتعلق بشخصية الرسول الاعظم انه كان يجد فى الناس من يهوى التحرش و يتعشق المماحكة و يعمل على احراج النبي باستفساراته التي لا يريد بها الحصول على المعرفة بل اثاره اللغظ فى البيئه. و ابتغاء الفتنة فى ما لا طائل فيه. و كان ذلك دأب اليهود و دينهم... «و يسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا»... الكهف/٨٣ [صفحة ٣٢٣] اخبار ذى القرنين على ما يبدو كانت مما يتناقله الناس فى مجالسهم تناقلا تضارب الكلام و تناقضه و كان السؤال عنه من الرسول دالا على اعتقاد القوم ان الله يجيب على سؤالهم على ما صار معتادا لديهم من أن الاسئلة التي تلقى الى الرسول يجيب عليها... و قد شرح الله امر ذى القرنين شرحا كافيا اذ لقن نبيه بشيء من سيره ذى القرنين و ذكر الاحداث المتصلة بحياته. و يبدو أن سبب السؤال هو الظن الذى يجول فى اذهان اناس منهم فى أن لدى القرنين سهما فى النبوة و يومئذ الى ذلك الاستجابة القرآنية لهذا السؤال اذ لو كان ذو القرنين مجرد ملك لكان غير ذلك. [٧٧]. «و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا»... طه/١٠٥ وقع السؤال الى النبي عن الجبال التي تقوم على انحاء من الارض ما مصيرها اذا قامت الساعة و هو من الاسئلة التي تدل على متابعة حسنة من قبل جماعة المؤمنين لمفردات العقيدة و قد أوحى الله الى رسوله بالجواب الذى هو «فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له، و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا»... فكان السؤال مفصيا الى شرح احداث الساعة و احوال يوم القيامة مما يعد من صلب المعتقد الدينى فى الاسلام و مما ازداد به المؤمنون علما بأحداث الآخرة التي تبدأ بعد نهاية هذا العالم... «يسألوك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة تكون ريبا»... الاحزاب/٦٣ هذا السؤال احد الاسئلة المتكررة و قد جاء الجواب عليه يتضمن المعنى الوحيد على مثل هذه الامثلة المتكررة و بمقتضى البلاغة القرآنية ترد ألفاظ الجواب و عباراته ذات نمط بلاغى جميل لا يخرج فى عموم معناه عن الاجابات القرآنية فى مثل هذه المسائل. و لم يكن الرسول الاعظم فى الرد على هذه الاسئلة يقرأ عليهم ما سبق مما هو مماثل لاسئلة الناس عن الساعة لان تعدد الصيغ القرآنية هو جوهر البلاغة القرآنية... «يسألونك عن الساعة ايان مرساها. فيم انت من ذكراها. الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها. كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها». النازعات ٤٦/٤٢ يتكرر سؤال الناس عن الساعة و يتكرر الجواب على هذا اللون من الاسئلة بأساليب بلاغية رهيبة التعبير و كلها تنتهى بالاشارة

الى أن امر الساعة امر يختص بعلم الله وحده... ويبدو أن الذين يوجهون الى النبي مثل هذا السؤال هم من قبائل شتى و من انماط من الناس كثيرين من سكان مكة و المدينة و غيرها... و الساعة موضوع لم يقع الطروق اليه في الكتب القديمة بالشكل الذي وقع الكلام عليه في النصوص القرآنية و صيغة السؤال عن الساعة ليس فيها مما يحدد نوعية السائلين. فقد يكونون من ذوى الشأن في القوم و قد تؤيد نصوص الآيات هذا المعنى الى حد ما.

## باب قلت و تقول

من فعاليات النبي و مهمات تحركاته في مجال الدعوة الى الاسلام ما تعقبه النص فاشار اليه في مثل كلمة « و قلت » و كذلك ما جاء من ذلك من كلمة « و تقول » و هنا نصوص و آيات في هذا الباب تأتي عليها بشيء من الشرح اليسير... « و لا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا- أجد أحملكم عليه تولوا و أعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون »... التوبة/٩٢ [ صفحہ ٣٢٤ ] النص مسبوق بقوله تعالى « ليس على الضعفاء و لا على المرضى و لا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج. اذا نصحو الله و رسوله ما على المحسنين من سبيل و الله غفور رحيم »... كان الراغبون في الجهاد في سبيل الله قد راجع فريق منهم النبي ليعدهم لعدو القتال و لم يكن لدى النبي ابان ذلك من عدو القتال شيء لذا واجههم بقوله « لا أجد ما أحملكم عليه ». و قد رجعوا تذرّف عيونهم الدمع الغزير لعدم استطاعتهم اداء مهمة الجهاد. على أنهم بمقتضى النص مرفوع عنهم الحرج و الامر الذي يريدونه واقع لهم عند الله بسبب صدق نيتهم في الجهاد... « و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا- سحر مبين »... هود/٧ قوله تعالى « و لئن قلت - هنا - لا يعنى القولة الواحدة بل يعنى ان ذلك مما يتكرر من قوله في تذكير القوم بأنهم سيبعثون بعد موتهم لان مثل هذا التذكير يعد من الاسس الاعتقادية التي جاء التأكيد عليها في القرآن الكريم اكثر من مرة و كانت من بعض ما ينكره المشركون و غيرهم... و قد اوردنا هذا النص في ايات المواجهة التي كان المشركون يواجهون النبي خلال جدالهم بالادعاء بما يحلوا لهم الادعاء به من ان النبي ساحر أو شاعر... « اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين ». آل عمران/١٢٤ في النص متابعه لبعض المواقف النبوية التي كان النبي يخاطب خلالها من يخاطب من الناس... و هنا خطابه صلى الله عليه و سلم للمؤمنين اذ كان في خطابه ما يشير الى العون الالهى الذي اعانهم الله به بما أمدهم به من ملائكة كانوا معهم في ساحة القتال. و كان ذلك في موقعة بدر... و الرسول اذ يقول ذلك انما يقوله من موقع قيادي عسكري اذ كانت قيادته صلى الله عليه و سلم متوزعة على اكثر من امر و عظمى و قضائي و عسكري و غير ذلك... « و يقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول و الله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم و توكل على الله و كفى بالله و كيانا »... النساء/٨١ في النص ما يصف القول الذي يقوله النبي بأنه واجب الطاعة لا يجوز التفريط فيه و لا التقصير في أداء ما يترتب عليه من الاوامر و النواهي. و الموضوع هنا وارد في قوم كانوا لا يتأثمون من عصيان ما يقوله النبي و قد امره الله أن لا- يعبا بهم فان مثل ذلك من مشهود ما يقع للرسول من بعض اتباعهم. و الاتكال على الله أجدى من الاتكال على هؤلاء الناس... « و اذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه »... الاحزاب/٣٧ في هذا النص متابعه لاحداث وقعت لرسول الله في المدينة تتعلق بالغاء احكام كانت تترتب على التبنى وفق عادة الجاهلية و قد تم شرح ذلك في هذا الكتاب في مكانه. و كان الله قد امر النبي بأن يتزوج زينب بنت جحش زوجة متبناه زيد و يعد ذلك في العرف الجاهلي تحركا غير مألوف بسبب مخالفته لعرف قديم متأصل في تقاليد البيئة العربية... لقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يخاطب زيدا برفق كبير وفق ما هناك من ادب المواساة و التلطف في القول... و يفهم من ذلك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان على جانب من الالتزام بهذا النمط من السلوك المهدب في مخاطبة الناس. و كذلك قوله تعالى « و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه » فيه ما يدل على أن النبي لم يكن يواجه المجتمع بما يخالف العنعات الاجتماعية المتوارثة و هو مما يدل على أن النبي لم يكن [ صفحہ ٣٢٥ ] يستخف بالناس في ما كانوا رسموه لانفسهم من سلوك

اجتماعى متفق عليه... و انما كان يراودهم على تغييره او تصحيحه بلطف و حسن مخاطبة. «قل لا اقول لكم عندى خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم انى ملك...» الانعام/٥٠ لم يكن للنبي صلى الله عليه و سلم ادعاء بالملك و لا ادعاء بانه ذو اموال طائلة و خزائن هائلة و لا- كان قد واجه الناس يزعم لهم انه يعلم الغيب و لا نفى البشرية عن نفسه بادعاء أنه ملك و قد أمره الله ان يصارح الناس بهذه الحقائق فكان هذا النص آتيا بهذه المصاححة. و فى تلك الأزمنة كان اغراء الناس بالاقبال على ذى دعوة يدعيها أن يتبعوه اذا لمح لهم بانه ذو مال و ذو قوة و ذو اقتدار. ولكن النبي لبث متمسكا بدعوته النقية بانه رسول للناس من رب العالمين من غير ادعاء ملك و عصبه و إمرة.

## باب قومك

وردت فى القرآن الكريم نصوص مما خاطب الله به نبيه مقرونا هذا الخطاب بذكر النبي منسوباً اليه قومه. و فى تضاعيف هذه النصوص مطالب فى غاية الأهمية القرآنية التى تبرز من خلالها شخصيته صلى الله عليه و سلم مما نحن فى صدد الكشف عنه و الوصول اليه. و فيما يلى هذه الآيات و النصوص... «و كذب به قومك و هو الحق قل لست عليكم بوكيل»... الانعام/٦٦ رسالة الرسول الاعظم رسالة عامة الى سائر عباد الله ولكنه من الامر الطبيعى أن تكون هناك فئة تنقل هذه الرسالة الى سائر آفاق العالم. اذ لا يتسنى للنبي أن يواجه الناس جميعا فى شتى انحاء الارض و على ذلك امره الله فى البدء أن ينذر عشيرته الاقربين فلما تم للدين أن يجد أعوانا من العرب صار نقله الى سائر الامم مسألة منوطه بمسلمة العرب... و فى باحة اللقاء بين النبي و قومه من اجل دعوتهم الى الدين الحنيف كانت هناك ظروف من اللقاء و المواجهة أشار إليها القرآن الكريم و هى ظروف مشحنة بالتكذيب و الانكار و المقاومة الشديدة و الرفض القاطع... و بديهى أن سياسة الدعوة التى التزم بها النبي فى أخذ قومه الى الاسلام انما كانت سياسة لين و اخذ بهذب الاناة و النقاش الهادى، و الآية تشير الى أن قوم النبي المراد بهم العرب هنا و المكيون منهم بوجه أخص... «تلك من أبناء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت و لا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين»... هود/٤٩ نشأ النبي فى بيئة لا دراية لها تامه برسالات الرسل و لا- المام عندها بفحوى ما جاءوا به من شرائع و ذاك لان القوم كانوا و ثنين يعبدون الاوثان و لم يكن كهنتهم يوصلون اليهم شيئا من المعلومات التى يلم بها اهل الكتب السماوية. بل ان اولئك الكهنة انفسهم كانوا على جهل بذلك... و انما تكونت لدى النبي صلى الله عليه و سلم ثقافة مكتملة بهذه الامور من طريق الوحي بعد نزوله. و كذلك كان الامر الذى يتعلق بثقافة العرب المسلمين... و مسألة أمية النبي لم تكن قاصرة على كونه لا يقرأ و لا يكتب بل كانت كذلك تتناول فراغ ساحته الثقافية مما امتلأت به بمثل هذه الانباء بعد المبعث النبوى... «و انه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون»... الزخرف/٤٤ قوله تعالى «ذكر لك و لقومك» أى مجد و شرف و مجال مباحة و اعتزاز... قال فى صفوة البيان لمعانى القرآن [و انه لذكر لك و قومك] أى ان ما أوحى اليك و هو القرآن لشرف عظيم لك و لقومك أى للعرب عامة و فيهم قريش «و سوف تسألون» يوم القيامة عنه. و عن القيام بحقه... [صفحة ٣٢٦] أجل لقد كان النبي و هو يحمل ثقل مهمة الدعوة الدينية يشعر بأن ذلك و ان كان تكليفا شاقا انما هو محل ثقة الله به اذ ناط اليه الامر العظيم. و كون القرآن ذكرا لقومه العرب انما يعنى ان هذه الامم ستولى بكل حرص و اخلاص وجد حمل الدين الى سائر سكان الارض... حقا انه لشرف جد عظيم... و قوله تعالى «و سوف تسألون» اى سوف تسالون عن موقفكم من تقبل هذا الشرف الذى شرفكم الله به و هذه المنزلة التى أنزلكم الله فى اعلى منازلها... لقد كان العرب الذين حملوا رساله الاسلام الى العالم اول الفتح جديرين بالتقدير و الاعجاب من سائر كتبه التاريخ المنصفين... اذ كانت سيرتهم فى البلاد المفتوحة سيرة شريفة و قبيلة اذ لم يتعرضوا لاموال الناس و لا سحروا بجمال النساء فى البلاد المفتوحة و لا لجأوا الى التعسف و الاضطهاد و اكتناز الاموال و البغى على الناس بغير الحق. «و لما ضرب ابن مريم مثلا- اذا قومك منه يصدون»... الزخرف/٥٧ يظهر من النص المكى ان القوم فى مكة تكلموا على المسيح فكان ذلك مثيرا فى وسط متكلميهم انكار ان يكون المسيح الها ذاك ان العرب عبدوا الاوثان و ما اليها ولكنهم لم يعبدوا

البشر و هذا ما حال دون استطاعة الروم تنصير الجزيرة العربية... و رغم محاولاتهم المتكررة ببعث البعث و نشر الاديرة باستعمال المغريات... و ما جاء فى النص من قوله تعالى «و قالوا أألھتنا خير أم هو» يريدون به تفضيل معايدهم على عبادة كائن بشرى انى كان... اى انهم لم يتطرقوا الى ذلك ابتغاء ان يجدوا من يقنعهم بذلك او يخوض معهم فى حديث تلك الالوهية البشرية و انما هم قوم ألقوا الجدل و النقاش و على ضوء ذلك يتكلمون فى الامر الذى يوقنون به اولا يوقنون. و انما ولج القوم فى هذا المأزق من حديث المعتقدات لغرض نفى ميلهم الى الاعتقاد بالوهية أحد من البشر. و ذاك اذ وجدوا الاسلام يتكلم على سيرة المسيح بما ظنوه يفيد التركية و اعلاء المكانة... اى ان قومك عندما جرى الحديث على المسيح وقفوا موقفا حديا فى معارضة له اذ كانت الحركة التنصيرية ما تزال تتحرك فى سائر الجهات... و صحح الله اذهان القوم فى المسيح اذ قال فيه «إن هو الا عبد أنعمنا عليه و جعلناه مثلا لبنى اسرائيل» فحدد بذلك مهمة المسيح و أنه ليس الا من انبياء بنى اسرائيل الذين ارسلهم الله اليهم [٧٨] ليصحح المعتقدات اليهودية و هذا ما يعد اكمالا للناموس و من هذه الناحية جعلت النصرانية دينا ذا شخصية مستقلة رغم ارتباط المسيحية بالعهد القديم و كونها تعتمد على هذا الأصل... ان الرومان اعتنقوا المسيحية ليتخذوا منها خيمه يخيمون بها على العالم و هكذا تم لهم الكثير مما ارادوا حتى جاء الاسلام فطوى صفحاتهم الى حين...

## باب هل أتاك

تعنى كلمة «أتى» فى نصوص هذا الباب معنى بلغ. و قوله تعالى «هل أتاك حديث موسى. اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى» اى هل بلغك... و مفردات هذا الباب تعد من المسائل التى ثقف الله بها نبيه. و قوله تعالى «و هل أتاك» يعنى ان مثل هذه المعلومات تعد ذات اهمية فى مجموعة المعلومات التى توفر للنبي قدرا ثقافيا فى سيرة الاقدمين من الرسل و غيرهم... و فى النص كذلك ما يومية الى مكانة الحقيقة فى مثل هذه الانباء الجديرة بأن تلتفت اليها الانظار و الافكار لما فيها من دواعى العجب فى سيرة الرسل و الانبياء و سنسرد ما جاء من النصوص مبدوءا بهذه الصيغة... [صفحة ٣٢٧] «و هل أتاك حديث موسى. اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى أنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى»... طه ١٢/٩ اذ كان موسى عليه السلام قد قتل - و هو فى مصر - رجلا من القوم فترك مصر على اثر ذلك و جاء الى مدين حيث يقيم شعيب عليه السلام و هو نبي عربى و قبائل مدين قبائل عربية فأواه شعيب و زوجه بنته و اثر ذلك ابلغ الله موسى برسالته فعاد الى مصر ليصدع بالامر الالهى سمع فرعون... فى هذه السيرة معلومات تتعلق بظروف ابتلى بها الله احد انبيائه و هو موسى عليه السلام. و الامر جدير بان يكون فى اطار معرفة النبي اذ تناول حقائق كمبيرة الاهمية يلم بها من يتابع قراءة الآى القرآنى الذى سرده بكل تفصيل و دقة... «و هل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط و اهدنا الى سواء الصراط»... ص ٢٢/٢١ فى النص ما يتعرض لحادث وقع لداود عليه السلام من قوم ارادوا الاساءة اليه و لكنهم خيب الله سعيهم فى ذاك و افشل خطتهم الاثمة فلقد تسور على داود قصره رجلان زعما انهما جاءا ليتقاضيا عند داود فى خصومة وقعت بينهما، و الاصل فى التقاضى ان يكون من طرق مشروعته و مألوفة و ليس من الصعود الى اسوار القصور و اذ أنجى الله داود من مكيدة دبرت له فانه سجد لله شاكرًا حمايته و نجاته «و ظن داود انما فتناه فاستغفر ربه و خر راكعا و أناب» ص ٢٤/... فى القصة لفت لانظار النبي صلى الله عليه و سلم الى ان داود و هو نبي ذو قوة و حجابته كان غرضا لخصوم كانوا يبيتون له الغدر و المكاييد... و فى ذلك ايضا للنبي بأن الانبياء جميعا هم عرضة لمثل ذلك و ليس النبي وحده هو المههدد بخصومة الخصوم و عداوة الاعداء و كيد الكائدين... و لما فى قصة داود من غرابة فقد جاء النص بعبارة «و هل أتاك نبأ الخصم» اى ان ذلك مما يحسن ان يصل الى علمه صلى الله عليه و سلم. «هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون، فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين، فقر به اليهم قال ألا تأكلون، فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف و بشره بغلام عليهم، فاقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها و قالت عجوز عقيم، قالوا كذلك قال

ربك انه هو الحكيم العليم... الذاريات ٣٠/٢٤ فى النص كلام على جانب سيرة ابراهيم عليه السلام و هو يستقبل ضيفا و كان على جارى اشتهاره باكرام الضيوف قد جلب لهم مائدة كاملة امعانا فى حسن استقبالهم ولكن ظهر ان فى الامر سرا انكشف لابراهيم خلال ذلك و المعلومات الواردة فى حديث ضيف ابراهيم حرى ان تكون من بعض معارف النبى اذ جاء فى ذات القصة ان امرأه ابراهيم و قد اقبلت و هى محفوفة بنساء لهن ضجة و عجيح على ظهر الطريق و هذا معنى قوله تعالى «و اقبلت امرأته فى صرة»، اما قوله تعالى «فصكت وجهها و قالت عجوز عقيم» انها عندما سمعت بالبشرى التى بشر بها ابراهيم بانه سيولد له ولد لطمت وجهها لطمه خفيفة على جارى عادة النساء عند الشعوب عندما يسمعن قاله مثل هذه القالة تعبيراً عن الانكار و فرط التعجب أى كيف يكون هذا و انا عجوز طاعنة فى السن... «هل أتاك حديث موسى. اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب الى فرعون طغى». النازعات ١٧/١٥ فى النص كلام على بدء رساله موسى الى فرعون. فان موسى عليه السلام و ان كان قد نشأ فى قصر فرعون و فى حجر اهله و ذاك معروف تاريخيا فانه لم يكن يملك الجرأة التى تمكنه من مواجهة فرعون و هو فى دست [صفحة ٣٢٨] حكمه بالكلمة التى تفعل فعلها فى نفس فرعون، غير ان موسى عليه السلام حين قضى نحوا من عشر سنين فى مضارب مدين العربية اكتسب اقتدارا و جرأة جريئة على الوقوف مثل هذا الموقف من فرعون و غيره... فان الله عزوجل اذا اراد امرا هيا اسبابه. هكذا زود الله نبيه موسى من خلال الواقعية فى الحياة بما أهله المواجهة ملك مصر دون خوف او وجل... و مثل هذه المعلومات من الجدير ان يكون لرسول الله صلى الله عليه و سلم اطلاع عليها... «هل أتاك حديث الجنود، فرعون و ثمود». البروج ١٧/١٨ ذكر الجنود هنا مشار فيه الى قوة الجهة المتحدث فى شأنها فان الله كبت هؤلاء القوم كبتا و خذلهم خذلانا و لم يكن منكروا نبوة رسول الله صلى الله عليه و سلم اقوى من اولئك الذين لم تنفعهم قوتهم الظاهرة فى مواجهة اقدار الله... لقد كان الفراعنة مشهورين ببناء الاهرام كما كانت ثمود مشهورة بنحت البيوت فى الجبال و قد قرن الله بين فرعون و ثمود من هذه الناحية بقوله تعالى «و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد و فرعون ذى الاوتاد» اشارة الى هذا النمط من الاقتدار و كان ذلك هو الجامع بينهم... «هل أتاك حديث الغاشية، وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين آنية، ليس لهم طعام الا من ضريع، لا يسمن و لا يغنى من جوع»... الغاشية ٧/١ قال فى صفوة البيان [٧٩] فى تأويل ذلك انه [اهل اتاك استفهام أريد به التعجب من حديث القيامة و التشويق الى استماعه]... و يبدو أن شيئا من احوال يوم القيامة ماصح منها و ما لم يصح كان يدور فى اذهان الناس يومذاك لذا سماه الله حديثا... و حديث الغاشية حديث مكتظ بالاهوال و ما ترتعد له الفرائص من اخبار العقوبات التى انزلها الله بالعصاة. ان الترغيب و الترهيب امران لهما اثرهما الاعلامى الفعال فى نفوس الناس و ليست الشرائع السماوية وحدها هى التى تلجأ الى ذلك بل ان قوانين التربية اعتمدت من قديم الزمان على الحوافز و العقوبات فى اصلاح الاحم و درء الفساد... و حديث الغاشية قائم على هذا الاصل... النصوص القرآنية التى أوردنا ما اوردنا عليها من الكلام آنفا يتعلق بعضها بالمعنويات و بعضها بمسائل من سير الانبياء اشعارا بان ذلك مما تتم به معارف النبى صلى الله عليه و سلم و يشتد بها عزمه غير ان آية قرآنية واحدة وردت بذات الاسلوب اوردت موضوع التقاء بين النبى و بين فئة ذكرها الله باسمها مما يعد من بعض وقائع السيرة النبوية فى العهد المدنى و ذاك فى قوله تعالى «و لا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم» التوبة/٩٢... الالتقاء هنا التقاء واقعى اذ جاء قوم يريدون السلاح ليشاركوا فى الجهاد فبين لهم النبى انه ليس بين يديه من ذلك شىء فعادوا ليكون لحرمانهم من الاشتراك فى الجهاد فى سبيل الله [٨٠]... [صفحة ٣٢٩]

### باب استعد بالله

وصى الله عزوجل نبيه بالاستعاذة به من الشيطان اشعارا بان الشيطان عظيم الخبث و دقيق المكيدة و ان الله هو الملاذ الذى يلوذ به عباده المؤمنون من همزات الشياطين و ان الله عزوجل هو الملاذ الحصين لللائذين به من المؤمنين و ان الشيطان لما طبع عليه من اشاعة الشر و نشر الفساد و ايغار صدور الناس بالعداوة و البغضاء و لانه - اى الشيطان - شر مطلق لا تفسر همزاته بارادة الخير بحال من

الاحوال فلذلك وصى الله نبيه ان يتسعيد من الشيطان به و في ذلك توجيه لسائر المؤمنين بان يستعيدوا بالله من الشيطان فاذا خطر في بال احدهم خاطر مما يمت الى ذلك تذكروا فاذا هم مبصرون... و فيما يلي بعض نصوص الاستعاذة... «و إما ينزغنك من الشيطان نزع فاستعد بالله انه سميع عليم»... الاعراف/٢٠٠ و وصف الله نفسه بهذا النص بانه سميع عليم لتركيز الثقة و اقرار الاطمئنان في النفوس التي تريد لتتقوى بسلاح يعصمها من الشيطان. و في النص توصية بوجوب المبادرة الى الاستعاذة بالله عند عروض اى بادرة من بوادر النزغ الشيطاني... و بديهى ان الشيطان لا- يدعو الى الخير فلذلك لا- مجال الى الاطمئنان لشيء من نزغاته و همزاته و بذلك لا يملك الفرصة لاقرار ما يريد في نفوس المؤمنين الذين يبادرون على الاستعاذة بالله من شره... «فاذا قرأت القرآن فاستعد بالله من الشيطان الرجيم»... النحل/٩٨ قراءة القرآن مصدر اهتداء بهدى القرآن و مبعث استنارة بنور القرآن و اذا رأى الشيطان من يقبل على قراءة القرآن فانه سيعمد الى تشييطه و صرفه عن ذلك بمشاغلته بالخواطر و الوسوس و سائر ما يشغل الانسان عن المضى فى عمل يريد عمله و بذلك فالاستعاذة من الشيطان الرجيم قد وقعت فى موقعها الذى يفوت عنده الفرصة على الشيطان فلا يملك ان يصنع شيئاً يشوش به المتسكك و يثبط به المتعبد... «ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اُتاهم إن فى صدورهم الاكبر ما هم بالغيه فاستعد بالله انه هو السميع البصير»... المؤمن/٥٦ كذلك تكون الاستعاذة من شرار الناس و طغاتهم و من طبع منهم على العدوان و اقتراف الشر فانهم لا يعدون من جنود ابليس و من رهط الشيطان... «و اما ينزغنك من الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم»... فصلت/١٣٦ تولى الله رسوله بالرعاية و الحماية كان منها الاكثار من تحذيره من نزغ الشيطان ليكون شديد التنبه الى دور هذا الكائن الجهنمي فى افساد الناس و اضلال العباد. ان مثل هذه التحذيرات القرآنية تهدي الى ان تكون كفة الخير فى الناس هى الراجحة. و فى نصوص الاستعاذة ما يدل على ما كان يتمتع به رسول الله صلى الله عليه و سلم من مقاومة عالية لسائر المغريات مادق منها و ما جل فكان بذلك رسول الله دعامة هذا الدين و عمود التوفيق للنصر الذى أتمه الله لهذا النبى العظيم...

## باب الشاهد و الشهيد

الشاهد و الشهيد فى معنى واحد هو أن يكون مطلعاً على امر وقع على علم منه كأن يكون رآه أو سمعه. و منه قوله تعالى «و لا يضار كاتب و لا شهيد...» البقرة/٢٨٢. و الشهادة فى هذا المعنى واردة فى القرآن الكريم فى مثله قوله تعالى «و لا- تكتموا الشهادة و من يكتمها فانه آثم قلبه» البقرة/٢٨٣... و ترد كلمة الشهيد فى معنى الاشراف و شدة النفوذ و قوة التأثير و من ذلك «و جئنا بك على هؤلاء شهيدا» النساء/٤١... و من معانيها الاقرار [صفحة ٣٣٠] و الاعتراف و من هنا كانت الشهادة عند الفقهاء و القضاء، بمقام اليمين فمن قال اشهد فكانما اقسم يمينا... و قوله تعالى «اننكم لتشهدون أن مع الله الهة اخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد و اننى برىء مما تشركون» الانعام/١٦. اى ارفض الاعتراف بهذه العقيدة... و الشهادة بمعنى الحضور و الرؤية فى مثل «اشهدوا خلقهم» الزخرف/١٩... و فى مثل «ما اشهدتهم خلق السماوات و الارض» الكهف/٥١... و الشهادة كذلك بمعنى القيمومه و الرقابة و منه قوله تعالى «انا ارسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً» الفتح/٨ اى فيما و ذا حضور و رقابة. و فيما يلي ما اخترناه من الايات القرآنية فى هذا الباب... «و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا...» البقرة/١٤٣ والنص هنا يركى الامة الاسلامية التى وصفها بانها امة وسطا لكى تفيض على سائر الامم و الشعوب مما اصابها من الهدى و الصلاح و يكون التوجيه فى ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه و سلم بما يعلمهم به و يهديهم اليه و قد ثبت تاريخياً ان هذه الامة المراد بها الامة العربية كانت على هذا الحد من الوصف اذ هدت شعوب العالم الى دين الله الحنيف الذى مازال قائماً و راسخاً فى نفوس المؤمنين... ان قيمومة الامة هذه لا تنقطع و انما هى مستمرة الى قيام الساعة... و كذلك جاء فى آية الحج الثامنة و السبعين و هى سورة مدنية قوله تعالى «و جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم و ما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة ابيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل و فى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم

النصير... و النص هنا يوضح قصد الشهادة التي جعلها الله للامة على الناس و هي مهمة هداية و اصلاح و ارشاد مستديم الى ابد الزمان... «ان الله لا يظلم مثقال ذرة و ان تلك حسنة يضاعفها و يؤت من لده اجر عظيمًا، فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا، يومئذ يود الذين كفروا و عصوا الرسول لو تسوى بهم الارض و لا- يكتُمون الله حديثًا... النساء ٤٠/٤١/٤٢ المراد بهذا الاشهاد و الشهادة هو ما يكون لكل امة يوم القيامة من شأن في الشهادة على وصول الدين اليها و التزامها به اذ يحضر الله انبياءها و رسلها ليدلوا بشهادتهم في انهم اعلّموا الناس طاعة الله و نهوهم عن معصيته و لان الرسول الاعظم كان خاتم الانبياء فانه كان صاحب الشهادة العظمى في هذا الامر، اذ اراد الله ان يزكى شهادة الرسل و يكون للنبي في ذلك ما يكون من حضور و انما جاء النص بهذا توكيدا لدور الرسول صلى الله عليه و سلم يوم القيامة و في هذا كذلك دلالة على ما خص الله به نبيه من ديمومة وجوده في امته حيا و ميتا و في عالم الدنيا و الآخرة... و النص مدني و قد جاء في معناه نص اخر مكى هو قوله تعالى «و يوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين» النحل/٨٩... فهما نصان الى معنى واحد. «قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى و بينكم و أوحى الى هذا القرآن لانذرکم به و من بلغ أنکم لتشهدون أن مع الله آلهة اخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد و اننى برىء مما تشركون...» الانعام/١٩ يشير هذا النص الى مجابته جدلية عنيفة كانت بين النبي و بين كفار قومه و كان موقف النبي جديا غاية الجدية و صريحا كل الصراحة في انه يرفض الشرك مهما كان من اصرار المشركين عليه و لا تسامح و لا لين و لا [صفحة ٣٣١] مهادة صغرت او كبرت من النبي لقومه في هذا الامر و كان هذا مما ادى الى تقديم موقف القوم لشدة تمسك النبي بالعبودية التي صدع بها في اوساطهم فكان ذلك من اسباب دخولهم في دين الله افواجا اذ كان صبر النبي على ما لقيه منهم من اذى و عدوان مضرب المثل في الصمود و الحرص على امانة نبيغ بما بعثه الله به و ما اوحاه الله اليه صلى الله عليه و سلم... «و ما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر و ما كنت من الشاهدين»... القصص/٤٤ نفى ان يكون النبي صلى الله عليه و سلم شاهدا الاحداث التي عاشها موسى عليه السلام و انما كان وصولها الى رسول الله بوحى الله و مثل هذا النص فى القصد و المعنى قوله تعالى «و ما كنت ثاويا فى اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين» القصص/٤٥... اى ما كنت تتنقل بين هذه الانحاء تنقلا جسديا لتأتى باخبارها و تتحدث باحداثها ولكن الله اطلعك على ذلك و علمك منه ما لم تكن تعلم... «يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا، و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا»... الاحزاب ٤٥/٤٦ فى النص تعداد لجمهرة من واجبات الرسالة و مهماتها و قد ذكرها الله عزوجل مجتمعة فى مقدمتها انه سمي النبي شاهدا و اتبع ذلك بان سماه مبشرا و نذيرا و داعيا الى الله. انها هى مهام التبليغ الالهى للشريعة و ختم النص بقوله «و سراجا منيرا» هو لقب تكريمى جعل الله به للنبي قدرا عاليا ملازما لذاته الشريفة الى اخر ايام الدهر و لحظات الزمان... و تكرر القول على ان الله ارسل محمدا شاهدا و مبشرا و نذيرا فى سورة الفتح الاية الثامنة «انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا»... و جاء تلو النص «لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزروه و توفروه و تسبحوه بكرة و اصيلا» فى التنويه بما كان من اكثر ذلك فى الامة. مما استوجب ان تلهج الامة فى جميع ادوارها بذكر الرسول مقرونا بالتوقير و التكريم و الاجلال و الاكبار... «إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا...» المزمل/١٥ المراد بكون الرسول شاهدا عليهم انه يتولى الاشراف الكلى عليهم لبيان قوة الاحاطة و شمولية الاشراف و الرقابة. و فى الآية تحذير للقوم من معصية الله و الرسول... فان فرعون بمعصيته للرسول عرض نفسه لبطش الله به و تنكيه الشديد... ان آيات الشهادة و نصوصها تعد من الثواب المتممة لآيات الوحي فى التنزيل... باب (المن الالهى برسالة الرسول) تعنى كلمة (المن) غاية التفضل على منعم عليه بنعم تستحق الشكران و اللهج بتقدير الجميل و قد تحتوى كلمة (المن) على سرد لحسنات و مكارم و أعطيات و خير كثير و عون كبير يراد بسردها بيان عظمة المنعم و بالغ رعايته على من أنعم عليه و كذلك لبيان موقع من اصابته هذه النعم و جلالة قدره و رفعة مقامه بحيث استأهل تلك النعم التي جعلها الله محل المنة و ايراد الذكر لتكون محل الاعتبار و الثناء و الاعتراف بما لها من عظيم الاهمية و جليل الشأن... و الغالب فى هذا المقام ان تكون المنن الالهية التي يمن الله بها على عباده

مننا لا- تثنى لغلائها بثنى ولا- توزن لثقلها بميزان وقوله تعالى «لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا- من أنفسهم...» آل عمران/١٦٤... بأن ذلك كان من الله عزوجل عطاء لا يكافأ بشكر و نعمة لا توازي بثناء و لو كان ذلك الشكر و هذا الثناء ملء اقطار الارض و ملء ما احاطها او احاط بها من سمائها... لم يقع أن من الله على أمم سلفت بما ارسله اليها من نبي و رسول ولكن ذلك كان خاصا برسول الله محمد [صفحة ٣٣٢] بن عبدالله وحده و الامر جدير أن يعد من أمارات قدسية النبي المعلنة اكثر من مرة بأكثر من نص قرآنى كريم... و فيما يلى بعض آيات «المن» نوجز الكلام عليها. اذ ان الاطالة فى الكلام عليها لا حد لها و هى حقا جديرة أن لا يكون لها حد...«لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين»... آل عمران /١٦٤ الرسالات السماوية اذ يختار الله لها من يختار من الرسول ليتولوا نقلها الى أممهم و لكى يبلغوا فحوها و محتواها اممهم و اقوامهم انما هى مما يمن الله به على الرسل و على من يرسلون اليهم و انما يكون ذلك منا على الرسل لانهم يكونون بذلك محل ثقة الله و موضع اعتماده و مناط التكليف الالهى و ليس مثل ذلك بالامر الهين اليسير «قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده و ما كان لنا أن تأتیکم بسلطان الا باذن الله و على الله فليتوكل المؤمنون» ابراهيم/١١... اما من يمن الله عليهم من الناس بارسال الرسل اليهم فانما يكون المن كائنا بفعل ما يصيبهم من صلاح الاحوال و الاهتداء الى الدين القيم و العبادة الحقة التى لا شرك فيها و لا زيغ عن محجة التوحيد و فى القرآن الكريم «لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا- من انفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين». فهذا المن من على الامة اذ الامة كلها ممنون عليها بمبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم ولكن الله خص فئة المؤمنين بهذا المن لانها فئة كسبت الكثير من الخير و اصابت من حقائق الشريعة ما اصابت و نالت من نور الهداية ما نالت فكان فى مخاطبتها باعلان المن عليها ما يعد من المن التى يتصل بها الواقع من جميع أطرافه... و فى المن على المؤمنين برسالة الرسول الاعظم ما يعد تكريما لشخصية الرسول و بيانا بأنه يصلح ان يكون محلا للمن على الامة فانه صلى الله عليه و سلم لو لم يكن ذا مكانة عظيمة عند ربه بحيث اختاره لرسالته لما ذكر اسمه فى النص فى مقام المنه على الناس لا سيما مؤمنهم و كان حجم هذه المنه كبيرا جدا على المؤمنين لانهم و صلوا الى الايمان بعد أن كانوا على ما جاء فى النص «فى ضلال مبين»... لقد وصف النبي هنا بأنه بعث يعلم الناس الكتاب و الحكمة و يأخذ بهم الى عالم من التزكية نقى طاهر... و نسبة التزكية الى الرسول يأخذ الناس اليها او يأخذها اليهم امر يدل على عظم مكانة هذا النبي و عظم المهمة التى و كلها الله اليه. و لقد كان صلى الله عليه و سلم حقيقا بهذه السمات و الصفات و ما وراءها من تشريف و تكليف... ان معنى المن بهذا النص انما هو المباهاة و اعلان التفضل بما يستوجب ذلك و يستأهله، و ما يباهى الله بالامر البسيط انما يباهى بالامر الجليل و كذلك كانت هذه المباهاة التى جاءت بلفظ المن، و قد جاء طرف من هذا النص فى سورة الجمعة الآية الثانية اذ قال عز من قائل «هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين»... اذ جاء فيه تعليم الكتاب و الحكمة و التزكية فى مقابلة وضع يعد تصحيحه غير سهل و لاهين و ذاك هو كون القوم أميين». «يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين»... الحجرات/١٧ الذين يمنون على النبي بأنهم اسلموا كانوا يريدون جعل النبي فى موضع المنه و هم فى موضع التفضل فى [صفحة ٣٣٣] حين أن اعتناق احد الاسلام انما يعنى انه اكتب شيئا خرج به من الظلمات الى النور فالكسب هو كسبه فان لم يحمد من سعى فى هدايته فليس له أن يمن عليه بها. و قوله تعالى: «بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين» يعنى عدم القطع بصحة ايمانهم و بذلك يكون معنى الاسلام فى اول هذا الكلام متضمنا الاستسلام و الخنوع و التظاهر بالطاعة و قوله تعالى: «بل الله يمن عليكم» يعنى ان المن فى وصول الايمان الى قلب الكافر انما هو لله الذى يهدى الى دينه من يشاء... فقد بات من حقائق الدين أن الاهتداء اليه انما هو من توفيق الله و من تسديده و هدايته...«و ان لك لأجرا غير ممنون»... القلم/٣ كان من اوائل ما اشترك فيه الرسل فى اسلوب مخاطبة اممهم أنهم قالوا لهم بلسان واحد انهم لا يطالبون احدا بأجر و انما يكون اجرهم على ربهم... و فى هذا النص بيان



خوطف به الرسول لان له عند ربه اجرا لا- يمن به عليه اى لا يقل ولا يسترجع منه شىء ولا يذكر به دائما على وجه التفضل تنويها بأن هذا الاجر حق ثابت له لعظم ماأداه من خدمات جليئة فيها من طاعة الله ما فيها و من اصلاح امر الامة و اخراجها من الظلمات الى النور و بذل الجهد الجهد في هذا الوجه ما هو ثابت و جدير بالاجر و التقييم [٨١]. و قد جاء هذا النص ضمن كلمات قرآنية كريمة أحيط النبي منها بكل تعظيم و تكريم و ذاك هو قوله تعالى: «ن و القلم و ما يسطرون. ما انت بنعمة ربك بمجنون. و ان لك لاجرا غير ممنون. و انك لعلى خلق عظيم»

### فى باب جاءك... جاءوك

فى مجىء اناس الى رسول الله لامر ما اشغال للرسول و استخدام لبعض وقته فى امور تعينهم بالدرجة الاولى و يكثر الذين يراجعون النبي فى مسائل متعددة و قضايا كثيرة تشغل من وقته صلى الله عليه و سلم ما قد يكون طويلا. و يعد تردد هؤلاء عليه عاملا مستوجبا أن يتخذ الرسول فى شأن ذلك موقفا محدد...ان هذه المراجعات و المجيئات هى من بعض ما يدخل ضمن الوظائف النبوية التى ناطها الله برسوله صلى الله عليه و سلم و قد يكون فريق منها حاصل ابا و وجود النبي فى بيته نائما و خلال وقت من اوقات راحته أو عند استقباله بعض ضيوفه و الوفود القادمين عليه او كان مشغولا بتدبير أمور البيتة او كان عاكفا على صلاته و تلاوته و فى احاديث له مع نسائه و كذلك يقع هذا فى طريقه الى [٨٢] غزوة ما او سفرة من سفراته. و قد يكون النبي صلى الله عليه و سلم فى احدى حالات استقباله الوحي و هو فى بيته [٨٣]... و فيما يلى تنويه بهذه المجيئات نسردها تباعا مع شرح ما يستوجب شرحه...«فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا و توفيقا، أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم و عظهم و قل لهم فى انفسهم قولا- بليغا». النساء/٦٢... [ صفحة ٣٣٤ ] فى النص اشارة الى بعض اللقاءات ذات الاحراج و المواقف الساخنة. مما يفهم منه ان النبي كان يتعرض لمواقف تتطلب التصرف الحكيم الذى كان الرسول يملك منه الكثير... و من المواقف ذات الاحراج و الطبيعة الخاصة ما جاء فى قوله تعالى «و من الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتهم هذا فخذوه و ان لم تؤتوه فاحذروا و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي و لهم فى الآخرة عذاب عظيم، سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم و ان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا و ان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين» المائدة ٤٢/٤١... ففى النص تفاصيل يتضح بها ما لهذا اللقاء بين الرسول و بين القوم من شأن خطير و قد جعل الله لرسوله - هنا - حق الاختيار و التصرف فى هذه المقابلة و انها حقا يشهد فيها الهم و تتكثف فيها الحيرة و ينبغى فيها من الصبر و التحلم مالا يتهيأ لسائر الناس ولكن الرسول صلى الله عليه و سلم كان على قسط عظيم من التوفيق و التمكين فى مثل هذه المواقف... لقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قمة فى الحكمة و الرشاد و ضبط النفس و السيطرة على الساحة و إجمام الخصوم بالكلمة. المقنعة يستوى فى ذلك كلتا حالتى الحكم بينهم و الاعراض عنهم...«و ما أرسلنا من رسول الا ليطاع ياذن الله و لو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا»... النساء/٦٤ الكلام هنا فى امر معلوم وقع للقوم على عهد رسول الله، فكان فى ايراده بعض العتاب و اللوم و الوعظ و التوجيه، و لا- يقاس امر آخرين من الناس عليه. لا فى ذات الزمن و لا بعده. و من اجل ذلك لا ينسحب النص على مجىء قوم الى رسول الله فى مثل هذا المعنى بعد وفاته صلى الله عليه و سلم. و ذاك لانعدام المطابقة التامة على اركان الكلام شكلا و موضوعا...«و منهم من يستمع اليك و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و فى آذانهم وقرا و ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذ جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين»... الانعام/٢٥ ان مجىء امثال هؤلاء الى الرسول لمجادلته انما هو مجىء من يحمل الازعاج و التنغيص و اسباب الفتنة. و كان الرسول صلى الله عليه و سلم ابدا عرضة لاستقبال من هم على هذه الشاكلة من ذوى اللدد فى الخصومة و الشراسة فى الخطاب و الزوغان عن محجة الانصاف فى المناقشة... و النص يعد كذلك من

نصوص المعاناة...«و اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فإنه غفور رحيم»... الانعام/٥٤ هذه الآية من بعض آيات الالتقاء بين الرسول و بين رجال من ابناء الامة - و هم هنا - ممن ظهرت عليهم أمارات التوبة و اللياذ بطاعة الله و قد علم الله نبيه في هذا المقام كيف يستقبل اولئك التائبين بما يقر في نفوسهم الطمأنينة الى لطف الله بهم و عظيم رعايته اياهم... و جاء في النص شىء من مبادئ التوبة فى الملة فان للتوبة ضوابط اذا لم يقع الالتزام بها فلا توبة هناك...«يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئا و لا يسرقن و لا يزينين و لا يقتلن اولادهن و لا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن و أرجلهن [صفحة ٣٣٥] و لا يعصينك فى معروف فبائعهن و استغفر لهن الله ان الله غفور رحيم»... الممتحنة/١٢ مجيء المؤمنات الى الرسول صلى الله عليه و سلم لمبايعته بما يبائعه عليه من التمسك بشعائر الاسلام و تسجيل العهد على انفسهن بأن لا يخالفن اوامر الله و لا يقترفن شيئا من معاصيه... ان قدوم هذا الفريق من نساء المؤمنات الى النبى فيه موقف ولأء و فيه صورة ايمان و فيه حضور لنساء الامة بين يدي الرسول و ذاك مما يعبر عن ان الشريعة لم تغفل المرأة فى مسؤوليتها تجاه بناء الكيان الاسلامى... و قد قال الله فى مخاطبته فى هذا الامر «فبائعهن و استغفر لهن الله»...«لم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه و يتناجون بالاثم و العدوان و معصية الرسول و اذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله و يقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير»... المجادلة/٨ فى النص بيان لغاية ما يكون عليه القبح فى تعامل بعض الناس ممن كانوا يجيئون النبى اذ لا يحسنون التحية التى هى من بعض محاسن الاداب. ان الالتقاء بأمثال هؤلاء الناس هو من بعض ما تتوخاه مهام الرسالة و مطالب النبوة و فى احتمال الرسول الاعظم الصبر على مثل هذه المزعجات دليل الاقتدار العظيم الذى يمتلكه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سائر المجالات...«اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و الله يعلم انك لرسوله و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون»... المنافقون/١ المنافقون فته ظاهرها فى ما تتظاهر به هو الاسلام الا انها اخفت نفاقها و واقع عقيدتها فلم تكن معروفة لاحد...«لا- تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين» التوبة/١٠١... غير ان الامر فى معاملتهم و عند وجودهم مع المسلمين كان يعتمد على كثير من الحذر و الثبوت و لذلك وصى الله نبيه ان يحذرهم «هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون» المنافقون/٤... و قد تصل ابناء فريق منهم الى النبى اذ يكتشفهم من يراهم مع العدو «و اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون» البقرة/١٤... و بوجود هذه الفئة فى بيئة المسلمين فان النبى قد وهب الله ملكة الحذر العظيم و النباهة الخارقة فى حال اجتماعه بالناس اذ لا ينكشف ثمة سر و لا يعلن خفى امر لا يراد ايصاله الى عدو الا بالتحوط التام. و النص القرآنى جعل للمنافقين اكثر من سمة فى هيئاتهم و فى حديثهم بحيث كان القرآن يفضحهم و يكشف عن هوياتهم و يبدو أن المنافقين كانوا كثيرين و كانت كثرتهم من بعض اسباب لفت الانظار اليهم والارتباب منهم.

## باب العجل الالهي

«و ما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه و ان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله و ما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم». البقرة/١٤٣ لقد كان فى امر القبلة و ما كان من تحويلها شىء من اختبار المؤمنين فهى فى الحقيقة من اخطر المهام التى نهض النبى بها اول مجيئه الى المدينة و قد اوردنا فى هذا الموضوع ما يصح به الاكتفاء...«و لو شاء الله ما اشركوا و ما جعلناك عليهم حفيظا و ما انت عليهم بوكيل»... الانعام/١٠٧ نفى جعل النبى على القوم حفيظا بعد النص على ان الله لو شاء لما اشرك المشركون يفهم منه تحديد اختصاصات النبى و أنه صلى الله عليه و سلم لا تتعدى عليه مسؤوليات لم يشأ الله مساءلته فى شأنها... و يقوى هذا المعنى ما جاء فى اخر النص «و ما أنت عليهم بوكيل»... [صفحة ٣٣٦] «تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار و يجعل لك قصورا»... الفرقان/١٠ يفهم من هذا النص و هو صريح الدلالة على ما جاء فيه. ان النبى صلى الله عليه و سلم يكن ذا ممتلكات و اموال و اطيان و قصور ينعم منها بالحياة الرغيدة و ينفق منها على الاعوان و المرادين

شأن من يفعل ذلك من ذوى الغنى و اليسار و الطول و هذا يعنى ان النبى لو كان كذلك و آمن له الناس لقال قائلون انه اشترى ضمائر الناس و عقولهم بامواله و لقال قوم انه نشر الاسلام بسيفه. و لا- موقع للسيف فى اىصال الاسلام الى قلوب من اسلم من الناس...» ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون...» الجاثية/١٨ الشريعة التى جاءت الاشارة اليها فى هذا النص انما هى شريعة مجعولة من الله لرسوله ينشرها فى الناس و هو أمور من الله بالالتزام بها و اتباعها و الحرص على ما فيها و الزياد عنها و الوقوف فى وجه خصومها و تقع عليه مسئولية حمايتها بكل ما يملك من اقتدار على ذلك. والتعبير القرآنى هنا بأن الله جعل نبيه على شريعة من الامور هو ذات التعابير القرآنية الاخرى التى تشير الى أن الله اوحى الى عبده ما أوحى و انه ارسله الى عباده كما ارسل النبيين من قبل و انه جعله بشيرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه... ان تعدد هذه العبارات التى يخبر بها الله عن نبوة نبيه يعد من بعض اساليب البلاغة فى التنزيل العزيز... فى استعمال «جعل» كقوله تعالى «ثم جعلناك على شريعة من الامر» ما يرمى الى ان جعل النبى فى هذا الموقع النبوى انما هو جعل الهى لا يد النبى فيه فكأن ذلك من بعض الامر الواقع الذى لا محيد عنه و لا مناص والله أعلم حيث يجعل رسالته...

### الكلام على كلمة حفيظ

نفت الشريعة أن تكون على النبى تباعه قائمه تلزمه بتحمل مسؤوليات كفر الناس و عنادهم و عدم ايمانهم... و فيما يلى الآيات التى تشير الى ذلك...» «من يطع الرسول فقد أطاع الله و من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا»... النساء/٨٠ ان اطاعة الرسول انما كانت من رغبة من شاء اطاعة الله اما من تولى فقد تولى بوزره و لا مسئولية نعلق برسول الله فى هذا التولى اى ان الله عزوجل لم يسجل على نبيه مثل هذه الامور فى سجل الفشل و عدم التوفيق و يفهم من ذلك ان ايمان من آمن لم يكن بفعل استعمال القوة و جر الناس الى الايمان جرا...» «و لو شاء الله ما أشركوا و ما جعلناك عليهم حفيظا...»... الانعام/١٠٧ النص ينفى وقوع أنه مسئولية على النبى فى شرك قوم او ايمانهم و فى رفضهم الايمان و امتناعهم عن اعتناق الاسلام. «و ما جعلناك عليهم حفيظا» لان النبى لم يجعله الله حفيظا على الناس و انما هو رسول يدعو الى الله فمن آمن فقد اهتدى...» «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها و ما أنا عليكم بحفيظ»... الانعام/١٠٤ النص واضح فى بيان مسئولية من يؤمن و من يكفر فقد وصف المؤمن بانه مبصر و وصف من لم يؤمن بانه اعمى والبصر والعمى يجعلان تصرف كل من البصير والاعمى قائما على مسئولية ذاتية لا يحمل عليها احد و لا يكره و جاء نفى ان يكون النبى حفيظا على اولئك الناس او رقبيا او وكيلا او مهيمنا من طريق ان النبى هو الذى يقول ذلك «و ما أنا عليكم بحفيظ» و ما مر من الآيات فى هذا المعنى كان نفى ان يكون النبى حفيظا على الناس قد جاء منسوباً الى أن الله هو الذى لم يجعله حفيظا على الناس... [ صفحہ ٣٣٧ ] «فان عرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا»... الشورى/٤٨ اعراض الناس عن الاستجابة لدعوة الله اياهم الى الايمان هو من شأن الناس و لا تنسب الى النبى أية تبعه تقصير فى هذا الاعراض. لان الله لم يجعل النبى حفيظا على العباد و يفهم من هذا ان النبى كان آخذا ببذل كل جهد ممكن لحث الناس على الايمان و التعلق بالشريعة التى جاء بها من الله. و اذ كان ذلك معلوما عند الله فلا تباعه على النبى فى اعراض الناس عن الاستجابة له... و قد علمنا من جهد النبى الذى بذله فى دعوة الناس الى الله ما دل على فرط حرص النبى على هذه الدعوة و على ما عاناه من عناء يشيب لهوله الولدان...

### باب انك ميت و انهم ميتون

الموت حالة تعقب حياة الاحياء يستوى بالاذعان له سائر الكائنات التى تتمتع بالحياة من بشر و حيوانات و نباتات على تفاوت فى اعمار الحياة التى تحياها تلك الكائنات... و لذلك لا مجال لاستثناء احد من بنى البشر و غيرهم من الموت... و فى الموت الذى تصيب مصيبتة الانسان يعرف بوضوح ان الانسان ليس الها... و النبى صلى الله عليه و سلم و سائر الرسل المقربين من ربهم مر بهم

ملك الموت فغادروا هذه الدنيا تاركين للبشرية ما جاءوها به من الشرائع والقيم والتعاليم الرشيدة وتاركين وراءهم من اتباعهم من يستمسكون بتعاليم اولئك الرسل لان موت نبي او رسول لا يعنى انتهاء حكم شريعته وهذا ما اشار اليه النص القرآني «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين» آل عمران/١٤٤... فانا نرى في هذا النص ما يؤيد ان الشرائع لا تموت بموت الرسل والنبيين و من ظن ذلك فهو فاسد الظن لان الشرائع من الخير الذي لا يزول و مما ينفع الناس فيمكث في الارض... و أن رسل الله حري ان تكون لهم مكانة عالية في التاريخ و في نفوس من آمن بهم و من تلقى هذا الايمان و ورثه من ابنائهم و ذرياتهم... على ان الموت ليس عقابا و لا انتقاما و لا هدرًا للحياة و لا- الغاء لوجود الانسان و انما هو انتقال من عالم الى عالم اذ ستعود الحياة الى موتى الاحياء و سيلقى اخيار الناس و صلحائهم الجزاء الاوفى من لطف الله و احسانه، و يلقي الظالمون ما يستحقون من عادل العقاب على ظلمهم و عدوانهم و عصيانهم و مساوئهم و على هذا قام امر هذا الوجود الكوني و لا يعلم الساعة الا رب الساعة «و يسألونك عن الساعة ايان مرساها. فيم انت من ذكراها. الى ربك منتهاها» النازعات ٤٣/٤٤... و هناك آيات قرآنية في هذا المعنى منها قوله تعالى: «انك ميت و انهم ميتون». الزمر/٣٠ أى انك و سائر عباد الله مقدر عليهم الموت. و أعظم الادلة على الوهية الاله و ربوبية الرب هو أمر الامائة والاحياء و ان كان كل شىء في هذا الملكوت الواسع الارجاع له دلالة على وجود الله عزوجل و قوة سلطانه [٨٤]... «و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون»... الانبياء/٣٤ و هذا نص فيه تعميم لسريان الموت على الجميع... ان رسالات الرسل ليست من الحاجات الآنية لان فيها امر بناء الاعم و اصلاح الناس. و كان قوم يظنون رسالة السماء وضعا موضوعا لا يقوم على دستور الهى [صفحة ٣٣٨] مرسوم. و في القرآن الكريم فى الكلام على يوسف عليه السلام «حتى اذا هلك قتلتم لن يبعث الله من بعده رسولا»... المؤمن/غافر/٣٤ و انما قطعت رسالات السماء الى رسل من البشر بعد مجيء رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم اذ وحدث رسالته سائر شعوب العالم كما انها كانت شريعة شاملة لجميع حاجات الناس فى حياتهم الدنيا و الاخرى...

## باب توكل على الله

التوكل هو الاعتماد و عقد الرجاء على العون المعين عند ارادة المضى فى أمر يتطلب هذا العون. و كان النبي صلى الله عليه و سلم مؤهلا بكل الاقتدارات الشخصية التى زوده الله بها يوم بعثه نبيا و رسولا الى الناس... و كانت آيات فى التوكل على الله قد وردت فى القرآن الكريم مخاطبا بها رسول الله سنأتى على ذكرها و شرحها فى هذا الفصل... «... و شاورهم فى الامر فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين»... آل عمران/١٥٩ فى النص توكيد لاهمية المشاورة التى من طبيعتها فى الغالب أن تتداعى عليها عقول و افكار كثيرة فلقد أمر النبي بأن يستشير من معه من المؤمنين فاذا اخذ النبي بالرأى الذى يراه صائبا و وجد انه جدير بالتحقيق فعزم على ذلك فليتوكل على الله و ليمض فى وجهته تلك... و يفهم من ذلك ان التوكل على الله فى امر يراد حسمه ان يكون مسبوقا بالتبصر و حسن الاعداد و معقولية القصد... ففى قوله تعالى «ان الله يحب المتوكلين» تشجيع على التوكل على الله وحث عليه فهو مظهر من مظاهر الايمان الصحيح و صرف لذوى القدرة عن الاغترار بهذه القدرة و مثل هذا النص يعد من التعاليم الاخلاقية العالية... «و يقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول و الله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا»... النساء/٨١ الموقف هنا موقف تكاد تتعرض فيه الجبهة النبوية هنا لخصومة ذريعة يفيد مواجهتها التوكل على الله كل الفائدة. و قوله تعالى «فأعرض عنهم» اى لا- تورط نفسك بالاعتماد على اقتداراتك بل توكل على الله فانه خير من تتوكل عليه فى احباط كيد الكائدين و مكر الماكرين لانه يعلم بكل ما يكيدون و بكل ما يمكرون... «و ان جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله انه هو السميع العليم»... الانفال/٦١ حين يجنح الخصوم الى السلم و قد يخفى سبب هذا الجنوح فان على النبي ان لا يشكك فيه بل عليه ان يقره و يرتضيه و فى هذه الحالة عليه ان يتوكل على الله لان الله عزوجل اعلم بخفايا الامور. فالتوكل هنا مبعث للاطمئنان الى النتائج و مصدر

من مصادر الثقة بالقرار المتخذ في ذلك. ان التوكل هنا يمنح النبي قوة ثقةً بسلامة الموقف المتخذ من قبله... «و الله غيب السماوات و الارض و اليه يرجع الامر كله فاعبده و توكل عليه و ما ربك بغافل عما تعملون»... هود/١٢٣ التنويه بأن الله غيب السماوات و الارض في بدء النص و الإشارة في خاتمته الى أن الله غير غافل عن اعمال الناس يدل على ان المقام هو مقام التوكل و ان الموقف هو موقف العبادة و التعلق بالخالق العظيم فان الجو ملبد بين النبي و قومه بفتن رهيبه كثيرة... و قد سبق هذا النص بما يوضح بعض ظروفه و ذاك في قوله تعالى «و قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتكم انا عاملون... و انتظروا انا منتظرون». [صفحة ٣٣٩] «و توكل على الحي الذي لا يموت و سبح بحمده و كفى به بذنوب عباده خبيراً»... الفرقان/٥٨ فكان التوكل على الله في هذا المكان فيه من معنى الانابة الى الله و اللجوء اليه و الميل الى كنف الرحمة الالهية هو المراد في هذا النص. و لم يكن النبي غافلاً عن ذلك ولكن التوجيهات الالهية تظل تتكرر على سماعه صلى الله عليه و سلم لتعلم الامه أن ذلك هو هدى الدين و منهج التقوى و صلاح أحوال الناس... «و توكل على العزيز الرحيم»... الشعراء/٢١٧ هذا النص مسبوق بقوله تعالى «فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون» و بذلك كانت الدعوة الى التوكل على الله مما يتطلبه الموقف... و ما جاء في تضعيف النص من أن الله يرى النبي يتقلب في الساجدين و انه يراه حين يقوم الى الصلاة يرسم للتوكل على الله صورة رجاء واضح المعالم يتبينه النبي فى الاتكال على الله. فان الله اذ يكون محيطاً كل الاحاطة باحوال عبده ثم اذا دعاه الى التوكل عليه فان ذلك لهو مبعث ثقة تامه فى جدوى هذا التوكل و قوة الاطمئنان اليه... «فتوكل على الله انك على الحق المبين»... النمل/٧٩ النص يسبقه قوله تعالى «ان ربك يقضى بينهم بحكمه و هو العزيز العليم»... ان خير ضروب التوكل على الله ما يقترن بالقناعة بسلامة الموقف و رشاد الخطه و قصد السبيل و هذا ما هو كائن فى هذه الكلمه القرآنيه الحكيمه... «و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً، و توكل على الله و كفى بالله و كياً»... الاحزاب ٣/٢ ان تكرار الامر الالهى الموجه الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى موضوع التوكل على الله فيه من تطمين النبي الى انه ما توكل على الله كائن الا- كان فى كنف الله يرعاه و يحميه و يصرف عنه السوء. و يفهم من ذلك ان رسول الله كان لا يتحرك حركه و لا ينبس بينت شفه الا- كان فى ذلك كله متوكلاً على ربه... «و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع اذاهم و توكل على الله و كفى بالله و كياً»... الاحزاب/٤٨ الوقوف فى وجه الكافرين و المنافقين و رفض طاعتهم مع فرط اذاهم امر ليس بالهين. و فى مثله يكون التوكل على الله الذى يتولى عن النبي التصرف فى شأن امثال هؤلاء الناس. و قوله تعالى «ودع اذاهم» اى و لا تقصده للانتقام منهم و اخذهم بما تملك من معاقبتهم بل دع ذلك لله... ان التوكل على الله خلق ايمانى لجأ اليه الانبياء و الرسل و المؤمنون من قديم الزمان لانهم يعلمون انه لا- و زر من هموم الدنيا و بغى الاشرار و ظلم الظالمين الا- فى الفرار الى الله و الاحتماء بكنفه والاتكال عليه و يفهم من الآيات القرآنيه الواردة فى الحث على الاتكال على الله أن ما يحيط بالنبي و ما يحشده خصومه ضده يعد من الخطوب التى لا تطاق و كان عليه صلى الله عليه و سلم ان يتحمل ذلك...

### باب آية الميثاق

وردت كلمه الميثاق فى القرآن الكريم عند التنويه بما اخذه الله على الانبياء من عهد أزمهم بمقتضاه بنشر الدين و الحث على وحدانية الله و الدعوة الى طاعته و عبادته لان فى كلمه الميثاق من قوة الازمام و الالتزام ما قد لا يقع فى غيرها و ورد اخذ الميثاق من الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم فى الايه السابعة من سورة الاحزاب اذ جاء النص قائلاً «و اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم [صفحة ٣٤٠] و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً، ليسأل الصادقين عن صدقهم و اعد للكافرين عذاباً أليماً»... فالنص هنا واضح على ان جميع الانبياء مشمولون بهذا الميثاق و جاء فى النص لا على وجه الحصر بل على وجه التمثيل ذكر عدد من رسل الله ممن اخذ ميثاقهم و ذكر اسم النبي مقدماً عليهم فى قوله تعالى «و منك و من نوح و ابراهيم»... قال الشوكانى [٨٥] و تقديم ذكر نبينا صلى الله عليه و سلم مع تأخر زمانه فيه من التشريف له و التعظيم ما لا يخفى... ان النبي صلى الله عليه و سلم لم

يكن بدعا من الانبياء و الرسل و انما كان له مالهم و عليه ما عليهم و لذلك عدد الله في موضوع الميثاق عددا سماهم بأسمائهم و كان صلى الله عليه و سلم فيهم كما أن النص ذكر ان الميثاق أخذ من نبين اخرين لم تذكر اسمائهم و في ذكر الميثاق دلالة على قوة الوحي و ان اى نبي يبعثه الله الى امه من الامم لا خيرة له من امره و انما عليه ان يلبي امر الله و يصدع بالتبليغ بما اراده الله فى الرسالات السماوية لا خيار للرسول فيها فهم على حد ما جاء فى النص القرآنى «ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم»...

## باب فصاحة اللسان و عروبه

هذه الجارحة الرائعة التى كانت من خير ما من به الله على الانسان اذ يعبر بها عن مكونات نفسه و يقول ما يريد... لقد كان اللسان اصلا اصيلا و سلاحا عظيما لدى سائر رسل الله الى عباده و حين شعر موسى عليه السلام ان اخاه هرون هو افصح منه لسانا رجا من ربه ان يكون مع موسى فى مواجهة فرعون... و قوله تعالى «و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم...» ابراهيم/٤... دليل على هذه الحقيقة فان الانبياء كانوا يبعثون الى اقوامهم بلغات اقوامهم فلا يكون بين انبيائهم و بينهم من حاجر اذا ما عصوهم و كذبوهم و كانت فصاحة لسان نبيه محمد صلى الله عليه و سلم فصاحة متميزة فى امه عرفت بطلاقة اللسان و بلاغة المقال. و لما زعم قوم ان رجلا اعجميا من الذين يרטون بالعجمه كان يعلم النبى رد الله عليهم بأن لسان هذا الرجل لسان أعجمى و ان القرآن لسان عربى مبين اشعارا بان فصاحة الكتاب و بلاغته هى الاصل فى حكم الاعجاز الذى كان للقرآن على الناس... و تكرر ذكر اللسان العربى فى التنزيل فى موضع الاطراء و الاشادة غير مرة على ما سنعرضه من النصوص... «فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين و تنذر به قوما لدا»... مريم/٩٧ المراد بلسانه لسان قومه و قد كان هذا اللسان صالحا لبشارة قوم و انذار اخرين و جاءت الصفة التى وصف به المنذرون بانهم لد اى ذوو لد فى الخصومة و الجدل و القدرة على التعبير فلو لم يكن النبى قد يسر الله له القرآن بلسانه لما كان قوى الحجج على قوم لهم مثل هذا اللدد فى الخصومة و اللجاجة فى الجدل و لما بهرتهم لغة قرآنه. فأذعنوا كل اذعان لاعجازه العظيم... «نزل به الروح الامين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربى مبين»... الشعراء ١٩٣/١٩٤/١٩٥ لما جعل الله به لسان العربى من قدسية و علو شأن و منزلة. إذ وصفه بالابانة و قال انه نزل به الروح الامين على قلب النبى... ان عملية الانذار عملية اقتحامية من شأنها أن تجد امامها مقاومة عنيفة و خصوما كثيرين ولكن عروبه لسان الدعوة مكن لها أن تكون ذات قدم راسخة فى سائر الاوساط المعادية و المسالمة. لقد كان النبى قد ألهمه الله هذه الفصاحة النادرة و ذلاقة لسان و منطق راجح فعل فعله فى سائر النفوس [صفحة ٣٤١] حين كان الرسول صلى الله عليه و سلم يواجههم بما بعث به من الدين و الشريعة نعلم ذلك حين نرى ان رسول الله صلى الله عليه و سلم توفى و الجزيرة كلها مطمئن قلبها بالايمان... «فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون»... الدخان/٥٨ فى النص اشارة الى اهمية اللسان الذى هو لسان النبى و هو كذلك لسان قومه يفهمون به ما يقوله لهم و يحيط هو كذلك علما بما يقولون له مما يفهم منه ان رسول الله كان قد بلغ القمة فى فصاحة الكلام و وضوح الخطاب و قوة الحجج [٨٦]... «لا- تحرك به لسانك لتعجل به، ان علينا جمعه و قرآنه، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم ان علينا بيانه»... القيامة ١٦/١٧/١٨/١٩ فى الآية تعليم للنبى يتعلم به كيف يتلقى القرآن اشعارا بأنه تسلم ما نزل اليه من ربه بكل دقة و امانة و انه صلى الله عليه و سلم لقن القرآن حرفا حرفا و مقطعا مقطعا و كلمة كلمة باشراف الله و حسن تلقيه و املائه و القائه و عرضه و بيانه... ان اللغة العربية لم تكن قبل ظهور الاسلام لغة عالمية بل انها كانت و هى عقر دارها - الجزيرة العربية - ذات لهجات متخالفة. فلما نزل القرآن اقام لها صوتا و احدا و معجما واحدا و باتت العربية الفصحى بعد ذلك لغة عالمية ينطق بها ملايين المسلمين و يخطب بها خطبائهم على منابرهم بحيث ظهر فى الاعاجم من هم عباقره فى هذا اللسان الكريم...

الملك كله لله الا ما كان من ملك زائل يمتلكه احياء في الحياة الدنيا الى اجل محدود ثم يخرج من أيديهم هلاكاً او بيعاً او شراءً أو ارثاً... فقد اكد الله على أن ملكية كل شيء هي في يده وانه هو الذى يغنى و يفقر و يعطى و يمنع و ذاك للتركيز على ان الله هو كل شيء و أن له كل شيء. بل ان الله سلب من البشر ان يملك احدهم ضراً للاخرين إلا بإذنه كما ان الله نفى ان تكون المعاييد التى يعبدها الوثنيون صانعة لهم شيئاً من خير او شر او رزق او احياء او اماتة و هذا ما يؤيده منطق العقل... و باب من اخلاق الرسل و منهم الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم ان يعترف على ملا الاشهاد انه لا يملك شيئاً و كان ذلك من صدق الوصف الذى يصف به نفسه للناس اذ لم تقم شريعته على شيء من المغريات و وسائل الاقناع المادية... و اذا كان فى الرسل من بلغ مكانة عالية فى الغنى فان رسول الله محمداً لم يكن كذلك... و فيما يلى بعض النصوص فى هذا المعنى... «و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي و لهم فى الآخرة عذاب عظيم»... المائدة/٤١ نفى الله ان يكون لنبىه شيء من التدخل فى ارادته سبحانه و تعالى و هو نفى نفاه الله عن جميع البشر. و جاء ذلك بنفى الملكية، لان مالك الشيء ذو حظ ثابت من الانتفاع به و تصرفه حيث يشاء فاذ نفى الله ذلك فان مثل هذا النفى يعد من القرارات و الاحكام الباتة و بذلك نزه الله نفسه من أن يكون له شريك فى ملكوته و ملكه و أمره و نهيه [٨٧]. [صفحة ٣٤٢] «قل لا املك لنفسى نفعاً و لا ضراً الا ما شاء الله...» الاعراف/١٨٨ لقد اختار الله نبىه بشيراً و نذيراً لعباده و لم يجعل له سلطاناً على الناس ليكونوا مؤمنين و نفى الله أن يكون نبىه المقرب اليه قادراً على تقديم او تأخير او منع او اعطاء ليكون كل شيء لله و ليس لعبده من عبوده شيء منه إلا بأمره. بل ان الله نفى عن نبىه ان يملك لنفسه ضراً او نفعاً اى انه لا يملك للغير ذلك كذلك... و فى النص ما يشير الى ان النبى قد كان يتعرض للاذى فلا يقدر أن يرده عن نفسه. و فى النص نفى ان يكون النبى على شيء من العلم بالغيب فان الغيب كله لله و قال انه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير فلقد يتعرض النبى فى غده للجوع فلو كان يتوقع ذلك او يعلمه لخبأ لغده طعاماً يأكله... ان النبوة على عظم منزلتها و سمو رتبتهما يظل النبى فيها عبداً لله يتحكم به ربه كما يشاء. ان النص ظاهر فيه من تواضع النبى و امانته النبوة ما يعلمنا ان النبى لم يكن ذا كبرياء فى الارض و لا غرور و لا تعال على الناس... و قد تكرر مثل هذا المعنى فى التنزيل العزيز فى سورة يونس الآية التاسعة و الاربعين «قل لا املك لنفسى ضراً و لا نفعاً الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون» و جاءت ايضا فى سورة الجن الآية الواحدة و العشرين «قل انى لا املك لكم ضراً و لا رشداً». «يا أيها النبى إنا أحللتنا لك ازواجك اللاتى آتيت أجورهن و ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك...» الاحزاب/٥٠ فالإشارة الى ملك اليمين هنا إشارة قاعدية اى انها ليست مما يجب حدوثه و وجوده، و النبى لم يكن يشتري الاماء و لا- كانت له اليهن حاجة و احلال الاماء اللاتى هن من ملك اليمين عام فى سائر المالكين و ليس ذلك خاصاً به صلى الله عليه و سلم ولكن النص كما قلنا على ذلك قاعدى اى لتثبيت القاعدة الفقهيّة العامة فى الموضوع... و مثل ذلك فى القاعدة قوله تعالى «لا يحل لك النساء من بعد و لا أن تبدل بهن من أزواج و لو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك و كان الله على كل شيء رقيباً»... الاحزاب/٥٢... على ان الاستثناء هنا فى مارية القبطية رضى الله عنها و قد اهديت اليه صلى الله عليه و سلم من المقوقس حاكم مصر و استولدها النبى و ولده ابراهيم الذى توفى فى سن الطفولة...

## باب المراء و المماراة

المراء و المماراة لفظ فى العربية يعنى الجدل بغرض الجدل و ليس لغرض الحصول على حقيقة خفية. و فى القرآن اكثر من حرف فى هذا المعنى يعيننا من ذلك ما جاء خطاباً للرسول صلى الله عليه و سلم فى آيات سنتكلم فيها: -«الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»... البقرة/١٤٧ جاء هذا النص مسبقاً بحديث القبلة و تبديلها و تحويلها من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة و هو اجراء اقض مضاجع اهل الكتاب اذ صارت للأمة قبله هى الكعبة و يعنى ذلك أن الامة سنتتجه حيثما كانت الى مركز يشد تعظيمه لديها فى احكام و مطالب ذات اهمية كبيرة فى مجال التوجيه الاسلامى الصحيح. و يعلم الله نبىه ان الحق الذى أحقه الله هو الحق الذى لا مريّة

فيه... و قوله تعالى «فلا تكونن من الممترين» تعليم من الله لنبيه بأن يكون ابدا قوى الوثوق بما يجريه الله من اجراء فى ساحة هذا الدين الحنيف و هو دينه و شرعه الذى يعلم سبحانه و تعالى أبعادا ما فيه من خير و رشاد و سداد. «الحق من ربك فلا تكن من الممترين»... آل عمران/ ٦٠ [ صفحہ ٣٤٣ ] جاء هذا النص اثر كلام قرآنى فى خلق عيسى عليه السلام و هو ما اراد البارى عزوجل صرف النبى عن الجدل فيه و المرء اذا ان الجدل كثر فى المسيح عليه السلام و كانت لليهود فيه اقوال و مطاعن و كان موقف القرآن موقفا رشيدا و سديدا فيه غير انه موقف لم يرض اليهود و لا ارضى المسيحيين... الا أن الله عزوجل أوضح حقيقة القول فى المسيح بما اراد من نبيه أن يتمسك به و أن لا يكون ممن يجادلون فيه اعدا او ممن يعرض لهم الشك فى المعتقد القرآنى الذى اثبتته الله فى تنزيله العزيز... و لا- يعنى قوله تعالى «فلا تكن من الممترين» ان النبى كان من الممترين فى ذلك و انما هو تعليم الهى اراد الله أن يتعلمه نبيه وفق سائر ما علمه من علم و ما اوحى اليه من وحى و ما هداه اليه من هدى... «... و الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين»... الانعام/ ١١٤ فى النص تثبت لما كان الله قد القاه على نبيه من مهمة النبوة و قد جاء فى طى ذلك التنويه بأن اهل الكتاب يعرفون فى قرارة نفوسهم صدق نبوة النبى لانهم يعلمون - و هم اهل نبوات قديمة - ان الله لن يدع العالم من غير نبى لا سيما بعد ان ادركه الفساد و احاط به الاختلال و ظهرت فيه العبادات الوثنية و عظم شأن الاصنام فمما يتوقعه العقلاء - و كانت الرسل تأتى اقوامها و اممها تباعا - ان يتلطف الله على البشرية فى النبى و لذلك قال الله «فلا تكن من الممترين» اى ان ذلك كان امرا فى غاية الصحة فلا- تكن فى شك منه و جدال فيه... «فان كنت من شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»... يونس/ ٩٤ المراد بسؤال الذين يقرأون الكتاب من قبلك هو أن يسأل اهل الديانات عن الحكمة فى ارسال الرسل و انزال الكتب اذ ان ذلك عند الكتبيين مألوف فى التعامل الالهى مع البشر و ليس مألوفاً عند الوثنيين الذين ينكرون هذا الامر لانهم يعبدون اصناما و احجارا و لا يؤمنون بخالق رفع السماء و بسط الارض و أحياء و أمات... و اهل الكتاب من هذه الناحية يستشهد بهم على امكان ان تكون لله رسالات سماوية الى خلقه... و ان كان فريق من اليهود قد حالفوا عبدة الاصنام و المشركين ضد المسلمين الذين اعلنوا بطلان الوثنية و دعوا الى التوحيد الخالص لله رب العالمين... «أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه و من قبله كتاب موسى إماما و رحمة أولئك يؤمنون به و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلاتك فى مريه منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون»... هود/ ١١٧ الكلام فى هذا النص على المؤمنين لما جاء به النبى من الكتاب، فان الله يركى اصحاب النبى و اتباعه الذين بادروا الى الايمان بهذا الكتاب العظيم و تصديق النبى لما جاء من الشريعة خلافا للذين انكروه و جاهدوا بكفره... ان هذا الدين الحنيف يزكيه ما فيه من قيم عالية كلها هدى و رشاد كما تزكيه الكتب القديمة اذ انها جميعا على هدى و احد فلذلك انبأ الله نبيه محمدا صلى الله عليه و سلم أن يكون قوى الاسنيقان بذلك غير عابىء بكفر اهل الاحزاب و البقية الباقية من المشركين فان الله ناصر دينه و خاذل الكافرين. «فلا تك فى مريه مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل و انا لموفوهم نصيبهم غير منقوص»... هود/ ١٠٩ فى النص تأكيد على كفر الكافرين مما يتضح فيه كفرهم كل اتضاح و يلفت الله نظر نبيه الى بطلان هذا النمط من التقليد لما كان يصنعه الآباء... فان العبادات يجب ان تكون قائمة على المنقولات الصحيحة و المعقولات التى يسندها المنطق السليم و كان غالب حجة المشركين أن ذلك مما وجدوا عليه آباءهم و لذلك [ صفحہ ٣٤٤ ] أشدد القرآن الكريم النكير على ما اورثه الآباء ابناءهم من باطل العقيدة و زيف العبادات القائمة على ذلك... و نبه الله رسوله الى أن لا تكون هذه القاعدة مرضية عنده أو مشكوكا فيها من قبله «فلا- تك فى مريه مما يعبد هؤلاء» اى لا تشك فى بطلانها و لا تجادل فيها فان سندها واه و حجة الاخذين بها حجة داخضة. و ان اعتماد القوم فيها على آباؤهم مرفوض من زاوية نظر الملة التى جاء بها النبى قومه... «سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مرءا ظاهرا و لا تستفت فيهم منهم احدا». الكهف/ ٢٢ لم يكن فى قصة اهل الكهف تحديد لعدددهم المختلف فيه و لا تحديد لفترة بقائهم فى كهفهم و القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ يفصل فى الخلافات القائمة بين رواة احداثه و هذا ما جاء فى



النص بوضوح... اما قوله تعالى «فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا» فانه سدل الستار نهائيا على اللغظ الجارى بين القوم فى هذا الموضوع. اما ما جاء فى العبارة القرآنية «الامراء ظاهرا» فانه يعنى ما كان يشيع حول الموضوع من اقوال الناس. أى ليس ذاك مما بعينه، و لذلك وصفه بالمرء الظاهر و هو نمط من صيغ لاستثناء الذى يشبه الاستثناء المنقطع... و خلاصة المعنى فى النص القرآنى لا- تمار فيهم و لا تستفت احدا فى ذلك. اما ظاهر مقولات الناس فهذا شىء يعنى شريحة فى الناس خاصة و انه لا أهمية له...

## باب كنت و ما كنت

نجد من سنة القرآن الكريم فى التعامل و شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم انه يكون ذا حضور فى احداث كونية مما حدث فى قديم الزمان و مما سيحدث فى الازمنة القادمة و قد اشرنا الى ذلك بمثل قوله تعالى «و ترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و اذا غربت تقرضهم ذات الشمال» و مثل قوله تعالى «و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب» ولكن سنة القرآن كانت تنفى ان يكون للرسول وجود او حضور عند عروض بعض الاحداث و الوقائع و هذا يختلف عن ذاك لأن نفي وجود النبى عند القاء القوم افلامهم ايهم يكفل مريم و نفي ان يكون صلى الله عليه و سلم ثاويا فى اهل مدين عندما لجأ موسى عليه السلام اليهم فان المراد بهذا النفي اثبات أن مثل هذه المعلومات قد وصلت الى النبى من وحى الله و ليس من المعلومات الشخصية و فيما يلى كلام على الآيات التى تناولت هذه المادة...«ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك و ما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم اذ يختصمون»... آل عمران/٤٤ «و ما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر و ما كنت من الشاهدين»... القصص/٤٤ «ولكننا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر و ما كنت ثاويا فى اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين [٨٨] ... القصص/٤٥ [صفحة ٣٤٥] «و ما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون»... القصص/٤٦ «و ما يدخل فى باب «كنت و ما كنت» ما ينصرف الكلام فيه الى امر آخر. اذ يتكلم على سجايا و مناسبات و توجيهات نبوية خاصة و من ذلك...«فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك...»... آل عمران/١٥٩ فى النص بيان بخلق النبى المتميز اذ لم يكن فظا غليظ القلب و لو كان كذلك لأنفض عنه من تعلق به و أحبه و وقره و هى شهادة من الله بدمائه طبع النبى و لطف تعامله و رقة قلبه و هذه من خيرة معالم الشخصية القيادية التى تتراح لها الجماهير... «و اذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و ليأخذوا أسلحتهم...»... النساء/١٠٢ يتكلم النص على الصلاة الموصوفة بصلاة الخوف. و يبين الله لنبية أنه اذا كان موجودا مع اصحابه و اتباعه فى ساحة الحرب فان هناك نظاما خاصا باداء الصلاة بامامته و فى ذلك ايماء الى قوة علاقة الامة بنبينا و فيه كذلك اشعار بوحدة القيادة و قدسية وظيفتها...«فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك...»... يونس/٩٤ لم يكن النبى فى شك مما أنزل الله اليه فلقد استقر فى نفسه انه رسول الله الى الناس ولكن النص جاء على وجه الافتراض. و الافتراض غير الواقع، و المراد بالسؤال من الذين يقرأون الكتاب من قبل ما يتعلق بالنبوات و انها مما شاء الله فى عالم البشر من اصطفاة من يبعثهم الى اممهم برسالاته...«و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا، او تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيرا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله و الملائكة قبلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء و لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا»... الاسراء/٩٣ فى النص تعليم للنبى صلى الله عليه و سلم أن يواجه الناس بواقع أمره و صميم مهمته و هو ليس الا بشرا ارسله الله الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور و ليس من اختصاصه أن يحول الاحوال او يحرك السواكن او يغير النظام او يكون له بيت من زخرف كما انه ليس مما وهبه الله من الاقتدارات المتميزة ان يخرج الى ما ارادوه من الاتيان بالله و الملائكة قبلا و غير ذلك من المطالب التعجيزية التى سرودها عليه يريدون منه تحقيقها ليتعهدوا له آنذاك بالايمان برسالته... ان الايمان بالرسالات انما هو ايمان

باحكام و تعاليم و قواعد و قوانين و توجيهات اخلاقية و اجتماعية للذين يؤمنون بها منافع كثيرة و فوائد جمعة. و ليست الرسالات السماوية بالتى يتعاطى بها الرسل افعال السحر و الخوارق و ما الى ذلك من التحكم فى الطبيعة و فى ملكوت الله...

## فى باب عبده و رسوله

يرد فى الشهادتين النص على أن محمدا عبده و رسوله اى عبدالله. و كلمة «عبد» هذه تطلق على سائر خلق الله «ان كل من السماوات و الارض الا اأتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم و عداهم عدا، و كلهم آتية يوم القيامة فردا» مريم ٩٥/٩٣... بل ان الملائكة المقربين هم كذلك يقع عليهم التلقب بالعبودية «لن [ صفحة ٣٤٦ ] يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله و لا الملائكة المقربون» النساء/١٧٢... والعباد و العبيد شىء واحد... و ما من نبى الا وصفه الله بانه عبد له لا على جهة الاذلال بل على جهة التصريح بحقيقة العبودية التى يرتبط بها كل كائن من خلق الله بربه و من ذلك «و اذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه...» ص/٤١... «و اذكر عبدنا داود...» ص/١٧... «ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا» الاسراء/٣... «و اذكر عبدنا ابراهيم و اسحق و يعقوب...» ص/٤٥... و كذلك قال تعالى «ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب» سبأ/٩... و فى المسيح قال الله «ان هو الا عبد أنعمنا عليه» الزخرف/٥٩... و فى القرآن الكريم فى حق الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم «سبحان الذى اسرى بعبد ليله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى...» الاسراء/١... و فيه «فأوحى الى عبده ما أوحى» النجم/١٠... «و ما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان» الانفال/٤١... «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا» الكهف/١... «و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله...» البقرة/٢٣... و فى هذه الآية جاءت اضافة العبد الى الله مقرونة بضمير الجمع، و فى نوح جاء قوله تعالى «كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا و قالوا مجنون وازدجر» القمر/٩... و العباد من العبودية... و اذ يرد هذا الحرف فى الخطابات القرآنية فانه كثيرا يرد فى مواقع رعاية الله هؤلاء العباد و من ذلك «قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» الزمر/٥٣... و من ذلك «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان» الاسراء/٩٥... و من ذلك «و عباد الرحمن يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» الفرقان/٦٣... و قوله تعالى «ما كان لبشر ان يؤتية الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله...» آل عمران/٧٩... اى كونوا عبيدا لى... و ما جاء من الاوامر الالهية بايجاب العبادة على الرسل و على سائر الناس يعنى تعظيم الله و الخضوع لذاته المقدسة و عبادته و الاعتراف بالعبودية له... و ما جاء فى القرآن الكريم فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه و سلم يعد من هذا المعنى و من ذلك... «و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين» الحجر/٩٩... «فاعبد الله مخلصا له الدين» الزمر/٢... «بل الله فاعبدو كن من الشاكرين» الزمر/٦٦... و اليه يرجع الامر كله فاعبده و توكل عليه» هود/١٢٣... «رب السماوات و الارض و ما بينهما فاعبده و اصطر لعبادته» مريم/٦٥... ان هذه النصوص اذ تأمر النبى بعبادة الله و الاضطبار، لذلك كان النبى صلى الله عليه و سلم يفهم دقائق القصد منها فكان يكثر من عبادة الله بحيث كان ذلك معروفا لسائر من يتصلون به و يعرفون تفاصيل سيرته الشريفة. و قد كان صلى الله عليه و سلم اذا سئل فى ذلك قال [أفلا- اكون عبدا شكورا]... ان النبى كان فى عبادته ربه لا- يجارى و لا- يصل الى درجاته العليا فى العبادة احد من الناس و كان اصحابه رضوان الله عليهم اذ يرون نبينهم عظيم التعلق بربه و كثير الصلاة و التسيح و العبادة له فانهم كانوا يحاولون ان يصنعوا صنيعه و يقتنوا قنوته و يصوموا صومه و يسبحوا تسيحه و على هذا وصفهم الله بقوله «و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود...» الفتح/٢٩... [ صفحة ٣٤٧ ]

## باب الكلام على كلمة رجل

جاءت كلمة «رجل» فى القرآن الكريم عند الكلام على المشركين عند رفضهم قبول رسالة النبى صلى الله عليه و سلم. و القرآن فى التركيز على كلمة «رجل» فى مطالب الرسالة و المرأة ينوه بأن الرجولة فى ذلك شرط للنبوة... اذ لم يعث الله امرأة الى قوم من

الاقوام بمهمة النبوة و ذلك لعظم الامر و ثقله... فلقد لقي الانبياء و هم جميعا من الرجال ما لقوا من الايذاء و المعاملة القاسية من قومهم لذا أبعد الله النساء من تولى عن مثل هذا المطلب العظيم... و انا لنرى في دراسة سيرة الرسول الاعظم من ثقال الهموم و قسوة المعاناة مالا- نحسب امرأة تملك تحمله لو بعثت الى قومها لمثل هذه المهمة [٨٩] ... و مهما كان الامر فان المرأة لم تكن محل انصاف الناس لها و تقديرهم لشخصيتها و في ارسالها نبيه الى امه من اولئك الامم - والله أعلم حيث يجعل رسالته - الفاء بها في هوة عميقة لا تملك التخلص منها... و مما جاء من نصوص التنزيل العزيز و فيه كلمة «الرجل» في المعنى الذي نحن في صدده ما نسرده فيما يلي: «أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس و بشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين»... يونس/٢ في النص اشارة الى ان الرجل هنا قد وصف بانه منهم أى من قومه لبيان ان الرسل كانت ترسل الى اقوامها الا رسول الله صلى الله عليه و سلم انه ارسل الى قومه و غير قومه... «نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك و اذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا»... الاسراء/٤٧ في النص اعتراف بأن من ارسل اليهم انما هو رجل متكامل الرجولة. الا انهم نبزوه بانه مسحور بغيا و ظلما. و جاء هذا النص كذلك من سورة الفرقان الآية الثامنة في قوله تعالى «و قال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا» و في كلا- النصين وصف القوم بالظلم لانهم كانوا ظالمين حقا... «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا إفك مفترى و قال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين»... سبأ/٤٣ تتجلى حكمة الله في ارسال محمد صلى الله عليه و سلم الى قومه نبيا على سن الاربعين. فلو كان النبي قد بعث قبل ذلك اى في عصر الشباب الاول لقالوا انه لا يصلح للنبوة لانه لم يبلغ مبلغ الرجال و مقولة القوم بان النبي صددهم عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم هي مقولة صدقوا فيها الا انهم كذبوا حين قالوا قائلهم «ما هذا الا إفك مفترى» و هم يعلمون انه ليس افكا مفترى و انه ليس سحرا و لا شىء فيه ينتمى الى السحر... و القرآن الكريم لهم يعتم على مقولات كفار القوم فى مكة و لا من كان على مثل صلاتهم فى المدينة و انما ذكر اقوالهم التى قالوا فى ذاته العلية و التى قالوها فى نبيه و رسوله. فما يملك قوم حرفا من الصدق ان زعم زاعمهم ان القرآن اخفى مقولات قالها المشركون [ صفحة ٣٤٨ ] و الكتابيون و غيرهم فى تجريح صاحب الرسالة الاعظم فهاهو ذا القرآن و قد قال كل شىء قالوه ورد عليه بما شأهت به وجوه الكاذبين [ ٩٠ ] ...

## باب القرية

تطلق القرية و القرى على ما كان من البلدان صغيرا او كبيرا و قد اطلقت القرية على مكة رغم انها كانت كثيرة السكان يتردد عليها التجار و الحجاج فى المواسم. و لأهميتها الدينية و الادبية و التجارية سميت «ام القرى»... و اهل مكة رغم انهم يسكنهم غرباء غير قليلين فان اهلها عرق واحد لا يملك الغريب فيهم أن يستفحل بينهم فى شىء او يعظم له امر و لم تكن هناك فى الجزيرة قرية او مدينة لها مثل ما كان لمكة من حرمة و من شرف انتساب. اما قول فته منهم اذ قالوا «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف/٣١... فهو قول ناس معاندين و ان مكة لا تضاهيها قرية و لا مدينة و ذاك بوجود الكعبة فيها و بفعل اصالة قوميتها و لسانها... و ما جاء فى القرآن من قوله تعالى «لسان الذى يلحدون اليه اعجمى و هذا لسان عربى مبين» النحل/١٠٣... فان فيه اعزاز للسان العربى و اعلاء شأن و فيه اصفاء كثير من القدسية على هذا اللسان العظيم كما أن فى النص استخفافا بعجمه لسان ذلك الاعجمى و يفهم من هذا أن اهل مكة لم يكونوا يمكنون الاجانب من أن يسود لهم لسان فى البيئه المكية و قد علمنا أن اللغة المكية و الادب المكى هما العرق الذى قام عليه ما يسمى بلغة قريش التى نزل بها القرآن و كان اهل مكة اهل غنى و مدينة و حياة مترفة و نواد و مجتمعات و كانوا يعيشون فى بلهنية و رخاء. و من هنا فان مكة هي مدينة حضارية ذات مناخ حضارى ملحوظ و لذا لم يكن فى اطلاق كلمة القرية عليها استصغار لها و اضعاف لمركزها... اما قوله تعالى «و كآين من قرية هي أشد قوة من قريتك التى أخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم» محمد/١٣... فانه اذ ينوه بوجود قرى تتمتع بقوة تضاهى قوة مكة فانه ليس فى ذلك شىء من

استصغار مكة. و مما جرى عليه امر الدعوة في مكة أن الله عزوجل لوح لأهلها و سكنتها بانها اهلك كثيرا من القرى التي جحدت ربهما و اخرجت رسله من ارضها و ذاك تأديبها تخويفا لأهل مكة من ان يكون موقفهم من نبيهم مشوبا بالبغى و العدوان و الاصرار على الكفر... و من هذه الآيات قوله تعالى «و كم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون...» الاعراف/٤... و المراد ب«أو هم قائلون» اى نائمون نوم القيلولة... و من آيات الخويف و التحذير اللذين يراد بهما صرف اذهان القوم الى اطاعة الله و رسوله و الكف عن لدد الخصومة و اللجاجة فى ايداء رسول الله و الضعفاء من المؤمنين... و منها قوله تعالى «و ما اهلكنا من قرية الا و لها كتاب معلوم...» الحجر/٤... اى اجل معلوم اوقع الله بها فيه بطشه و نكاله بسبب كفرها و عصيانها... و فى القرآن الكريم من مثل هذا التحذير قوله تعالى «أفأمن اهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا و هم نائمون، أو أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى و هم يلعبون، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون» الاعراف ٩٧/٩٩... و كثر فى التنزيل العزيز ايراد مثل ذلك ليعتبر القوم من اهل مكة بما اصاب من قبلهم من عقاب الله بسبب معصيتهم رسله... ان القرآن الكريم لفت انظار اهل مكة الى امم عاقبها الله بما عاملت رسله بالمعاملة القاسية فقال «و انكم لتمرون عليهم مصبحين» الصافات/١٣٧... اى ان بعض تلك الامم على طريق القوافل. [صفحة ٣٤٩] ان اسلوب القرآن الكريم فى ذكر ما هلك من القرى و الامم الخالية كان عوناً للنبي فى اقناع كثير من اهل العناد من قومه، «و تلك القرى اهلكناهم لما ظلموا و جعلنا لمهلكهم موعداً» الكهف/٥٩... و ايضا قوله تعالى «فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً...» القصص/٥٨... و ايضا «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا...» النمل/٥٢...

## باب ذكر

«و ذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرتهم الحياة الدنيا و ذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى و لا شفيع. و ان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين أسبلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون...» الانعام/٧٠ من بعض التعليمات الالهية التى يوجهها الله الى نبيه يأمره و ينهاه و يحدد له مجالات عمله... و قوله تعالى: «و ذكر به أن تبسل نفس بما كسبت»... اى فعظهم بعضات القرآن و زواجره من السقوط فى هوة الخسارة لاسيما من يجاوز حدود الفساد و يتهرب عن طاعة الله و الاصغاء الى اوامره فان هؤلاء اذا جاوزوا ذلك آل أمرهم الى أن تسد عليهم ابواب الشفاعة فيكونوا من اصحاب النار... و من هذا النص نرى بعض صور التكليف الذى يلقيه الله على الرسول الاعظم فى مجالات الدعوة الى الدين. و يلاحظ أن الامر ليس بالامر اليسير فى مثل تلك البيئة لا سيما اول اظهار الاسلام و اشهاره و اعلان دعوته... «نحن أعلم بما يقولون و ما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف و عيد [٩١] ... ق/٤٥ فى النص مسألة تتصل بصفة الرسول الاعظم البشرية هى أنه صلى الله عليه و سلم ليس جباراً ممن عرفوا بالجبروت و الطغيان و الامرة الصارمة و انما هو رجل حكمه و هدايد و لين و تواضع و صبر و تحمل و أناة و رفق... و فى النص و جوب أوجه الله على نبيه يقوم على التذكير بالقرآن لمن يخشون ربهم و يخافون و عيده... «فذكر بالقرآن من يخاف و عيد»... خوف الوعيد يدل على رطوبة القلب و حسن تقبله لما يلقي اليه من الهدى و شعائر الايمان و على هذا يقع تذكير من يملك مثل هذا القلب فى خير موقع من نفسه. اما القلوب الجافة القاسية فما ان يمسه من ريح الخير و المعروف و شذا التقوى و اليقين شىء. فمن اجل أن لا يذهب جهد الواعظ من موعظته ضائعاً كان هذا التوجيه الالهى الرشيد... «و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين»... الذاريات/٥٥ حقا أن القلوب التى يارز اليها نور الايمان تتأثر بالتذكير و التوعية و الكلمة الناصحة... و النص يأمر النبى أن يواصل التذكير فانه سيجد حتما النفوس التى يبرق فيها بريق الايمان فتنتفع من ذلك التذكير و تلك الذكرى... و قد سبق النص بنص جاء فيه «فتول عنهم فما أنت بملوم» أى انك ان صرفت اليهم بالغ اهتمامك فانك لن تلام على ذلك من جراء انسداد النوافذ فى نفوسهم فما يتسرب منها اليها ما تريد من التآديب و الموعظة الحسنة... على ان النص آت بالاشارة الى بشاعة موقف القوم و انغلاق آفاق نفوسهم عن فهم نصيحة او تقبلها او الاخذ بطرف من النصح و التوصيات الفاضلة... و ليس آتيا بالكف عن الدعوة و التوقف عن التعليم و الارشاد...

فالمهمة الموكولة الى النبي هي بكل ثقلها و واسع اجوائها... مما كان النبي مكلفا بحمله و الصبر على ثقله و تحمل كلفه... [ صفحة ٣٥٠ ] «فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن و لا مجنون»... الطور/٢٩ الامر الالهي الوجه الى النبي بالتذكير ما يبرح نافذا ملتزما به النبي و ان كان خصومه يجعلون ذلك من دواعي اتهامهم اياه بالكهانة والجنون... فما يزال التذكير بأصول الدين و طاعة الله و تبيان آفاق الفضيلة مما نقرأه في القرآن الكريم لا شيء فيه مما يصرف احدا او يحمله على ادعاء الجنون و الكهانة في الرسول اذ لا تزال الآيات الناطقة بذلك ناطقة بالحكم و العظات الغالية و النصائح القيمة و التوصيات العظيمة التأثير في السلوك و الطباع والاخلاق... فأين الجنون من ذلك و اين الكهانة؟! و قوله تعالى «بنعمة ربك» اي انك قد احاطك الله منه بنعمة سابغة فما كنت بالمحروم منها لتكون مجنونا او كاهنا. و كانت الكهانة مذمومة في الاسلام لما كانت تحتوى عليه من المخزقات والشعوذة و خدمة الاوثان بأقويل لو نظر اليها بمنظار العقل الرشيد لرفضها كل رفض و نبذها كل نبذ. «فذكر ان نفعت الذكرى»... الاعلى/١٩ الامر هنا في التذكير يتطلب تبيين الاستعداد الذى يكون فى الموعوظين من الناس ممن يتوقع تقبلهم لذلك و انتفاعهم به... و قد جاء تلو النص: «سيدكر من يخشى، و يتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها و لا يحيا»... و فى هذه الآيات نوابض من الحكمة و دقيق التوجيه و التوعية و التذكير... على ان الامر الالهي للنبي بالتذكير فى سائر الحالات قائم نافذا لا يتوقف لأن الرسالة السماوية جاءت به و قامت على اعمدته... «فذكر انما انت مذكر، لست عليهم بمسيطر، الا من تولى و كفر، فيعذبه الله العذاب الاكبر»... الغاشية ٢١/٢٤ فى النص امر يأمر به الله عزوجل رسوله بالتبليغ و الانذار و التذكير و جاء فى طي النص أن ذلك هو من شأنه و مهمته فلقد بعثه الله مذكرا. على أن هذا التذكير لا سيطرة فيه و لا عقوبة تقع من الرسول على العصاة الذين يتولى الله امرهم... و قوله تعالى «الا من تولى و كفر» فانه ليس استثناء انما هو بدء كلام جديد بمعنى اما من تولى و كفر... لأن الله نفى سيطرة النبي على القوم بقوله «لست عليهم بمسيطر»... و قوله تعالى «الا من تولى و كفر» فانه كذلك خارج دائرة السيطرة الا سيطرة الله عزوجل... والنص يقرر أن النبي يتصف بصفة المذكر الذى لا يألو جهدا فى اداء مهمة التذكير و سواء أراح القوم يتقبلون هذا التذكير أم لم يروحو يتقبلونه... فان النبي غير موكول اليه أن يسيطر عليهم ليزمهم بالظهور بمظهر الطاعة و القبول القسرى... و قد جاء فى اعقاب ذلك النص: «لست عليهم بمسيطر»... اما قوله تعالى بعد ذلك: «الا من تولى و كفر فيعذبه الله العذاب الاكبر»... فانه ليس استثناء من السيطرة و لا يزال الرسول على حد النص: «لست عليهم بمسيطر»...

## باب الانذار

كلمة الانذار الواردة بلفظ (انذر و انذرهم و انذر الناس) هي من كلمات التبليغ الرسمية فى الرسالة التى ارسل الله بها محمدا بن عبد الله الى امته العربية و من بعدها الى سائر امم العالم... و انا محصون هنا الآيات التى كانت فيها هذه الكلمات اصولا فى التعبير و ركائز فى التبليغ و اعباء فى التكيف ليكون فى ذلك الدلالة الواضحة على ما حمله الرسول الاعظم من جهد جهيد فى دعوة الامة الى الحق و الرشاد و الصراط المستقيم على وجه الاستمرار و المواصلة بدءا من العهد المكى الى العهد المدنى... ان مهمة الانذار غير مهمة البشارة... ففى الانذار صراحة و صرامة لا تسامح و لا لين فى شيء منهما و هذا [ صفحة ٣٥١ ] يتطلب اقتدارا على مواجهة انماط من الناس شتى و الالتقاء بصنوف من البشر تتفاوت عقولهم و أمزجتهم و مداركهم و انظمة حياتهم... فالانذار الذى ناط الله امره برسوله يتضمن من الصدد بالحق ما ليس بالامر الهين اليسير الاعلى من كان مؤهلا أهله ربه للتوفيق فى مهمته هذه... و مما جاء فى كتاب الله من هذه الصيغة ما نسرد هنا سردا قد لا يحتاج الى شرح و تفصيل... «و أنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى و لا شفيع لعلهم يتقون»... الانعام/٥١ «أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس و بشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم»... يونس/٢ «و أنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك و تتبع الرسل»... ابراهيم/٤٤ «و أنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر و هم فى غفلة و هم لا يؤمنون»... مريم/٣٩ «و أنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب

لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم و لا شفيع يطاع». غافر/١٨ ان مصطلح النذير هو عدل مصطلح النبي و الرسول و فى القرآن الكريم... «قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير و لا نذير فقد جاءكم بشير و نذير و الله على كل شىء قدير»... المائدة/١٩ «او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه ان هو الا نذير مبين»... الاعراف/١٨٤ «قل لا املك لنفسى نفعا و لا ضرا الا ما شاء الله و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء ان انا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون»... الاعراف/١١٨ «أن لا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير و بشير»... هود/٢ «فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير و الله على كل شىء وكيل»... هود/١٢ «واخفض جناحك للمؤمنين و قل انى أنا النذير المبين»... الحجر/٨٩ «قل يا ايها الناس انما أنا لكم نذير مبين»... الحج/٥٠ «و ما أنا بطارد المؤمنين. ان أنا الا نذير مبين»... الشعراء/١١٥ «لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون»... القصص/٤ «و قالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله و انما أنا نذير مبين»... العنكبوت/٥٠ «لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون»... السجدة/٣ «قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنه ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد»... سبأ/٤٦ «و ما يستوى الاحياء و لا الاموات ان الله يسمع من يشاء و ما انت بمسمع من فى القبور ان انت الا نذير، انا ارسلناك بالحق بشيرا و نذيرا و ان من امة الا اخلا فيها نذير»... فاطر/٢٤ «و هم يصطرخون فيها ربنا اخرنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل او لم نعلمك ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير»... فاطر/٣٧ [ صفحه ٣٥٢ ] «و أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا»... فاطر/٤٢ «ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين»... ص/٧٠ «قل ما كنت بدعا من الرسل و ما ادرى ما يفعل بى و لا بكم ان اتبع الا ما يوحى الى و ما أنا الا نذير مبين»... الاحقاف/٩ «ففرؤا الى الله انى لكم منه نذير مبين، و لا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين»... الذاريات/٥٢/٥٣ «فبأى آلاء ربك تتمارى، هذا نذير من النذر الاولى»... النجم/٥٥/٥٦ «تكاد تميز من الغيظ، كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا ما انزل الله من شىء ان انتم الا فى ضلال كبير»... الملك/٩ «و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، قل انما العلم عند الله و انما أنا نذير مبين»... الملك/٢٦ «و جاءت ايضا كلمة (نذير) فى القرآن الكريم بقوله تعالى: «انا ارسلناك بالحق بشيرا و نذيرا و لا تسئل عن اصحاب الجحيم» [ ٩٢ ] ... البقرة/١١٩ «و بالحق انزلناه و بالحق نزل و ما ارسلناك الا مبشرا و نذيرا»... الاسراء/١٠٥ «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا»... الفرقان/١ «لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا»... الفرقان/٧ «و ما ارسلناك الا مبشرا و نذيرا»... الفرقان/٥٦ «و ما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا و نذيرا»... سبأ/٢٨ «كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيرا و نذيرا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون»... فصلت/٤/٣ «انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا. لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزروه و توقروه و تسبحوه بكرة و اصيلا»... الفتح/٨ «والصبح اذا أسفر، انها لأحدى الكبر نذيرا للبشر»... المدثر/٣٤/٣٦ ان هذه المجموعة من الآيات الكريمة التى تظهر فى اسلوبها الفصاحة و فى سبكها البلاغة و على متنها ما هو جد واضح من التعبير القرآنى بالرواق و الجمال و الروعة. فذلك امر هذا النذير العظيم الذى اصطفاه الله برسالاته العظيمة فهدى بها الضلال و اقام بها لمكارم الاخلاق عمودا و اضاء بها ما كان يغطى ارجاء الدنيا من ظلام الكفر الدامس... حقا ان محمدا صلى الله عليه و سلم لنعم النذير و لنعم البشير و لنعم النبي و لنعم الرسول...

### فى باب الذكر

الذكر من اسماء القرآن الكريم و تعنى كلمة (الذكر) بعض صفات الفضل و العلاء و بعد الصيت و فى النص الكريم «انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون» الحجر/٩... و فيه «ص و القرآن ذى الذكر» ص/١ و هنا جاءت كلمة الذكر صفة للقرآن لا اسما... و فيه «أنزل عليه الذكر من بيننا» ص/٨... مما يبدو به أن كلمة الذكر فى جمهرة اسماء القرآن كانت معروفة و شائعة لدى المؤمنين و غيرهم منذ العهد المكى... و فى القرآن الكريم «و انه لذكر لك و لقومك [ صفحه ٣٥٣ ] و سوف تسألون» الزخرف/٤٤ و قد جاءت

كلمة الذكر في معنى التمجيد والتكريم هنا جمهرة من النصوص القرآنية التي جاءت فيها كلمة «الذكر» في سائر المعاني والمقاصد القرآنية الظاهرة المعنى: «ذلك تتلوه عليك من الآيات والذكر لحكيم...»... آل عمران/٥٨ «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا...»... الاعراف/٦٣ «وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمحبون...» الحجر/٩ «وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون...» النحل/٤٤ «أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون...» الانبياء/٢٤ «قل من يكلاكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون...» الانبياء/٤٢ «وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون...» الزخرف/٤٤

## باب الوثنية

لم تكن اليهودية صراعا مع الوثنية العربية وغيرها لان اليهودية عقيدة داخلية يعتقدها اليهود عرقيا فما كان منهم من شرك و وثنية في بعض عهود التاريخ فانه عولج محليا كعبادتهم العجل وما اليه... اي داخل اطار التوحيد اليهودي... والمسيحية وهي طرف في اليهودية اتخذت موقفا في الالهيات خاصا بها كانت فيها الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة، لذا لم تخض في غمرات اللادينية والشرك المعروف لدى الوثنيين في العالم... اما الاسلام فانه واجه عبادة الاصنام والاونان والشمس والقمر والحيوانات والاشجار وما الى ذلك... فراح يصارع هذه المعتقدات بكل ما عنده من اقتدار جدلي ونقاش عقلي واجه أمة كانت شديدة الحرص على اوثانها واصنامها وقد كانت في ذات الوقت رموزا لكياناتها السياسية... ولم يكن هناك نموذج في التوراة والانجيل لأمة وثنية كالامة العربية استقى منه الاسلام ما عل به ونهل في هذا المجال الحرج الضيق الذين يزعمون ان الاسلام اخذ من هنا وهناك تعاليمه لم يخبرونا من اين اخذ الاسلام نظامه الجدلي الدقيق في مواجهة عبدة الاصنام من اهل الجاهلية في ابطال جميع دعاوى الوثنية. ولم يخبرونا من اين اخذ الاسلام نظام الوضوء والاعتسال والصلاة والصيام وصوم رمضان وتفصيل احكام الزكاة والزواج والطلاق والميراث وما عالج به امور الرق من جعل عتق الارقاء من بعض العقوبات والكفارات ومن اين اخذ الاسلام في العلاقات الخارجية قوله تعالى «و اما تخافن من قوم خيانة فانبد اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين» الانفال/٥٨... ومن اين اخذ قوله تعالى «و ان جنحوا للسلم فاجنح لها» الانفال/٦١... ومن اين اخذ قوله تعالى «و لا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا» النساء/٩٤... ومن اين اخذ قوله تعالى «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون» الممتحنة ٩/٨... [صفحة ٣٥٤]

## باب كلمات قرآنية

هذه آيات ونصوص قرآنية اتخذنا لها عنوان «كلمات قرآنية» و انا آخذون بشرحها شرحا يسيرا و جاعلوها من خواتيم هذا الجزء من الكتاب... «ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك و ما يضلون الا انفسهم و ما يضرونك من شيء و انزل الله عليك الكتاب والحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما. النساء/١١٣ من الامر البديهي أن فضل الله على نبيه محمد بن عبدالله فضل عظيم اذ بعثه رسولا الى العالم و أنزل عليه كتابا يتلى آناء الليل و آناء النهار و حماه و حفظه و جعله آخر رسله و خاتمة أنبيائه. و كان صلى الله عليه و سلم كثير التعرض للاعداء و الخصوم في مكة و في المدينة و خارجهما و كانوا لا يرحون يمكرون به و ينفرون عنه المقبلين عليه و القرآن الكريم صريح في الكلام على مكاييد هؤلاء الخصوم و فرط رغبتهم في البطش برسول الله و كذلك بمن معه من المؤمنين. و قتل الانبياء من قديم كان غاية يتغيها الذين لا يؤمنون بالرسول و الانبياء. و القرآن الكريم يعصم النبي في هذا النص ان يقع له من خصومه أذى بل ان الآيات القرآنية تصرح بان اولئك الخصوم انما يضررون أنفسهم

وحدهم بمحاولاتهم تلك و هي محاولات فاشلة كتب الله لها الفشل و الخيبة و الهزيمة النكراء. في النص جاءت العبارة القرآنية التالية (و لولا فضل الله عليك و رحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك) ففي التعبير بالهم بهذا النص دلالة على سوء قصد القوم و فرط شراستهم و فساد نيتهم و هي أى كلمة الهم في العربية تعنى ارادة البطش و الايذاء و الفتك على ما اختصت به هذه الكلمة من معنى الشر و العدوان و قد جاءت في القرآن الكريم غير مرة في ذات هذا المعنى و من ذلك قوله تعالى [يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم و اتقوا الله و على الله فليتوكل المؤمنون] المائدة/١١. و من ذلك أيضا [و لقد همت به و هم بها] يوسف/٢٤... أى أرادت البطش به و أراد البطش بها. [و همت كل امه برسولهم ليأخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب] غافر/٥... و في شواهد الكلام العربي من غير القرآن الكريم ما يدل على ذلك بوضوح و من ذلك [و إن هو لم يذبح فتاه فقد هما]. و يفهم من أصل النص المبحوث فيه هنا شدة لجاجة المشركين و غيرهم من خصوم الدين و يبدو أنهم كانت لهم في المدينة سطوة و قوة و كانت لجاجتهم ما تنفك تبغى التوصل الى هدفهم من تثبيت النبي و صرفه عن مقاومتهم و التهوين من شدة حرصه على دعوتهم الى الهدى و الايمان و التخفيف من عظم إقتداره على مجادلتهم و افحامهم و تسفيه آرائهم و الوقوف بثبات و صمود أمام تيار جهلهم و كفرهم... ان النزعة التي تغلب على نفوس اولئك الخصوم الضالين في اضلال الرسول قد نجا الله رسوله منها لعظيم فضله و ساغ رحمته فما ضل و لا ركن الى ضلالة و بقى يحمى قلعة الايمان بكل قوة و اقتدار... [لو انفتحت ما في الارض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف منهم انه عزيز حكيم]... الانفال/٦٣ في قوله تعالى «لو أنفتحت ما في الارض جميعا» ايماء الى أن ما في الارض جميعا قد كان النبي يقدر على انفاقه بحيث لو أنفقه في قصد التأليف بين القوم فانه لا يحقق ذلك. والاستحالة ناشئة من بعد عمق الخلاف و فرط التباعد و فقدان اسباب الائتلاف ولكن الله كان [صفحة ٣٥٥] هو الذي ألف بينهم و جمع قلوبهم بقوته و حكمته و يعنى ذلك اى تأليف بينهم أنه تعالى يسر لنبية هذا الامر العسير و انه اعانه عليه و اذا اراد الله امرا هيا أسبابه... و ليس في النص ما يقلل من جهاد النبي في هذا الصدد، فان جهاده صلى الله عليه و سلم ملحوظ لحظة فلحظة و مشهود خطوة خطوة و انما يعنى النص عظم المهمة و ثقل العبء و بيان طبيعة هذه الامة التي لم يكن في أمم الارض من يحاكيها في خصوصيات حياتها. انها امه يكاد الفرد الواحد من افرادها يقول بملء فيه انه هو وحده الامة... اجل لقد وحد الله امه العرب فالتفوا حول راية نبيهم و تذوقوا مذاق الوحدة الشاملة و راحوا يفتحون العالم شرقا و غربا من غير أن يعتمدوا على قوة من الخارج رغم ان العالم الذي فتحوه كان ذا قوة ليس من اليسير تحطيمها و مثل هذا التوفيق و التمكين نادر في احداث السياسة العالمية قديما و حديثا و انسكب العالم بفعل الحملة الایمانية العربية الكبرى انسكابا متجانسا في بودقه الاسلام الذي قال الله فيه «ان الدين عند الله الاسلام» آل عمران/١٩. «و اذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتخذ اصناما آلهة انى أراك و قومك في ضلال مبين». الانعام/١٧٤ ان القرآن الكريم طعن في صحة تسميات النسب الذي اوردته التوراة لابراهيم عليه السلام اذ قالت انه ابن تارخ بن ناخور... و حين قال القرآن انه «آزر» فانه لم ينسب «آزر» الى اسم اب معلوم و بذلك قطع نسب ابراهيم عن الاسماء التي حددتها التوراة و في ذلك نبر للتوراة بانها تجهل النسب الابراهيمى... ان القرآن الكريم عندما أورد اسم ابى ابراهيم لم يكن ثمة ما يستوجب ذكر اسم ابى ابراهيم الا القصد الظاهر في تصحيح نسب ابراهيم عليه السلام و لم نجد في القرآن اشارة الى اسماء انبياء و غيرهم قرنت اسماءهم بذكر آبائهم الا عيسى عليه السلام ابن مريم و كذلك جاءت نسبة مريم الى ابيها عمران و بذلك نعلم ان اطلاق اسم آزر على أبى ابراهيم لم يكن لمجرد رد ابراهيم لأب له اسم معلوم انما كان ذلك لتصحيح ما اوردته التوراة و اله عزوجل أعلم باسمى اباء الناس و تعلقاتهم النسبية من الذين كتبوا التوراة... ان القرآن ناقش اليهود في ادعاء ان ابراهيم كان يهوديا لان التوراة نزلت بعد ابراهيم. و التوراة هي عرق اليهودية و النصرانية... و بنوا اسرائيل هم ابناء يعقوب فلا تنسحب التسمية على ابراهيم. و ابراهيم عراقي لم يكن في زمانه في العراق من اليهود أحد لأن اليهود لم يظهروا في ذلك العهد. و لم يكن لهم وجود اصلا على مسرح الامم و القوميات. و قد اشار القرآن الى علاقة العرب بابراهيم «يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم و ما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده...» آل عمران/٦٥. فالامر اذن من



الوجهة التاريخية منعقد على ان ابراهيم ليس يهوديا و لا نصرانيا...«و كذلك نصرف الآيات و ليقولوا درست و لنينه لقوم يعلمون»... الانعام/١٠٥ من الاتهامات الملقاة على عواهنها ما كان يرجم به المشركون و كفره القوم ترجيما في ادعاء امور يلحقونها بالنبي و يصفونه بها... و قد مر بنا ان سماعهم بتهمونه بالكهانة و السحر و الشعر و الجنة مما لو طولبوا عليه بالدليل لما كان في يدهم في دليل... و كان الاستهزاء و السخرية من بعض ما لجأوا اليه في معاملة الرسول الاعظم و هما مما لا يكون مع المتشبه بشيء منهما حجة يقبلها المنطق في النزاعات العقائدية و الفكرية و العلمية و غير ذلك... و قول القوم من خصوم النبي انه درس قول ملقى على عواهنه و قد حددوا في بعض مقولاتهم هذه جهة التدريس و التعليم [صفحة ٣٥٦] ان قولهم «درست» من الاقوال الفارغة من المحتوى فالذين درسوا كثيرون و ما كانت الدراسة لدارسى العلوم سيلا الى اقامة ديانات و اخلاقيات تصل الى كل رجا من ارجاء الارض و مكان من أماكن العالم... و قد وجد النص القرآني ينصرف الى الذين يعلمون ميينا لهم حقيقة هذه الآيات المبينة لهم من غير أن يأبه لتلك اللصاقات المزعومة التي مرت في الحيز الجدلي كالفتاعات الفارغة و لو مكان وراء مثل ذلك من ممسك و حجة و صحة في الادعاء للجوا فيها و اطالوا القول و لصايقوا الرسول بمقالات مماثلة لو صحت لكان عليها اكثر من شاهد ولكن شيئا من ذلك لم يكن اصلا... و قد تحداهم النبي بقوله «فقد لبث فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون»... يونس/١٦«و ان احد من المشركين استجارك فأجره حتى تسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون»... التوبة/٦ النص من الخطابات الموجهة الى النبي وحده و ذاك انه رأس القيادة التي تدرك مصلحة الأمة في هذه المواقف... و لا يقع مثل هذا التكليف لسائر افراد الأمة فان ذلك تكليف شاق لا يملك الفرد العادى الالتزام به و تحقيقه... و هو ان وقع افسد على الدولة اجراءتها و أوجد فجوة كبيرة بين الأمة و بين قيادتها كما ان تكليف اي فرد من المسلمين بايواء مشرك ما ثم ابلاغ مأمنه فيه مالا- يملك ان يؤديه ذلك الفرد... على ان الفرد العادى اذا آوى مشركا مستجيرا فانما يؤويه ليخبأه عن السلطة التي تطارده و ان ذلك ان وقع من الافراد العاديين تضعض امر الدولة فهو اذن من الاوامر الالهية الخاصة برسول الله... و قوله تعالى «ثم ابلغه مأمنه» يعنى ان يرسل معه من يوصلونه الى مأمنه و في هذا يتأيد فهمنا للأمر لأنه من خصوصيات القيادة المتمثلة في شخصيه رسول الله صلى الله عليه و سلم في وصفه رأى الأمة و القائم على امرها و القائد الموجه لها و على هذا تنتقل هذه الخوصيه الى من يكون صاحب الإمرة للمسلمين من بعده صلى الله عليه و سلم لان الموضوع المتكلم عليه هو مما يتوقع حدوثه او حدوث ما هو من قبيله في سائر ايام الزمان. ممن ملاحظه هذا النص الكريم نرى أن الله خول نبيه صلى الله عليه و سلم ان يعامل اناسا من ذوى المساءة و العدوان بشيء من العفو و التعامل الانساني و هذا ما كان قد غلب على معظم مواقفه صلى الله عليه و سلم مع خصومه و على هذا نستبعد ان يكون مارواه الرواء في قصة يهود قريظة اذ ذكروا ان النبي نفذ فيهم حكم سعد بن معاذ بالاستئصال و الابداء و قد ناقشنا ذلك في باب (الحكم و القضاء النبوي) فاستبعدنا صحة ما قيل في هذا الامر و نزيد على ذلك ان قتل جمهرة كبيرة من الناس تعد بالمئات ليس مما يتم في ساعات من نهار، و انما يحتاج مثل ذلك في حالة قتل القوم صبرا لأيام و ليال و الاقبال على قتل هذا الجمهور من الناس يواجه في العادة بتوسلات و تشفعات و ما يشبه الاستجارة مما لا نحسب ان احدا يتخطاه بلا- اعارة اهتمام و نحن نعرف النبي من ارق الناس عاطفة و اشدهم رغبة في التسامح و العفو لا سيما حين يكون لاية عقوبة من العقوبات اكثر من بديل يدخل في اطار العدل و الانصاف هذا مع العلم ان عصيان بنى قريظة احد حوادث كثيرة وقعت في فترة وجود الاسلام في المدينة و قد اورد ابن هشام ابياتا شعرية تشير الى ان الحادث وقع في ساحه حرب و قتال و ليس في ازقة و اماكن ضيقة بين البيوت. و حكاية من روي ذلك ظاهرة الاضطراب... و القياس في الجنايات امر معتاد و على هذا نفى المقولات التي لهجت بها ألسنة رواة الحادث بشكله و موضوعه الذي لا يصح عندنا منه حرف واحد. و يبدو ان مؤرخي هذا الحادث يتوقفوا عند النقاط التي تستبعد وقوعه و ذاك لفرط ما عظم في نفوسهم من مكر اليهود و فرط عدوانهم فكأنهم رأوا [صفحة ٣٥٧] ما اصابهم امراً استحقوقه في حين ان التاريخ لا يدخل في الامانى و الرغبات انما هو وقائع متيقنة و لا نجد في قصة قريظة هذه ما هو متيقن تاريخيا الا- ما حققناه و الله اعلم. «فان تولوا فقل حسبى الله لا إله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم»... التوبة/١٢٩ يعلم

الله نبيه كيف يستعين به و يلجأ اليه حين تشتد عليه الشدائد... و ذاك ان يتكل على الله اتكالا مطلقا فلا يخاف اية قوة تهدده او يعأ بأى عقبة تقف فى طريقه... و «حسبى الله» لفظ يعنى انتعلق بحماية الله لنبيه و رعايته له و انه كافية و حافظه و حاميه و عاصمه...«لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شىء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»... يوسف/١١١ فى ما قصه الله من قصص الرسل و الانبياء عبر للمعتبرين و دروس تربوية للدارسين ممن هم ذوو ألباب و عقول استيعاب لما سرده القرآن عليهم من سير اولئك المرسلين... ان الرسول الاعظم محمد بن عبدالله أحد اولئك الذين قص الله علينا قصصهم فى تنزيله العزيز و كتابه المبين... و على هذا ففى دراسة هذه السيرة الطاهرة من العبر ما فى سير المرسلين الذين تقدمت رسالاتهم على رسالته صلى الله عليه و سلم فى الدهر القديم... و فى هذا حث على متابعة ذلك و دعوة الى الاعتبار بما وقع للرسول من وقائع و احداث عبر ادائه رسالته التى امتدت فترة عرضها و الصدع بها ثلاثا و عشرين سنة. و لا يجوز التغاضى عن هذه الدراسة لان التغاضى عنها امساك لاسباب اعتبارية لا بد ان يكون لها وجود و انطلاق فى الساحة كما ان هذا التغاضى يجعل قوله تعالى «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب» قولاً لا مفهوم له و لا مجا لبروز مفهومه فى التاريخ و فى مجالات الاتعاظ و العبر...«و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى و هذا لسان عربى مبين»... النحل/١٠٣ فالنص الآتى بلفظ «انما يعلمه بشر» يراد به ابعاد موضوع الرسالة الاسلامية عن السماء و قد رد الله عليهم هذا الزعم... اذ أو مات الاصابع المريية الى اعجمى فى مكة معروف بالبطانة ولكنه الحديث... و الكلمة القرآنية كلمة هدى و اصلاح فيها الاشارة التى تلتصق فى القلوب فأنى يكون لهذا الرهط ان يكون مصدر هذا الدين و منبع هذه الملة العلية العقيدة و الزاخرة بالاحكام و التعاليم و الشرائع و العبر ذات التأثير العظيم فى النفوس... ان النبى صلى الله عليه و سلم على ما هو ثابت تاريخيا و معلوم للجميع كان يعمل فى المجال التجارى و العاملون فى المجال التجارى و البيع و الشراء لا- يحجر عليهم الالتقاء بهذا و ذاك فالاعجمى المذكور هو من آحاد اولئك الناس و لم يكن اتصال الناس بعضهم ببعض فى الاسواق و المتاجر منشئا مجالاً- للتعليم لأن للتعليم و التدريس مكانا و زمانا و اسعين فسيحين غير الاسواق و الالتقاء التجارى... و قد رد الله على مدعى هذه الدعوة الموعلة فى الغفلة بان ذلك الاعجمى لا يصلح ان يكون معلما لرجل هو من اصح العرب لسانا. و القوم عمموا ذلك ليوهموا من يسمعون ان لاتهمهم نصيبا من الصحة فانهم قالوا انما يعلمه بشر و لم يجرأوا ان يقولوا ان الذى يعلمه كان اعجميا إلا ان الله فضح افتراءهم لما ذكره من كون هذا البشر من الاعاجم... [ صفحه ٣٥٨ ] «و لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا»... الاسراء/٧٤ ما زال النبى محل رعاية الله له و تفقده و ملاحظته من حيث ما يتحرك و يتجه، فكان حارسه و حافظه و موجهه و مسدد خطاه. والنص المكتوب يوضح نتائج هذه المتابعة و الملاحقة و العناية الالهية بحيث لو لم يثبت الله نبيه فى مواجهة كيد الخصوم و فتن المخالفين و مكر الذين وقفوا فى وجه الدعوة لفعلوا الافاعيل فى طريق الشريعة و حفروا الاحافير. ولكن الله كان مع نبيه فى بدء كل امر و فى نهايته و ختامه... و فى القرآن الكريم «و لا- يأتونك بمثل الا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً» الفرقان/٣٣... ان النص صريح فى انه تعالى انقذ نبيه مما كان القوم يكيدون له اذ كانت مقولاتهم تأخذ من تفكيره الكثير، و هو امر طبيعى عند مواجهة ذى رسالة قومه اذا ما لجوا فى طغيانهم و كفرهم و باطل احتجاجاتهم... اجل كان الله يعين نبيه على ما يضعونه امامه من حجج باطله فكان عزوجل يلقنه ان يرد عليهم بالجواب المسكت و الكلمة الفاصلة «قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا» الاسراء/٩٣...«فو ربك لنحشرنهم و الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا، ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا»... مريم ٦٨/٦٩ فى النص صورة عقابية يعاقب بها الذين كفروا ممن يتناولهم الحديث... و هذا كلام لا يحفظ نصه بألفاظه حسب و انما يروح يجرى على شاشة الذهن و كأنه مشهد يشهده الناس اذ كان اتباع اولئك القوم و قرناؤهم يأخذ التصور الذهنى فى افكارهم كل مأخذ فهام اولئك يرون الطغاة البغاة و الاثمة الكافرين العتاة يحشرون قراء للشياطين و تصور الشياطين يجول فى المجالات الربعة التى ترتعد لها الفرائص و هاهم أولاء يسلط الله عليهم الشياطين و قد احضروا الى جهنم جثيا اى جروا وراحوا حولها يجثون جثيا اى على حال من القعود منع لهم لم يكونوا ألقوه و لا كانوا قد جثوه انما كانوا يجلسون على الارائك و الطنافس... ان

هذه الصورة تضع لهم وضعا يشمت له من يشمت من خصومهم و يحزن له من يحزن من ذويهم و اهليهم... فالعقوبة ليست من العقوبات العاجلة المتوقعة عروضها لهم بل هي من العقوبات الآجلة التي تظل تأكل نفوسهم و تشمت بهم الناس... و قوله تعالى «فو ربك» في هذا المقام تؤكد للامر الذي عناه الله في هذا التهديد...«انك لا- تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء...» القصص/٥٦ اعمال القلوب لا يملك التحكم فيها الا خالق القلوب، لذا لم يجعل الله من ذلك شيئاً لرسول و لا لنبى فللنبى كل شى الا اقتحام القلوب و ايصال الايمان اليها من غير عون من الله فذاك كما قلنا من سلطان الله وحده و لذلك نعني من خطابه المباشرة لنبية «انك لا تهدي من احببت» ان الهداية له جل شأنه وفق ارادة يريد بها هو وحده... ان النبى صلى الله عليه و سلم على عظمة شخصيته لدى ربه و كبير فضل الله عليه بالنبوة و التكريم و المقام الرفيع قد يتمنى لأناس من الناس ان يعتنقوا الاسلام ليكونوا فى منجاة من النار فلا- يتهيأ ذلك له ما لم يكن الله سلطان على ذلك يبت فيه ان شاء... ان اعمال القلوب ليست كسائر اعمال العباد مما هو من فصيلة الانعام و الغوث والاعانة يملكها من يملك القدرة على ذلك من البشر و قد قال الله فى ذلك فى مخاطبة النبى «أنعم الله عليه و أنعمت عليه»... لقد كانت جهود النبى فى اجتلاب الناس الى الاسلام جهوداً جديداً عظيماً، و ذاك لفرط ما عناه النبى فى هذا [صفحة ٣٥٩] الوجه من عناء و قد اثبت الله لنبية الدور الظاهر فى اخراج الناس من الظلمات الى النور الا- ان امر القلوب و العلم بما تكنه و الالمام بما تحتجته من ايمان حتى يستقر فيها انما هو من امر الله و خالص شأنه و صميم علمه لا غير... و النبى يعلم ذلك و يؤمن به و لا يتخطاه و لذلك كان كثيراً ما يصف ربه بانه مقلب القلوب و تلك هى العظمة الالهية التى لا يطاولها احد من العالمين. ان الله آتى رسوله ما آتاه من المواقع العالية و الفضائل الكبيرة السامية ولكنه جل شأنه احتفظ لنفسه بدقيق اسراره فى خلقه و على ذلك قام امر الكون بما فيه من كائنات لا يعلمها الا هو... و لا يتحكم فيها الا هو، و النبى اول من آمن بالله على هذا الهدى التام و كان اذ يسبح الله فى سجوده يسبحه قائلاً - سبحانك لا احصى ثناء عليك، انت كما اثبتت على نفسك -...«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً»... الاحزاب/٢١ كان نهج النبى صلى الله عليه و سلم فى سائر مواقفه العامة موقفاً يحسن التأسى به و متابعتة و تقبل سائر مراحلها و سمي الله ذلك أسوة حسنة بياناً للمتأسين بأنهم مقبلون من تأسيتهم على خير كثير... و مثل هذا التأسى انما يقع لذوى الفطنة الذين يميزون بين منازل الاعمال و درجاتها... «لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر» و من يحرصون على ذكر الله و يخلصون فى عبادتهم له و ممن يجدون فى اعماله صلى الله عليه و سلم الأسوة الحسنة حقاً. «و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك...» الاحزاب/٥٠ فى هذا النص ايماء ظاهر الى انه كانت لرسول الله لحمه قرابة متشعبة فى نساء العصبه و الارحام و ان تلك النساء على كثرة فى عددن كن من المؤمنات بالذى جاء به النبى و انهن أصبن من شرف الهجرة و لقين من حمل عبء العمل الاسلامى ما لقين و ما اصبن... و ما جاء فى النص من ان اولئك هاجرن مع النبى لا يعنى وحده الزمان و المكان فى هذه الهجرة و انما المراد بذلك وقوعها فى عالم الواقع التاريخي و ثبوت ذلك على مدى الايام التى لم يعلن فيها بعد ايقاف حكم الهجرة (لا هجرة بعد الفتح)... و يستدل بهذا على ان النبى كان و هو فى المدينة تساكنت فيها غير واحدة من ذوى قرابته. «انك لمن المرسلين»... يس/٣ فى القرآن الكريم فى سورة يس «والقرآن الحكيم... انك لمن المرسلين» و هذا نص يقسم الله فيه بقرآنه المنزل على رسوله انه لمن المرسلين مقولاً- ذلك بلام التوكيد... و تلا ذلك قوله تعالى «على صراط مستقيم» ثم جرى الالتفات الى القرآن موصوفاً بانه «تنزيل العزيز الرحيم»... و السورة مكية و قد وردت الاشارة الى ان اهل مكة و من وراءهم من العرب لم تكن لهم دراية بالشرائع و الديانات اذ قال عز من قائل «لتنذر قوما ما أنذر اباؤهم فهم غافلون» يس/٦. و الحقيقة ان العرب فى بطن الجزيرة منذ عهد ابراهيم عليه السلام لم يصل اليهم نذير من النذر و لا رسول من الرسل... و ذاك على غير ما عرف من تداعى الانبياء على بنى اسرائيل. و قد كان بعض الانبياء محسوبين على العرب من مثل صالح و شعيب و هود الذين كان بعضهم قد بعث الى قومه فى دهر بعيد... و السبب فى جهل العرب بمسائل الالهيات ان اليهود لم يكونوا يدعون الى ديانتهم من كان من غير اليهود و ان وقع فى صلب التاريخ انهم هودوا بعض القبائل من غير اليهود... و المسيحية لم تكن قد استقرت فى اصولها العقائدية الا

قبل ظهور الاسلام بوقت قريب لذا لم يظهر لها أثر عقائدى فى البيئه العربيه. فى النص القرآنى قسم يقسمه الله عزوجل بقرآنه على ان محمدا بن عبدالله من المرسلين... والامر [ صفحه ٣٦٠] قد يراه من شاء ان يرى لا- يحتاج لقسم، ولكن اعتزاز الله بنبيه جاء معبرا عنه بهذا القسم الرائع العظيم...«أنزل عليه الذكر من بيننا»... ص/الرغم ان القوم - والمراد بالقوم يومذاك اهل مكه - كانوا يصمون النبى بوصمه الكذب و السحر و الجنه فيما يواجههم به من النبوه و الرساله و يرفضون المبادئ التى جاء بهم اليهم فانهم كانوا يتمنون ان تكون النبوه فيهم والانبيا منهم. و لذلك قالوا «أنزل عليه الذكر من بيننا» و ذاك عجيب فى سلوكهم الجدلى اذ كيف يصح لمنكر وجود شىء ان يريد لنفسه... و تكرر منهم هذا النمط من الانار لاصل الموضوع و ادعائهم بعد ذلك من مثل قوله تعالى «و قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» الزخرف/٣١... و هم هنا صاروا يختارون اسماء الانبياء الذين بصفونهم بانهم من اعظم اهل القريتين لينزل عليهم القرآن الذى كانوا قد كذبوه جمله و تفصيلا و هو تناقض دل على الحيره الدامسه التى استقرت فى نفوسهم مما يعد اعترافا بالقنوط و اليأس و العجز عن مواجهه رسول الله بما يحقق لم أو ييسر لهم الغلبه عليه و كذلك كان الجهل و كانت الجاهليه...«أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك. و يمحو الله الباطل و يحق الحق بكلماته، انه عليم بذات الصدور»... الشورى/٢٤ فى النص ملامح تعجب من سلوك القوم و ظهور الغباء على جدلهم و اتهاماتهم فكأن النص يكتشف ما فى اعماقهم من محاوله الزعم بان النبى افترى على الله فى ادعاء انه رسوله... و قد عقب الله على ذلك بانه لا يفترى عليه و من يفترى عليه فانه تعالى ذو مقدره على ان يوقع به اشد العقوبات و ذاك ان مثل هذه الجريمه لا تسامح فيها عند الله و لذا قال «فان يشأ الله يختم على قلبك» فاذا كان الله يفعل هذا ان شاء فى معاملته اكرم الناس عليه و خير الرسل عنده فماذا ترى تكون عاقبه المفترين من الناس. واعلم ان الله انه «يمحو الباطل و يحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور»... و فى هذا دفاع عن الحقيقه التى جاء بها النبى من ربه فلو لم تكن على ذات ما جاء بهال من عنده فان الله يمحها لانه جل شأنه لا يقر الباطل. و قوله تعالى: «انه عليم بذات الصدور»... فيه تنزيه للنبى من أن تصح فيه نسبة شىء من مقولات خصومه اليه... و فى النص اشعار قائلى ذلك بان الله يعلم ما تنكه صدورهم من بغى و حقد و عدوان. والاسلوب القرآنى فى الكلام على النبى فى مثل هذه الحالات انما يكون ذا صراحه ملحوظه يراد بها مواجهه الكفار بالقسوه و شديد الرد و يظل اطار الصورة النبويه دالا على صدق النبى و مبتغى به الدفاع عنه ابدا. «و الذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد و هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم و أصلح بهم»... محمد/٢ يقرب اسم الرسول الاعظم هنا بصفه من صفات النبوه و الرساله و الانذار و البشاره و ذلك لان اسمه صلى الله عليه و سلم صار علما على هذه الصفات و المعانى وراح الفقهاء و العلماء اذا ذكروا النبى ذكروه ببعض ألقابه اذ صاروا يقولون قال صلى الله عليه و سلم و قال عليه الصلاه و السلام فيفهم السامع المراد بذلك... بل اذا قلنا قال النبى بات معلوما لدينا انه محمد بن عبدالله و من هنا كان عنوان كتابنا الذى هو (شخصية الرسول الاعظم قرآنيًا) من غير ان نورد اسمه الصريح صلوات الله عليه لان الساحة كلها مغلقة له فان ذكرت صفته اغنت عن ذكر اسمه فالامر ان سياتى. [ صفحه ٣٦١] و مثل ذلك انا نقول: قال تعالى و نعنى به الله عز شأنه لان المصطلح من الوضوح بما لا يحتاج معه الا تصريح باسمه عز شأنه... بل ان فى هذا الاطلاق القرآنى لاسمه عليه الصلاه و السلام ما يعد تنويها باسمه و تصريحاً بصفته و اعلانا بعلو مقامه و كانت العرب ترى العناوين القصيره ابغ من العناوين الطويله و أظهر دلالة على مضامينها و كذلك قالوا فى الانساب... و فى موضوع الاسراء جاء قوله تعالى: «سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا» الاسراء/١... فما من احد لا يفهم من هذا النص أن المراد بذلك هو النبى و ان لم ينص على اسمه بصراحه. و ذاك لانه صار من البديهي أن محمدا هو رسول الله و هو نبيه و هو من بعث الله بشيرا و نذيرا الى العالم، و فى هذا ما فيه من وقوع الاشتهار فى كل مكان بأن النبى لم يعد بحاجه الى أن يذكر اسمه كلما ذكر مقرونا باللقب النبوى فان ذلك بات من البديهيات الواضحه... و سائر الخطابات القرآنيه التى جاءت بها الاشاره الى شخصيته صلى الله عليه و سلم نبيا او رسولا او بشيرا أو نذيرا كانت غير مقرونه باسمه صلى الله عليه و سلم و من ذلك «النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم» الاحزاب/٦... و كذلك «ان الله و ملائكته يصلون على النبى يا ايها

الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً» الاحزاب/٥٦... فانه من الواضح البين أن المراد به محمد صلى الله عليه و سلم. و قد عرف المخاطبون الذين أمروا بالصلاة عليه و ايضا قوله تعالى: «الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل» الاعراف/١٥٧. لم يعلق بذهن من يسمع هذا النص أنه يعني غير رسول الله محمد. و بذلك نعلم أن اطلاق كلمة النبي أو الرسول من غير ذكر اسمه. انما هو لتبوت شهرته و للمبالغة في اعزاز مكانته... و من ذلك قوله تعالى «و قال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا» الفرقان/٣٠... فان المراد به هو الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه و سلم. لم يقل احد في ذلك غير ذلك. و منه ايضا قوله تعالى «حتى بقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله» البقرة/٢١٤... فان المراد به هو محمد صلى الله عليه و سلم و كذلك «الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما اصابهم القرع» آل عمران/١٧٢... و كل ما ورد من اسم الرسول مقرونا باسم الله كان معناه محمد صلى الله عليه و سلم. هذا و في النص تصريح بأولية شخصية الرسول في كل مكان و مجال و كونه ذا أحقية بكل ترجيح و تفضيل على كل غال و رخيص و جليل من الامور و غير جليل و أن حقوقه صلى الله عليه و سلم مقدمة على سائر حقوق الناس لأن علاقته بالامة فوق سائر انواع العلاقات و أن امره فوق كل امر و نهيته فوق كل نهى... و لا تملك التعبير العربية المتيسرة لدينا أن تأتي من الكلام بشيء يفى هذا النص حقه من التفسير و البيان و التعريف بالمعنى الذي عناه النص في ذات رسول الله العظيم... و اننا إذ نكرر في هذا الكتاب ايراد معان ببعض صيغها في هذا الصدد فان مثل ذلك لا يرد عن غفلة و انما هو من طبيعة الكلام على شخصيته صلى الله عليه و سلم، اذ ان البحث فيه اذا تكرر ففي كل مرة يتكرر فيها يرد الكلام و فيه من مفردات الحقيقة التي تستوعبها سيرة الرسول ما يتمم القول على هذه السيرة ان وردت في مكان آخر... و الكتاب اعلامي النهج فلا يستغرن قارئه أن يجد في تضاعيفه من تكررات الامور ما يحسبنا لا- عنيه او أنا نقوله عن غير دراية فانما نحن آخذون بالمنهج القرآني في ذكر المعلومات و السير التي يتعدد ذكرها في آياته و سوره مفصلة آونة و موجزة آونة اخرى... [ صفحة ٣٦٢ ] و تفاصيل الكلام على شخصية الرسول الاعظم انما يقع فيها التكرار وفقا لتنوع العناوين في سيرة شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم. فان العناوين هي التي تتحكم في تحديد جماعة كلام على هذه الذات العظيمة اذ يتطلب الامر الايجاز عند بعض العناوين و الاسهاب عند البعض الاخر. و كذلك يقال في تكرار الاستشهاد بالآيات القرآنية وفق مقتضى الحاجة الى ذلك. و كذلك نقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى «أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر أولو الالباب» الرعد/١٩... في هذا النص ذم صريح و ازدراء ظاهر بالذين لا يستقر في نفوسهم ان ما انزله الله على رسوله محمد هو الحق. اذ وصمهم بالعمى و أنهم من غير ذوى الالباب و في هذا من تزكية الرسول صلى الله عليه و سلم و اعزاز مكانته و الرفع من ذكره مالا يحتاج لأيضاح و هو مما يصل الى درجة القداسة العظمى في شخصية رسول الله حين يقال في من لا يعلم ذلك او ينكره انه اعمى و هو حتما عمى القلب الذي لم يترك فيه الضلال بصيص نور يميز بين الحق و الباطل... و انما وصفه بالعمى لأن الحقائق التي انزلها الله على رسوله كانت على مستوى هو اشبه شيء بالمرئيات المكشوفة لذوى الابصار و البصائر فمن لم يرها على نصوصها فانه جدير أن يقال فيه انه اعمى. «و لو تقول علينا بعض الاقاول، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين»... الحاقة ٤٧/٤٤ صدق ايمان الرسول بربه و حسن موقعه الذي كفله الله له و كريم المنزلة التي انزل الله نبيه فيها كل اولئك اثبتته الآيات القرآنية فكان عليه الصلاة و السلام اعز مخلوق لدى خالقه و اقرب كائن بشري من بارئه و الله اعلم حيث يجعل رسالته و اذا جعلها حيث يشاء افرغ فيها جل شأنه بركاته كلها و أنعمه كبيرها و صغيرها. و من اجل ان يكون الله هو الله لا يشركه احد في شيء مما اختص به نفسه لئلا يتوهم قوم أن لأحد من رسله ما يجاوز قدره فيكون له مقام الشريك. في ذلك نرى البارى عزوجل يورد على وجه الافتراض ما يصرح بهذه الحقيقة بكامل مواصفاتها... و كان من بعض ذلك قوله عز من قائل «و لو تقول علينا بعض الاقاول لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين»... اي ان رسوله اذا وقع منه من التصرف ما يصل الى درجة التقول على الله و التدخل في امره و نهيته لكان موقف الله منه موقف المؤدب الزاجر و المعاقب الشديد في عقابه. و في النص تزكية حسنة للرسول من ان يقع منه ذلك او بعض ذلك فهو اذن برىء من الاتهام بالتقول على الله وحاشى له ان

يتقول على الله و قد ادبه الله فأحسن تأديبه. كان النبي صلى الله عليه و سلم باراً بربه صادق الاخلاص له و عظيم التعلق به و كثير المخافة منه، و ذاك دأب الانبياء جميعاً فانهم يستصغرون انفسهم امام عظمتهم جل شأنه فهذا ابو الانبياء ابراهيم عليه السلام يقول في بعض دعائه «و لا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع مال و لا بنون، الا من اتى الله بقلب سليم» الشعراء ٨٧/٨٩... و يقول نوح عليه السلام «قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم و ان لا- تغفر لى و ترحمنى اكن من الخاسرين» هود/٤٧... و يقول موسى عليه السلام «... سبحانك تبت اليك و انا أول المؤمنين» الاعراف/١٤٣... و قوله تعالى «فما منكم من احد عنه حاجزين»... يشير النص الى ان النبي صلى الله عليه و سلم كان له ابناء يفتقدونه و اعوان يحجزون عنه من يعمد الى اصابته بأذى، و يكون ذلك عند قيام جهة ذات قوة و بأس شديد بمهاجمته و ايدائه و بذلك يكون الدفاع [صفحة ٣٦٣] عنه معرضاً المدافعين للادى و بطش الخصوم كالذى كان من حماية اصحابه له فى وقعة احد اذ تداعوا عليه يحمونه من السهام التى اطلقها عليه الاعداء... و أصل النص يدخل فى التحذيرات الالهية كما ان فى ذلك ما يومىء الى حرص الله على دينه و تفصيل شرائعه... والكلام و ان كان يدور هنا على الرسول فانه يتناول كل جهة تهم بدینه هذا الهم. و اول النص «و لو تقول علينا بعض الاقاويل لآخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين» و الكلام قائم على الافتراض الذى يعلم الله انه غير كائن و لا- متوقع لانه احسن اختيار نبيه و هو اعلم حيث يجعل رسالته ولكن القانون الالهى حين يقرر القاعدة يقررها على وجه التعميم أى لبادر من معه الى دفاع عنه و صد العادية عنه من غير ان يقفوا متفرجين على ما يقع له... و فى النص تبرىء للنبي ان يكون صنع ذلك او هم بصنعه لانه توهم بذلك او صنعه لآخذه عقاب الله اخذا ظاهراً يتكشف لكل راء من الناس فهو اذن صلى الله عليه و سلم على ثابت عصمته و التزامه بأوامر الله و النصح للامة و للملة و تحاشى القول على الله فى شىء. [٩٣]. ان النص يزكى الشريعة و يكاد القسم ينعقد به ان النبي لم يقع منه فى اثمائه على الشريعة شىء زاد منها او نقص، فكان النص يعنى مخاطبة الناس بالاطمئنان الى ما جاءهم النبي به من احكام و عبادات و اصول اساسية فى الدين و الشريعة انما هو على نقاوته و صحته و سلامته و صحة النقل فيه عن الله الذى هو حام دين و صائن ملته و الرقيب على ذلك ادق رقابة... و ليس للنبي فى القول على الله من مصلحة او فائدة فهو رسول امين ارتضاه الله لرسالته فلقد كان ذلك من عظيم سعاداته لتشريف مقامه و اكار منزلته... «الهاكم التكاثر حتى زرت المقابر». التكاثر ١/٢١ المخاطبون بهذا النص القرآنى هم العرب، و قد جاء النص موضحاً اجلى خصائصهم فلقد كانت المكاثرة دأبهم و المكاشرة فى الخصومة همهم اذ كان كل فرد منهم برى فى نفسه التفرد فى كل شىء فهو الرئيس لا- الرؤوس و الكبير لا- الصغير و الكريم لا- البخيل. و الغالب لا- المغلوب و الامير لا- المأمور و هى نزعة لبثت فيهم الى دهر بعيد... و التكاثر فى النص يعنى المباهاة بالكثرة و ادعاء الغلبة و الاقتدار على كل شىء و ما قصيدة عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلى الا من الشواهد القاطعة بهذا المعنى... «الهاكم التكاثر حتى زرت المقابر» اى ان تكاثركم و تفاخركم بأمجادكم جرکم الى التقاتل الذى انتهى بكم الى المقابر اى تقديم الضحايا البشرية الكثيرة... و من هنا فان كثرة قبائل القوم و افخاذهم و عشائهم و بطونهم قد زادت من المكاثرة بينهم و لم [صفحة ٣٦٤] تكن القربى لتعوق دون ان يعزوا بعضهم بعضاً. و كانت الترات و الثارات تفعل فعلها فى التقاتل و كان من حذق القوم فى هذا الباب ان يهتدوا الى اتخاذ الاشهر الحرم الاربعة لاحلال السلام بعض الوقت فى ربوع جزيرتهم و بذلك استطاعوا التوصل الى طريقة تحقن دماءهم لأياً من الوقت، و رغم ذلك فلقد كان هناك من ينسا شهور الحرم الى شهور الحل فيمنع على نفسه معرة المسؤولية فى القتال خلال هذه الاشهر الحرم... و لقد و بخ القرآن الكريم الذين كانوا يصنعون ذلك توبيخاً شديداً «انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاماً و يحرمونه عاماً ليوأثوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله...» التوبة/٣٧... و كان من مبادئ الاسلام المعلنه الغاء الثأر و النهى عنه و ترك القصاص الى السلطة تتولاه بنفسها لان الثأر عملية متكررة على مدى الازمان لا تنتهى و لا تتوقف بحيث كان الاحفاد يقتصون للاجداد و كان لآل عبدالمطلب ثأر لدى قوم من العرب قتلوا قتيلاً منهم و قد اعلن النبي اسقاط ذلك الثأر فى خطبته الكبرى عام حجة الوداع... و لم يكن من الشرف القبائلى التخلّى عن اخذ الثأر الا بالدية التى تتم الموافقة عليها بين الاطراف المتنازعة... الا أن الرسول الاعظم اعلن

اسقاط حق اسرته في الثأر الذي لها على الجهة القاتلة و انها حقا لجرأة عرفت في الرسول في كثير من المواقف التي تحدى بها عادات القوم و عنعناتهم ايام جاهليتهم مما تعد به شخصية الرسول الاعظم شخصية متفردة في القوة و الحزم و الاقتدار العالي في اخطر مواقف المواجهة و ذاك ان الله جمع له بين الجرأة و الحكمة و الاقدام و التريث و القدرة على التعجيل في الضربة والاناة. و عند كل نص قرآني تبرز للرسول صلى الله عليه و سلم شخصية مميزة رائعة عظيمة...

## كلمة قبل النهاية

اذ يتم الجزء من الكتاب تمامه و تعرف من مراجعة فصوله سماته و أحكامه و ما هناك من فرائض و سنن مسنونة و آداب و قيم و تعاليم و حقائق جاءت بها شريعة سيد المرسلين فبات بها الاسلام ديننا متميزا بالمزايا الرفيعة التي اثرت حياة الامم المسلمة بثروات العلم و الحضارة و الاخلاق حتى يوم الناس هذا و بذلك ستزداد شخية الرسول الاعظم في مجال عطائها التاريخي خلال ثلاث و عشرين سنه هي عمر الرسالة البلاغي الاول... اي ستزداد عظمة هذه الشخصية العظيمة عظمة على مدى الاجيال و الى يوم التقاء العالم البشري بين يدي الله... لقد كتب في سيرة الرسول العربي محمد بن عبدالله كثيرون من كتاب السير من قدامى و محدثين و من منصفين و مغرضين و من مستشرقين و غير مستشرقين و وجدنا في افراد هذه المجموعة من لجأ الى الثلب المحض بغير تورع و لا- حياء من التاريخ فقد علمنا ان ذلك مما لا يحسن فيه شيء من الجدل لان الجدل انما يقع في مجال منالعلم و الرواية و التجريح و التعديل و ليس في الثلب و السباب ما يصلح ان يجادل فيه مجادل. و انما يحصى ذلك على الضمائر الآثمة عليها تستيقظ يوما ما فتتحسس مواقع الاثم في ما كان شائنا من مواقفها... و هناك من الحاقدين على التحرك العربي الذي حمل راية الاسلام الى العالم فقضى على دول كانت ذات سلطان و شموخ و بغى في الارض بغير الحق مما نشأ بمقتضاه من الحقد ما نشأ... و في الذين كتبوا في سيرة الرسول الاعظم ما كتبوا مدفوعين الى ذلك بدافع الحقد فريق من أقسه المستشرقين فكان في كلامهم الاسفاف و التحامل و اللهجة التي لامساک فيها من ادب و لا حياء و لا انصاف... [ صفحہ ٣٦٥ ] و هناك من كتب في السيرة النبوية اشياء اساء بها الى الحقيقة و ذاك من طريق الاخذ بكل رواية هزيلة و ضعيفة و الاعتماد على ما جاء من النقول الملققة و الموضوعه... و قد ساعد هؤلاء على المضى في خطهم هذا ما هناك من تهافت المصادر المكتوبة رغم تعارضها و تساقطها... ان قليلا من غير المسلمين من اعترف لشخصية رسول الله بالوصول الى قمة الكمال و الى التفرد في عالم الاصلاح و الى سمو الشخصية المحمدية خلقا و خلقا. اجل انهم قليلون كل القلة... و ظهر في بعض فئات الامة من ادعى انه ادري بالاسلام من سائر الفئات و الاقوام ولكن هؤلاء اغمضوا عيونهم عن جلائل من المزايا التي ماز الله بها نبيه العظيم محمدا صلى الله عليه و سلم يحسبون انهم بانكار ذلك يصلون الى تنقيح عقيدة التوحيد من معالم الاشراك بالله و هم واهمون... و قد جاء جانب من كتابنا هذا في مناقشة ما تهافت من مقولات هؤلاء ابتغاء تصحيح ما علق باذهان من تأثر منهم بمعلومات لا- ظل لعمودها ما بقى قائما في الشمس عند كل شروق و عند كل غروب و ليطمئن كل مسلم ان دينه دين رصين لا تملك المزاعم الباطلة هز ساريتة و أن نبيه فوق الظنون الظالمة و انه السماء التي ما طاولتها سماء... هذا الكتاب الذي يحوم حول شخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم استغرق تأليفه عدة سنوات و استخدمت في املائه و تدوين فصوله فريق عمل تم انشاؤه في وزارة الثقافة و الاعلام بأمر الاستاذ الوزير حامد يوسف حمادى... و كنت حاولت ان يكون لي مثل هذا الفريق لدى مراكز ثقافية أخرى معروفة في البلد ولكن الذي يسره الله هو هذا الفريق. و كان في جمهرتهم ابني (واعية) الطالب في كلية الفنون الجميلة الصف الثالث و اليه يرجع امر الاخراج و المتابعة و هناك فصول في مباحث السيرة قد يتهيأ لها الظهور في جزء آخر ان شاء الله و الذي ينعقد عليه رجاء الكثيرين ان يترجم هذا الكتاب الى اكثر من لغة اجنبية لما هو معروف من رغبة اهل تلك اللغات في قراءة ما يكتب في السيرة النبوية. الشيخ جلال الحنفي البغدادي ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م [ صفحہ ٣٦٦ ]

## التعريف بالمؤلف والتأليف

الشيخ جلال الحنفي من مواليد بغداد عام ١٩١٤... اكمل الابتدائية عام ١٩٣٠ والتحق بكلية الامام الاعظم و كانت كلية يقبل فيها خريجو الابتدائيات و بعد سنتين غير اسمها الى «دار العلوم العربية و الدينية» كما أزيلت عنها صفة الكلية فصارت مدرسة ثانوية على مستوى دور المعلمين. و فى سنة ١٩٣٩ كان التحاقه بالازهر الشريف بالقاهرة و اذ كانت الحرب العالمية الثانية تهلك الحرث و النسل اغلقت الجامعات المصرية ابوابها فعاد الى العراق ١٩٤٠... فى سنة ١٩٣٦ تم التحاقه بالوظائف الدينية فى مساجد الاوقاف... مارس التعليم و الصحافة و الخدمة فى المساجد... فى عام ١٩٤٧ صدر قرار من لجنة الحكام و القضاء بتعيينه قاضيا فى محاكم العراق الشرعية... و للمؤلف جمهرة من الفتاوى فى قضايا الطلاق نهج بها نهج التيسير و التطبيق الشرعى الصحيح فى معاملة قضايا الطلاق، و ذاك للذين يراجعونه مستفتين عنده فى هذا الامر... اذاع كثيرا من الاحاديث الدينية و الادبية من اذاعة بغداد منذ اول نشوئها... اتصل حين وجوده فى مصر ١٩٤٠-١٩٣٩ بجمهرة من كبار علمائها و مفكريها منهم الشيخ محمد الخضر حسين و محمد فريد و جدى و محمد زاهد الكوثرى و آخرون من اقطاب الفكر هناك. و فى العراق اتصل منذ ايام شبابه الاول بثلة كبيرة من رجال العلم و الادب و اللغة كان منهم امام العربية الاكبر الأدب أنستاس مارى الكرملى و الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى و من اساتيد فى الجامعة الاستاذ طه الراوى و اتصل بالشيخ محمد القزليجى و تعلم منه الكثير. و الشيخ عبدالقادر عبدالرزاق الذى كانت له امامة الاقراء فى بغداد و اتصل بغير واحد من كبار المراجع المعروفين فى النجف و بمشاهير رؤساء الاديان فى بغداد. سافر الى الصين عام ١٩٦٦ لتدريس العربية فى جامعاتها و مكث حتى عام ١٩٧٠ و خلال ذلك كان زواجه من امرأة عراقية و ولد له فى الصين ولده البكر (ليد) و اثنان آخران من الابناء... و أعيد الى الجامعات الصينية بقرار من مجلس قيادة الثورة عام ١٩٧٥ و لبث نحو سنتين عاد بعد هما الى بغداد، و من الصين كتب مئات المقالات للصحف العراقية و غيرها... [صفحة ٣٦٧] الشعر... نظم المؤلف الشعر منذ عهد صباه الاول و كان يكثر منه و يقل و قد تم له من ذلك طبع بضعة دواوين و مجاميع و ما تزال نسبة عالية من شعره لم تطبع بعد فى ديوان و ان كان معظمها قد نشر و ما زال ينشر فى الصحف و المجلات... الصحافة... تهيأ له أن يطالع الصحف الصادرة فى بغداد منذ وقت مبكر جدا اذ كان فى الخامسة عشرة من عمره قد التحق بخدمة مجلات جمعية الهداية الاسلامية متدرجا من مستخدم بسيط الى مصحح الى كاتب و محرر فيها كان يطالع ما يصل الى المجلة من مسحف خارجية بطريق المبادلة... و فى العشرين من عمره كان رئيسا لتحرير مجلة الناشئة الاسلامية الاسبوعية. و كان سكرتيرا لجمعيتها... و فى عام ١٩٣٩ اصدر مجلة الفتح الاسبوعية فى بغداد التى كانت تبحث فى الدين و الادب و الموسيقى... و توقفت بعد سفره الى مصر فلما عاد و اصل اصدارها بعد حين من عودته... و لبث ينشر فى الصحف الأدبية و السياسة مقالات لم ينقطع عنها و صارت له فى الصحف اعمدة دائمة حتى يوم الناس هذا. و كان ايام صباه يكتب مجلة و رقية لا- يزال يحتفظ بمجموعة اعدادها منذ عام ١٣٥٠ هجرية اذ كان يقتصر فى تاريخها على التقويم الهجرى القمري... التأليف... اشتغل فى التأليف منذ اوائل الثلاثينات و قد نشر اول كتاب له عام ١٩٤٠ فى القاهرة - اذ كان طالبا ازهريا فيها - و هو بعنوان «التشريع الاسلامى تاريخه و فلسفته» و فى عام ١٩٤١ نشر له فى بغداد الجزء الاول من كتابه «معانى القرآن» و هو فى التفسير. و اشتغل فى ادبيات التراث البغدادي فألف معجما فى العامية البغدادية من عدة اجزاء طبعت منها ثلاثة و ألف كتابا فى «الامثال البغدادية» من جزئين و قدم له الاستاذ الشيخ محمد رضا الشيبى و هناك جزء ثالث فى الامثال ذات اللغة البديئة لا يزال مخطوطا و توجد منه نسخة فى ألمانيا و ألف كتابا عنوانه «المغنون البغداديون و المقام العراقى» اثبت فيه تراجم عدد منهم كان قد تتبع مسيرتهم الثقافية و الفنية كما كتب كتابا عنوانه «مقدمة فى الموسيقى العربية»... و ألف «الامثال اليمنية» و «الامثال التونسية». و فى الصين عكف على وضع معجم صينى عربى و قد قطع به مرحلة طويلة ولكن ما دام بصره من الضعف عطل عليه انجاز هذه المحاولة التى كان يهدف من روائها التوصل الى كتابة الصوت الصينى بالحرف العربى. و كتب فى «الأيمان البغدادية» و فى «شمائل بغداد و حياتها اليومية فى عشرينات القرن العشرين»، قدم له الدكتور حسين على محفوظ... و ألف كتابا فى الصناعات و الحرف البغدادية و



في اللغة ألف كتابه «كلام على الاملاء العربي» قدم له الدكتور ابراهيم السامرائي. و «الادب العربي في الجاهلية و الاسلام» و مثله «العلم و الايمان» من المناهج التي كانت مقررة في كلية الامام الاعظم... و عنى بدراسة العروض و وضع فيه كتابا صحح فيه منهج التدريس العروضى عنوانه «العروض تهذيبه و اعادة تدوينه» و قدم له الدكتور عبدالرزاق محي الدين... و عنى بالاصوات الادائية في التلاوة القرآنية فألف في ذلك كتابه «قواعد التجويد و الالقاء الصوتي» و الذى قدم له السفير التونسي الاستاذ الحبيبي عباس، و جرد منه «التجريد من قواعد التجويد»... و زاول الكتابة في مسائل النقد الاقراي و بذلك يعد مؤسس الطريقة البغدادية في العروض و الاقراء و ذاك بفعل ما أخذهما به من التطوير و تنقيح المصطلحات... يعد كذلك مؤسس المدرسة البغدادية في السيرة النبوية. و ألف في «الصحة الاجتماعية على ضوء الدين» و من ذلك الكراس المسمى «الفلسفة الصحية في الاسلام» قدم له الدكتور عبدالحميد الطوخى مدير [صفحة ٢٦٨] الصحة العالم و كذلك كتاب «صحة المجتمع»... و ألف في المرأة كتابا عنوانه «المرأة في الاسلام» و ألف في نقد الشعر... و مما طبع له من الكتب الثقافية [رسالتان و اطروحة و طالبة متشككة و فلسفة الاحسان في الاسلام] و كتب دراسة في القمات حارب بها استعمال القمات في شد و ثاق الاطفال الرضع. اما احاديثه الاذاعية فقد فقد معظمها الا كراسا واحدا جمع شيئا يسيرا منها عنوانه «من وراء المايكروفون» و فى مباحث اللغة ألف كراسا عنوانه «فى التصحيح اللغوى»... و فى مسائل الاعراب والنحو و علم التصريف نشرت له آراء فى الصحف يصلح أن تكون منها كتب كثيرة... و من كتبه الوعظية كرايس كان يؤلف منها فى كل شهر رمضان شيئا منها... ناقش مشاهير المؤرخين و الباحثين الاسلاميين و غيرهم و من ذلك ما كتبه فى نقد الدكتور جواد على المؤرخ العربى و الدكتور بديع شريف و الدكتور عبدالعزيز الدورى و الدكتور عبدالكريم زيدان و الدكتور على الوردى و فى مباحث الصوتيات اللغوية ناقش الدكتور حسام الدين النعيمي و ناقش شخصيات من مشاهير المفكرين فى العالم العربى و غير ذلك مما هو غير قليل... و كتب مئات المقالات فى سائر ابواب المعرفة الانسانية، و كتب فى مطالب البحوث السياسية و الوطنية و المعارك الاديبة و الفقهية الكثير... و خاض فى مواطن الجدل العقائدى و اقتحم فى السياسة مجالات شائكة سجن على اثرها غير مرة فى العهد الملكى. الجمعيات... اولع بالعمل فى الجمعيات و كان يترأسها منذ ايام التلمذة الابتدائية. و أسس جمعية الناشئة الاسلامية اوائل الثلاثينات و شاركه فيها الشيخ عبدالباقي العانى فكان لها نشاط ذائع. و فى سنة ١٩٤٨ اسس جمعية الخدمات الدينية و الاجتماعية فى العراق و قد شاركه فى تأسيسها الشيخ محمد فؤاد الآلوسى و الشيخ عبدالحق حامد المصطونى. فكانت من الجمعيات العاملة فى حقل الاصلاح الاجتماعى... الى أن ألفت سنة ١٩٥٨ و كانت للجمعية مجلة و منشورات و كتب توزع بالمجان عالجت بها الجمعية مشاكل البغاء و تشرد الاحداث... و امور الزكاه و هموم الفقر... سفراته... سافر الى مصر عام ١٩٣٩ ملتحقا بالازهر الشريف و سافر غير مرة الى سورية و لبنان و فلسطين و اليمن و الصومال و جيبوتى و تونس و الجزائر و المغرب و باكستان و الهند و افغانستان و الصين و اليابان و هونك كونك و سافر الى طوكيو و سيئول فى كوريا الجنوبية و خطب فى مسجدها الجامع. و سافر الى الكويت و ألف فيها معجم الالفاظ الكويتية، و فى صنعاء حاضر فى جامعتها. و حج بيت الحرام ضمن اعضاء هيئة الحج العراقية العليا... قراءته... اولع بقراءة السير و الاقاصيص العربية منذ عهد الصغر و مما قرأ سيرة عنترة بن شداد العيسى و سيرة حمزة البهلوان و الظاهر بيبرس و ألف ليلة و ليلة و سيف ابن ذى يزن و ذاك منذ العاشرة من عمره... و قرأ ماهية النفس ترجمة ميخائيل تيسى و الادب الجاهلى ل«طه حسين» من طبعته الاولى و هو دون العاشرة. وقرأ جمهرة كبيرة من كتب الديانات و اطلع على ما كتبه المغرضون من المستشرقين و غيرهم فى الشخصية المحمدية... و ناقش ذلك نقاشا علميا على أتم ما تكون المنطقية فى الجدل من اجل الحقيقة... مارس مهام الامامة و الخطابة و الوعظ فى معظم مساجد بغداد و هو اليوم امام و خطيب جامع الخلفاء وفق قانون خاص... و قد تحلى صدره باربعة من اوسمه الاستحقاق العالى كان اثنان مهما قد تم تعليقهما على صدره بيد الرئيس القائد صدام حسين فبات بذلك من اصدقاء الرئيس حفظة الله ورعا... كتبه بتلخيص لقيف من طلاب المؤلف... [صفحة ٣٦٩]

## ملحقان...

الملحق الاول... «ألم نشرح لك صدرك، و وضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك، و رفعنا لك ذكرك، فان مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا، فاذا فرغت فانصب، و الى ربك فارغب». الانشراح ١/٨ فى هذا النص الكريم تلخيص لعظم العبء الذى كان النبى يحمله و ثقل و طأة العناء الذى كان يعاينه خلال فترة النهوض بالدعوة الى الله و ارشاد القوم الذين بعث فيهم نبيا... فلقد رأينا النص يصف ذلك بأنه منقضى للظهر اى انه حمل جد باهض و فى ذلك صورة تراها الذاكرة التى يقع اليها هذا المعنى حين تلاحظ الظهر الذى انقضه الوزر فهو لا يكاد يدب على الارض إلا معنى مكودا محدودا بفعل الجهد الذى يؤديه فهو جهد اى جهد... و فى وضع الوزر عمن انقض ظهره الوزر صورة للاراحة التامة بعد مرهقات الاثقال و الاوزار... ان النص الكريم يكلم النبى فى الاشارة الى عهد مر به كان شديد المعاناة من الامر العسير نسيانه او اخراجه من الذهن و الذاكرة و الواقع التاريخى، ولكن الله فرج على نبيه عظم الكرب و شدة الخطب اذ ختم تلك الايام بالتوفيق و النجاح بحيث كان ذلك قد حقق له انشراح الصدر و الحصول على ارتفاع الذكر و علو الشأن و اخذ المجد من جميع اطرافه و بكل كيانه و ممتد ساحته... و فى السورة معادلة لأمرين متباينين هما شدة الجهد و ثقل الوزر الذى كان منقضا للظهر و ما كان بعد ذلك من شرح الصدر بالوصول الى النصر و رفع الذكر بعد عهد الضياع و المتاهة فى غياب الايام الحسوم و غمرات الصراع الرهيب و القراع المرير اذ لم تكن الامة فيها قد احسنت الظن بنبيها و منشىء كيانها و باعث نهضتها... و فى قوله تعالى «فان مع العسر يسرا، ان مع العسر يسرا» ايماء الى الواقع الذى انتهى اليه جهاد الرسول الاعظم بحيث حل محل العسر يسرا ان تجليا للنبى ساعة نزول هذه السورة الكريمة فى اخريات ايام حياته الشريفة بعد ذلك الجهاد المرير و الصبر الجميل و المعاناة القاسية و الهم الثقيل. و ظاهر فى قوله تعالى «فان مع العسر يسرا، ان مع العسر يسرا» التوكيد التام على تحول الاحوال و تبدل الظروف و الوصول الى قمة النجاح... و ذلك لأن الله عزوجل لم يجعل العسر الذى اصاب النبى بغير يسر بل انه جعله مقرونا ابدا بيسيرين. و الحق أن عاقبة ذلك الجهاد المرير المتصل الخطوات و المترابط الحلقات قد كانت نصرا لا يشبهه نصر. اجل انه نصر عظيم... ان صيغة المعادلة فى آيات سورة الانشراح آخذة بالنبى الى استحضار ايام المحن الطوال تقرر بينها و بين ايام الفوز العظيم لتكون الحالتان على مدى الرؤية. فلقد كان الرجل الذى ناط الله به امر الرسالة الى قومه قد ناط به امرا تنقض به الظهور فاحتمله و صبر عليه و خرج من تحت وزره بقامته الشامخة منتصرا اعظم انتصار... انك لجد عظيم سيدى الرسول العظيم صلى الله عليك اكرم صلاة و سلم عليك اكرم تسليم... و السورة على ما رواه بعض الرواة مما نزل بعد الهجرة و قد خذنا بذلك و قلنا به [٩٤]... الملحق الثانى: «انا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، ان شانئك هو الابتر»... الكوثر ١/٣ فى هذه السورة معادلة اخرى بين ايام و ايام اذ كانت الايام الاولى أيام احتمال لثقل الحياة و قاسيات أحداثها فذاك مبغض و هذا مكذب و آخر شانىء و رابع ساخر و مستهزىء و مزدور بفعل ما يملك من جرأة على [صفحة ٣٧٠] الاستخفاف بالقيم الكريمة التى جاء النبى يدعو العراء منها الى الاكتساء بها و التحلى بحليها. ان كلمة الكوثر هنا تعنى كل شىء دون استثناء شىء لانها صيغة للكثير من العطاء الذى لا اكثر منه و قد كان ذلك كذلك فراح الرجل الذى لم يكن سفهاء قومه يخجلون أن يقولوا فيه اذا رأوه «اهذا الذى بعث الله رسولا؟! الفرقان ٤١ أجل راح و هو الرسول حقا تهييبه الرجال و تغض عنده الاصوات و تطاطىء الابصار. و أمر الله نبيه أن يجزى ذلك بالصلاة الى ربه صلاة لا تنقطع لأن فضل الله عليه كان عظيما و أن يتبع ذلك باغداق الاحسان و طيبات العطاء و ذاك ما جاء التعبير عنه بالنحر... حقا ان الشانىء الذى ملأ الحقد قلبه و سود الغيظ ضميره و لبث بعد كل ما تحقق للنبى من نصر و فوز و ظهور ظل الشانىء شائنا و الحاقدا حاقدا، اجل انه لا يتر اى لا ظل له من سداد رأى و لا حميد الخصال و لا رشيد الامر و لا جميل الخطاب. فهو فى حاضر دامس و فى مستقبل فارغ من كل صيت حسن و سمعة محمودة و ذكر بالخير حيث يذكر الفضل و أهله... و كون شانىء النبى أبترا نما يعنى شانىء كل محمدا و فضيلة و عمل صالح رشيد، لان الرسول يمثل طاقة خير عظيمة الحجم فوق مستوى سائر الجهود و الطاقات و من كان كذلك كان خصومه و حاسدوه جديرين بما وصفهم الله تعالى به من الهلاك و البوار و التبار... و ما تكلم به اناس من ان احدهم على ماروى

بعضهم حين سئل اين كنت قال كنت عند الابتر. فهي رواية فاسدة و من رواها و يرويها انما هو من نفله الافك و زور القول. ان كلمة الابتر فى النص القرآنى تعد من جذر كلمة التبار و التتير و ما هى على زعم بعض السطحيين الذين يفسرون الابتر بانقطاع الذرية [٩٥] والحمد لله الذى تتم به الصالحات. الشيخ جلال الحنفى البغدادى.

## باورقى

[١] «نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين، الشعراء ١٩٣/١٩٤/١٩٥

[٢] صالح المؤمنين اى صالحوا المؤمنين.

[٣] الرسالة الاسلاميه رساله عالميه فلقد كان الانبياء يبعث كل نبى منهم الى قومه. و بعث صلى الله عليه و سلم الى الابيض و الاسود و الاحمر فكان رسول البشريه جمعاء و ليس من منطلق الدعوات الدينيه و غيرها ان تخرج اعرافها خارج بيئاتها التى ينشأ فيها دعواتها فان النبى انما يطاع لمعرفة الناس به و بسلو كياته و بما يكون بينهم من اتحاد اللغه و الثقافه و بما يكون النبى فى حاجه له من الاعوان و الانصار. و على ذلك وجه الله نبيه الى البدء بانذار عشيرته الاقربين ثم راح ينذر بقيه العشائر و القبائل ذوى الانتماء الى العرق العربى... على ان دعوة غير العرب الى الاسلام كانت ملحوظه منذ الايام الاولى للمبعث النبوى فلقد وقع فى غضون ايام الدعوة الاولى ان اقبل على اعتناق الاسلام غير واحد من غير العرب و قبل اسلامه. ان امر النبى بالسبق الى انذار عشيرته و ذوى قرابته بالدين الجديد لم يكن من هينات الامور فان ذوى القرابه من الناس فلما يتعاطفون فيما بينهم فى مثل هذه المطالب العقائديه و الفكرية التى لا يدركون من منافعها شيئا اول الامر، كما ان الثقة بين ذوى القربى فى هذا الوجه بين العرب خاصة شبه منعدمه خلافا للأعاجم الذين يتهارعون للانضمام الى من يظهر فيهم من الناعرين بكل نعره ينكرون بها و ليس المراد بالعشيره هنا الاعمام و ابناء الاعمام و بقيه العصابات و الارحام و انما يراد بذلك من وراءهم من قريش و فروعها و قد قلنا ان هذا النص لا يمنع دعوة غير هذه الفئات الى اعتناق الدين و قد جرى الامر على ذلك منذ بدأ النبى الصدى بمهام هذه الرسالة العظمى.

[٤] قال الشوكانى فى تفسيره: اتفق اهل التفسير فى هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه و سلم. ص ٣٤٣ - زبدة التفسير من فتح القدير - ط الاولى ١٩٨٥م - ١٤٠٦هـ.

[٥] كان من عادات ايام جاهليتهم ان يجعلوا قبورهم تحت السماء تتساقط عليها الامطار. و قد دفن النبى صلى الله عليه و سلم وفق هذه العادة اذ كان دفنه فى ساحة بيته و ليس فى غرفه نومه... و بناء قبه على قبره اذا كان على غير سنه العرب فانه لا يخاف اصول الاسلام و قواعد الملة...

[٦] و من آيات القدسيه قوله تعالى: «الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل. الم يجعل كيدهم فى تضليل. و أرسل عليهم طيرا أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول»...الفيل ٥/١ كان مولد الرسول الاعظم فى عام الفيل، و فى ذلك العام حدث غزو الحبشه لمكة يتقدمهم فيل لهم لم تعهد العرب مثله فى حروبها و كان جيش الحبشه عرموما جرارا انكمش القوم عن محارشته و ذلك لثقة العرب ان الكعبة لا تقتحم لمكانتها عند الله، ولكن الله دفع عن الكعبة و عن اهل مكة اذى الاعداء الغزاة... و الاشارة الى ذلك فى النص القرآنى بلفظ «الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» اشارة الى ان النبى صلى الله عليه و سلم قد كان له عند ربه شأن فعل فعله فى اباده الغزاة... ان فى اضافة ربوبيه الرب الى النبى صلى الله عليه و سلم معنى يتضمن لفت النظر الى كرامته و قدسيته و اعزازه لامر آت علم فيما بعد فى اختيار الله اياه للرسالة العظمى التى ارسل بها الى البشريه جمعاء...

[٧] يطلق الوحى كذلك على ما ينقدح فى الذهن من امور يهتدى اليها عند عروض ازمان مارق تتطلب الحل و العلاج الناجح. و يقع هذا لغير الانبياء من مثل ما جاء فى النص «و اوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم». القصص ٧/... و مثل قوله تعالى «و اوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا و هم لا يشعرون» سورة يوسف ١٥ و قد جاء ذلك فى الكلام على يوسف عليه السلام و هو

صبي صغير يوم القي في الجب و بعض الوحي يعبر به عن العرائز و النظام العبيعي في الحياء من نحو قوله تعالى «و اوحى ربك الى النحل» على ان لكللمه الوحي في اللغة مسالك اخرى غير هذا الذي تنوه به و من ذلك «يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا» الانعام/١١٢ و كذلك القول «و ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم...» الانعام /١٢١... و على هذا فكللمة الوحي لا- تعد مصطلحا دنيا موقوفا على هذا المعنى.

[٨] بعض الفاظ الوحي تعنى نفس هذا المعنى اى انه وحي لا- يحمله ملك الى المعنى به و من ذلك قوله تعالى فى مخاطبة موسى عليه السلام «اذ اوحينا الى امك ما يوحى...» طه/٣٩...

[٩] هناك من يمنع الصلاة على النبي بعد الفراغ من الاذان معنا باتا لا تسامح فيه بغير حجة او دليل اذ ان الصلاة على النبي مما امر به المسلمون من غير تحديد وقت لاداء ذلك او وقت لمنعه و بذلك يكون منع المؤذنين من الصلاة على النبي بالعبارات اللانقصة منعا متعسفا فيه و غير قائم على بينة...

[١٠] لقد شهد للعرب عظماء قادة العالم و فلاسته انهم كانوا ارحم فاتح فتحت له البلاد و ذلك لان العرب حملوا فى هذه الفتوحات عقيدة الاسلام التى كانوا متشبعين بها و قد حملوها الى الافاق. (والاسلام مثخن) بمعالم البر و الخير و الرفق و الرأفة و العدل و الخطط الصائبة فى حياة الناس. ان شهادة الله عزوجل بانه لم يرسل محمدا الا رحمة للعالمين شهادة صادقة ناصعة (وقد جاء التعبير بها من النصوص و الفصاحة بما لا- يعلق به ادنى ارتياب فى الامر المراد. و ما كان مثل هذا التعبير بالبليغ الموجز محلا للخلاف فى تفسير و تأويل و استنباطه المحتوى و المضمون فصلى الله عليك ايها النبي العظيم و الرحمة المهداة الى البشرية حتى تنفض الارض كل كائن على ظهرها من بنى البشر فلا يبقى هناك من نفس منقوسة و كذلك شاء الله لهذه البشرية حيثما كانت ان تنعم برسول هو الرحمة العظمى من الله لكل فرد من افرادها و جيل من اجيالها و نطفة من نطفها من ذكر و انثى و حر و عبد و مقيم و نازح و قريب و بعيد... ان الذين زعموا ان النبي اذ مات انتهى كل شىء ينسب الى شخصيته النبوية قد جهلوا ان الذى قاله الله فى حقه من وصفه بالرحمة المرسله انما هو قول ماض الى قيام الساعة فما يزال صلوات الله عليه الرحمة نفسها بكل حروفها و اطرها و حقيقتها و مجازها و بكامل حجمها و شكلها و موضوعها. بل ان الامة الاسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه و سلم الى عصور شتى تلت ذلك العهد تعد كلها امة واحدة تشملها اخوة الاسلام فأى مسلم من مسلمى زماننا هو أخ لأى مسلم من مسلمى العصر الاسلامى الاول ففى القرآن الكريم «ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايامن و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا» الحشر/١٠ تدل على ان الزمن طال ام قصر لا يقطع صلة مؤمن لاحق بمؤمن سابق. و فى ديمومة ايمان الامة ديمومة لرسالة رسولها. لان الرسالات تنتقل من طريق اتباعها...

[١١] نزلت هذه الاية الكريمة منوّهة باكمال الشريعة المطهرة التى هى شريعة الاسلام و قد تمت بها اسباب النعم الالهيه العظمى على لاهمه و كان يوم نزولها فى حجة الوداع التى توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعدها بنحو ثلاثة اشهر لم ينزل فيها وحي متلو من القرآن الكريم لان القرآن الكريم كان قد تم تمامه و عرف ذلك سائر المؤمنين. ما من ذهب الى ان اخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى «و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله...» البقرة/٢٨١... و مثل هذا النص فى كتاب الله الكثير، فلا دلالة توقيتية لها. فانها آية وعظيمة لانبا فيها ينبىء عن مسأله تاريخية او حادثه معينه فى دعوة الناس الى اتقاء لله و الحذر من يوم رجوعهم اليه فان الملة الاسلاميه قام امرها على هذا المعنى المتكرر فى التنزيل دون ان يكون فى شىء منه ايماء الى ان ذلك هو احر عهد القرآن بالنزول. فان يكن هناك من روى ذلك فان الروايات تناقض و ما تعارضت فيؤخذ بما يكون منها ألحن بالحجة و اخرى بالاستدلال و اجدر بالاحتجاج و اهدى الى المآل... ففى قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم» ايراد للظرف الزمنى الذى كان محل على المؤمنين يومذاك و هو ما قال تاريخ الشريعة انه يوم حجة الوداع على ان اكمال الدين يوم يعلن عن اكماله لا يصلح ايراد حكم شرعى جديد بعده يثير الظن بان الدين لم يكتمل حقا، و تلا ذلك اتمام النعمة و الرضا بالاسلام ديناً، و فى تكرار كلمة الدين توكيد ذلك كما ان ايراد الضمائر «لكم و عليكم» يفهم منه مخاطبة قوم سمعوا ذلك و عملوه و ادركوا فحواه و محتواه و ما وراءه من شىء... ان فى ذكر الدين والاسلام ما

ينزل على قصد ظاهر يشف عن الشريعة و عن امر له كيانه المعلوم و حدوده فيه الى الله». اما اكتمال الدين و هو صادر من الله فانه في حكم القرارات القاطعة ذات المعاني المفهومة كل الفهم. و ليقبل لنا الذين ظنوا ان النص لقرآني «اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا» لم ينزل في اعلان ختام الشريعة و انقطاع الوحي، اذن فيم نزل؟ و ما معناه و ما حدود اكتمال الدين ان لم يكن قد اكتمل حقا...

[١٢] اذا عرض لاحد الناس عارض انفعال شديد طارئ لا افتعال فيه فغلبه التواجد و الهيام بحب الله و الرسول فانه لا يؤخذ عليه لانه يدخل في مجال الغيبوبة التي يرفع القلم عنها و ان لم تكن تمثل التعبير الايماني المسنون.

[١٣] اما ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى «له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله» الرعد/١١... فقد قالوا ان المعقبات هم الملائكة و ان الذي يحفظونه من امر الله هو النبي صلى الله عليه و سلم و الامر ليس كذلك فان الملائكة هي التي و كل الله اليها تنفيذ اوامره و تحقيق احكامه فهم لا- يحفظون احدا من اقداره في خلقه... و انما الصحيح في تفسير هذا النص ان المراد بالمعقبات هم الحشم و الخدم و الاعوان و الحراس و الجند و الشرطه اما الضمير في يحفظونه فالمراد به من وصفه الله بانه سارب بالنهار لمن هو ذو قوة و سلطان و شخصية متمكنة مقتدره في زمانه و مكانه و ذاك ظاهر في كامل النص و تمامه و هو ماستشير اليه و نشرحه فيما يلي من اصل النص الذي «سواء منكم من اسر القول و من جهر به و من هو مستخف بالليل و سارب بالنهار له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله» الرعد/١١ الاية الكريمة تتضمن معادلة بين فئتين من الناس الفئة الاولى تشير الى من هو في غاية الخوف و الدعر من ان يقول شيئا يجر عليه المتاعب فيما يتصور من فرط خوفه و هو من اشارت اليه الاية بكلمة «من اسر القول» و الاخر هو من جهر به جهرا يدل على قوته و اعتداده بكلمته و انه لا يخاف من احد... هذه المعادلة في المجال القولي. اما في المجال الفعلي فقد جاءت المعادلة بين اثنين احدهما مستخف بالليل تعبيراً عن شدة ذعره و جنبه لان المراد من الليل اذا ذكر ان يكون دامس الظلام و الخائف في ليل الدامس الظلام يختبئ هنا و هناك من فرط ما يعتريه من الارتعاش من عدو او من سلطة او من جهة ما فهو في غاية الخوف لا يكاد يتماسك و اذا عرض له من يريد سلبه ماله او قتله و ما كان من هذا القبيل فانه لا يملك الدفاع عن نفسه... ان هذا الرجل الخائف المرتاع هو عند الله في هذه المعادلة لا يختلف شيئاً عن القوى المسلح بالاعوان و القدرة و هو من جاءت الاشارة اليه انه «سارب بالنهار» اي يمشى في عرض الطريق علانية يضاف الى ذلك ان هذا السارب بالنهار معه اعوانه و رجاله الذين وصفهم النص بانهم المعقبات «له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله»... و حفظ هؤلاء صاحبكم من امر الله انما كان على ما يظنه هو و يظنونه هم و هو ظن من فصيلة الوهم الذي لا اصل له و بذلك تكون المعادلة مراداً بها ان الضعيف و لقوى قولاً و عملاً هما عند الله شيء واحد في اقداره و احكامه و سلطانه و ما الى ذلك... فالنص اذن لا علاقة له بشخصية الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم و انما اقحمناه في هذا المجال لتصحيح الظن و اخراج الرسول من هذه المعادلة و التنبه على صحيح التفسير و دقيق التأويل لهذا النص القرآني الكريم.

[١٤] لقد رأيت خلال وجودي في الصين ١٩٧٠-١٩٦٦ ان السياسة الحربية في الصين على ما كان يرى الرئيس (ماو) هي حرب استئصال لثلاثين ينشغل المحاربون بامور ثانوية تخص مشاكل الاسرى منها اطعامهم و ما الى ذلك...

[١٥] معاملة الاسرى في الاسلام معاملة انسانية عالية، ففي القرآن الكريم «و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و اسيراً» الانسان/٨. اذ جعل اطعام الاسير من القربات و اعمال البر التي يحمد عليها من يعملها.

[١٦] ولد الرسول الاعظم في مكة و عاش سنوات خارجها اذ كان مرضعاً لدى حليمة السعدية في مضارب عشيرتها... جىء به الى امه بعد ذلك و قد تولى امره جده عبدالمطلب ثم تولى امره عمه ابوطالب بعد وفاة جده و كانت امه قد توفيت قبل حين و على هذا لبث النبي في مكة حتى عصر الشباب اذ اشتغل في رعي الاغنام لعمه ثم اشتغل في تجارة خديجة بنت خويلد و قد تزوج منها و استولدها عدة ابناء من الذكور و الاناث مات ذكورهم قبل مبعثه صلى الله عليه و سلم. و كان ذلك في الاربعين من عمره... لقد كان للنبي منذ

ايام طفولته حتى بلوغه الاربعين لدات و اصحاب و اصدقاء و معارف يؤلفون العدد الكبير من اهل مكة خاصة. فأين كان السحر خلال الاربعين سنة التي عاشها النبي في مكة قبل مبعثه النبوي الشريف... و اين كانت ادعاءات كفار مكة في ما ادعوه من الاكاذيب و ضروب البهتان اذ وصفوا النبي بالشاعر و الساحر و الكاهن و هو عن ذلك جميعا جد بعيد؟! و يلاحظ من آيات المواجهة و غيرها ان النساء لم يكن مصدر اذى للرسول و لا طرفا في جدال و نزاع خلال العهد المكي و لا المدني بل ان النفاق و ان كان قد وجد في العهد المدني فان النساء لم يخصصن في ذلك بشيء نزل فيهن... و هذا يدل على ان المرأة لم تجاهر الرسول الاعظم بخصوصه و لم تجعل من نفسها حجر عثرة في سبيل الشريعة التي جاء بها الرسول... و مما يفهم منه ان شخصية النبي كانت من العظمة و المهابة حائلا دون تورط النساء في الوقوف في مواجهته و الرد على رسالته.

[١٧] و يراد بالخوالف اعمدة الخيم و النساء المقيمات في البيوت اذ لم يكن مفروضا على هؤلاء النساء الخروج للغزو.

[١٨] القول على ما ذكر به الرسول صلى الله عليه و سلم موصوفا بانه كان منعما على زيد. و الانعام كذلك انما يكون فيما يقع في اطار التبرع الذي لا يلزم به المتبرع و ما كان من هذا النوع من النعم يعد من مراتب الفضل الاوفى. و خلاصة ما نعيه من هذا القول او بهذا القول ان الله جل جلاله قرن اسم نبيه صلى الله عليه و سلم بذاته الكريمة في موضوع الانعام و المن على الناس بما لا يلزمون بالمن به على احد و لا نجد في القرآن الكريم اشارة الى ما يشبه هذا من قرن اسم نبي بالله في مثل هذا الامر، فهو اذن امتياز من الامتيازات الجليلة التي ماز الله بها نبيه العظيم صلى الله عليه و سلم.

[١٩] كان الرسل الاقدمون يواجهون استنكارا شديدا من قومهم حين يقربون اليهم بعض الفئات المستضعفة او الشعبية (انؤمن لك و اتبعك الارذلون) الشعراء/١١١. (و ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي) هود/٢٧.

[٢٠] قد تكون الحاجة الى الشورى حاجة يقضى بها ظرف طارئ عاجل يضيق الوقت به عن كل تدبير فيكون للشورى مذاق فرج عظيم و في القرآن الكريم «فلما استياسوا منه خلصوا نجيا» يوسف/٨٠ اي انصرف بعضهم الى بعض يتشاورون في الخروج من مازق وقعوا فيه...

[٢١] لم يكن هناك رجز امر النبي بهجره لكنه تأديب لعدم الاقبال على الاتصاف بذلك و هو اسلوب في الموعظة و التهذيب معروف...

[٢٢] العيلة هي الفقرة و الخاصة. «و ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء...» التوبة/٢٨

[٢٣] لقدسية بيت المقدس جاء في الحديث النبوي (لا تشد الرحال الا الى ثلاث) و ذكره في النص القرآني مقرونا اي انه قرن بالمسجد الحرام و المسجد النبوي و هو حقيق بهذه المنزلة و جدير بهذا المقام. و هو اي بيت المقدس الشريف زيادة على انه اولى القبلتين و ثالث الحرمين مسرى النبي و منطلق عروجه

[٢٤] نزلت الاية في تهديد آكلي الربا بالعقبي السيئة «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله و ان تبتم فلکم رؤوس اموالکم لا تظلمون و لا تظلمون». فالحرب التي أندر الله بها أكلة الربا و كانوا من شرار الناس و كبار اصحاب الاموال فيهم. قرن الله اسمه فيها باسم رسوله اشعارا بالاقتدار الذي يملكه الرسول في مواجهة القوم رغم عتوهم و عنف خصومتهم و كثرة ما يملكون من مال. فالرسول الاعظم يصلح وفق هذا النص ان يكون جهة قتالية في حرب المرابين مساوقة للجهة القتالية التي نسبها الله لنفسه... و بديهى جدا ان ذلك اذ يكون كائنا انما يكون كذلك بما يمنحه الله رسوله من القوة و الاقتدار القتالي الغالب و الظاهر في النص ان الخطاب الذي اتخذ اسلوب العنف قد مخاطبة المخاطبين انما هو موجه لى فئة من المؤمنين الذين اعتنقوا الاسلام في المدينة و صاروا يعرفون بالمؤمنين و يخاطبون بلقب (الذين آمنوا) و لا غرابة في ذلك أى في أن تكون مخاطبتهم مشحونة بالعنف و الشدة. و ذلك من طبيعة القرآن الكريم عند التحذير و عند اعلان الاحكام الشرعية التي تتضمن تحريم محرمات لم تكن قبل محرمة...

[٢٥] نص البراءة التي يتبرأ بها الله ورسوله من المشركين يعد نصا مستديما الى يوم القيامة من كل مشرك و ليس هو نصا قاصرا على ما جرى اعلانه يومذاك و يفهم من ذلك ان براءة الله من المشركين و براءة رسوله منهم سيان و الشرك باطل ابدًا و هو أى الشرك قائم مادام فى الدنيا قوم ضالون عن نهج الهدى و الايمان و لذلك قال الله تعالى «ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء» النساء/٤٨... و يتبين من هذا ان كل مشرك يظهر فى الدنيا حتى اليوم الذى ينتهى فيه العالم هو داخل كماشة هذه البراءة التى يبرأ فيها الله ورسوله من مثله... ان معنى الديمومة التى تلازم رسول الله بعد مماته صلى الله عليه و سلم بصفته رسول الله المشهود له بالرسالة على مدى الزمان هو معنى ثابت و مطرد. و انها لحقيقة خفيت كل الخفاء على من زعم ان النبى اذ مات فقد انقطعت علاقته بما كانت متصلة به من امور الناس.

[٢٦] قرن فى النص القرآنى القنوت لله بالقنوت لرسوله اعزازا لشأنه و اعلاءا لمقامه و تنصيحا على قدسيه شخصيته بحيث جعل له فى القنوت نصيب.

[٢٧] فى القرآن الكريم «و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا...» و بديهى ان ما آتى الرسول قومه انما هو من ما اوحاه الله اليه و امره بتبليغه امته خلافا لما قاله بعض المفسرين من ان هذا الايتاء ايتاء للاموال و الاعطيات و كذلك القول على ما نهاكم الرسول عنه و اذا لا- يمكن ان يتخلف الامر الالهى باطاعة الله فانه كذلك لا- يتخلف الامر القاضى باطاعة رسول الله لعدم امكان التجزئة بين الطاعتين. و اطاعة النبى الواجبة على المؤمنين انما هى اطاعة ما نقلته الاحاديث النبوية الموثوق بها من مصادر الشريعة من تعاليمه الخاصة بالعبادات كالصيام و الزكاة و الصلاة و ما هناك من حلال و حرام و كذلك المعاملات و السلوكيات و العلاقات بين الناس كل اولئك لا يتخلف منه شىء بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم.

[٢٨] المراد بالاعز و الاذل فى عرف الكفار هم جماعة المشركين و جماعة المؤمنين و لا يراد بالاذل و الاعز شخص معين... و المراد بالاذل الضعيف و مثل ذلك «و لقد نصركم الله ببدر و انتم اذله» آل عمران/١٢٣...

[٢٩] تمام الاية. «... و ليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك و ليأخذوا حذرهم و اسلحتهم و الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم و امتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة و لا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم و خذوا حذرکم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا» النساء/١٠٢...

[٣٠] يعتمد القصص القرآنى على مطالب يعد التاريخ فيها امرا غير مقصود و لذلك لم نجد القرآن الكريم سمي الملك الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا. فى قوله تعالى «و كان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا» الكهف/٧٩... كما ان القرآن الكريم لم يسم ابنى آدم فى قوله تعالى «واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما و لم يتقبل من الاخر» المائدة/٢٧... و حين ذكر الغلبة على الروم فى قوله تعالى «غلبت الروم فى ادنى الارض» لروم/٢... لم يذكر الجهة الاخرى التى كانت الحرب بينها و بين الروم سجلا- و ذاك لان القرآن لا- تعنيه الاماكن و الازمان و اسماء الشخوص فهو يشير الى مواقع العبرة و لا يعنيه ما يعنى التأريخ من التدوين و سرد الاخبار.

[٣١] قالت عائشة فى صفة رسول الله ان خلقه كان القرآن و هى تعنى بذلك انه صلى الله عليه و سلم كان متلبسا بالقرآن و ما فى القرآن من حكمه و هدى و علم و نور و قيم عالية تهدى الى البر و تتجسم فيها لتقوى... و انا لنقول ايضا على هدى ذلك ان ثقافة النبى كانت ثقافة القرآن و معارف النبى علت بمعارف القرآن و ان كمالاته كملت بكمالات القرآن...

[٣٢] كانت الصلاة اول امرها فى العهد المكي تؤدى بحالة قيام قد يطول كثيرا يقرأ خلاله المصلى آيات و سورا مما يحفظ، السر فى ذاك ان يتم للمسلمين حفظ اكبر قدر من القرآن و كان عدد ما نزل من سور القرآن فى مكة ست و ثمانون سورة... و قد تسنى للمسلمين حفظ قسط عظيم من القرآن قبل الهجرة الى المدينة اذ لم تكن الفاتحة قد عرفت فى الصلاة الاولى.

[٣٣] فى هذا النص نهى عن الصلاة على اناس و صفهم الله بصفة حدد بها شخصياتهم و فى النص منع من القيام على قبر احد منهم أى

الوقوف و الزيارة و الدعاء... مما يفهم من ذلك وفق مفهوم المخالفة و هو قاعدة اصولية ان الصلاة على اى مسلم من المسلمين مات على الاسلام غير ممنوعة ان لم تكن مفروضة. و الوقوف على قبر ميت من افراد هذه الامة حق يستحقه ذلك الميت ابتغاء الترحم عليه و الاستغفار له و ذكر ما كان من محاسنه فى حياته. فاذا كان ذلك كذلك فان رسول الله صلى الله عليه و سلم اولى ان يصلى عليه و ان يقام على قبره... فالذين يزعمون ان زيارة القبور ممنوعة لا حجة لهم فى ذلك بعد وضوح النص القرآني...

[٣٤] قوله تعالى «ثم أماته فأقبره» عبس/٢١ يعد من بعض ما من الله به على عبده فهى أى القبور ليست مما يستقبح و تكرهه النفوس بحيث تمنع الصلاة فى مكان اذا كان فيه قبر. و فى الحديث النبوى عند صفة القبور انها تذكر كم بالاخرة...

[٣٥] ترد مفردات النهى فى العربية احيانا للتوكيد و ليس لقصد النهى و من ذلك ما جاء من قوله تعالى «لا- اقسام بيوم لقيامه» القيامة/١... و مثل ذلك كلا انها تذكرة» عبس/١١... و من ذلك «ما منعك ان لا تسجد» الاعراف/١٢. فليس فى هذه المفردات من معنى النفي او النهى شىء...

[٣٦] اللاتى: اى مقرونة بلفظة (لا) اناهيء...

[٣٧] يبدو ان اجماع القوم على باب بيت النبى فى مكة قبل الهجرة كان مرادا به اختطافه على جارى عادتهم القديمة... ولكن الرسول صلى الله عليه و سلم كان دقيق التصرف و عظيم التحوط من ذلك اذ لم يبت ليله هجرته فى بيته انما بات فى بيت ابى بكر و قبل بزوغ الضياء الاول كان النبى قد خرج الى الغار...

[٣٨] ان ابن هشام كان ذا هواية فى تعداد الاسامى فهو يورد اسماء عن آمن و من كفر و من اشترك فى الحرب و مات فيها من الطرفين و اسماء خيل المسلمين على اختلاف الروايات و غير ذلك. ولكنه لم يذكر لنا اسماء الذين قتلوا المئات من يهود قريظة فى وقت واحد يستغرق عدة ايام لو صح ذلك... و كان ابن هشام قد جعل حال بنى قريظة و بنى النضير حالة واحدة مما يفهم منه ان القبيلتين عوقبتا بعقوبة واحدة هى الاجلاء لا القتل الجماعى لاحدا هما دون الاخرى و ان لم يجر التصريح بذلك... و فى ابيات رواها ابن هشام يفهم منها ان قتلى قريظة قتلوا فى معركة و لم يقتلوا صبرا بايدى أناس و كل اليهم امر قتلهم و دفنهم فى حفائر محفورة فى الارض و يدل على ذلك قول الشاعر حسان بن ثابت (ابن هشام ج ٣٢/٤) لقد لقيت قريظة من أساها و ما وجدت لذل من نصير اصابهم بلاء كان فيه سوى ما قد اصاب بنى النضير تركناهم و ما ظفروا بشىء دماؤهم عليهم كالغدير فهم صرعى تحوم الطير فيها كذاك يدان ذو العند الفجور ان النبى صلى الله عليه و سلم و قد جعل اليه الله امر الحكم فى الدماء و غيرها و ذاك مما لا تقع الوكالة فهى لغيره و لذا نشك فى انه صلى الله عليه و سلم ترك امر الحكم فى قريظة الى سعد بن معاذ الذى حكم على مئات من رجالهم بالقتل و كان معاذ على حال من الاعياء و شدة الاعتدال بحيث لا يؤتى به من فراشه ليحكم فى الامر الذى حكم فيه... و ما قيل من ان النبى قال لسعد أن ذلك هو حكم الله مسألة تتطلب الاستيثاق التام... لان اتخاذ القرار فى مثل هذه المطالب لا يتولاها الا النبى وحده... و ما رواه الرواة من الاطناب فى مكانة سعد بن معاذ يجعلنا نتجه الى دراسة سيرة سعد... فيم نال هذه المكانة العظيمة... و قضية قريظة كانت فى السنة الخامسة للهجرة مما نفهم منه ان ظروف الدعوة لم تكن تتطلب مثل هذا الموقف من صاحب الرسالة فى الاحتكام الى رجل من الانصار فى مثل هذا الامر الخطير... و لذا نفى حادثه القتل الجماعى لبنى قريظة على الوجه الذى ذكره اهل السير...

[٣٩] لا ترى فى المسيحية احكام ممكنة التطبيق اذ كانت الدولة يوم نشوء المسيحية دولة الروم و لم يتهاى للمسيح عليه السلام رجم الزناة و لا القصاص من القتلة...

[٤٠] مآب مآبى اى مرجعى

[٤١] دفع هذا الشىء اليسير من المال للدولة و هو ما سمي بالجزية يعد اقل مئات المرات مما كان يدفعه هؤلاء لدولتهم من ضرائب جد كثيرة و هو كذلك اى ما يدفعه غير المسلمين من الجزية اقل بكثير مما يدفعه المسلمون من صدقات و كفارت و غير ذلك... كما ان من وصل الاسلام الى بلادهم لم يكونوا يشاركون فى الانتساب الى الجيش الاسلامى على نحو ما كانوا ملزمين بالمشاركة



بالاتحاق بجيوش دولهم و هم كذلك اباح لهم الاسلام تطبيق احكام دياناتهم بكل حرية... و بذلك لا يصح في الازهان ان يكون هؤلاء قد اكرهوا على اعتناق الاسلام على ما يدعيه بعض المستشرقين من الذين يلقون الكلام على عواهنه و ما هم بمستيقنين...

[٤٢] النسبة هنا للبلاغ الا للبلاغة...

[٤٣] او توفينك: حتى نتوفينك...

[٤٤] ذكر وصف الرسالة النبي بانه رحمة للعالمين تؤكد ان مهمة البلاغ لا تخول الرسل ان يعاملوا الناس بالقسوة و العنف و الشدة...

[٤٥] من ذلك قوله تعالى «و اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم على انفسهم ألت بربكم قالوا بلى شهدنا...» الاعراف/١٧٢...

[٤٦] الشعراء ١٢٢/١٤٠/١٥٩/١٧٥/١٩١.

[٤٧] ورود النص في تسييح الله بلفظ باسم «ربك» لبيان موقع هذا التسييح من الاستجابة لمكان اضافة الرب الى عبده و قوة العلاقة الظاهرة بين اللفظين... كذلك جاءت هذه الآية في سورة الواقعة/٩٦ و سورة الحاقة/٥٢... و في القرآن الكريم «يا ايها النفس المطمئنة، ارجعي الى ربك راضية مرضية» الفجر ٢٧/٢٨... فان هذا التعبير ذو مذاق يختلف عما لو كان بلفظ «ارجعي الى الله» لان ذكر الرب مضافا الى كاف الخطاب يطمئن النفس الى ان للرجع الذي ترجع اليه هو محل الخير و مناط الرجاء و هذا ما تدل عليه الصيغة التعبيرية الناشئة من اضافة الرب الى كاف الخطاب «ارجعي الى ربك»...

[٤٨] الكعبة معروفة بانها متخذة محلا للعبادة من قبل عهد ابراهيم عليه السلام...

[٤٩] في القرآن الكريم «لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون» الانبياء/١٠... في هذا النص اشارة الى الحس القومي العام... فان كلمة «فيه ذكركم» في مخاطبة العرب ما يومية الى ان الله اعلى من شأن العرب و منحهم بعد الصيت و المكانة العالية. و الاسلام اعتمد الامة العربية في حركة الاصلاح العالمي من طريق هذا الذين الحنيف و نقله الى سائر ارجاء العالم و ان لم يكن الاسلام دينا خاصا بالعرب و ان كانوا تحملوا كل ثقله و تحمل كل ثقلهم الا انهم كانوا حقا خير امة اخرجت للناس.

[٥٠] و هذا ما يؤيد ان العرب في تلك الفترة لم يكونوا يدركون قيمة الوحدة القومية، و كان من يفاخر منهم بالامجاد انما يفاخر بامجاد عشيرته و قومه و لذلك كان غزو بعضهم بعضا لا يطعن في انتمائهم الى ارض واحدة و محيط واحد لان هذه الارض و هذا المحيط لا يؤلفان اطارا يستاهل التقديس... و لقد كان من عظيم فضل الاسلام على الامة العربية ان خلق فيهم شعور الانتماء الى قومية واحدة و نهى النبي عن الانتماءات الضيقة...

[٥١] ليس المراد من اخراجه ان يترك و شأنه يذهب الى أى مكان يريد و الا لسرتهم هجرته من مكة. انما يراد من الاخراج الاخذ الى مكان يحجرون فيه من يريدون ذلك و قد عرفت العرب هذا النوع من التصرف...

[٥٢] المهتد: المهتدى

[٥٣] جاء النص القرآني باختلاف الاقوال في عدد فتية الكهف و مدة مكثهم فيه ثم جعل الله ذلك من بعض علمه «قل الله اعلم بما لبثوا»... الكهف/٢٦...

[٥٤] الذى حدث بعد غرق فرعون ان خرج الى ظاهر الماء فدفعته الريح الى الساحل. فجاء من كان هناك فنقلوه الى ناوسه في الهرم الخاص به بعد تحنيطه. اكتشف ذلك قبل عهد قريب فكان هذا الاكتشاف مصداقا لقومه تعالى «فاليوم نجيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية» يونس/٩٢.

[٥٥] نقل الامام على رضى الله عنه مقر الخلافة الى الكوفة بالعراق ليكون قريبا من البلاد المفتوحة بحيث يتسلم بريدها و تصل اليه اخبارها و لا تتعب جيوشه في الوصول الى تلك البلاد... و كان ذلك عين الصواب...

[٥٦] ما خوطب به النبي في القرآن تكون عليه دلالات تقرر انه خطاب له صلى الله عليه و سلم ذو خصوصية تختص به شخصيا فلا

ينتقل مثل ذلك الى غيره فهو مما لا يقع فيه التوكيل و الانابة والاحالة... و هناك مما يخاطب به النبي صلى الله عليه و سلم ما يتعلق بصفة القيادة فيه، فاذا وكلت القيادة في حياته انتقلت اليه تلك القيادة... لان الامر امر تعليم و ادارة و سياسة... و قد يلتقى الامر ان فى النص القرآني فى مثل قوله تعالى «خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم...» التوبة/١٠٣ الاية. فان الامر بأخذ الزكاة من القوم امر يتصل بالجانب التطبيقي من الشريعة اذ تقع فيه الوكالة و الانابة. و اما الصلاة عليهم من حيث تكون سكننا لهم فانها لا تتجاوز شخصية الرسول فقد منحه الله هذا التأثير فى النفوس و الله اعلم حيث يجعل رسالته... ان أخذ اموال الصدقات من الناس، و توزيعها على الناس. مسألة تتطلب الاقتدار الادارى و السلطان ذا القوة و الامر النافذ... و على هذا قام كيان الامة بعد وفاة الرسول اذ اتخذت نظام دولة ينضبط بها العدل و تطبق الاحكام و تقام الحدود و تحمى الثغور و يهرب الاعداء و يكون للامة من يمثلها فى مواجهة الامم و بهذا تتحقق لها الوحدة و الاستقلال و السيادة... و الزكاة و ما اليها من الاموال المحببة و الضرائب المضروبة لا تترك لذم الناس و محض اختيارهم فليس كل الناس يستجيبون لداعية الاوامر الشرعية من دون استحثاث و ملاحقة... و وجه الزكاة المتعددة تومىء الى ان من بعض مصارفها مالا- صلة له باطعام جائع و اكساء عابر اذ ان من وجوها ما تسد به نفقات ذات شأن فى اقامة معالم العلم و ترسيخ كيان الدولة و ما هو من نحو ذلك...

[٥٧] مكررة فى آية ٩٦).

[٥٨] وصف الاشياء بالاتفاق يعنى بديهية تلك الصفات و عموميتها و كأننا نريد بذلك ان الامر متفق عليه و من ذلك «ان تتبعون الا رجلا- مسحورا» فاستعمال كلمة (رجل) هنا قيد اتفاقي اما الاحترازي فهو ما يكون من الصفات ابتغاء ازالة الشك فى امر يعلق به الغموض و هذا فى الاصل من مصطلحات علماء الكلام و المناطق. و قوله تعالى «و لا يعصينك فى معروف» لا يعنى ان لهن أن يعصينه فى غير المعروف لانه لا يصدر منه الا المعروف.

[٥٩] و القرام هو ستارة من قماش توضع على باب الدار.

[٦٠] امتلاك النبي للجوارى و الاماء لم يكن عن شراء بل كان عن طريق الهبة و الاهداء و الميراث و الفىء وفق النظام الدولى العام يومذاك. كالذى وقع من هبة المقوقس للنبي اذ وهبه مارية القبطية...

[٦١] «و قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن الا- لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخواتهن او بنى اخواتهن او نسايتهن او ما ملكت ايماهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء و لا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن و توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون».

[٦٢] البحيرة: هى الناقة تشق اذانها علامة على انها لا تذبح و لا تطرد من مرعى تكون فيه و لا يشرب لبنها و ذاك عندما تلد لهم الناقة عدة بطون... السائبة: و هى الناقة و البعير يتخذ منهما الرجل نذرا ينذره بتركهما سائبين دون احتلاب و ذاك اذا تحقق له نذره... الوصيلة: هى الناقة التى تلد اناثا على وجه التابع... الحامى: هو الفحل الذى يلد له اكثر من عشرة فيكون كذلك طليقا لا يذبح و لا يمنع من ماء او مرعى و فى تأويل هذه الالفاظ اكثر من خلاف...

[٦٣] المرباع: ربع الغنيمه يأخذها القائد سلفا اى فى بدء التوزيع. اما الصفايا: فهى ما يصطفيه القائد من نفائس الغنائم و عيونها و قوله «حكمك» اى أنه ياخذ اجر التوزيع على افراد جيشه... اما النشيطه: فهو ما يصل من النياق و غيرها الى مكان استحقاق القيادة مما يعد خارج نطاق الغنيمه... اما الفضصول: فهو ما يبقى من الغنيمه خارج القسمة فانه له من خيل و سلاح و غير ذلك...

[٦٤] من عادة اهل البيت عند اقامة الولائم ان يبدأوا الاكل بعد مغادرة الضيوف بيتهم كما انهم يجدون بعد مغادرة الضيوف مجالا لغسل الصحون ورد ما استعاروه منها من الجيران... ان مغادرة الضيوف بعد انتهائهم من طعامهم يعد اصلا فى آداب الضيافة. و النص و ان كان خصوص السبب فيه عائدا الى ضيوف النبي فانه يعد من التعاليم المفروضة على الامة لانه يؤخذ فيه بعموم اللفظ.

[٦٥] اي الجوارى. الجاريات فى السماء.

[٦٦] لم تكن التوراة مكشوفة و معروفة لغير احبار اليهود و هى لم تعرف للعرب الا فى نهاية القرن الهجرى الاول اذ ظهرت لشيء منها ترجمة باللغة العربية، و لذلك كان لهذا النقاش القرآنى لمقولات التوراة فى المعتقد اليهودى اثر كبير الاهمية فى الثقافة العربية الاسلامية من طريق نصوص القرآن الكريم التى استعرض بها مفردات العقيدة اليهودية المحرفة...

[٦٧] فى النص اشارة الى وقعة (احد) التى اوشكت الجبهة المسلمة ان تخسر فيها الحرب بعد ان كان انتصارها مضمونا و ذلك لمخالفة القوم ما خططه لهم النبى من الموقف العسكري الرشيد

[٦٨] عندما توفى ابراهيم ابن النبى من ماريد القبطية و كان طفلا فى الثالثة من عمره و قد حزن النبى عله حزنا بليغا و قد صادف ان كسفت الشمس يوم ذاك فقال نفر من الصحابة ان الشمس كسفت حزنا على وفاة ابراهيم فخرج النبى الهيم قائلا (ايها الناس ان الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا تكسفان لموت احد).

[٦٩] اي فى شأنهم...

[٧٠] اي متابى...

[٧١] كلمة الحزب و الاحزاب كانت معروفة فى العهد المكي يوما الى ذلك فى اكثر من سورة مكية منها. ١- «فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون»... المؤمنون/٥٣ ٢- «من الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون»... الروم/٣٢ ٣- «ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير»... فاطر/٦ ٤- «ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى بما لبثوا امداء»... الكهف/١٢ ٥- «فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم»... مريم/٣٧ ٦- «جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب»... ص/١١ ٧- «و ثمود و قوم لوط و اصحاب الايكة اولئك الاحزاب»... ص/١٣ ٨- «كذبت قبلهم قوم نوح و الاحزاب من بعدهم»... غافر (المؤمن)/٥ ٩- «و قال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب»... غافر (المؤمن)/٣٠ ١٠- «فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم»... الزخرف/٦٥

[٧٢] «فهل انتم مسلمون» أى: اسلموا و مثل ذلك «فهل انتم منتهون» اي انتهوا فى موضوع الخمر و المسير.

[٧٣] الجانب التاريخى فى السيرة النبوية يسرد اخبار الوفود التى اقبلت على النبى صلى الله عليه و سلم اواخر العهد المدنى و هى تعلن اسلامها فلقد ظهر ان هذا الاقبال على الدخول فى دين الله كان اقبالا عظيما جدا... و فى القرآن الكريم اشارة الى ذلك بقوله تعالى «و رأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا...»

[٧٤] نحن نعرب قوله تعالى «بصر به و اسمع» بانهما فعلا امر جاء للتعجب و الفاعل هو من خوطب بهما خلافا للنجاة الذين يقولون ان ابصر و اسمع فعلا ما ضويان جاء على صيغة الامر... و مثل ذلك اعراب «اسمع به و أبصر...» مما جاء فى سورة مريم «أسمع بهم و ابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين».

[٧٥] قول النبى صلى الله عليه و سلم لعمر بن الخطاب (ما أنت بأسمع منهم يوم خاطب النبى قتلى بدر و هم فى القلب انما هو تعبير رمزى و مقال بلاغى لا يبنى عليه الايمان بان الموتى يسمعون... لانه قول لم يرد فى مجال توضيح المعتقدات الدينية و احصاه ما يجب الايمان به و ما لا يجب...

[٧٦] ما جاء فى القرآن الكريم «فعلين نصف ما على المحصنات من العذاب (... النساء/٢٥... فان العبرة هنا كانت بخصوص السبب...

[٧٧] جاء فى القرآن الكريم على لسان ذى القرنين «قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا» الكهف/٨٧...

[٧٨] فى الانجيل انما بعثت الى خراف بيت اسرائيل الضالة.

[٧٩] مؤلف التفسير الشيخ حسين محمد مخلوف...

[٨٠] جاءت كلمة «اتيت» فى النص القرآنى «و لئن اتيت الذين اتوا الكتاب اتوا الكتاب بكل آية». البقرة/٤١٥... الاتيان بالآيات اي

الدلائل الدالة على صدق النبي القاطع بنبوته فان القوم لفرط عنادهم يركبون رؤوسهم و لا تطاوعهم نفوسهم على الايمان و التصديق و الاقتناع. و الآيات كذلك ما يكون مقنعا من الظنون التي تنقدح في الذهن في القرآن الكريم في هذا المعنى «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين» يوسف/٣٥ و ليست الآيات هنا كائنة ما كانت بذات دلالة على استحقاق يوسف عليه السلام للزج به في السجن.

[٨١] التقييم في معناه هنا اصح في لغة العصر من التقويم...

[٨٢] في الحديث النبوي عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه و نحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة و يباعدني من النار فقال لقد سألت عن عظم. و انه ليسير على من يسره الله عليه... الحديث...

[٨٣] حالات استقبال الوحي يكون للنبي فيها وضع خاص اشارت اليه كتب علوم القرآن...

[٨٤] عندما نعى رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الناس كان فيهم من كاد ينكر ذلك حتى ذكرهم من ذكرهم بالنصوص القرآنية الى ان «كل شيء هالك الا وجهه»... مما يدل على استعظام عروض الموت لبعض الشخصيات ذات الشأن و المكانة... غير ان الموت حق لا مريمه فيه...

[٨٥] كتاب زبدة التفسير من فتح القدير. ص ٥٥٠.

[٨٦] في قصيدة كعب بن زهير و التي القاها في حضرة الرسول صلى الله عليه و سلم وردت عشرات الالفاظ العربية علينا اليوم ولكن النبي كان يعرفها. و يعرفها كذلك من كان قد استمع الى تلك القصيدة و هي مشهورة اولها (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول).

[٨٧] لا يمنع هذا النص الشفاعة لان الشفاعة ليست تدخلا في اقدار الله و انما هي دعاء و رجاء ان شاء الله قبله و ان شاء لم يقبله.

[٨٨] اى لم تكن مقيما في اهل مدين اقامة استيطان طويل الامد لكي تعلم من اخبارهم ما اخبرناك به. و قوله تعالى «تلو عليهم آياتنا» اى لم تكن يومذاك مرسلا اليهم. و انما قص الله عليك اخبارهم و اخبار غيرهم فبلغك ذلك من طريق الوحي... ان موسى عليه السلام عاش في اهل مدين نحو من عشر سنين و اصهر اليهم فتزوج بنت شعيب احد انبياء العرب فتعلم من اهل مدين الجرأة و الاقدام و تلقى هناك من تعاليم الدين ما كان اصلا في شريعته. اذ ان الله اصطفاه نبيا بعد مغادرته مدين فلما عاد الى مصر عاد بسطان و تمكين لم يكن له منهما من قبل ما كان له منهما من بعد. و ان كان موسى عندما لجأ الى مدين و قص قصته على شعيب قال له «لا تخف نجوت من القوم الظالمين»... مما يفهم منه ان شعيبا عليه السلام كان ذا اقتدار على حماية من يحتمى به و اجارة من يستجير به كشأن سائر رؤساء القبائل العربية قديما و حديثا... و كان موسى يعيش في القوم كأي واحد من ابنائهم و هذا ما جعل له شخصية متميزة في استعداداتها بمزايا لم تكن معروفة في اليهود...

[٨٩] قوله تعالى «و ما اورسلنا من قبلك الا- رجلا- نوحى اليهم..» يوسف/١٠٩... فان النبوة تكليف شاق و قد تعرض انبياء للقتل و الاذى و في ارسال النساء نبيات ما يجعلهن عرضة للعناء الشديد و المتاعب و المشاق و هن دون ذلك اقتدارا و اضطبارا... كما ان النبوة قيادة و ادارة و غشيان ساحات القتال. و نوط هذه الامور بالنساء نوط بمن لا يملك تحقيق ذلك... ان النساء ضعيفات مهما كن قويات و من اجل ذلك يعجزن عن مهام النبوة... و ما جاء في بعض الكتب القديمة من وجود اسم لنساء قيل انهن نبيات يعد لا اصل له في الاسلام...

[٩٠] ان ادعاء فريق من المستشرقين لا سيما غلاة الصليبيين منهم ان العذرب عارضوا القرآن و كتم المؤرخون ذلك ظاهر فيه الافتراء و الاختلاق من جميع الجهات...

[٩١] المراد بها (وعيدى)...

[٩٢] اى لن تكون مسؤولا عن من كفر من الناس فكان مأواه الجحيم...

[٩٣] لو كان النبي قد شاء لنفسه النبوة لشاءها و هو في ايام الشباب الاول و لما ارجأها الى يوم بلوغه الاربعين و لو كان هو مبتدع الشريعة لما لبث يديها شيئا فشيئا حتى جاوز الستين من عمره اذ كان الامر المنطقي في هذا الوجه ان يكشفها كلها مرة واحدة لتكون شريعته متكاملة وفق رغباته و موازينه... اذ ان من يصنع شيئا من تلقاء نفسه بدافع من طموحه الشخصي لابد ان يفكر في عروض الموت له لذا يروح يتعجل انجاز ذلك... و كان لو كان يقرأ و يكتب قد اعلن ذلك للقى الارتياح من الناس لان الثقافة في نظر غير قليل من الناس ترفع من مكانة النبي لا سيما في بيئة قل فيها الذين يكتبون و يقرأون... و لو كان النبي هو صانع وحيه و مبتدع ملته لوجدناه تسامح في كثير من الامور التي ترى ثانوية في سبيل الفوز بالغايات الاساسية المرجحة غير ان رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يأت بهذا الدين الحنيف من عندياته انما هو رسول رب العالمين.

[٩٤] ظاهر النص يومية الى انه نزل بعد استتباب الامر بالنبي في اخر عهده بعد الهجرة و ذهب قوم الى ان السورة نزلت بعد الهجرة و ذلك ما اخذنا به اعتمادا على صريح ما جاء فيها من معان صريحة...

[٩٥] في القرآن الكريم من ذات المادة «ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون» الاعراف/١٣٩. «و لا تزد الظالمين الا تبارا» نوح/٢٨. تلاحظ الكلمات المماثلة و التيار و التبال و الوبال كل لي جذر واحد و الأبت من فصيلة ذلك... ان العربية اطلقت على من لا نسل له و لا عقب اسم العقيم و في القرآن الكريم «و يجعل من يشاء عقيما» الشورى/٥٠ و ما يكون من الامر لمنطقي ان يعيب الله من لا-عقب له و هو الذي جعله عقيما. و على هذا فما تعد كلمة الابتر بمعنى من لا عقب له لان المقام الذي وصف به هذا الابتر هو أضخم و اكبر من ان يكون عقيما مرادا بسبه و لعنه أن لا يكون له عقب... لقد ذكر الله بعض الكفار بأنهم ذوو مال و بنين مما يفهم منه أن عقم الناس من أن يكونوا ذوى أبناء ليس سبة لأحد و ليس في ذلك عقوبة لاحد. و في القرآن الكريم «ما كان محمد ابا احد من رجالكم» الاحزاب/٤٠ و هذا يعني انه ليس في الموجودين من المخاطبين يوم ذاك من هم من أبناء النبي و في ذلك ما رواه الرواة من ان النبي ليس له ابناء في تلك الحقبة اذ كانوا قد ماتوا قبل ان يكون نبيا و لذا فان قوله تعالى «ان شانئك هو الابتر» ليس فيه سب أحد و لا- ثل به بوصفه لا عقب له. و انما هو سب و ثلب في غير هذا المعنى. و السورة على ما رواه بعض الرواة انما هي مما نزل بعد الهجرة و قد اخذنا بذلك و قلنا به.

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).  
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عَلْمَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَارِ - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمة الثقافية بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطقي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتداءً أنشأته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و

عموم الناس إلى التَحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّةِ، تخليف المطالب النَّافِعَةُ - مكانَ البَلا-تِيثِ المَبْتَدَلَةُ أو الرَّدِيئَةُ - في المَحَامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيداً أرضِيَّةِ واسعةٍ جامعَةٍ ثقافيَّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السَّلَام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلَّابِ، توسعة ثقافَةُ القِرَاءَةِ و إغناء أوقات فراغِهِ هُوَاةُ برامِجِ العلوم الإسلاميَّةِ، إنالهُ المنابع اللزامة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهَاتِ المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العَدَالَةُ الاجتماعيَّةُ: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أَنَّهُ يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشرِ الثَّقَافَةِ الإسلاميَّةِ و الإيرانيَّةِ - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشره شهريَّةً، مع إقامة مسابقات القِرَاءَةِ

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرُّسُومِ المتحرِّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدَّة مواقع أُخرَ

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإِطْلَاق و الدَّعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرُّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمَكَرَانَ و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشارِكين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربِّي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةِ

المكتب الرُّئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" "بِنج رَمَضان" و "مُفتَرَق" و "فائي" / "بنايه" القائمية  
تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويَّة الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتي: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانيَّة الحاليَّة لهذا المركز، شعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيبت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنَّها لا تُوفِي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيَّة و العلميَّة الحاليَّة و مشاريع التوسعة الثقافيَّة؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمَّى

بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

